

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234912

UNIVERSAL
LIBRARY

* (فهرسة الجزء العاشر من فتح البيان) *

صحيفة	صحيفة
٢٨١ سورة الشمس	٢ سورة الملك
٢٨٧ سورة الليل	١٩ سورة ن
٢٩٤ سورة الضحى	٣٤ سورة الحاقة
٣٠٢ سورة ألم نشرح	٤٨ سورة سؤال
٣٠٦ سورة التين	٥٩ سورة نوح
٣١١ سورة اقرأ	٧٠ سورة الجن
٣١٧ سورة القدر	٨٧ سورة المزمل
٣١٩ سورة لم يكن	١٠٢ سورة المدثر
٣٢٤ سورة الزلزلة	١١٨ سورة القيامة
٣٢٨ سورة العاديات	١٣٠ سورة الانسان
٣٣١ سورة القارعة	١٤٨ سورة المرسلات
٣٣٣ سورة التكاثر	١٥٧ سورة عم
٣٣٦ سورة العصر	١٧١ سورة النازعات
٣٣٨ سورة الهمزة	١٨٥ سورة عبس
٣٤٠ سورة الفيل	١٩٤ سورة التكويد
٣٤٢ سورة قريش	٢٠٥ سورة الانفطار
٣٤٤ سورة رأيت	٢١٠ سورة المطففين
٣٤٦ سورة الكوثر	٢٢١ سورة الانشقاق
٣٥٠ سورة الكافرون	٢٢٨ سورة البروج
٣٥٣ سورة النصر	٢٣٨ سورة الطارق
٣٥٧ سورة تبت	٢٤٤ سورة الاعلى
٣٥٩ سورة الاخلاص	٢٥٢ سورة الغاشية
٣٦٣ سورة الفلق	٢٥٩ سورة الفجر
٣٦٧ سورة الناس	٢٧٣ سورة البلد

* (ت) *

* (فهرسة الجزء العاشر من تفسير الحافظ بن كثير) *

صفحة	صفحة
٢٢٦ تفسير سورة البلد	٢ تفسير سورة الطلاق
٢٣٢ تفسير سورة الشمس وضحاها	١٧ تفسير سورة التحريم
٢٣٧ تفسير سورة الليل	٣٣ تفسير سورة الملائكة
٢٤٣ تفسير سورة الضحى	٤١ تفسير سورة ن
٢٤٨ تفسير سورة ألم نشرح	٦٢ تفسير سورة الخاقعة
٢٥٢ تفسير سورة والتين والزيتون	٧١ تفسير سورة سأل سائل
٢٥٣ تفسير سورة اقرأ	٨١ تفسير سورة نوح عليه السلام
٢٥٧ تفسير سورة ليله القدر	٨٨ تفسير سورة الجن
٢٦٩ تفسير سورة لم يكن	٩٧ تفسير سورة المزمل
٢٧٣ تفسير سورة اذا زلزلت	١٠٧ تفسير سورة المدثر
٢٧٧ تفسير سورة العاديات	١٢٠ تفسير سورة القيامة
٢٨٠ تفسير سورة القارعة	١٢٩ تفسير سورة الانسان
٢٨٢ تفسير سورة التكاثر	١٣٨ تفسير سورة والمرسلات
٢٨٧ تفسير سورة العصر	١٤٢ تفسير سورة النبا
٢٨٨ تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة	١٥٠ تفسير سورة النازعات
٢٨٩ تفسير سورة الفيل	١٥٦ تفسير سورة عبس
٢٩٧ تفسير سورة لا يلاف قريش	١٦٣ تفسير سورة التكويد
٢٩٨ تفسير سورة التي يذ كرفها الماءون	١٧٣ تفسير سورة الانفطار
٣٠٢ تفسير سورة الكوثر	١٧٧ تفسير سورة المطففين
٣٠٨ تفسير سورة قل يا أيها الكافرون	١٨٥ تفسير سورة الانشقاق
٣١١ تفسير سورة اذا جاء نصر الله	١٩١ تفسير سورة البروج
٣١٨ تفسير سورة قبت	٢٠٢ تفسير سورة الطارق
٣٢٤ تفسير سورة الاخلاص	٢٠٤ تفسير سورة سج
٣٤٦ تفسير سورة المعوذتين	٢١٠ تفسير سورة الغاشية
	٢١٥ تفسير سورة القبر

* (تمت) *

(الجزء العاشر)

من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولاة القدير الباري أبي الطيب صديق
ابن حسن القنوجي البخاري ملاك مدينة بهو يال
حالا بالقطار الهندية لازالت
كواكب فضله في
الافاق زاهرة

مضيه

آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشرة المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مستندة من أصحابها مع الكلام عما يحتاج
المحرر وتعديلا اه من كشف الظنون

(الطبعة الاولى)

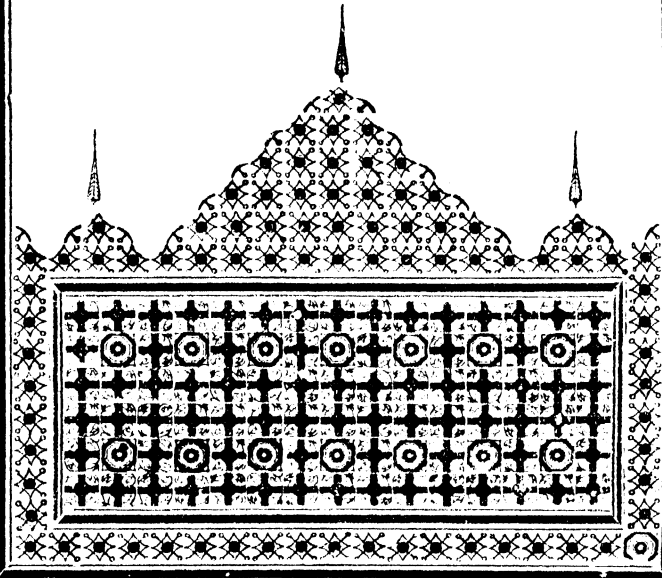
(بالمطبعة الكبرى الميرية بيولا ق مصر المحمية)

سنة ١٣٠١ هجرية

(تفسير سورة الطلاق وهي مدينة)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة وانتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) خوطب النبي صلى الله عليه وسلم أولاً لا تشرى بفاوتك رعيًا ثم خاطب الأمة تبعاً فقال تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري ثنا أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فأتت أهلها فانزل الله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فقبله راجعها فانها صوامة قوامة وهي من أزواجك ونسائك في الجنة ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلًا وقد ورد من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وقال البخاري ثنا يحيى ابن بكير ثنا الليث حدثني عقبل عن ابن شهاب أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيط رسول الله صلى الله عليه وسلم فنه ثم قاله ليراجعها ثم يسكنها



بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الملك)*

وتسمى سورة تبارك والواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة وهي ثلاثون آية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن الضريس والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب والترمذي وقال هذا حديث حسن وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة تبارك الآية أخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه والضياء في المختارة وعن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خبائه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر أنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر أخرجه الحاكم وابن مردويه وابن نصر والبيهقي في الدلائل والترمذي وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك هي المانعة من عذاب القبر أخرجه ابن مردويه والنسائي وصححه الحاكم وعن رافع بن

حتى تطهر ثم يحض فتطهر فان بدله أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسه فذلك العدة التي أمر بها الله عز وجل هكذا رواه البخاري ههنا وقد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه فذلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الاحكام وأمس لفظي يورد ههنا ما رواه مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى غزوة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمعون كيف ترى في الرجل يطلق امرأته حائضا فقال يطلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعها

فردّها وقال اذا طهرت فليطلق أو يمك قال ابن عمر وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن قال الطهر من غير جماع وروى عن ابن عمر وعطاء وجماعة والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والفضال وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن قال لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى اذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة وقال عكرمة فطلقوهن لعدتهن العدة الطهر والقبر الحية أن يطلقها حبلى مستبينا حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدرى حبلى هي أم لا ومن ههنا أخذ الفقهاء احكام الطلاق وقسموه الى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملا قد

خديج وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلت على سورة تبارك وهي ثلاثون آية جملة واحدة وهي المانعة في القبر أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس أنه قال لرجل الا تخنك بحديث نفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعالمها أهلها وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل يوم القيامة عند ربها القصارها وتطلب له أن ينجيها الله من عذاب النار وينجيها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ددت انما في قلب كل انسان من أمتي أخرجه عبد بن حميد في مسنده والطبراني والحاكم وابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذي بيده الملك) تبارك تعاقل من البركة والبركة النماء والزيادة وقيل تعالى وتعاضم عن صفات المخلوقين وقيل دام فهو الدائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه وقال الحسن تبارك تقديس وصيغة تفاعل للمبالغة واليد مجاز عن القدرة والاستيلاء عند المتكلمة وصفة من صفاته عند المحدثين وهو الأولى والملك هو ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ويرفع من يشاء ويضع من يشاء وقيل المراد بالملك ملك النبوة وقيل الملك الامر والنهي والسلطان أي التمكن من سائر الموجودات يتصرف فيها كيفما أراد قال الرازي الملك تمام القدرة واستحكامها والأول أولى لان الحمل على العموم أكثر مدحا وأبلغ ثناء ولا وجه للتخصيص (وهو على كل شيء قدير) أي بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الأشياء يتصرف في ملكه كيف يريد من انعام وانقياد ورفع ووضع واعطاء ومنع قال أبو السعود الجملة معطوفة على الصلة مقررمة لمنهون من مفيدة لبيان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور وقائقتها وفي الكرخي لما اقترن الشيء بقوله قدير علم ان المراد منه المعدوم الذي يدخل تحت القدرة دون غيره (الذي خلق الموت والحياة) الموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقة له والحياة تعلق الروح بالبدن واتصاله به وقيل ما يوجب كين الشيء حيا وقيل الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل المراد الموت في الدنيا والحياة في الاخرة وفيه بعد وقدم الموت على الحياة لان أصل الاشياء عدم الحياة والحياة عارضة لها وقيل لان الموت أقرب الى القهر وقال مقاتل خلق الموت يعني النظم والمضغة والعلقة والحياة يعني خلقه انسانا وخلق فيه الروح وقيل

استبان حملها والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدرى أحلت أم لا وطلاق ثالث لاسنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والأيسة وغير المدخول بها وتجريير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى وأحصوا العدة أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتشنع من الأزواج واتقوا الله ربكم أي في ذلك وقوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن أي في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج مادامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لانها معتقة لخلق الزوج أيضا وقوله تعالى الآن ياتين بشاحشة

صينة أى لا يخرج من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابه وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أنس هلال وغيرهم وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بدت على أهل الرجل وأذتهم في الكلام والفعال كما قاله أنس بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى وتلك حدود الله أى شرائعه ومحارمه ومن يتعد حدود الله أى يخرج عنها ويتجاوزها (٤) إلى غيرها ولا يأتمرها فقد ظلم نفسه أى بفعل ذلك وقوله تعالى لا تدرى

لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً أى انما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتهم فيكون ذلك أسير وأسهل قال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس في قوله تعالى لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً قالت هى الرجعة وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى الى انه لا تجب السكنى للمبتوتة أى المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها واعتدوا أيضا على حديث فاطمة بنت قيس النهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائباً عنها باليمن فارسل اليها بذلك فارسل اليها وكيله بشعير يعنى نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس لك عليه نفقة ولمسلم ولا سكنى وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك

خلق الموت على صورة كبش لا يمر على شئ الا مات وخلق الحياة على صورة فرس لا يمر بشئ الا حي قاله مقاتل والكلبي وقد ورد في التنزيل قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقوله اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة وقوله توفته رسولنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها وغير ذلك من الآيات وقال النسفي الحياة ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلقهما المجد ذلك المصحح واعداً أى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) أى ليعاملكم معاملة من يختبركم والافعله محيط بكل شئ قال الشهاب الاختبار يقتضى عدم علم المختبر بالكسر بحال المختبر بالتخ فلهذا جعلوه استعارة تمثيلية أو تبعية على تشبيه حالهم في تكليفه تعالى لهم بتكاليفه وخلق الموت والحياة لهم واثباته لهم وعقوبته بحال المختبر مع من اختبره وجره بدلينظر طاعته وعصيانه فيكرمه أو يهينه (أيكم أحسن عملاً) فيجازيكم على ذلك وقيل المعنى ليلوكم ربكم أيكم أكثر ذكر الموت وأحسن استعداداً وأشد منه خوفاً وقيل أيكم أحسن عقلاً وأسرع الى طاعة الله وأورع عن محارم الله وقيل أخلص عملاً وأصوبه والخالص اذا كان الله والصواب اذا كان على السنة وقيل أزهدي الدنيا وأترك لها والعموم أولى قال الزجاج اللام متعلقة بخلق الحياة لا بخلق الموت وقال الفراء ان قوله ليلوكم لم يقع على أى لان فيما بين البلوى وأى اضممار فعل كما نقول بلوتكم لانظر أيكم أطوع ومثله قوله سلمهم أيهم بذلك زعيم أى سلمهم ثم انظر أيهم فايكم في الآية مبتدأ وخبره أحسن لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ويراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لجميع أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبح لا الى الحسن والاحسن فقط للايدان بان المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين (وهو العزيز) أى الغالب الذى لا يغالب ولا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب وأناب والمستور الذى لا يأس منه أهل الاساءة والزلل (الذى) نعت لما قبله أو بيان له أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أو نصب على المدح (خلق سبع سموات) قيل الاولى من كذا والشاينة من كذا الى السابعة ولم أقف على دليله من الكتاب العزيز والسنة المطهرة (طباقا) أى مطبقة بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض وهو جوع طبق فحوجب وجبال أو جوع طبقة فخور حبة ورحاب أو مصدر طابق يتماثل طابق مطابقة وطباقا وعلى هذا الوصف بالمصدر للمبالغة أو على

ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتمدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك الحديث وقدرناه حذف
الامام أحمد من طريق أخرى بالنظر آخر فقال ثنا يحيى بن سعيد ثنا جندب بن شافع قال قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني ان زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قالت فقال لي أخوه اخبرني من الدار فقلت ان لي نفقة وسكنى حتى يحل الاجل قال لا قالت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان فلانا طلقني وان أخاه أخرجنى ومنعني السكنى والنفقة فقال مالك ولا نسأله آل قيس قال نارسل الله ان أخى طلقها ثلاثاً جميعاً قالت فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم انظرى يا بنت آل قيس انما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها الرجعة فاذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجى فانزلى على فلانة ثم قال انه يتحدث اليها انزلى على ابن أم ميمونة فانه اعمى لا يراى وذكرك تمام الحديث وقال أبو القاسم الطبراني ثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري ثنا اسحق بن ابراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد الجبلي ثنا عامر الشعبي انه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الصخالك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت ان أبا عمرو بن حفص أرسل الى وهو منطلق في جيش الى اليمن بطلاق (٥) فسألت أولمائه النفقة على والسكنى فقالوا

ما أرسل اليها في ذلك شيئاً ولا أوصانا به فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أبا عمرو بن حفص أرسل الى بطلاق فطلبت السكنى والنفقة على فقال أولياؤه لم يرسل اليها في ذلك شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة للمرأة اذا كان زوجها عليها رجعة فاذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره فلا نفقة لها ولا سكنى وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الاجسى الجبلي الكوفي قال أبو حاتم الرازي هو شيخ يروى عنه (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً) يقول تعالى فاذا بلغت المعتقدات أجلهن أى شارفن على انقضاء

حذف مضاف أى ذات طباق أو طبقت طباقاً قال الباقى بحيث يكون كل جزء منها مطابقاً للجزء من الاخرى ولا يكون جزء منه اخرجاً عن ذلك (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) صفة ثانية لاسبع سموات أو مستأنفقة لتقرير ما قبلها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له ومن مزيدة لتأكيد النفي وإضافة خلق الرحمن من إضافة المصدر الى فاعله والمنعول محذوف تقديره لهن أو لغيرهن قرأ الجمهور من تشاوت وقرئ نفوت مشدداً بدون ألف وهم الغتان كالتعاهد والتعهد والتحمل والمعنى من تناقض ولا تبين ولا اعوجاج ولا تخالف بل هى مستقيمة دالة على خالفها وان اختلفت صورها واصلها فافقدت اتفقت من هذه الحثية وقال ابن عباس من تشقق وقيل من اضطراب وقيل من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشئ يقوت بعضاً (فارجع البصر) أى اردد طرفك حتى يتضح لك ذلك بالمعانية أخيراً ولا يانه لا تفاوت في خلقه ثم أمر ثانية بترديد البصر في ذلك لزيادة التأكيده وحصول الطمأنينة (هل ترى من فطور) قال مجاهد والفطور الصدوع والشقوق جمع فطر وهو الشق وقال قتادة هل ترى من خلل وقال السدى من خروق وأصله من التفطروا لانفطاروهو التشقق والانشقاق وعن ابن عباس قال الفطور الوهى وعنه قال من تشقق وخلل (ثم ارجع البصر كرتين) أى رجعتين مرة بعد مرة واتصاه به على المصدر والمراد بالتثنية التأكيد كما في لبسك وسعدك وحنانيك وهذا ذاك لا يريدون بهذه التثنية شفع الواحد انما يريدون التأكيد أى رجعة بعد رجعة وان كثرت واجابة لك بعد أخرى والاتناقص الغرض ووجه الامر بتكرير النظر على هذه انه قد لا يرى ما ينظنه من العيب في النظرة الاولى ولا في الثانية ولهذا قال أو لا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم قال ثانياً ارجع البصر كرتين فيكون ذلك أبلغ في اقامة الحجة وأقطع للمعذرة وقبل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليرى بصرها وانتهائها (ينقلب اليك البصر خاسئاً) أى يرجع اليك البصر خاسعاً متباعداً عن ان يرى شيئاً من ذلك وقيل معنى خاسئاً متباعداً عن ان يبصر ما القسه من العيب يقال خسأت الكلب أى أبعدته وطرده وقال ابن عباس خاسئاً صاغراً ذليلاً قرأ الجمهور ينقلب بالجرم جواً باللام وقرئ بالرفع على الاستئناف (وهو حسير) أى كليل لا يرى شيئاً قاله ابن عباس أى منقطع وعنه قال عى مريع قال الزجاج

العدة وقارب ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالسكية فحينئذ ما ان يعزم الزوج على امساكها وهى رجعت الى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده بمعروف أى محسناً اليها في صحبتها او ما ان يعزم على مفارقتها بمعروف أى من غير مقابحة ولا مشاقة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن وقوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم أى على الرجعة اذا عزمتم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه عن عمران بن حصين انه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد وقال ابن جرير كان عطاء يقول وأشهدوا ذوي عدل منكم قال

لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء الا شاهد عدل كما قال الله عز وجل الا ان يكون من عذر وقوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أي هذا الذي أمرناكم به من الشهادات واقامة الشهادة انما يأتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وانه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد أقواله الى وجوب الشهادة في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول ان الرجعة لاتصح الا بالقول ليقع الا شاهد عليها وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهى عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب

مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا تخطر بباله قال الامام أحمد ثنا يزيد انا كههمس ابن الحسن ثنا أبو السليل عن أبي ذر قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب حتى فرغ من الآية ثم قال يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفنتهم قال فجعل يتلوها ويردها على حتى نعست ثم قال يا أبا ذر كيف تصنع اذا أخرجت من المدينة قلت الى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة قال كيف تصنع اذا أخرجت من مكة قال قلت الى السعة والدعة الى الشام والارض المقدسة قال وكيف تصنع اذا أخرجت من الشام قلت اذا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي قال أوخير من ذلك قلت أوخير من ذلك قال تسمع وتطيع وان كان عبدا حبشيا وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن منصور الديلمي ثنا علي بن عبيد شاذكريا عن عامر عن شبيب بن شكل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول

أي وقد أعيا من قبل أن يرى في السماء خلا وهو فعيل بمعنى فاعل من الحسور وهو الاعياء يقال حسر بصرة يحسر حسورا أي كل وانقطع ١ وبلغ الغاية في الاعياء ولما فرغ سبحانه من تفاصيل بعض احكام الملك وأثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح شرع في ذكر دلائل أخرى على تمام قدرته بعد تلك الدلائل فقال (ولقد زينا السماء الدنيا) ٢ أي التقرب الى الارض من بقية السموات وهي التي يراها الناس (مصابيح) أي بنجوم فصارت بهذه الزينة في أحسن خلق وأكمل صورة وأبهج شكل والجبى بالقسم لابرز كمال العناية والمصابيح جمع مصباح وسميت الكواكب مصابيح لانها تضيء كضاءة السراج ففي الكلام استعارة تصريحية لان حقيقة المصباح كافي المختار السراج وبعض الكواكب وان كان في غير سما الدنيا من السموات التي فوقها فهي تقرأ كأنها كلها في السماء الدنيا لان اجرام السموات لا تمتنع من رؤية ما فوقها مما له اضاءة لكونها اجراما صغيلة شفاقة (وجعلناها رجوما للشياطين) هذه فائدة أخرى غير الفائدة الاولى وهي ككونها زينة للسماء الدنيا والمعنى انها ترجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع والرجوم جمع رجم بالفتح وهو في الاصل مصدر أطلق على المرجوم به كما في قولهم الدرهم ضرب الامير أي مضروبه أو المعنى ذات رجم وجمع المصدر باعتبار أنواعه وقبل ان الضمير في جعلناها الى المصابيح على حذف مضاف أي جعلناها شهابا وهي نارها المتتبسة منها لاهي نفسها لقوله الامن خطب الخطنة فأتبعه شهاب ثاقب ووجه هذا ان المصابيح التي زين الله بها السماء الدنيا لا تزول عن مكانها ولا يرحم بها بل ينقل شهاب عن الكوكب فيقتل الجني أو يجبله كذا قال أبو علي الفارسي جوابا لمن سأل كيف تكون المصابيح زينة وهي رجوم قال القشيري وأمثلة من قوله هذا ان نقول هي زينة قبل ان ترجم بها الشياطين قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر فن تكلم فيها بغير ذلك فقد تكلم فيما لا يعلم وتعدى وظلم وقيل معنى الآية وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب للشياطين الانس وهم المنجمون قال أبو السعود ولا يساعده المقام (وأعتدنا لهم) أي للشياطين في الآخرة بعد الاحراق في الدنيا بالشهب (عذاب السعير) هو النار الموقدة وأشد الحريق يقال سعرت النار فهي مسعورة (وللذين كفروا بربهم) من كفار بني آدم أو من كذابر القريةين (عذاب جهنم

١ ومنه قول الشاعر نظرت اليها بالحبص من منى * فعاد الى الطرف وهو حير اه منه ٢ قال المفضل في حاشية الكشف ان قوله ولقد زينا السماء الدنيا مصابيح يكذب المنجمين والزاعمين علم النلك في قوله ان بعض النجوم في السموات كقولهم ان زحل في السابعة والمشتري في السادسة والمريخ في الخامسة والشمس في الرابعة والزهرة في الثالثة والعطارد في الثانية والقمر في الدنيا وهذا من واضحات علمهم بربهم فغيره كذب منه وكان البيضاوي يتعاطى هذه الحرفة البائرة لانه قال هنالكا في ذلك كون بعض النجوم مركوزا في سموات فوق هذه وتقدم له في البقرة انه اذا ضم العرش الى السبع السموات وافق كلام الاوائل ان الافلاك ثمانية انتهى وتام البحث حقه فانه في هداية السائل الى أدلة المسائل اه منه

ان أجمع آية في القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وان أكثر آية في القرآن فرجا ومن يتق الله يجعل له مخرجا وفي المسند حديثي مهدي بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن يتق الله يجعل له مخرجا يقول ينجيهم من كل كرب في الدنيا والآخرة ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا أي من كل شيء ضاق على (٧) الناس وقال عكرمة من طاق كما أمره الله

يجعل له مخرجا وكذا روى عن ابن عباس والضحاك وقال ابن مسعود ومسروق ومن يتق الله يجعل له مخرجا يعلم ان الله ان شاء أعطى وان شاء منع من حيث لا يحتسب أي من حيث لا يدري وقال قتادة ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي من شبهات الأمور والكرب عند الموت ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو ولا يأمل وقال السدي ومن يتق الله يطلق للسنة ويراجع للسنة وزعم ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن وان المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو اليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له ان الله سيجعل لك فرجا فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا ان انفلت ابنه من أيدي العدو فاستأفها فجاه بها الى أبيه وجامعه بغنم قد أصابه من الغنم فنزلت هذه الآية ومن

جهنم وبئس المصير) أي ما يصيرون اليه وهو جهنم (اذألقوا) أي طرحوا (فيها) كما يطرح الحطب في النار (سمعوا لها شقيقا) أي صوتا منكرا كصوت الحجير عند أول نهيها وهو أقمج الاصوات وتشقق اليهم شهقة البغل للشعير ثم تفرز فرقة لا يبقى أحدا الا خاف وقوله لها في محل نصب على الحال أي كأنها لاله في الأصل صفة فلما قدمت صارت حالا وقال عطاء الشهيق هو من الكفار عند القاءهم في النار (وهي تفور) أي والحال انها تغلي بهم غليان المرحل بما فيه (تكدتيز) أي تتميز يعني تتقطع (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالغناظة استعارة لشدة غليانها بهم قال ابن قتيبة تكدت تنشق غيظا على الكفار وقال ابن عباس يتميز أي تتفرق ويفارق بعضها بعضا قرأ الجمهور تميز بـاء واحدة مخففة وقرئ بـاءين على الأصل وتشددها بادغام احداهما في الاخرى وقرئ تميزز والأصل تميزز وتميز من مازميز (كلما ألقى فيها فوج) مستأنفة لبيان حال أهلها والقوج الجماعة من الناس أي كلما ألقى في جهنم جماعة من الكفار (سألهم) أي القوج والجمع باعتبار معناه (خرنثها) من الملائكة سؤال توخي وتقريع (ألم يأتكم) في الدنيا (نذير) ينذركم هذا اليوم ويحذركم منه (قالوا بلى) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل لماذا قالوا بهذا السؤال فقالوا بلى (قد جاءنا) أي جاء كلامنا (نذير) فأنذرنا وخوفنا وأخبرنا بهذا اليوم وهذا من كلام القوج وكل فوج له نذير فلا يحتاج الى التأويل وهذا اعتراف منهم بعدل الله وقرار بانه تعالى أزاح عنهم بيعث الرسل وانداهم ما وقعوا فيه وجعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المضادة به تأكيدها اذ لواقعة تصروا على بلى لفهم المعنى ولكنهم صرحوا بالمفاد بلى تحسروا زيادة ندب في فقر يطعمهم وليعطفوا عليه قولهم (فكذبنا) ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى (وقلنا) في حق ما نلناه علينا من الآيات افراطا في التكذيب (ما نزل الله) على أحد (من شيء) من الأشياء فضلا عن تنزيل الآيات على ألسنتكم من الوعد والوعيد وغيرهما (ان أنتم الا في ضلال كبير) أي في ذهاب عن الحق وبعد عن الصواب وخطا عظيم لا يقدر قدره وهذا يحتمل أن يكون من كلام الكفار للندوة أن يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو موهاجزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة وهذا يسمى

يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب رواه ابن جرير وروى أيضا من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلنا نحوه وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به وقال محمد بن اسحق جام مالك الأشجعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أسرا بني عوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليه ان رسول الله يأمر له أن تكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وكانوا قد شدوه بالقدر فسقط القدر عنه فخرج فاذا هو

بناقة لهم فركبها وأقبل فاذا بسرح القوم الذين كانوا شدة وفصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفعلاً أبو به الا وهو ينادي بالبالب فقال أبو به عوف ورب الكعبة فقالت أمه واسوأ تاه وعوف كيف يقدّم لها هو فيه من القدفاستبقا الباب والخادم فاذا عوف قد ملا الفناء ابلا فقص على أبيه أمره وأمر الابل فقال أبو به قفا حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بخبر عوف وخبر الابل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا بما لك ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (٨) رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن علي

ابن الحسن بن سفيان ثنا ابراهيم بن الاشعث ثنا النضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله اليها وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الامام أحمد ثنا يونس ثالث ثنا قيس بن الحجاج عن حذش الصنعاني عن عبد الله بن عباس انه حدثه انه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام اني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وقدر رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال حسن صحيح وقال

المشاكاة في علم البيان وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للفرقة والاحتمال الاول هو الذي استظهره جمهور المفسرين ثم حكى الله عنهم مقالة أخرى قالوها بعد تلك المقالة فقال (وقالوا لو كنا نسمع) ما خاطبنا به الرسل (أو نعمل) شيئا من ذلك (ما كنا في أصحاب السعير) أي في عداد أهل النار ومن جملة من يعذب بالسعير وهم الشياطين كما سلف قال الزجاج لو كنا نسمع سماع من يعي أو نعمل عقل من يعزى ونظروا كتمان أهل النار وفيه دليل على ان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهم ما جئنا ملتزمان فلما اعترفوا بهذا الاعتراف قال الله سبحانه (فاعترفوا بذنبهم) الذي استحقوا به عذاب النار وهو الكفر وتكذيب الانبياء (فمحققا لأصحاب السعير) أي فبعد الهيم من الله ورجته قال ابن عباس سحقا بعدا وقال سعيد بن جبيرة وأبو صالح هو واد في جهنم يقال له سحق قرأ الجمهور سحقا باسكان الحاء وقرئ بضمة هاء وهما الغتان مثل السحت والرعب وسحقا منصوب على المفعول به أي الزمهم الله سحقا وقال الزجاج وأبو علي الفارسي منصوب على المصدر أي أحققهم الله سحقا وقال أبو علي الفارسي كان القياس سحقا فاء المصدر على الحذف واللام في لأصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ولما فرغ سبحانه من ذكر أحوال أهل النار شرع في ذكر أحوال أهل الجنة فقال (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) حال من الفاعل أو من المفعول أي غائبين عنه أو غائباعنهم والمعنى انهم يخشون عذابه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه ويجوز أن يكون المعنى يخشون ربهم حال كونهم غائبين عن عين الناس وذلك في خلواتهم فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى أو المراد بالغيب كون العذاب غائباعنهم لانهم في الدنيا وهو انما يكون يوم القيامة والباء على هذا سببية قال ابن عباس في الآية هم أبو بكر وعمر وعلي وأبو عبيدة بن الجراح أخرجه ابن مردويه (لهم مغفرة) عظيمة يغفر الله بها ذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره وهو الجنة ومثل هذه الآية قوله من خشى الرحمن بالغيب وظاهر الآية العموم ثم عاد سبحانه الى خطاب الكفار فقال (وأسرأقول لكم وأجهر وابه) مستأنفة مسوقة لبيان تساوى الاسرار والجهر بالنسبة الى علم الله سبحانه والمعنى ان أخفيتم كلامكم أو جهرتم به في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل ذلك يعلمه الله لا تخفى عليه منه خافية وتقديم السر على الجهر للايدان باقتضاهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان

شمول

هو ابن مسعود

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزل به حاجة فانزلها بالناس كان قنانا لا تسهل حاجته ومن أنزلها بالله تعالى أناله الله برزق عاجل أو يموت أجل ثم رواه عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشر عن سيار أبي حمزة ثم قال وهو الصواب وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق وقوله تعالى ان الله بالغ أمره أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد ويشاء قد جعل الله لكل شئ قدرا كقوله تعالى وكل شئ عنده بمقدار (واللآئ يئسن من المحيض من نسائك ان اربتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللآئى لم يحضن وأولات

الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) يقول تعالى سينا عدة الآية وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها اثنتي عشرة أشهر عوضا عن الثلاثة قروه في حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كعدة الآية ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى واللاتي لم يحضن وقوله تعالى ان ارتبتم فيه قولان أحدهما وهو قول طائفة من السلف كجهاه والزهري وابن زيد أي ان رأين دما وشككنتم في كونه حيضاً واستحاضة وارقبتم فيه والقول الثاني ان (٩) ارتبتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر وهذا مروي عن سعيد بن

جببر وهو اختيار بن جرير وهو أظهر في المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وابن السائب قالوا ثنا ابن ادريس انام طرف عن عمرو بن سالم قال قال أبي بن كعب يا رسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكري في الكتاب الصغار والبنات وأولات الاحمال قال فانزل الله عز وجل واللاتي ينسن من الحيض من نسائكن ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال ثنائي ثنا يحيى بن المغيرة انا جرير عن مطرف عن عمرو بن سالم عن أبي بن كعب قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في البقرة في عدة النساء قالوا القديق من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والبنات اللاتي قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل قال فأزلت التي في النساء القصرى واللاتي ينسن من الحيض من نسائكن

شمول علمه الحميد بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونه في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أولان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو أومباده مضمرة في القلب يتعلق به الاسرار غائبا فعلق علمه تعالى بحالاته الاولى متقدم على تعلقه بحالاته الثانية وقوله (انه عليهم بذات الصدور) تعليل للاستواء المذكور وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمان بصاحبيتها من الجزالة لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه علم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها (ألا يعلم) الاستفهام للانكار والمقصود نفي عدم احاطة علمه تعالى بالمضمر وان ظهر والمعنى ألا يعلم السر ومضمرات القلوب (من خلق) ذلك وأوجده فالوصول عبارة عن الخالق ويجوز أن يكون عبارة عن المخلوق وفي يعلم ضمير يعود الى الله أي ألا يعلم الله المخلوق الذي هو من جملة خلقه فان الاسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر ابن حرب من مفعول والنساء مضمرة وهو الله تعالى فاحتال به هذا النفي خلق الافعال (وهو اللطيف الخبير) أي الذي اطف علمه بما في القلوب الخبير بما تسره وتضمهر من الامور لا يخفى عليه من ذلك خافية ثم امتن سبحانه على عباده فقال (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) أي سهلا لينة مذللة تستقرون عليها امنقادا لما تريدون منها من مشى عليها وزرع وحبوب وغرس وغير ذلك ولم يجعل لها خشنة بحيث يتعسر عليكم السكون والمشي عليها والذلول في الاصل هو المنقاد الذي يدل لك ولا يستصعب عليك والمصدر الذل وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر عنهم اللله تمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فان ما حقه التقديم اذا أخر لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع الخاطبين تبقى النفس مترقبه لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن (فامشوا في مناكبها) استدلالا واستزادا والفاء لترتيب الامر بالمشي على الجعل المذكور والامر

(٢ - فتح البيان عاشر)

ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن وقوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن يقول تعالى ومن كانت حاملا فعدتها بوضعها ولو كان بعد الطلاق أو الموت بضواقة في قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية وقد روى عن علي وابن عباس رضي الله عنهما انهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها انهما تعتد بأبعد الاجلين من الوضع والا شهر عملا بهذه الآية والتي في سورة البقرة وقال البخاري ثنا سعد بن حفص ثنا شاسان عن يحيى قال أخبرني أنسمة قال جاء رجل الى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال افتني في امرأة

ولدت بعد زواجهما باربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الاجلين قلت أنا وأولات الاجال أجلهن أن يضعن حملهن قال أبو هريرة أبلغ ابن أخي يعني أبا سلمة فأرسل ابن عباس غلامه كريما إلى أم سمية يسألها فقالت قتل زوج سبيعة الاسمية وهي حبلى فوضعت بعده وولده باربعين ليلة فخطبت فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنبال فيمن خطبها هكذا ورد البخاري هذا الحديث ههنا مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر وقال الامام أحمد ثنا جابر بن أسامة انا هشام عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبيعة الاسمية توفى عنها (١٠) زوجها وهي حامل فلم تمكث الا ليالي حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها

خطبت فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح فاذن لها أن تنكح فنكحت ورواه البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عنها كما قال مسلم بن الحجاج حدثني أبو الطاهر ان ابن وهب حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان أباة كتب الى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحرث الاسمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استفتته فكتب عمر ابن عبد الله يخبره ان سبيعة أخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان من شهد بدرا فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنبال بن بعكك فقال لها مالي أرا لك متجمله لعلك ترجين النكاح انك والله ما أنت بنا كح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت

للإباحة قال مجاهد والسكبي ومقاتل منا كهبا طرقها واطرافها ونواحيها وجوانبها وقال قتادة وشهر بن حوشب منا كهبا جبالها وقيل فجأها وبه قال ابن عباس وقال أيضا اطرافها وأصل المنكب الجانب ومنه منكب الرجل ومنه الريح المنكبة لانها تأتي من جانب دون جانب (وكلاهما من رزقه) أي مزارقكم وخلقه لكم والتسوا من نعم الله تعالى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المؤمن الخائف أخرجه الطبراني وابن عدي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي (والله) الى غيره (النشور) من قبوركم للجزاء فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم فبالغوا في شكر نعمه وآلائه وفي هذا وعيد شديد ثم خوف سبحانه الكفار فقال (أأمنتم من في السماء) قال الواحدى قال المفسرون يعني عقوبة من في السماء وقيل من في السماء عرشه وقدرته وسلطانه أي محل سلطانه ومحل قدرته وهو العالم العلوى وخسر بالذكروا ان كان كل موجود محلا للتصرف فيه ومقدوره تعالى لان العالم العلوى أعجب وأعرب فالتخويف به أشد من التخويف بغيره وقيل الملائكة وقيل المراد جبريل وقيل هو الله سبحانه وهو الحق لان ظاهر النظم القرآني يقتضى ان البارئ تعالى فوق السماء وفي معنى على والمعنى من ثبت واستقر في السماء أي على العالى وهو العرش قرأ الجمهور أأمنتم بهم من نزلهم من فوقهم من ثبوتهم في الأرض) بدل اشتغالهم من الموصل أي أأمنتم خسفه أو على حذف من أي من ان يخسف والمعنى يقلبها متلبسة بكم كما فعل بقارون بعدما جعلها لكم ذلولا لتمشون في مناكبها (فأذا هي تمور) أي تضطرب وتحرك بكم على خلاف ما كانت عليه من السكون والاطمئنان وقيل تهوى بهم وقيل تجيء وتذهب والاول أولى قال الرازي ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تحرك فقلعوا عليهم وهم يخسفون فيها فيسقطون فوقهم ويخسفهم الى أسفل سافلين ثم كر سبحانه التهديد لهم بوجه آخر فقال (أأمنتم) اضرب عن التهديد بما ذكرنا فقال الى التهديد بوجه آخر أي بل أأمنتم (من في السماء) وهو الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على علوه ومباينته عن خلقه باستوائه على عرشه (أن يرسل عليكم حصبا) أي حجارة من السماء كما أرسلها على قرية قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل صاحب فيها حجارة وقيل ريح فيها حجارة وحصبا كأنها تدفع الحصبا لشدها وقوتها والكلام فيه كالكلام في أن يخسف بكم

فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فإتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج الارض ان بدالى هذا اللفظ مسلم ورواه البخاري مختصرا ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الاول عن هذه الآية وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان ثنا جابر بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الاجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحرث عن عبد الله بن عتبة قال فضم لي بعض أصحابي قال محمد فنهطت له فقلت اني لحريه ان أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة قال فاستصا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية ماله من عامر فسأله

فذهب يحدثني بحديث سبعة فقلت هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا فقال كما عند عبد الله فقال أتبعون عليها التفليط ولا تتبعون عليها الرخصة فنزلت سورة النساء القصص بعد الطولي وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة واسماعيل بن علية عن أيوب به مختصرا ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحرث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره وقال ابن جرير حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ثنا سعيد بن أبي مرزوق ثنا محمد بن جعفر حدثني ابن شبرمة الكوفي عن إبراهيم عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال من شاء (١١) لا عنه ما نزلت وأولات الاحمال أجلهن

أن يضعن حملهن الا بعد آية المتوفى عنها زوجها قال واذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت بريد آية المتوفى عنها والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مرزوق ثم قال ابن جرير ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا اسمعيل ابن أبي خالد عن الشعبي قال ذكر عند ابن مسعود آخر الاجلين فقال من شاء قاسمته بالله ان هذه الآية التي في النساء القصص نزلت بعد الاربعة الاشهر والعشر ثم قال أجل الحامل أن تضع ما في بطنها وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الاعشى عن أبي الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضى الله عنه يقول آخر الاجلين فقال من شاء لا عنه ان التي في النساء القصص نزلت بعد الميقرة وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الاعشى

الارض فهو ما يدل اشمال أو بتقدير من (فستعلمون) عند معاني العذاب ١ (كيف نذير) أي انذاري بالهذاب أي انه حق قاله المحلى وقيل النذير هنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله عطاء والضحك والمعنى ستعلمون رسولي وصدقه والاول أولى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من قبل كفار مكة من كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة وأصحاب الرس وقوم فرعون والالتفات الى الغيبة لابرار الاعراض عنهم (فكيف كان نكير) أي انكارى عليهم عما أصبتم به من العذاب الفظيع وههنا ما ورد التاكيد القسمة لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى (أولم يروا) الهمزة للاستفهام والوالوالعطف على مقدر أي أغفلوا ولم ينظروا ولم يروا وأجمع القراء على قراءته بياء الغيبة لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل ففيه الغيبة والخطاب (الى الطير) جمع طائر ويقع على الواحد والجمع وقال ابن الانباري الطير جماعة وتأنيها أكثر من تذكيرها ولا يقال للموحد طير بل طائر وقيل يقال للأنثى طائفة (فوقهم) في الهواء (صافات) حال أي صافة لا جفهن في الهواء والجو وتبسطها عند طيرانها (ويقبضن) أي يضممن أجنتهن الى جنوبهن اذا ضربن بها حينئذ حينئذ لا تستعانه على التحرك والطيران قال النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحه صاف واذا ضمها قابض كأنه يقبضها وههنا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط وانما قال ويقبضن ولم يقل قابضات كما قال صافات لان القبض يتجدد تارة فتارتبوا ما البسط فهو الاصل كذا قيل وقيل المعنى قبضهن لا جفهن عند الوقوف من الطيران لا قبضها في حال الطيران (ما يمسكهن الا الرحمن) حالة أو مستأنفة اسنان كمال قدرة الله سبحانه والثاني أظهر والمعنى انه ما يمسكهن في الهواء عن الوقوع عند الطيران الا الرحمن القادر على كل شيء والافال ثقيل تسفل طبعها ولا يعلم وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لهافتت الافلاك (انه بكل شيء بصير) لا يخفى عليه شيء كأنما كان يعلم كيف يخلق الغرائب وكيف يدبر العجائب فبصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة (أمن هذا الذي هو جندكم ينصركم من دون الرحمن) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والالتفات عن الغيبة الى الخطاب للتشديد في ذلك التبكيت والمعنى انه لا جند لكم ينصركم من عذاب الله والجند الحزب والمنعة قرأ الجمهور من بتشديد الميم على

وقال عبد الله بن الامام احمد حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي أنا عبد الوهاب الثقفي حدثني المشي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

١ قال الحقلوى ظاهر السيلق ان المراد العذاب الموعود به وهو خسف الارض وكذا في قوله الاتي فكيف كان نكيره فقتضى ان كفار مكة قد خسف بهم وروى ابوالاحجار مع انهم لم يقع لهم ذلك فان قيل المراد بقوله فستعلمون الخ فتقوى بعذاب الآخرة قلنا يصرف الكلام نوع تشكيك خصوصا وقد قال أبو السعود أي بانذاري عند شاهدتكم للمندبره ولكن لا تنفعكم العلم حينئذ انتهى وهذا يقتضى ان الكلام في العذاب والخوف به وقد علمت ما فقهه ولم نر من الشراح من نبه على هذا والله أعلم بما سار ركابه

عبد الله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأولات الأجل أم أجلهن أن يضعن حملهن المطلقة ثلاثاً والمتوفى عنها زوجها فقال هي المطلقة ثلاثاً والمتوفى عنها هذا حديث غريب جداً بل منكراً لأن في أسنده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمره ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السهماني ثنا عمرو بن خالد يعني الحراني ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب أن الملائكة هذه الآية قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم لأدري أمشرك أم مبهمة قال رسول الله صلى (١٢) الله عليه وسلم أية آية قال أجلهن أن يضعن حملهن المتوفى عنها والمطلقة قال لهم

ادغام ميم أم في ميم من وأم بمعنى بل ولا سبيل إلى تقدير الهمزة بعدها كما هو الغالب في تقدير أم المنقطعة بيل والهمزة لأن ما بعدها ههنا من الاستفهامية فاعتنت عن ذلك التقدير ومن الاستفهامية مبتدأ واسم الإشارة خبره والموصول مع صلتها صفة اسم الإشارة وينصرف كصفة لجنس دون الرجن في محل نصب على الحال من فاعل ينصرفكم والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم متجاوز أنصر الرجن (أن الكافرون الآفي غرور) معترضة مقرر لما قبلها ناعية عليهم ما هم فيه من غاية الضلال والالتفات عن الخطاب إلى الغيبة للإيدان باقتضاء حالهم الأعراض عنهم والظاهر في موضع الضمارة لزمهم بالكفر وتعديل غرورهم به والمعنى ما الكافرون الآفي غرور عظيم من جهة الشيطان يغرهم به (أمن) تكتب أم موصولة في من وكذا يقال فيما تقدم (هذا الذي يرزقكم) الكلام في هذا كالكلام في الذي قبله أي من الذي يدر عليكم الرزق من المطر وغيره (أن أمسك رزقه) أي أسباب رزقه التي ينشأ عنها كالمطر بل لو كان الرزق موجوداً كثيراً سهل تناول فوضع الأسكل لقمة في فيه فأمسك الله تعالى عنه قوة الأزدراد العجز أهل السموات والأرض عن أن يسوغوا تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف دلالة ما قبله عليه أي أن أمسك رزقه فمن يرزقكم غيره وقوله (بل لجوا في عتقون نور) ينبي عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اترحموا التبتكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للعق بل تمادوا في عناد واستكبار عن الحق ونفور عنه ولم يعتبروا ولا تفكروا قال الرازي والجباج تقمع الامر مع كثرة الصوارف عنه والعتو العناد والطغيان والنفور الشرود وقال ابن عباس في عتو ونفور أي في ضلال (أفمن عشي مكاب على وجهه أهدي) مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحاً حالهما وتحققة الشأن مذهبهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخورهم في مهاوى الغرور وروك كوجهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتمامهم في مسلك المحاجة إلى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فإن تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضاءها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقبل فهل من عشي مكاب والمكب والمنكب الساقط على وجهه يقال كيبته فاكب وانكب وقيل هو الذي يكب رأسه فلا ينظر عينا ولا شمالاً ولا اماماً فهو لا يأمن العثور والانكباب على وجهه وقيل أراد به الاعشى الذي لا يهتدى إلى الطريق فلا يزال

وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى بن داود عن ابن لهيعة به ثم رواه عن أبي كريب أيضاً عن مالك بن اسمعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبي المخارق أنه حدث عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وأولات الأجل أم أجلهن أن يضعن حملهن قال أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أيها وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً أي يسهل له أمره ويسره عليه ويجعل له فرجاً قريباً ويخرجها عاجلاً ثم قال تعالى ذلك أمر الله أنزله إليكم أي حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجر أي يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن

واقتروا بينكم يعرفون وان تعاسرتم فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مشبه مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سبحانه يجعل الله بعد عسر يسراً) يقول تعالى أمر اعباده اذا طلق أحدكم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال أسكنوهن من حيث سكنتم أي عندكم من وجدكم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني سعتكم حتى قال قتادة ان لم تجد الا جنب يتسكنها فيه وقوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مقاتل بن حيان يعني يضارها لتفتدي منه عيالها او تخرج من مسكنه وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال يطلقتها فاذا بقي

يو مان راجعها وقوله تعالى وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجاعات من الخلف هذه في البائن ان كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل ان الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا وقال آخرون بل السباق كله في الرجعية وانما نص على الانفاق على الحامل وان كانت رجعية لان الحمل تطول مدته غالبا فاحتج الى النص على وجوب الانفاق الى الوضع لدلائل توهم انها تجب النفقة بقدر مدة العدة ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل ام للعمل وحده على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ويتفرع (١٣) عليها مسائل مذكورة في علم الفروع

وقوله تعالى فان أرضعن لكم أي اذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بنى بانقضاء عدتهن ولها حينئذ ان ترضع الولد ولها ان تتنع منه ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو با كورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالبا لانه فان أرضعت استحقت أجر مثلها ولها أن تعافد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجره ولهذا قال تعالى فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وقوله تعالى وانتم رويناكم عرف أي ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضاررة كما قال تعالى في سورة البقرة لا تضاروا ولدتها ولا مولودها بولده وقوله تعالى وان تعاسرتم فسد ترضع له أخرى أي وان اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجره الرضاع كثيرا ولم يجبه الرجل الى ذلك أو بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليست ترضع له غيرهما فلورضيت الام بما استؤجرت به الاجنبية فهي أحق به وقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته أي لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته ومن قدر عليه رزقه

مشبه ينكسه على وجهه والمكب اسم فاعل من أكب اللزوم المطاوع لكبه يقال كبه الله على وجهه في النار فأكب أي سقط وهذا على خلاف القاعدة من ان الهمزة اذا دخلت على اللزوم نصيره متعديا وهنا قد دخلت على المتعدى فصيرته لازما قال قتادة هو الكافر يكب على معاصي الله سبحانه في الدنيا فيحشره الله يوم القيامة على وجهه والهمزة للاستفهام الانكار والمعنى هل هذا الذي عشي على وجهه أهدي الى المقصد الذي يريد (أمن عشي سوريا) قائما معتدلا ناظرا الى ما بين يديه سالما من الخطب والعثر (على صراط مستقيم) أي على طريق مستولا اعوجاج به ولا انحراف فيه قال ابن عباس مكبا في الضلالة وسويا مهتديا قيل يعني بالمكب أباجهل وبالسوى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بمن عشي مكبا من يحشر على وجهه الى النار ومن عشي سويا من يحشر على قدميه الى الجنة وهو كقول قتادة الذي ذكرناه ومثله قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم وخبر من محذوف لدلالة خبر من الاولى وهو أهدي عليه وقيل لاحاجة الى ذلك لان من الثانية معطوف على من الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد قائم أم عمرو ووجد الخبر لان أم لاحد الشيتين (قل) لهم يا أشرف الخلق مذكر لهم بما دفع عنهم المولى من المناسد وجع لهم من المصالح ليرجعوا اليه ولا يعولوا في حال من الاحوال الاعليه (هو الذي أنشأكم) انشاء بديعا (وجعل لكم السمع) لتسمعوا بآيات الله وتنتسكوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بما عظها (والابصار) لتبصروا بها الى آيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل ووجه افراد السمع مع جمع الابصار انه مصدر يطاق على الكثير والقليل وقد قدمنا بيان هذا في مواضع مع زيادة البيان (والافتدة) لتفكروا بها في مخلوقات الله وآياته التزييلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة وخصها بالذكر لانها آلات العلم وذكر الله سبحانه ههنا قد جعل لهم ما يدركون به المجموعات والمبصرات والمعقولات ايضا كالجمجمة وقطع اللامعة وذمها لهم على عدم شكر نعم الله ولهذا قال (قل لا مانسكرون) أي باستعمال هذه الحواس فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقل لا نعت المحذوف وما من يذلتا كبد التقليل أي شكر اقلدلا أو زمانا قليلا فالقله على ظاهرها وقيل أراد بقله الشكر عدم وجوده منهم ان كان الخطاب للكفرة قال مقاتل يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحده عنه عن ابن عباس قال قال

فلينفق مما آناه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكام عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل انه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث اليه بالثياب دينا روى قال للرسول انظر ما يصنع بها اذا هو أخذها قال ان لبس اللين من الثياب وأكل أطيب الطعام فجاءه الرسول فاخبره فقال رجه الله تعالى تأول هذه الآية لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آناه الله وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا هشيم بن يزيد الطبراني ثنا محمد بن اسمعيل بن عياش أخبرني أبي أخبرني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد بن أبي

صالت الاسعري واسمه الخثر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر كان لاحد منهم عشرة ذنان في تصدق منها بدية يسار وكان
لاخر عشر اواق فتصدق منها بوقية وكان لاخر مائة اوقية فتصدق منها بعشر اواق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في
الاجر سوا كل قد تصدق بعشر ماله قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته هذا حديث غريب من هذا الوجه وقوله تعالى سيجعل
الله بعد عسر يسرا وعده تعالى ووعدده حق لا يخلفه وهذه كقوله تعالى فان مع العسر يسرا وقد روى الامام احمد حدثنا يحيى بن
ان نذكره ههنا فقال حدثنا هاشم بن القاسم (١٤) ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا هرب بن حوشب قال قال ابو هريرة بينما رجل وامرأة

له في السلف الخالي لا يقدر ان على
شيء ففجاء الرجل من سفره فدخل
على امرأته جائعا قد أصابته مسغبة
شديدة فقال لامرأته عندك
شيء قالت نعم ابشرا تانا رزق الله
فاستحمها فقال ويحك ابغني ان
كان عندك شيء قالت نعم هنية ترجو
رحمة الله حتى اذا طال عليه الطول
قال ويحك قومي فابغني ان كان
عندك شيء فأتيني به فاني قد بلغت
وجهدت فقالت نعم الا ان تفتح
النور فلا تعجل فلما ان سكت عنها
ساعتين تحسنت ان يقول لها قالت
من عند نفسي لوقت فنظرت الى
تنورك فقامت فنظرت الى تنورها
ملا ان من جنوب الغنم ورحيها
يطحنان فقامت الى الرحي فنقضتها
واستخرجت ما في تنورها من
جنوب الغنم قال ابو هريرة فوالذي
نفس أي القاسم بيده هو قول
محمد صلى الله عليه وسلم لو أخذت
ما في رحبي ما لم تنفضها الطحن الى
يوم القيامة وقال في موضع آخر
ثنا ابو عامر ثنا ابو بكر عن هشام
عن محمد وهو ابن سيرين عن أي
هريرة قال دخل رجل على أهله

رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرره فليضع اصبعه عليه وليقرأ هذه الآية هو
الذي أنشأكم الى قوله تشكرون أخرجه الخطيب في تاريخه وابن النجار وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرره فليضع اصبعه عليه وليقرأ هاتين
الآيتين سبع مرات هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فاستقر واستودع الى قوله
يفقهون وهو الذي أنشأكم الى تشكرون فانه يبرأ بان الله أخرجه الدارقطني في الافراد
(قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون) أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم
بان يخبرهم ان الله هو الذي خلقهم في الارض ونشرهم فيها وفرقهم على ظهروا وبشهم
وأنشأهم بعدما كانوا كالذر وان حشرهم اليه للجزاء لا الى غيره اشتركا واستقلا فلا يلبسوا
أمورهم على ذلك ثم ذكر سبحانه انهم يستعجلون العذاب فقال (ويقولون) من فرط عتوهم
استهزاء ومخزية وتكديا (متى هذا الوعد) الذي تذكرون من الحشر والقيامة والنار
والعذاب (ان كنتم صادقين) في ذلك والخطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن معه من
المؤمنين لانهم كانوا مشاركين له في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط
مخدوف والتقدير ان كنتم صادقين فأخبرونا به أوفينا ووقته لنا ثم لما قالوا هذا القول
أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب عليهم فقال (قل انما العلم) أي ان وقت
قيام الساعة علمه (عند الله) لا يعلمه غيره ومثله قوله انما علمها عند ربى ثم أخبرهم انه مبعوث
للاذلال لا لخبايا الغيب فقال (وانما أنا نذير مبين) أي أنذركم وأخوفكم عاقبة كفركم
وأبين لكم ما أمرني الله ببيانها باقامة الأدلة حتى يصير ذلك كما أنه مشاهدوا الانذار يكفي له
العلم بل الظن بوقوع المحذر منه ثم ذكر سبحانه حالهم عند معاينة العذاب فقال (فلما رأوه
زلفة) الزلفاء فصيحة معربة عن تقدير جلتين وترتيب الشرطية عليهما كما أنه قيل وقد أنامهم
الموعود به فقرأوه فلما رأوه الخ وزلفة مصدر بمعنى الفاعل أي من دلنا أحوال من المفعول
أو زلفة وقرب أو رأوه في مكان كان زلفة قال مجاهد أي قريبا وقال الحسن عيانا أو أكثر
المفسرين على ان المراد عذاب الآخرة يوم القيامة وقال مجاهد المراد عذاب بدر وقيل
رأوا ما وعدوا به من الحشر قريبا منهم كما يدل عليه قوله واليه تحشرون وقيل لما رأوا عملهم
السيئ قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أي اسودت وعلتها الكآبة والقتر وغشيتها الذللة
والسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيئ اذا قبح والا صل ساء وجوههم العذاب ورؤيته أي

فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج الى البرية فلما رأته قامت الى الرحي فوضعتها الى التنور فمجرتة أخرجهما
ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فاذا الخفنة قد امتلأت قال وذهبت الى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدى
شيا قالت امرأته نعم من ربنا فأم الى الرحي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما انه لو لم ترفعها لم تزل
تدور الى يوم القيامة (وكأين من قرية عنت عن أمر ربهم اورسلهم فحاسبناها حسبنا ما وعدناها فأنكرت اولئك امرها
وكان عاقبة أمرها خسر) أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الابصار الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا لرسولا يتلو عليكم

آيات الله مبيدات يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد اقد احسن الله له رزقا يقول تعالى متوعد المن خالف امره وكذب رساله وسلك غير ما شرعه ومخبر عما حل بالامم السابقة بسبب ذلك فقال تعالى وكان من قرية عتت عن امر ربها ورسله اى عتدت وغطت واستكبرت عن اتباع امر الله ومتابعة رسله فاسبناها حسا باشد او عذبناها عذابا نكرا اى منكر افظيعا فذاقت وبال امرها اى غيب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم وكان عاقبة امرها خسر اعد الله لهم عذابا شديدا اى (١٥) في الدار الآخرة مع ما جعل لهم من العذاب في الدنيا قال تعالى بعد ما قص من خبره هؤلاء فاتقوا الله يا اولى الالباب اى الافهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما اصابهم يا اولى الالباب الذين آمنوا اى صدقوا بالله ورسله قد انزل الله اليكم ذكرا يعنى القرآن كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون وقوله تعالى رسولا يتلو عليكم آيات الله مبینات قال بعضهم رسولا منصوب على انه بدل اشتغال وملابسة لان الرسول هو الذى بلغ الذكر وقال ابن جرير الصواب ان الرسول ترجعة عن الذكر يعنى تفسيره له ولهذا قال تعالى رسولا يتلو عليكم آيات الله مبینات اى فى حال كونها بيينة واضحة

جملة يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور كقوله تعالى كتاب اُنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقال تعالى ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اى من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والعلم وقد سمي الله تعالى الوحي الذى اُنزلناه نورا لما يحصل به من الهدى كما سماء روجا لما يحصل به

حرزها وساءت ههنا ليست هى المرادفة لمئس والمقام للضمير وأتى بالمظهر توصلا لاندفعهم بالكفر وتعليل المساءة به قال الزجاج المعنى بين فيها السوء اى ساءهم ذلك العذاب فظهر عليهم بسببه فى وجوههم ما يدل على كفرهم كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قرا الجمهور سينت بكسر السين بدون اشمام وقرى بالاشمام (وقيل) لهم تو بفتحوا وتقرىعا (هذا) المشاهد الحاضر من العذاب هو العذاب (الذى كنتم به تدعون) فى الدنيا اى تطلبونه وتستجلبون به استهزاء على ان معنى تدعون الدعاء قال الفراء تدعون تفتعلون من الدعاء اى تمنون وتسالون وبهذا قال الاكثر من المفسرين وقال الزجاج تدعون الاباطيل والاحاديث وقيل معنى تدعون تكذبون هذا على قراءة الجمهور وتدعون بالتشديد فهو اما من الدعاء كما قال الاكثر ومن الدعوى كما قال الزجاج ومن وافقه والمعنى انهم كانوا يدعون انه لا بعث ولا حشر ولا جنة ولا نار وقرى تدعون مخففا ومعناها ظاهروها مؤيدة للقول بلنها من الدعاء قال قتادة هو قولهم ربنا عمل لنا قنطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية قال النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما تقول قدر واقتدر وغدى واعتدى الا ان افتعل معناه مضى شيئا بعد شيئا وفعل يقع على القليل والكثير (قل ارايتم ان اهلكنى الله) بموت او قتل كقوله وان امرؤ هلك اوبالعذاب (ومن معى) من المؤمنين (اورحنا) بتأخير ذلك الى اجل اولم يعذبنا (فن يخرج الكافرين من عذاب اليم) اى فن ينعهم ويؤمنهم من العذاب والمعنى انه لا ينجيهم من ذلك احد سواء اهلك الله رسوله والمؤمنين معه كما كان الكفار يتمنونهم او اهلهم وقيل المعنى انا مع ايماننا بين الخوف والرجاء فن يجبركم مع كفركم من العذاب ووضع الظاهر موضع المضمحل لتجصيل عليهم بالكفر وبيان انه السبب فى عدم نجاتهم وتعليل نفي الاجابة وارايتم بمعنى اخبرونى كما ذكره بعض المفسرين وانها اذا كانت كذلك تنصب مفعولين الاول مفرد والثانى جملة استهفاهمية ولا شئ من ههنا فكا ان الجملة الشرطية سدت مسد المفعولين وقوله فن يجبر الخ جواب الشرط وفى تسببه على الشرط بعد ويمكن أن يقال الجواب محذوف تقديره فلا فائدة لكم فى ذلك ولا نفع يعود عليكم لانكم لا تجبر لكم من عذاب الله (قل هو الرحمن) اى الذى ادعوكم الى عبادة مولى النعم كلها (امتابة) وحده لا تشرك به شيئا لما علمنا ان كل ما سواه امانعة او منعم عليه

من حياة القلوب فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد اقد احسن الله له رزقا قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن اعادته ههنا والله الحد والمنة الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن لتهنن لنعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم الله الذى خلق سبع سموات كقوله تعالى اخبارا

عن نوح انه قال لقومه ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً فوقه تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وقوله تعالى ومن الارض مثلهن أى سبعاً أيضاً كما ثبت في الصحيحين من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين وفي صحيح البخارى خسف به الى سبع أرضين وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الارض والله الحمد والمثنة ومن حل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله تعالى هو الأول والاخر والظاهر والباطن (١٦) ذكر الارضين السبع وبعدهما بينهن وكنافة كل واحدة منهن خمسمائة عام

وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا في الحديث الاخر ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي الخلقة ملقاة بارض فلاة وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ثنا وكيع ثنا الاعمش عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى سبع سموات ومن الارض مثلهن قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفرتم تكذيبكم بها وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القسبي الاشعري عن جعفر بن ابي المغيرة الخزاعي عن سعيد بن جبيرة قال قال رجل لابن عباس الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الآية فقال ابن عباس ما يؤمنك ان أخبرتك بها فتكفروا قال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ومحمد بن المشي قال ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال عمرو وقال في كل أرض مثل ابراهيم

(وعليه) لا على غيره (توكلنا) أى فوضنا الامور اليه عز وجل لعلمنا بان ما عدها كائناً ما كان بعزل من النفع والضرر (فستعلمون) اذ انزل بكم العذاب (من هو في ضلال مبين) منا ومنكم وفي هذا تهديد شديد مع اخراج الكلام مخرج الانصاف قرأ الجمهور فستعلمون بالقوية على الخطاب وقرئ بالتحية على الخبر ثم احتج سبحانه عليهم ببعض نعمه وخوفهم سلب تلك النعمة عنهم فقال (قل أرايتم) أى أخبروني (ان أصبح ماؤكم) الذي تعدونه في أيديكم كما نهت عليه الاضافة (غورا) أى غائراً في الارض بحيث لا يبقى له وجود فيها أو صار ذاهباً في الارض الى مكان بعد بحيث لا تناله الدلاء يقال غار الماء غوراً أى نصب والغور الغائر ووصف بالمصدر المبالغة كما يقال رجل عدل وقد تقدم مثل هذا في سورة الكهف وكان ماؤهم من برز زمزم وبئر زميمون قال ابن عباس غوراد اخلا في الارض وعنه يرجع في الارض (فمن يأتكم بما معين) أى ظاهر تراه العميون وتناله الدلاء وقيل هو من معن الماء اذا كثر وقال قتادة والضمالة أى جار وقد تقدم معنى المعين في سورة المؤمن وقرأ ابن عباس عذب وعنه قال بما معين أى الجارى وعنه قال معين ظاهر وعنه قال عذب والمقصود من الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريههم قبح ما هم عليه من الكفر والعناد والكبر قال المحلى ويستحب أن يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما ورد في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتى به الفؤس والمعاول فذهب ماء معينه وعنى نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته

(سورة نون) *

وتسمى سورة القلم ثنتان وخمسون آية وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة ان من أوها الى قوله على الخراطوم مكى ومن بعد ذلك الى قوله أكبر لو كانوا يعلمون مدنى ومن بعد ذلك الى قوله فهم يكتبون مكى ومن بعد ذلك الى قوله من الصالحين مدنى وباقيها مكى كذا قال الماوردى وعن ابن عباس قال كانت اذ انزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء وكان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم نون ثم المزمل ثم المدثر وعنه نزلت نون بمكة وعن عائشة مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ن) قرئ بادغام النون الثانية من هجائها في الواو وقرئ بالاطهار وبالفتح على اضماعه فعل

ونحو ما على الارض من الخلق وقال ابن المنني في حديثه في كل سماء ابراهيم وروى البيهقي في كتاب الاسماء وبكسرهما والصفات هذا اثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعي أنا علي بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس انه قال قال الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال سبع أرضين في كل أرض نبي كتبكم وأدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى ثم رواه البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال في كل أرض

فخو ابراهيم عليه السلام ثم قال البيهقي اسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بجزء لا أعلم لابي الغضى عليه متابعا والله أعلم قال الامام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه التفكير والاعتبار حدثني اسحق بن حاتم المدائني ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نشكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان هذا المغرب أرض بيضاء نورها يابضها أوف قال يابضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا (١٧) الله طرفة عين قط قالوا فابن الشيطان

عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق قالوا أم ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق وهذا حديث مرسل وهو منكر جدا وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك آخر تفسير سورة الطلاق والله الحمد والمنة

(تفسير سورة التحريم وهي مدينة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك فبتنغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم وإذا سر النبي الى بعض أزواجه حديثا فلما تبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تنوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيري عسى

وبكرها على ضمها والقسم أو لاجل التقاء الساكنين وبضمها على البناء عن ابن عباس انه قال نون الدواة أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد وأخرج ابن مردويه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النون السمكة التي عليها اقرار الارضين وقال مجاهد والسدى ومقاتل هو الحوت الذي يحمل الارض وبه قال مرة الهمداني وعطاء الخراساني والكلبي وقيل ان نون آخر حرف من حروف الرحمن وقال ابن زيد هو قسم أقسم الله به وقال ابن كيسان هو فاتحة السورة وقال عطاء وأبو العالية هي النون من نصر وناصر وقال محمد بن كعب أقسم الله بنصره المؤمنين وقيل اسم للسورة وقيل اسم للقرآن وقيل هو حرف من حروف الهجاء كالفواتح الواقعة في أوائل السور المنتهية بذلك وقد اختاره المحلى حيث قال أحد حروف الهجاء وأراد بذلك الرد على من قال انه مقطوع من اسمه تعالى الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور وقال النسفي الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذي عليه الارض واسمه به موت فشكل سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم انتهى وقد عرفت انه ما هو الحق في مثل هذه الفواتح في أول سورة البقرة (والقلم) الواو والواو والقسم أقسم الله بالقلم لما فيه من البيان وهو واقع على كل قلم يكتب به في الارض والسماء وقال جماعة من المفسرين ومنهم المحلى المراد به القلم الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ أقسم الله به تعظيما له قال قتادة القلم من نعمة الله على عباده وعن عبادته بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب بخبري عما هو كائن الى الابد أخرجه الترمذي وصححه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه وأخرج ابن جرير من حديث معاوية بن قررة عن أبيه مرفوعا نحوه وعن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب وما أكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأخرج الحكيم الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا نحوه وعن ابن عباس ان أول شيء خلقه الله القلم فقال الله له اكتب فقال يا رب ما أكتب فقال اكتب القدر بخبري من ذلك اليوم عما هو كائن الى أن تقوم الساعة ثم طوى الكتاب ورفع القلم وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السموات ثم خلق النون فبسطت الارض عليه والارض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الارض

(٣ - فتح البيان عاشر) ربه ان طلقن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تآيات عابدات ساجدات ثيبات وأبكارا) اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت في شأن مارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرّمها فقل قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك فبتنغي مرضات أزواجك الآية قال أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا ابراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبي ثنا جاد بن سلمة عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرّمها فانزل الله عز وجل يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى آخر الآية وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي

ثنا بن أبي مریم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم ابراهيم في بيت بعض نساءه فقالت أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي فجعلها عليه حراما فقالت أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال خلف لها بالله لا يصيبها فانزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قال زيد بن أسلم فقوله أنت على حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال قال لها أنت على حرام والله لا أطولك وقال سفيان الثوري وابن عيينة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن (١٨) مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب في التحريم ولم

بالكفارة في المين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الغضائقي والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبي ثنا محمد بن اسحق عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأة قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم ابراهيم القبطية أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يأي الله لقد جئت الى شيا ما جئت الى أحد من أزواجك في يوم وفي دوري وعلى فراشي قال ألا ترضين ان أحرمها فلا أقربها قالت بلى فحرمها وقال لها لا تذكري ذلك لأحد فذكرته لعائشة فظاهرها الله عليه فانزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبني مرصات أزواجك الا يات كلها فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بيمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن

فأبنت الجبال فان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة ثم قرأون واطعم وما يسطرون أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وأبو الشيخ وغيرهم (وما يسطرون) ما موصولة والضمير عائدة الى أصحاب القلم المدلول عليهم بكراهة لان ذكر آلة الكتابة تدل على الكاتب والمعنى والذي يكتبون ككل ما يكتب أو الحفظة الكاتبون على بني آدم قال ابن عباس يسطرون يكتبون ويجوز أن تكون ما مصدرية أي وسطروهم وقيل الضمير راجع الى القلم خاصة من باب اسناد الفعل الى الآلة وأجرائها مجزى العقلاء وعن ابن عباس أيضا قال وما يسطرون ما يعلمون (ما أنت بنعمت ربك بعجنون) جواب القسم وما نافية أي اتقي عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال أنت بحمد الله عاقل قيل الباء متعلقة بضمير هو حال كانه قيل أنت بري من الجنون ستلبس بنعمة الله التي هي النبوة والرسالة العامة وقيل الباء للقسم أي ما أنت ونعمة ربك بعجنون وقيل النعمة هنا الرحمة والآية رد على الكفار حيث قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكرا نك الجنون (وان لك لأجرا) أي ثوابا على ما تحملت من أثقال النبوة وقاسيت من أنواع الشدائد (غير ممنون) أي غير مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته وقال مجاهد غير محسوب وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك أجزا بغير عمل وقيل غير مقدر وقيل غير ممنون به عليك من جهة الناس وقيل غير منقوص (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو الاسلام والدين حكاه الواحدى عن الاكثرين قال الحفناوى أقسم أولا بالقلم ثم بسطر الملائكة أو بسطوهم فالمقسم به شيان على ثلاثة أشياء نفي الجنون عنه وثبوت الاجر له وكونه على دين الاسلام وقيل هو القرآن روى هذا عن الحسن والعوفي وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عنه من نهى الله قال الزجاج المعنى انك على الخلق الذى أمرك الله به في القرآن وقيل هو لرفقه بامتته واكرامه اياهم وقيل المعنى انك على طبع كريم قال الماوردى وهذا هو الظاهر وحقيقة الخلق في اللغة ما يأخذ الانسان نفسه به من الادب عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة فقالت يا أم المؤمنين اخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن انك لعلى خلق عظيم أخرجه مسلم وابن المنذر والحاكم وغيرهم وعنها قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مادعا أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك فلذلك أنزل الله وانك لعلى خلق عظيم أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم

جليب في مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع في عن ابن عمر عن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تجبرى أحد او ان أم ابراهيم على حرام فقالت أنت حرم ما أحل الله لك قال فوالله لا أقربها قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فانزل الله تعالى قد فرض الله لكم تحله أيمانكم وهذا اسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسى في كتابه المستخرج وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب ابن ابراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائى قال كتب الى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبيران ابن عباس كان

يقول في الحرام عيين تكفروها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم جاريته فقال الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحله أيمانكم فكفر عيينه فصير الحرام عينا ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستواني عن يحيى هو ابن أبي كثير عن أبي حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في الحرام عيين تكفروها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ورواه مسلم من حديث هشام الدستواني به وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا محمد هو ابن يزيد ثنا (١٩) سفيان عن سالم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال اني

جعلت امرأتى على حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك وأغلظ الكفارات عتق رقبة تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبراني ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا اسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من المباحات وهو مذهب الامام أحمد وطائفة وذهب الشافعي الى انه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والخارية اذا حرم عنيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول فاما ان نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الامة فنفذ فيهما وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الطهراني انا حفص بن عمر العدني أنا الحكم ابن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس

في الدلائل والواحدى وعن أبي الدرداء قال سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويبسخط لبسخطه أخرجه البيهقي في الدلائل وابن مردويه وابن المنذر وعن أبي عبد الله الحلبي قال قلت لعائشة كيف خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لم يكن فاحشا ولا متفاحشا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزى بالسبيبة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي وصححه وابن مردويه وقيل غير ذلك مما يطول ذكره وهو في كتب الشمايل والسير مستوفى (فستبصر ويصرون) أى ستبصر يا محمد ويصير الكفار اذا تبين الحق وانكشف الغطاء وذلك يوم القيامة قال ابن عباس أى ستعلم ويعلمون يوم القيامة حين تميز الحق من الباطل وقيل في الدنيا بظهور عاقبة أمرك بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وهذا وعدله ووعيد لهم (بأيكم المفتون) قال الخطيب ترسم بأيكم ههنا يمين انتهى والباء زائدة للتأكيد أى أيكم المفتون بالجنون كذا قال الاخفش وأبو عبيدة وغيرهما الا أنه ضعيف من حيث ان الباء لا تزداد في المبتدأ الا في محسبك فقط وقيل ليست الباء زائدة والمفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بأيكم الفتون أو الفتنة وقال الفراء ومجاهدان الباء بمعنى في فهي ظرفية أى في أيكم المفتون أى الفريق الذى أنت فيه أم في الفريق الآخر يؤيد هذا قراءة ابن أبي عملة بنى وقيل في الكلام حذف مضاف أى بأيكم فتى المفتون حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه روى هذا عن الاخفش أيضا وتكون الباء سببية وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا أجميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون وقيل المفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه والمعنى بأيكم الشيطان قال ابن عباس كانوا يقولون انه شيطان وانه مجنون وعنه قال المفتون المجنون وقال قتادة ومقاتل هذا وعيد لهم بعذاب يوم بدر والمعنى سترى ويرى أهل مكة اذا نزل بهم العذاب بيد بأيكم المفتون (ان ربك هو أعلم عن سبيله) تعليل للجملة التي قبلها فانها تتضمن الحكم عليهم بالجنون لخالفهم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل واختيارهم ما فيه ضررهم فيما وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد والمعنى هو أعلم عن سبيله الموصل الى سعادة الدارين (وهو أعلم بالمهتدين) الى سبيله الموصل الى تلك السعادة الآجلة والعاجلة فهو مجاز كل عامل بعمله ان خير اخير

قال نزلت هذه الآية يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول غريب والعصم ان ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عنده هذه الآية ثنا ابراهيم بن موسى انا هشام بن يوسف عن بن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زيب بنت جحش ويمكث عند هاتواطات انا وحفصة على أيتنا دخل عليهما فلتقل له أكلت مغافرا اني أجد منك ربح مغافرا قال لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زيب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا تبغى مرضات أزواجك هكذا ورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ وقال في كتاب

الايان والنذور ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء انه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة ان أتينا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له اني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احدهما النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ذلك له فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت يأيتها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله تعالى ان تنوبا الى الله فقد صغت قلوبكما لعائشة وحفصة واذا أسر النبي الى (٢٠) بعض أزواجه حديثا القوله بل شربت عسلا وقال ابراهيم بن موسى عن هشام

ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه ثم قال المغافير شبيهة بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة أعقر الرمث اذا ظهر فيه واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهري قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والغمام والسلم والطلح قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الحضر قال والعرفط شجر من العضاء تنضج المغفور وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الايمان والنذور ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي المغراء ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنون احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس

وان شرافش (ولا تطع المسكين) التنا للترتيب النهي على ما ينفي عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وآله وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا صحيح التصحيح على ما ينتمى نهائهم سبحانه عن محالة المشركين وهم رؤساء كفار مكة لانهم كانوا يدعون الى دين آبائهم فنهاه الله عن طاعتهم أو هو تعرض لغيره عن ان يطيع الكفار أو المراد بالطاعة مجرد المدارة باظهار خلاف ما في الضمير فنهاه الله عن ذلك كما يدل عليه قوله (ودوا لودهن فيدهنون) فان الادهان هو الملاينة والمساخطة والمدارة قال الفراء المعنى لودلين فيلبنوا لك وكذا قال الكلبي وقال الضحاك والسدي ودوا لودتك كفر فمتادوا على الكفر وقال الربيع بن أنس ودوا لودتكذب فيكذبون وقال قتادة لودت ذب عن هذا الامر فيدهنون معك وقال الحسن لودتصانعهن في دينك فيصانعونك وقال مجاهد لودت ركن اليهم وترك ما أنت عليه من الحق فيما يلونك قال ابن قتيبة كانوا أرادوه على ان يعبد آلهم ثم مدة ويعبدوا الله مدة وقال ابن عباس لودت رخص لهم في رخصون وقوله فيدهنون عطف على تدهن داخل في حيز لود وهو خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون قال سيبويه وزعم قالون انها في بعض المصاحف ودوا لودتدهن فيدهنون بغير نون والنصب على جواب التثنية المفهوم من ودوا والظاهر من اللغة في معنى الادهان هو ما ذكرناه أولا (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلاف بالباطل وكفى به مرجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) فعيل من المهانة وهي القلة في الرأي والتمييز وقال مجاهد هو الكذاب وقال قتادة المسكين في الشر وكذا قال الحسن وقيل هو الفاجر العاجز وقيل هو الحقير عند الله وقيل هو الذليل وقيل هو الوضع وأخرج ابن مردويه عن أبي عثمان النهدى قال قال مروان لما بايع الناس ليزيد سنة أبي بكر وعمر فقال عبد الرحمن بن أبي بكر انها ليست بسنة أبي بكر وعمر لكنها سنة هرقل فقال مروان هذا الذي أنزل فيه والذي قال لوالديه أف لكما الآية قال فسمعت ذلك عائشة فقالت انها لم تنزل في عبد الرحمن ولكن نزل في أبيك ولا تطع كل حلاف مهين (هماز) هو المغتاب للناس قال زيد وهو الذي همز باخيه وقيل الهماز العيب وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم والهماز الذي يذكرهم في مغيبهم كذا قال أبو العالية والحسن وعطاء بن أبي رباح وقال مقاتل عكس هذا وقيل الهماز الذي همز الناس بيده ويضربهم والهماز باللسان وقيل الهمز كالهمز وزنا ومعنى وبابه شرب وهمزات الشيطان خطراته التي

فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأتين قومها عكة غسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة يخطر بها فقلت أما والله لاحتال له فقلت اسودة بنت زمعة انه سيدنومك فاذا دنا منك فقولى أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولى ما هذه الريح التي أجدها فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة غسل فقولى جرت نخله العرفط وسأقول ذلك وقولى له أنت يا صفة ذلك قالت تقول اسودة فوالله ما هو الا أن قام على الباب فاردت ان أنادي به بما أمرتني فقامت فقلت يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أجدها قال سقتني حفصة شربة غسل قالت جرت نخله العرفط فلما دار الى قلت

نحو ذلك فلما دار الى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار الى حفصة قالت له يا رسول الله الا أسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة والله لقد حرمتها قلت لها اسكتي هذا لفظ البخاري وقدره مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن زبير عن أبي كريب وهرون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثهم عن أبي أسامة جابدين أسامة عن هشام بن عروة عنه وعنده قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشد عليه أن يوجد منه الريح يعني الريح الخبيثة ولهذا قلن له أكلت مغافير لأن ريحها فيه شيء عظماء قال بل شربت عسلًا قلن جرت فحل العرفط أي رعت فحل شجر العرفط الذي صمغه المغافير (٢١) فلم هذا يظهر ريحه في العسل الذي شربته

قال الجوهري جرت النحل العرفط تجرس اذا أكلته ومنه قيل للنحل جوارس قال الشاعر

* تظل على الثمرات منها جوارس *
وقال الجرس والجرس الصوت الخفي ويقال سمعت جرس الطير اذا سمعت صوت منافقها على شيء تأكله وفي الحديث فيسمعون جرس طير الجنة قال الاصمعي كنت في مجلس شعبة قال فيسمعون جرس طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر الى فقال خذوها عنه فانه أعلم بهذا منا والغرض أن هذا السياق فيه ان حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفي طريق بن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة ان زينب بنت جحش هي التي سقته العسل وان عائشة وحفصة توطأتا وتظهرتا عليه فانه أعلم وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد في ذلك الا ان كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظروا الله أعلم ومما يدل على ان عائشة وحفصة رضى الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه

يخطر بها قلب الانسان (مشاء بنميم) هو الذي يشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نم نم اذا سعي بالفساد بين الناس وقيل النميم جمع نميمة أي يقال للعديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم (مناع للخير) أي بخيل بالمال لا ينفقه في وجهه وقيل هو الذي يمنع أهله وعشيرته عن الاسلام قال الحسن بن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا نفعه بشيء أبدا (معتد) أي متجاوز الحد في الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) قال الواحدي المفسرون يقولون هو الشديد الخلق الفاحش الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة في الماثل وقال الزجاج هو الغليظ الخافي في الطبع من عتله اذا قامه بعنف وغلظة وقال الليث هو الاكول المتنوع وقيل قاسى القلب وقيل الذي يعتل الناس أي يحملهم ويحترهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل هو الفاحش اللثيم (بعد ذلك زعيم) أي هو بعدما عتد من معاييه ومثالبه الثمانية دعي ملصق مستحق بالقوم وليس هو منهم مأخوذ من الرزمة المتدلية في حلق الشاة والماعز وقال سعيد بن جبيرة الزعيم المعروف بالشرو وقيل هو رجل من قريش كان له رزمة كزمنة الشاة وقيل هو الظلوم وقال ابن عباس له رزمة كزمنة الشاة والعتل هو الدعي والزعيم هو المريب الذي يعرف بالشرو وعنه قال الزعيم الدعي وعنه الزعيم الذي يعرف بالشرك كما تعرف الشاة بزئمتها وعنه قال هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء وقال أيضا الزعيم الظلوم وهذه البعدية في الرتبة لافي الخارج قال الشهاب فبعد هنا ككم للتراخي في الرتبة قال أبو السعود وفيه دلالة على ان دعوته أشد معاييه وأقبح قبائحهم وقد قيل ان هذه الآيات نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف لمحق في بني زهرة وقيل في الوليد بن المغيرة وبه قال الجمهور وقيل في أبي جهل بن هشام وقيل في الاسود بن يغوث قاله ابن عباس (أن كان ذامال وبنين) متعلق بقوله تعالى ولا تطع أي لا تطع من هذه مثالبه لان كان متوليا مستظها بالبنين قاله الفراء والزجاج وقيل متعلق بما دل عليه جملة اذا تلى من معنى الخلود والتكذيب لا يقال الذي هو جواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظها بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك قرئ أن كان بهمزة واحدة على الخبر وقرئ بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع حيث جعل

الامام أحمد في مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق انامعمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس قال لم أزل حرصا على ان أسأل عمر عن المراءين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى ان تنوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداة فتميز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المراءين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تنوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر وعجب بالآية يا ابن عباس قال الزهري كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هي حفصة وعائشة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال كما معشر قريش قوما

فغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تعلمهم نسأؤنا يتبعان من نسائهم قال وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي قال فغضبت يومًا على امرأتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان أراجعك فوالله ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتمجره احداهن اليوم الى الليل قال فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قلت في تمجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن احداكن ان يغضب الله عليها الغضب برسوله (٢٢) فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئاً

وسليني من مالي ما بدالك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي أو سمى أي أجل وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة قال وكان لي جار من الانصار وكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يومًا أو ينزل يومًا فيأتي بي بجبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك قال وكنا نتحدث ان غسان تنزل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يومًا ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم فقلت وما ذلك أ جاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنًا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه المنبر به فأتيت غلامه أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج الى فقال ذكرتك له فصمت فأنطلمت حتى أتيت المنبر فاذا

مجازاة النعم التي خوله الله من المال والبنين أن كفر به ورسوله وقرئ بهم هزتين مخففتين وقرأ نافع في رواية عنه بكسر الهمزة على الشرط وجوابه مقدر أي ان كان كذا يكفر ويجدد عليه ما بعده (اذ اتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال) هي (أساطير) أي أ كذوبة (الاولين) والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي (سنسمة على الخرطوم) أي سنكويه بالكسرة على أنفه مهانة له وعلامة يعير بها معاشر قال أبو عبيدة وأبو زيد والمبرد الخرطوم الانف وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه أشبع وفي التعبير عن الانف بالخرطوم استهجان واستهزاء باللعين لان الخرطوم أنف السباع وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير وفي القاموس الخرطوم كزنبور الانف أو مقدمه أو ما ضمت عليه الحنكين كالخرطوم كقنفذ وفي السمين هو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل باسم الجزء لانه أظهر ما فيه وأعلاه والاول أولى وقد جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقى أثر الجرح في أنفه ببقية عمره وقال مقاتل سنسمة بالسواد على الانف وذلك انه يسود وجهه قبل دخول النار وقال الزجاج سنسمة له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم وقال قتادة سنسمة شيء لا يفارقه واختار هذا ابن قتيبة قال والعرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون ألصق به عارًا لا يفارقه فالمعنى أن الله ألحق به عارًا لا يفارقه كالوسم على الخرطوم وقيل معنى سنسمة سنخطة بالسيف وقال النضر بن شميل المعنى سنخذه على شرب الخمر وقد يسمى الخمر بالخرطوم ومنه قول الشاعر

تظل يومك في لهو وفي طرب * وأنت بالليل شراب الخراطيم

(انا بلونا هم) يعني كفار مكة فان الله ابتلاهم بالجوع والقطع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أشكروا الجيف والرمم والابتلاء الاختبار والمعنى أعطيناهم الاموال ليشكروا والليبطروا فلما بطروا وعادوا محمد صلى الله عليه وسلم ابتليناهم ابتلاء (كابلونا أصحاب الجنة) المعروف خبرهم عندهم وذلك انها كانت بأرض اليمن على فرسخين من صنعاء لم يجرؤ على حق الله منها فأتت وصارت الى أولاده فنعوا الناس خبرها وبخلوا بحق الله فيها قال الواحدى هم قوم من ثقيف كانوا باليمن مسلمين ورثوا من أبيهم ضبيعة فيها جنات وزرع ونخيل وكان أبوهم يجعل مما فيها من كل شيء حظًا للمساكين عند الحصاد والصرام فقالت بنوه المال قليل والعيال كثير ولا يسعنا أن نفعل كما كان يفعل أبونا

عنده رط جالوس يبكي بعضهم فجلس عند قليل ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل وعزموا ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فخرجت فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرًا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصر قال الامام أحمد وحدهناه يعقوب في حديث صالح قال رمال حصر قد أثر في جنبه فقلت والله ان الله سألني فعد رأسه الى وقال لا فقلت الله أكبر لورأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قومًا تغلب النساء فلما قدمنا

المدينة وجدنا قوماً نغلبهم نساء وهم فطفت نساءً ونايتعلن من قسائمهم فغضبت على امرأتى يوماً فاذا هي تراجعنى فانكرت ان تراجعنى فقالت ما تنكران أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهمجه احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكهن وخسرت أفئدة من احدا كن أن يغضب الله عليها الغضب رسوله فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستاذنا يا رسول الله قال نعم جلست فرفعت (٢٣) رأسى في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت

ادع الله يا رسول الله ان يوسع على أمك فقد وسع على فارس والزوم وهم لا يبعدون الله فاستوى جالسا وقال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طبيائهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل وقدرواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن الزهري به وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مكثت سنة أريد أن أسأل عمر ابن الخطاب عن آية فما استطعت ان أسأله هيبته حتى خرج حاجبا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا بعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرا على النبي صلى الله عليه وسلم هذا النظ البخارى ومسلم من المرأتان اللتان قال الله تعالى وان تظاهرا عليه قال عائشة

وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله في كتابه وقال الحسن كانوا كفارا قال النسفي والجمهور على الاول وقال الكلبى كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بان حرق جنتهم وقيل هي جنة كانت بصروان وصروان بالصاد المهملة على فراسخ من صنعاء وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى بن مريم عليه السلام الزرقاني في شرح المواهب وذكره القرطبي أيضاً ومثله في حواشي البيضاوى وقال ابن عباس هم ناس من أهل الجنة كان لا يهيم جنة وكان يطعم منها المساكين فأت أبوههم فقتل بنوه ان كان أبونا لا حق كان يطعم المساكين (اذا قسموا) أى حلف معظمهم والا فالأوسط قال لهم لا تفعلوا واصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه أبوكم قال البقاعى وكأنه تعالى طواه لانه مع الدلالة عليه بما يأتى لم يؤثر شيئاً (ليصير منها مصححين) أى ليقطعنها داخلين في وقت الصباح قبل انتشار النقراء والصرام القطع للتمر والزرع يقال صرم العذق عن الخلة وأصرم النخل أى حان وقت صرامه والانصرام الانقطاع والتصارم التقاطع والتصرم التقطع واذا قيل عليه أو ظرفية بنوع تسمع لان الاقسام كان قبل ابتلائهم وليصير منها جواب القسم (ولا يستنون) يعنى ولا يقولون ان شاء الله وسمى استثناء وهو الشرط لان معنى لا يخرج ان شاء الله ولا يخرج الا ان يشاء الله واحد قاله الزمخشري وهذه الجملة مستأنفة لبيان ما وقع منهم أو حال وقيل المعنى ولا يستنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذى كان يدفعه أبوههم اليهم قاله عكرمة وقيل المعنى لا يشنون عزمهم عن الحرمان (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أى فنزل على تلك الجنة طائف من جهة الله سبحانه أى هلاك أو بلاء في حال نومهم والطائف غلب في الشر قال النراء هو الامر الذى يأتى ليلا ورد عليه بقوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقرئ طيف والطائف قيل هو نار اخرقتها حتى صارت سوداء كذا قال مقاتل وقيل الطائف جبريل اقتلعها وقال ابن عباس طائف أى أمر من الله وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اباصكم والمعصية فان العبد ليدب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم وان العبد ليدب الذنب فيحرم به قيام الليل وان العبد ليدب الذنب فيحرم به رزاقه كان هي له ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف عليها الآية قد حرموا خير جنتهم بذنوبهم وفي هذه

وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره وقال مسلم أيضاً حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن سمالة بن الوليد أبى زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلت المسجد فاذا الناس يتكئون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل ان يؤمر بالحجاب فقلت لاعلم ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه اياهما الى ان قال فدخلت فاذا ابنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة المشربة فنادت فقلت يا برباح استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم الى أن

قال فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر
والمؤمنون معك وقلنا تكلمت وأحمد الله بكلام الأرجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية آية الخبير عسى ربه أن
ظلمك أن يبدله أزواجا خيرا منكن وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهروا فقلت
أطلقتهن قال لا فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق نساء وزلات هذه الآية وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف
إذا عوا به ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر (٢٤) منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فبكت أنا استنبطت ذلك الأمر وكذا قال

الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا ففعلوا وقبل
فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بنظم نذقه من عذاب أليم وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالتقاوا والمقتول في التنازع قيل
يا رسول الله هذا القتال فبال المقتول قال أنه كان حربا على قتل صاحبه وهذا محمول
على العزم المصمم أما ما يخاطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به قاله القرطبي (فأصبحت
كالصريم) فعيل بمعنى مفعول أي صارت كالشيء الذي صرمت ثمارة أي قطعت وقال
القراء كالصريم كالليل المظلم والمعنى أنها حرققت فصارت كالليل الأسود قال والصريم
الرماد الأسود بلغة خزيمية وقال الأخفش أي كالصريح الصريم من الليل يعني أنها ليست
وايضت بلا شجر وقال المبرد الصريم الليل والصريم النهار أي ينصرف هذا عن هذا وذلك
عن هذا وقيل سمي الليل صريما لأنه يقطع بظلمته عن التصرف وقال المورج الصريم
الرملة لأنها لا ينبت عليها شيء ينتفع به وقال الحسن صرم منها الخير أي قطع (فتنادوا
مصحين) أي نادى بعضهم بعضا داخلين في الصباح معطوف على أقسموا وما بينهما
اعتراض لبيان منازل تلك الجنة قال مقاتل لما أصبحوا قال بعضهم لبعض (أن اغدوا)
أن هي المفسرة لأن في التنادي معنى القول أو هي المصدرية أي بان اغدوا والمراد اخرجوا
غدوة (على حركتهم) وأقبلوا عليه بكرين والغدوة تعدي بالي وعلى فلا حاجة إلى تضمينه
معنى الاقبال كما قيل والمراد بالحرث الثمار والزرع والغنم (ان كنتم صارمين) أي قاصدين
للصرم وجواب الشرط محذوف أي ان كنتم تريدون صرامه فاغدوا وقيل معنى صارمين
ماضين في العزم من قولك سيف صارم (فانطلقوا) أي ذهبوا إلى جنتهم (وهم يتخافتون)
أي يسرون الكلام بينهم ثم لئلا يعلم أحد بهم يقال خفت يخفت إذا سكن ولم ينس قال
ابن عباس الخفت الأسرار والكلام الخفي وقيل المعنى يخفون أنفسهم من الناس حتى
لا يروهم فيقصدهم كما كانوا يقصدون آباهم وقت الحصاد والاول أولى اقوله (أن
لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) فإن أن هي المفسرة للتخافت المذكور لما فيه من معنى
القول والمعنى يسرون بعضهم إلى بعض هذا القول وهو لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم
مسكين فيطلب منكم أن تعطوه منها ما كان يعطيه أبوكم وأوقع النبي على دخول المساكين
لأنه أبلغ لأن دخولهم أعم من أن يكون باذخا لهم أو يبدونه (وغدوا) أي ساروا إليها غدوة

سعيد بن جبيرة وعكرمة ومقاتل بن
حيان والفضالة وغيرهم وصالح
المؤمنين أبو بكر وعمر زاذ الحسن
البصري وعثمان وقال بشر بن أبي
سليم عن مجاهد وصالح المؤمنين
قال علي بن أبي طالب وقال ابن أبي
حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد
ابن أبي عمر ثنا محمد بن جعفر بن
محمد بن الحسين قال أخبرني رجل
ثقة يرفعه العلي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
وصالح المؤمنين قال هو علي بن أبي
طالب اسناده ضعيف وهو منكر
جداد وقال البخاري ثنا عمرو بن
عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس
قال قال عمر اجتمع نساء النبي صلى
الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت
لهن عسى ربه أن يبدله
أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه
الآية وقد تقدم أنه وافق القرآن
في أن ما كن منها في نزول الحجاب ومنها
في أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت
من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله
تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم
مصلى وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي
حدثنا الانصاري ثنا حميد عن أنس

قال قال عمر بن الخطاب بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقر بينهما أقول (على
لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يبدله الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت يا عمر أمان
رسول الله ما يعظ نساء حتى تعظهن فامسكت فأنزل الله عز وجل عسى ربه أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات
مؤمنات فأتات نائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا وهذه المرأة التي ردتها عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك
في صحيح البخاري وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن ناثة الاصبهاني ثنا اسمعيل الجبلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الفضالة عن

ابن عباس في قوله واذا سر النبي الى بعض أزواجه حديثا قال دخلت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها وهو يطمأ مرارة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخبري عائشة حتى أبشرك بشارته أن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنامت فذهبت حفصة فاخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فقالت عائشة لا أنظر اليك حتى تحرم مارية فخرمها فانزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم أسناده فيه نظر وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمةات ومعنى قوله مسلمات مؤمنات فآتات نائبات عابدات ظاهرو وقوله تعالى (٢٥) سائحات أي صائمات قاله أبو هريرة وعائشة

وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعطاء ومحمد ابن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو مالك وأبراهيم النخعي والحسن وقتادة والفضال والربيع ابن أنس والسدي وغيرهم وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله السائحون في سورة براءة ولنظنه سياحة هذه الأمة الصيام وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن سائحان أي مهاجران وتلا عبد الرحمن السائحون أي المهاجرون والقول الأول أولى والله أعلم وقوله تعالى ثيبات وأبكار أي منهن ثيبات ومنهن أبكار ليكون ذلك أشهى الى النفس فان التنوع بسيط النفس ولهذا قال ثيبات وأبكار وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبد الله ابن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن يزيد عن أبيه ثيبات وأبكار قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه فالثيب آسية امرأة فرعون وبالأبكار مريم بنت

(على حرد) الحرد يكون بمعنى المنع والغضب والقصد قال قتادة ومقاتل والكلبي والحسن ومجاهد الحرد هنا بمعنى القصد لان القاصد الى الشيء حارديقال حرد يحرر اذا قصدت تقول حردت حردك أي قصدت قصدك وبابه ضرب وقال أبو نصر صاحب الاصبعي هو مخفف فعلى هذا بابه فهم وقال ابن السكيت وقد يحرر فعلى هذا بابه طرب فهو حارد وحردان انتهى وقال أبو عبيدة والمبرد والقتبي على حرد على منع من قولهم حردت الابل حردا اذا قلت البانها والحرد من النوق هي القليلة اللبن وقال السدي وسفيان والشعبي على حرد على غضب وعن قتادة ومجاهد أيضا على حرد على حسد وقال الحسن أيضا على حاجة وفاقة وقيل على حرد على انفراد يقال حرد يحرر حردا وحردا اذا انتهى عن قومه ونزل منفردا عنهم ولم يخاطبهم وبه قال الاصبعي وغيره وقد فسرت الآية الكريمة بجميع ما ذكرت وقال الازهرى حرد اسم قريتهم وقال السدي اسم جنتهم قرأ الجمهور حرد بسكون الراء وقرئ بفتحها قال الفراء وسعي (قادرين) قد قدروا أمرهم وبنوا عليه في ظنهم وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم وعلى النصارى في نفس الامر لم يمنعهم منه وقال قتادة قادرين على جنتهم عند أنفسهم وقال الشعبي يعني قادرين على المساكين وقال ابن عباس ذوو قدرة أو من التقدير وهو التضيق أي مضيقين على المساكين (فلما رأوها) أي جنتهم وشاهدوا ما قد حل بها من الآفة التي أذهبت ما فيها (قالوا انالضالون) أي قال بعضهم لبعض بيته وصولهم قبل التأمل قد ضلنا الطريق جنتنا وليست هذه قال ابن عباس أي أضلنا مكان جنتنا وقيل معنى قولهم انالضالون انهم ضلوا عن الصواب وعاووقع منهم ثم لما تأملوا وعلموا انها جنتهم وان الله سبحانه قد عاقبهم باذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا مضربين اضرا بابطالها لكونهم ضالين (بل نحن محرومون) أي حرمنا جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم على منع المساكين من خيرها فأضربوا عن قولهم الاول الى هذا القول قيل ان الحق الذي منعه أصحاب الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل انه كان تطوعا والاول أظهر والله أعلم (قال أوسطهم) أي أمثلهم وأعقلهم وخيرهم رأيا وعقلا ونفسا وقال ابن عباس أعد لهم وقيل أفضلهم فأناكر عليهم بقوله (ألم أقل لكم) ان ما فعلتموه لا ينبغي وان الله لبالمرصاد لمن حاد وغير ما في نفسه (لولا تسبحون) أي هلا تسبحون وسمى الاستثناء تسبيحا لانه تعظيم لله

(٤ - فتح البيان عاشر) عمران وذ كرا الحافظ بن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح بن عمر عن الفضال ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرت خديجة فقال ان الله يقرئها السلام ويشهرها بييت في الجنة من قصب بعيد من الذهب لانصب فيه ولا تخف من أولوة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال يا خديجة اذا قبضت ضرائك فاقرين مني السلام فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني

مریم بنت عمران وأسمة امرأة فرعون وكلثم أخت موسى ضعيف أيضا وقال أبو يعلى ثنا إبراهيم بن عريرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يونس بن شعيب عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمت أن الله زوجني في الجنة مریم بنت عمران وكلثم أخت موسى وأسمة امرأة فرعون فقلت هنيا لك يا رسول الله وهذا أيضا ضعيف وروى مرسل عن ابن أبي داود (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليهم النار كلاً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا (٢٦) اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أقم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير) قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم ناراً يقول أدبواهم وعلوهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوا أنفسكم وأهليكم ناراً يقول اعلموا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وأمروا أهليكم بالذكور ينجيكم الله من النار وقال مجاهد قوا أنفسكم وأهليكم ناراً قال اتقوا الله وأصوا أهليكم بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فإذا رأيت لله معصية قد عتهم عنها وزجرتهم عنها وهكذا قال الضحاك ومقاتل حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وأمانه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله

وأقرار به وهذا يدل على أن أوسطهم كان أمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه وقال مجاهد وأبو صالح وغيرهما كان استثناءهم تسبيحاً قال النحاس أصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل التسبيح في موضع أن شاء الله لأنه ينزه عن أن يجري في ملكه ما لا يريد وقيل المعنى هلا تستغفرون الله من فعلكم وتوبون إليه من هذه النية التي عزمتم عليها وكان أوسطهم قد قال لهم ذلك وقيل المعنى هلا تتركوا شيئاً للمساكين من ثمر جنتكم والاول اولى فلما قال لهم ذلك بعد مشاهدتهم للجنة على تلك الحالة (قالوا سبحان ربنا) أي تنزهنا عنه ان يكون ظالمنا فيما صنع بجهنمنا ثم كدوا قباحتهم فعملهم هضمهم لأنفسهم وتحقير التوبتهم بقولهم (انا كظالمين) أي ان ذلك بسبب ذنبنا الذي فعلناه قيل معنى تسبيحهم الاستغفار أي نستغفر ربنا من ذنبنا انا كظالمين لأنفسنا في منعنا للمساكين (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضاً في منعهم للمساكين وعزمهم على ذلك يقول هذا لهذا أنت أشرت علينا بهذا الرأي ويقول ذلك لهذا أنت خوقتنا الفقير ويقول الثالث لغيره أنت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على أنفسهم بالويل حيث (قالوا يا ويلنا) هذا وقت حضورك البنا ومنادمتك لنا فإنه لا نديم لنا الآن غيرك (انا كظالمين) أي عاصين متجاوزين حدود الله بمنع الفقراء وترك الاستثناء قال ابن كيسان أي طغيانهم الله فلم نشكرها كشكرها أبو ناسم قبل ثم رجعوا إلى الله وسألوه أن يعرضهم بخير منها فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خير منها) قيل انهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا ان أبدلنا الله خير منها لنصنعن كما صنع أبو ناسم فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم من ليلتهم ما هو خير منها بان أمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها برزخاً (١) من أرض الشام يأخذ من الشام الجنة فيجعلها بمكانها قرأ الجمهور يريد لنا بالتخفيف وقرئ بالتشديد وهما الغنان وقرآن سبعين والتبديل تغيير ذات الشيء أو تغيير صفته والابدال رفع الشيء بجملة ووضع آخر مكانه كما مضى في سورة سبأ (انا إلى ربنا راغبون) أي طالبون منه الخير راغبون لغناه راجعون إليه وعدى بالي وهو انما يتعدى بعن أو بفي لتضمينه معنى الرجوع عن ابن مسعود بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بهاجنة تسمى الحيوان فيها غناب يحمل البغل منه عنقود واحد واحد وقال اليماني أبو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل القائم الاسود قال الحسن قول أهل الجنة انا إلى

عنه وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع ابن سبرة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها هذا الفظ أبي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال الفقيه وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريئاً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة (١) زغر بالزاي والغين المججمة بلدة بالشام لانهارت بها وبها عين غور مائها علامة خروج الدجال اه منه

والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق وقوله تعالى وقودها الناس والحجارة وقودها أي حطبها الذي يلقى فيها جثث بني آدم والحجارة قيل المراد بها الأصنام التي تعبد لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقروا السدى هي حجارة من كبريت زاد مجاهد أتت من الجيفة وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبي ثنا عبد الرحمن بن سنان المنقري ثنا عبد العزيز يعني ابن أبي رواد قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وعند بعض أصحابه (٢٧) وفيهم شيخ فقال الشيخ يارسول الله حجارة

جهنم لحجارة الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها قال فوقع الشيخ مغشياً عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فاذا هوى حتى قناداه قال يا شيخ قل لا اله الا الله فقال لها فبشره بالجنة قال فقال أصحابه يارسول الله أمن بيننا قال نعم يقول الله تعالى ذلك لمن خاف متقاً وخاف وعيد هذا حديث مرسل غريب وقوله تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد أي طباعهم غليظة قد نزلت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله شدد أي تركبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا سلمة بن شبيب ثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبي عن عكرمة انه قال اذا وصل أول أهل النار الى النار وجدوا على الباب أربع مائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أياهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم منقل ذرة من الرحمة لوطير الطير من منكب

ربنا راغبون لأدري أكان إيمانهم أو على حدم ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أنهم من أهل الجنة أم من أهل النار قال لقد كشفتني تعباً والمعظم يقولون انهم تابوا وأخلصوا وحكاه القشيري (كذلك العذاب) أي مثل ذلك العذاب الذي يلوناهم به ويلون أهل مكة عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أي أشد وأعظم من عذاب الدنيا (لو كانوا) أي المشركون (يعلمون) انه كذلك ولكنهم لا يعلمون ولما فرغ سبحانه من ذكر حال الكفار وتسميته ابتلاءً بهم بابتلاء أصحاب الجنة المذكورة ذكر حال المتقين وما أعد لهم من الخير فقال (ان للمتقين) ما يوجب سخطه من الكفر والمعاصي (عند ربهم) عز وجل في الدار الآخرة (جنات النعيم) الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا ينغصه خوف زوال كما يشوب جنات الدنيا (أفجعل المسلمين كالجرمين) الاستفهام للتقريع والتوبيخ للكفار على هذا القول الذي قالوه وقد وجنوا وقرعوا باستنهامات سبعة أولها هذا والسابع أم لهم شركاء والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أن يخفف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين وكان العبارة مقبولة والاصل أفجعل الجرمين كالمسلمين لانهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل لانه كان صناديد كفار قريش يرون وفور حظهم في الدنيا وقلة حظوظ المسلمين فيها فلم يسمعوها بذكر الآخرة وما يعطى الله المسلمين فيها قالوا ان صح ما يزعمه محمد لم يكن حالنا وحالهم الامثل ما هي في الدنيا فقال الله مكذباً بهم راد عليهم أفجعل الآية والمعنى أفجعل الجرمين مساوين للمسلمين في العطاء لا كما ذكر في آية أخرى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة قاله على القاري وبعد ذلك ليس في الآية الا نفي المساواة والكفار ادعوا الافضية أو المساواة الا أن يقال اذا انتفت المساواة انتفت الافضية بالاولى ثم قال سبحانه على طريقة الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج كان أمر الجزاء مفوض اليكم تحكمون فيه بما شئتم (أم لكم كتاب فيه تدرسون) أي تقرؤون فيه فتجدون المطمع كالعاصي ومثل هذا قوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأقوا بكتابكم ثم قال سبحانه (ان) قرأ الجهور بالكسر على انها معمولة لتدرسون أي تدرسون في الكتاب ان (لكم فيه لما تحيرون) فلما دخلت اللام كسرت الهمزة أو على الحكاية للمدروس وقيل قدمت الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدأ فقال ان لكم الخ أي ليس لكم

أحدهم لطار شهرين قبل ان يبلغ منكب الآخرة ثم يجدون على الباب التسعة عشر عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ثم هوون من باب الى باب خمس مائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الاول حتى ينتهوا الى آخرها وقوله لا يعصون الله ما أمرهم وينهون ما يؤمرون أي مهمما أمرهم به تعالى يبادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه وهو لا يهمل الزبانية عباداً بالله منهم وقوله يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لا كفر يوم القيامة لا تعتذروا فانه لا يقبل منكم وانما تجزون اليوم بما عملتم ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الى الله توبة نصوحاً أي

بوبة صادقة جازمة تعموما قبلها من السيئات ولم شعث التائب وتجمعه وتكنه عما كان يتعاطاه من الدنات قال ابن جرير ثنا ابن منثى ثنا محمد ثنا شعبة عن سمك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول يا أيها الذين آمنوا اتوبوا إلى الله توبة نصوحا قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه وقال النوري عن سمك عن النعمان عن ٤٠ قال التوبة النصوح ان يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه وقال أبو الاحوص وغيره عن سمك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال ان يتوب الرجل من (٢٨) العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبدا وقال الاعمش عن أبي اسحق عن أبي

الاحوص عن عبد الله توبة نصوحا قال يتوب ثم لا يعود وقد روى هذا مرفوعا فقال الامام أحمد ثنا علي بن عاصم عن ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التوبة من الذنب ان يتوب منه ثم لا يعود فيه تفرد به أحمد من طريق ابراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصبح والله أعلم ولهذا قال العلماء التوبة النصوح هو أن يتقاع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على ان لا يفعل في المستقبل ثم ان كان الحق لا دعى رده اليه بطريقه قال الامام أحمد ثنا شعبان عن عبد الكريم اخبرني زياد بن أبي مريم عن عبد الله بن معقل قال دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الندم توبة قال نعم وقال مرة نعم سمعته يقول الندم توبة ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن

ذلك وقرئ بفتح ان على ان العامل فيه تدرسون مع زيادة لام التأكيدي ومعنى تخيرون تختارون وتشتهون ثم زاد سبحانه في التوب يخفق قال (أم لكم أيمان علينا بالغة) أي عهود مؤكدة بالايان موثقة متناهية اذ العهد كلام مؤكد بالقسم فاطلق الجزو وأريد الكل والمعنى أم لكم أيمان على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ثابتة لكم (اليوم القيامة) لا يخرج عن عهدتها حتى يحكمكم يومئذ قرأ الجمهور بالغة بالرفع على النعت لايمان وقرئ بنصبها على الحال من ايمان لانها قد تخصصت بالعمل أو بالوصف أو من الضمير في لكم أو في علينا وجواب القسم قوله (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم لان معنى أم لكم ايمان أم أقسمنا لكم وقيل قدمت الكلام عند قوله الي يوم القيامة ثم ابتداء فقال ان لكم الخ أي ليس الامر كذلك (سلفهم) موخا لهم ومقرعا (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن الصواب (زعيم) أي كفيل لهم بان لهم في الآخرة ما للمسلمين فيها وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحق والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول (أم لهم شركاء) غيرهم يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم فيه ويذهبون مذهبهم فيه وقيل معناه شهداء يشهدون بصدق ما دعوه وقيل المراد بهم الاصنام والاول أولى وأظهر وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فيما يقولون اذ لا أقل من التقليد وهو أمر تعجيز وجواب الشرط محذوف قال القاضي وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يشبهوا به لدعواهم من عقل أو نقل أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييه فالما لا سند له (يوم) ظرف لقوله فليأتوا أي فليأتوا بها يوم (يكشف عن ساق) ويجوز أن يكون ظرفا للفعل مقدرا أي اذ كريم يكشف قال الواحدي قال المفسرون في قوله عن ساق عن شدة من الامر وصعوبة الخطب قال ابن قتيبة أصل هذا ان الرجل اذا وقع في أمر عظيم يحتاج الى الجدي فيه شعر عن ساقه فيستره عار الكشف عن الساق في موضع الشدة قال وتأويل الآية يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه الى أن يكشف عن ساق قال أبو عبيدة اذا اشتد الحرب والامر قليل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجدي شعر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عن موضع الشدة وهكذا قال غيره من أهل اللغة وقد استعملت ذلك العرب في اشعارها وكثرت في كلامهم حتى صار كالمثل للأمر

مالك الجزري به وقال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني الوليد بن بكير أبو خباب عن عبد الله بن محمد العبدى عن أبي سنان البصرى عن أبي قلابة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الامة عند اقتراب الساعة منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويعت الله عليه ورسوله ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويعت الله عليه ورسوله ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويعت الله عليه ورسوله وليس لهؤلاء صلاة ما قاموا على هذا حتى يتوبوا الى الله توبة نصوحا قال زر بن كعب فالتوبة النصوح

ضارا في تكفير ما تقدم له - موم
قوله عليه السلام التوبة تجب
ما قبلها وللاول ان يتجبع عاينت
في الصحيح أيضا من أحسن في
الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في
الجاهلية ومن أساء في الاسلام
أخذ بالاول والا خرفاذا كان هذا
في الاسلام الذي هو أقوى من
التوبة قال توبة بطريق الاولى والله
أعلم وقوله تعالى عسى ربكم أن
يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنت تجري من تحتها الانهار
وعسى من الله موجبة يوم لا ينجزى
الله النبي والذين آمنوا معه أى ولا
ينجزىهم معه يعنى يوم القيامة نورهم
يسعى بين أيديهم وبأيمانهم كما تقدم
في سورة الحديد يقولون ربنا أقم لنا
نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير
قال مجاهد والعدل والحسن
البصرى وغيرهم هذا يقوله
المؤمنون حين يرون يوم القيامة
نورا المنافقين قد طئنى وقال الامام
أحمد ثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني
ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان
عن رجل من بني كنانة قال صليت

خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام النخ فسمعته يقول اللهم لا تخزني يوم القيامة وقال محمد بن نصر المروزي ثنا محمد بن مقاتل المروزي ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة وأول من يؤذن له برفع رأسه وأناظر بين يدي فاعرف أمتي من بين الامم وأناظر عن شمالي فاعرف أمتي من بين الامم فقال رجل يا رسول الله وكيف تعرف أمتك من بين الامم قال غر محجلون من آثار الظهور ولا يكون أحد من الامم كذلك غيرهم وأعرفهم انهم يؤتون كتبهم

بإيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسمى بين أيديهم (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة لوط كانت تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) يقول تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء بأقامة الحدود عليهم واغظ عليهم أي في الدنيا ومأواهم جهنم وبئس المصير أي في الآخرة ثم قال تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا (٣٠) أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجزى عنهم شيئا ولا ينفع عند

الله أن لم يكن الإيمان حاصل في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال امرأة لوط وامرأة لوط كانت تحت عبدين من عبادنا صالحين أي نبين رسولين عندهما في صحبتها ما لا يوافقها بها إلا ما يوافقها ويصاحبها ويصاحبها ويعاشرانها أشد العشرة والاختلاط فخانتاهما أي في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال تعالى فلم يغنيا عنهما من الله شيئا أي لكفرهما وقيل أي للمرأتين ادخلا النار مع الداخلين وليس المراد بقوله فخانتاهما في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة الحرمات الأنبياء كما قدمنا في سورة النور قال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان ابن قتية سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية فخانتاهما قال ما زلتا أما امرأة لوط فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على اضافه وقال العوفي عن ابن عباس قال

دعوا كل قول عند قول محمد * فما آمن في دينه كخاطر

وهكذا تريب القول فيه شيوخ الاسلام فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه والتأويل هو مذهب معظم المتكلمين ومنهم النسفي في المدارك والبيضاوي في أنوار التنزيل قال الشيخ أحمد بن علي المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة واستطال هؤلاء الخائنون على معشر أهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة وقالوا لهم المستترون بالبلية وقد وضع على وضوحنا أن استطالتهم هذه ليست بشيء وإنما هم مخطئون في مقالهم رواية ودراية وخطئون في طعنهم أئمة الهدى (ويدعون إلى السجود) قال الواحدى قال المفسرون يسجدوا لخلق كلهم لله سجدة واحدة ويبقى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا (فلا يستطيعون) لأن أصلهم تيس فلا تلبس للسجود وقال الربيع ابن انس يكشف عن الغطاء فيقع من كان آمن بالله في الدنيا فيسجدون له ويدعى الآخرون إلى السجود فلا يستطيعون لأنهم لم يكونوا آمنوا بالله في الدنيا والدعاء إلى السجود يكون امتحانا لا إيمانهم لا تكليفنا بالسجود إذ تلك الدار ليست دار تكليف (خاشعة أبصارهم) حال من ضمير يدعون ونسبة الخشوع إلى الابصار وهو الخشوع والذلة لظهور أثره فيها (ترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) شديدة وحسرة وندامة وصغار (وقد كانوا) في الدنيا (يدعون إلى السجود) دعوة تكليف (وهم سالمون) أي معافون عن العلل متمكنون من الفعل فلا يجيبون قال ابراهيم التيمي يدعون بالآذان والاقامة فيأبون وقال سعيد ابن جبير يسمعون حتى على الفلاح فلا يجيبون قال كعب الاحبار والله ما زلت هذه الآية الآتي الذين يتخلفون عن الجماعات وقال ابن عباس هم الكفار يدعون في الدنيا وهم آمنون فالיום يدعون وهم خائفون وعنه قال الرجل يسمع الاذان فلا يجيب الصلاة أخرجه البيهقي في الشعب (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم أي خل بيني وبينه وكل أمره إلى قانأ كفيكم قال الزجاج معناه لا تشغل به قلبي بل كله إلى قانأ كفيكم أمره والثناء لترتيب ما بعدهما من الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية والمراد بالحديث القرآن قاله السدي وقيل يوم القيامة (سنستدرجهم) مستأنفه لبيان كيفية التعذيب لهم المستفاد من قوله فذرني الخ والضمير عائذ إلى من باعتبار معناه والمعنى سنأخذهم بالعذاب على غفلة ونسوقهم

كانت خيانتهم ما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة لوط تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرته إليه الجبارة من قوم نوح به وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحد أخبرته به أهل المدينة ممن يعمل السوء وقال الضحاك عن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط انما كانت خيانتهم ما في الدين وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك وغيرهم وقد استدلل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس من أكل كل مع مغفوره وغفر له وهذا الحديث لأصل له وانما يروى هذا عن بعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم لم في المنام فقال يا رسول الله أنت قلت من أكل مع

مغفوره غفرله قال لا ولكني الآن أقول (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) ومريم ابنة عمران التي أحضنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القاتنين) وهذا مثل ضرب به الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم فقاء قال قتادة كان فرعون أعنى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضرب امرأة كفر زوجها حين أطاعت (٣١) ربها يعلموا أن الله تعالى حكم عدل

لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه وقال ابن جرير ثنا سمعيل بن حفص الأيلي ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرفت عنها أظلمت الملائكة باجنتها وكانت ترى بيتها في الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي عن أسباط بن محمد عن سلمان التيمي به ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا بن علي عن هشام الدستوائي ثنا القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فيقال غلب موسى وهرون فتقول أنت برب موسى وهرون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وان رجعت عن قولها فهي امرأة فلما ألقوها رفعت بصرها إلى السماء فابصرت بيتا في الجنة فضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح فقولها رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قال العلماء اختارت الجار قبل الدار وقد ورد شيء من ذلك في حديث

إليه درجة فدرجة حتى توقعهم فيه (من حيث لا يعلمون) أن ذلك استدراج لانهم يظنونهم انعاما ولا يفكرون في عاقبته وما سيلقون في نهايته قال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ونسيهم الشكر وقال الحسن كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالشئاء عليه وكم من مغرور بالستر عليه والاستدراج ترك المعاجلة وأصله النقل من حال إلى حال ويقال استدراج فلان فلان أي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه إلى كذا واستدرجه يعني أدناه إلى التدرج فتدرج هو ومعنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز أن يسمى الله سبحانه كاذبا وما كرا واستدرجنا ثم كرسبحانه انه يهمل الظالمين فقال (وأملئ لهم) أي أمهلهم ليزدادوا اثما وقدمضى نفسير هذا في سورة الاعراف والطور وأصل الملاوة المدة من الدهر يقال أملئ الله أي أطال له المدة والملا مقصورا الأرض الواسعة سميت به لامتدادها (أن كمدى ميتين) أي قوى شديد فلا يفوتني شيء وسبحانه احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد باعتبار عاقبته ووصفه بالمسألة لقوة أثره في التسبب للهلاك (أم تسألهم أجرا) أعاد سبحانه الكلام إلى ما تقدم من قوله أم لهم شركاء أي أم تلتبس منهم ثوبا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله (فهم من مغرم) المغرم الغرامة أي فهم من غرامة ذلك الاجر (مشقولون) أي ينقل عليهم حمله لشحهم ببذل المال فأعرضوا عن اجابته لهذا السبب والاستغناء للتقريع والتوبيخ لهم والمعنى أنك لم تسألهم ذلك ولم تطلبه منهم (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ عند الجمهور أو كل ما غاب عنهم (فهم) من ذلك الغيب (يكتبون) ما يريدون من الحجج التي يزعمون انها تدل على قولهم ويحاصمونك بما يكتبونه من ذلك ويحكمون لانفسهم بما يريدون ويستغنون بذلك عن الاجابة لك والامثال لما نقوله (فاصبر لحكم ربك) أي لقضائه الذي قد قضاه في سابق علمه وقيل الحكم هنا هو امهالهم وتأخير نصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم لانهم أن أمهلوا لم يمهملوا وقيل هو ما حكم به عليه من تبليغ الرسالة قليل وهذا منسوخ بآية السيف (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني يونس عليه السلام أي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة حتى لا تبلى ببلائه (اذ نادى) أي لا يكن حاله أوقصته كقصته في وقت نداءه ويدل على المحذوف ان الذات لا ينصب عليها النهي وانما ينصب على أحوالها وصناعتها (وهو مكظوم) مملوء

مرفوع ونجني من فرعون وعمله أي خلصني منه فاني أبرأ اليك من عمله ونجني من القوم الظالمين وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضى الله عنها وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن أبي العالية قال كان ايمان امرأة فرعون من قبل ايمان امرأة خازن فرعون وذلك انها جلست تمشط ابنة فرعون فوق وقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبي قالت نعم ربى ورب أبىك ورب كل شيء الله فلطمته بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباهما فأرسل إليها فرعون فقال تعبدين بغيري قالت نعم ربى وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد فعذبهم فرعون وأودعها وأودع شديديها وأرسل عليها الحيات فكانت

كذلك فأتى عليها يوما فقال لها ما أنت منتبهة فقالت له ربي وربك ورب كل شيء الله فقال لها اني ذابح ابني في فيك ان لم تفعلني فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها في فيها وان روح ابنها بشرها فقال لها ابشري يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها في فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها ابشري يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فقال سمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الا كبر ثم الا صغرا فآمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء (٣٢) عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت ايمانا

ويقينا وتصديقا فاطلع الله فرعون على ايمانها فقال للملائكة ما تعلمون من آسية بنت مزاحم فاثنوا عليها فقال لهم انهم اتبعوا غيري فقالوا له اقتلها فاقولت لها اوتادافسديديها ورجلها فادعت آسية ربه فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فوافق ذلك ان حضرها فرعون فضحك حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها انا عند ذهابي وهي تضحك فقبض الله روحها في الجنة رضى الله عنها وقوله تعالى ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها أي حفظته وصاته والا حصان هو العنافة والحريفة ففتحنا فيه من روحنا أي بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعث اليها فتشبه لها في صورة بشر سوى وأمره الله تعالى أن ينجي فيه في جيب درعها فزالت النجفة فوالت في فرجها فكان منه الحل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى ففتحنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه أي بقدره وشرعه وكانت من القاتنين قال الامام أحمد ثنا يونس ثنا

غبطا وكربا وقيل غما قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس قال قتادة ان الله يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمر بالصبر وان لا يجعل كما جعل صاحب الحوت وقد تقدم بيان قصته في سورة الانبياء ويونس والصفات وكان النداء منه بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل ان المكطوم المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقيل هو الحبوس والكظم الحبس ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أي يحبس غضبه قاله ابن حجر والاول أولى والجملة حل من ضمير نادى وعليها يدور انتهى لاعلى النداء لانه امر مستحسن (لولا أن تداركه) أي صاحب الحوت (نعمة من ربه) وهي توفيقه للتوبة فتأب الله عليه قال الضحاك ان النعمة هنا النبوة وقال سعيد بن جبيرة عبادة التي سلفت وقال ابن زبيد هي ندائه بقوله لا اله الا انت وقيل اخر اجسد من بطن الحوت قاله ابن حجر وقيل الرحمة قرأ الجهور تداركه على صيغة الماضي وقرئ بتشديد الدال وهو مضارع أدغمت التاء في الدال والاصل تداركه بناء من وهذه على حكاية الحال الماضية وقرئ تداركته بناء التانيث وهو خلاف المرسوم وتداركه فعل ماض مذ كرجل على معنى النعمة لان تأنيث النعمة غير حقيقي وتداركته على لفظها (لنبت بالعراف) أي لا لتي من بطن الحوت على وجه الارض الخالية من النبات والاشجار والجبال (وهو مذموم) أي يذم ويلام بالذنب الذي أذنبه ويطرده من الرحمة وقيل مذموم مبعد من كل خير وقيل مذنب وقيل معاتب قال الرازي مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب ان كلمة لولا دلالة على ان هذه المذمومة لم تحصل أو المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابراشيات المقربين أو هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى (فاجتبه ربه) أي استخلصه واصطفاه لدعائه وعذره واختاره لنبوته وهذا مبني على انه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وانما نبى بعدها وهو أحد قولين للمفسرين والثاني انه كان نبيا ومعنى اجتبه انه رد عليه الوحي بعد أن كان قد انقطع عنه (لجعل من الصالحين) أي من الكاملين في الصلاح برغمه من الذنب وقيل رد اليه النبوة وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون بسبب ضربه كما تقدم (وان يكاد الذين كفروا ليرلقونك) أي يتخذونك قاله ابن عباس وان هي الخفيفة من الثقيلة قرأ الجهور بضم الميم من أزلته أي أزل رجله يقال أزلته عن موضعه اذا انجاء وقرأ نافع وأهل المدينة بنسخها من زلق عن موضعه

داود بن أبي الفرات عن علماء عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض موضعه أربعة خطوط وقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو ابن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عائشة على النساء كنضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكرنا

طريق هذه الاحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا البداية والنهاية والله الحمد والمثني وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وأسمة بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله نبيات وأبكارا آخر تفسير سورة القهريم والله الحمد والمثني * (تفسير سورة الملك وهي مكية) * قال الامام أحمد حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة عن عياش الجشمي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لاصحابها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك ورواه أهل السنن الاربعة من حديث شعبة به (٣٣) وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخه في

ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري المقرئ الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم لكن في غير الصحيحين وروى عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تنقحه في مذهب أبي عبيد بن حريبه وخلق سواهم ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله التبارك فلما وضع في حفرة اتاه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها انت من كتاب الله وأنا أكره مساءتك واني لأملك لك ولاله ولا لنفسى ضرا ولا نفعا فان أردت هذابه فانطلقى الى الرب تبارك وتعالى فاشفعى له فنطلق الى الرب تبارك وتعالى فتقول يا رب ان فلانا عمد الى أي قصد من بين كتابك فتمنى وتلاني أفحرقه أنت بالنار وتعدبه وانا في جوفه فان كنت فاعلا ذلك به فامحني من كتابك فيقول ألا أراك غضبت فتقول وحق لي ان أغضب

موضعه اذا نتخى وهما سبعين قال الهروي أي يغتالونك بعيونهم فيزلقونك عن مكانك الذي أقامك الله فيه عداوة لك وقرأ ابن عباس وابن مسعود وغيرهما اليه قونك أي يهلكونك وقال الكوفي يلقونك أي يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وكذا قال السدي وسعيد بن جبيرة وقال النضر بن شميل والاختف يفتنونك وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك (بأبصارهم) أي يتطرون اليك نظرا شديد ايكاد أن يصرعك ويسقطك عن مكانك والباء اما للتعدية كاد اخذه على الآلة أي جعلوا أبصارهم كآلة المزلقة لك كما تقول علمت بالقدم واما للسببية أي بسبب عيونهم قال الزجاج في الآية مذهب أهل اللغة والتأويل انهم من شدة بغاضهم وعداوتهم يكادون ينظرونهم نظرا بغضا أن يصرعوك وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل نظرا لي نظرا يكاد يصرعني ونظرا يكاد يأكلني قال ابن قتيبة ليس يريد الله انهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما أراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك كما قال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في مجلس * نظرا يزيل مواطي الاقدام

وقيل أرادوا ان يصيبوه باعين فنظروا اليه قوم من قريش المجربة اصابتهم فعصمه الله وجاه من أعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت هذه الآية وذكر الماوردي أن العين كانت في بني أسد من العرب وفيه دليل على أن العين حق وقد رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ والحديث متفق عليه وأخذ بنظائر الحديث جماهير العلماء وقالوا انه حق وانه ليدخل الرجل القبر والجل القدر وأنكره طوائف من المبتدعة ولا اعتداهم بعد ما ورد في كلام النبوة وصرح قال الحسن رقة العين هذه الآية (لما سمعوا الذكرك) أي وقت سماعهم القرآن لكرهتهم لذلك أشد كراهة ولما ظفروا منصوبة بيزلقونك وقيل هي حرف وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه أي لما سمعوا الذكرك كادوا يزلقونك (ويقولون) حسدا وتفسيره (المنجون) أي ينسبونهم الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فرد الله عليهم بقوله (وما هو الا ذكر للعالمين) لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان أكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا والجملة مستأنفة أو في محل نصب على الحال من فاعل يقولون أي والحال أنه تذكري ويمن الجميع ما يحتاجون اليه أو شرف لهم كما قال سبحانه وانه لذكركم ولقومك

(٥ - فتح البيان عاشر) فيقول اذهبي فقد وهبته لك وشفعت فيك قال فتجبي فتزجر الملك فيخرج خاسف البال لم يخل منه شيء قال فتجبي فتضع فاهها على فيه فتقول مر حبا بهذا القوم فرمى ثلاثي ومر حبا بهذا الصدوق فرمى عاواني ومر حبا بهاتين القدمين فرمى قامتي وتونس في قبره مخافة الوحشة عليه قال فلما حدث بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق صغير ولا كبير ولا حرو ولا عبد الا تعلمها وسمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية قلت وهذا حديث منكر جدا وفرات بن السائب هذا ضعفه الامام أحمد ويحيى بن معين والبخاري وأبو حاتم والدارقطني وغير واحد وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من قوله

مختصر اوروى البيهقى فى كتاب اثبات عذاب القبر عن ابن مسعوده وقوفاهم فوعا ما يشهد هذا وقد كتبناه فى كتاب الجنائز من الاحكام الكبرى ولله الحمد والمثمة وقد روى الطبرانى والحافظ الضياء المقدسى من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة فى القرآن خاصت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة تبارك الذى بيده الملك وقال الترمذى حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك المنكرى عن أبيه عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (٣٤) خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذقوا انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى

صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذ انسان يقرأ سورة الملك تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الممانعة هى المنجية تنجية من عذاب القبر ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفى الباب عن أبى هريرة ثم روى الترمذى أيضا من طريق ليث بن أبى سليم عن أبى الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك وقال ليث عن طاوس يفضل ان كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الاصبهانى حدثنا سالم بن شبيب حدثنا ابراهيم بن الحكم بن ابان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها فى قلب كل انسان من أمى يعنى تبارك الذى بيده الملك هذا حديث غريب وابراهيم ضعيف وقد تقدم مثله فى سورة يس وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد فى مسنده باب من هذا فقال حدثنا ابراهيم بن الحكم عن

وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه مذكرا لعالمين أو شرف لهم

(سورة الحاقة هى احدى أو اثنتان وخسون آية وهى مكية)

قال القرطبي فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ فى الفجر بالحاقة ونحوها أخرجه الطبرانى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) هى القيامة لان الامر يحق فيها وهى تحق فى نفسها من غير شك قاله الطبرى كأنه جعلها من باب ليلة قائم ونهاره صائم فالاسناد مجازى قال الازهرى يقال حاقته خفقتة أحقه غالبته فغلبته أغلبه فالقيامة حاقة لانها تحاق كل محاق فى دين الله بالباطل وتخصم كل مخاصم وقال فى الصحاح حاقه أى خاصمه فى صغار الاشياء ويقال ماله فيها حق ولا حقاق ولا خصومة والتحاق التخاصم والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى قال الواحدى هى القيامة فى قول كل المفسرين وسميت بذلك لانها ذات الحواق من الامور وهى الصادقة الواجبة الصدق وجميع أحكام القيامة صادقة واجبة الوقوع والوجود قال الكسائى والمؤرج الحاقة يوم الحق وقيل سميت بذلك لان كل انسان فيها تحقيق بأن يجزى بعمله وقيل سميت بذلك لانها أحقت لقوم النار وأحقت لقوم الجنة وقال ابن عباس الحاقة من أسماء يوم القيامة وهى مبتدأ وخبرها قوله (ما الحاقة) على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان وخبره الحاقة والجملة خبر للمبتدأ الاول والمعنى أى شئ هى فى حالها أوصفاتها لا تحيط بها العبارة وما يستلزمها من الصفة والحال والمقام للضمير أى ما هى فوضع الظاهر موضعه لتأكيد هولها وزيادة تفضيها وقيل هذه الجملة وان كان لفظها لفظ الاستفهام فعناها التعظيم والتفخيم لشأنها كما تقول زيد ما زيد وقد قدمننا تحقيق هذا المعنى فى سورة الواقعة ثم زاد سبحانه فى تفضييع شأنها وتفضييع أمرها وتحويل حالها فقال (وما أدراك ما الحاقة) أى شئ أعلمك ما هى أى كائنك لست تعلمها اذ لم تعانها وتشهد ما فيها من الاهوال فكأنها خارجة عن دائرة علم الخلقين لا تبلغها ادراية أحد منهم ولا وهمه والنبى صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكيفية وصفها فقبل له ذلك كأنه ليس عالما بما رأى قال يحيى بن سلام بلغنى ان كل شئ فى القرآن وما أدراك فقد أدراه اياه وعلمه صلى الله عليه وسلم وكل شئ قال فيه وما يدريك فانه ما أخبر به وقال

أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل الا اتحدث بحديث تنسح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك سفيان وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخصم يوم القيامة عند رب القارنها وتطلب له أن ينجيهم من عذاب النار وينجي بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها فى قلب كل انسان من أمى (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحياة ليبولكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد رزنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعمت نا لهم عذاب السعير)

يجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل
لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى وهو على كل شيء قدير ثم قال تعالى الذي خلق الموت والحياة واستدل بهذه الآية من قال ان
الموت أمر وجودي لانه مخلوق ومعنى الآية انه أوجد الخلائق من العدم ليسلواهم أي يختبرهم أيهم أحسن عملاً كما قال تعالى
كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً أحيانا ثم قسمي الحال الاول وهو العدم موتاً وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى ثم
يحييكم ثم يميتكم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان (٢٥) حدثنا الوليد حدثنا خليل عن قتادة في قوله

تعالى الذي خلق الموت والحياة
قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله أذل بني آدم
بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار
موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم
دار بقاء ورواه معمر عن قتادة
قوله وقوله تعالى ليسلواكم أيكم
أحسن عملاً أي خير عملاً كما
قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر
عملاً ثم قال تعالى وهو العزيز
الغفور أي هو العزيز الغفور العظيم
المنيع الخناب وهو مع ذلك غفور
لن تاب اليه واناب بعد ما عصاه
وخالف أمره وان كان تعالى عزيزاً
هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح
ويتجاوز ثم قال تعالى الذي خلق
سبع سموات طباقاً أي طبقة بعد
طبقة وهل هن متواصلات بمعنى
انهن علويات بعضها على بعض
أولها فاصلات بينهن خلافة قولان
أصحهما الثاني كما دل على ذلك
حديث الاسراء وغيره وقوله تعالى
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
أي بل هو مصطبب مستو ليس
فيه اختلاف ولا تناقض ولا مخالفة
ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا
قال تعالى فارجع البصر هل ترى

سفيان بن عيينة كل ما في القرآن قال فيه وما أدراك فانه صلى الله عليه وسلم لم أخبر به وكل
شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به ذكره الخطيب وما مبتدأ وخبره أدراك وما الحاققة جملة
من مبتدأ وخبر محلها النصب باسقاط الخافض لان أدري يتعدى الى المفعول الثاني بالباء
كافي قوله ولا أدراك به فلما وقعت جملة الاسمة فتهاهم معلقة له كانت في موضع المفعول
الثاني وبدون الهمزة يتعدى الى مفعول واحد بالباء فتعود ريت بكذا وان كان بمعنى العلم
تعدى الى مفعولين والجملة معطوفة على جملة ما الحاققة (كذبت ثمود عاد بالقارعة)
أي بالقائمة وسميت بذلك لانها تنزع قلوب الناس بشدة أهوالها وتؤثر فيها خوفاً وفزعاً
كثيراً القرع المحسوس فان القرع في اللغة نوع من الضرب وهو اساس جسم لجسم
بعنف وفي المصباح وقرعت الباب من باب تنفع طرقة ونقرت عليه وقال المبرد عنى بالقارعة
القرآن الذي نزل في الدنيا على أنبيائهم وكانوا يخوفونهم بذلك فيكذبونهم وقبل القارعة
ما أخوذة من القرعة لانها ترفع أقواماً وتخط آخرين والاول أولى ويكون وضع ضمير
الحاققة للدلالة على عظيم هولها وقطاعة حالها والجملة مستأنفة لبيان بعض أحوال الحاققة
(فاما ثمود) هم قوم صالح وكانت منازلهم بالجربين الشام والحجاز وقال ابن اسحق هو
وادي القرى والمقصود من ذكره هذه القصص زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم هؤلاء الامم
في المعاصي لئلا يحل بهم ما حل بهم (فأهلكوا بالطاغية) هي الصيحة التي جاوزت
الحد وهي صيحة جبريل وقيل الزجفة أي الزلزلة وقيل هي الفرقة التي عقرت الناقة
فأهلك قوم ثمود بسببهم وقال ابن زيد الطاغية عاقر الناقة أي أهلكوا بما أقدم عليه طاغيته
من عقر الناقة وكان واحداً وانما أهلكوا جميعاً لانهم علموا بفعله ورضوا به وقيل له
طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة وقيل الطاغية مصدر
كالغافية أي بطغيانهم وكفرهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد) هم قوم هود وقد تقدم
بيان هذا وذكروا منازلهم وأين كانت في غير موضع وهي الاحتاف وهو رمل بين عمان
وحضرموت باليمن وقد تقدم ذكر ثمود لان بلادهم أقرب الى قريش وواعظ القريب أكبر
ولان اهلاكم بالصيحة وهي أشبه بصيحة النفخ في الصور (فأهلكوا بريح) أي بالدبور
(صرصر) هي الشديدة البرد مأخوذة من الصر وهو البرد وقيل الشديدة الصوت وقال
بجاءه الشديدة السموم (عاتية) عن الطاعة فكانها عاتت على خزائنها فلم تطعمهم

من فطورأي انظر الى السماء فاما ملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً وخلافاً فطوراً قال ابن عباس ومجاهد والخصالك والثوري
وغيرهم في قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطورأي شقوق وقال السدي هل ترى من فطورأي من خروق وقال ابن عباس
في رواية من فطورأي من وهام وقال قتادة هل ترى من فطورأي هل ترى خلافاً بين آدم وقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين قال قتادة
مرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً قال ابن عباس ذليلاً وقال مجاهد وقاتة صاغراً وهو حسيبر قال ابن عباس يعني وهو كليل وقال
مجاهد وقاتة والسدي الحسيبر المنقطع من الاعيان ومعنى الآية انك لو كررت البصر مهما كررت لا تنقلب أي لرجع اليك البصر

خاسئا اي عن ان يرى عيباً أو خللاً وهو حسي راى كليل وقد انقطع من الاعيام من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً ولم يأتني عنها في خلقها
 النقص بين كمالها وزينتها فقال ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله
 تعالى وجعلنا هارجوما للساطين عاد الضمير في قوله وجعلنا هارجوما على جنس المصابيح لا على عينها لانه لا يرى بالكواكب التي في السماء
 بل بشهب من دونها وقد تكون مستعدة منها والله أعلم وقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير اى جعلنا للساطين هذا الخزي في
 الدنيا واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرى (٣٦) كما قال تعالى في أول الصافات انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب

وحفظاً من كل شيطان مارد
 لا يسمعون الى الملا الاعلى
 ويقذفون من كل جانب دحورا
 ولهم عذاب واصب الا من خطف
 الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب قال
 قتادة انما خلقت هذه النجوم
 لثلاث خصال خلقها الله زينة
 للسماء ورجوما للساطين
 وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها
 غير ذلك فقد قال برأيه واخطأ
 خطبة نصيبه وتكاف ما لا علم له به
 رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (وللذين
 كفروا برهم عذاب جهنم وبئس
 المصير اذا ألقوا فيها سحوا لها
 شهيقا وهي تفور تكاد تميز من
 الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم
 خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد
 جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
 من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير
 وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في
 أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم
 فسحقا لأصحاب السعير يقول
 تعالى واعتدنا للذين كفروا برهم
 عذاب جهنم وبئس المصير اى بئس
 المال والمقلب اذا ألقوا فيها
 سحوا لها شهيقا قال ابن جرير

ولم يقدر واعلى ردها الشدة هبوبها أو عنت على عاد فلم يقدر واعلى ردها بلى أهلكتهم قال
 ابن عباس ما أرسل الله شيئا من ريح الابعكال ولا قطرة من ماء الابعكال الا يوم عاد ويوم
 قوم نوح فأما يوم نوح فان الماء طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأنا لما طغى
 الماء واما يوم عاد فان الريح عنت على خزانه فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأنا برح صرصر
 عاتية وعنته قال عاتية غالبية وعن علي بن أبي طالب نحوه وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما
 عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالبور وعن
 ابن عمر مر فوعا قال مأمر الخزان على عاد الامثل موضع الخاتم من الريح فعتت على
 الخزان فخرجت من نواحي الابواب فذلك قوله برح صرصر عاتية قال عتوها عنت على
 الخزان أخرجه ابن أبي حاتم (سخرها عليهم سبع ليال) أى سلطها كذا قال مقاتل وقيل
 أرسلها وقال الزجاج أقادها عليهم كما شاء والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار وفيه رد على
 من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفي هذا المذهب بقوله سخرها عليهم
 وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وعينته لا باتصال الكواكب ذكره الخازن والجله
 مستأنفة لبيان كيفية اهلاكهم ويجوز أن تكون صفة لريح وان تكون حالاً منها
 لتخصيصها بالصفة أو من الضمير في عاتية (ونمانية أيام حسوما) معطوف على سبع ليال
 واتصاب حسوما على الحال أى ذات حسوم أو على المصدر لفعل مقدر اى تحسومهم
 حسوماً وعلى انه مفعول له أو على انه نعت لسبع ليال الخ ويتضح ذلك بقول الزمخشري
 الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشاهد وشهود أو مصدرا كاشكور والكفور
 فان كان جماعه فمعنى قوله حسوما تخسأت حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة
 هبوب الريح ما خفت ساعة تمثيلاً للتتابع بها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكى على الداء كره
 بعد أخرى حتى ينحسم وان كان مصدراً فاما ان ينصب بقول مضمراً أى تحسومهم حسوماً
 أى تستأصلهم استئصالاً أو يكون مفعولاً أى سخرها عليهم للاستئصال قال الشهاب
 حسوماً أى متتابعات فهو مجاز مرسل من استعمال المقيد وهو الحسوم الذى هو متتابع
 الكى لمطلق المتتابع أو استعارة بتشبيه متابع الريح المستأصله بتتابع الكى القاطع للداء
 انتهى والحسوم المتتابع فاذا تابع الشيء لم ينقطع أوله عن آخره قيل له الحسوم قال الزجاج
 الذى توجه اللغة فى معنى قوله حسوماً أى تحسومهم حسوماً تنفيهم وتذهبهم قال النضر بن

يعنى الصياح وهى تفور قال الثوري تغلى بهم كما يغلى الحى القليل فى الماء الكثير وقوله تعالى تكاد تميز من
 الغيظ أى تكاد تنفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى
 قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير يذكر تعالى عدله فى خلقه وانه لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجة
 عليه وارسال الرسول اليه كما قال تعالى وما كنا معدين حتى نبعث رسولا وقال تعالى حتى اذا جاءوا ففتح أبوابها وقل لهم خزنتها ألم
 يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين

وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وزعموا حيث لا تنفعهم الندم فقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أي لو كانت لنا عقول نذفع بها أو نسمع ما أنزل الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتزاز به ولكن لم يكن لنا فهم أي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الجحتر الطائي قال اخبرني من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم وفي حديث آخر لا يدخل أحد النار (٣٧) الا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة (ان الذين

يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قلوبكم أو اجهروا به انه عليهم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) يقول تعالى مخبرا عما نحن في مخاف مقام ربه فيما بينه وبينه اذا كان غابا عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد الا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي يكفر عنه ذنوبه ويجازي بالثواب الجزيل كما ثابت في الصحيحين سبعة يظلمهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم رجل ادعت امرأته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شئها له ماتتفق عييه وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا طائفة بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحرث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال قالوا يا رسول الله اننا نكون عندك على حال فاذا فارقتك كنا على غيره قال

شمل حسمتهم قطعتمهم وأهلكتمهم وقال الفراء الحسوم الاتباع من حسم الداء وهو الكي لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليه وقال المبرد هو من قولك حسمت الشيء اذا قطعته وفصلته عن غيره وبه قال عبد العزيز بن زرارة الكلبي وقيل الحسوم الاستئصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو وعما يزيد من بلوغ عدوته وقال ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم أحد وروى عنه انه قال حسمت الايام والليالي حتى استوفت الانهادت بطولع الشمس من أول يوم وانقطعت بغروب الشمس من آخر يوم وقال الليث الحسوم هي الشووم أي تحسم الخبير عن أهلها كقولهم في أيام نحسات وقال ابن مسعود حسوما متتابعات وقال ابن عباس تباعا وفي لفظ متتابعات واختلاف في أولها فقيل غداة الاحد وقيل غداة الجمعة وقيل غداة الاربعاء قال وهب وهذه الايام هي التي تسميها العرب أيام العجوز كان فيها برد شديد وريح شديدة وكان أولها يوم الاربعاء وآخرها يوم الاربعاء وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الاخير منه (فترى) الخطاب لكل من يصلح له أو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكلام على سبيل الفرض والتقدير أي انه لو كان حاضر احين فندرك أي (القوم) والضمير في (فيها) يعود الى الليالي والايام وقيل الى مهاب الريح أو الى البيوت والاول أولى وأظهر و (صرعى) جمع صريع يعني موق وهو حال وقوله (كانهم أعجاز نخل خاوية) حال من القوم أو مستأنف أي أصول نخل بلاروس ساقطة أو بالية وقيل خالية لاجوف فيها وقال ابن عباس أعجاز نخل هي أصولها والنخل يذكر ويؤنث ومثله كانهم أعجاز نخل منقعر وقد تقدم نفسه وهو اخبار عن عظم أجسامهم قال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان أبدانهم خلت من أرواحهم مثل النخل الخاوية أو ان الريح كانت تدخل من أفواهم فخرج ما في أجوافهم من الحشوم أديارهم (فهل ترى لهم من باقية) أي من فرقة باقية أو نفس باقية أو من بقية على ان باقية مصدر كالعاقبة والعافية ومن زائدة في المفعول قال ابن جرير أقاموا سبع ليال وثمانية أيام احياء في عذاب الريح فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقته في البحر (وجاء فرعون ومن قبله) قرأ الجمهور بفتح القاف وسكون الباء أي ومن تقدمه من القرون الماضية والام الخالية وقرئ بكسر القاف وفتح الباء أي ومن هو في جهته من اتباعه واختار أبو حاتم وأبو عبيد الثانية لقراءة ابن مسعود وأبي ومن معه ولقراءة أبي

كيف أنتم وربكم قالوا الله ربنا في السر والعلانية قال ليس ذلكم النفاق لم يروه عن ثابت الا الحرث بن عبيد فمنا بعه ثم قال تعالى منها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر وأسروا قلوبكم وأجهروا به انه عليهم بذات الصدور أي بما يخفي في النلوب ألا يعلم من خلق أي ألا يعلم الخالق وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه والاول أولى لقوله وهو اللطيف الخبير ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخير له الارض وتذليله اياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضرب بما جعل فيه امن الجبال وانبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيا فيها من المنافع ومواضع الزرع والثمار فقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها أي

فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا إلا أن يسره الله لكم ولهذا قال تعالى وكلوا من رزقه فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول أنه سمع أبيهم الحبشاني يقول أنه سمع عمر بن الخطاب يقول أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تركوا على الله حق توكلوا لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافا وتروخ بطنانا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث (٣٨) ابن هبيرة وقال الترمذي حسن صحيح فأثبت لها رواها وغدوا والطلب الرزق مع

توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير السبب واليه النشور أي المرجع يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة منا كهنا اطرافها وجانها ونواحيها وقال ابن عباس وقتادة منا كهنا الجبال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكام الأزدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبيرة عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية فامشوا في مناكبها فقال لام ولد له ان علمت مناكبها فأنت عسقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال هي الجبال (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن أنه بكل شيء بصير) وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال تعالى ولو يؤخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهورها

موسى ومن تلقاه (والمؤتفكات) قرأ الجمهور بالجمع وقرى بالافراد واللام للجنس فهي في معنى الجمع وهي قرى قوم لوط وكانت خمسة صنفعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قاله القرطبي وقيل يريد الامم الذين انتفكوا والمعنى وجاءت المؤتفكات أي المنقلبات من انتفك أي انقلب أي التي اقلعها جبريل على جناحه ورفعها إلى أقرب السماء ثم قلبها أي أهلها (بالخاطئة) أي بالفعل الخاطئة أو الخطأ على أنها مصدر أو ذات الخطأ والمراد أنها جاءت بالشرك والمعاصي قال مجاهد بالخطايا وقال الجرجاني بالخطا العظيم (فعصوا رسول ربهم) أي فعصت كل أمة رسولها المرسل إليها قال السكبي هو موسى وقيل لوط لأنه أقرب وقيل ورسول هنا بمعنى رسالة (فأخذهم) الله سبحانه (أخذة رابية) أي نامية زائدة على أخذات الامم كما قاله الزجاج وقال مجاهد شديدة والمعنى أنها بالغة في الشدة إلى الغاية يقال ربا الشيء يربوا إذا زاد وتضاعف ومنه الربا إذا أخذ وزاد في الذهب أو الفضة أكثر مما أعطى (انما طغى الماء) أي تجاوز حده في الارتفاع والعلو وزاد على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا وذلك في زمن نوح لما أصر قومه على الكفر وكذبوه وقيل طغى على خزانة من الملائكة غضب الرب به فلم يقدروا على حبسه قاله علي قال قتادة زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا قال ابن عباس طغى على خزانة فنزل ولم ينزل من السماء ماء إلا بمكيال أو ميزان الا من نوح فانه طغى فنزل بغير كيل ولا وزن (جئناكم في الجارية) أي في أصلاب آبائكم أو جملناهم وجئناكم في أصلابهم تغلبا للمخاطبين على الغائبين والجارية سفينة نوح وسميت جارية لأنها تجري في الماء وهو أول من صنع السفن وكان يعلمه جبريل صنعتها فاتخذها على هيئة صدر الطائر ليكون ما يجري في الماء مقار بالما يجري في الهواء ومحمل في الجارية النصب على الحال أي رفعناكم فوق الماء حال كونكم في السفينة ولما كان المقصود من ذكر قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول قال (لتجعلها) أي هذه الامور المذكورة (لكم) بأمة محمد صلى الله عليه وسلم (تذكرة) أي عبرة وموعظة تستدلون بها على عظم قدرة الله سبحانه وبديع صنعته أو لتجعل هذه الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة وهذه السفينة حتى أدرکها أوائل هذه الامة قال ابن جريج كانت ألواحها على الجودي والمعنى أبقيت لكم تلك

من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيرا وقال ههنا أم أمنتم من في السماء الخشب أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أي تذهب وتجي وتضطرب أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي ريحا فيها حاصبا تدمغكم كما قال تعالى أم أمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا اليكم وكيلا وهكذا توعدهم ههنا بقوله فستعلمون كيف نذير أي كيف يكون اندازي وعاقبة من تخلف عنه وكذب به ثم قال تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم أي من الامم السالفة والقرن الخالصة فكيف كان نكير أي فكيف كان انكارى عليهم ومعاقبتهم لهم أي عظيم أشد الأليما ثم قال تعالى أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن أي تارة يصفون أجنحتهم في الهواء وتارة تجتمع جناحوا وتنشر جناحا ما يمسكهن أي في الجلو

الا لرجن أي بما ضجر لهم من الهوا من رجنه واطفه انه بكل شيء بصير أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كتوبه تعالى ألم يروا إلى الطير مسخرات في جوار السماء ما يسكنهن إلا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (أتمن هذا الذي هو جند لكم نصركم من دون الرجن ان الكافرون الا في غرور أتمن هذا الذي يرزقكم ان أتمسك رزقه بل لجوا في عتوه ونفورا فن عشي مكابلي وجهه أهدي أتمن عشي سوياعلي صراط مستقيم قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والاذن فقل لا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (٣٩) قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين فلما رأوه

زلفه سمعت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون يقول تعالى للمشركون الذين عبدوا معه غيرهم يتبعون عندهم نصرا ورزقا منكرا عليهم فيما اعتقدوه ومحبرا لهم انه لا يحصل لهم ما ملوه فقال تعالى أتمن هذا الذي هو جند لكم نصركم من دون الرجن أي ليس لكم من دون من ولي ولا واثق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى ان الكافرون الا في غرور ثم قال تعالى أتمن هذا الذي يرزقكم ان أتمسك رزقه أي من هذا الذي اذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده أي لا أحد يعطي وينع ويخلق ويرزق وينصر الا الله عز وجل وحده لا شريك له أي وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى بل لجوا أي استعروا في طغيانهم وانهم وضلا لهم في عتو ونفورا أي في معاندة واستكبار ونفورا على اديارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه ثم قال تعالى أفن عشي مكابلي وجهه أهدي أتمن عشي سوياعلي صراط مستقيم وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله

الخشب حتى تذكر (وتعيا أذن واعية) أي تحفظها بعد سماعها أذن حافظة لما سمعت قال الزجاج يقال أوعيت كذا أي حفظته في نفسي أعياه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كما جعني وأوعيت المتاع في الوعاء ويقال لكل ما وعيته في غير نفسك أوعيته بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير ألف قال قتادة في تفسير هذه الآية أذن سمعت وعقلت ما سمعت قال القراء المعنى التحفظها كل أذن عظة لمن يأتي بعد وتعيها بكسر العين باذناق القراء السبعة وقرئ بأسكانها تشبيها لهذه الكلمة برحم وشهدوان لم تكن من ذلك وجعل الأذن حافظة ومستعنة ومتمدكرة ومتفكرة وعاملة تجوز لان الفاعل لذلك صاحبها ولا ينسب اليها غير السمع وانما أتى به مشاكلة لقوله واعية عن علي في الآية قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي فقال علي ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فأنسيته أخرجه سعيد بن منصور وأبو نعيم وغيرهما قال ابن كثير وهو حديث مرسل وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ان الله أمرني أن أذكركم ولا أقصركم وان أعلمكم وان نعي وحق لك أن نعي فنزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية فأتت أذن واعية لعلي أخرجه ابن جرير وغيره قال ابن كثير ولا يصح وعن ابن عمر قال أذن عقلت عن الله ولما ذكر الله سبحانه القيامة وهو لأمرا بالاتباع بالحقاقة وغيره اشرع في تفاصيل أحوالها وبدا يذكر مقدمتها فقال (فإذا انفخ في الصور نفخة واحدة) قال عطاء مريد النفخة الاولى وبه قال القاضي كالكشاف أي التي عندها خراب العالم وقال الكلبي ومقاتل يريد النفخة الاخيرة ولم يثبت الفعل وهو نفخ لان التأنيث مجازي وحسنه الفصل قرأ الجمهور بالرفع فيه ما على ان نفخة مرتفعة على النيابة وواحدة تأكيدها وقرئ نصبها ما على أن النائب هو الجار والمجرور قال الزجاج قوله في الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله (وجلت الارض والجبال) أي رفعت من أماكنها وقلعت عن مقارها بجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة أو بالريح العاصفة أو الملائكة وهذا الرفع بعد خروج الناس من قبورهم قرأ الجمهور بالتخفيف وقرئ بتشديد الميم للتكثير وللتعدي (فد كاذ واحدة) أي فكسرتا كسرة واحدة لازيادة عليها أو ضربتا ضربة واحدة بعضهم ما يعض حتى صارتا كنيبامهيا وهاهنا منبش فلم يميز شيء من أجزائها عن الآخر وقيل بسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صنفصفا لا ترى فيها جوعا ولا أمانا من

فيما هو فيه كمثل من عشي مكابلي وجهه أي عشي مخنعا لا مستويا على وجهه أي لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهذا أهدي أتمن عشي سوياعلي صراط مستقيم أي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة فالؤمن يحشر عشي سوياعلي صراط مستقيم مقص به الى الجنة الفصحاء واما الكافر فانه يحشر عشي على وجهه الى نار جهنم احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم الآيات أزواجهم أشباههم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن غير حدثنا سمعنا عن نفيح قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم فقال الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يحشهم على وجوههم وهذا الحديث

مخرج في الصحيحين من طريق (١)

وقوله تعالى قل هو الذي أنشأكم أي ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة أي العقول والادراك قلبا لا ما تشكرون أي فإنا نسئتم عملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتناله وأمره وتركه وأجره قل هو الذي ذرأكم في الأرض أي بشكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائهم مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم حلالكم وأشكالكم وصوركم واليه تحشرون أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات بمجدكم كما فرككم وبعيدكم كما بدأكم ثم قال تعالى (٤٠) خبر عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه ويقولون متى هذا الوعد

ان كنتم صادقين أي متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق قل انما العلم عند الله أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين الا الله عز وجل لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فأحذروا وانما أنا نذير مبين أي وانما على البلاغ وقد أذيتكم اليكم قال الله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا أي لما قامت القيامة وشاهدوها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريبا لان كل ما هو آت وان طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساء لهم ذلك لما يعلموا ما لهم هناك من الشراي فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب وبداههم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزون وله هذا يقال لهم على وجهه التقرير والتوبيخ هذا الذي كنتم به تدعون أي تستعجلون (قل أرايتم ان اهلكني الله ومن معي اورجنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن آمنا به وعلميه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل أرايتم ان أصبح

قولهم ان ذلك سناء البعير اذ تفرش على ظهره وبعير أدك وناقدة كاهوه منه الدكان وهذه الدكة كالزلة قال أبي بن كعب في الآية تصيران غيرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين وذلك قوله وجوه يومئذ عليها غيرة ترهقها فترة قال الفراء ولم يقل فدك كن لانه جعل الجبال كلها كالجمل الواحد قوله تعالى أن السموات والأرض كانتا رتقا ففلقناهما (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت (١) القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية أي انشقت جنسها وانصدعت وتفتتت بنزول ما فيها من الملائكة فهي في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية ساقطة القوة من هول ذلك اليوم بعدما كانت محكمة قال الزجاج يقال لكل ما ضعف جدا قد وهى فهو واه وقال الفراء وهى انشقتها وقال ابن عباس واهية متخرقة أي متساقطة خفيفة لا تتماسك كالعهن المنقوش (والملك على أرجائها) أي جنس الملك واقفون على أطرافها وجوانبها التي لم تسقط وهؤلاء من جله المستثنى بقوله الامن شاء الله وقال القاضي اهل هلاك الملائكة اثر ذلك وقيل يحيمون بالنفخة الثانية ويقفون على أرجائها الباقية وهي جمع رجي مقصور وثنيته رجوان مثل قفي وقفوان والمعنى انهم لما انشقت السماء وهي مساكنتهم لحوا إلى أطرافها قال الفصالح اذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فانشقت وتكون الملائكة على حافات حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض ويحيطون بها ومن عليها وقال سعيد بن جبيرة المعنى والملك على حافات الدنيا أي ينزلون إلى الأرض وقيل اذا صارت السماء قطعا ينف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشقة في أنفسهم وقال ابن عباس على حافات أعلى ما يلي منها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي فوق رؤسهم (يومئذ) أي يوم القيامة (غاية) أي غائية أملاك وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله عز وجل قاله ابن عباس وقيل غائية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة قاله الكلبي وغيره وقال ابن عباس أيضا غائية أملاك على صورة الاوعال رؤسهم عند العرش في السماء السابعة وأقدامهم في الأرض السفلى ولهم قرون كثرون الوعدة ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام واليوم تحمله اربعة وعن ابن مسعود قال ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وأرض خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله على

ماؤكم غورا فمن يأتيكم بما معين) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه أرايتم ان اهلكني الله العرش ومن معي اورجنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي خلصوا أنفسكم فانه لا منقذ لكم من الله الا بالتوبة والانابة الرجوع إلى دينه ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لتأمن المذاب والنكال فسواء عذبنا الله اورجنا فلا مناص ليكم من نكاله وعذابه الا إلى الله الواقع بكم ثم قال تعالى قل هو الرحمن آمنا به وعلميه توكلنا أي آمننا برب العالمين الرحمن الرحيم وعلميه توكلنا في جميع أمورنا قال تعالى (١) أشار المؤلف دام مجده بهذا إلى أن قوله وقعت الواقعة كقولك قام القائم في عدم الافادة فلا بد من تأويله ويدون تأويله أن الواقعة صارت علما بالعلية على القيامة فلم يلاحظ فيها معنى الاشتقاق سيد ذو الفقار أحمد

فأعبدوه وكل عليه ولهذا قال تعالى انظار الرحمة في خلقه فستعلمون من هو في ضلال مبين أي منا ومنكم وإن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى قل أرايتم أن أصبح ماؤكم غورا أي ذاهبا في الأرض إلى أسفل فلا ينال بالقوس الحداد ولا السواعد الشداد والغير عكس النابح ولهذا قال تعالى فن يأتكم بماء معين أي نابح سائح جار على وجه الأرض أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فن فضله وكرمه أن أنبغ لكم المياه واجراها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة فله الحمد والمنة آخر تفسير سورة الملك والله الحمد * (تفسير سورة وهي مكية) * (٤١) * (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم فستبصرو ويصرون بأيكم الفتون إن ربك هو أعلم بن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وإن قوله ن كقوله ص ق ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور وتحرير القول في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا وقيل المراد بقوله ن حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثوري حدثنا سليمان هو الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وماذا أكتب قال اكتب القدر بخبري بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فادت الأرض فأنبتت بالخيال فأنهم التفخر على الأرض وكذا رواه

العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة (يومئذ تعرضون) أي تعرض العباد على الله لحسابهم ومثله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالما به وإنما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالأعمال عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان بخدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ شماله أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم وأخرج ابن جرير والبيهقي في البعث عن ابن مسعود نحوه ووجهه (لا تخفي منكم خافية) في محل نصب على الحال من ضمير تعرضون أي تعرضون حال كونكم لا تخفي على الله سبحانه من ذواتكم أو أقوالكم وأفعالكم وسرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا خافية كاشفة ما كانت والتقدير أي نفس خافية أو فعلة خافية قري بالتمام والياء وهما سبع عتات ولما ذكر سبحانه العرض ذكر تفصيل ما يكون فيه فقال (فأما من أوفى كآبه بيمينه) أي أعطى كتابه الذي كتبه الخنطة عليه من أعماله (فيقول) خطا بالجماعة لما سر به أولا له واقربائه (هاؤم اقرؤا كتابه) قال ابن السكيت والكسائي العرب تقول ها يا رجلا وللأثنين هاؤما يا رجلا وللجمع هاؤم يا رجلا قيل والاصل هاؤم فأبدلت الهمزة من الكاف قال ابن زيد ومعنى هاؤم تعالوا وقال مقاتل هلم وقيل خذوا والذي صرح به النحاة أنهم بمعنى خذتقول ها بمعنى خذوها وما بمعنى خذوها وهاؤم بمعنى خذوا وهي اسم فعل وقد يكون فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها وفيها ثلاث لغات كما هو معروف في علم الأعراب والهام في كتابه وحسابه وسلطانيته وماليه هي ها السكت وقرأ الجمهور في هذه بابات الهاء ووقفا وصلامطابقة لرسم المحذف ولولا ذلك لحذفت في الوصل كما هو شأن هاء السكت واختار أبو عبيد أن يتعمد الوقف عليها بالوافق للغة في الحاق الهاء في السكت ويوافق الخط يعني خط المحذف وقرأ جماعة بحذفها وصلها وابتاتها ووقفا في جميع هذه الألفاظ واختار أبو حاتم هذه تاءا للغة وقرئ بحذفها وصلها ووقفا تنازع في كتابه هاؤم وقرؤا فاعمل الأول عند الكوفيين والناسي عند البصريين وأضمر في الآخر أي هاؤموه قرؤوا كتابه أو هاؤم اقرؤوه كتابه (أني ظننت أني ملاق حسابيه) أي علمت وأيقنت في

(٦ - فتح البيان عاشر) ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية عن الأعمش به وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع عن الأعمش به وزاد شعبة في روايته ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون وقد رواه شريك عن الأعمش عن أبي ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ورواه معمر عن الأعمش أن ابن عباس قال فذكره ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون ثم قال ابن جرير حدثنا ابن جهمد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال إن أول شيء خلقني عز وجل القلم ثم قال لا كتب فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه وقد روى الطبراني ذلك مرفوعا قال حدثنا أبو حبيب

زيد بن المهدي المروزي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا جاد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي
 الفخري مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما خلق الله القلم والحوت قال ما أكتب قال كل شيء
 كائن الى يوم القيامة ثم قرآن والقلم وما يسطرون فالتون الحوت والقلم والقلم (حديث آخر) في ذلك رواه ابن عساكر عن أبي عبد الله
 مولى بن أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي
 الدواة ثم قال له اكتب قال وما أكتب (٤٢) قال اكتب ما يكون أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أثر أو أجل فكتب ذلك الى يوم

القيامة فذلك قوله ن والقلم وما
 يسطرون ثم ختم على القلم فلم يتكلم الى
 يوم القيامة ثم خلق العقل وقال وعزني
 لا اكلمك فيمن أحببت ولا تنصك من
 أبغضت وقال ابن أبي شيحة ان ابراهيم
 ابن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال
 كان يقال النون الحوت الذي تحت
 الارض السابعة وقد ذكر البغوي
 وجاعة من المفسرين ان على ظهر
 هذا الحوت صخرة يمكنها كغلاظ
 السموات والارض وعلى ظهرها
 ثور له أربعون ألف قرن وعلى
 متنه الارضون السبع وما فيهن
 وما بينهما والله أعلم ومن العجيب
 ان بعضهم جعل على هذا المعنى
 الحديث الذي رواه الامام أحمد
 حدثنا اسمعيل حدثنا جاد عن
 أنس ان عبد الله بن سلام بلغه
 مقدم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء
 قال اني سألتك عن أشياء لا يعلمها
 الانبي قال ما أول اشراط الساعة
 وما أول طعام يأكله اهل الجنة
 وما بال الولد ينزع الى أبيه والولد
 ينزع الى أمه قال أخبرني بهن
 جبريل أنفا قال ابن سلام فذلك
 عدو اليهود من الملائكة قال ما أول

الدنيا اني أحاسب في الآخرة وقيل المعنى اني ظننت أن يؤخذني الله بسبب ما في فقد تفضل
 علي بعفو ولم يؤخذني قال الضحاك كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين ومن
 الكافر فهو شك قال مجاهد ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك قال الحسن في هذه
 الآية ان المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل للآخرة وان الكافر أساء الظن بربه
 فأساء العمل قيل والتعبير بالظن هنا للاشعار بأنه لا يقدر في الاعتقاد ما يحس في
 النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالباً قال ابن عباس ظننت أي
 أيقنت قال النسفي وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في
 العبادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخيل لوعن الوسواس والخواطر وهي
 تنفض الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (فهو في عيشة راضية) أي
 مرضية لا مكرهه أو ذات رضاي رضي بها صاحبها لا يضجر منها ولا يعلمها ولا يسأمها قال
 أبو عبيدة والفرار راضية أي مرضية كقوله ماء دافق أي مدفوق فقد أسند الى العيشة
 مأهولة صاحبها فكان ذلك من الجازي في الاسناد والعرب لا تعبر عن أكثر السعادات بأكثر
 من العيشة الراضية والمعتبر في كمال اللذة الرضا وقيل المعنى أنه لو كان للعيشة عقل
 لرضيت لنفسها بما جالتها (في جنة عالية) أي مرتفعة المكان لانها في السماء السابعة
 أو مرتفعة المنازل والمباني أو عظيمة في النفوس وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية)
 القطوف جمع قطف بكسر القاف ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح مصدر والقطاف
 بالفتح والكسر وقت القطف والمعنى أن غمارها قريبة من يتناولها من قائم أو قاعد أو
 مضطجع أو متكى عن البراء بن عازب دانية قريبة يتناول الرجل من فواكهها وهو قائم
 (كلوا واشربوا) أي يقال لهم كلوا واشربوا في الجنة وجع الضمير مرعاة للمعنى وهذا
 أمر امتنان لأمر تكليف (ههنا) أي أكل أطيبها لذتها وشربا هنيئاً شامها بالانكسار
 فيه ولا تنغيص (بما أسلفتم في الأيام الخالية) أي بسبب ما قدمتم من الاعمال الصالحة في
 الدنيا وقال مجاهد هي أيام الصيام (وأما من أوفى كتابه بشماله) قيل تكون يده اليسرى
 خلف ظهره ثم يعطى كتابه أو قيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره (فيقول)
 حزننا وكر بالمارأى فيه من سيئاته وسوء عاقبته التي كشفها عنها الغطاء (باليتمنى لم أوت)
 أي لم أعط (كتابيه) لما يرى فيه من الفضائل (ولم أدر ما حسابه) أي لم أدر أرى شيء

اشراط الساعة فنارت شميرهم من المشرق الى المغرب واول طعام يأكله اهل الجنة زيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق حسابي
 ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع ورواه البخاري من طرق عن حميد ورواه مسلم ايضا وله من حديث
 ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسماء الرجي عن ثوبان ان حبراً سأله رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عن مسائل فكان منها ان قال فانتحنتهم يعني اهل الجنة حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فاعذوا لهم على
 اثرها قال ينجر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال فاشترابهم عليه قال من عين فيها سمى سلسيلاً وقيل المراد بقوله

لوح من نور قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزري عن فرات بن ابى الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن والقلم وما يسطرون لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن الى يوم القيامة وهذا مرسل غريب وقال ابن جرير اخبرني ان ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله ن دواة والقلم القلم قال ابن جرير حدثنا عبد الاعلى حدثنا ابو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله ن قالوا هي الدواة وقد روى في هذا حديث مرفوع غريب جدا فقال ابن ابي حاتم حدثنا ابى حدثنا هشام بن خالد حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا (٤٣) أبو عبد الله مولى بنى امية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول خلق الله النون وهي الدواة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أنس بن عيسى بن عبد الله حدثنا ثابت اليماني عن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة من عمل معمول به أو خور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم ازم كل شئ من ذلك من شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها ثم خروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظه وللكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فنى الرزق وانقطع الاثر وانقضى الاجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شأنا فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألسنهم قوم ما عرفناهم نحن الحفظة يقولون انا كنا ننسخ ما كنتم تعملون وهل يكون الاستنساخ الا من أصل وقوله

حسابي لان كله عليه والاستفهام للتعظيم والتهويل أى بل استقرت جاهلا كذلك كما كنت في الدنيا (باليتمها) أى ليت الموتة التي متها (كانت القاضية) ولم أحي بعد ما ومعنى القاضية الفاطمة للحياة والمعنى انتم حتى دوام الموت وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير اليه من العذاب فالضمير في ليتها يعود الى الموتة التي قد كان متها وان لم تكن مذكورة لانها الظهورها كانت كالمذكورة قال قتادة تمضى الموت ولم يكن في الدنيا شئ عندهم كره من الموت وشرب من الموت ما يطلب منه الموت وقبل الضمير يعود الى الحالة التي شاهدنا عند مطالعة الكتاب والمعنى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت على لانه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مماذاق من مرارة الموت (ما أغنى عنى ماله) أى لم يدفع عنى من عذاب الله شأنا على أن ما نافية أو استفهامية والمعنى أى شئ أغنى عنى مالى الذى منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله وصنيع الخطيب يقتضى أن مالى كلمة واحدة بمعنى المال وفى أبى السعود ما كان لى من اليسار (هلك عنى سلطانيه) أى هلكت وضلت ونجابت عنى حتى كذا قال مجاهد دعوكم مرة والسدى والنخلك وقال ابن زيد يعنى سلطاني الذى في الدنيا وهو الملك لم جد له الا أن نفعا وبقيت حقيرة اذ لا وقيل تسلط على جوارحى قال مقاتل يعنى حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وحديث يقول الله عز وجل (خذوه فغلوه) أى اجعوا يده الى عنقه بالاغلال والخطاب لخزنة جهنم أى زبانيته وسيأتى في سورة المدثر أن عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صفحا حكى الثلاثة الرازى (ثم الجحيم صلوه) أى ادخلوهما الجحيم والمعنى لا تصلوهما الجحيم وهي النار العظيمة والترتيب بهم في الزمان فان ادخله النار بعد غلوه وكذلك ادخله في السلسلة كما يأتى بعد ادخاله النار والتراخي المقادير الملتفات في الرتب فكل واحد من المعطوفين بها أشد في العذاب وأعلى مما قبله وفي الخطيب صلوه أى بالغوا في تصليته اياها وكررها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد مرة لانه كان يتعاطم على الناس فناسب أن يصلى أعظم النيران (ثم في سلسله) عظيمة جدا والسلسلة حلقة منتظمة كل حلقة منها في حلقة (ذرهما) أى طولها (سبعون ذراعا) قال الحسن الله أعلم بأى ذراع هو وقيل بذراع الملك قال نوف الشامي كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بينك وبين مكة وكان نوف في رحبة الكوفة قال مقاتل لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب

تعالى والقلم الظاهر انه جنس القلم الذى يكتب به كقوله اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهو قسم منه تعالى وتبيينه لخلق على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التى بها تنال العلوم ولهذا قال وما يسطرون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعنى وما يكتبون وقال أبو الضحى عن ابن عباس وما يسطرون أى وما يعلمون وقال السدى وما يسطرون يعنى الملائكة وما تكتب من اعمال العباد وقال آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذى أجراه الله بالقدرة حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارضين بخمسين ألف عام وأوردوا في ذلك الاحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن

سعيد القطان ويونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي عن عطاء هو ابن أبي رباح حدثني الوليد بن عباد بن الصامت قال دعاني أبي حين حضره الموت فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال اكتب يا رب وما اكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى الابد وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد من طرق عن الوليد بن عباد عن أبيه به وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال حسن صحيح غريب ورواه أبو داود في كتاب السنن من سننه عن جعفر بن مسافر (٤٤) عن يحيى بن حسان عن أبي رباح عن ابراهيم بن أبي عبله عن أبي حفصة

اسمه حنيس بن شريح الحبشي الشامي عن عباد بن ذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي حدثنا علي بن الحسن ابن شقيق أن أبا عبد الله بن المبارك حدثنا رباح بن زيد عن عمرو بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد والقلم يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى وما يسطرون أي يكتبون كما تقدم وقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون أي أنت والله الحمد بمجنون كما يقوله الجاهل من قومك والمكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوا إليه إلى الجنون وان لك لاجر غير ممنون أي بل ان لك لاجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على ابلاغ رسالة ربك الى الخلق وصبرك على أذاهم ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع كقوله

الرصاص وقال ابن جرير لا يعرف قدرها الا الله وهذا العدد حقيقة أو بمبالغة ومعنى (فأسلكوه) فاجعلوا فيه بحيث يكون كأنه السلك أي الحبيل الذي يدخل في ثقب الخرزات بعسر اضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه أو بجمع يدنه بأن تلف عليه يقال سلكته الطريق اذا دخلته فيه ولم تمنع الغمام من تعلق الفعل أي الداخلة عليه بالظرف المتقيد وهو في سلسلة وتقدمها كتقديم الخيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذبون به وثم تفاوت ما بينها في الشدة للدلالة على تراخي المدة قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه قال الكلبى تسلك الخيط في اللؤلؤ وقال سويد بن أبي نجيح بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة قال ابن عباس السلسلة تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود ثم يشوى وجملة (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل لما قبلها على طريق الاستئناف وذكر العظيم للاشعار بأنه هو المسمى للعظمة فمن لا يعظمه فقد استوجب ذلك (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يبحث ولا يحرض نفسه على اطعامه من ماله أو لا يبحث الغير على اطعامه ووضع الطعام موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء والاضافة للمنفعة ولأنه يجوز أن يكون في الكلام حذف المضاف أي على بذل طعام المسكين والاضافة له لكونه مستحقه وآخذة فهي لادنى ملازمة فالحض البعث والحث على الفعل والحرض على وقوعه ومنه حروف التخصيص المبوب له في النحولانه يطلب به وقوع الفعل واليجادد وفيه إشارة الى أنه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون على المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم وفي جعل هذا قرينة التمسك بالدين من الترغيب في التصديق على المساكين وسد فافتهم وحث النفس والناس على ذلك ما يدل أبلغ دلالة ويبيد كمال فائدة على أن منهم من أعظم الجرائم وأشدها ما ثم وعن أبي الدرداء قال ان الله سلسلة لم تزل تغلي منها امر اجل النار منذ خلق الله جهنم الى يوم تلتقي في أعناق الناس وقد نجحنا الله من نصه فها يا عباد الله العظيم خفضي على طعام المسكين يا أم الدرداء أخرجه أبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وقال الحسن أدركت أقواما يعزمون على أهلهم أن لا يردوا سائلا وكان بعضهم يأمر أهله بكثير المرقاة لاجل

عطاء غير مجدوذ فلهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع عنهم وقال مجاهد غير ممنون أي غير محسوب وهو يرجع الى ما قلناه وقوله تعالى وانك اعلى خلق عظيم قال العوفي عن ابن عباس وانك اعلى دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدّي والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد وقال عطية على أدب عظيم وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن يقول سعيد كما هو في القرآن وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله وانك اعلى خلق عظيم ذكرنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألسنت

تقرأ القرآن قال بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة ابن أبي أوفى عن سعيد بن هشام قال سألت عائشة فقالت أخبريني بأمر المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أقرأ القرآن فقالت نعم فقالت كان خلقه القرآن هذا مختصر من حديث طويل وقدرناه الامام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة المزمل ان شاء الله تعالى وبه الثقة وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا يونس عن الحسن قال سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن (٤٥) وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا

شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما تقرأ القرآن وانك لعلى خلق عظيم قال قلت حدثيني عن ذلك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجاري اذهبي فان جاءت هي بالطعام فوضعتة قبل فاطمى قالت فأتيت فأتيت بالطعام قالت فألقيت الجارية فوقع القصة فانكسرت وكان نطع قالت فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقتصوا أواقصى شك أسود نظرا مكان طرفك قالت فما قال شيئا وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبي اياس حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن سعيد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت لها أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ وانك لعلى خلق عظيم وقدروى أبو داود

المساكين ويقول خلعتنا نصف السلسلة بالايمن أفلا نخلع النصف الثاني بالطعام وقيل لعمل وجه التخصيص لهذين الأمرين بالذكرا أن أقيج العقائد الكثر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا) أي يوم القيامة في الآخرة (حجيم) أي قريب ينفعه أو يشفع له ويحرق له قلبه لانه يوم يفتر فيه القريب من قريبه ويهرب عنه الحبيب من حبيبه (ولا طعام الا من غسلين) أي وليس له طعام يأكله الا من صديأهل النار وما يغسل من أبدانهم من القيح والصد يد وغسلين فعيلين من الغسل أو الغسالة فنونه وبأوه زائدتان قال أهل اللغة هو ما يجرى من الجراح اذا ما غسلت وقال الضحاك والربيع بن أنس هو شجريا كاهل النار وقال قتادة هو شر الطعام وقال ابن زيد لا يعلم ما هو ولا الرقوم الا الله تعالى وعن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء والصد يد الذي يسيل من لحومهم وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن دلو من غسلين يهرق في الدنيا لانت أهل الدنيا أخرجه الحاكم وصححه وعن ابن عباس أيضا قال الغسلين اسم طعام من أطعمه أهل النار وقال سبحانه في موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع فيجوز أن يكون الضريع هو الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى فليس له اليوم ههنا حجيم الا من غسلين على ان الحجيم هو الماء الحار ولا طعام أي ليس لهم طعام يأكلونه قاله أبو البقاء ولا لمجي لهذا التقديم والتأخير والتوفيق بين ما هنا وبين قوله في محل آخر الا من ضريع وفي موضع آخر ان شجرت الرقوم طعام الاثيم وفي موضع آخر ما يأكلون في بطونهم الا النار انه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك وأن العذاب أنواع والمعدن طبقات فثم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الرقوم ومنهم أكلة النار لكل باب منهم جزء مقسوم (لا يأكله الا الخاطئون) المراد بهم أصحاب الخطايا وأرباب الذنوب قال الكلبى المراد أهل الشرك قرأ الجمهور الخاطئون هم موزاوه واسم فاعل من خطئ يخطئ من باب علم اذا فعل غير الصواب متع مدوا الخطئ من يفعله غير متعمد وقرئ الخاطيئون بالياء المضمومة بدل الهمزة وقرئ بالطاء المضمومة بدون همزة (فلا أقسم بما تبصرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها قال قتادة أقسم بالاشياء كلها ما يصر منها وما لا يصر فيدخل في هذا جميع المخلوقات والاقسام بغير الله اعلمني عنه في حقنا وأما هو تعالى فيقسم بما

والنساني من حديث الحسن نحوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا بن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير ابن نسير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهادي ورواه النسائي في التفسير عن اسحق بن منصور عن عبد الرحمن ابن مهادي عن معاوية بن صالح به ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام صار امثال القرآن أمر او نهيا بحجة له وخلقنا طبعه وترك طبعه الحلي فهم أمره القرآن ففعله ومهماتها عنه تركه هذا مع ما جيله الله عليه من الخلق العظيم من الحناء والكرم والشجاعة

والصفح والخلم وكل خلق جبيل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي شيء فعلته لم فعلته ولا شيء لم أفعله إلا فعلته وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ولا لمست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شمت مسكولا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال البخاري حدثنا اسحق بن منصور حدثنا ابراهيم بن يونس عن أبيه عن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهها (٤٦) وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير والاحاديث في هذا كثيرة ولا ي

عيسى الترمذي في هذا كتاب السمايل وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماله قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط الا أن يجاهدني سبيل الله ولا خير بين شيئين قط الا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى لا يكون انما فاذا كان انما كان أبعد الناس من الاثم ولا اتقم لنفسه من شيء يؤتى اليه حتى تنتهك حرمة الله فيكون هو يتقم لله عز وجل وقال الامام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق تفرد به وقوله تعالى فتبصر ويبصرون بأيكم المفتون أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منذ ومنهم وهذه كقوله

شاء على ما شاء وهـ ذاردا لكلام المشركين كأنه قال ليس الامر كما تقولون ولا زائدة والتقدير فأقدم بما تشاهدونه وما لا تشاهدونه وقيل ان لا يست بزائدة بل هي أصلية لنفي القسم أي لا احتاج الى قسم لوضوح الحق في ذلك والاقول أولى وقال البيضاوي فلا أقسم لظهور الامر واسـ تغناؤه عن التحقيق بالقسم أو فلاردلانكارهم البعث وأقسم مستأنف قال الكرخي واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر فيرده تعيين المقسم به بقوله بما تبصرون الخ اهـ (انه لقول رسول كريم) أي ان القرآن لتلاوة رسول كريم على الله فهو في غاية الكرم الذي هو ابعده عن مساوى الاخلاق على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو انه لقول يبلغه رسول كريم قال الحسن والكبي ومقاتل يريد به جبريل دليله قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين وعلى كل حال فالقرآن ليس من قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا من قول جبريل عليه السلام بل هو من قول الله عز وجل فلا بد من تقدير التلاوة أو التبليغ وفي لفظ الرسول ما يدل على ذلك فـ كـ تنفي به عن ان يقول عن الله تعالى (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون لانه ليس من أصناف الشعرو ولا مشاهير الهاو والشاعر هو الذي يأتي بكلام قفي موزون بقصد الوزن (قليل ما تؤمنون) أي ايمانا قليلا تؤمنون وتصديقا يسيرا تصدقون وقال البغوي أراد بالتقليل نفي ايمانهم وتذكركم أصلا كقولك ان لا يزورك فلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا (ولا يقول كاهن) كما تزعمون فان الكهانة أمر آخر لا جامع بينها وبين هذا (قليل ما تذكرون) قرئ بالتاء وقرئ بالياء التفاتان الخطاب الى الغيبة أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا لا تذكرون وما زائدة في الموضعين وذكرا لا ايمان مع نفي الشـ عروالتذ كرمع نفي للكهانة لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره الامعانذ كافر بخلاف مباينته لكهانة فانها توقف على تذكرا أو حاله صلى الله عليه وآله وسلم وتذ كرمعاني القرآن المماثلة لطريقة الكهانة ومعاني أقوالهم قال أبو جهل ان محمد اصلى الله عليه وآله وسلم شاعر وقل الوليد بن المغيرة ساحر وقل عتبة كاهن فنزات هذه الآية كذا قال مقاتل (تنزيل من رب العالمين) أي هو تنزيل منه على لسانه (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) قرأ الجمهور تقول مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مع رفع بعض وقرئ ولوي تقول على صيغة المضارع والتقول تكلف القول وسمى الافتراء تقول لانه قول متكلف وكل كاذب

تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وكقوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قال ابن جرير يتكلف قال ابن عباس في هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة وقال العوفي عن ابن عباس بأيكم المفتون أي المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم المفتون أي أولى بالشيطان ومعنى المفتون ظاهرا أي الذي قد افتن عن الحق وضل عنه وانما دخلت الباء في قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل في قوله فتبصر ويبصرون وتقدير فستعلم ويعلمون أو فتستخبر ويخبرون بأيكم المفتون والله أعلم ثم قال تعالى ان ربك هو أعلم عن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدى ويعلم

الحزب الضال عن الحق (فلا تطع المكذبين ودو الوتد من فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هما زمشاء بنيم مناع الخير معتد أثيم
عقل بعد ذلك زعيم أن كان ذامال وبنين أذاتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم) يقول تعالى كما أنعمنا
عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم فلا تطع المكذبين ودو الوتد من فيدهنون قال ابن عباس لو ترخص لهم
في رخصون وقال مجاهد ودو الوتد من تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق ثم قال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وذلك
أن الكاذب لضعفه ومهاتته اغمايتي بإيمانه الكاذبة التي يجترئ بها (٤٧) على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت

في غير محلها قال ابن عباس
المهين الكاذب وقال مجاهد هو
الضعيف القلب وقال الحسن
كل حلاف مكابر مهين ضعيف
وقوله تعالى هما زمشاء بنيم
وقد دعي الغتياب مشاء بنيم
يعني الذي يعيش بين الناس ويعرش
بينهم وينقل الحديث لفساد ذات
البين وهي الخالقة وقد ثبت في
الصحيحين من حديث مجاهد عن
طاوس عن ابن عباس قال مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقبرين فقال انهم ماله عذبان وما
بعذبان في كبر ما أحدهما
فكان لا يستتر من البول وما
الآخر فكان يعيش بالنميمة الحديث
وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم
من طرق عن مجاهد به وقال
الامام أحمد حدثنا أبو معاوية
حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن
همام أن حديثه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يدخل الجنة قتات رواه الجماعة
الا بن ماجه من طرق عن ابراهيم

يتكلف ما يكذب به والا فويل جمع أقوال جمع قول فهو نظير أبيات جمع أبيات جمع بيت
وسميت الأقوال المنقولة أقاويل تصغيرها وتحقيرا كقولك الأعاجيب والأضاحك
كانها جمع أقولة من القول والمعنى ولو تقول ذلك الرسول وهو محمد صلى الله عليه وآله
وسلم أو جبريل عليه السلام على ما تقدم وجاء به من جهة نفسه وادعى علينا شيئا لم نقله
(لاخذنا منه باليمين) أي بيده اليمين قال ابن جرير ان هذا الكلام خرج مخرج الاذلال
على عادة الناس في الاخذ به من يعاقب وقال الفراء والمبرد والزجاج وابن قتيبة باليمين
أي بالقوة والقدرة وبه قال ابن عباس وقال ابن قتيبة انما أقام اليمين مقام القوة لأن
قوة كل شيء في ميامنه وقيل المعنى لقتلناه صبرا كما يفعله الملوك بمن يتكذب عليهم
معالجة بالسخط والانتقام وقيل المعنى لاذلناه وأهناه (ثم لقطعه عنامته الوتين) هو عرق
يجرى في الظهر حتى يتصل بالقلب وهو مناطه اذا قطع مات صاحبه قال الواحدي
والمفسرون يقولون انه يياط القلب وقال ابن عباس عرق القلب وعنه قال يياط القلب
وعن مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو الخناخع وقال محمد بن كعب انه القلب
ومراقه وما يليه وقال السكبي انه عرق بين العلاء والحقوم والعلاء عصب العنق وهما
علاء وان بينهما العرق قال ابن قتيبة لم يردنا ناطقه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا
لائمتناه فكان كن قطع وتينه (فما منكم من أحد عنه حاجز بن) أي ليس منكم أحد
يججزنا عنه ويدفع عنامته فكيف يتكاف الكذب على الله لا جليكم مع علمه انه لو تكلف
ذلك لعاقبناه ولا تقدر على الدفع عنه وانما قال حاجز بن بلنظ الجمع وهو وصف أحد
ردا على معناه (وانه لذكر للمؤمنين) أي ان القرآن لذكر لاهل التقوى لانهم المستمعون
به لا قبلهم عليه اقبال مستفيد والظاهر أن هذا وما بعده معطوف على جواب القسم
السابق فهو من جملة المقسم عليه وما بينهما اعتراض (وانا لعلم ان منكم مكذبين) أي
ان بعضكم يكذب بالقرآن فحين نجازيهم على ذلك بما يليق به اظهار اللعدل وفي هذا وعيد
شديد (وانه) أي القرآن (لحسرة) وندامة (على الكافرين) يوم القيامة عند مشاهدتهم
لثواب المؤمنين وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدرُوا على معارضته عند تحديقهم
بأن يأثوا بسورة من مثله (وانه) أي القرآن (لحق البقيين) أي عينه ومحضه لكونه من
عند الله فلا يحول حوله ريب ولا يتطرق اليه شك وهو من اضافة الصفة للموصوف أي

به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن ابراهيم عن همام عن حديثه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يدخل الجنة قتات يعني غما وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الاحول عن الأعمش حدثني ابراهيم منذ نحو ستين
سنة عن همام بن الحرث قال مر رجل على حديثه فقل ان هذا يرفع الحديث الى الامراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يدخل الجنة قتات وقال أحمد حدثنا هشام حدثنا مهدي عن واصل الاحدب
عن أبي وائل قال بلغ حديثه عن رجل انه يرفع الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة غمام

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ان ابا ناعم عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد بن السكن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال الذين اذا راوا ذكرا لله عز وجل ثم قال الا أخبركم بشرا راكم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراءة العنت ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن ابي حنينة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله الذين اذا راوا ذكرا لله (٤٨) وشرا عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراءة العنت

وقوله تعالى منع للخير معه - دأثم
أى يمنع ما عليه وما لديه من الخير
معه - دى تناول ما - دى الله له
يتجاوز فيها الحد المنعوع أثم أى
يتناول المحرمات وقوله تعالى عت
بع - دى زنى اما العت فهو النط
الغليظ الصحيح الجوع المنوع
وقال الامام احمد حدثنا وكيع
وعبد الرحمن عن سفيان عن
سعيد بن خالد عن جارية بن وهب
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا أنبئكم بأهل الجنة كل
ضعيف متضعف لو أقسم على الله
لأبره الا أنبئكم بأهل النار كل
عتل جواظ مستكبر وقال
وكيع كل جواظ جعظرى
مستكبر اخر جاء فى الصحيحين
وبقية الجماعة الا ابا داود ومن
حديث سفيان الثوري وشعبة
كلاهما عن سعيد بن خالد بن وهب
الامام احمد أيضا حدثنا أبو عبد
الرحمن حدثنا موسى بن علي قال
سمعت أبا يعقوب عن عبد الله بن
عمرو بن العاص ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال عند ذكر
أهل النار كل جعظرى جواظ

للقيتين الحق وحق اليقين فوق علم اليقين وقيل هو كقولك عين اليقين ومعنى اليقين
(فسيح باسم ربك العظيم) أى نزهة عما لا يليق به وقيل فصل لربك والاول أولى وقيل
هو قوله سبحانه الله

(سورة سأل ويقال سورة المعارج هى أربع وأربعون آية وهى مكية)

قال القرطبي بالاتفاق عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل) قرأ الجمهور سأل بالهمزة من السؤال وهى اللغة الفاشية وهو امام ضمن معنى
الدعاء فلذلك عدى بالباء كما تقول دعوت بكذا والمعنى دعاد على نفسه (بعذاب واقع)
ويجوز ان يكون على أصله وبالهاء بمعنى عن كنهه فاسأل به خبيراً وقرئ بغير همزة وهو
امام من باب التخفيف بقلب الهمزة الفاء فيكون معناه دعانى قراءه من همز أو يكون من
السيلان والمعنى سأل وادفى جهنم يقال له سائل كما قال زيد بن ثابت ويؤيده قراءة ابن
عباس سأل سأل أى اندفع وادبعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
وقيل ان سأل بمعنى التمس والمعنى التمس ملتقى عذاباً (للكافرين) فتكون الباء زائدة
كنهه تنبت بالدهن والوجه الاول هو الظاهر قال الاخفش يقال خرجنا نساء عن
فلان وبفلان قال أبو علي الفارسي واذا كان من السؤال فأصله ان يتعدى الى مفعولين
ويجوز الاقتصار على أحدهما ويتعدى اليه بحرف الجر فيكون التقدير سأل سائل الله
أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المسلمين بعذاب أو عن عذاب وهذا السائل هو النضر
ابن الحرث حين قال اللهم ان كان عذابا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
أو أننا بعذاب اليم وهو من قتل يوم بدر صبرا وعن ابن عباس مثله وقال الربيع هو أبو
جهل وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وقيل انه نزلت في جماعة من كفار قريش والاول
أولى وقرئ وسأل سأل مثل مال على ان الاصل سائل فحذفت العين تحقيفا كما قيل
شاك في شأنك السراح وقيل السائل هو نوح عليه السلام سأل العذاب للكافرين
وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا بالعباد عليهم والمراد بالعذاب الواقع
اما فى الدنيا كيوم يدركهم فى الآخرة وهو عذاب النار وقوله للكافرين صفة أخرى لعذاب
أى كائن لهم أو متعلق بواقع واللام للعلل أو بسأل على تضمينه معنى دعا وفى محل رفع

مستكبر جاع تفرد به أحمد قال أهل اللغة الجعظرى النط الغليظ والجواظ الجوع المنوع وقال الامام
أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العت
الزنى فقال هو الشريد الخلق المصحح الا كول الشروب الواجد للطعام والشراب الظالم للناس رحيب الجوف وبهذا الاسناد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى والعتل الزنى وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين وقال ابن
جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكى السماء من عبداً صبح الله

جسمه وأرحب بجوفه وأعطاه من الدنيا مقصفاً فكان للناس ظلوماً قال فذلك العتل الزنيم وهو كذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقادة وغيرهم أن العتل هو المصح الخلق الشديد القوى في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبد الله عن إسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس عتل بعد ذلك زنيم قال رجل من قريش له زعقة مثل زعقة الشاة ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالشر كشهرة الشاة ذات الزعقة من بين أخواتها وأما الزنيم (٤٩) في لغة العرب هو الذي في القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعني يذم

بعض كفار قريش

وأنت زنيم يئط في آل هاشم

كما يئط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر

زنيم ليس يعرف من أبوه

بغى الأم ذو حاسب لنيم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن

خالد الواسطي حدثنا أسباط

عن هشام عن عكرمة عن ابن

عباس في قوله زنيم قال الذي

الفاحش اللثيم ثم قال ابن عباس

زنيم تداعاه الرجال زيادة

كما زيد في عرض الأديم الكارع

وقال العوفي عن ابن عباس الزنيم

الذي ويقال الزنيم رجل كانت

به زعقة يعرف بها ويقال هو

الأخنس بن شريق الثقفي حليف

بني زهرة وزعم أناس من بني

زهرة أن الزنيم الأسود بن عبد

يغوث الزهري وأيسر به وقال

ابن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن

عباس أنه زعم أن الزنيم الملقب

الذئب وقال ابن أبي حاتم حدثني

علي تقدير هو للكافرين أو اللامعنى على ويؤيده قراءة أبي على الكافرين قال الفراء التقدير بعد ذاب للكافرين واقع بهم فالواقع من نعت العذاب وجعله (أي ليس له دافع) صفة أخرى لعذاب أو حال منه أو مسأفة والمعنى أنه لا يدفع ذلك العذاب الواقع به أحد وقوله (من الله) متعلق بواقع أي واقع من جهته سبحانه ولم يمنع النفي من ذلك لأن ليس فعل لا حرف فصاح أن يعمل ما قبلها فيم بعدها أو متعلق بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته (ذى المعارج) أي ذى الدرجات التي تصعد فيها الملائكة وقال ابن عباس ذى العلوق والنواضل وقال الكلبي هي السموات وسميها معارج لأن الملائكة تعرج فيها وقيل المعارج مراتب نعم الله سبحانه على الخلق وقيل المعارج العظيمة وقيل هي الغرف وقيل الأعمال الصالحة فأنتم تتفاوت بحسب اجتماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب وقرأ ابن مسعود ذى المعارج يقال معارج ومعارج مثل مفتاح ومفتاح جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسر هـ لأنه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام (تعرج الملائكة والروح إليه) أي تصعد في تلك المعارج التي جعلها الله لهم قرأ الجمهور تعرج بالشوقية وقرئ بالتحسية والروح جبريل أفرد بالذكر بعد الملائكة لشرفه ويؤيده ما قبله نزل به الروح الأمين وقيل الروح هنا ملك آخر عظيم غير جبريل وقال أبو صالح أنه خالق من خلق الله سبحانه كهية الناس وأيديهم من الناس وقال قبيصة بن ذؤيب أنه روح الميت حين يقبض والاولى أولى ومعنى إليه إلى المكان الذي ينتهون إليه وقيل إلى عرشه وقيل إلى مهبط أمره من السماء وقيل هو كقول إبراهيم أني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني ربي (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال ابن إسحاق والكلبي وذهب بن منبه أي تعرج الملائكة إلى المكان الذي هو محلها في وقت كان مقداره على غيرهم لوصف خمسين ألف سنة وبه قال مجاهد وقال عكرمة وروى عن مجاهد أن مدة عمر الدنيا هذا المقدار لا يدري أحدكم مضى ولا كم بقي ولا يعلم ذلك إلا الله والكلام على مدة عمر الدنيا ماضياً وباقياً مبسوط في كتابنا لقطعة العجيان مما تنس إليه حاجة الإنسان وقال قتادة والكلبي ومحمد بن كعب أن المراد يوم القيامة يعني أن مقدار الأمر فيه لو تولاها غيره سبحانه خمسون ألف سنة وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة وقيل إن مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار ثم يستقر بعد ذلك

(٧ - فتح البيان عاشر) يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن

المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية عتل بعد ذلك زنيم قال سعيد هو الملقب بالقوم ليس منهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد

الاشجعي حدثنا عقبه بن خالد عن عامر بن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا قال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله

تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنما والزنا من الشياه التي في عنقها هتان مطلقتان في حلقها

وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعد بن جبسر قال الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزئمتها والزنيم الملقب رواه

ابن جرير وروي أيضا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس انه قال في الزنيم قال نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم قال وكانت له زغبة في عنقه يعرف بها قال وقال آخرون كان دعيا وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن ادريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي تكون له زغبة مثل زغبة الشاة وقال الضحاك كانت له زغبة في أصل اذنه ويقال هو الزنيم الملقب في النسب وقال أبو اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالشعر وقال مجاهد الزنيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة وقال أبو رزين الزنيم (٥٠) علامة الكفر وقال عكرمة الزنيم الذي يعرف باللوم كما تعرف الشاة برنمتها

والاقوال في هذا كثيرة وترجع الى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشعر الذي يعرف به من بين الناس وغالب يكون دعيا ولد زنا فانه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث لا يدخل الجنة ولد زنا وفي الحديث الآخر ولد الزنا نشر الثلاثة اذا عمل بعمل أبيه وقوله تعالى ان كان ذاملا وبينين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين ككفر بآيات الله عز وجل واعرض عنها وزعم انها كذب مأخوذ من أساطير الاولين كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبينين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان يزيد كلاله كان لا يتابعني داسا رهقه صعودا انه فكر وقد رقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول

أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقيل ان مقدار يوم القيامة على الكافرين خمسون ألف سنة وعلى المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ذكر هذا المقدار لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتضاع تلك المعارج وبعد مداهما أو أطول يوم القيامة باعتبار ما فيه من الشدة والبؤس كما نصف العرب أيام الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر ويشبهون اليوم القصير بأيام القطاة والطويل بظل الرمح وحينئذ لا تنافي بين هذه الآية وبين آية السجدة في يوم كان مقداره ألف سنة لأنه أيضا مسوق على سبيل التشديد على الكافرين وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح اليه وقال ابن عباس في الآية منتهى أمره من أسفل الارضين الى منتهى أمره من فوق سبع سموات مقدار خمسين ألف سنة وقوله في يوم كان مقداره ألف سنة قال يعني بذلك ينزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقدار ألف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وعنه قال غلط كل أرض خمسمائة عام وغاط كل سماء خمسمائة عام وبين كل أرض الى أرض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وعنه في قوله في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال هذا في الدنيا تعرج الملائكة في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وفي قوله مقداره خمسين ألف سنة فهذا يوم القيامة جعله الله سبحانه على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وعنه قال لو قدر عهول كان خمسين ألف سنة من أيامكم يعني يوم القيامة وعن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وفي اسناده دراج عن أبي الهيثم وهما ضعيفان وعن أبي هريرة مرفوعا قال ما قدر طول يوم القيامة على المؤمنين الا كقدر ما بين الظهر الى العصر أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في البعث ولو كان المراد حقيقة العدد لم يعتدل ان الزمان الواحد يكون مقداره خمسين ألف سنة ويكون مقداره ألف سنة ويكون مقداره ركعتين وقيل العدد

البشر قال الله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواءه للبشر عليها تسعة عشر على وقال تعالى ههنا سنسهمه على الخرطوم قال ابن جرير سنين أمره يانا واخنا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا يخفى السمة على الخرطوم وهكذا قال قتادة سنسهمه على الخرطوم شين لا يشارقه آخر ما عليه وفي رواية عنه سمي على انقه وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس سنسهمه على الخرطوم يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال وقال آخرون سنسهمه أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم حكى ذلك كله أبو جعفر بن جرير وما الى أنه لا مانع من اجتماع الجميع

عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه وقد قال ابن أبي حاتم في سورة عم تسألون حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى بن هلال الصدي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم يموت والله عليه ساخط وان العبد يكتب كافراً أحقاباً ثم يموت والله عليه راض ومن مات هـ ما زال مازاً مقبلاً للناس كان علامته يوم القيامة ان يسمه الله على الخراطوم من كلا الشفتين (انا بلونا هـم كما بلونا أصحاب الجنة اذا قسموا البصر منهن اصبحن ولا يسمعن صوتاً) (٥١) فطاف عليهما طواف من ربك وهما ناعون فاصبحت كالصريم فتنادوا

مصبحين ان اغدوا على حرنكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهما يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا انا الضالون بل نحن محرمون قال أو سطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاعين عيسى ربنا أن يدلنا خيراً انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب والعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون هذا مثل ضرب به الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى اليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعنة محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فقا بلوه بالتكذيب والردوا محاربة ولهذا قال تعالى انا بلونا هـم أي اختبرناهم كما بلونا أصحاب الجنة وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه اذا قسموا البصر منهن اصبحن أي

على حقيقته فان يوم القيامة خمسون موطناً كل موطن ألف سنة والله أعلم بمراده بذلك وقد قيل في الجمع ان من أسفل العالم الى العرش خمسين ألف سنة ومن أعلى سماء الدنيا الى الارض ألف سنة لان غلط كل سماء خمسمائة عام وما بين أسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة عام كما تقدم فالعنى ان الملائكة اذا عرجت من أسفل العالم الى العرش كان مسافة ذلك خمسين ألف سنة وان عرجوا من هذه الارض التي نحن فيها الى باطن هذه السماء التي هي سماء الدنيا كان مسافة ذلك ألف سنة وقد تقدم ما يؤيد هذا عن ابن عباس وقد قدمنا الجمع بين هذه الآية وآية السجدة في سورة السجدة فتذكر ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر فقال (فاصبر) يا محمد على تكذيبهم لك وكفرهم بما جئت به (صبراً جليلاً) لا جزع فيه ولا شكوى الى غير الله وهذا معنى الصبر الجميل وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري بأنه مصاب قال ابن زيد وغيره هي منسوخة بآية السيف قال ابن عباس في الآية لا تشكوا الى أحد غيري (انهم يرونه) أي يرون العذاب الواقع بهم ويعتقدونه أو يرون يوم القيامة أو يرون ما كان مقداره خمسين ألف سنة (بعيداً) أي غير كائن لانهم لا يؤمنون به فعني بعيداً أي مستبعداً محالاً وليس المراد انهم يرونه بعيداً غير قريب قال الامش يرون البعث بعيداً لانهم لا يؤمنون به كأنهم يستبعدونه على جهة الاستحالة كما تقول لمن تناظره هذا بعيداً أي لا يكون (ونراه قريباً) أي نعلمه كأننا قريبان ما هو آت قريب وقيل المعنى ونراه حيناً في قدرتنا غير متعسر ولا متعذر والجملة تعليل للامر بالصبر ثم أخبر سبحانه متى يقع بهم العذاب فقال (يوم تكون السماء كالمهل) أي يقع بهم العذاب يوم كذا والمهل ما أذيب من النحاس والرصاص والفضة وقال مجاهد هو القيح من الصديد والدم وقال عكرمة وغيره هو دردى الزيت وبه قال ابن عباس وقد تقدم نفسه في سورة الكهف والدخان (وتكون الجبال كالهين) أي كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف هين الا اذا كان مصبوغاً قال الحسن تكون الجبال كالصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وقيل الهين الصوف ذو الالوان فشمه الجبال به في تكونها الواناً كما في قوله جدد بيض وجر وغرا يب سود فاذا بست وطيرت في الهواء أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وهذه الاقوال في معنى العهن في اللغة وأول ما تغير الجبال نصيرها لمهلاً ثم عهنا

حلقوا فيما بينهم ليحزنوا لئلا يعلمهم فتعير ولا سائل ليتوفر غرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشئ ولا يستنون أي فيما حلقوا به ولهذا حزنهم الله في أيامهم فقال تعالى فطاف عليهما طواف من ربك وهما ناعون أي أصابتها آفة سماوية فاصبحت كالصريم قال ابن عباس أي كالليل الاسود وقال الثوري والسدي مثل الزرع اذا حصداً أي هنيئاً يساو قال ابن أبي حاتم ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصي ان العبد ليدب الذنب فيجرم به رزاقه كان هيئته ثم تلا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم قد حرموا خير جنهم بذنبهم فتنادوا مبصحين أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجذاذى القطع ان اغدوا على حركم ان كنتم صارمين أي تريدون الصرام قال مجاهد كان حركهم عبثا فانطلقوا وهم يتخافتون أي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السرو والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين أي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فتيرا (٥٢) يدخلها عليكم قال الله تعالى وغدوا على حرد أي قوة وشدة وقال مجاهد

وغدوا على حرد أي جد وقال عكرمة على غيظ وقال الشعبي على حرد على المساكين وقال السدي على حرد أي كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدي في قوله هذا قادرين أي عليها فيما يزعمون ويرومون فلما رأوها قالوا انا لصالون أي فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهي الحالة التي قال الله عز وجل قد استحيات عن تلك النظارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينفع بشئ منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا انا لصالون أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها قاله ابن عباس وغيره ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنهم هاهنا فصالوا بل نحن محرومون أي بل هي هذه ولكن نحن لاحظنا ولا نصيب قال أوسطهم قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والخمالي وقتادة أي أعداهم وخيرهم ألم أقل لكم لولا تسبحون

منفوشاتهم بمنشورا (ولا يسأل جيم جيم) أي لا يسأل قريب قريبه عن شأنه في ذلك اليوم لما نزل بهم من شدة الأهوال التي أذهلت القريب عن قريبه والخليل عن خليله كما قال سبحانه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقبل المعنى لا يسأل جيم عن جيم لشغله عنه فحذف الحرف ووصل الفعل قرأ العامة يسأل مبنيا للفعل والمفعول الثاني محذوف أي لا يسأله نصره ولا شفاعته أعلمه أن ذلك مفقود وقيل لا يسأل شيئا من جل أوزاره وقرئ على البناء للمفعول والمعنى لا يسأل جيم احضار جيمه وقيل هذه القراءة على اسقاط حرف الجر أي لا يسأل جيم عن جيم بل كل إنسان يسأل عن نفسه وعن عمله وقيل لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه وحلة (يصر ونهم) مستأنفة أو وصفة لقوله جيم أي يصر كل جيم جيمه لا يخفى منهم أحد عن أحد وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه ولا يتساهلون ولا يكلم بعضهم بعضا لا اشتغال كل أحد منهم بنفسه وقال ابن زيد يصر الله الكفار في النار الذين أضلوه في الدنيا وهم الرؤساء المتبوعون وقيل ان قوله يصر ونهم يرجع إلى الملائكة أي يعرفون أحوال الناس لا يخفون عليهم وانما جاع الضمير في يصر ونهم وهم اللعيمين حملا على معنى العموم لأنهم ما نكروا في سياق النفي قاله السمين والزمخشري قال الطبري وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعمان كما التزم في قوله والله لا أشرب ماء من اداة أنه يعم في المياه والادوية خلافا لبعضهم في الادوية قال ابن عباس يصر ونهم يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون ثم يصر بعضهم من بعض قرأ الجمهور يصر ونهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف (يود المجرم) أي الكافر أو كل مذنب يذنب ذنبا يستحق به النار (لو) بمعنى أن (يفتدى من عذاب يومئذ) أي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ قرأ الجمهور باضافة العذاب وكسر الميم من يومئذ وقرئ بالتسوية وقطع الاضافة وفتح الميم (بنيته وصاحبه) زوجته وأخيه فان هؤلاء أعز الناس عليه وأكرمهم لديه فلو قبل منه الفداء لفتدى بهم نفسه وخلص مما نزل به من العذاب والجللة مستأنفة لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ مجديود الا فتدا من العذاب عن ذكره وقيل حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يصر ونهم (وفصيلته التي تؤويه) أي عشيرته الاقربين الذين يضمونه في النسب أو عند الشدايد وأوى اليهم قال أبو عبيد الفصيلة دون القبيلة وقال نعلبهم آبأؤهم الادنون قال المبرد الفصيلة القطيعة من اعضاء الجسد

قال مجاهد والسدي وابن جرير لولا تسبحون أي لولا استغنوا في ذلك الزمان وسميت تسبيحا وقال ابن جرير هو قول القائل ان شاء الله وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين أو بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينفع ولهذا قالوا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذى كان جواب بعضهم لبعض الاعتراف بالخطيئة والذنب قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين أي اعتمدنا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى

أصابنا ما أصابنا عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إننا إلى ربنا راجعون قبل رغبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الآخرة والله أعلم ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوههم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوههم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدخر ليعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحق أن كان يصرف من هذه شيئاً (٥٣) للفقراء ولو أننا منعناهم أن توفر ذلك علينا فلما

عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم -م بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى كذلك العذاب أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخلف بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والنكير وذوى الحاجات وبدل نعمة الله بكفرًا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفجع جعل المسلمين كالجحيم من مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون أن لكم فيه لما تحيرون أم لكم إيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة أن لكم

وسميت عشيرة الرجل فصيلة تشبهاً بها بالبعض منه وقال مالك إن الفصيلة هي التي تربيه (ومن) أي ويؤيد الجرم لو افتدى عن (في الأرض جميعاً) من الثقلين وغيرهما من الخلائق وقوله (ثم ينجي) معطوف على يفتدى أي يودلوا يفتدى ثم ينجيهم الافتداء وكان العطف بـثم لإلتزام على استبعاد النجاة وقيل ثم ينجيهم جواب يودلوا قول أوى (كلاً) ردع للعجرب عن تلك الودادة وبيان امتناع ما وده من الافتداء وكلاً يأتي بمعنى حقاً وبمعنى لا التافيه مع تضمين المعنى الزجر والردع وهي هنا تحت حمل الأمرين (أنهم الظلي) الضمير عائد إلى النار المدلول على ما يذكر العذاب أو هو ضمير مبهم يفسره ما بعده ويتبرجم عنه الخبر قاله الزمخشري وظلي علم جهنم واشتقاقها من الظلي في النار وهو التلهب ولذلك منع من الصرف للعلمية والتأنيث وقيل أصله انظ بمعنى دوام العذاب فقلبت إحدى الطائفتين ألدنا وقيل لظلي هي الدركة الثانية من طباق جهنم (نزاعة للشوى) قرأ الجمهور نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لأن أواخر ميمته المحذوف أو تكون لظلي بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبره أن أو على أن نزاعة صفة للظلي على تقدير عدم كونها علماً أو يكون الضمير في أنها القصص ويكون لظلي مبتدأ ونزاعة خبره والجملة خبران وقرئ بالنصب على الحال وقال أبو علي النار في جلد على الحال بعيد لأنه ليس في الكلام ما بعدهم في الحال وقيل العامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى الظلي أو النصب على الاختصاص والشوى الأطراف أو جمع شواة كنوى ونواة وهي جلدة الرأس وقال الحسن وثابت البناني للشوى أي لمكارم الوجه وحسنه وكذا قال أبو العالية وقاتدة تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئاً وقال الكسائي هي المفصل وقال أبو صالح هي أطراف اليدين والرجلين وقال ابن عباس تنزع أم الرأس وقيل الشوى الأعضاء التي ليست بمقتل وقيل هو جلد الإنسان (تدعو) لظلي (من أدبر) عن الحق في الدنيا (وتولى) أي أعرض عنه قيل أنها تقول إلى يا مشرك إلى يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الطير للعب وقيل معنى تدعو تلك تقول العرب دعك الله أي أهلكك وقيل ليس هو الدعاء باللسان ولكن دعاؤها أي هم يحكمهم من عذابهم وقيل المراد أن خزنة جهنم تدعو الكافرين والمنافقين فأسناد الدعاء إلى النار من باب اسناد ما هو الحال إلى المحل وقيل هو تمثيل وتخيل ولادعاء في الحقيقة والمعنى أن مصيرهم إليها أو الأول أو لى لقوله وتقول هل من مزيد

لما تحكمون سلمهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأبوا بشركائهم إن كانوا صادقين) لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمرهم بين أن من اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبذل ولا تشرغ ولا ينقض نعيمها ثم قال تعالى أفجع جعل المسلمين كالجحيم أي أفنساوى بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال مالكم كيف تحكمون أي كيف تطلبون ذلك ثم قال تعالى أم لكم كتاب فيه تدرسون أن لكم فيه لما تخيرون يقول تعالى أفبايديكم كتاب منزل من السماء تدرسون وتحتفظونه وتعداؤونه بنقل الخلاف عن السلف متضمن حكماً مؤكداً

كما تدعونه ان لكم فيه لما تخبرون أم لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون أي أمعكم عهدنا ومواثيق
مؤكدة ان لكم لما تحكمون أي انه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون سلمهم أيهم بذلك زعيم أي قل لهم من هو المتضمن
المتكفل بهذا قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيلا أم لهم شركاء أي من الاصنام والانداد فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين
(يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود ٥٤) فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود

وهم سالمون فذرفي ومن يكذب
بهذا الحديث سند تدرجهم من
حيث لا يعلمون وأملى لهم ان
كيدى متين أم تسألهم أجرافهم
من مغرم مثقلون أم عندهم
الغيب فهم يكتبون) لما ذكر تعالى
ان للمؤمنين عند ربهم جنات النعيم
بين متى ذلك كائن وواقع فقال
تعالى يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا
يستطيعون يعني يوم القيامة
وما يكون فيه من الأحوال
والزلازل والبلاء والامتحان
والامور العظام وقد قال
البحاري ههنا حدثنا آدم حدثنا
الليث عن خالد بن زيد عن سعيد
ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم
عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد
الخدري قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا
عن ساقه فيسجد له كل مؤمن
ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في
الديار ياء وسبعة فيذهب ليسجد
فيعود ظهره طبقا واحدا وهذا

ولا موجب للصرف عن الظاهر والله على كل شيء قدير (وجمع فأوحى) أي جمع المال فجعله
في وعاء ولم يؤد حق الله منه وفي هذا من جمع المال فأوعاه وكثره ولم ينفعه في سبيل الخير
أولم يؤد زكاته (ان الانسان) أي الجنس عبر به لما له من الانس لنفسه والروية لحاسنها
والنسيان لربه ولدينه (خلق هالوعا) قال في الصحاح الهلع في اللغة أشد الحرص واسوأ
الجزع وأخشه يقال هاع بالكسر فهو هلع وهلوع وقال عكرمة هو الضجور وقال ابن
عباس هو الشرة قال الواحدى والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني قوله (إذا
مسسه الشرج وعاءا إذا مسه الخير منوعا) وبه قال ابن عباس أي إذا أصابه الفقر والحاجة
أو المرض أو نحو ذلك فهو كثير الجزع وإذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو
ذلك فهو كثير المنع والامسالك وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسر
الله ولا يكون تفسير أي من تفسيره وهو الذى إذا أصابه شر طهر شدّة الجزع وإذا مسه
الخير تجل به ومنعه الناس والعرب تقول ناقة هلوع وهلوع إذا كانت سريعة السير
خفيفته وقال أبو عبيدة الهلوع هو الذى إذا مسه الخير لم يشكر وإذا مسه الشر لم يصبر
واتصاب هلوعا وجزوعا ومنوعا على انه أحوال مقدرة لانه ليس متصفا بالصفات
المذكورة وقت خلقه ولا وقت ولادته أو محقة لكونها طبائع جمل الانسان عليها
والظرفان مع مولان لجزوعا ومنوعا وقوله (الامسكين) من قبيل استثناء الجمع من
الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع أي المؤمنين المقمين للصلاة لان الصلاة
الشرعية تستلزم الايمان يعني انهم ليسوا على تلك الصفات من الهلع والجزع والمنع
وانهم على صفات محمودة وخلال مرضية لان ايمانهم وماتسكوا به من التوحيد ودودين
الحق يجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير ثم يبينهم
سبحانه فقال (الذين هم على صلاتهم دائمون) أي دواظبون أي لا يشغلهم عنها شاغل
ولا يصرفهم عنها صارف ولا يتركونها أداء ولا قضاء أي يفعلونها ولو قضاها وليس المراد
بالدوام انهم يصلون أبدا قال الزجاج هم الذين لا ينلون وجوههم عن سمت القبلة وقال
الحسن وابن جرير هو التطوع منها قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة
المكتوبة وقال ابن مسعود الذين يصلونها لوقتها وعن عمران بن حصين قال الذى لا يلتفت
في صلاته وعن عتبة بن عامر قال هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا والمراد بالآية جميع

المؤمنين

الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله ألقاظ وهو حديث طويل مشهور وقد قال

عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس يوم يكشف عن ساق قال هو يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم
قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة بن ابراهيم عن ابن مسعود وابن عباس الشك من ابن جرير يوم يكشف
عن ساق قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق * وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم يكشف عن ساق
قال شدة الامر وقال ابن عباس هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة وقال ابن جرير عن مجاهد يوم يكشف عن ساق

قال شذذة الامر وجده وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يوم يكشف عن ساق هو الامر الشديد الفطيمع من الهول يوم القيامة وقال الهوفي عن ابن عباس قوله يوم يكشف عن ساق يقول حين يكشف الامر وتبدو الاعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الامر عنه وكذا روى الضحالة وغيره عن ابن عباس أو رد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة حدثنا هرون بن عمر الخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روج بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (٥٥) يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرون له

سجدا ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم وفيه رجل بهم والله أعلم وقوله تعالى خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة أى فى الدار الآخرة باجر امهم وتكبرهم فى الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ولما دعوا الى السجود فى الدنيا فامتنعوا ومنهم مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه فى الآخرة اذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهراً حدهم طبة واحدة كلما أراد أحدهم أن يسجد خرقفاه عكس السجود كما كانوا فى الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون ثم قال تعالى فذرى ومن يكذب بهذا الحديث يعنى القرآن وهذا تهديد شديد أى دعنى واياه منى ومنه أنا أعلم به كيف استدرجه وأمدته فى غيه وأنظره ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أى وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة

المؤمنين وقيل الصحابة خاصة ولا وجه لهذا التخصيص لا تصاف كل مؤمن بأنه من المصلين (والذين فى أموالهم حق معلوم) قال قتادة ومحمد بن سيرين المراد الزكاة المفروضة وقال مجاهد سوى الزكاة وقيل صلة الرحم وحمل الكل والظاهر أنه الزكاة المفروضة لوصفه بكونه معلوماً ولعله قرين للصلاة (للسائل) أى الذى يسأل الناس (والمحروم) أى الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم على حديثهم الجاهل أغنياً من التعفف وقد تقدم تفسير السائل والمحروم فى سورة الذاريات وفى سورة المؤمنين مستوفى (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يوم الجزاء وهو يوم القيامة لا يشككون فيه ولا يجحدونه وقيل يصدقونه بأعمالهم فيستعبون أنفسهم فى الطاعات لان التصديق به يستلزم الاستعداد له بالأعمال الصالحة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون وجلون مع ما لهم من أعمال الطاعة استحقاقاً لأعمالهم واعترافاً بما يجب لله سبحانه عليهم وجلة (أن عذاب ربهم غير مأمون) مقررة لمؤمنين ما قبلها مبينة أن ذلك مما لا ينبغي أن يأمنه أحد لجواز أن يحمل به وان بالغ فى الطاعة ما بالغ وان حق كل أحد أن يخافه ويكون مترجياً بين الخوف والرجاء (والذين هم لفرو جهنم حافظون الا على أزواجهن أو ما ملكت أيمانهم) من الاماء ولشبههن فى جريان التصرف عليهن عبر عنهن بما التى لغير العاقل (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فن ابتغى) أى طلب منكم كما (وراء ذلك) أى غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) أى المتجاوزون عن الحلال الى الحرام والمتعدون ما حذرهم وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والزنا والاسهنة بالهتك وقد تقدم تفسيرها فى سورة المؤمنين مستوفى (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أى لا يخلون بشئ من الامانات التى يؤتمنون عليها ولا ينقضون شيئاً من العهود التى يعقدونها على أنفسهم قرأ الجمهور لاماناتهم بالجمع وقرئ بالافراد وهما سبع عيتان والمراد الجنس وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والامان وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهود ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاداتهم قاتنون) أى يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام وحسن الاداء ويقومونها عند الحكم على من كانت عليه من قريب أو بعيد أو رفيع أو وضيع بلا ترجيح للقوى على الضعيف ولا يكتونها ولا يغيرونها اظهارة

وهو فى نفس الامر اهانة كما قال تعالى أيمسبون انما عدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أنشأناهم بغفلة فاذا هم مبلسون ولهذا قال ههنا وأملى لهم ان كيدى متين أى وأوخرهم وانظرهم وأمدهم وذلك من كيدى ومكرى بهم ولهذا قال تعالى ان كيدى متين أى عظيم لمن خالف أمرى وكذب رسلى واجترأ على معصيتى وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وقوله تعالى أم نساء لهم

جرافهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون تقدم نفسهم في سورة الطور والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جنتهم به مجرد الجهل والكفر والعناد (فأصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تدارك نعمته من ربه لنبدب العراء وهو مذموم فاجتبه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكروا يقولون انه لجنون وما هو الا ذكركم للعالمين) يقول تعالى فأصبر يا محمد على اذى قومك لك وتكذيبهم (٥٦) فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولا تباعك في الدنيا والآخرة

ولا تكن كصاحب الحوت يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والنقام الحوت له وشروء الحوت به في البهار وظلمات غمرات السيم وسماعة تسبيح البحر بما فيه للعلي التقدير الذي لا يرد ما أنفذ من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال الله تعالى فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك نجى المؤمنين وقال تعالى فلولوا لانه كان من المسيحين للبت في بطنه الى يوم يبعثون وقال ههنا اذ نادى وهو مكظوم قال ابن عباس ومجاهد والسدي وهو مغرموم وقال عطية الخراساني وأبو مالك مكروب وقد دمناني الحديث أنه لما قال لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين خرجت الكلمة بحول العرش فقالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى أمتا تعرفون هذا قالوا لا قال هذا يونس قالوا

للمصلاة في الدين ورغبة في احياء حقوق المسلمين وقد تقدم القول على الشهادة في سورة البقرة قرأ الجمهور بشهادتهم بالافراد وقرئ بالجمع قال الواحدى والافراد أولى لانه مصدر ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات قال الفراء ويدل على قراءة التوحيد بقوله تعالى وأقيموا الشهادة لله وقيل أراد بالشهادة الشهادة بكلمة التوحيد والاولى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى على أذكارها واركانها وشرائطها لا يخلون بشئ من ذلك قال قتادة على وضوءها وركوعها وسجودها وقال ابن جرير المراءى التطوع وكرر ذكر الصلاة للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها ولاختلاف ما وصفهم به اولاً وما وصفهم به ثانياً فان معنى الدوام هو ان لا يشتغل عنها بشئ من الشواغل كما سلف ومعنى المحافظة ان يراعى الامور التي لا تكون صلاة بدونها وقيل المراد يحافظون عليها بعد فعلها من ان يشغلوا ما يحبطها ويبطل ثوابها وكرر الموصول للدلالة على ان كل وصف من تلك الاوصاف بخلافه يستحق ان يستقل بوصف منفرد وقال الكرخي وفي هذه الصلاة مبالغات لا تخفى وهى تقديم الضمير وبناء الجمله عليه وتقديم الجار والمجرور على الفعل وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات وبعضها فعلية مفيدة للاستمرار التجددى (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات مستقرون (في جنات مكرمون) بانواع الكرامات وهم اخبران (فقال للذين كفروا قبلك مهطعين) أى أى شئ ثبت لهم حوليك مسرعين قال الاخفش مهطعين مسرعين وقيل المعنى ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حوليك ولا يعملون بما تأمرهم وقيل ما بالهم مسرعين الى التكذيب وقيل ما بال الذين كفروا يسرعون الى السماع اليك فيكذبونك ويسهزون بك وقال السكيت ان معنى مهطعين ناظرين اليك وقال قتادة عامدين وقيل مسرعين اليك مادي أعناقهم مديى النظر اليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله جماعات متفرقة وعزين جمع عزة وهى العصبية من الناس وقيل أصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الفرقة الاخرى قال فى الصحاح العزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الياء والجمع عزى وعزوز قال ابن عباس عزين العصب من الناس معرضين يستهزون به وأخرج مسلم وغيره عن جابر قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ونحن خلق متفرقون فقال ما لى أراكم عزين (أيطمع كل امرئ

يارب عبدك الذى لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم قالوا فلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء فتنبه منهم من البلاء فأمر الله الحوت فألقاها بالعراء ولهذا قال تعالى فاجتبه ربه فجعله من الصالحين وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبى وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يقول أنا خير من يونس بن متى ورواه البخارى من حديث سفيان الثورى وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وقوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ومجاهد وغيرهما ليزلقونك لينفذونك بأبصارهم أى يعينونك بأبصارهم معنى يحسدونك

ليغضهم اياك لولا وقاية الله لك وجابته اياك منهم وفي هذه الآية دليل على أن العين اصابها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الاحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أبو داود وحدثنا سليمان بن داود العتكي حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقية الا من عين أوجه أو دم لا يرقأ لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان حديث بريدة بن الحبيب رضي الله عنه قال أبو عبد الله بن ماجه (٥٧) حدثنا محمد بن عبد الله بن غير حدثنا اسحق بن

سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقية الا من عين أو جنة هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد ابن منصور عن هشيم عن حصين ابن عبد الرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوف وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قاله الترمذي وروى هذا الحديث الامام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا حديث أبي ذر جندب بن جنادة قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة ابن اليزيد السامي حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دبي عن أبي حرب عن مجنون عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العين لتولع الرجل باذن الله فيصاعدها لقا ثم يتردى منه اسناده

منهم أن يدخل الجنة نعم) كالمؤمنين المسلمين قال المنسرون كان المشركون يقولون لن يدخل هؤلاء الجنة لن يدخلن قبلهم فنزلت الآية قرأ الجمهور ويدخل مبني للمفعول وقرئ مبني للفاعل ثم رد الله سبحانه عليهم فقال (كلا انا خلقناهم مما يعلمون) أي من القدر الذي يعلمون به يعني من النطفة المذرة وأبهم اشعارا بأنه منصب يستحي من ذكره فلا ينبغي لهم هذا التكبر وهذا استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فافرضا محالاً عندهم بعد رد دعوتهم عنه وقيل المعنى انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو امثال الامر والنهي وتكميل النفس بالعلم والعمل وتعريضهم للنواب والعقاب كما في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أخرج أحمد وابن ماجه وابن سعد وابن أبي عاصم والباوردي وابن قانع والحاكم والبيهقي في الشعب والضياء عن بشر بن جاش قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذين كفروا الى قوله مما يعلمون ثم برز رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفه ووضع عليها أصبعه وقال يقول الله ان آدم أتى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وبسد جفعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت وأتت أوان الصدقة قال ابن العربي في الفتوحات خلق الله تعالى الناس على أربعة أقسام قسم لا من ذكر ولا من أنثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم من أنثى فقط وهو عيسى عليه السلام وقسم من ذكر وأنثى وهو بقية الناس (فلا أقسم) لازائدة كما تقدم قرية او المعنى فأقسم (رب المشارق والمغارب) قرأهما الجمهور بالجمع يعني مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربته وقال ابن عباس للشمس كل يوم مطلع تطلع فيه وكل يوم مغرب تغرب فيه غير مطلعها بالامس وغير مغربها بالامس وقيل مشرق كل شجر ومغربته وقرئ بالافراد وقوله (انا القادرون على أن نبذل خير امهم) جواب القسم والمعنى انا القادرون على أن نخلق أمم من قبلهم واطوع لله حين عصوه ونهلك هؤلاء أو نبذلهم بتحويل الوصف فيكونوا أشد بطشا في الدنيا وأكثر أموالا وأولاداً وأعلى قدراً وأكثر حشماً وأجهاها وخدم ما فيكونوا عندك على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهز والتصفيق والصغير وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل سبحانه ما ذكر من هذه الاوصاف بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم

(٨ - فتح البيان عاشر) غريب ولم يخرجوه حديث حابس التميمي قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حبة بن حابس التميمي ان أباه أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاني في الهام والعين حق وأصدق الطيرة ان قال وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن ابي غسان يحيى بن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير ثم قال غريب قال وروى شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن حبة بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت كذلك رواه الامام أحمد عن حسين بن موسى وحسين بن محمد عن شيبان بن أبي حية حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عمر وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعوذ الحسن والحسين يقول أعوذ بكما
بكلمات الله التامة من كل شيطان
رهامة ومن كل عين لامة ويقول
هكذا كان ابراهيم يعوذ الحق
واسماعيل عليهما السلام أخرجه
البخاري وأهل السنن من حديث
المنهال به حديث أبي أمامة أسعد
ابن سهل بن حنيف رضي الله عنه
قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار
حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي
أمامة بن سهل بن حنيف قال عامر
ابن ربيعة له سمع ابن بن حنيف وهو
يقول فقال لم أركه اليوم ولا جلد
مخبة قال قلت ان لبطبه فأتى به رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل
له أدركهم الا صريحا قال من
تتهمون به قالوا عامر بن ربيعة
قال علام يقتل أحدكم أخاه اذا
رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه
فليدعه بالبركة ثم دعاء عامر
عامر أن يتوضأ فيغسل وجهه
ويديه الى المرفقين وركبتيه
وداخله ازاره وأمره أن يصب عليه
قال سفيان قال معمر عن الزهري

بالاحسان مع السعة في الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى وقيصرو والتكن في الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة فخرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا في مرضاته الانفس والاموال ومن جملة المتقسم عليه قوله (وما نحن بسبوقين) أي بملغولين أن أردنا ذلك بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر ولكن مشيئةنا وسابق علمنا اقتضينا تأخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم بخلق آخر (فدرهم) أي دعوهم واتركهم (بمحوضوا) في باطلهم (وياعبوا) في دنياهم واشغل عما أمرت به ولا يعظم عليك ما هم فيه فليس عليك الا البلاغ وهذا تبديلهم وتسلمة له صلى الله عليه وسلم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) هو يوم كشف الغطاء الذي أوله عند الغرغرة وتناهيته النفخة الثانية ودخول كل من القريتين في داره ومحل استقراره وقيل هو يوم القيامة وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قال البقاعي وابن عادل قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا وفيه إشارة إلى أن التفاعل ليس على باب (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) يوم بدل من يومهم بدل بعض من كل على ما يقتضيه تفسير يومهم عاذ قرأ الجمهور يخرجون على البناء الفاعل وقرئ على البناء للمفعول والاجداث جمع جدد وهو القبر والسراع جمع سريع واتصابه على الحال من ضمير يخرجون (كانهم إلى نصب يوفضون) قرأ الجمهور نصب بفتح النون وسكون الصاد وهو اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذي يسرع الشخص نحوه وقال أبو عمرو وهو شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انقلابه وقرئ بضمه ما وفيه ثلاثة أوجه أحدها انه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وثانيها انه جمع أنصاب ككتب في كتاب وثالثها انه جمع نصب كرهن في رهن وسقف في سقف وجمع الجمع أنصاب وقرئ بفتحين ففعل بمعنى منعول أي منصوب كالقبض وقرئ بضم فسكون وهي تخفيف من الثانية وقال النحاس نصب ونصب بمعنى واحد قيل معنى إلى نصب إلى غاية وهي التي تنصب إليها بصرك وقال الكلبي إلى شيء منصوب كعلم أو راية أي كانهم إلى علم يدعون إليه أو راية تنصب لهم يوفضون قال الحسن كانوا يبيتون درون اذا طلعت الشمس إلى نصبهم التي كانوا يبيتون دونها من دون الله لا يلوى أولهم على آخرهم قيل معنى يوفضون يسرعون اسراع من ضل عن الطريق إلى اعلامها والابفاض الاسراع يقال أوفض

وأمر أن يكفأ الأنا من خلفه وقدرناه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما أيضا
عن الزهري به ومن حديث سعدان بن عيينة به أيضا عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة ويكفأ الأنا من خلفه ومن حديث ابن
أبي ذئب عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضا عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن
أبيه به حديث أبي سعيد الخدري قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن الحريري
عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من أعين الجان وأعين الأنس فلما نزل المعوذتان أخذهما
وترك ما سوى ذلك ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن أبي بن إياس أبي مسعود الحريري به وقال الترمذي حسن

حديث آخر عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شركل نفس وعين والله يشفيك بسم الله أرقيك ورواه عن عفان حدثنا عبد الوارث مثله ورواه مسلم وأبو السنن الأبادي ورواه عن عبد الوارث به وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فأتاه جبريل فقال بسم الله أرقيك من كل (٥٩) شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن داود عن أبي نضرة

عن أبي سعيد به قال أبو زرعة الرازي روى عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبي نضرة وعن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أن أبا نعيم عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق أخرجاه من حديث عبد الرزاق وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسمعيل بن علية عن الجري عن مضارب بن حزم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق تفرد به ورواه أحمد عن اسمعيل بن علية عن سعيد الجري به وقال الامام أحمد حدثنا ابن غير حدثنا ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ومحضها الشيطان وحديث آدم وقال أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن

أبناضاً أي اسرع اسراعاً في القساموس وفض يفض وفضا بالسكون وبالتحريك عدا واسرع كافر وفض واستوفى والافاض الفرق من الناس والاخلاط والجماعة من قبائل شتى كاصحاب الصفة قال ابن عباس في الآية الى علم يستبقون وقيل يسعون وقيل يظلقون والمعاني متقاربة واتصاب (خاشعة) على الحال من ضمير يوفضون وهو الاقرب أو من فاعل يخرجون وفيه بعد والخشوع الذلة والخضوع و (أبصارهم) مر تنفعا به والمعنى لا يرفعونها الماية وقعون من العذاب (ترهقهم ذلة) أي تغشاهم ذلة شديدة ضدها كانوا علمية في الدنيا لان من تعزفها عن الحق ذل في الآخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الآخرة قال قتادة هي سواد الوجوه ومنه غلام مرأق اذا غشيه الاحتلام يقال رهقه بالكسر رهقه رهقاً غشيه وبمثل هذا قوله ولا يرق وجوههم قتر ولا ذلة والجملة مستأنفة أو حال من فاعل يوفضون أو يخرجون (ذلك) الذي تقدم ذكره (اليوم الذي كانوا يوعدون) أي يوعده في الدنيا على السنة الرسل قد حاق وحضر ووقع بهم من عذابه ما وعدهم الله به وان كان مستقبلاً فهو في حكم الذي قد وقع لتحقيق وقوعه قال الخطيب وهذا هو العذاب الذي سألو عنه أول السورة فقد رجع آخرها على أولها

* (سورة نوح هي تسع أو ثمان (١) وعشرون آية وهي مكية عن الزبير قال نزلت بمكة) *
* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اننا أرسلنا نوحاً الى قومه) وكانوا جميع أهل الارض من الأدميين أهل عصره ولذلك لما كفروا أغرق الله أهل الارض جميعاً وقد تقدم أن نوحاً أول رسول أرسله الله بالنهي عن عبادة غير الله لان عبادة غيره انما حدثت في زمن نوح والافن المعلوم ان قبله رسلاً آدم وشيث وأدريس وهو نوح بن لامك بن متوشلح بن اخنوخ بن قينان بن شيث بن آدم وكان أطول الانبياء عمراً بل أطول الناس وهو أول من شرع له الشرائع وأول رسول أنذر من الشرك وقد تقدم مدة لبثه في قومه وبيان جميع عمره وبيان السن التي أرسل هو فيها في سورة العنكبوت قيل النوح معناه بالسريرية الساكن (أن أنذر قومك) أي بأن أنذر على أنهم صمدية أو هي المفسرة لان في الارسل معني القول وقرأ ابن مسعود أنذر بدون ان أي فقلنا له أنذر (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) أي شديد الالم وهو عذاب النار على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة وقال الكلبي هو ما نزل بهم من الطوفان (قال

معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطيرة في ثلاث في المسكن والفرس والمرأة قال قلت اذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أصدق الطيرة القفال والعين حق حديث اسماء بنت عيسى قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال قالت أسماء يا رسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفاسترق لهم قال نعم فلو كان شيء يسبق القدر لاسبقته العين وكذا رواه الترمذي (١) ثمان بكسر النون ان أعل اعلال فاض فيكون منقوصاً واعرابه على الباء المحذوفة و برفع النون ان حذف الباء

اعطاء وتخصيفاً لعله تصريفية فيكون كبودم اه سيد ذوالفقار أحمد سلمه ربه

وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي أيضا والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعه عن أسماء بنت عيسى به وقال الترمذي حسن صحيح حديث عائشة رضي الله عنها قال ابن ماجه حدثنا علي بن أبي الحصيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسرور عن عبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تستتر في العيون ورواه البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان عن عبد بن خالد به وأخرجه مسلم لم من حديث سفيان ومسرور (٦٠) كلاهما عن معبد بن محمد بن بشار حدثنا أبو هاشم

الخزومي حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعذوا بالله فان النفس حق تفرد به وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت كان يؤمر العائنين فيتوضأ ويغسل منه الميعين قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين ابن محمد عن سنان أن ابن حنيفة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا (١) اللهم والعين حق وأصدق الطيرة الفأل حديث سهل بن حنيف قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ان أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة حتى اذا كانوا بشعب الحرار من الجنة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد فغظر اليه عامر بن ربيعة أحد بني عدي ابن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأ

(يا قوم) أضافهم الى نفسه اظهار اللشقة والجله مستأنفة استئنافا يائيا على تقدير سؤال (أنى لكم نذير) من عتاب الله وخوف لکم (مبين) أي بين الانذار أو مبين لما فيه نجاتكم بلغة تعرفونها أو أمرى بين في نفسه بحيث صار في شدة وضوحه كأنه مظهر لما يتضمنه مناد بل للقریب البعيد والظن والغبي (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعوا) ان هي التفسيرية لنذير أو هي المصدرية كاختار السابقة أي بان اعبدوا الله ولا تشركوا به غيره واجتنبوا ما توقعكم في عذابه وأطيعوا فيما أمركم به فاني رسول اليكم من عند الله وانما أضاف الاطاعة الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله بخلاف العبادة (يغفر لکم من ذنوبکم) هـ ذاجواب الاوامر الثلاثة ومن للتبعيض أي بعض ذنوبکم وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول واجابة دعوته وقيل المراد بالبعض ما لا يتعلق بحقوق العباد فانها لا تغفر بالاسلام وهذا كلام ظاهري اذا الحق انه يغفر من حيث المؤاخذه الاخرية بمعنى انهم لا يعاقبون عليها في الآخرة وان كانت من حيث المؤاخذه عليها في الدنيا لا تغفر فيطالب الكافر اذا أسلم بالحدود كحد القذف وبالمال الذي ظلم به في الكفر تأمل وقيل هي لبيان الجنس وقيل زائدة قاله السدي فان الاسلام يغفر ما قبله وهذا على رأي الاخفش الذي لا يشترط في زيادتها تقدم نفي ولا تنكير المجزوء بها والاولى هو الوجه الاول وقيل يغفر لکم من ذنوبکم ما استغفرتوه منها (ويؤخرکم الى أجل مسمى) أي يؤخر موتکم الى الامد الاقصى المعلوم المعين الذي قدره الله لکم لا يزيد ولا ينقص بشرط الايمان والطاعة فوق ما قدره لکم على تقدير بقاءکم على الكفر والعصيان وقيل التأخير بمعنى البركة في أعمالهم ان آمنوا وعدم البركة فيها ان لم يؤمنوا قال مقاتل يؤخرکم الى منتهى آجالکم وقال الزجاج أي يؤخرکم عن العذاب فتتوبوا غير ميسرة المستأصلين بالعذاب فالمؤخر انما هو العذاب فلا يخالف هذا قوله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لان المعنى تأخيره فيه هو الاجل نفسه فلا يخالف بين هذين الحليين وقال الفراء المعنى لا يميتکم غرقا ولا حرقا ولا قتلا (ان أجل الله) أي ما قدره لکم على تقدير بقاءکم على الکفر من العذاب (اذا جاء) وأنتم باقون على الکفر (لا يؤخر) بل يقع لا لمحالة فبادر الى الايمان والطاعة وقيل المعنى ان أجل الله وهو الموت اذا جاء لا يميتکم الايمان وقيل المعنى اذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب واضافة

فلبظ سهل فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فليل له يا رسول الله هل لك في سهل والله ما يرفع رأسه ولا يفتيق قال هل الاجل تهمون فيه من أحد قالوا انظر اليه عامر بن ربيعة قد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر افتغيط عليه وقال علام يقتل أحدكم أخاه هـ اذا رأيت ما يعجبك بركت ثم قال له اغتسل فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله ودخله ازاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ايس به بأس حديث عامر بن ربيعة قال الامام أحمد في مسند عامر حدثنا وكيع حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هذيل بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال فانطلقا فلقية سنان (٤) يابض بأصله

الحمر قال فوضع عامر جبهة كانت عليه من صوف فنظرت إليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل قاله فصبته له في الماء فرقعة فأثبته فناديتي ثلاثاً فلم يجيني فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قلل فجاء يشي فحاض الماء فكانت أنظر إليه يفاض ساقيه قائم فاضرب صدره بيده ثم قال اللهم اصرف عنه حرها وبردها وصبها قال فقام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليتركه فإن العين حق حديث جابر قال الحافظ أبو بكر البرزاني في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري ويقال له ابن الضبيح (٦١) ضميم حرة رضي الله عنه حدثني عبد الرحمن

ابن جابر بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالانفس قال البرزاني عن العين قال ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد قلت بل قد روى من وجه آخر عن جابر قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكري في كتاب العجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة له وغريبة حدثنا الرمادي حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العيين حق أتورد الرجل القبر والجل القدر وان أكثر هلاك أمتي في العين ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية ابن هشام عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر وهذا السناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه حديث عبد الله بن عمرو قال الامام أحمد حدثنا قتيبة

الاجل اليه سبحانه لانه هو الذي أثبته وقد يضاف الى القوم كقوله اذا جاء أجلكم لانه مضروب لهم (لو كنتم تعلمون) شيئاً من العلم لسارعتم الى ما أمرتكم به ولعلمتم ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر هذا وقد شمل الشوكاني رحمه الله تعالى عماء ورد في الآيات الكريمة الدالة على أن العمر لا يزيد ولا ينقص والا حاديت الدالة على أن صلة الرحم تزيد في العمر فأجاب بما لفظه قد طال الكلام في هذا البحث وقد وقفت قبل الآن بنحو ثمان سنين على مؤلف بسيط لبعض الحنابلة في خصوص هذه المسئلة وقد غاب عن اسم الكتاب واسم صاحبه والا حاديت القاضية بأن صلة الرحم تزيد في العمر أحاديث صحيحة كثيرة منها ما أخرجه البخاري والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ من سره ان يبسط له في رزقه ران ينسأله في أثره فليصل رحمه وعند الترمذي تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثرة في المال منسأة في الاثر والاثر الاجل وانساؤه تأخير وأخرج أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الایمان ورمز السيوطي في الجامع لصحته من حديث عائشة مرفوعاً صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن في الاعمار وأخرج القاضي من حديث ابن مسعود مرفوعاً صلة الرحم تزيد في العمر وصدقة السر تطفئ غضب الرب وأخرج الطبراني في الاوسط من حديث عمرو بن سهل مرفوعاً صلة الرحم مثرة في المال محبة في الاهل منسأة في الاجل اذا تقر هذا فالعمر محدود ومعلوم لا يتقدم ولا يتأخر الا اذا وصل الرجل رحمه مد الله في عمره وزاده وهكذا حكم سائر الامور التي وردت الدالة بأنهم تزيد في العمر أو تنقص منه لانها خاصة والخاص مقدم على العام والمقام يحتمل البسط وفي هذا كناية والله أعلم (قال رب) أي قال نوح مناجياً لربه وحاكياً لما جرى بينه وبين قومه وهو أعلم به منه (اني دعوت قومي) الى ما أمرتني بان أدعوهم اليه من الايمان (لئلا ينهار) أي دعاء دائماً بما لا فتور في الليل والنهار من غير تقصير (فلم يزد هم دعائي) شيئاً من أحوالهم التي كانوا عليها (الافرار) اعراضاً عما دعوتهم اليه وبعد اعنه قال مقاتل يعني تباعدوا من الايمان كانوا هم جرم مستنفرة واسناد الزيادة الى الدعاء لكونه سببها كما في قوله زادتهم ايماناً قرأ الجمهور دعائي بفتح الباء وقرئ بأسكانها والاستثناء مفرغ (واني كلما دعوتهم) الى سبب المغفرة وهو الايمان بك والطاعة لك (لتغفر لهم) أي

حدثنا رشدين بن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي ربيعة عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق تفرد به أحمد حديث عن علي روى الحافظ بن عساكر من طريق خزيمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد البر البصري عن أبي رجاء عن شعيب عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتماً فقال يا محمد ما هذا الغم الذي أراد في وجهك قال الحسن والحسين أصابتهما عين قال صديق بالعين فان العين حق أقلعوا ذنوبهما بولاء الكلمات قال وما هن يا جبريل قال قل اللهم ذا السلطان العظيم ذا المن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات المتألمات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس

الجن وأعين الانس فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعوذ فإنه لم يعمودا المتعذون عنه قال الخطيب البغدادي في درر بردياته أبو جهم محمد بن عبيد الله الخطي من أهل تسترد كره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه وقوله تعالى ويقولون انه لجنون أي يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بالسنة ويقولون انه لجنون أي عجبهم بالقرآن قال الله تعالى وما هو الاذ كر للعالمين آخر تفسير سورة ن وثقه الحد والمنة

(تفسير سورة الحاقة هي مكية) * (٦٢) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الحاقة ما الحاقة وما أدراك

ما الحاقة كذبت عمود عاد بالقرعة فاما عمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا برح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليل وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤمنات بانه طائفة فعصا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية انما طاغوا الماء جعلناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية الحاقة من أسماء يوم القيامة لان فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله تعالى أمرها فقال وما أدراك ما الحاقة ثم ذكر تعالى اهلا كاه الامم المكذبين بها فقال تعالى فاما عمود فاهلكوا بالطاغية وهي الصيحة التي أسكنتهم والزلازل التي أسكنتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد انها الطغيان وقرأ ابن زيد كذبت عمود بطغواها وقال السدي فاهلكوا بالطاغية قال

لاجل مغفرتك لهم أو اللام للعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب والاصل دعوتهم للتوبة التي هي سبب في الغفران فأطلق الغفران وأريد به التوبة (جعلوا أصابعهم في آذانهم) لئلا يسمعو أصوفاً وقال ابن عباس لئلا يسمعو ما يقول (واسمغشوا ثيابهم) أي غطوا بها وجوههم لئلا يروى وقيل جعلوا ثيابهم على رؤسهم لئلا يسمعو كلامي فيكون استغشاء الثياب على هذا زيادة في سد الآذان وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس فلان ثياب العداوة وقيل استغشوا ثيابهم لئلا يعرفهم فيدعوهم وقال ابن عباس ليتنكبروا فلا يعرفهم وعنه قال غطوا وجوههم لئلا يروا فاحوالا يسمعو كلامه وقد أفادت هذه الآية بالتصريح انهم عصوا فاحوالا خلفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهرها بتعظيم الأسماع والأبصار وابطان بالاصرار والاستكبار كما قال تعالى (وأصروا) أي استمروا على الكفر ولم يقلعوا عنه ولا تابوا عنه (واستكبروا) عن قبول الحق وعن امتثال ما أمرهم به (استكبروا) شديد اؤذ كر المصدر دليل على قرط استكبرهم قال ابن عباس تركوا التوبة (ثم في دعوتهم جهارا) أي مظهر الهمم الدعوة مجهر الهمم بها وانتصاب جهارا على المصدرية لان الدعاء يكون جهارا أو يكون غير جهار فالجهار نوع من الدعاء كتبوا لهم قعدا القرصاء ويجوز أن يكون نعت مصدر مخذوف أي دعا جهارا وان يكون مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا أو اذا جهارا وجعل نفس المصدر مبالغة ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار غلظ من السر والجمع بين الأمرين أغلظ من أحدهما قرأ الجمهور اني بسكون الياء وقرئ يفتحها (ثم اني أعلنت لهم) أي دعوتهم معلنا لهم بالدعاء (وأسررت لهم) الدعوة (أسرارا) كثير اقليل المعنى أنه يدعوا الرجل بعد الرجل يكلمه سرا فيما بينه وبينه والمقصود أنه دعاهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة فلم ينجح ذلك فيهم وهكذا يفعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتدنى بالاهون ثم بالاشد فالاشد قال مجاهد معني أعلنت صحت وقيل معني أسررت أتيتهم في منازلهم فدعوتهم فيها (فقلت استغفروا ربكم) أي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة أعياهم وأثارها باخلاص النية (أنه كان غفارا) أي كثير المغفرة للمذنبين وقيل المعنى توبوا عن الكفر انه كان غفارا للتائبين (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي يرسل ماء السماء عليكم ففيه اضممار (١) وقيل المراد بالسماء المطر والمدار الدور وهو القهلب

بالمطر

يعني عقر الناقة واما عاد فاهلكوا برح صرصر أي باردة قال قتادة والسدي والربيع بن

أنس والثوري عاتية أي شديدة الهبوب قال قتادة عنت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم وقال الضحاك صرصر باردة عاتية عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال علي الخنزة فرجت بغير حساب سخرها عليهم أي سلطها عليهم سبع ليل وثمانية أيام حسوما أي كوامل متابعات مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم حسوما متابعات وعن عكرمة والربيع مشائيم عليهم لقوله تعالى في أيام نحسات قال الربيع وكان أولها الجمعة وقال غيره الاربعاء ويقال انها (١) كما في قول الشاعر اذا نزل السماء بأرض قوم رعيها وان كانوا غضا

التي تسميها الناس الاجحاز وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى قترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية وقيل لانها تكون في عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لان عجوزا من قوم عاد دخلت بر بافتقارها الريح في اليوم النام من حكاية البغوى والله أعلم قال ابن عباس خاوية خربة وقال غيره بالنسبة أى جعلت الريح تضرب بأحدهم الارض فيخرب ميتا على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جنته كأنها قاعة النخلة اذا خرت بلا أعصان وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالاصبا وأهلكت عاد بالدبور قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى (٦٣) بن الضريس العبدى حدثنا ابن فضيل عن

مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها الا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فملمتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والارض فلما رأى أهل الحاضرة من عاد الريح ومافيا قالوا هذا عارض ممطرنا فالت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة وقال الثوري عن ليث عن مجاهد الريح لها جناحان وذنب فهل ترى لهم من باقية أى هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن يتسبب إليهم بل يادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا ثم قال تعالى وجاء فرعون ومن قبله قريء بكسر القاف أى ومن عنده ممن في زمانه من أتباعه من كفار القبط وقرا آخرون بفتحها أى ومن قبله من الامم المشبهين له وقوله تعالى والمؤمنات

بالمطر واتصابه اما على الحال من السماء ولم يؤث لان مفعلا لا يؤث بل يستوى فيه المد كروا المؤث تقول امرأة مثناة ومذكرا وعلى انه نعت لمصدر محذوف أى ارسلنا مدرارا وقد تقدم الكلام عليه في سورة الانعام وجرم يرسل لكونه جواب الامر وفي هذه الآية دليل على ان الاستغفار من أعظم أسباب المطر وحصول أنواع الارزاق ومن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولهذا قال (ويعيدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات) أى بساكن الدنيا ليكون معاودة وابه عاجلا (ويجعل لكم أنهارا) جارية قال عطاء المعنى يكثر أموالكم وأولادكم وكانوا يحبونهم ما فخر كوا بهذا على الايمان وأعلمهم نوح عليه السلام ان ايمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا وأعاد فعل الجعل ولم يقل وأنها را لتغايرهم ما فان الاول مما فعلهم فيه مدخل بخلاف الثاني وعن الحسن أن رجلا شك اليه الجذب فقال استغفر الله وشكاليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ربيع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتأله رجال يشكون أبو ابائهم يسألونك أنوعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقلنا هذه الآية ولله درهم ما أفقته قال القشيري من وقعت له حاجة الى الله لم يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار قال الشهاب وليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله بل الرجوع عن الذنوب وتطهير الالسننة والقلوب (مالككم لا ترجون الله وقارا) أى أى عذر لكم في ترك الرجاء والرجاء هنا الخوف أى مالككم لا تتخافون الله والوقار العظيمة من التوقير وهو التعظيم والمعنى لا تتخافون حق عظمته فتوحدونه وتطيعونه وقيل المعنى مالككم لا تؤملون من الله توقير الكرم بأن تؤمنوا به فتصبروا ومقرين عنده وهذا المعنى هو ما سلكه البيضاوى أولا وقال أبو السعود انكار لان يكون لهم سبب مافى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد انتهى وهذا حث على رجاء الوفاق لله والمراد الحث على الايمان والطاعة الموجهين لرجاء ثواب الله فهو من السكينة التلويفية لان من أراد رجاء تعظيم الله وتوقيره اياه آمن به وعبده وعمل صالحا ومن عمل الصالحات رجاء ثواب الله وتعظيمه اياه في دار الثواب فان الحث على تحصيل الرجاء مسبوق بالحث على تحصيل الايمان فهو من باب مقدمة الواجب قال الكرخي أى انكم اذا قرئتم نوحا وتركتم استغفاره كان ذلك لاجل الله فالكلم لا ترجون الله وقارا وقال

بالخطايا ولهذا قال تعالى فعصوا رسول ربهم وهذا جنس أى كل كذب رسول الله اليهم كما قال تعالى ان كل الاكاذب الرسل خفي وعبد ومن كذب برسل فقد كذب بالجميع كما قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين وانما جاء الى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية أى عظيمة شديدة آليمة قال مجاهد رابية شديدة وقال السدي مهلكة ثم قال تعالى انما طغوا الماء أى زاد على الحد باذن الله وارتفع على الوجود وقال ابن عباس وغيره طغوا الماء كثر وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدا غير الله فاستجاب الله له وعلم أهل الارض

بالطوفان الامن كان مع نوح في السفينة فالتاس كلهم من سلاله نوح وذريته قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن أبي سنان سعيد بن سنان عن غير واحد عن علي بن أبي طالب قال لم تنزل قطرة من ماء الابكييل على يدى ملك فلما كان يوم نوح اذن للماء دون الخزان وطغا الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى انما لما طغى الماء أى زاد على الحد باذن الله حملناكم في الجارية ولم ينزل شئ من الريح الابكييل على يد ملك الا يوم عاد فانه اذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى برح صرصر عاقبة أى عمت على الخزان وله - مذا قال تعالى تمتاعلى (٦٤) الناس انما لما طغى الماء حملناكم في الجارية وهى السفينة الجارية على

وجه الماء لنجهاها لكم تذكرة عاد الضمير على الجنس لدلالة الميم عليه أى وأبقيت لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار كما قال وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وقال تعالى وآية لهم انما حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال قتادة أبقي الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الامة والأول أظهر ولهذا قال تعالى وتعيها أذن واعية أى وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية قال ابن عباس حافظة سامعة وقال قتادة أذن واعية عقلت عن الله فاتفعت بما سمعت من كتاب الله وقال الضمالي وتعيها أذن واعية سمعها أذن ووعت أى من له سمع صحيح وعقل راجح وهذا عام في كل من فهم ووعى وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد ابن صبيح الدمشقي حدثنا يزيد بن يحيى حدثنا علي بن حوشب سمعت مكحولاً يقول لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيها أذن واعية

سعيد بن جبيرة وأبو العباس وعطاء بن أبي رباح مالكم لا ترجون لله ثواباً ولا تخافون منه عقاباً وقال مجاهدوا الضمالي مالكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة بجازية وهذيل وخزاعة ومضري يقولون لم أرج لم أبل وقال قتادة مالكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان مالكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن ينسبكم على توقيركم خيراً وقال ابن زيد مالكم لا تؤدبون لله طاعة وقال الحسن مالكم لا تعرفون الله حقاً ولا تشكرون له نعمة وقال ابن عباس لا تعلمون لله عظمة وعنه قال لا تخافون لله عظمة ولا تخشون له عقاباً ولا ترجون له ثواباً وعن علي بن أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم لم رأى ناساً يغتسلون عراً ليس عليهم أثر فوق فنادى بأعلى صوته مالكم لا ترجون لله وقاراً أخرجه عبد الرزاق في المصنف (وقد خلقكم أطواراً) أى والحال انه سبحانه قد خلقكم على أطوار مختلفة وأحوال منافية لما أنتم عليه بالكلية فخلقكم تارة عناصر ثم اغذية ثم اخلاطاً ثم نطفة ثم مضغاً ثم علقاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأكم خلقاً آخر والطور في اللغة المرة وقال ابن الأنباري الطور الحال والهيئة وجمعه أطوار وقيل أطوار أصيداً نائم شباناً ثم شيوخاً وقيل الأطوار اختلافهم في الأفعال والأقوال والأخلاق والمعنى كيف تقصرون في توقيركم من خلقكم على هذه الأطوار البديعة تارات وكرات فهذا مما لا يكاد يصدر عن العاقل ثم لما نهمهم سبحانه وتعالى أولاً على النظر في أنفسهم لانها أقرب نهمهم ثانياً على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع الحكيم فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً) الخطاب لمن يصح له والمراد الاستدلال بخلق السموات على كمال قدرته وبديع صنعته وأنه الحقيق بالعبادة والطباق المتطابقة بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب من غير مماسة قال الحسن بن خلق الله سبع سموات على سبع أرضين بين كل سماء وسماء وأرض وأرض خلق وأمر وقد تقدم تحقيق هذا في قوله ومن الأرض مثلهن واتصاب طباقاً على المصدرة تقول طابقه طباقاً ومطابقة أو حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات وأقام طباقاً مقامه وأجاز الفراء في غير القرآن جر طباق على النعت (وجعل الفجر فيهن نورا) أى منور الوجه الأرض وجعل القمر في السموات مع كونه في سماء الدنيا لانه اذا كان في احدها فهو فيهن كذا قال ابن كيسان وأبو السعود قال الاخش كذا قول أناني بنوعيم والمراد بعضهم أم أولان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي أن يجعلها أذن على قال مكحول فكان علي يقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شياً قط فنسبته وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن سهل عن الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل وقد قال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر بن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو أجديعني والد أبي أحمد الزبيرى حدثني صالح بن هشيم سمعت بريدة الاسلمى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي أنى أمرت أن أدنك ولا أقصيك وان أعلمك وان نعي وحق لك ان تعي قال فنزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم

رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الاعمى عن بريدة به ولا يصح أيضا (فإذا انفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فد كذا ذكروا واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملاك على أرجائها يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة وقد أدها عنها بانها واحدة لان أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج الى تكرار (٦٥) ولا تأكيد وقال الربيع هي

النفخة الاخيرة والظاهر ما قلناه ولهذا قال ههنا وحملت الارض والجبال فد كذا ذكروا واحدة أي فدت مد الاديم العكاظي وتبدلت الارض غير الارض فيومئذ وقعت الواقعة قال مالك عن شيخ من بني أسد عن علي قال تنشق السماء من الجرة ورواه ابن أبي حاتم أي قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية وقال ابن جريج هي كقوله وفتحت السماء فكانت أبوابا وقال ابن عباس متفرقة والعرش يحذاها والملاك على أرجائها الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس على ما لم يه منها وكذا قال سعيد بن جبير والاوزاعي وقال الضحاك أطرافها وقال الحسن البصري أبوابها وقال الربيع بن أنس في قوله والملاك على أرجائها يقول على ما امتد من السماء ينظرون الى أهل الارض وقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم أو العرش

كل واحدة منها شاة نافعة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنه سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في كل واحدة منها كأنه في الكل وقال قطرب فيمن بمعنى معهن أي خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والارض قال ابن عباس وجهه في السماء الى العرش وقناه الى الارض وعنه قال خلق فيمن حين خلقهن ضياء لاهل الارض وليس من ضوئه في السماء شيء (وجعل الشمس) فيمن (سراجا) أي كالمصباح لاهل الارض ليتوصلوا بذلك الى التصرف فيما يحتاجون اليه من المعاش عن ابن عمر وقال الشمس والقمر من وجوههما قبل السماء وأقضية ما قبل الارض وأنا قرأ بذلك عليكم آية من كتاب الله يعني هذه الآية وعن ابن عمر قال في الآية تضيئ لاهل السموات كما تضيئ لاهل الارض وعن شهر بن حوشب قال اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الاحبار وكان بينهما بعض العتب فتعالتا فذهب ذلك فقال ابن عمرو لعلكم سألني عما شئت فلان سألتني عن شيء الا أخبرتك بشيء سبق قولي من القرآن فقال له أ رأيت ضوء الشمس والقمر أهو في السموات السبع كما هو في الارض قال نعم ألم تر الى قول الله يعني هذه الآية قال التفسير وأجمعوا على أن الشمس في السماء الرابعة وضوءها أقوى من نور القمر وقال الخطيب وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة (والله أبتكم من الارض نباتا) يعني آدم خلقه الله من آدم الارض والمعنى أنشأكم منها إنشاء فاستعير النبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكوين من الارض ونباتا امام صدر لانت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر ويجوز أن يكون مصدرا للنبته مقدر أي أبتكم فنبته نباتا فيكون منصوبا بالمطاوع المقدر وقال الخليل والزجاج هو مصدر محمول على المعنى لان معنى أبتكم جعلكم تنبتون نباتا وقيل المعنى والله أبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا مفعول به قال ابن جبر أبتهم في الارض بالكسر بعد الصغر وبالطول بعد القصر (ثم يجيذك) في الارض بعد الموت مقبورين (فيها ويجزجكم) منها بالبعث يوم القيامة (أخرجا) حقا لا محالة (والله جعل لكم الارض بساطا) أي فرشها وبسطها لكم تتقلبون عليها تنلبكم على بسطكم في بيوتكم ولم يجعلها مسطحة (لتسلكوا منها سبل الخاذا) أي طرقا واسعة وقال ابن عباس طرقا محتلفة والخباج جمع فح وهو الطريق الواسع كذا قال الفراء وغيره وقيل هو المسلك بين الجبالين وقدمضى

(٩ - فتح البيان عانر) الذي يوضع في الارض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب وفي حديث عبد الله بن عمرو عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب في ذكر حلة العرش انهم ثمانية أو عا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد حدثنا زيد بن خباب حدثني أبو السمع البصري حدثنا أبو قيس حي بن هاني أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول حلة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم الى موخر عينه مسيرة مائة عام وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال كتب الى أحمد بن حنبل بن عبد الله النيسابوري حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المسكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي

أن أحدكم عن ملك من حملة العرش بعدما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبع مائة عام وهذا السناد جدير به كله ثم ثقتان
 وقد رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثنا أي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة
 عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى
 من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام هذا اللفظ أي داود وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى
 ابن المغيرة حدثنا جابر بن عبد الله عن (٦٦) جعفر عن سعيد بن جبيرة في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال

ثمانية صفوف من الملائكة قال
 وروى عن الشعبي وعكرمة
 والضحاك وابن جرير مثل ذلك
 وكذا روى السدي (١)
 عن مالك عن ابن عباس ثمانية
 صفوف وكذا روى المعري عنه
 وقال الضحاك عن ابن عباس
 الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء
 منهم بعثة الانس والجن والشياطين
 والملائكة وقوله تعالى يومئذ
 تعرضون لا تخفى منكم خافية أي
 تعرضون على عالم السر والنجوى
 الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم
 بل هو عالم بالظواهر والسرائر
 والضاير ولهذا قال تعالى لا تخفى
 منكم خافية وقد قال ابن أبي الدنيا
 أخبرنا الحق بن اسمعيل أخبرنا
 سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان
 عن ثابت بن الحجاج قال قال عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه حاسبوا
 أنفسكم قبل أن تحاسبوا زنا
 أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أخف
 عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا
 أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض
 الأكبر وقوله تعالى يومئذ تعرضون
 لا تخفى منكم خافية وقال الامام
 أحمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن

تحقيق هذا في سورة الانبياء وفي سورة الحج مستوفى وفي الانبياء تقديماً الفجاء فقال
 فجاء سبلا تناسب النواصل هنا (قال نوح) بعد يأسه من إيمانهم (رب انهم عصوني)
 أي كلهم استمروا على عصياني ولم يجيبوا دعوتي شكاهم إلى الله عز وجل وأخبرهم بأنهم
 عصوه ولم يتبعوه وهو أعلم بذلك (واتبعوا من لم يرددهم الله وولده الاخسار) أي اتبع
 الاضغرة رؤساءهم وأهل الثروة منهم الذين لم ترددهم كثرة المال والولدا الاضلالا وطغيانا
 وكفرا في الدنيا وعقوبة في الآخرة واستمروا على اتباعهم لانهم أحدثوا الاتباع قرئ
 ولده بفتح الواو واللام وبضم الواو وسكون اللام وهو ما سبع مائة عام وبفتح الاو وسكون
 الثاني وهي لغة في الولد ويجوز أن يكون جمعا وقد تقدم تحقيقه (ومكروا) أي الرؤساء
 (مكرا بكرا) قرأ الجمهور بالتشديد أي كبير اعظم ما جديا يقال كبير وكبار وكبار مثل عجيب
 وعجيب وعجيب وحجبل وحجال قال المبرد بكرا بالتشديد للبالغه ومثل بكرا قرأه
 لكثير القراءة وقرئ بالضم والتخفيف وهو بناء بالغه أيضا دون الاول وقرئ بكسر
 المكاف وتخفيف الباء قال أبو بكر هو جمع كبير كأنه جعل مكرامكان ذنوب أو أفاعيل
 فلذلك وصفه بالجمع وقال عيسى بن عمر هي لغة عمانية قيل جمع الضمير جلا على معنى من
 بعد جلا على لفظها في قوله من لم يرددهم الله وولده قاله السمين واختلف في مكرهم هذا
 ما هو فقيل هو تحريضهم سفلتهم على قتل نوح وأذاه وصدا الناس عن الايمان به والميل
 اليه والاستماع منه وقيل هو تغريهم على الناس بما أتوا من المال والولد حتى قال
 الضعفة لولا انهم على الحق لما أتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعله الله من الصاحبة
 والولد وقال مقاتل هو قول كبرائهم لاتبعاهم لاتذرنا آلهتهم وقيل مكرهم كفرهم
 وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله (وقالوا لاتذرنا آلهتهم) أي لاتتركوا عبادة
 آلهتهم وهي الاصنام والصور التي كانت لهم ثم عبدتها العرب من بعدهم وبهذا قال
 الجمهور (ولاتذرنا ذوالا سوا عا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أي لاتتركوا عبادة هذه
 الاوثان قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ بعدهم قوم
 يقتصدون بهم في العبادة فقال لهم ابلis لوصورتهم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى
 العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم من بعدهم فقال لهم ابلis ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم
 فاعبدوهم فاتبعتهم عبادة الاوثان كان من ذلك الوقت وسميت هذه الصور بهذه الاسماء

علي بن رفاعه عن الحسن عن أي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث لانهم
 عرضات فاما عرضتان فجدا لمعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله ورواه ابن ماجه
 عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع عن علي بن علي عن الحسن عن أبي هريرة به وقد روى
 ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن سليمان بن حبان عن مروان الاصغر عن أبي وائل عن عبد الله قال يعرض الناس يوم
 القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه (١) يياض بالاصل

واخذ بشماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سلمة بن الأكوع (فأما من أوفى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابه اني ظننت اني ملاق حسايه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) يخبر تعالى عن سعادة من أوفى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه هاؤم اقرؤا كتابه أي خذوا اقرؤا كتابه لانه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة لانه بمن بدل الله سيئاته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد معني هاؤم اقرؤا كتابه أي ها اقرؤا كتابه وأهم زائدة كذا قال والظاهر أنهم اجمعوا على هاؤم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن (٦٧) مطر الواسطي حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا عاصم

الاحول عن أبي عثمان قال المؤمن يعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سماته فكلما قرأ سيدة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فإذا سماته قد بدت حسنات قال فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤا كتابه وحديثنا أبي حدثنا ابراهيم الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظل غسيل الملائكة قال ان الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سماته في ظهره فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أي رب فيقول له اني لم أفصحك به وانى قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرؤا كتابه اني ظننت اني ملاق حسايه حين تجامن فضيحتيه يوم القيامة وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يذني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى اذا رأى انه قد هلك قال الله تعالى اني سترته عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم

لأنهم صوروها على صور أولئك القوم وقال عروة بن الزبير وغيره ان هذه كانت أسماء أولاد آدم وكان وداً كبيرهم وكانوا عباداً فبات رجل منهم فخرنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صنوره وروصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقدم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان مالكم لاتعبدون شيئاً قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون انهم في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحاً عليه السلام فقالوا لاتذرن آلهتكم الآية قال الماوردي فأما ودة فهو أول صنم معبود سمي وداً لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل وفيه يقول شاعرهم

حيالك ودة فانا لا يحل لنا * له والنساء وان الدين قد غربا

وأما سواع فكان له ذيل بساحل الجعر وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالحرف من سمائه في قول قتادة وقال المهدوي المراد ثم لغطان وأما يعوق فكان له ممدان في قول قتادة وعكرمة وعطاء وقال النعلبي كان الكهلان بن سبأ ثم توارثوه حتى صار فيهم ممدان وفيه يقول مالك بن نط الهمداني

بريش الله في الدنيا ويبري * ولا يبري يعوق ولا يريش

وأما نسر فكان يذو الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل قال ابن عباس هذه الاصنام كانت تعبد في زمن نوح قال الواقدي كان ودة على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس وتسرع على صورة النسر الطائر قال البقاعي ولا يعارض هذا أنهم صوروا للناس صالحين لان تصويرهم لهم يكن أن يكون منتزعا من معانيهم فكان ودة كاملاً في الرجولية وكان سواع امرأة كاملاً في العبادة وكان يغوث شجاعاً وكان يعوق سابقاً فوايا وكان نسر عظيم الطويل العمر ومثل في القرطبي أخرج البخاري وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب اما ودة فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف واما يعوق فكانت له ممدان واما نسر فكانت لحيلا لذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى

يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافرون والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسايه أي وركنت موقفاً في الدنيا ان هذا اليوم كائن لا محالة كما قال تعالى الذين يظنون انهم ملاق ربهم قال الله تعالى فهو في عيشة راضية أي مرضية في جنة عالية أي رفيعة قصورها حسان حوزها نعيمية دورها دائم حيوورها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكري حدثنا اسمعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الاسود قال سمعت أبا أمامة قال سألت رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة قال نعم انه ليس بهيط

أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى تقصير بهم أعمالهم وقد ثبت في الصحيح أن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقوله تعالى قطفوها دانية قال البراء بن عازب أي قرية يتناولها أحداهم وهونائم على سرير وكذا قال غير واحد قال الطبراني عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان النarsi قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا (٦٨) كتاب من الله أنزلنا بن فلان أدخلوه جنة عالية قطفوها دانية وكذا رواه الضياء

في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم فلان أدخلوه جنة عالية قطفوها دانية وقوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية أي يتألفهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وانعاما واحسانا ولا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اعملوا وسمدوا وقاربوا واعلموا أن أحدنا منكم لن يدخله عمله الجنة قالوا ولأنت يا رسول الله قال ولأننا لا أن نعبدني الله بدرجة منه وفضل (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابه ولم أدر ما حسابه يا ليتني كنت القاضي ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعا فاسلمكوه أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا جيم

قومهم أن انصبوا إلى مجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعب مدحتى هلاك أولئك ونسخ العلم فعبدت وفي الصحيحين من حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها نصابا ورسل الله صلى الله عليه وسلم لم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أولئك كان إذا مات الرجل الصالح منهم بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة قرأ الجمهور وذا بقى الواو وقرئ بضمها قال الليث وذبضم الواو صم لقريش وفتحها صم كان لقوم نوح وبه سمى عربن وذا قال في الصحاح والوذب الفتح الوذب في لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء وأدغموها في الدال وقرأ الجمهور يغوث ويغوث بغير تنوين فان كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل وان كانا عجميين فللمعجمة والعلمية وقرئ يغوثا ويعوقا بالنصب مصر وفتحين لاميرين أحدهما أنه صرفهما للتناسب إذ قبلهما اسمان منصرفان وبعدهما اسم منصرف كما صرف سلاسل والثاني أنه جاء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا وهي لغة حكاها الكسائي ذكره السمين وقال ابن عطية وذلك وهم ووجه تخصيص هذه الأصنام بالذكور مع دخولها تحت الألهة أنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها ولم يذكر النفي مع يعوق ونسر لكثرة التكرار وعدم اللبس (وقد أضلوا كثيرا) أي وقال نوح قد أضل كبرائهم ورؤسائهم كثيرا من الناس وقيل الضمير راجع إلى الأصنام أي ضل بسببها كثير من الناس كقول إبراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس وأجرى عليهم صيغة من يعقل لاعتقاد الكفار الذين يعبدونها أنها تعقل (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) معطوف على رب انهم عصوني ووضع الظاهر موضع المظهر تسجيلا عليهم بالظلم وقال أبو حيان أنه معطوف على قد أضلوا ومعنى الضلال لا الاعتدال كذا قال ابن جبر واستدل على ذلك بقوله أن المجرمين في ضلال وسعرو قيل الأخسر أنا وقيل الأقنعة بالمال والولد وقيل الضياع وقيل ضلالا في مكرهم وذا دعاء عليهم من نوح بعد أن علمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قدامن (مما) ما مزيدة لنا كيد والمعنى من (خطيئتهم) قرأ الجمهور على جمع السلامة وهي سبعة وقرئ خطاياهم على جمع التكسير وخطيئتهم على الأفراد والمعنى من أجلها وبسببها (أغرقوا) بالطوفان قرأ الجمهور من أغرق وقرئ غرقوا بالتشديد (فأدخلوا) عقب الأغراق (نارا)

ولاطعام الأمن غسلي لا يأكله إلا الخاطئون) وهذا الخبر عن حال الأشقياء إذا أعطى أحداهم كتابه في العرصات وهي بشماله فينثذ به دم غاية الندم فيقول يا ليتني لم أوت كتابه ولم أدر ما حسابه يا ليتني كنت القاضي قال الضحاك يهني مونة لأحياء بعد هاو وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدي وقال قتادة غنى الموت ولم يكن شي في الدنيا كره إليه منه ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه بل خلاص الأمر إلى وحدي فلا معين لي ولا مجير فعندها يقول الله عز وجل خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه أي يأمر الزبانية أن تأخذ عناق من المحشر فتغلها أي تضع الأغلال في عنقه ثم تورد إلى جهنم

فصله اياها أي تغمر فيها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو قال إذا قال الله تعالى خذوه بآذنه سبعون ألف ملك أن الملك منهم ليقول هكذا فيلحق سبعين ألفا في النار وروى ابن أبي الدنيا في الأحوال أنه يتدبره أربع مائة ألف ولا يتيق شي إلا دقه فيقول مالي ولك فيقول أن الرب عليك غضبان فكل شي غضبان عليك وقال الفضيل هو ابن عياض إذا قال الرب عز وجل خذوه فاعلموا بآذنه سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه ثم يلجم صلوته أي اغمره فيها وقوله تعالى ثم في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعا فأسلكوه قال كعب الأحبار كل حلقة منها قدر (٦٩) حديد الدنيا وقال العوفي عن ابن عباس

وابن جريج بذراع الملك وقال ابن جريج قال ابن عباس فأسلكوه تدخل في آسته ثم تخرج من فيه ثم يتظلمون فيها كما يتظلم الجراد في العود حين يشوي وقال العوفي عن ابن عباس يسلك من دبره حتى يخرج من مخزبه حتى لا يقوم على رجله وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى جمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسير خمسمائة سنة لمغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها وأصلها وأخرج الترمذي عن سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك به وقال هذا حديث حسن وقوله تعالى أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلته ويؤدى حقهم فان الله على

وهي نار الآخرة وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه نحو أي أمر الله وقيل عذاب القبر وعلى هذا وعلى بابه كقوله في آل فرعون النار يعرضون عليهم أغدوا وعشيا (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) أي لم يجدوا أحداً ينصرونهم من عذاب الله ويدفعه عنهم (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) يعني لما أسفوح عليه السلام من إيمانهم وأقلاهم عن الكفر دعا عليهم بالهلاك قال قتادة دعا عليهم بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فأجاب الله دعونه وأغرقهم وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع بن أنس وابن زيد وعطية أنما قال هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نساءهم وأعقم أرحام النساء وأصلاب الأباء قبل العذاب بسبعين سنة وقيل بأربعين قال قتادة لم يكن فيهم صبي وقت العذاب وقال الحسن وأبو العباس لو أهلك الله أطفالهم معهم كان عذابنا من الله وعد لا فيهم ولكن أهلكت ذريتهم وأطفأنا لهم بغير عذاب ثم أهلكهم بالعذاب ومعنى ديار ما يسكن الديار ويدور في الأرض وأصله ديار على فيعال من دار يدور فقلت الواو ياء وأدغمت أحداً عما في الأخرى مثل القيام أصله قيوام وقال القتيبي أصله من الدار أي نازل بالدار يقال ما بالدار يدور أي أحد كقيام وقيوم وهو من الأسماء المستعملة في النفي العام وقيل الديار صاحب الديار والمعنى لا تدع أحداً منهم إلا أهلكته وقيل هو مأخوذ من الدوران وهو التحرك قال سليمان الجلي أنظر ما الحكمة في تأخيرهم عن قوله مما خطبناهم أغرقوا مع ان مقتضى الظاهر تقدمة عليه لكونه سبباً لا غرقهم تأمل ثم رأيت أبا السعود قال هذا عطف على نظيره السابق وقوله مما خطبناهم اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للإيدان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم إلا لاجل خطاياهم التي عددها نوح وإشارة إلى أن استحقاقهم للاهلاك لاجلها اه كلام الجليل (انك ان تذرهم) أي ان تركتهم على الأرض (يضلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يلدوا إلا فاجراً) بترك طاعتك (كفاراً) لنعمتك أي كثير الكفران لها والمعنى الامن سيفجر ويكفر في الكلام مجازاً الأول لانهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدهما بزمان طويل وقال عليه السلام هذا القول لعلمه بالتجربة من أحوالهم ان أولادهم يكونون مثلهم ثم لما دعا على الكافرين أتبعه بالدعاء لنفسه والديه وللمؤمنين فقال (رب اغفر لي ولوالدي) قرأ

العباد أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً وللعباد بعضهم على بعض حق الاحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله بأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم وقوله تعالى فليس له اليوم ههنا حيم ولا طعام الا من غسلي لا يأكله الا الخاطئون أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لاجيم وهو التريب ولا شفيع يطاع ولا طعام له ههنا الا من غسلي قال قتادة هو شرط عام أهل النار وقال الربيع والضصاك هو شجرة في جهنم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خفيف عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدري ما الغسلين

ولكنه اظنه الزقوم وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء يسيل من طوهم وقال علي بن أبي طلحة عنه الغسلين صديدا هل النار فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين يقول تعالى مقسما بالخلقة بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم ان القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة واداء الامانة فقال (٧٠) تعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم يعني محمدا

صلى الله عليه وسلم اضاف له صلى الله عليه وسلم معنى التبليغ لان الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا اضاف في سورة التكوين الى الرسول الملكى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وهذا جبريل عليه السلام ثم قال تعالى وما صاحبكم بمجنون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولقد رآه بالافق المبين يعني أن محمدا رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وما هو على الغيب بضنين أى بتميم وما هو بقول شيطان رجيح وهكذا قال ههنا وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون فاضافه تارة الى قول الرسول الملكى وتارة الى الرسول البشرى لان كلامه ما يبلغ عن الله ما استأنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى تنزيل من رب العالمين قال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أنعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقتني الى المسجد فتمت خلفه فاستفتح

العامية بكسر اللام وفتح الدال على انه تنبيه والدريد أبو به وكانا مؤمنين وأبوه لأمك أولمك بفتحين أو بفتح فكأن ابن متوشلح بن أخنوخ وهو ادريس وأمه شمعابوزن سكرى بنت أنوش وقيل أراد آدم وحواء والأول أولى وقال سعيد بن جبيرة أراد أبو لهبه أبا جده وقرى ولولدى بكسر الدال على الافراد وعلى التنبيه يعني ابنه ساما وحواما وقرى ولولدى بكسر الدال يعني أباه فيجوز أن يكون أراد أباه الأقرب الذي ولده وخصه بالذكرا لانه أشرف من الأئم وان يريد جميع من ولد من لدن آدم الى دن ولده (ولن دخل بيتي) قال الضحاك والكبي يعني مسجده وقيل منزله الذي هو ساكن فيه وقيل سفينة وقيل لمن دخل في دينه واتصاف (مؤمننا) على الحال أى لمن دخل بيتي متصفا بصفة الايمان فيخرج من دخله غير متصف بهذه الصفة كما مر أنه وولده الذي قال ساوى الى جبل يعصمى من الماء ثم عمم الدعوة فقال (وللمؤمنين والمؤمنات) أى واغفر لكل متصف بالايمان من الذكور والاناث ثم عاد الى الدعاء على الكافرين فقال (ولا ترد الظالمين الاثارا) منعول ثان والاستثناء من غير أى لا ترد المتصفين بالظلم الا هلاكوا وخسرانا ودما فاهلكوا وغرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بارادة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم وفي الحديث يهلكون مهلكا واحدا ويصمدون مصادرتي وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله برأيتهم فاهلكهم بغير عذاب وقد يشمل دعاؤه هذا كل ظالم الى يوم القيامة كما شمل دعاؤه للمؤمنين والمؤمنات كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة

* (سورة الجن ثمان وعشرون آية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع) *

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن عائشة وابن الزبير مثله وتسمى سورة قل أوحى

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل) يا محمد للناس (أوحى الى) ليعرفوا بذلك وانك معوث الى الجن كالانس ولتعلم قريش ان الجن مع تردهم لما سمعوا القرآن وعرفوا اعجازهم آمنوا قراهم روى رابعيا وقرى وحى ثلاثا زهما الغتان والمعنى أخبرت بالوحى من الله (انه استمع نقر من الجن) واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لم يرههم فظاهر القرآن انه لم يرههم لان المعنى قل يا محمد لا تمك أوحى الى على لسان جبريل انه استمع نقر من الجن ومثله قوله واذا نقرنا اليك نقرنا

سورة الحاقة جعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرا انه لقول رسول كريم من وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال فقلت كاهن قال فقرا ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولوقفت على بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فمناكم من أحد عنه حاجزين الى آخر السورة قال فوقع الاسلام في قاي كل موقع فهذا من جملة الاسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما أوردنا كيفية اسلامه في سيرته المفردة ولله الحمد والمنة (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فمناكم من أحد عنه

حاجز بين وانه لتذكرة للمتقين وانا نعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم
يقول تعالى ولوقول علينا أي محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مغتربا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئا من
عنده فسيببه الينا وليس كذلك لاجلنا بالعقوبة ولهذا قال تعالى لاخذنا منه باليمين قبل معناه لا تقمنا منه باليمين لانها أشد في
البطش وقيل لاخذنا بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذي انقلب معلق فيه وكذا قال عكرمة
وسعيد بن جبير والحاكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر جندب بن زياد (٧١) وقال محمد بن كعب هو القلب وممر اقه وما يليه
وقوله تعالى فامنكم من أحد عنه

من الجن يستمعون القرآن ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم وروى ابن مسعود انه رآهم ورجحه العلماء والحق صحتهم ما وان
الاول وقع أولا ثم نزلت السورة ثم أمر بالخروج اليهم قال عكرمة والسورة التي كان
يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي اقرأ باسم ربك الذي خلق وقد تقدم في سورة
الاحقاف ذكر ما يفيد زيادة في هذا والنفر اسم للجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة قال
البغوي كانوا تسعة وقيل سبعة وقد اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن
فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف به جمع منهم وهو هم بالارواح السفلية
وزعموا أنهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية الا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل
وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجودهم لكن اختلفوا في ماهيتهم وقد نطق
الكتاب العزيز والسنة المطهرة بوجودهم فلا اعتد ادعائهم واذ اجاءهم الله بطل نهر
معقل قال الضحاك والجن ولد الجان وليسوا بشياطين وقال الحسن انهم ولد ابليس
وقيل هم اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح
الجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة لبدانها وقد اختلف أهل العلم في دخول
مؤمن الجن الجنة كما تدخل عصاتهم النار لقوله في سورة تبارك وجعلناهم اجراما
للسياطين وأعدنا لهم عذاب السعير وقول الجن فيما سمي في هذه السورة وأما
القاسطون فكانوا لجهنم خطبا وغير ذلك من الآيات فقال الحسن يدخلون الجنة وقال
مجاهد لا يدخلونها وان صرفوا عن النار والاول أولى لقوله في سورة الرحمن لم يطمئن
انس قبلهم ولا جان وفي سورة الرحمن آيات غير هذه تدل على ذلك فراجعها وقد قدمنا أن
الحق انه لم يرسل الله اليهم رسلا منهم بل الرسل جميعا من الانس وان أشعر قوله قد أرسلنا
اليكم رسلا منكم بخلاف هذا فهو مدفوع الظاهر بآيات كثيرة في الكتاب العزيز دالة
على ان الله سبحانه لم يرسل الرسل الا من بنى آدم وهذه الاجسام الكلام فيها بطول والمراد
الاشارة باختصار عبارة قال ابن مسعود في الآية كانوا من جن نصيبين وقد أخرج أحمد
والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في
طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء
وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقتلوا ما لكم فليل حيل بيننا وبين

حاجز بين أي فيما يقدر أحد منكم
على أن يحجز بيننا وبينه اذا أردنا به
شيئا من ذلك والمعنى في هذا بل هو
صادق بار راشد لان الله عز وجل
مقرر له ما يلغ عنه ومؤيد له
بالمعجزات الباهرات والدلالات
القاطعات ثم قال تعالى وانه
لتذكرة للمتقين يعني القرآن
كما قال تعالى قل هو للذين
آمنوا هدى وشفاء والذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو
عليهم عمي ثم قال تعالى وانا نعلم ان
منكم مكذبين أي مع هذا البيان
والوضوح سيوجد منكم من
يكذب بالقرآن ثم قال تعالى وانه
لحسرة على الكافرين قال ابن
جرير وان التكذيب لحسرة على
الكافرين يوم القيامة وحكاة
عن قتادة عنه وروى ابن أبي حاتم
من طريق السدي عن أبي مالك
وانه لحسرة على الكافرين يقول
لندامة ويحتمل عود الضمير على
القرآن أي وان القرآن والايان به
لحسرة في نفس الامر على الكافرين
كما قال تعالى كذلك سلكاه في قلوب
الجرمين لا يؤمنون به وقال تعالى

وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولهذا قال ههنا وانه لحق اليقين أي الخبر الصادق الحق الذي لا مربة فيه ولا شك ولا ريب ثم قال
تعالى فسبح باسم ربك العظيم أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم آخر تفسير سورة الحاقة والله الحمد والمنة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تفسير سورة سأل سائل وهي مكية)

(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألفا
سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ورازقه قريباً) سأل سائل بعذاب واقع فيه تضمين دل عليه حرف الباء كانه مقدرا يستعمل سائل
بعذاب واقع كقوله تعالى ويستعملونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده أي وعذابه واقع لا محالة قال النسائي حديثا بشير بن خالد

حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع قال النضر بن الحرث بن كلفة وقال العوفي عن ابن عباس سأل سائل بعذاب واقع قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى سأل سائل دعاء بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقال ابن زيد وغيره سأل سائل بعذاب واقع أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب (٧٢) وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه وقوله تعالى واقع للكافرين أي مرصد معد للكافرين وقال ابن عباس واقع جاه ليس له دافع أي لا دافع له إذا أراد الله كونه وله هذا قال تعالى من الله ذى المعارج قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى ذى المعارج قال ذو الدرجات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ذى المعارج يعني العلو والفواضل وقال مجاهد ذى المعارج معارج السماء وقال قتادة ذى الفواضل والنعيم وقوله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناسا قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ويحتمل أن يكون اسم جنس لأن روح بنى آدم فانها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء كافي الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال عن

خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شئ حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها لتعرفوا ما هذا الامر الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحوهم هامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنحلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا اننا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشداً فآمن به ولن نشرك بربنا أحد افانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى إلى انه اسمع نفراً من الجن وانما أوحى إليه قول الحق (فقلوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (اناسمعا قرآنا) أي كلاماً مقرواً (عجبا) في فصاحته وبلاغته وغزارة معانيه وغير ذلك وقيل بعجبا في مواضعه وقيل في بركته وعجبا مصدر وصف به للمبالغة وعلى حذف المضاف أي ما عجب أو المصدر بمعنى اسم الفاعل أي معجبا (يهدى إلى الرشداً) أي إلى مرشد الأمور وهي الحق والصواب والايمان وقيل إلى معرفة الله والتوحيد والجملة تصفة أخرى للقرآن (فآمن به) أي صدقنا بأنه من عند الله (ولن نشرك) بعد اليوم (بربنا أحداً) من خلقه ولا نتخذ معه الهة أخرى لانه المتفرد بالربوبية وفيه دليل على أن أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل نصارى وقيل مجوسا ومشركين وفي هذا توحيه للكفار من بنى آدم حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة وانتدعوا بسماع آيات يسيرة منه وأدركوا بعقولهم انه كلام الله وآمنوا به ولم ينتدع كفارا لأنس لا سيما رؤسائهم وعظماؤهم بسماعه مرارته بعدد تلوته عليهم في أوقات مختلفة مع كون الرسول منهم يلو عليهم بلسانهم لاجرم صرغهم الله أذل مصرع وقتلهم أقبح مقتل ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون (وأنه تعالى جدر بنا) ترى بفتح أن وكذا فيما بعدها وذلك أحد عشر موضعا إلى قوله وأنه لما قام عبد الله وقرئ بالكسرى في هذه المواضع كلها الا في قوله وان المساجد لله فانهم اتفقوا على الفتح أمامن قرأ بالفتح في هذه المواضع فعلى العطف على محل الجار والمجرور في فآمن به كأنه قيل فصدقنا ما وصدقنا أنه تعالى جدر بنا الخ وأما من قرأ بالكسرى في هذه المواضع فعلى العطف على فآمن به فقالوا اننا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشداً فآمنوا بالله تعالى جدر بنا الخ واختار أبو حاتم وأبو عبيدة قراءة الكسر لانه كله من كلام الجن ومما هو محكي عنهم بقوله فقالوا اناسمعا وقرئ بالفتح في ثلاثة مواضع

زاذا عن البراء من فروع الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه فلا يزال يصعد بها من السماء إلى سماء حتى ينتهي وهي بها إلى السماء السابعة والله أعلم بصحته فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الامام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه وهذا اسناد رجاله على شرط الجماعة وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيه أربعة أقوال أحدها أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السفلين وهو قرار الارض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة هذا ارتفاع العرش عن المركز الذى في وسط الارض

السابعة وكذلك اتساع العرش من قطر الى قطر مسيرة خمسين ألف سنة وانه من ياقوته جواهر كذا كره ابن أبي شيبة في كتاب
صفة العرش وقد قال ابن أبي حاتم عنده هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا أحكام عن عمرو بن معمر بن
معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال منتهى أمره من أسفل الارضين
الى منتهى أمره من فوق السموات مقداره خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك تنزل الامر من السماء الى
الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لان ما بين (٧٣) السماء والارض مسيرة خمسمائة عام

وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن
أحكام بن سالم عن عمرو بن معمر
عن ليث عن مجاهد قوله لم يذ كر ابن
عباس وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي
حدثنا إبراهيم بن منصور حدثنا
نوح المعروف عن عبد الوهاب
ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس
قال غلط كل أرض خمس مائة
عام وبين كل أرض الى أرض
خمس مائة عام فذلك سبعة آلاف
عام وغلط كل سماء خمس مائة
عام وبين السماء الى السماء خمس مائة
عام فذلك أربعة عشر ألف عام
وبين السماء السابعة وبين العرش
مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك
قوله تعالى في يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة القول الثاني أن
المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ
خلق الله هذا العالم الى قيام
الساعة قال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى
أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج
عن مجاهد في قوله تعالى في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة قال الدنيا
عمرها خمسون ألف سنة وذلك
عمرها يوم سماها الله عز وجل

وهي وانه تعالى جذر بنا وانه كان يقول سفينة وانه كان رجال من الانس لانه من الوحى
وكسر ما بقي لانه من كلام الجن وقرأ الجمهور وأنه لما قام عبد الله بالفتح لانه معطوف على
قوله أنه استمع وقرئ بالكسر في هذا الموضع عطفا على فأنما به بذلك التقدير السابق
واتفقوا على النسخ في أنه استمع كما اتفقوا على الفتح في أن المساجد وفي وأن لو استقاموا
واتفقوا على الكسر في فقالوا انما سمعنا وقال انما ادعوا ربى وقل ان أدري وقل انى لأملك
انكم والجد عند أهل اللغة العظيمة والجلال يقال جدد في أى عظم فالعنى ارتفع
عظمتهم بنا وجلاله وبه قال عكرمة ومجاهد وقال الحسن المراد تعالى غنائم ومنه قيل
للحظ جدور رجل مجدود أى محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجدم منك الجد قال أبو عبيد
والخليل انه لا ينفع ذا الغنى منك الغنى أى وانما ينفعه الطاعة وقال القرطبي والفعال
جده الآؤه ونعمه على خلقه وقال ابن عباس الآؤه وعظمتهم وأمره وقدرته وقال أبو
عبيدة والاختف مشكوكه وسلطانه وقال السدي أمره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد
ربنا أى تعالى ربنا وقيل جده قدرته وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق
والربيع بن أنس ليس لله جد وانما قالته الجن للجهالة والجد أيضا أبو الاب قرأ الجمهور
جد بفتح الجيم وقرئ بكسر ها وهو ضد الهزل وقرئ جدى ربنا أى جدوا ومنه ومنه وقرئ
بتنوين جدور رفع ربنا على انه بدل من جد (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذا بيان لتعالى جده
سبحانه قال الزجاج تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولد لان صاحبة
تتخذ للعاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزّه عن كل نقص وكان الجن نهوا به هذا على
خطا الكفار الذين ينسبون الى الله صاحبة والولد ونزهوا الله سبحانه عنهما (وانه كان
يقول سفينة) أى جاهلنا (على الله شططا) أى غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة
والولد والضمير في انه للحديث أو الامر وسفينة يجوز أن يكون اسم كان ويقول الخبر
ويجوز أن يكون سفينة فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها ضمير يرجع الى الحديث
أو الامر ويجوز أن تكون كان زائدة ومرادهم بسفينة عصاتهم ومشركوهم وقال
مجاهد وابن جريج وقتادة أرادوا به ابليس عن أبي موسى الأشعري مرفوعا قال ابليس
أخرج ابن مردويه والديلمي قال السيوطي بسند واه والشطط الغلو في الكفر وقال أبو
مالك الجور وقال الكلبى الكذب وأصله البعد عن القصد ومجاوزة الحد (وانا ظننا أن

(١٠ - فتح البيان عاشر) نخرج الملائكة والروح اليه في يوم قال اليوم لدينا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الدنيا من أولها الى آخرها مقدار
خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي الا الله عز وجل القول الثالث انه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول
غريب جدا قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا جلول بن المورق حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني
محمد بن كعب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة القول الرابع أن المراد بذلك يوم

القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهيدي عن إسرائيل عن سماعة عن عكرمة عن ابن عباس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال يوم القيامة واسناده صحيح ورواه النوري عن سماعة بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقداره خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الامام (٧٤) أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن

أبي سعيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به الآن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر العداني قال كنت عند أبي هريرة ففر رجل من بني عامر بن صعصعة فقبل له هذا أكثر عامري ما لا فقال أبو هريرة ردوه الى فردوه فقال نبئت انك ذو مال كثير فقال العامري اى والله ان لي لما نجا من أمة أدم حتى عد من ألوان الابل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة اياك واخفاف الابل واظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ما ذاك يا أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى

لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أى انا حسبنا ان الانس والجن كانوا لا يكذبون على الله بأن له شريكا وصاحبه وولدا فلذلك صدقناهم في ذلك حتى سمعنا القرآن فعلنا بطلان قولهم وبطلان ما كانوا ظنهم به من الصدق واتصاب كذبا على انه مصدر مؤكدي لقول لان الكذب نوع من القول أو صفة لمصدر محذوف أى قولنا كذبا وقرئ ان لن تقول من التقول فعلى هذا كذبا مفعول به (وانه كان رجال) في الجاهلية (من الانس يعوذون) أى يستعيذون (برجال من الجن) حين ينزلون في سفرهم يخوف قال الحسن وابن زيد وغيرهما كان العرب اذا نزل الرجل بوادى قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فبيئت في جواره حتى يصبح فنزلت هذه الآية قال مقاتل كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن عكرمة بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأوانا المبيت الى راعي غنم فلما اتصف الليل جاء ذئب فأخذهم لامن الغنم فوثب الراعى فقال يا عامر الوادى أنا جارك فنادى مناد يا سرحان أرسله فاقى الجمل يشد حتى دخل في الغنم وأمر الله على رسوله بمكة وأنه كان رجال الآية وذكره ابن الجوزى في تفسيره بغير سند (فزادوهم) أى زاد رجال الجن من يعوذ بهم من رجال الانس أو زاد المستعيذون من رجال الانس من استعاذوا بهم من رجال الجن (رهقا) لان المستعاذ بهم كانوا يقولون سدا الجن والانسان وبالاول قال مجاهد وقتادة والثاني قال أبو العالصة وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله ترهقهم ذلة أى تغشاهم وقيل الرهق الخوف أى ان الجن زادت الانس بهذا التعوذ بهم خوفا منهم وقيل كان الرجل من الانس يقول أعوذ بفلان من سادات العرب من جن هذا الوادى ويؤيد هذا ما قبل من أن لفظ رجال لا يطلق على الجن فيكون قوله برجل وصفالمن يستعيذون به من رجال الانس أى يعوذون بهم من شر الجن وهذا فيه بعد واطلاق لفظ رجال على الجن على تسليم عدم صحته لغة لا مانع من اطلاقه عليهم هنا من باب المشاكلة قال ابن عباس كان القوم في الجاهلية اذا نزلوا بالوادى قالوا نعوذ بسيد هذا الوادى من شر ما فيه فلا يكون شئ أشد ولعامرهم بهم فذلك قوله فزادوهم رهقا (وانهم ظنوا كما ظنتم أن ان يبعث الله أحدا) أى

الله عليه وسلم يقول من كانت له ابل لا يعطى حقها في نجدها ورسولها قلنا يا رسول الله ما نجدتها ورسولها وان قال في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كاعظام كانت وأكثرها وأسمنه وأشهره حتى يبطع لها بقاع قرقر فتطوئه باخفافها فاذا جاوزه أخرهاها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله واذا كانت له بقرة لا يعطى حقها في نجدها ورسولها فانها تأتي يوم القيامة كاعظام كانت وأكثرها وأسمنه وأشهره ثم يبطع لها بقاع قرقر فتطوئه كل ذات خلف يظلفها وتنطجها كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عصابة اذا جاوزه أخرهاها أعيدت عليه أولاها في يوم كان

مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله وإذا كانت له غم لا يعطى حقه في نجاتهم وأورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذما كانت وأسمنه وأشهره حتى ييطع لها بقاع قرقر فطوه كل ذات ظلف بظلفها وتنطع كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضاء إذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله فقال العامري وما حق الأبل يا باهريرة قال ان تعطى الكريمة وتغنى العزيرة وتفقّر الظهر وتسقى الأبل وتطرق الفعل وقدر واه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن (٧٥) قتادة به طريق أخرى لهذا الحديث

قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا جاد عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب كنز لا يؤدى حقه الا جعل صناعته يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وذكروا بقية الحديث في الغنم والأبل كما تقدم وفيه الخيل لثلاثة لرجل أجر ورجل ستر وعلى رجل وزير الى آخره ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منه رداه دون البخاري من حديث سهل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقة وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الاحكام والغرض من ايراده ههنا قوله حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن عيينة وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

وان الجن ظنوا كما ظنتم أيها الناس أنه لا بعث بعد الموت فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به وقيل المعنى وان الانس ظنوا كما ظنتم أيها الجن على انه كلام بعض الجن لبعض والمعنى أنهم لا يؤمنون بالبعث كما انكم لا تؤمنون به وهذا القولان من كلام الله تعالى معترضان في خلال كلام الجن المحكي عنهم عند بعض المفسرين وعند بعضهم هما من جملة كلام الجن وعليه فلا اعتراض في الكلام تأمل (وانا لمسننا السماء) هذا من قول الجن أيضا أي طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا والمسم المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) أي جمع أقوياء من الملائكة يحرسونها عن استراق السمع والحرس جمع حارس وهو الرقيب والمصدر الحراسة وقيل اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولونظر الى معناه لقبيل شداد او شهاب جمع شهاب وهو الشعلة المقتبسة من نار الكوكب كما تقدم بيانه في تفسير قوله وجعلناها رجوما للشياطين (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) أي وانا كنا معشر الجن قبل هذا نقعد من السماء مواضع نقعد في مثلها الاستماع الاخبار من السماء وللمسمع متعلق بنقعد أي لاجل السمع أو بضمير هو صفة لمقاعد أي مقاعد كائنة للسمع والمقاعد جمع مقعد اسم مكان وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء فليقنوا الى الكهنة فخرسها الله سبحانه ببعثه رسوله صلى الله عليه وسلم بالشهب المحرقة عن ابن عباس قال كانت الشياطين لهم مقاعد في السماء يسمعون فيها الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لا بليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ما هذا الامن أمر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين بمكة فأتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض أخرجه أحدوا الترمذي وصححه والنسائي وغيرهم (فن يسمع الآن يجده شهابا رصدا) أي أرسده ليرى به أولا جله لمنعه من الاستماع وقوله الآن هو ظرف للعال واستعير هنا للاستقبال لانهم لا يريدون به وقت قولهم فقط وانصاب رصدا على انه صفة لشهابا أو مفعول له وهو مفرد ويجوز أن يكون اسم جمع للحرس وقد اختلف أهل العلم هل كانت الشياطين ترمى بالشهب وتقذف قبل المبعث أم لا فقال قوم لم يكن ذلك

قال فايهم (٣) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال انما سألتك لتحدثني قال هما يومان ذكرهما الله أعلم بهما واركه ان أقول في كتاب الله بما لا أعلم وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك للث واستعجابهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ولهذا قال انهم يرونه بعيدا أي وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيدا الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع وزاد قريشا أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وان كان له أمد لا يعلمه الا الله عز وجل لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة (يوم تكون السماء كالمهل وتكون قوله قال فايهم فقال ما الى آخر الاثر هكذا في النسخ التي بأيدينا وحرر اه (٣)

الجبال كالعهن ولا يسأل جيم جيماء يصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ينيبه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه كلاً منهم نجيته (فأوحى) يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين يوم تكون السماء كالمهل قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي وغير واحد أي كدردي الزيت وتكون الجبال كالعهن أي كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقتادة والسدي وهذه الآية كقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقوله تعالى ولا يسأل جيم جيماء يصرونهم أي (٧٦) لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه

عن غيره قال العوفي عن ابن عباس يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ثم يشر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والدع ولد ولا مولود هو حازن والده شيئاً أن وعد الله حق وكقوله تعالى وإن تدع مثقله إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وكقوله تعالى فإذا انفجخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وكقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقوله تعالى يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ينيبه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه كلاً أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو جمل الأرض ذهباً أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشه كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدى من عذاب الله به ولا يقبل منه قال

وحكي الواحد عن معمر قال قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرايت قوله وأنا كنا نقعد منها الآية قال غلط وشدأ امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن قتبية إن الرجم قد كان قبل مبعثه ولكنه لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه وكانوا يسترقون السمع في بعض الأحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلاً وقال عبد الملك بن سائر لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم حرس السماء ورمت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو إلى السماء وقال نافع بن جبيرة كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رمت بالشهب قال الزمخشري والصحيح أنه كان قبل البعث فلما بعث صلى الله عليه وآله وسلم كثرت الرجم وازدادت زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الأنس والجن ومنع الاستراق أصلاً وقد تقدم البحث عن هذا (وأنا لا ندرى أشرأريد من في الأرض) بسبب هذه الحراسة للسماء وارتفاع الشرع على الاشتغال أو على الابتداء وخبره ما بعده والاولى أن تقدم طالب الفعل وهو أداة الاستفهام وأطال السمين في بيان ذلك (أم أراد بهم ربهم رشداً) أي خيراً قال ابن زيد قال ابلدس لا ندرى أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذاباً أو يرسل إليهم رسلاً والجملة سادة مسندة معزولة ندرى والاولى أن هذا من قول الجن فيما بينهم وليس من قول ابلدس كما قال ابن زيد (وأنا من الصالحون) أي قال بعض لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنا كنا قبل استماع القرآن من الموصوفون بالصلاح (ومنادون ذلك) أي قوم دون الموصوفين بالصلاح وقيل أراد بأهل الصلاح المؤمنين وبمن هم دون ذلك الكافرين والاولى وأول وقال ابن عباس يقول من المسلم ومن المشرک (كنا طرائق قدداً) أي جماعات متفرقة وفرقا شتى وأصنافاً مختلفة وذوى مذاهب متفاوئة والقدة القطعة من الشيء وصار القوم قدداً إذا تفرقت أحوالهم واستعمال القدة في الفرق مجاز والمعنى كنا ذوى طرائق قدداً أو كانت طرائقنا قدداً أو كنا مثل طرائق قدداً أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة وقال السدي والضحاك أدبانا مختلفة وقال قتادة أهواء متباينة وقال ابن عباس أهواء شتى وقال سعيد بن المسيب كانوا مسلمين ويهوداً ونصارى ومجوساً وكذا قال مجاهد قال الحسن الجن أمثالكم

قدرية

مجاهد والسدي فصيلته قبيلته وعشيرته وقال عكرمة نخذه الذي هو منهم وقال أشهب عن مالك

فصيلته أمه وقوله تعالى أنها الظلى يصف النار وشدة حرها نزاعاً للشوى قال ابن عباس ومجاهد جلدة الرأس وقال العوفي عن ابن عباس نزاعاً للشوى الجلود والهوام وقال مجاهد مادون العظم من اللحم وقال سعيد بن جبيرة العصب وقال أبو صالح نزاعاً للشوى يعني أطراف اليدين والرجلين وقال أيضاً نزاعاً للشوى لحم الساقين وقال الحسن البصري وثابت البناني نزاعاً للشوى أي مكارم وجهه وقال الحسن أيضاً تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح وقال قتادة نزاعاً للشوى أي نزاعاً لهامته

ومكارم وجهه وخلقهم وأطرافه وقال الضحاك تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا وقال ابن زيد الشؤي الارباب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم وقوله تعالى تدعون أدبر وتولى وجع فأوى أى تدعو النار اليها أنبأها الذين خلقهم الله لها وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أى كذب بقلبه وترك العمل بحوارحه وجع فأوى أى جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أى أوكاه ومنع

(٧٧)

ومن اخراج الزكاة وقد ورد في الحديث ولا تؤمى فيومى الله عليك وكان عبد الله بن عكيم لا يربطه كيسا ويقول سمعت الله يقول وجع فأوى وقال الحسن البصري يا ابن آدم سمعت وعبد الله ثم أوعيت الدنيا وقال قتادة في قوله وجع فأوى قال كان جوعا منوعا الحديث (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مبأون والذين هم لقروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهادتهم قائلون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون) يقول تعالى مخبرا عن الانسان وما هو محبوب عليه من الاخلاق الدينية ان الانسان

قد ربه ومرتبة وخرارج ورافضة وشيعة وسنية وكذا قال السدي (واناظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أى وانا علمنا وتيقنا بالتفكير والاستدلال في آيات الله (ان لن نجزي الله في الارض) أيما كافيا ولن نفوته بهرب ولا غيره ان أراد بنا أمرا (ولن نجزيه هربا) مصدر في موضع الحال أى ولن نجزيه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وانا لما سمعنا الهدى) يعنون القرآن (آمنابه) وصدقنا انه من عند الله ولم نكذب به كما كذبت به كفرة الانس (فن يؤمن بربه فلا يخاف بخس ولا رهقا) أى لا يخاف نقصا في عمله وثوابه ولا ظلما وكرهه ما يغشاه والجنس النقصان والرهق العدوان والطغيان والمعنى لا يخاف أن ينقص من حسناته ولا أن يزداد في سيئاته وقد تقدم تحقيق الرهق قريبا قرأ الجمهور بخس اسكون الخاء وقرئ بفتحها وقرئ فلا يخف جزما على جواب الشرط ولا وجه له هذا بعد دخول الفاء والتقدير فهو لا يخاف والامر ظاهر وفي الآية دليل على أن العمل ليس من الايمان قاله النسفي (وانا لما المصلون) وهم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) أى الجائرون الكافرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق ومالوا الى طريق الباطل يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل قال ابن عباس القاسطون العادلون عن الحق وعن سعيدين جبيران الجحاح قال له حين أراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبو انه يصنفه بالقسط والعادل فقال الجحاح يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلاهم قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبيا وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ذكره الخطيب (فن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق الحق وتوخوه باجتهاد ومنه التحرى في الشيء قال الراغب حرى الشيء يحريه أى قصد حراه أى جانبه وتحرراه كذلك وقال الفراء أموا الهدى قال النسفي تحرى طلب الأحرى أى الاولى وفيه دليل على ان الجن يثاب بالجنة (واما القاسطون فكانوا) في علم الله (الجهنم حطبيا) أى وقود النار يوقد بهم كما يوقد بكفرة الانس وفيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب في النار وانهم وان خلقوا منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصاروا الحماود ما هكذا قيل وأيضاً النار قويه اقديا كل ضعيف فيها فيكون الضعيف حطبيا للقوى (وانا لوستقاموا على الطريقة) قرأ الجمهور بكسر الواو ومن لولا لانتفاء الساكنين وقرئ بضمها تشبيها بواو الضمير وهذا ليس

خلق هـ لوعا ثم فسر بقوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا أى اذا أصابه الضر فزع وجزع وانفزع قلبه من شدة الرعب وأيس ان يحصل له بعد ذلك خير واذا مسه الخير منوعا أى اذا حصلت له نعمة من الله بنخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي بن رباح سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مرزبان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفا في رجل شح هالع وجبن خالع ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح عن أبي عبد الرحمن المقرئ به وليس لعبد العزيز عنده سواه ثم قال تعالى الا المصلين أى الانسان من حيث هو متصف

بصفات الذم الامن عصمه الله ووفقه وهدهداه الى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون الذين هم على صلاتهم داعون قبل معناه يحافظون على أوقاتهم وأجباتهم قاله ابن مسعود ومسروق وابراهيم النخعي وقيل المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون قاله عقبه بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فان الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لانه لم يسكن فيها ولم يدم بل يتقهره انقصر الغراب فلا يفلح في صلاته وقيل المراد (٧٨) بذلك الذين اذا عملوا عملا داوما وعليه وأبتهوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي

الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل وفي النظر مداوم عليه صاحبه قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عمل عملا داوما عليه وفي النظر أبتهه وقال قتادة في قوله تعالى الذين هم على صلاتهم داعون ذكر لنا أن دأبنا عليه السلام نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يصلون صلاة ووصلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الرياح العقيم أو غودما أخذتهم الصيحة فعليكم بالصلاة فانها خلق للمؤمنين حسن وقوله تعالى والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الذاريات وقوله تعالى والذين يصومون يوم الدين أي يوقنون بالمعاد والحساب والجساز فهم يعملون عمل من يرجوا الثواب ويخاف العقاب ولهذا قال تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون أي خائفون وجلون ان عذاب ربهم غير مأمون أي لا يأمنه أحد من

من قول الجن بل هو معطوف على انه استمع نقر من الجن والمعنى وأوحى الى أن الشأن لو استقام الجن والانس أو كلاهما على الطريقة التي طريقة الاسلام وقد قدمنا ان القراء اتفقوا على فتح ان ههنا قال ابن الانباري والفتح ههنا على اضمار عين نأويلها والله ان لو استقاموا على الطريقة كما يقال في الكلام والله لو قتقت قال أو على أوحى الى أنه استمع وان لو استقاموا أو على أنسابه أي أنسابه وبأن لو استقاموا وعلى هذا يكون جميع ما تقدم معترضين المعطوف والمعطوف عليه قال ابن عباس لو أقاموا على ما أمروا به (لا سقيناهم ماء غدفا) وأيس المراد خصوص السقي بال المراد لو سقنا عليهم في الدنيا وبسطننا لهم في الرزق وقال ابن عباس معينا وقال مقاتل ماء كثير من السماء وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين وقال ابن قتيبة المعنى لو آمنوا جميعا لو سقنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله بالمطر وهذا كقوله ولو أن أهل الكتاب آمنوا اتقوا الآية وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين الآية وقيل المعنى وان لو استقام أبوههم على عبادته وسجد لا دم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم واختار هذا الزجاج والماء الغدق هو الكثير في لغة العرب قرأ العامة غدفا بفتح السين وقرأ بفتح الغين وكسر الدال وهما الغتان في الماء الغزير ومنه الغدق للماء الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير النطق ويقال غدقت عينه تغدق أي هطل دمعها وفي المصباح غدقت العين غدقا من باب تعب كثرا ماؤها فهي غدقة وأغدقت اغدقا كذلك (لنفنتهم فيه) أي لتختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم علم ظهور للخلائق والافهوا تعالى لا يخفى عليه شيء وقال السكبي المعنى وان لو استقاموا على الطريقة التي هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لا وسعنا أرزاقهم مكرامهم واستدرأ حاجتي يقتنوا بها فذهبهم في الدنيا والاخرة وبه قال الريح بن أنس وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن والنخعي وعيان بن ريان وابن كيسان وأبو مجلز واستدلوا بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقوله ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ستمائة سنة تناسن فضة الآية والا أولى وقال عمر في الآية حينما كان الماء كان المال وحينما كان المال كانت النسيئة وقال ابن عباس لنبيهم به (ومن يعرض

عقل عن الله أمره الايمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى والذين هم لفرجهم حافظون أي يكتفونهم عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى الاعلى أزواجهم وأما ملكة أي ما منهم أي من الاماء فانهم غير ملومين في إتيانهم ورائد ذلك فأولئك هم العادون وقد تقدم تفصيل هذا في أول سورة قد أفلح المؤمنون بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى والذين هم لا مآلاتهم وعهدهم راعون أي اذا اتفقوا لم يخونوا واذا عاهدوا لم يفتروا وهذه صفات المؤمنين وضمة ههنا صفات المنافقين كما ورد في الحديث الصحيح آية المذاق ثلاث اذا حدثت كذب واذا وعد أخلف واذا اتقن خان وفي رواية اذا حدث كذب

وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وقوله تعالى والذين هم بشهادتهم قائلون أي يحافظون عليهم لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتونهم أو من يكتها فإنه أثم قلبه ثم قال تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون أي على مواقيتها وأركانها واجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتسوية بشرفها كما تقدم في أول سورة قد أفلح المؤمنون سواء ولهذا قال هناك أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقال ههنا أولئك في جنات مكرمون أي مكرمون بأنواع الملائكة والمسار (فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليقين ٧٩) وعن الشمال عزيزين أي طمع كل امرئ

منهم أن يدخل جنة نعيم كلاً أانا خلقناهم مما يشاء علمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب أنا القادرون على أن نبذل خير أمنهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأحداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقه هم ذل ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيداه الله به من المعجزات الباهرات ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه شاردون عينا وشمالاً فرقا وشيعاً شيعاً كما قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حرم مستنفرة فرت من قسورة الآية وهذه مثلها فإنه قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين أي فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد دم مهطعين أي مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصري مهطعين أي منطلقين عن اليقين وعن الشمال

عن ذكر ربه أي ومن يعرض عن القرآن أو عن العبادة أو عن الموعظة أو عن التوحيد أو عن جميع ذلك (يسلكه) أي يدخله (عذاباً بعداً) أي شاقاً صعباً قرأ الجمهور ونسلكه بالنون مفتوحة من سلكه وقرأ بالياء التحتية واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله عن ذكر ربه ولم يقل عن ذكرنا وقرأ بضم النون وكسر اللام من أسلكه والصعد في اللغة المشقة تقول تصعدني الأمر إذا شق عليك وهو مصدراً يقال صعد صعداً وصعوداً فوصف به العذاب مبالغة لأنه يتصعد المذهب أي يعاوه ويعمره ويغلبه فلا يطيقه قال أبو عبيد الصعد مصدراً أي عذاباً صاعداً وقال عكرمة الصعد هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فإذا انتهت إلى أعلاها حذر إلى جهنم كما في قوله سأردهم صعوداً والصعود العقبة الكؤود وقال ابن عباس عذاباً شقة من العذاب يصعد فيها وعنه قال جليل في جهنم وعنه قال لراحة فيه (وإن المساجد لله) أي وأوحى إلى أن المساجد مختصة بالله وقال الخليل التقدير ولأن المساجد والمساجد الموضع التي بنيت للصلاة فيها جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود قال سعيد بن جبيرة قالت الجن كيف أنسا أن تأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن نأثر فنزلت وقال الحسن أراد بها كل البقاع لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد وهي القدمان والركبتان واليدان والجهة والأنف وهو على هذا جمع مسجد بالفتح يقول هذه أعضاء أنعم الله بها عليكم فلا تسجد بها غيره فتجد نعمة الله وكذا قال عطاء وقيل المساجد هي الصلاة لأن السجود من جملة أركانها قاله الحسن قال ابن عباس لم يكن يوم نزول هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد أيليا بيت المقدس وقيل المراد بها البيوت التي تبنى أهل الملل للعبادة والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة أظهر الأقوال إن شاء الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس وإضافة المساجد إلى الله إضافة تشريف وتكريم وقد نسب إلى غيره تعريفاً قال صلى الله عليه وآله وسلم صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ذكره القرطبي (فلا تدعوا) أي فلا تعبدوا (مع الله أحداً) من خلقه كأنهم كانوا من هذا التوبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام قال مجاهد كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم ويعبدونهم أشركوا بالله فأمر

عزيز واحد هجرة أي متفرقين وهو حال من مهطعين أي في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس فما للذين كفروا قبلك مهطعين قال قبلك يتطرون عن اليقين وعن الشمال عزيزين قال العزيز العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عاصم حدثنا قرة عن الحسن في قوله عن اليقين وعن الشمال عزيزين أي متفرقين يأخذون عينا وشمالاً يقولون ما قال هذا الرجل وقال قتادة مهطعين عامدين عن اليقين وعن الشمال عزيزين أي فرقا حول النبي صلى الله عليه وسلم

لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الثوري وشعبة وعبيد بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل وو كيع ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الأعمش عن المسيب بن رافع عن نعيم بن طرفة عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق فقال مالي أراكم عزين رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير من حديث الأعمش به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم حلق (٨٠) حلق فقال مالي أراكم عزين وهذا اسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب

الستة من هذا الوجه وقوله تعالى أبطع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلاً أي أبطع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم لأجل ماؤاهم جهنم ثم قال تعالى مقرر الوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلاً عليهم بالبداة التي الاعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى أنا خلقناهم مما يعلمون أي من المني الضعيف كما قال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين وقال فليستظر الإنسان مني خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب أنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر قاله من قوة ولا ناصر ثم قال تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب أي الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقاً ومغرباً وسخر الكواكب تدور من مشارقها وتغيب من مغاربها وتقدير الكلام ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكان لا محالة ولهذا

الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا الله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوها صفاء أو غيره مما يعبد وقيل المعنى أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجمعوا لغير الله تعالى فيها أنصبياً وفي الصحيح من نشد ضالة في المسجد دفعوا لوالا ردها الله عليه فان المساجد لم تبين لهذا (وأنه) أي وأوحى إلى أن الشأن (لما قام عبد الله) وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل نبي الله أو رسول الله لأنه من أحب الاسماء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأنه لما كان واقعاً في كلامه صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه جى به على ما يقتضيه التواضع أولان عبادة عبد الله المستفادة من قوله يدعوه ليست بمستبعدة ثم كان وقوع هذا الأمر يبين نخل على ما قاله المحلى وقال الحنفياوى سياق هذه الآية إنما يظهر في المرة الثانية من مرتى الجن وهى التي كانت بمجعون مكة وكان معه فيها ابن مسعود وكان الجن اثني عشر ألفاً أو أكثر وأما المرة الأولى التي تقدم الكلام فيها التي كانت يبين نخل فكانوا فيها تسعة وأربعة ولا يظهر في حقهم أن يقال (كادوا يكونون عليه لبيدا) كما لا يخفى فليست أملاً اه ومعنى الآية أنه لما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى ويتلو القرآن كاد الجن أن يكونوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم متراكبين من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه قال الزجاج ومعنى لبيدا ركب بعضهم بعضهم بعضاً من هذا اشتقاق هذه اللبود التي تفرش قرأ الجمهور لبيدا بكسر اللام وفتح الباء وقرأ بعضهم اللام وفتح الباء وبضم الباء واللام وبضم اللام وتشديد الباء مفتوحة فعلى القراءة الأولى المعنى ما ذكرناه وعلى الثانية المعنى كثيراً كما في قوله أهلك ما لا لبيدا وقيل المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حردا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام عبد الله محمد بالدعوة قلبت الجن والأنس على هذا الأمر ليطفؤه فابى الله إلا أن ينصره ويتم نوره واختار هذا ابن جرير قال مجاهد لبيدا أي جماعات وهو من تلبد الشيء على الشيء أي اجتمع ومنه اللبد الذي يفرش لثراً كم صوفه وكل شيء ألصقته الصفا شديداً فقد لبدته ويقال للشعر الذي على ظهر الأسد لبدته وجمعها لبد ويقال للجراد الكثير لبيد ويطلق اللبد بضم اللام وفتح الباء على الشيء الدائم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لطول بقائه عن ابن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة إلى نواحي مكة فخطب خطباً وخطباً وخطباً حتى أتيتكم ثم قال لا يهولنكم شيء تراه فتقدم شيئاً ثم جلس

أني بلا في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي فإذا يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبغ من إقامة القيامة وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيها من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهم بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير وقال تعالى في الآية الأخرى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو

الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال ههنا فلا أقسم برب المشارق والمغارب ان القادرين على ان يبدل خيرا منكم أي يوم القيامة تعيدهم بأبدان خيرة من هذه فان قدرته صالحه لذلك وما نحن بمسوقين أي بعاشرين كما قال تعالى أيتحسب الانسان ان لن نجتمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون واختار ابن جرير على أن يبدل خيرا منكم أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقولها وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم والمعنى الاول أظهر (٨١) لدلالة الآيات الاخر عليه والله سبحانه وتعالى

أعلم ثم قال تعالى فذرهم أي يا محمد بخوضوا ولا تعبوا اي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم حتى يلاقوا يومهم الذي وعدون أي فسيمعلون غب ذلك ويذوقون وباله يوم يخرجون من الاجساد سراعا كأنهم الى نصب يوفضون أي يقومون من القبور اذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم الى نصب يوفضون قال ابن عباس ومجاهد والضعفاء الى علم يسعون وقال ابو العالية ويحيى بن أبي كثير الى غاية يسعون اليها وقد قرأ الجمهور الى نصب بفتح النون واسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنسوب وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والصاد وهو الصنم أي كأنهم في اسراعهم الى الموقف كما كانوا في الدنيا يساهرون الى النصب اذا عاينوه يتدرون ايهم يستلمه اول وهذا مروي عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير ومسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن انس وابي صالح وعاصم بن أبي بهدلة وابن زيد وغيرهم وقوله تعالى خاشعة ابصارهم أي خاشعة ترهقهم ذلة أي

فاذا رجال سود كأنهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وعن ابن عباس في الآية قال لما سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلاو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن أخرجه ابن جرير وابن مردويه وعنه في الآية قال لما أتى الجن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده فمجبوا من طواغية أصحابه فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا أخرجه عبد بن حميد والحاكم والترمذي وصححه وغيرهم وعنه قال لبدا أي أعوانا (قل) يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيبا للكفار (انما أدعوني) وحده وأعبدته (ولا أشرك به) في العبادة (أحدا) من خلقه قرأ الجمهور وقال وقرئ قل على الامر وهي سبعة في الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انك جئت بأمر عظيم وقد عادت الناس كأنهم فارجمع عن هذا فنهض فخيرك (قل اني لأملك لكم ضرا ولا رشدا) أي لا أقدر ان أدفع عنكم غيا (١) ولا أسوق اليكم خيرا لان الضار والنافع هو الله سبحانه وقيل الضرا الكفر والرشد الهدى والاول أولى لوقوع النكرتين في سياق النبي فهما يعلمان كل ضرر وكل رشد في الدنيا والدين (قل اني لن ينجيني من الله أحد) أي لا يدفع عني أحد عذابه ان أنزل به كقول صالح بن نصرني من الله ان عصيته وهذا بيان لعجزه عن شؤن نفسه بعد بيان عجزه عن شؤن غيره (ولن أجذب من دونه ملتحدا) أي ملجأ ومعدلا وحزرا إلخ اليه وأحترزه والمتحد معناه في اللغة المال أي موضعا أميل اليه في القاموس أحد اليه مال كالتحد والملتحد المتجأ وفي المصباح الملتحد بالفتح اسم الموضع وهو الملجأ اه قال قتادة مولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ومسلكا والمعنى يتقارب والاستثناء في قوله (الا بلاغا) هو من قوله لا أملك أي لا أملك ضرا ولا رشدا الا التبليغ (من الله) فان فيه أعظم الرشد ومن ملتحد أي لن أجذب من دونه ملجأ الا التبليغ وقال مقاتل ذلك الذي يجبرني من عذابه وقال قتادة البلاغا من الله فذلك الذي أملكه بتوفيق الله فاما الكفر والايان فلا أملكهما قال الفراء لكن أبلغكم ما أرسلت به فهو على هذا منقطع وقال الزجاج هو

(١١ - فتح البيان عاشر) في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة وذلك اليوم الذي كانوا يعدون آخر تفسير سورة سؤال الله الحمد والمنة (تفسير سورة فوح عليه السلام وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (انا أرسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل ان يأتهم عذاب أليم قال يا قوم اني أكرم نذير مبين ان اعبدوا الله واطيعوا وأطيعوا يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) يقول تعالى محبرا عن نوح عليه السلام انه أرسله الى قومه أمره ان يذرههم ناس الله قبل حلولهم فان تابوا أو أبوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى ان أنذر قومك من قبل ان يأتهم عذاب أليم قال يا قوم اني أكرم (١) استعمال الضمير في النفي من استعمال المسبب في السبب فهو مجاز مرسل اه منه

نذير مبين أي بين النذارة ظاهر الامر واضحه ان اعبدوا الله واتقوه أي اتركوا محارمه واجتنبوا ما آثمه وأطيعوا فيما أمركم به وأنها كم عنه يغفر لكم من ذنوبكم أي اذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم ما أرسلت به اليكم غفر الله لكم ذنوبكم ومن ههنا قيل انها زائدة وليكن القول بزياتها في الاثبات قليل ومنه قول بعض العرب قد كان من مطر وقيل انها بمعنى عن تقديره بصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير وقيل انها للتبعية أي يغفر لكم الذنوب العظام الذي وعدكم على ارتكابكم اياها الانتقام ويؤخركم الى أجل مسمى أي يمد في أعماركم ويدبر عنكم العذاب (٨٢) الذي ان لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أو وقع به بكم وقد يستدل بهذه الآية من يقول

ان الطاعة والبروصلة الرحيم زادها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث صلة الرحيم تزيد في العمر وقوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون أي بادروا بالطاعة قبل حلول النعمة فإنه اذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يعانف فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات (قال رب اني دعوت قومي ليلادعوا فلم يردهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأسرأوا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طبعا فجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبىكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجنكم اخرجها والله جمل لكم الارض

منصوب على البدل من ملئكم أي لن أجد من دونه ملئكم الا ان أبلغ ما يأتي من الله (ورسالته) معطوف على بلاغ أي البلاغ من الله والارسالته التي أرسلني بها اليكم أو الا ان أبلغ عن الله وأعمل برسالته فأخذ نفسي بما أمر به غيري وقيل معطوف على الاسم الشريف أي البلاغ من الله وعن رسالته كذا قال أبو حيان ورجحه واستظهره الكرخي (ومن بعض الله ورسوله) في الامر بالتوحيد ولم يؤمن لان السياق فيه (فان له نار جهنم) قرأ الجمهور بكسر الهمزة على انها جملة مستأنفة مستقلة وقرئ بفتحها لان ما بعد مدفء الجزاء موضع ابتداء وان مع ما في خبرها خبر مبتدأ مضمر والتقدير فجزأوه أو فحكمه ان له نار جهنم (خالدين فيها) أي يدخلون في النار أو في جهنم مقدر اخلوهم والجمع باعتبار معنى من كان التوحيد في قوله فان له باعتبار لفظها (أبدا) تأكيد لمعنى اخلو أي خالدين فيها بلا نهاية (حتى اذا راوا ما يوعدون) من العذاب في الدنيا أو في الآخرة والمعنى لا يزالون على ما هم عليه من الاصرار على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين الى أن يروا الذي يوعدون به من العذاب وحتى ابتداء فيه معنى الغاية لمقدر قبلها يدل عليه الحال وهي قوله خالدين فان اخلو في النار يستلزم استمرارهم على كفرهم وعدم انقطاع ايمانهم اذ لو آمنوا لم يخلدوا في النار ولوجعلت مجرد الابتداء من غير ملاحظة معنى الغاية كما أشار اليه القرطبي لكان أسهل وأوضح فتكون جملة مستقلة بالاستفادة (فسيعلمون) عند حلوله بهم يوم يدركهم يوم القيامة (من أضعف ناصرا) من موصولة أي هو أضعف جندا ينتصر به أو استغنى عنه والاول أولى (وأقل عددا) أي أعوانا أهم أم المؤمنون قال الخطيب أي أنا وان كنت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا وأقل عددا أو هم وان كانوا الآن بحيث لا يحصيهم عدد الا الله تعالى فيا لله ما أعظم كلام الرسل حيث يستضعفون أنفسهم ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا في تعظيم أنفسهم وازدراء غيرهم والظاهر ان اذ شرطية وان قوله فسيعلمون جوابها المكن بشكل عليه الاستقبال المضاد للسبب وذلك لان وقت رؤية العذاب يحصل علم الضعيف من القوى والسبب تقتضي انه يتأخر عنه فليستأمل هذا المحل فانه لم ينبه عليه أحد من المفسرين ولا يتخلص منه الا يجعل السبب مجرد التأكيد

لا

بساطا تسلكوا منها سبلا خفا) يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام انه اشتكى الى ربه

عز وجل مالتى من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة الا خسين عاما وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم الى الرشيد والسبيل الا قوم فقال رب اني دعوت قومي ليلادعوا فلم يردهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأسرأوا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طبعا فجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبىكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجنكم اخرجها والله جمل لكم الارض

لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون واستغشوا ثيابهم قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم وقال سعيد بن جبير والسدي غطوا رؤسهم لئلا يسمعو ما يقول وأصروا أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع واستكبروا استكبارا أي واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ثم إنى دعوتهم جهارا أي جهره بين الناس ثم إنى أعلنت لهم أي كلا ما ظاهرا بصوت عال وأسرت لهم أسرار أي فيما بيني وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجح فيهم فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا أي ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب فإنه من تاب (٨٢) إليه تاب عليه ولو كانت ذنوبه مهما كان في الكفر والشرك ولهذا قال فقلت

استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا أي متواصلة الامطار ولهذا استحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقى فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ثم قال لقد طلبت الغيث بخارج السماء التي يستنزل بها المطر وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا وقوله تعالى ويعدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا أي إذا تبسّم إلى الله واستغفرتموه وألهمتموه كثر الرزق عليكم وأسقامكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والاولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالانهار الجارية

للاستقبال وله نظائر كثيرة قاله الحفناوى (قل ان) أي ما (أدرى أقرب) حصول (ما توعدون) من العذاب أو يوم القيامة أي فيكون واقعا لأن أقر بيا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قريب (أم يجعل له ربي أمدا) أي غاية ومدة فلا يتوقع دون ذلك الامد أمره الله سبحانه ان يقول لهم هذا القول لما قالوا له متى يكون هذا الذي توعدا به ولا يقال انه صلى الله عليه وآله وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لأدرى أقرب الخ لأن المراد بقرب وقوعه الذي علمه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انتضى فهذا القدر من القرب معلوم وأما معرفة مقدار القرب فغير معلوم لا يعلمه الا الله وهو على كل حال متوقع لا كلام فيه وأما الكلام في تعيين وقته وليس له صلي الله عليه وآله وسلم قال عطاء يريد أنه لا يعرف يوم القيامة الا الله سبحانه وحده والمعنى أن علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه الا الله (عالم الغيب) قرأ الجمهور بالرفع على أنه بدل من ربي أو يسان له أو خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من عدم الدراية وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السري علم الغيب بصيغة الماضي ونصب الغيب والفاء في قوله (ولا يظهر على غيبه أحدا) لترتيب عدم الاظهار على تنكره سبحانه بعلم الغيب أي لا يطلع على الغيب الذي يعلمه وهو ما غاب عن العباد أحدا منهم ثم استثنى فقال (الامن ارتضى من رسول) أي الامن اصطفاه من الرسل أو من ارتضاه منهم لاظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته قال القرطبي قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضى من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه من يضرب بالخصي ويتطرى الكتف ويزجر بالطير من ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه فهو كافر بالله مفتر عليه مجده وسوخته منه وكذبه وقال سعيد بن جبيرة الامن ارتضى من رسول هو جبريل وفيه بعد وقيل المراد أنه يطلعه على بعض غيبه وهو ما يتعلق برسالاته كالمعجزة وأحكام الكاليف وجرأ الاعمال وما يبينه من أحوال الآخرة لا ما لا يتعلق برسالاته من الغيوب كوقت قيام الساعة ونحوه قال الواحدى وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حادث فقد كثر بما فى القرآن قال فى الكشف وفى هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات

بينها هذا قام الدعوة بالترغيب ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال ما لكم لا ترجون لله وقارا أي عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضالك وقال ابن عباس لا تعظمون الله حق عظمتة أي لا تخافون من بأسه ونعمته وقد خلقكم أطوارا قيل معناه من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد وقوله تعالى الم ترأ كيف خلق الله سبع سموات طباقا أي واحدة فوق واحدة وهل هذا يلقى من جهة السمع فقط أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسمر والكسوفات فإن الكواكب السبعة السامرة يكسف بعضها بعضا فأنها القمر فى السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه

وعطار في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي ذلك ثامن يسمونه فلک الثوابت والمشرعون منهم يقولون هو الكبري والفلک التاسع وهو الاطلس والاثني عشر منهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الافلاك وذلك ان حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب الى المشرق وسائر الافلاك عكسه من المشرق الى المغرب ومعها تدور سائر الكواكب تبعاً ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة افلاكها فانها تسير من المغرب الى المشرق وكل يقطع (٨٤) فلكه بحسب ما يقدره فلكه في كل شهر مرة والشمس في كل سنة مرة وزحل في كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع افلاكها وان كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة هذا لمخلص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنابصديانها وانما المقصود ان الله سبحانه وتعالى خلق سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلاً منهما أعظم جاذبا على حدة ليعرف الليل والنهار بقطع الشمس ومغيبتها وقدر القمر منازل وبروجا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يسرع في النقص حتى يستمر ليعدل على مضي الشهور والاعوام كما قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لتقوم يعلمون وقوله تعالى والله أبتسكم من الارض نباتا هذا اسم مصدر والاثني عشر به هـ أحسن ثم يعيدكم فيها أي اذامتم ويخرجكم اخرجاً أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم

وان كانوا أواباء مرتضين فليس وارسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه أيضا ابطال للكهانة والسحر والتنجيم لان أصحابها أبعثوا من الارضاء وأدخله في السخط قال الرازي وعندى ان الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه اذ لا صيغة عموم في غيبه فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة لانه واقع بعد قوله أقرب ما تعودون الآية فان قيل فما معنى الاستثناء حينئذ قلنا لعله اذا قربت القيامة يظهره وكيف لا وقد قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزييلاً فاعلم الملائكة حينئذ قيام الساعة أو هو استثناء منقطع أي من ارتضاء من رسول يجعل من بين يديه ومن خلفه حافظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل على انه ليس المراد أنه لا يطلع أحد على شيء من الغيبات الا الرسل أنه ثبت كما يقارب التواتر أن شقاً وسطياً كانا كاهنين وقد عرفا حديث النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما ما كسرى فثبت ان الله قد يطلع غير الرسل على شيء من الغيبات وأيضاً أطبق أهل المال على ان معبر الرؤيا يخبر عن أمور مستقبله ويكون صادقا فيها أو أيا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد الى خراسان وسألها عن أمور مستقبله فآخبرته بما افوقت على وفق كلامها قال وأخبرني ناس محققون في علم الكلام والحكمة أنها أخبرت عن أمور غائبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها وبالغ أبو البركات في كتاب المعبر في شرح حالها وقال خصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت أنها كانت تخبر عن الغيبات اخباراً مطابقاً وأيضاً فاننا شاهدنا ذلك في أصحاب الالهامات الصادقة وقد يوجد ذلك في السحرة أيضاً وقد نرى الاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تختلف فلوقلنا ان القرآن يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة تطرق الطعن الى القرآن فيكون التأويل ما ذكرنا انتهى كلامه بمعناه قال محمد بن علي الشوكاني أما قوله اذ لا صيغة عموم في غيبه فباطل فان اضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرح به أئمة الاصول وغيرهم وأما قوله أو هو استثناء منقطع فجبرددعوى باباه النظم القرآني وأما قوله ان شقاً وسطياً الخ فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعون به الى الكهان فيخاطبون الصديق بالكذب كما ثبت في الحديث الصحيح وفي قوله الامن خطف الخطنة ونحوها من الآيات فباب الكهانة قد ورد في هذه الشريعة وانه كان طريقاً

أول مرة والله جعل لكم الارض بساطاً أي بسطها ومهدا وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم لبعض الشامخات لتسلكوا منها سبلاً فاجا أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وارجائها وأقطارها وكل هذا مما تابهاهم به فوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والارض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والارضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والارض مهداً وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لانه لا نظير له ولا عدل له ولا ندولاً كف مولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير (قال فوح رب انهم عصوني

أول مرة والله جعل لكم الارض بساطاً أي بسطها ومهدا وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم لبعض الشامخات لتسلكوا منها سبلاً فاجا أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وارجائها وأقطارها وكل هذا مما تابهاهم به فوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والارض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والارضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والارض مهداً وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لانه لا نظير له ولا عدل له ولا ندولاً كف مولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير (قال فوح رب انهم عصوني

وأتبعوا من لم يزد ماله وولده الاخسار او مكر واما كبراء وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام انه أنهى اليه وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء انه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتسوعة المشتملة على الترهيب تارة والترغيب أخرى انهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بما له وأولادوه في نفس الامر استدراج وانظار لا اكرام ولهذا قال واتبعوا من لم يزد ماله وولده الاخسار اقرئ وولده بالضم وبالفتح وكلاهما مامتا قرب (٨٥) وقوله تعالى ومكروا مكرا كبرا قال مجاهد

كبرا أى عظيما وقال ابن زيد كبرا أى كبير والعرب تقول أمر عجيب وعجيب وعجيب ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد والمعنى فى قوله تعالى ومكروا مكرا كبرا أى باتباعهم فى تسويلهم لهم انهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة بل مكرا ليل والنهار اذ تأمر وتنهان نكذب بآياته وتجعل له اعداء ولهذا قال ههنا ومكروا مكرا كبرا وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا

وذا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال البخارى حدثنا ابراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد امة دفك كانت لكاب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراء ثم لبني غطفان بالجرف عند سبأ واما يعوق فكانت لهمدان واما نسرا فكانت لحجير لآل ذى كلاع وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام

لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام والحمية وقالوا ان المسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانما كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له منهن ابارصا فباب الكهانة فى الوقت الذى كانت فيه مخصوص بادلته فهو ممن جله ما يخص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من ايراد الكهانة على هذه الآية واما حديث المرأة الذى أورده فحديث خرافة ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الاخبار لكان من باب ما ورد فى الحديث ان فى هذه الامة محدثين وان منهم عمر فيكون كال تخصيص لعموم هذه الآية لانقضاء امانا ما اجتراه على الله وعلى كتابه من قوله فى آخر كلامه فلو قلنا ان القرآن يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القرآن فيقال له ما هذه بأول زلة من زلاتك وسقطت من سقطاتك وكملها لديك من اشباهها ومثال نبض بها عرق فلسفتك وركض بها الشيطان الذى صار يتخبطك فى مباحث تفسيرك يا عجب لك أى يكون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجبا لتطرق الطعن الى القرآن وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا

واذا رامت الذبابة للشمس غطاء مدت عليها جناحا

وقلت من آيات منها

مهيب رياح سده بجناح * وقابل بالمصباح ضوء صباح

فان قلت اذا قد تقررت بهما الدليل القرآنى ان الله يظهر من ارتضى من رسالته على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذى أظهره الله على ما شاء من غيبه ان يخبر به بعض أمة قلت نعم ولا مانع من ذلك وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة فمن ذلك ما صرح أنه قام متصفا ما أخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحدث من الفتن بعده حتى سأله عن ذلك أكبر الصحابة ورجعوا اليه وثبت فى الصحيح وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التى تموج كوج البحر فقال ان بينك وبينها بابا فقال عمر هل يفتح أو يكسر فقال بل يكسر فعلم عمر أنه الباب وان كسره قتل كما فى الحديث الصحيح المعروف انه قيل لحذيفة هل كان عمر يعلم ذلك فقال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة

فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بآسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبادت وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقناة وابن اسحق ونحوه هذا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس كانت هذه أصنام تعبد فى زمان نوح وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس ويعوق ونسرا قال كانوا قوم صالحين عن آدم ونوح وكان لهم تبع يفتنونهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يفتنونهم لم صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة اذ اذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا اجاء آخرون دب اليهم بليس فقال انما كانوا يعبدونهم وهم

يسقون المطر فعبدهم وروى الخافظ بن عساكر في ترجمة شيث عليه السلام من طريق اسحق بن بشر قال واخبرني جوير
ومقاتل عن الضحالك عن ابن عباس انه قال ولاد آدم عليه السلام اربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عاش
منهم هابيل وقايل وصالح وعبد الرحمن الذي كان اسمه عبد الحارث وود وكان وديقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد
سودوه وولده سواع ويعقوب ويعقوب ونسر وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حنيفة ابو عمرو الدوري حدثني ابو اسامعيل المؤدب عن
عبد الله بن مسلم هو ابن هرم عن ابي حنيفة (٨٦) عن عروة بن الزبير قال اشهدني ادم عليه السلام وعنده بنوه وذوي يعقوب

ويعقوب وسواع ونسر قال وكان
وذا كبرهم وأبرهم به وقال ابن ابي
حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا
الحسن بن موسى حدثنا يعقوب
عن ابي المطهر قال ذكر واعند ابي
جعفر وهو قائم يصلي يزیدن المهلب
قال فلما انفتل من صلاته قال
ذكرتم يزیدن المهلب اما انه قتل في
أول أرض عبدني غير الله قال ثم
ذكر وارجله لما وكان محببا في
قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره
في أرض بابل وجزعوا عليه فلما
رأى ابليس جرحهم عليه تشبه في
صورة انسان ثم قال اني أرى جرحكم
على هذا الرجل فهل لكم أن أصور
لكم منه فيكون في ناديكم
فتذكرونه قالوا نعم فصوراهم منه
قال ووضعوه في ناديهم وجعلوا
يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره
قال هل لكم أن أجعل في منزل كل
رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في
بيته فتذكرونه قالوا نعم قال فنزل
لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا
فجعلوا يذكرونه به قال وأدرك
أبناءؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون
به قال وتنازلوا ودرس أمر ذكرهم

وكذلك ما ثبت من اخبار لا يذري بما يحدث له مما حدث له واخبره ابي بن ابي طالب
بخبر ذي الندي ونحو هذا مما يكثر عداؤه ولوجع لواء منه مصنفه متقل واذا تقر هذا
فلا مانع من أن يختص بعض صلحاء هذه الامة بشيء من اخبار الغيب التي أظهرها الله
لرسوله صلى الله عليه وسلم وأظهرها رسوله صلى الله عليه وسلم لبعض أمته وأظهرها هذا
البعض من الامة لمن بعدهم فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل والكل من
الفيض الرباني بواسطة الجناب النبوي اه كلامه رجة الله تعالى عليه قال ابن
عباس في الآية أعلم الله الرسول من الغيب الوحي وأظهر عليه مما أوحى اليهم من غيبه
وما يحكم الله فانه لا يعلم ذلك غيره أخرجه ابن المنذر وابن مردويه ثم ذكر سبحانه انه يحفظ
ذلك الغيب الذي يطاع عليه الرسول فقال (فأندى من بين يديه ومن خلفه رصدا)
والجمله تقرير للاظهار المستفاد من الاستثناء والمعنى انه يجعل سبحانه بين يدي الرسول
ومن خلفه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيب
أو يجعل بين يدي الوحي وخلفه حرسا من الملائكة يحفظونه من أن يستترقه الشياطين
فتلصقه الى الكهنة والمراد من جميع الجواب قال الضحالك ما بعث الله نبيا الا ومعته
ملائكة يحفظونه من الشياطين أن يشبهوا صورة الملك فاذا جاء شيطان في صورة الملك
قالوا هذا شيطان فاحذروه وان جاء الملك قالوا هذا رسول ربك قال ابن زبير رصدا أي
حفظه يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من أمامه ووراءه من الجن والشياطين قال
قتادة وسعيد بن المسيب هم أربعة من الملائكة حفظه وقال الفراء المراد جبريل قال في
الصحيح الرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر
والرصد دللشي الرقيب له يقال يرصد يرصد رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد
موضع الرصد قال ابن عباس في قوله رصدا هي معقبات من الملائكة يحفظون رسول
الله من الشياطين حتى يبين الذي أرسل اليهم به وذلك حتى يقول أهل الشرك قد بلغوا
رسالات ربهم وعنه قال ما أنزل الله على نبيه آية من القرآن الا ومعها أربعة من الملائكة
يحفظونها حتى يؤدوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قرأ الآية (ليعلم ان قد
أبلغوا رسالات ربهم) اللام متعلقة بيسلك والمراد به العزم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل
وأن هي الخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والخبر الجمله والرسالات عبارة عن

اياهم حتى اتخذوه الها يعبدونه من دون الله أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله والصنم الذي
سموه وقوله تعالى وقد أضلوا كثيرا يعني الاصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمر عبادتها في القرون الى زمانها هذا في
العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه واجنبي وحي أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا
من الناس وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا ضلالا دعاهم منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في
قوله ربنا اطعنا على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقد استجاب الله لكل من التبت في قومه

وأغرق أمته بسكذبهم لما جاءهم به (مما خطيأتمهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً وقال نوح رب لا تذرني على الأرض من الكافرين دياراً إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً) يقول تعالى مما خطيأتمهم وقرئ خطيأتمهم أغرقوا أي من كثرة ذنوبهم وعقوقهم وأنصارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم أغرقوا فأدخلوا ناراً أي نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً أي لم يكن لهم معين ولا معيذ ولا مجير ينفذهم من عذاب الله (٨٧) كنهوله تعالى لأعاصم اليوم من أمر الله الامن

رحمهم وقال نوح رب لا تذرني على الأرض من الكافرين دياراً أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك دياراً واحداً وقال السدي الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح أصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال سآوى إلى جبل يعصمني من الماء قال لأعاصم اليوم من أمر الله الامن رحمهم وحال بينهم ما الموح فيكان من المغرقين وقال ابن أبي حاتم قرأ على يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شبيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورحم الله من قوم نوح أحد الرحم امرأة لما رأات الماء

الغيب الذي أريد إظهاره لمن ارتضاه الله من رسول وضميراً بلغوا يعود إلى الرصد وقال قتادة ومقاتل لعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف يتعلق به اللام أي أخبرناه بحفظنا الوحي لعلم أن الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ وقيل لعلم محمد أن جبريل ومن معه قد بلغوا إليه رسالات ربهم وقيل لعلم ابليس أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم من غير تخليط وقال ابن قتيبة لعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما أنزل إليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد لعلم من كذب الرسل أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم قرأ الجمهور لعلم بفتح التحتية على البناء للفاعل أي لعلم الناس أن الرسل قد بلغوا وقال الزجاج لعلم الله أن رساله قد بلغوا رسالاته أي لعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيباً وقرئ بضم الياء على البناء لله فعول وقرئ بضم الياء وكسر اللام (وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرصد من الملائكة أو بما عند الرسل المبلغين لرسالاته والجملة في محل نصب على الحال من فاعل يسلك بأسماء قد أي والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الأحوال قال سعيد بن جبيرة لعلم أن ربهم قد أحاط بما لديهم فبلغوا رسالاته (وأحصى كل شيء عدداً) معطوف على أحاط وعدداً يجوز أن يكون منصوباً على التمييز محولاً من المفعول به أي وأحصى عدد كل شيء كما في قوله وجبرنا الأرض عيوناً ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية أو في موضع الحال أي معدوداً والمعنى أن علمه سبحانه بالأشياء ليس على وجه الاجمال بل على وجه التفصيل أي أحصى كل فرد من مخلوقاته التي كانت والتي ستكون على حدة فلم يحف عليه منها شيء على حدة

* (سورة المزمل هي تسعة عشرة آية وقيل عشرون آية وهي مكية) *

قال الماوردي كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر قال وقال ابن عباس وقتادة الآيتين منها وأصبر على ما يقولون والتي تليها وقال الشعبي الاقوله ان ربك يعلم انك تقوم الى آخر السورة فانه نزل بالمدينة وأخرج الحساس عن ابن عباس انه قال نزلت بمكة الآية بين ان ربك يعلم الخ وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال نزلت يا أيها المزمل بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وعن جابر قال

أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمر الله بحملهم معه وقوله تعالى انك ان تذرهم يضلوا عبادك أي انك ان بقيت منهم أحد أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً أي فاجراً في الأعمال كفاً للقلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة الاخسبين عاماً ثم قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً قال الضحاك يعني مسجدى ولا مانع من جل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس البجلي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع

جئت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكمها فلما بلغ الماء منكها وضعت ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعتها ولدها بيدها فلورحم الله منهم أحداً لرحم هذه المرأة هذا حديث غريب ورجاله ثقات ونجي الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي* ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي انما نعرفه من هـ هذا الوجه وقوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الاحياء منهم والاموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والادعية المشروعة وقوله تعالى ولا تزدد الظالمين الا تبارا قال السدي الا هلاكا وقال مجاهد الا خسارا أى في الدنيا والآخرة آخر تفسير سورة نوح عليه السلام ولله الحمد والمفه (٨٨) وبه التوفيق والعصمة * (تفسير سورة الجن وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أوحى الى انه استمع نفسه من الجن فقالوا انا سمعنا قسرا ناعجا بهم سدى الى الرشده فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سمعنا على الله شططا واناظننا أن لن نقول الا نس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الجن فزادوهم رجعا وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) يقول تعالى أمر ارسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر رومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصددقوه وانقادوا له فقال تعالى قل أوحى الى انه استمع نفسه من الجن فقالوا انا سمعنا قسرا ناعجا بهم سدى الى الرشده أى الى السداد والنجاح فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا وهذا المقام شبيه بقوله تعالى واذ صرنا اليك نفر من الجن يستمعون القرآن وقد قدمنا الاحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن اعادة ما ههنا وقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى

اجتمع قريش في دار الندوة فقالوا هو هذا الرجل اسماء تدون الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون عن ذلك فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقرئ في ثيابه وتذرفها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أخرجه البزار والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الدلائل وقال البزار بعد اخراجه من طريق معلى بن عبد الرحمن ان معلى قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه اذا تفرضا لا يحدث لا يتابع عليها وعن ابن عباس قال بت عند خالتي ميمونة فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من الليل فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر فخرزت قيامه في كل ركعة بقدر يا أيها المزمل أخرجه أبو داود والبيهقي في السنن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أصله المزمل فأدغمت التاء في الزاى والتزمل التللف في الثوب وفي المصباح زملته بثوبه تزميلا فترمل مثل لففته فتللف وزملت الشيء جلته ومنه قيل للبعير زاملة بالهاء لانه بالغه لانه يحمل متاع المسافر قرأ الجمهور بالادغام وقرأ أبي المزمل على الاصل وقرأ عكرمة بتخفيف الزاى وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اختلف في معناه فقال جماعة انه كان يترمل صلى الله عليه وآله وسلم بثيابه في أول ما جاءه جبريل بالوحي فرفأ منه حتى أفس به وقيل المعنى يا أيها المزمل بالنسبة والمزمل الرسالة وبهذا قال عكرمة وكان يقرأ يا أيها المزمل بتخفيف الزاى وفتح الميم المشددة اسم مذعول وعنه أيضا يا أيها الذى زمل هذا الامر أى حمله ثم قرئ وقيل المعنى يا أيها المزمل بالقرآن وقال الضحاك ترمل بثيابه لئلا يسمعه ونحوه عن قتادة وقيل بلغه من المشركين سوء قول قترمل في ثيابه وتذرف فزلت يا أيها المزمل ويا أيها المدثر وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع صوت الملك ونظر اليه أخذته الرعدة فألقى أهله وقال زملوني دثروني وكان خطابه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الخطاب في أول نزول الوحي ثم بعد ذلك خوطب بالنسبة والرسالة وقال ابن عباس زملت هذا الامر فقم به وعنه قال يترمل بالثياب قال السهيلي ليس المزمل من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم كاذب اليه بعض الناس وعدوه في أسماءه صلى الله عليه وسلم واغما

جسدر بنأى فعله وأمره وقدرته وقال الضحاك عن ابن عباس جدا لله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه المزمل

وروى عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة جلاله وعظمته وأمره وقال السدي تعالى أمر ربنا وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضا وابن جرير تعالى ذكره وقال سعيد بن جبيرة تعالى جد ربنا أى تعالى ربنا فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد الكوفي حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال الجد أب ولو علمت الجن أن فى الانس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا فهذا اسناد جيد ولكن لست أفهم ما معناه هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا أى تعالى

عن اتخاذ الصاحبة والاولاد أي قالت الجن تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والاولاد ثم قالوا
وانه كان يقول سفيها على الله شططا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي سفيها يعنون ابليس شططا قال السدي عن أبي مالك
شططا أي جورا وقال ابن زيد أي ظلما كثيرا ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيها اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة
أولاد ولهذا قالوا وأنه كان يقول سفيها أي قبل أسلامه على الله شططا أي باطلا وزورا ولهذا قالوا واناظننا أن ان تقول الانس
والجن على الله كذبا أي ما حسبنا أن الانس والجن يتمالئون على الكذب على الله (٨٩) تعالى في نسبة الصاحبة والولد اليه فلما سمعنا

هذا القرآن وآمنابه علمنا أنهم كانوا
يكذبون على الله في ذلك وقوله تعالى
وانه كان رجال من الانس يعوذون
رجال من الجن فزادوهم رهقا أي
كأنرى أن لنا فضلا على الانس
لأنهم كانوا يعوذون بنا أي اذ انزلوا
واديا أو مكانا موحشا من البراري
وغيرها كما كانت عادة العرب في
جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك
المكان من الجن أن يصيبهم بشيء
يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد
أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه
وخفارتة فلما رأت الجن أن الانس
يعوذون بهم من خوفهم منهم هم
زادوهم رهقا أي خوفوا وارهابوا وذعرا
حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر
تعوذ بهم كما قال قتادة فزادوهم
رهقا أي انما ازدادت الجن عليهم
بذلك جراءة وقال النووي عن
منصور عن ابراهيم فزادوهم رهقا أي
ازدادت الجن عليهم جراءة وقال
السدي كان الرجل يخرج بأهله
فيأبى الارض فينزلها فيقول أعود
بسم الله هذا الوادي من الجن أن
أضرأنا فسه أو مالى أو ولدى أو
ما شئنى قال قتادة فاذا عاذ بهم من
دون الله رهقهم الجن الاذى عند
ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو

المزمل اسم مشتق من حاله التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المذثر وفي خطابه صلى الله
عليه وسلم بهذا الاسم فائدتان احدهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب
وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم
لعلى حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم بأ
تراب اشعاره بأنه غير عاتب عليه وملاطف له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة
قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا بترك العتب فقول الله تعالى للمجدد صلى الله عليه
وسلم يا أيها المزمل فيه تأنيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والقائدة الثانية
التنبيه لكل من زملا راقدا ليله أن يتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى لان الاسم المشتق من
الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل وانصف بذلك الصفة ذكره
الخطيب (قم الليل) أي قم للصلاة في الليل الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر وقيل
ان معنى قم صل عبره عنه واستعير له واختلف هل كان هذا القيام الذي أمر به فرضا عليه
أو نفلا فقيل الامر للوجوب وكان واجبا عليه وعلى أمته بل وعلى سائر الانبياء قبله وأقول
ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء والانداء قيام الليل قال القرطبي والدليل
تقوى أن قيامه كان فرضا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وحده أو عليه وعلى من كان قبله من
الانبياء أو عليه وعلى أمته ثلاثة أقوال الاول قول سعيد بن جبيرة توجه الخطاب له
والثاني قول ابن عباس والثالث قول عائشة وابن عباس أيضا كذا في الخطيب والخازن
وغيرهما والعامية على كسر الميم لالتقاء الساكنين وأبو السمال يضمنها اتباعا لحركة القاف
وقرى بفتحها طلبا للخفصة قال أبو الفتح والغرض الهرب من التقاء الساكنين فبأى حركة
حرك الاول حصل الغرض قلت الآن الاصل الكسر لدليل ذكره النووي والميل طرف
للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين وأما الكوفيون فيجعلون هذا
النوع مفعولا به أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن سعيد بن
هشام قال قلت لعائشة انبئني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرأ
هذه السورة يا أيها المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها

(١١ - فتح البيان عاشر) سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا الزبير بن حرب
عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الانس كما يفرق الانس منهم وأشد فكان الانس اذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد القوم
نعوذ بسيد أهل هذا الوادي فقال الجن تراهم يفرقون منا كما يفرق منهم فدنا من الانس فأصابوهم بالجل والجنون فذلك قول الله
عز وجل وان كان رجال من الانس يعوذون رجال من الجن فزادوهم رهقا أي انما
أي خوفوا وقال العوفي عن ابن عباس فزادوهم رهقا أي انما وكذا قال قتادة وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا وقال ابن أبي حاتم

حدثنا ابي حنيفة شافرو بن المغيرة الكندي - حدثنا القاسم بن مالك يعني المدني عن عبد الرحمن بن اسحق عن ابيه عن كردم بن ابي السائب الانصاري قال خرجت مع ابي من المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قال انا والمبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ جلام الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك قتادي مناد لا ترام يقول يا سرحان أرسله فأتى الحل بش - تدحتي دخل في الغنم لم تصبه كدمة وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ثم قال وروى عن عبيد (٩٠) بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبيرة وابراهيم

الخنعي نحوه وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحل وهو ولد الشاة كان جنبيا حتى يهرب الانسى ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم وقوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا قاله الكلبي وابن جرير (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندرى أشرا تريد من في الارض أم أراد بهم ربهم - م - رشدا) يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له ان السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر اجرائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقون شيئا من القرآن فيلتهوه على السنة الكهنة فيلبس الامر ويحتلط ولا يدري من الصادق فكان هذا من اطف الله تعالى بخلقه ورجته بعباده وحفظه لكتابه العزيز

في السماء اثني عشر شهرا ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة وصار قيام الليل تطوعا من بعد فرضه وقدرى هذا الحديث عنهما من طرق وعن ابن عباس قال لما نزل أول المنزل كانوا يقومون فحوام من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين أولها وآخرها نحو من سبعة أشهر جهه البهقي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال لما نزلت يا أيها المنزل قاموا وحولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت فافروا ما تبسر منه فاستراح الناس وأخرج أبو داود في ناسخه وابن نصر وابن مردويه والبيهقي في سننهم من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال نسختها الآية التي فيها علم أن لن يبعث الله أحدا أي لم يبعث الله بعد هذه المدة رسولا قاله الكلبي (الاقبلا) استثناء من الليل أي صل الليل كله الا يسيرامنه والقليل من الشيء هو ما دون النصف وقبل ما دون السدس وقبل ما دون العشر وقال مقاتل والكلبي المراد بالقليل هنا الثلث وقد أغنا عن هذا الاختلاف قوله (نصفه) قال الزجاج هو بدل من الليل والاستثناء هو من النصف (أو انقص منه قليلا) الضمير في منه وعلمه عائد الى النصف والمعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا الى الثلث (أو زد عليه) قليلا الى الثلثين فكانه قال قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه أو للتمييز بين قيام النصف وقيام الثلث الذي هو مناد قوله أو انقص منه قليلا وقيام الثلثين الذي هو مناد أو زد عليه وقبل ان نصفه بدل من قوله قليلا فيكون المعنى قم الليل الا نصفه أو أقل من نصفه أو أكثر من نصفه وقال الحلبي بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل انتهى قال الحنفياوى قوله وقلته الخ جواب عما يقال ان النصف مساو للنصف الآخر فكيف يوصف بالقله ومحصل الجواب انه يوصف به بالنظر الى الكل اليسل لا بالنظر للنصف الآخر منه قال الاخفش نصفه أي أو نصفه كما يقال أعطه درهما درهماين ثلاثة يريد أو درهمين أو ثلاثة قال الواحدى قال المنسرون أو انقص من النصف قليلا الى الثلث أو زد على النصف الى الثلثين جعل له سعة في مدة قيامه في الليل وخيره في هذه الساعات للقيام فكان النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة معه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك عليهم فكان الرجل لا يدري كم صلى أو كم بقى من الليل فكان يقوم الليل كله حتى خفف الله عنهم ورجهم ونسخ وجوب قيام الليل في حقه وحقتنا وقيل الضمير ان في منه وعليه راجعان للاقل من النصف كأنه قال قم أقل

ولهذا قال الجن والانس السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي من يوم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا رصدا له لا يخطئه ولا يتعداه بل يحقه ويهلكه وانا لا ندرى أشرا تريد من في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا أي ما ندرى هذا الامر الذي قد حدث في السماء لا ندرى أشرا تريد من في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وهذا من العبادة حيث أسندوا الشر الى غير فاعل والخير أضافوه الى الله عز وجل وقد ورد في الصحيح والشر ليس اليك وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل في الاحسان بعد الاحيان كما في حديث

العباس بن عثمان جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ربح بنحوه فاستنار فقال ما كنتم تقولون في هذا فقلنا كنا نقول يولد عظيم يموت عظيم فقال ايس كذلك ولكن الله اذا قضى الامر في السماء وذكركم الحديث وقد اوردناه في سورة سبأ بتمامه وهذا هو السبب الذي جعلهم على تطلب السبب في ذلك فاخذوا يضربون مشارق الارض ويغار بها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا ان هذا هو الذي حفظت من أجله السماء فآمن من آمن منهم وتعد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الاحقاف واذا صرفنا (٩١) اليك نفر من الجن يستمعون القرآن الآية ولاشئ انه لما حدث هذا الامر

من نصنه أو قم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا وهو بعيد جدا واطاها أن نصفه بدل من قليلا والضمير ان راجع ان النصف المبدل من قليلا واختلف في النسخ له هذا الامر ف قيل هو قوله ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصنه وثله الى آخر السورة كما تقدم وقيل هو قوله علم ان ان تحضوه الخ وقيل هو قوله علم أن سيكون منكم مرضى الخ وقيل هو منسوخ بالصلوات الخمس وبهذا قال مقاتل والشافعي وابن كيسان وقيل هو قوله فاقروا ما تيسر منه وليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها الا هذه السورة وكان بين نزول أولها والمنسوخ وآخرها النسخ سنة وقيل سنة عشر شهرا وهذا على القول بأن السورة كلها مكية وأما على القول بأن قوله ان ربك يعلم مدني فبين النسخ والمنسوخ عشر سنين لما علمت ان نزول المنسوخ كان في أول الوحي بمكة ونزول النسخ كان بالمدينة وأقل ما يتحقق بينهما عشر سنين وقد قال به سعيد بن جبير وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل نسخ أولها وآخرها ثم نسخ آخرها بما يجاب الصلوات الخمس وذهب الحسن وابن سيرين الى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو قدر حلب شاة (ورتل القرآن ترتيلا) أي اقرأه على مهل مع تدبر وقيل بين وفصل من الثغر المرتل أي المفجج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أي مرتل وثررتل أيضا اذا كان مستوى البنبان أو أقرأ على تؤدة بيمين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات بحيث يتمكن السامع من عدّها وقال الضحاك اقرأه حرفا حرفا وقال الزجاج هو ان يبين جميع الحروف ويوفي حقها من الاشباع وأصل الترتيل التنزيذ والتنسيق وحسن النظام وقال ابن عباس بينه وبيننا وتأكيده الفعل بالمصدر يدل على المبالغة ويجاب الامر على وجهه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعبرة وأنه لا بد منه للقارى عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم عبد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم أخرجه البخاري وعن أم سلمة وقد سألتها يعني بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعت قراءته فاذا هي نعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائي والترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان

من نصنه أو قم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا وهو بعيد جدا واطاها أن نصفه بدل من قليلا والضمير ان راجع ان النصف المبدل من قليلا واختلف في النسخ له هذا الامر ف قيل هو قوله ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصنه وثله الى آخر السورة كما تقدم وقيل هو قوله علم ان ان تحضوه الخ وقيل هو قوله علم أن سيكون منكم مرضى الخ وقيل هو منسوخ بالصلوات الخمس وبهذا قال مقاتل والشافعي وابن كيسان وقيل هو قوله فاقروا ما تيسر منه وليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها الا هذه السورة وكان بين نزول أولها والمنسوخ وآخرها النسخ سنة وقيل سنة عشر شهرا وهذا على القول بأن السورة كلها مكية وأما على القول بأن قوله ان ربك يعلم مدني فبين النسخ والمنسوخ عشر سنين لما علمت ان نزول المنسوخ كان في أول الوحي بمكة ونزول النسخ كان بالمدينة وأقل ما يتحقق بينهما عشر سنين وقد قال به سعيد بن جبير وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل نسخ أولها وآخرها ثم نسخ آخرها بما يجاب الصلوات الخمس وذهب الحسن وابن سيرين الى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو قدر حلب شاة (ورتل القرآن ترتيلا) أي اقرأه على مهل مع تدبر وقيل بين وفصل من الثغر المرتل أي المفجج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أي مرتل وثررتل أيضا اذا كان مستوى البنبان أو أقرأ على تؤدة بيمين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات بحيث يتمكن السامع من عدّها وقال الضحاك اقرأه حرفا حرفا وقال الزجاج هو ان يبين جميع الحروف ويوفي حقها من الاشباع وأصل الترتيل التنزيذ والتنسيق وحسن النظام وقال ابن عباس بينه وبيننا وتأكيده الفعل بالمصدر يدل على المبالغة ويجاب الامر على وجهه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعبرة وأنه لا بد منه للقارى عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم عبد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم أخرجه البخاري وعن أم سلمة وقد سألتها يعني بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعت قراءته فاذا هي نعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائي والترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان

في تلك الليلة فأتوا ابليس فخذلوه بالذي كان من امرهم فقال اتوني من كل ارض بقبضة من تراب أشمها فأقوة فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلالا كلهم تصيبه ثم اسلموا فانزل الله تعالى امرهم على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في اول البعث من كتاب السيرة المطول والله أعلم ولله الحمد والمنة (وأنا من الصالحون ومنادون ذلك كأطرائق قددا وانظروا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانما لمسمعنا الهدى آمناب في يؤمن بربّه فلا يخاف بنحسا ولا رهقا وانما لنا

المستأون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا ورشدوا أما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عداباً بعداً يقول تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن انفسهم وانما الصالحون ومنادون ذلك اى غير ذلك كطرائق قدداى طرائق متعددة مختلفة واراها متفرقة قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد كطرائق قدداى من المؤمنين ومن الكافر وقال احمد بن سلمان النجار فى أماليه حدثنا اسلم بن سهل بحسب حدثنا على بن الحذاء بن سليمان وهو ابو الشعثاء (٩٢) الحضرى شيخ مسلم حدثنا ابو معاوية قال سمعت الاعشى يقول تروح

البناجى فقلت له ما أحب الطعام اليكم فقال الارز قال فأتيناهم به فجعلت ارى اللقم ترفع ولارى احدا فبات فيكم من هذه الالهواء التى فينا قال نعم فقلت فما الرافضة فيكم قال شرنا عرضت هذا الاسناد على شيخنا الحافظ ابى الجراح المزنى فقال هذا اسناد صحيح الى الاعشى وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة العباس بن احمد الدمشقى قال سمعت بعض الجن وانافى منزل الى بالليل ينشد

قلوب براها الحب حتى تعلق

مذاهبها فى كل غرب وشارق

تهميم بحب الله وانه ربه

معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى واناظن ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا اى نعم ان قدرة الله حاكمة علينا وانا لا نعجزه فى الارض ولو امعنا فى الهرب فانه علينا قادر لا يعجزه احد منا وانا لما سمعنا الهدى آمنابه يقتضون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة وقولهم فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً قال ابن عباس وقتادة وغيرهم ما فلا يخاف ان

يقول مالك يوم الدين ثم يتف وفي رواية أبى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية وعن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته أخرجه الشيخان وعن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نقرأ القرآن وفيما العربى والعجمى فقال اقرأوا وكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقيم القدرح يتجملونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود ورواد غير فى رواية لا يجاوزون راقبهم وعن ابن مسعود قال لا تنثروا نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر فقرأوا عند مجيئه وحر كوابه القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة وفى الباب أحاديث والمقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد اخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والهم وألحان الغناء كما يعتاده قراءه هذا الزمان من أهل مصر وغيره فى مكة المكرمة وغيره هابل هو بدعة أحدثها البطالون الا كالون والحقاء الجاهلون بالشرائع وأدلتها الصادقة وليس هذا بأول قارورة كسرت فى الاسلام وقوله (اناسلق عليك قولاً ثقيلاً) اعتراض بين الامر بقيام الليل وبين تعليله بقوله الا اتى ان ناشئة الليل والقصد به هذا الاعتراض تسهيل ما كانه من القيام كانه يقول ان قيام الليل وان كان عليك فيه مشقة لكنه أسهل من غيره من التكليف فانا سنلقى الخزوقال السمين هذه الجملة مستأنفة وقال الزمخشري هذه الآية اعتراض ويعنى بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصنعة والمعنى سنوحى وسننزل اليك القرآن وهو قول ثقيل وكلام عظيم ذو خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شئ له خطر ومقدار فهو ثقيل قال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال الحسن العسلى بد وقال أبو العالية ثقيلاً بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيلاً على المنافقين والكفار بما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وهتك اسرارهم وبطلان أديانهم وسب آلهتهم وقال السدى ثقيل بمعنى كريم من قولهم فلان ثقل على أى كرم على قال القراء ثقيلاً أى رزينا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا وقال الحسين بن الفضل ثقيلاً لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقيل هو خفيف على اللسان بالثلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل

ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى فلا يخاف ظملاً ولا هضمًا وانما المؤمنون ومنا

القاسطون اى من المسلمين ومن القاسط وهو الخائر عن الحق اننا كب عنه بخلاف المقسط فانه العادل فمن أسلم فأولئك تحروا ورشدوا أى طلبوا لانفسهم النجاة واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً اى وقودا تسعربهم وقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه اختلاف المفسرون فى معنى هذا على قولين أحدهما وان لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام وعدلوا اليها واستمروا عليها لأسقيناهم ماء غدقاً أى كذبوا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى ولأنهم تأموا التوراة والانجيل

وما أنزل إليهم من ربه إلا كوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وكقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وعلى هذا يكون معنى قوله لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لنبتليهم من يستقر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية ذكر من قال بهذا القول قال العوفي عن ابن عباس وإن لواس - تقاموا على الطريقة يعني بالاستقامة الطاعة وقال مجاهد وإن لواس - تقاموا على الطريقة قال الأسلام وكذا قال سعيد بن جبيرة وسعيد بن المسيب وعطاء والسدي ومحمد بن كعب القرظي وقال قتادة وإن لواس - تقاموا على الطريقة (٩٢) يقول لو آمنوا كلهم لا وسعنا عليهم من الدنيا

وقال مجاهد وإن لواس - تقاموا على الطريقة أي طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله لنفتنهم فيه أي لنبتليهم به وقال مقاتل نزات في كنف قريرش حين منعوا المطر سبع سنين والقول الثاني وإن لواس - تقاموا على الطريقة الضلالة لاسقيناهم ماء غدقا أي لا وسعنا عليهم الرزق استدرأ كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبسورون وكقوله أيحسبون أنما نتعم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وهذا قول أبي مجزة لما لحق بن جهم فدافنه قال في قوله تعالى وإن لواس - تقاموا على الطريقة أي طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وحكاها البغوي عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكوفي وابن كيسان وله إجماع ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه وقوله ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا أي عذابا

ثقیل أي ثابت كثبت الثقیل في محله ومعناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول الإعجاز أبدا وقيل وصفه بكونه ثقیلا حقيقة لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائها على الأرض فماتت - تطيع أن تحرك حتى يسرى عنه أخرجه أحمد وسعيد بن جريد والحاكم وصححه عن عائشة وقيل ثقیلا بمعنى أن العقل الواحد لا يفي بأدراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء بجملها عن أحكامه وكذا أهل اللغة والنحو والمعاني والبيان ثم لا يزال كل متأخر يفوز منه بفوائد ما وصل إليها المتقدمون فعلمنا أن الإنسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بجمل فصار كالجبل الثقیل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى أن جميع هذه المعاني فيه وقال القشيري القول الثقیل هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقیلة في الميزان اه (ان ناشئة الليل) أي ساعاته وأوقاته لانها تنشأ أولا فأولا يقال نشأ الشيء إذا ابتدئ وأقبل شيئا بعد شيء فهو ناشئ وأنشأه الله فنشأ ومنه نشأت السموات إذا بدأت ففناشئة فاعلم من نشأت نشي فهي ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كل ما نشأ منه أي حدث فهو ناشئة قال الواحدی قال انفسرون الليل كله ناشئة والمراد أن ساعات الليل الناشئة فاكتمى بالوصف عن الاسم الموصوف وقيل ان ناشئة الليل هي النفس التي تنشأ من مغبتها للعبادة أي تنهض من نشأ من مكانه إذا نهض وقيل إنما يقال لقيام الليل ناشئة إذا كان بعد نوم فلم يبق مقدم نوم لم يكن ناشئة وقيل ما ينشأ فيه من الطاعات قال ابن الأعرابي إذا نمت من أول الليل ثم قمت فذلك المنشأة والنشأة ومنه ناشئة الليل قبل وناشئة الليل هي ما بين المغرب والعشاء لان معنى نشأ ابتدأ وكان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم ما يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال عكرمة وعطاء هي بدو الليل وقال مجاهد وغيره هي في الليل كله لانه ينشأ بعد النهار واختاره هذا مالك وقال ابن كيسان هي القيام من آخر الليل قال في الصحاح ناشئة الليل أول ساعاته وقال الحسن هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح وقال ابن عباس هي قيام الليل بلسان الحبشة إذا قام الرجل قالوا نشأ قال الشيخ فعلى هذا هي جمع ناشئ أي قائم قلت يعني أنها صفة لشيء يفهم الجمع أي طائفة أو فرقة ناشئة والافعال لا يجمع على فاعله وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال

مشقasha سديا موجهما مؤلفا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد عذابا صعدا أي مشقة لا راحة معها وعن ابن عباس جبل في جهنم وعن سعيد بن جبيرة يترفيها (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل إنما أدعوا ربِّي ولأشرك به أحد اقل اني لأملك لكم ضررا ولأرشد اقل اني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإنه نازجه ثم خالدين فيها أبدا حتى أذأروا وما يعدون فسمى يعلمون من أضعف ناصرا أو أقل عددا) يقول تعالى أمر اعباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة في قوله

تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وسبيعتهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحده وحده وقال ابن أبي حاتم ذكر علي بن الحسين حدثنا اسدي بن بنت السدي أخبرنا رجل سماه عن السدي عن أبي مالك أو أبي صالح عن ابن عباس في قوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الارض مسجد الا المسجد الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس وقال الاعمش قالت الجن يا رسول الله انك لنا فتنهم دمك الصلوات في مسجدك فانزل الله تعالى (٩٤) وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا يقول صلوا لا تتخاطبوا الناس وقال ابن

جرير حدثنا ابن جريح حدثنا مهران حدثنا سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن محمود بن سعيد بن جبير وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا قال قالت الجن لنبي الله صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن تأتي المسجد ونحن نأذن أي باعدون عنك أو كيف ننشد الصلاة ونحن نأذن عنك فنزلت وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقال سفيان عن خفيف عن عكرمة نزلت في المساجد كلها وقال سعيد بن جبير نزلت في أعضاء السجود أي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجهة وأشار بيده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين وقوله تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكفون عليه ليدأ قال العوفي عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو

هي أوله وعنه قال الليل كله ناشئة وعن ابن مسعود قال ناشئة الليل بالحبشية قيام الليل وعن أنس بن مالك قال هي ما بين المغرب والعشاء (هي أشد وطأ) قرأ الجمهور ويفتح الواو وسكون الطاء مقصورة واختارها أبو حاتم وقرئ بكسر الواو وفتح الطاء ممدودة واختار هذه القراءة وأبو عبيدة فالمعنى على الأولى ان الصلاة في ناشئة الليل أثقل على المصلي من صلاة النهار لأن الليل للنوم قال ابن قتيبة المعنى انها أثقل على المصلي من ساعات النهار من قول العرب اشتدت على القوم وطأة السلطان اذا ثقل عليهم ما يلزمهم منه ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشد وطأك على مضر والمعنى على القراءة الثانية انها أشد وطأة أي موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن من قولهم واطأت فلانا على كذا موافقة ووطأ اذا وافقته عليه قال مجاهد وابن أبي مليكة أي أشد موافقة بين القلب والسمع والمصر واللسان لا تقطع الاصوات والحركات فيها ومنه لبواطم واعدة ما حرم الله أي ليوافقوا وقال الاخفش أشد قياما وقال الفراء أي أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة والليل وقت الفراغ عن الاشتغال بالعيش فعبادته تدوم ولا تقطع وقال الكلبي أشد نشاطا (وأقوم قبلا) أي أبين قولاً وأشد مقالا وأثبت قراءة وأصح قولاً من النهار لحضور القلب فيها وهد والاصوات وسكونها وأشد استقامة واستمرارا على الصواب لأن الاصوات فيها هادئة والدياسة كثة فلا يضطرب على المصلي ما يقرأ قال قتادة ومجاهد أي أصوب للقراءة وأثبت للقول لاند زمان اتفهم قال أبو علي الفارسي أقوم قبلا أي أشد استقامة بفراغ البال بالليل قال الكلبي أي أبين قولاً بالقرآن وقال عكرمة أي أتم نشاطا واخلاصاً وأكثر بركة وقال ابن زيد جدران يتفقه في القرآن وقيل أعجل اجابة للدعاء (ان لك في النهار سجا طويلا) قرأ الجمهور بالحاء المهملة أي تصرف في حوائجك وأشغالك واقبالا وادبارا وذهابا وحيثا والسبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه يديه ورجليه وفرس سابع أي شديد الجري وقد استعير من السباحة في الماء للتصرف في الحوائج وقيل السبح الفراغ أي ان لك فراغا بالنهار للعاجات فصل بالليل وقال ابن عباس السبح الفراغ للعاجات والنوم قال ابن قتيبة أي تصرفوا قبلا وادبارا في حوائجك وأشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وراحتك وقال الخليل سجا أي نوما والسبح التمدد وقال الزجاج المعنى ان فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ

القرآن كادوا يكفون منه فلو القرآن ودنوا منه فلم يعلمهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن يستمعون القرآن هذا قول وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه وقال ابن جرير حدثني محمد بن معمر حدثنا ابن هشام عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكفون عليه ليدأ قال لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون يركعونه ويسجدون يسجدونه قال عجبوا من طوابعه أصحابه قال فقالوا القومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكفون عليه ليدأ وهذا قول ثان وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضا وقال

الحسن لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله ويدعو الناس الى ربهم كادت العرب تلبده عليه جميعا وقال قتادة في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤ فابى الله الا ان ينصره ويضيه ويظهره على من ناواه وهذا قول ثالث وهو مروى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله بعدة قل انما ادعوري ولا اشركن به أحدا أى قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليهبطوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته انما ادعوربى أى (٩٥) انما أعبد ربى وحده لا شريك له وأستجير به

وأتوكل عليه ولا اشركن به أحدا وقوله تعالى قل انى لأملك لكم ضرا ولا رشدا أى انما أنا بشر مثلكم يوحى الى وعبد من عباد الله ليس الى من الامر شئ فى هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع فى ذلك كله الى الله عز وجل ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجبره من الله أحد أى لو عصيته فانه لا يقدر أحد على انقاذه من عذابه وان أجسد من دونه ملتحدا قال مجاهد وقتادة والسدى لاملجأ وقال قتادة أيضا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجدر من دونه ملتحدا أى لانصير ولا ملجأ وفى رواية لاولى ولا موئل وقوله تعالى الابلاغ من الله ورسالته قال بعضهم هو مستثنى من قوله قل انى لأملك لكم ضرا ولا رشدا الابلاغ ويحتمل أن يكون استثناء من قوله لن يجيرنى من الله أحد أى لا يجيرنى منه ويخلصنى الابلاغ الرسالة التى أوجب ادائها على كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فإبلاغ رسالته والله يعصمك من الناس وقوله تعالى

فراغ للاستدراك وقرئ سبحانه بالخاء المعجمة قيل ومعنى هذه القراءة الخفة والسعة والاستراحة قال الاصمعى يقال سبج الله عنك الحمى أى خففها وسبج الحرف فتر وخف ومنه قول الشاعر

فسبج عليك الهم واعلم بأنه * اذا قدر الرحمن شيأ فكائن

أى خفف عنك الهم والتسبج من القطن ما ينسج بعد الغدق وقال نعلب السبج بالخاء المعجمة التردد والاضطراب والسبج السكون وقال أبو عمرو والسبج النوم والفراغ (واذكر اسم ربك) أى ادع به باسمائه الحسنى وقيل اقرأ باسم ربك فى ابتداء صلاتك وقيل اذكر اسم ربك فى وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتبعده عن معصيته وقيل المعنى دم على ذكر ربك وتلاوة القرآن ودراسة العلم لئلا ونهارا واستكثر من ذلك على أى وجه كان من تسبج وتمليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن قاله القاضى كالإكشاف وقال الكلى المعنى صل لربك وقال الحلى أى قل بسم الله الرحمن الرحيم فى ابتداء قراءتك انتهى تتبع فيه سهلا وزاد عليه سهل توصلت ببركة قراءتها الى ربك ونقطعت عما سواه ذكره المكرخى ومعنى فى ابتداء قراءتك سواء قرأت فى الصلاة أو فى خارجها وهذا اذا قرأت من أول سورة واما اذا قرأت من اثنائها سورة فانه ان كان فى غير الصلاة سن له أن يسهل وان كان فيها لم تسن له البسملة لان قراءة السورة بعد الفاتحة تعد قراءة واحدة فتأمل (وتبذل اليه تبذلا) أى انقطع اليه انقطاعا بالاشتغال لعبادته والتبذل الانقطاع يقال تبذلت الشئ أى قطعت عنه وميزته عن غيره وصدقة تبذله أى منقطعة من مال صاحبها ويقال للراهب تبذل لانقطاعه عن الناس ووضع تبذلا مكان تبذلا لرعاية الفواصل قال الواحدى والتبذل رفض الدنيا وما فيها والتمس ما عند الله وقيل المعنى أخلص اليه اخلاصا وقيل توكل عليه نو كلا (رب المشرق والمغرب) قرأ حزة والكسائى وأبو بكر وابن عامر يجرب على النعت لربك أو البذل منه أو البيان له وقرأ الباقر برفعه على انه مبتدأ وخبره (لا اله الا هو) أو على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو رب الخ وقرأ زيد بن على بنصبه على المدح وقرأ الجمهور المشرق والمغرب مفردين وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما المشرق والمغرب على الجمع وقد قدمنا تفسير المشرق والمغرب والمشرقين والمغربين والمشارك والمغرب (فاتخذوه كيلا) أى اذا عرفت انه المختص بالربوبية فاتخذوه قائما بأمره

ومن بعض الله ورسوله فان له نارجهم ثم خالدين فيها أبدا أى أنا بلغكم رسالة الله فمن بعض بعد ذلك فله جزاء على ذلك نارجهم ثم خالدين فيها أبدا أى لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا أى حتى اذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والانس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى أى بل المشركون لانصر لهم بالكيفية وهم أغل عدد من جنود الله عز وجل (قل ان أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه

رصد يعلم ان قد بلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) يقول تعالى أمر الله عليه وسلم أن يقول للناس أنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقرب وقتها أم بعد قل أن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً أي مدة طويلة وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي بدأه كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض كذب لأصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولم يأت به جبريل في صورة أعرابي كان فيمأسأله أن قال يا محمد (٩٦) فأخبرني عن الساعة فقال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولم يناداه ذلك الأعرابي

بصوت جهوري فقال يا محمد متى الساعة قال ويحذرنها كأنه إنما أعددت لها قال أما إلى لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله قال فأتيت مع من أحببت قال أنس فإفروح المسلمون بشي فرحهم بهذا الحديث وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مضاء حدثنا محمد بن جبير حدثني أبو بكر بن أبي مرزوق عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني آدم ان كنتم تعلمون فعدوا أنفسكم من الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لا توتد قال أبو داود وفي آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج ابن ابراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعجز الله هذه الامة من نصف يوم انفر دبه أبو داود ثم قال أبو داود حدثنا عمر بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي

وعول عليه في جميعها وقيل كنم لا عاودك من الجزاء والنصر وفائدة الفاء ان لا تلبث بعد ان عرفت في تقويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك في الانتظار بعد الاقرار قال الباقى وليس ذلك بأن يترك الانسان كل عمل فان ذلك طبع مع فارغ بل بالاجمال في طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون متوكلا في السبب منتظرا للمسبب فلا يهمل الاسباب ويتركها طامعا في المسببات لانه حينئذ يكون كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف للحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب (واصبر على ما يقولون) في من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر والاذى والسبب والاستهزاء ولا تجزع من ذلك (واهجروهم هجرا جيلا) أي لا تعرض لهم ولا تشغل بعكافاتهم وتجانبهم وتدارهم وكل أمرهم الى الله فانه يكفيهم وقيل الهجر الجيل الذي لا جزع فيه وهذا كان قبل الامر بالقتال (وذري والمكذبين) أي دعني واباهم ولا تهتم بهم فاني أكفيك أمرهم وأنتقم لك منهم قيل زلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم وقال يحيى ابن سلام هم بنو الغيرة وقال سعيد بن جبير أخبرتهم اثنا عشر (أولى النعمة) أي أرباب الغنى والسعة والترفة والذخ في الدنيا والنعمة بالفتح التمتع والكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم قايلا) أي تمهلا قليلا على انه نعت لمصدر محذوف أو زمانا قليلا على انه صفة لزمان محذوف والمعنى أمهلهم الى انقضاء آجالهم وقيل الى نزول عقوبة الدنيا بهم كيوم يدرفات عائشة لما نزلت هذه الآية لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر وقيل الى يوم القيامة والاول أولى لقوله (ان لدينا أنكالا) وما بعده فانه وعيد لهم بعذاب الآخرة والانكال جمع نكل وهو القيد كما قال الحسن ومجاهد وغيرهما قال ابن مسعود أنكالا قيودا وقال الكلبى الانكال الاغلال من حديد والاول أعرف في اللغة وقال مقاتل هي أنواع العذاب الشديد وقال أبو عران الجوني هي قيود لا تحل (وجيما) أي ناراً موجهة محرقة (وطعاما ذاغصة) أي لا يسوغ في الخلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج قال ابن عباس هو شجرة الزقوم وبه قال مجاهد وقال الزجاج هو الضريع كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع وقال هو شوك العوسج قال عكرمة هو شوك يأخذ بالخلق لا يدخل ولا يخرج والغصاة الشجيرة في الخلق وهو ما ينشب فيه من عظم أو غيره وجعلها غصص (وعذابا أليما) أي ونوعا آخر من

العذاب

وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اني لا رجوا أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم

قبل اسعدوكم نصف يوم قال خسمائة عام انفر دبه أبو داود وقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول هذه كقوله تعالى ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شاء وهكذا قال ههنا انه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطالع أحد من خلقه على شيء من علمه الا بما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول وهذا يرمي الرسول المملوك والعشيرة ثم قال تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً أي يخضعه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساقون به

على مامعه من وحي الله ولهذا قال ليعلم أن قد بلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله ليعلم إلى من يعود فقيل إنه عائذ على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبيرة في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال أربعة حفظه من الملائكة مع جبريل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن قد بلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به (٩٧) وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن

أبي حبيب وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ليعلم أن قد بلغوا رسالات ربهم قال ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ورفعته عن الله وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير وقيل غير ذلك كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله لا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يبين الذين أرسل إليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد بلغوا رسالات ربهم وكذا قال ابن أبي نجيع عن مجاهد ليعلم أن قد بلغوا رسالات ربهم قال ليعلم من كذب الرسل أن قد بلغوا رسالات ربهم وفي هذا نظر وقال البغوي قرأ يعقوب ليعلم بالضم أي ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا ويحتمل أن يكون الضمير عائذا إلى الله عز وجل وهو قول حكاة ابن الجوزي في زاد المسير ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رساله بملائكته لئلا يتمكنوا من أداء رسالته ويحفظ

العذاب غير ما ذكره جميعا يخلص وجعه إلى القلب (يوم ترجف الأرض والجبال) انتصاب الظرف ما بذرتني أو بالاستقرار المتعلق به لا ديناً وهو صفة لعذاب فيستعلق بمحذوف أي عذابا واقعيا يوم ترجف أو متعلق بأيم قرأ الجمهور ترجف بفتح التاء وضم الجيم مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مأخوذ من أرجفها والمعنى تتحرك وتزلزل وتضطرب عن عليها وهو يوم القيامة والرجفة الزلزلة والعدة الشديدة (وكانت الجبال) أي وتكون الجبال التي هي مراعى الأرض وأوتادها (كتسيا مهيلا) وانما عبر عنه بالماضى لتحقيق وقوعه والكسب الرمل المجمع من كسب الشيء إذا جمعه كأنه فاعيل بمعنى مفعول والمهيل الذي يمر تحت الأرجل قال الواحدي أي رمل لا يقال لكل شيء أرسلته أرسله من تراب أو طعام أهله مهيلا قال الضحاك والكلي المهيل الذي إذا رطبت به بالقدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انحال وقال ابن عباس المهيل الذي إذا أخذت منه شيئا تبعك آخره وعنه قال المهيل الرمل السائل (اننا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم) الخطاب لأهل مكة أو لكفار قريش أو لجميع الكفار فقيه التفات من الغيبة في قوله واصبر على ما يقولون وقوله والمكذابين والرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعني موسى (فقصى فرعون الرسول) الذي أرسلناه إليه وكذبه ولم يؤمن بما جاء به والنكرة إذا أعيدت معرفة كان الثاني عين الأولى وانما خص موسى وفرعون بالذكر لأن خبرهما كان منتشر بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود والمعنى اننا أرسلنا اليكم رسولاً فقصيته كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه (فاخذناه أخذاً ويلاً) أي شديداً ثقيلاً غليظاً ومنه قيل للمطر وابل وقال الاخفش شديداً وبه قال ابن عباس والمعنى متقارب ومنه طعام وابل إذا كان لا يستبرأ (فكيف تتقون) أي فكيف تقون أنفسكم وتوجدون الوقاية التي تفي أنفسكم والمعنى لا سبيل لكم إلى التقوى إذا رأيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة (آن كفرتم) أي إذا بقيتم على كفركم في الدنيا (يوماً) أي عذاب يوم (يجعل الولدان شيباً) لشدة هولاء أي يصير الولدان شيوخاً شيبوا والشيب جمع أشيب وهذا يجوز أن يكون حقيقة وانهم يصيرون كذلك أو تمثيلاً لأن من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت أعضاؤه وصار كالشيخ في الضعف وسقوط القوة

(١٣ - فتح البيان عاشر) ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد بلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكقوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة ولهذا قال بعد هذا وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً آخر تفسير سورة الجن ولله الحمد والمئة (تفسير سورة المزمل عليه السلام وهي مكية) قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي حدثنا علي بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش

في دار الندوة فقالوا اسم هذا الرجل اسم ما يصدر الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتذرف عينا فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا أيها المزمل يا أيها المذموم ثم قال البزاز معي بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه وانقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا اناسلني عليك قولاً ثقيلاً (٩٨) ان ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً ان لك في النهار سباً طويلاً واذكر

قال الشاعر

والهم يحترم الجسيم نجافة * ويشيب ناصية الصبي وجرم
قال في المصباح والشيب ابيضاض الشعر المسود وشيب الحزن رأسه وبرأسه بالتشديد
وأشابه بالالف وأشابه فشاب في المطاوع انتهى وفي القاموس الشيب الشعر وبياضه
كل شيب وهو أشيب ولا فعل له أي لا يقال امرأة شيباء كما في المصباح وقوم شيب
وشيب بضمين وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون
منه الشيخوخة والشيب والاول أولى وفي هذا توخي لهم شديد وتقريع عظيم قال الحسن
أي كيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيبان كفرتم وكذا قرأ ابن مسعود وعطية ويوما
مفعول به لتتقون قال ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح والولدان
الصبيان وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يجعل الولدان شيبان قال ذلك
يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لا دم قم فابعث من ذرية لك بعنا الى النار قال من كم يارب
قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين وينجو واحد فاشهد بذلك على المسلمين فقال
حين أبصر ذلك في وجوههم ان بنى آدم كثير وان يأجوج ومأجوج من ولد آدم انه
لا يموت رجل منهم حتى يرثه لصلبه ألف رجل ففهم وفي أشباههم جنة لكم أخرجه
الطبراني وابن مردويه وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود نحوه باخصر منه ثم زاد سبحانه
في وصف ذلك اليوم بالشدة فقال (السما منقطر به) أي منشفة به لشدته وعظيم
هوله فاطنك بغيرها من الخلاق والجله صفة أخرى ليوم والباء مبيية وجوز الزمخشري
أن تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانقطر به
وقال القرطبي انها بمعنى في أي منقطر فيه وهو ظاهر وقيل بمعنى اللام أي منقطر له وانما
قال منقطر ولم يقل منقطرة لتزيل السماء منزلة شيء لكونها قد تغيرت ولم يبق منها الا ما
بغير عنه بالشيء وقال أبو عمرو بن العلاء لم يقل منقطرة لان مجازها السقف فيكون هذا كما
في قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الفراء السماء تذكروا ثوبت وقال أبو علي
الفارسي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر وأعجاز نخس منقطر وقال أيضا
أي السماء ذات انقطاع كقولهم امرأة مريض أي ذات ارضاع على ط- ريق النسب
وانقطاعها لنزول الملائكة كما قال اذا السماء انقطرت وقوله والسموات تنفطرن من

اسم ربك وقبيل اليه بتبيلارب
المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذ
وكيلاً يا مرتعلى رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يترك التزمل وهو
التغنى في الليل وينهض الى
القيام لربه عز وجل كما قال تعالى
تجربا في جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
رزقناهم ينفقون ولذلك كان
صلى الله عليه وسلم عمتلا ما أمره
الله تعالى به من قيام الليل وقد كان
واجبا عليه وحده كما قال تعالى
ومن الليل فتعبد به نافلة لك عسى
أن يبعثك ربك مقاما محمودا وهذه
بين له مقادير ما يقوم فقال تعالى
يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا قال
ابن عباس والضحك والسدى
يا أيها المزمل يعني يا أيها الناسم وقال
قتادة المزمل في ثيابه وقال ابراهيم
الضبي نزلت وهو متزمل بقطيفة
وقال شبيب بن بشر عن عكرمة
عن ابن عباس يا أيها المزمل قال
يا محمد ذملت القرآن وقوله تعالى
نصفه بدل من الليل أو انقص منه
قليلا أو زد عليه أي أمرنا أن
تقوم نصف الليل بزيادة قليلة
أو نقصان قليل لا حرج عليك في

فوقهن

ذلك وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه على تمهل فانه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره
وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه قالت عائشة رضي الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها
وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يدبسم الله
ويد الرحمن ويد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت كان يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين رواء أحمد وأبو داود

والترمذي وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به وقال الترمذي حسن صحيح وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث زينا القرآن بأصواتكم وليس منامن لم يتغن بالقرآن ولقد أدركني هذا من مارا من من أمير آل داود يعني أبا موسى فقال أبو موسى لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبته لك (٩٩) تحبوا وعن ابن مسعود أنه قال لا تشروه نثر

الرمل ولا تهذوه هذا الشعر ففوا عند عجايبه وحر كوابه القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة رواه البغوي وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن عبد الله بن عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال جاء رجل إلى ابن مسعود فقال قرأت الفصل الليلة في ركعة فقال هذا كهذا الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهما فذكر عشرين سورة من الفصل سورتين في ركعة وقوله تعالى اناس لن يثقوا بك قولنا ثقلا قال الحسن وقتادة أي العمل به وقيل ثقيل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونخذه على نخذي فكادت ترض نخذي وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع صلاصلا ثم أسكت عند ذلك

فوقهن وقيل منقطر به أي بالله والمراد بأمره والاول أولى وقال ابن عباس منقطر به مملئة بلسان الحبشة وعنه قال منقطر موقرة وعنه قال يعني تشقق السماء (كان وعده منقولاً) أي كان وعده الله بما وعده من البعث والحساب وغير ذلك كأننا للاحالة والمصدر مضاف إلى فاعله أو وكان وعده اليوم منقولاً فالمصدر مضاف إلى منقولاً ومعنى منقولاً أنه مقضى نافذ لا يرد على أحد من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله قال مقاتل كان وعده ان يظهر دينه على الدين كله (ان هذه) أي ما تقدم من الآيات (تذكرة) أي موعظة وقيل الإشارة إلى جميع آيات القرآن لا إلى ما في هذه السورة فقط (فن شاء) النجاة (اتخذ) بالطاعة التي أهم أنواعها التوحيد (إلى ربه سبيلاً) أي طريقاً توصله إلى الجنة وقال القرطبي أي من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك إلى ربه سبيلاً أي طريقاً إلى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له لأنه أظهر له الحجج والدلائل (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أي أقل استعيره الأدنى لان المسافة بين الشيعتين اذا دنت قل ما بينهما مامن الاحياز واذا بعدت كثرت ذلك (من ثلثي الليل ونصفه) معطوف على أدنى وقوله (وثلثه) معطوف على نصفه والمعنى ان الله يعلم ان رسوله صلى الله عليه وسلم يقوم أقل من ثلثي الليل ويقوم نصفه ويقوم ثلثه وبالنصب قرأ ابن كثير والكوفيون وقرأ الجمهور ونصفه وثلثه بالجر عطفاً على ثلثي الليل والمعنى ان الله يعلم ان رسوله يقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه وأقل من ثلثه واختار قراءة الجمهور أبو عبيد وأبو حاتم لقوله لا أتى علم ان ان تحصوه فكيف يقومون نصفه وثلثه وهم لا يحصونه وقال القراء النصب أشبه بالصواب لانه قال أقل من ثلثي الليل ثم فسر نفس القلة (وطائفة من الذين معك) معطوف على الضمير في تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل أي وتقوم ذلك القدر معك طائفة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أي يعلم مقاديرهما على حقائقها ويختص بذلك دون غيره وأنتم لا تعلمون ذلك على الحقيقة قال عطاء بن ريد لا يفوته علم ما يفعلون أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم قدر الذي يقومونه من الليل والذي ينامون منه (علم ان ان تحصوه) أي لن تطيقوا علم مقاديرهما على الحقيقة وفي ان ضمير شأن محذوف أي انه وقيل المعنى لن تطيقوا قيام الليل قال القرطبي والاول أصح فان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل

فما من مرة يوحى إلى الاطننت ان نفسي تقبض تفرد به أحمد وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ففصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً هذا اللفظ وقال الامام أحمد حدثنا سلمان بن داود اخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان كان ليوحى إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن نوري عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائها فاستطيع أن أتحرل حتى يسرى عنه وهذا هو سر السل الجران هو باطن العنق واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم كما نقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين وقوله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا قال أبو اسحق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس نشأ قام بالحشية (١٠٠) وقال عمرو بن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة وكذا قال مجاهد وغير واحد

يقال نشأ إذا قام من الليل وفي رواية عن مجاهد بعد العشاء وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض أن ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآت والمقصود أن قيام الليل هي أشد مواطاة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى هي أشد وطأ وأقوم قبلا أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية أن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قبلا فقال له رجل إنما نقرأها وأقوم قبلا فقال له إن أصوب وأقوم وأهيا وأشباه هذا واحد ولهذا قال تعالى إن لك في النهار سبعا طويلا قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي سalm الفراغ والنوم وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع

الأقيلانصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدرى متى نصف الليل من ذلك فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطئ فانتفعت أقدامهم واثبتت ألوأهم فرجهم الله وخفف عنهم فقال علم أن لن تحصوه لأنكم أن زدتم ثقل عليكم واحتجتم إلى تكلف ما ليس بفرض وأن نقصتم شق ذلك عليكم (فتاب عليكم) أي فعاد عليكم بالعفو ورخص لكم في ترك القيام وقيل أسقط عنكم فرض القيام إذ عجزتم وأصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع بكم من التثقل إلى التخفيف ومن العسر إلى اليسر قال المحلى رجع بكم إلى التخفيف قال الحنفياوى فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنب والمراد بالتخفيف الذي رجع بهم إليه ما كان قبل وجوب القيام لكن الرجوع في الجملة لأنه قبل وجوب قيام الليل لم يكن عليهم قيام شيء منه وفي هذا الرجوع والتخفيف وجوب جزء مطلق يصدق بركعتين (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) بيان للبدل الذي وقع النسخ إليه أي قد نسخ التقدير بالأجزاء الثلاثة إلى جزء مطلق من الليل وسيأتى أن هذا الجزء نسخ أيضا بوجوب الصلوات الخمس والمعنى فاقرأوا في الصلاة بالليل ما خفف عليكم وتيسر لكم منه من غير أن ترقبوا وقتنا قاله القرطبي ورجحه قال الحسن هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء وقال السدي ما تيسر منه هو مائة آية وقال الحسن أيضا من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ في ليلة مائة آية كتب من القاتنين وقال سعيد بن جسون آية وعن ابن عباس مرفوعا قال مائة آية أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه وعن قيس بن أبي حازم قال صليت خلف ابن عباس فقرأ في أول ركعة بالحمد لله رب العالمين وأول آية من البقرة ثم ركع فلما انصرفنا أقبل علينا فقال إن الله يقول فاقرأوا ما تيسر منه أخرجه الدارقطني والبيهقي في سننه وحسنه قال ابن كثير هذا حديث غريب جدا لم أره إلا في مجمع الطبراني وعن أبي سعيد عند أحمد والبيهقي في سننه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر وقد قدمنا في أول هذه الوردة ما روى أن هذه الآيات المذكورة هنا هي النسخة لوجوب قيام الليل وقيل المعنى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل والصلاة تسمى قرأنا كقوله وقرآن الفجر قيل إن هذه الآية نسخت قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه فيحتمل أن يكون ما تضمنته هذه الآية فرضا تابوا ويحتمل أن يكون منسوخا لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى

ابن أنس وسفيان الثوري فراغا طويلا وقال قتادة فراغا وبغية ومتقلبا وقال السدي سبعا طويلا أن تطوعا كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى إن لك في النهار سبعا طويلا قال الحواشي فافرغ ليلتك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى من على عباده تخففها ووضعها وقرأتم الليل الأقيل إلى آخر الآية ثم قرأ أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه حتى بلغ فاقرأوا ما تيسر منه وقال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن سئل ربك مقام محمود وهذا الذي قاله كما قاله والدليل عليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد بن

أبى عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارها بها ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت فلقى رهطاً من قومه فخذوه أن رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أليس لكم في أسوة حسنة فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع إليها فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أبديك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال أنت عائشة فسألها ثم رجع إلى فأخبرني بردها عليك قال فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال ما أباة أقربها إلى نهيها (١٠١) أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأتيت

فيهما الأمضيا فأقسمت عليه فخاف معي فدخلنا عليها فقالت حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا معك قال سعيد بن هشام قالت من هشام قال ابن عامر قال فترجت عليه وقالت نعم المرأة كان عامراً قلت يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألت تقراء القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدلت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألت تقراء هذه السورة يا أم المزملة قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهراً ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد فرضه فهممت أن أقوم ثم بدلت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئني عن وتر رسول

أن يعثرك بك ما محموداً قال الشافعي الواجب طاب الاستدلال بالسنة على أحد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أن لا واجب من الصلاة إلا الخمس وقد ذهب قوم إلى أن قيام الليل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق أمته وقبل نسخ التقدير بمقدار وبقي أصل الوجوب وقبل أنه نسخ في حق الأمة وبقي فرضاً في حقه صلى الله عليه وسلم والأولى القول بنسخ قيام الليل على العموم في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق أمته وليس في قوله فافقروا ما يتسر منه ما يدل على بقائه شيء من الوجوب لأنه إن كان المراد به القراءة من القرآن فقد وجدت في المغرب والعشاء وما يتبعهما من النوافل المؤكدة وإن كان المراد به الصلاة من الليل فقد وجدت صلاة الليل بصلاة المغرب والعشاء وما يتبعهما من التطوع وأيضاً الأحاديث الصحيحة المصرحة بقول السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل علي غير ما يعني الصلوات الخمس فقال لا إلا أن تطوع تدل على عدم وجوب غيرها فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلاته على الأمة كما ارتفع وجوب ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال الواحدى قال المفسرون في قوله فافقروا ما يتسر منه كل هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس عن المؤمنين وثبت على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك قوله وأقيموا الصلاة قلت فيه نظر لأن وجوب الصلوات الخمس لا ينافي وجوب قيام الليل بشرط التماسخ أن يكون حكمه منافياً ومعارضاً لحكم المنسوخ كوجوب العدة بحول مع وجوبها بأربعة أشهر فليتأمل فالصواب أن يكون النسخ بغير ذلك كالحديث الذي قدمنا ذكره سبحانه عذرهم فقال (علم أن سيكون منكم مرضى) فلا يطيقون قيام الليل ويشق عليهم ذلك وقال الحنفياوى هذا استئناف مبين لحكمة أخرى فالحكمة الأولى هي قوله علم أن لن تحصوه والثانية هي قوله علم أن سيكون الخ (وآخرون يضرّبون في الأرض ينتقون من فضل الله) أى يسافرون فيها للتجارة والارباح يطلبون من رزق الله ما يحتاجون إليه في معاشهم فلا يطيقون قيام الليل (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعنى الغزاة والمجاهدين فلا يطيقون قيام الليل قال النسفي سوى سبحانه وتعالى في هذه الآية بين درجة المجاهد والمكاتب لأن كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابر محتسباً فباعه بعسر يومه كان عند الله

الله صلى الله عليه وسلم قالت كأنه عدله سواكه وظهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلى ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة فيجلس ويذكر ربّه تعالى ويدعو ثم يسلم تسليماً يسمعهما ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعدما يسلم فتلک إحدى عشرة ركعة يابى فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ العزم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلک تسع يابى وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا شغل عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح ولا صام شهراً كاملاً

غير رمضان فأبى ابن عباس فحاشته بجديتها فقال صدقت أمارو كنت أدخل عليها لا تبتا حتى تشافهني مشافهة هكذا رواه
 الإمام أحمد بن حنبل وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بن نحو طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى قال
 ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قال لا جميعوا اللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة
 حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من
 الليل فتسمع الناس به فاجتمعوا فخرج (١٠٢) كالمغضب وكان بهم رجما فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل

فقال أيها الناس اكفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخبر الأعمال ما ديم عليه ونزل القرآن يأبى المزمحل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فكنوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يتعمون من رضوانه فرجهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الزبيدي وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قد يوهى أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وانما هي مكية وقوله في هذا السياق ان بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم في رواية أحمد انه كان بينهما سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سمك الحنفي سمعت ابن عباس يقول أول ما نزل أول المزمحل كانوا يقومون نحو من قيامهم في شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها

من الشهداء ثم قرأ هذه الآية وقال ابن عمر ما خلق الله مائة أمواتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلى من أن أموت بين شعبي رحيل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله وقال طاوس الساعى على الأرملة والمسكين للجها في سبيل الله ثم لما ذكر سبحانه ههنا ثلاثة أسباب مقتضية للتخييص ورفع وجوب القيام فرفعه عن جميع الأمة لأجل هذه الأعداء التي تنوب بعضهم ك ما يفعلونه بعد هذا الترخيص فقال (فاقرؤا ما تيسر منه) وقد تقدم تفسيره قريبا والتكرير للتأكيد (وأقيموا الصلاة) يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها (وآتوا الزكاة) يعني الواجبة في الأموال وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الأموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل أفعال الخير (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي ائتمنوا ما سوى المفروض في سبيل الخير من أموالكم انما فاقا حسنا عن طيب قلب وانما أضافه إلى نفسه لثلاثين على الفقير فيما يصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك التربة فلا تكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه وقد مضى تفسيره في سورة الحديد قال زيد بن أسلم القرض الحسن الاتفاق على الأهل وقيل الاتفاق من الحلال بالاخلاص والصرف إلى المستحق وقيل النفقة في الجهاد وقيل هو اخراج الزكاة المفترضة على وجه حسن فيكون تفسير قوله وآتوا الزكاة والاول أولى لقوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) فان ظاهره العموم أي أي خير كان مما ذكر ومما يذكر (وخير أو أعظم أجرا) أي أجر له ثوابا مما تؤخر عنه إلى عند الموت أو توصون به ليخرج بعده وتكموا وتصاب خيرا على انه ثانی مفعول تجدوه وخبر هو ضمير فصل وبالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالرفع على انه خبر هو والجملة في محل نصب على انها ثانی مفعول تجدوه قال أبو زيد وهو لغته تميم يرفعون ما بعد ضمير الفصل وقرأ الجمهور أيضا أعظمهم بالنصب عطف على خيرا وقرئ بالرفع مثل خيرا وتصاب أجرا على التمييز (واستغفروا لله) أي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم في مجامع أحوالكم فانكم لا تخلون من ذنوب تغتفونها (ان الله غفور رحيم) أي كثير المغفرة لمن استغفره كثير الرحمة لمن استرحه ويستتر على أهل الذنب والتقدير ويخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير

(سورة المدثر هي خمس أو ست وخمسون آية وهي مكية) *

قريب من سنة وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به وقال الثوري ومحمد بن بشر (في العبدى كلاهما عن مسعر عن سمك عن ابن عباس كان بينهما سنة وروى ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس مثله وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن زهوب عن أبي عبد الرحمن قال لما نزلت يا أيها المزمحل قاموا حولي حتى وردت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت فافروا وما تيسر منه قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصري والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام

حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال فقلت يعني لعائشة أخبري بنا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألسنت تقرأيأيها المنزل قلت بلى قالت فانها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ثم نزل وقال معمر عن قتادة قم الليل الا قليلا قاموا حولاً أو حواين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله مخففة بها بعد في آخر السورة وقال ابن جرير حدثنا ابن جبير حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها المنزل (١٠٣) قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم على

هذه الحال عشرين يوماً ثم انزل الله عليه كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشرين يوماً ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك الى قوله تعالى وأقيموا الصلاة وخفف الله تعالى عنهم بعد عشرين يوماً ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمي به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى قم الليل الا قليلا لانقص منه قليلا فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورجعهم فأنزل بعد هذا علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله الى قوله تعالى فافرقوا ما تيسر منه فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق وقوله تعالى واذكر اسم ربك وتبذل اليه تبسلاً أي أكثر من ذكره وانقطع اليه وتفرغ لعبادته اذا فرغت من أشغالك وما تحتاج اليه من أمور دنياك كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب اذا فرغت من مهماتك فانصب

* (في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قال الواحدي قال المفسرون لما بدئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي أتاه جبريل فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سري بين السماء والأرض كالنور المتلألئ ففرع ووقع بغشياً عليه فلما أفاق دخل على خديجة ودعا بآل فصبه عليه وقال دثروني دثروني فدثروه بقطيفة فقال (يا أيها المدثر) أي يا أيها الذي قد دثرت بنبابه أي تغشى به من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك عند نزول الوحي وأصله المتدثر فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما وقد قرأ الجمهور بالادغام وقرأ أبي على الاصل والدثار هو ما يلبس فوق الشعار والشعار هو الذي يلي الجسد وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار وسيف دثار بعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس دثار لذهاب أعلامه وقال عكرمة المعنى يا أيها المدثر بالنبوة وانقلها قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبياً اذ ذاك أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله ان أباسلمة بن عبد الرحمن قال ان أول ما نزل من القرآن يا أيها المدثر فقال له يحيى بن أبي كثير يقولون ان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال جاورت بجرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بجرا جالس على كرسى بين السماء والأرض فجئنت منه رعباً فرجعت فقلت دثروني دثروني فنزلت يا أيها المدثر الى قوله والجر فهاجروا عن ابن عباس قال دثر هذا الامر فقم به وعنه قال المدثر النائم وسأني في سورة اقرأ ما يدل على انها أول سورة أنزلت والجمع ممكن قال الخطيب اختلف في أول ما نزل من القرآن اختلافاً طويلاً وتحقيق المعنى منه وطريق الجمع بين الاحاديث المتناقضة فيه ان أول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك الى ما لم يعلم وأول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر الى فهاجروا في صدر حاشية سليمان الجليل استيفاء الكلام على ترتيب القرآن نزولاً لا عن الخازن فراجع ان شئت (قم فأنذر) أي انهض نخوف أهل مكة

في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بن عطاءة وأقرب منه وقال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي وتبذل اليه تبسلاً أي أخلص له العبادة وقال الحسن اجتهدوا بتل اليه بنفسك وقال ابن جرير يقال للعابد متبذل ومنه الحديث المروي عن النبي عن التبذل يعني الانقطاع الى العبادة وترك التزوج وقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذوه وكلاً أي هو الملك المتصرف في المشرق والمغرب الذي لا اله الا هو وكما أفردته بالعبادة وأفردته بالتوكل فاتخذوه وكلاً كما قال تعالى في الآية الاخرى فاعبدوه وتوكل عليه وكقوله اياك نعبد واياك نستعين في آيات كثيرة في هذا المعنى فيها الامر بافراد العبادة

والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلًا وذري والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً
ان لدينا أنكالا وجمًا واطعاما ماذا غصه وعذابا أليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كنياما مهيبا اننا أرسلنا اليكم
رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا انصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا ويلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل
الولدان شيئا السماء منفطر به كان وعده مفعولا) يقول تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالصر على ما يقوله من كذبه من
سفهها وقومها وان يجرهم هجرًا جميلًا (١٠٤) وهو الذي لا عتاب معه ثم قاله متهدد الكفار قومه ومتوعدا وودو العظيم الذي

لا يقوم لغضبه شيء وذري والمكذبين
أولى النعمة أى دعنى والمكذبين
المترفين أصحاب الاموال فانهم على
الطاعة أقدر من غيرهم وهم
يطالبون من الحقوق بما ليس عند
غيرهم ومهلهم قليلا أى رويدا كما
قال تعالى غنمهم قليلا ثم مضى بهم
الى عذاب غليظ ولهذا قال ههنا
ان لدينا أنكالا وهى القيود قاله
ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد
ابن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو
عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك
وجاد بن أبى سليمان وقتادة
والسدى وابن المبارك والثوري
 وغير واحد وجميما وهى السعير
المضطردة واطعاما ماذا غصه قال
ابن عباس ينشب فى الحلق فلا
يدخل ولا يخرج وعذابا أليما يوم
ترجف الارض والجبال أى ترزّل
وكانت الجبال كنياما مهيبا أى
تصير ككسبان الرمل بعدما كانت
حجارة صماء ثم انها تنسف تنسفا فلا
يبقى منها شيء الا ذهب حتى تصير
الارض قاعا صافيا لا ترى فيها
عوجا أى واديا ولا امتا أى رابية
ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع
ثم قال تعالى مخاطبا الكفار قريش

وحذرهم العذاب ان لم يسلموا وأقم من مضجعك واترك الدثر بالثياب واشتغل بهذا
المنصب الذى نصبك الله له وهو الانذار وأقم قيام عزم وتصميم وقيل الانذار ههنا هو
اعلامهم بنبوته وقيل اعلامهم بالتوحيد وقال الفراء المعنى قم فصل وأمر بالصلاة
(وربك فكبر) أى واختص سيدك ومالكك ومصالح أمورك بالكبر وهو وصفه
سبحانه بالكبرياء والعظمة عقدا وقولا وأنه أكبر من ان يكون له شريك كما يعتقده
الكفار وأعظم من ان تكون له صاحبة أو ولد قال ابن العربي المراد به تكبير التقديس
والتنزيه لخلع الاضداد والانداد والاصنام ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره
فعلا الا له ولا نعمة الا منه قال الزجاج ان الفاء فى فكبر دخلت على معنى الجزاء كما دخلت
فى قوله فأنذر وقال ابن جنى هو كقولك زيد افاضرب أى زيد اضرب فالفاء زائدة وعبرة
الكرخى دخلت الفاء المعنى الشرط كانه قيل وأياما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر)
المراد به الثياب الملبوسة على ما هو المعنى اللغوى أمره الله سبحانه بتطهير ثيابه وحفظها
عن النجاسات وازالة ما وقع فيها منها وقال مجاهد ودوا بن زيد وأورزى أى عملك فأصلح
وقال قتادة نفسك فطهر من الذنوب والثياب عبارة عن النفس وقال سعيد بن جبيرة
فطهر وقال الحسن والقرطبي أخلاقك فطهر لان خلق الانسان مشتمل على أحواله
اشتمال ثيابه على نفسه وقال الزجاج المعنى وثيابك فقصر لان تقصير الثوب أبعد من
النجاسات اذا انجز على الارض وبه قال طاوس وذلك لان العرب كانت عاداتهم تطويل
الثياب وجر الذبول ولا يؤمن معه اصابة النجاسة وفى الثوب الطويل من الخيل والكبر
والفخر ما ليس فى الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقال أبى
ابن كعب معناه لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وأنت بر طاهر وقال
ابن عباس أى لا تكن ثيابك التى تلبس من مكسب باطل وعنه قال فطهر من الاثم قال
وهى فى كلام العرب نقي الثياب وعنه قال من الغدر لا تكن غدارا وفى لفظ لا تلبسها
على غدره والاول أولى لانه المعنى الحقيقى وليس فى استعمال الثياب مجاز عن غيرها
لعلاقة مع قرينة ما يدل على انه المراد عند الاطلاق وليس فى مثل هذا الاصل أعنى الحمل
على الحقيقة عند الاطلاق خلاف وفى الآية دليل على وجوب طهارة الثياب فى الصلاة
قال الرازى اذا حملنا التطهير على حقيقة ففي الآية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعى

والمراد سائر الناس اننا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم أى بأعمالكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى

المقصود

فرعون الرسول فأخذناه أخذًا ويلا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والثوري أخذوا أى شديداً أى فاحذروا
أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى فأخذه الله نكال
الآخرة والاولى وأنتم أولى بالهلاك والدمار ان كذبتم رسولكم لان رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويرى عن ابن
عباس ومجاهد وقوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيئا يحفل أن يكون يوما معكم ولا تتقون كما حكاها ابن جرير

عن قراءة ابن مسعود فكيف يخافون أيها الناس يوم يجعل الولدان شيبا ان كفرتم بالله ولم تصدقوا به ويحتمل أن يكون لكفرتم فعلى الاول كيف يحصل لكم امان من يوم هذا الفزع العظيم ان كفرتم وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى ان كفرتم يوم القيامة ويجددتموه وكلاهما معنى حسن ولكن الاول أولى والله أعلم ومعنى قوله يوم يجعل الولدان شيبا أى من شدته أهواله وزلازله وبلاؤه وذلك حين يقول الله تعالى لا دم ابعت النار فيقول من كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال الطبراني حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد (١٠٥) بن أبي هريرة حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان

ابن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم يجعل الولدان شيبا قال ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لا دم قم فابعت من ذريةك بعثا الى النار قال من كم يارب قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد فاستد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم ان بنى آدم كثير وان يأجوج ومأجوج من ولد آدم وان لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففهمهم وفي اشباههم جنة لكم هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الاحاديث وقوله تعالى السماء منفطرة به قال الحسن وقتادة أى مشتمة من شدته وهوله ومنهم من يعبد الضمير على الله تعالى وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوى لانه لم يجزله ذكرهنا وقوله تعالى كان وعده منه ولا أى كان وعده هذا اليوم منه ولا أى واقعا لا محالة وكانتنا لا نجد عنه (ان هذه تذكرة في شاء

المقصود من الآية الاعلام بأن الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله أن يصون ثيابه عنها وثالثها روى انهم ألقوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رافق له وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات (والرجز فاهجر) الرجز معناه في اللغة العذاب وفيه لغتان كسر الراء وضمة الراء وهما قراءتان سبعيتان والراء منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والراء ومعناها واحد وانما سمى الشرك وعبادة الاوثان رجزا لانها سبب الرجز وقال مجاهد وعكرمة الرجز الاوثان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وبه قال ابن زيد وقال ابراهيم النخعي الرجز المأثم والهجر الترك وقال قتادة الرجز اساف ونائلة وهما صنمان كانا عند البيت وقال أبو العالية والربيع والكسائي الرجز بالضم الوزن وبالكسر العذاب وقال السدي الرجز بضم الراء الوعيد والاول أولى وقال ابن عباس الرجز الاصنام (ولا تئن تستكثر) قرئ لا تئن بالادغام وقرأ الجمهور بفتح الادغام وتستكثر بالرفع على انه حال أى ولا تئن حال كونك مستكثرا وقيل على حذف ان والاصل ولا تئن أن تستكثر فلما حذفت رفع قال الكسائي فاذا حذف ان رفع الفعل وقرئ تستكثر بالنصب على تقدير ان وبقاء عملها ويؤيدها قراءة ابن مسعود ان تستكثر بزيادة أن وقرئ بالجزم على انه بدل من تئن كما في قوله يلقي أنما ايضا عطف له العذاب والجزم لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد اعترض على قراءة الجزم لان قوله تستكثر لا يصح أن يكون بدلا من تئن لان المن غير الاستكثار ولا يصح أن يكون جوابا للنهي والمن الانعام وبابردة واختلف السلف في معنى الآية فقيل المعنى لا تنعم بشئ مستكثرا أى طالبا للكثرة كارهان ان ينقص المال بسبب العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان وقيل المعنى لا تئن على ربك بما تحبه له من أعباء الرسالة والنبوة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير وقيل لا تعط عطية تلمس فيها أكثر منها قاله عكرمة وقتادة وقال ابن عباس لا تعط تلمس بها أفضل منها وعنه قال لا تعط الرجل عطاء رجاء أن يعطيك أكثر منه قال الضحاك هذا حرمه الله على رسوله لانه مأثور بأشرف الآداب وأجل الاخلاق وأباحه لامته وقال مجاهد لا تضعف أن تستكثر من الخير من قولك حبل منين اذا كان ضعيفا وقال الربيع بن أنس

(١٤ - فتح البيان عاشر) اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معن والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فافروا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فافروا ما تيسر منه راقبوا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم يقول تعالى ان هذه أى السورة تذكرة أى يتذكرونها أو لولا الالباب ولهذا قال تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا أى ممن شاء الله تعالى هدايته كما في السورة الاخرى وما تشاؤون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما ثم قال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه

وثلثة وطائفة من الذين معك أي تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولا كن لا تقصدون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لانه يشق عليكم ولهذا قال والله يتقدر الليل والنهار أي تارة يعتدلان وتارة يأخذهما من هذا وهذا من هذا علم ان ان تحضوه أي الفرض الذي أوجبه عليكم فاقروا ما تيسر من القرآن أي من غير تحديد بوقت أي ولا كن قوموا من الليل ما تيسر وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال في سورة سبحان ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك ولا تخافت بها وقد استدلل أصحاب الامام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهي قوله (١٠٦) فاقروا ما تيسر من القرآن على انه لا تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة

بل لو قرأها أو غيرها من القرآن ولو بآية أو جزء أو اعتضدوا بحديث المسيء صلواته الذي في الصحيحين ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة الا أن تقرأ بفاتحة الكتاب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج فهي خداج غير تمام وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعا لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن وقوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله أي علم أن سيكون من هذه الامة ذوو أعذار في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمناجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزوي سبيل الله وهذه الآية بل السورة كلها مسكية ولم يكن القتال شرع بهد فهي من أكبر دلائل النبوة لانه من

لا يعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير وقال ابن كيسان لا تستكثر عملا فترام من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل لك سبيلا الى عبادته وقيل لا تخشع بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجرا تستكثره وقال محمد بن كعب لا تعط مالك مصانعة وقال زيد بن أسلم اذ أعطيت عطية فاعطها لربك (ولربك فاصبر) على طاعته وفرائضه والمعنى لاجل ربك وثوابه وقال مقاتل ومجاهد اصبر على الاذى والتكذيب وقال ابن زيد حلت أمر اعظمي الخاربك العرب والعجم فاصبر عليه الله وقيل اصبر تحت موارد القضاء الله وقيل فاصبر على البلوى وقيل على الاوامر والنواهي (فاذا انقضى الناقور) فاعول من النقر كأنه من شأنه أن ينقر فيه للتصويت والنقرة في كلام العرب الصوت ويقولون نقربا سم الرجل اذا دعاه والمراد هنا النفخ في الصور والمراد النفخة الثانية وقيل الاولى وقد تقدم الكلام على هذا في سورة الانعام وسورة النحل والقاف للبيدة كأنه قيل اصبر على أذا هم فين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أمرهم قال ابن عباس الناقور الصور أي القرن الذي هو مستطيل وفيه ثقب بعدد الارواح كلها ويجمع الارواح في تلك الثقب فيخرج من كل ثقب روح الى الجسد الذي نزعته منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى كما مر غير مرة والعامل في اذا ما دل عليه قوله الاتي فذلك يومئذ الخ فان معناه عسر الامر عليهم وقيل العامل فيه ما دل عليه قوله (فذلك) لانه اشارة الى النقر أي وقت النقر وهو النفخة يوم القيامة (يومئذ) بدل مما قبله وهو اسم الاشارة وبني يوم لاضافته الى غير متكن وهو اذ وتو بنها عوض عن الجملة أي يوم اذ نفخ في الصور وخبر ذلك (يوم عسير) أي شديد (على الكافرين غير يسير) تأكيده للعسر عليهم لان كونه غير يسير قد فهم من قوله يوم عسير وفيه ايذان بأنه يسير على المؤمنين وقال الرازي يحتمل انه عسير على المؤمنين والكافرين الا انه على الكافرين اشد انتهى ومقاله الرازي يفهمه التقييد بالجار والمجرور ان جعل متعلقا بيسير وان كان مضافا اليه لانه قد أجازه بعضهم كاذكره السمين (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أي دعني واتركني وهي كلمة تهديد ووعيد والمعنى دعني والذي خلقتك حال كونه وحيدا في بطن أمه لا مال له ولا ولد هذا على ان وحيدا ما انتصب على الحال من الموصول أو من الضمير العائد المخدوف ويجوز أن يكون حالا من الياء في ذرنى أي دعني وحدي معه فاني أكفيك في الاتقام منه

باب الاخبار بالغيبات المستقبلية ولهذا قال تعالى فاقروا ما تيسر منه أي قوموا ما تيسر عليكم منه قال ابن جرير حدثنا والاول يعقوب حدثنا ابن عتبة عن أبي رجا محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به انما يصلي المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك قال الله تعالى للعبد الصالح وانه لا ذوق علم لما علمناه وعلمت ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن قال نعم ولو خسر آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري انه يرى انه كان حقا واجبا على جملة القرآن ان يقوموا ولو بشئ منه في الليل ولهذا جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه فقبل معناه نام عن المكتوبة وقبل عن قيام الليل وفي السنن وأبو داود

القرآن وفي الحديث الآخر من لم يوتر فليس منا وأغرب من هذا ما حكى عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحساب له من إيجاب قيام شهر رمضان قاله أعلم وقال الطبراني حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجدي حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فافروا ما تيسر منه قال مائة آية وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى وقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة وهذا يدل لمن قال بأن فرض (١٠٧) الزكاة نزل بمكة ولكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم وقد قال

ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف أن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل خمس صلوات في اليوم والليلة قال هل على غيرها قال لا إلا أن تطوع وقوله تعالى وأقرضوا الله قرضاً حسناً يعني من الصدقات فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة وقوله تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خير وأكبر أجراً أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما بقيتموه لأنفسكم في الدنيا وقال الخاقط أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خزيمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحرث بن سويد قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب إليه من ماله وارثه قالوا يا رسول الله ما من من أحد إلا ماله

والأولى قال المفسرون وهو الوليد بن المغيرة وبه قال ابن عباس قال مقاتل خل بيني وبينه فأنا أنفذهم لمسكتهم وانما خص بالذكر لمزيد كفره وعظيم بحجوده لنعم الله عليه وقيل أراد بالوحيد الذي لا يعرف أبوه وكان يقال في الوليد أنه دعي وعن ابن عباس قال إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكانت رقله فبلغ ذلك أباه جهل فأناه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يحجموا لك ما لا يعطوكه فأنك أتيت محمد تعرض لما قبله قال قد علمت قريش أني من أكثرها ما لا قال فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجلاً أعلم بالشعر عدي لا برجز ولا بقصيدة ولا بأشعار الجن والله ما يشبه هذا الذي يقول شيأ من هذا والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه اطلاوة وأنه لمثر أعلاه معذوق أسفله وأنه ليعلو وما يعلى وأنه ليحطم ما تحته قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر بآثره عن غيره فتزلت ذرتي ومن خلقت وحيداً أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وقد أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة مرسلاً وكذا غيره واحد (وجعلت له مالا معدوداً) أي كثيراً أو عديلاً بالزيادة والتمام شيئاً بعد شيء قال الزجاج مال غير منقطع عنه وقد كان الوليد بن المغيرة مشهوراً بكثرة المال على اختلاف أنواعه كالزرع والضرع والتجارة فويل كان يحصل له من غله أمواله ألف ألف دينار وقيل أربعة آلاف دينار وقيل ألف دينار قاله ابن عباس وعن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال غله شهر بشهر قيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفاً وكان له عبيد وجوار كثيرة (وبنينا شهوداً) أي وجعلت له بنين حضوراً بمكة معه لا يسافرون ولا يحتاجون إلى التفريق في طلب الرزق لكثرة مال أبيهم قال الضحاك كانوا سبعة ولدوا بمكة وخسة ولدوا بالطائف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر ولداً وقال مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد وقيل عمارة وفيه نظر لأن ابن حجر قال في الإصابة أن عمارة مات كافراً وقيل معنى شهوداً أنه إذا ذكر وسمعه وقيل كانوا يشهدون ما كان يشهده من المحافل والجماع ويقومون بما كان يشره (ومهدت له عهداً) أي بسطت له في العيش الرغبة وطول العمر والجلاء العريض والرياسة في قريش حتى كان يدعى ربحانة قريش وهو الكمال عند أهل الدنيا والتهديد

أحب إليه من ماله وارثه قال العلماء ما تعلم إلا ذلك يا رسول الله قال أعمال أحدكم ما قدم وماله وارثه ما أخر ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به ثم قال تعالى واستغفروا الله إن الله غفور رحيم أي أكثر وأمن ذكرهم واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره آخر تفسير سورة المزمل والله الحمد والمنة (تفسير سورة المدثر وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر قم فأنذر ربك فكبر وتباً لك فطهر والجر فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذنقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) ثبت في صحيح البخاري من حديث ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن يا أيها المدثر وخالفه الجمهور فذهبوا

الى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى اقسم ربك الذي خلق كما سيأتي بيان ذلك هنالك ان شاء الله تعالى قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال يا أيها المدثر قلت يقولون اقسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لي فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت أمامي فلم أر (١٠٨) شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت

عند العرب التوطئة ومنه مهدي الصبي وأصله التسوية والتهمة ويتجوز به عن بسط المال والجاه وهو المراد هنا وقال مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما يهبط الفراش (ثم يطمع أن يزيد) أي يطمع بعد هذا كله في الزيادة لكثرة حرصه وشدة طمعه مع كفرانه بالمنعم واشراً كعب الله قال الحسن ثم يطمع أن أدخله الجنة وكان يقول ان كان محمد صادقاً فإني خلقت الجنة الا لي فردعه الله سبحانه وزجره فقال كلا أي لست أزيده بل أنقصه فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية مازال في نقصان ماله وولده حتى هلك فقيراً ثم علل ذلك على وجه الاستعانة بالتحقيق بقوله (انه كان لا يتأمن بهداً) أي معانداً لها كقرايها أنزلناه منها على رسولنا فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكنفرائها مع شيوعتها مما يوجب الحرمان بالكلية وانما أوفى ما أوفى استدرأ جابياً قال عند يعقوب الكسرا إذا خالف الحق ورده وهو يعرفه فهو عنيد وعاند والعائد الذي يجوز عن الطريق ويعدل عن القصد قال أبو صالح عن عبيد معناه مباحداً وقال قتادة جاحداً وقال مقاتل معرضا وقال ابن عباس بجوداً (سأرفقه صعوداً) أي سأكفنه مشقة من العذاب لراحة فيها وهو مثل لما يلقاه من العذاب الصعب الذي لا يطاق وقيل المعنى انه يكلف أن يصعد جبلاً من نار والارهاق في كلام العرب أن يحمل الانسان الشيء الثقيل قال أبو سعيد الخدري في قوله صعوداً هو جبل في النار يكفون ان يصعدوا فيه فكما وضعوا ايديهم عليه ذابت فاذا رفعوها عادت كما كانت وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل في النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يموت وهو كذلك فيه أبداً أخرجه أحمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة عن دراج قال ابن كثير وفيه غرابة ونكارة انتهى وقد أخرجه جماعة من قول أبي سعيد وقال ابن عباس صعوداً صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وعنه قال جبل في النار وجلة (أنفكر) تعليل لما تقدم من الوعيد أي انه فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن (وقدر) أي هيأ الكلام في نفسه والعرب تقول هيأت الشيء اذا قدرته وقدرت الشيء اذا هيأته وذلك انه لما سمع القرآن لم يزل يتفكر ماذا يقول فيه وقدر في نفسه ما يقول فذمه الله وقال (فقتل) أي لعن وعذب (كيف قدر) أي على أي حال قدر ما قدر من

دثر وفي وصـ وعلـ ما باردا قال فدثر وفي وصـ وعلـ ما باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر هكذا ساقه من هذا الوجه وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سابة قال أخبرني جابر ابن عبد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه فيينا أنا أمشي اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلي فقلت زملوني زملوني فدثر وفي فأنزل يا أيها المدثر قم فأندر الى فاهجر قال أبو سلمة والرجز الاوثان ثم حي الوحي وتتابع هذا اللفظ البخاري وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا القول فاذا الملك الذي جاءني بحراء وهو جبريل حين أتاه بقوله اقسم ربك الذي خلق خالق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم انه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك

الكلام

بعد هذا وجه الجمع ان أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما قال الامام أحمد حدثنا

سجاج حدثنا ثابث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرني جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم فتر الوحي عن فترة فيينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئت منه فراحني هويت الى الارض فجئت الى أهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر وثميا بك فطهر والرجز فاهجر ثم حي الوحي وتتابع أخرجه من حديث الزهري وقال الطبراني حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر الجبلي حدثنا المعافى بن عمران عن ابراهيم بن

يزيد سمعت ابن أبي مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ما تقولون في هذا الرجل فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم ليس بساحر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ليس بكاهن وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم ليس بشاعر وقال بعضهم سحر يوثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يوثر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخنز وقع رأسه وتدفأ نزل الله تعالى يا أيها المدثر فأنذرو ربك فكبروا ثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر وقوله تعالى قم فأنذري شمر عن ساق العزم وأنذر الناس وهذا حصل الارسال كما حصل (١٠٩) بالاول النبوة وربك فكبر أي عظم وقوله تعالى

وثنيا بك فطهر — قال الاجلح
الكندى عن عكرمة عن ابن
عباس انه انا رجل فسأله عن هذه
الآية وثنيا بك فطهر قال لا تبسها
على معصية ولا على غدره ثم قال اما
سمعت قول غيلان بن مسلمة الثقفي
اني بحمد الله لا توب فاجر

لبست ولا من غدره اتقنع
وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن
عباس وثيبك فطهر قال في كلام
العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا
الاسناد فطهر من الذنوب وكذا
قال ابراهيم والشعبي وعطاء
وقال الثوري عن رجل عن عطاء
عن ابن عباس في هذه الآية وثيبك
فطهر قال من الاثم وكذا قال
ابراهيم النخعي وقال مجاهد وثيبك
فطهر قال نفسك ليس ثيابه وفي
رواية عنه وثيبك فطهر عملك
فأصلح وكذا قال أبو رزين وقال في
رواية أخرى وثيبك فطهر رأى
لست بكاعن ولا ساحر فأعرض
عما قالوا وقال قتادة وثيبك فطهر رأى
طهرها من المعاصي وكانت العرب
تسمى الرجل اذا نكث ولم يف
بعه د الله انه لم ينس الثياب واذا

الكلام كما يقال في الكلام لا ضربه كيف صنع أى على أى حال كانت منه وقيل المعنى قهر وغلب كيف قدر وقال الزهري عذب وهو من باب الدعاء عليه والتكرير في قوله (ثم قتل كيف قدر) للمبالغة والتأكيـد وقيل فقتل في الدنيا ثم قتل فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة وثم يشعر بأن الدعاء الثاني أبلغ من الأول فهي للتفاوت في الرتبة وقيل بل للتراخي في الزمان أيضا (ثم نظر) بأى شئ يدفع القرآن ويقدر فيه فالنظر بمعنى التأمل وعلى هذا فتكرر هذه الجملة مع قوله انه فكر وقدر أو فكر في القرآن وتدبر ما هو (ثم عبس) أى قطب وجهه لما لم يجد ما يطعن به في القرآن والعبس مصدر عبس مخففا لعبس عبسا وعبوسا اذا قطب وقيل عبس في وجوه المؤمنين وقيل عبس في وجه النبي صلى الله عليه وسلم (وبسر) أى كبح وجهه وتغير وقيل ان ظهور العبس في الوجه يكون بعد المحاورة وظهور البسور في الوجه قبلها والعرب تقول وجهه باسر اذا تغير واسود وقال الراغب البسر استعمال الشرقة لـأـوانه نحو بسر الرجل حاجته أى طلبها في غير ما وانها قال ومنه قوله عبس وبسر أى أظهر العبوس قبل لـأـوانه وقبل وقته وأهل اليمن يقولون بسر المركب وأبسر أى وقف لا يتقدم ولا يتأخر وقد أبسرنا أى صرنا الى البسور (ثم أدبر واستكبر) أى أعرض عن الحق وذهب الى أهله ونعتظم عن أن يؤمن (فقال) عقب ماجره اليه طبعه الحديث من الكفر القائم به (ان هذا الاسعر بوثر) أى يأثره عن غيره ويرويه عن السحرة كسيلة وأهل بابل والسحراظهار الباطل في صورة الحق أو الخديعة على ما تقدم بيانه في سورة البقرة يقال أثرت الحديث تأثره اذا ذكرته عن غيره أى أمور تخيلية لاحقائق لها وهي لدقتها بحيث تخفى أسبابها شئون عو بهية (ان هذا الاقول البشر) يعنى انه كلام الانس وليس بكلام الله وهو تأكيـد لما قبله وقد تقدم أن الوليد بن المغيرة اغما قال هذا القول ارضا لقومه بعد اعترافه ان له خللا وان عليه لطلاوة الى آخر كلامه ولما قال هذا القول الذي حكاه الله عنه قال الله عز وجل (سأصليه سقر) أى سأدخله النار وسقر من أسماء النار ومن دركات جهنم ولم تنصرف للتعريف والتأنيث قال السمين هذا بدل من قوله سأرققه موعودا قاله الزمخشري فان كان المراد بالعود المشقة فالبدل واضح وان كان المراد صخرة في جهنم كما جاء في بعض التفاسير فيعسر البدل ويكون فيه شبهة من بدل الاشتمال لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة ثم بالغ في وصف النار وشدة أمرها فقال

وفي وأصلح أنه لم يظهر الثياب وقال عكرمة والضحاك لا تلبسها على معصية وقال الشاعر

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه * فبكل رداء يرتديه جميل
وقال العوفي عن ابن عباس وثيابك فطهر يعني لا تكن
ثيابك التي تلبس من ملابس غير طائل ويقال لا تلبس ثيابك على معصية وقال محمد بن سيرين وثيابك فطهر أى اغسلها بالماء
وقال ابن زيد كان المشركون لا يتطهرون فأمرهم الله أن يتطهروا وأن يطهر ثيابهم وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية
جميع ذلك مع طهارة القلب فإن العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس

أفأطلم مهلا بعض هذا التذلل * وان كنت قد أزمعت هجرى فأجلى
 * فتبلى ثيابى من ثيابك تسلى وقال سعيد بن جبير وثيابك فطهر وقلبك ونيقك فطهر وقال محمد بن كعب القرظى والحسن
 البصرى وخلقت لحسن وقوله تعالى والرجز فاهجر قال على بن أبي طهمة عن ابن عباس والرجز وهو الالصنام فاهجر وكذا قال
 مجاهد وعكرمة وقادة والزهرى وابن زيد أنها الاوثان وقال ابراهيم والضحاك والرجز فاهجر أى اترك المعصية وعلى كل
 تقدير فلا يلزم تلبسه بشئ من ذلك كقوله (١١٠) تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقال موسى

لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح
 ولا تتبع سبيل المفسدين وقوله
 تعالى ولا تخن تستكثر قال ابن
 عباس لا تعط العطية تلتس أكثر
 منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء
 وطاوس وأبو الاحوص و ابراهيم
 النخعي والضحاك وقادة والسدى
 وغيرهم وروى عن ابن مسعود
 انه قرأ ولا تخن أن تستكثر وقال
 الحسن البصرى لا تخن بعملك على
 ربك تستكثره وكذا قال الربيع
 ابن أنس واختاره ابن جرير وقال
 خصيف عن مجاهد فى قوله تعالى
 ولا تخن تستكثر قال لا تضعف أن
 تستكثر من الخير قال غنى فى كلام
 العرب تضعف وقال ابن زيد
 لا تخن بالنبوة على الناس تستكثرهم
 بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا فهذه
 أربعة أقوال والأظهر القول الاول
 والله أعلم وقوله تعالى ولربك فاصبر
 أى اجعل صبرك على أذاهم لوجه
 ربك عز وجل قاله مجاهد وقال
 ابراهيم النخعي اصبر عطيتك لله عز
 وجل وقوله تعالى فإذا قرئ القرآن
 فذكر يومئذ يوم عسير على
 الكافرين غير يسير قال ابن

(وما أدراك ما سقر) أى وما أعلمك أى شئ هى والعرب تقول وما أدراك ما كذا إذا
 أرادوا المبالغة فى أمره وتعظيم شأنه وتهويل خطبه وما الاولى مبتدأ ووجه ما سقر خبر
 المبتدأ ثم فسر حالها فقال (لاتبقى ولا تذّر) والجملة مستأنفة لبيان حال سقر والكشف
 عن وصفها وقيل هى فى محل نصب على الحال والعامل فيها معنى التعظيم لان قوله
 وما أدراك ما سقر يدل على التعظيم فكأنه قال استعظموا سقرى هذه الحال والاول أولى
 ومفعول النعيلين محذوف قال السدى لاتبقى لهم لحا ولا تذّر لهم عظماء وقال عطاة لاتبقى
 من فيها حيا ولا تذره ميتا وقيل هما النيطان بمعنى واحد كرر اللأ كيد كقولك صدعتنى
 وأعرض عنى وقال ابن عباس لاتبقى منهم شيئا وإذا بدلو اخلقا آخر لم تذّر أن تعاودهم سبيل
 العذاب الاول (لواحة للبشر) قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل على انه
 نعت لسقر والاول أولى وقرئ بالنصب على الحال أو الاختصاص للتهويل يقال لاح
 يلوح أى ظهر والمعنى أنها تظهر للبشر قال الحسن تلوح لهم جهنم حتى يرونها عيانا
 كقوله وبرزت الخيل لمن يرى وقيل معنى لواحة للبشر مغيرة لهم ومسودة قال مجاهد والعرب
 تقول لاحه الحر والبرد والحزن والسقم اذا غيره وهذا أخرج من الاول واليه ذهب جمهور
 المفسرين وقال الاخفش المعنى أنها معطشة للبشر قال ابن عباس تلوح الجلود فقترقه
 وتغير لونه فمصر اسود من الليل وعنه قال لواحة محترقة والمراد بالبشر ما جلدة الانسان
 الظاهرة كما قاله الاكثر والمراد به أهل النار من الناس كما قال الاخفش (عليها تسعة
 عشر) قال المفسرون يقول سبحانه على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها وقيل
 تسعة عشر صنفا من أصناف الملائكة وقيل تسعة عشر صنفا من صنوفهم وقيل تسعة
 عشر نقيبا مع كل نقيب جماعة من الملائكة والاول أولى قال الثعلبى ولا ينكر هذا إذا
 كان لك واحد يقبض أرواح الخلائق كان أخرى أن يكونوا تسعة عشر على عذاب
 بعض الخلق قرأ الجمهور وعشر بفتح الشين وقرئ بأسكانها عن البراء بن رهمان اليهود
 سألو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء
 جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتها تسعة عشر واه البيهقى فى
 البعث وابن ابى حاتم وابن مردويه قال الكرخى وخص هذا العدد بالذكر لانه موافقا
 لعدد أسباب فساد النفس الانسانية وهى القوى الانسانية والطبيعية اذا القوى

عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقادة والضحاك والربيع بن أنس والسدى وابن زيد الناقور الانسانية

الصور قال مجاهد وهو كهنية القرن وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفى
 عن ابن عباس فاذا انقرى الناقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جهنمه
 ينتظر متى يؤمر فينفع فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات أمرنا يا رسول الله قال قولوا احسبنا الله ونعم الوكيل على الله
 توكلنا وهكذا رواه الامام أحمد عن أسباطه ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به

ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به وقوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير أي غير سهل عليهم كما قال تعالى يقول الكافرون هذا يوم عسر وقدر وينا عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى فإذا أنقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير شق شققة ثم خرميتارجه الله تعالى (ذري ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد) كلاً أنه كان لا يأتينا عنده سارقه صعدوا أنه فكر وقد رقت كيف قدر ثم قدر (١١١) ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الاصح بؤثران هذا

الاقول البشر ساء طليعة سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحذ للبشر عليهما تسعة عشر) يقول تعالى متوعد هذا الحديث الذي أنعم الله عليه نعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبذلها كفرها وقابلها بالجوذب آيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عتد الله عليه نعمه حيث قال تعالى ذرني ومن خلقت وحيداً أي خرج من بطن أمه وحيداً لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى مالا ممدوداً أي واسعاً كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضاً تبغها وقيل غير ذلك وجعل له بين شهوداً قال مجاهد لا يغيبون أي حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليمهم وأجرأهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عنده أي بهم يتمتع بهم ويتلى بهم وكانوا في مآذكره السدى وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ في النعمة وهو أقامهم عنده ومهدت له تمهيداً أي مكنته من صنوف المال

الانسانية ثنتا عشرة الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية سبعة الخاذية والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمجموع تسعة عشر انتهى قلت وهذا ليس بتفسير للآية بل الحكمة المودعة في هذا العدد مفضوة إلى علم الله تعالى قال الرازي وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله به أوليائنا هذا قال أبو جهل أما الحمد من الاعوان الا تسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر وأنتم الدهم أفيمجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فقال أبو الأشد وهو رجل من بني جمح يامعشر قريش إذا كان يوم القيامة فأنامشي بين أيديكم فادفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر ونغضي ندخل الجنة فأنزل الله سبحانه (وما جعلنا أصحاب النار) يعني ما جعلنا المدبرين لاهر النار القائمين بعذاب من فيها (الاملائكة) فمن يطبق الملائكة ومن يعلمهم فكيف تتعاطون أيها الكافر مغالبتهم قال ابن عباس لما سمع أبو جهل عليها تسعة عشر قال لقريش شكلتكم أمهاتكم اسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أفيمجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم أخرجه ابن جرير وابن مردويه قيل جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ الجناس من الرقة والرافة وقيل لأنهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له وأشد هم بأساً وأقواهم بطشاً (وما جعلنا عدتهم الا قسنة) أي سبب ضلالة (للذين كفروا) أي للذين استقلوا عددهم والمعنى ما جعلنا عددهم هذا العدد المذكور في القرآن الاضلالة ومحنة لهم حتى قالوا ما قالوا البتة ضعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم وقيل المعنى الاعذابا كما في قوله يوم هم على النار ينشئون أي يعذبون قال ابن عباس في الآية قال أبو الأشد خذوا بي وبين خزنة جهنم أنا أ كفيكم مؤنتهم قال وحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف خزان جهنم فقال كأن أعينهم البرق وكأن أقواهم الصياصى يجرون أشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يقبل أحدهم بالامة من الناس يسوقهم على رقبته جبل حتى يرمى بهم في النار فيرمى بالجبل عليهم أخرجه ابن مردويه (ليستيقن الذين آمنوا الكتاب) المراد بهم اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأن عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم قال الضحاك وقتادة ومجاهد وغيرهم والمعنى ان الله سبحانه جعل عدة خزنة جهنم هذه العدة ليحصل اليقين

والاثبات وغير ذلك ثم يطمع أن أزيد كلاً أنه كان لا يأتينا عنده أي معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله تعالى سارقه صعدوا قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خيراً قبل أن يلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خيراً فقام يهوى به كذلك فيه أبداً وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث ابن الهيثم عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابه ونكارة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن المعروف بـعلاء البصري قال حدثنا منجيب أخبرنا شريك عن عمار الديهي عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم سأرهقه صعودا قال هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدي صعودا صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدوها وقال مجاهد سأرهقه صعودا (١١٢) أي مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لراحة فيه واختاره ابن

جرير وقوله تعالى انه في كبر وقدر أي انما أراه قناده صعودا أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الايمان لانه فكر وقدر أي تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن فذكر ماذا يخلق من المقال وقدر أي تروى فقتل كيف قدر ثم قيل كيف قدر دعاء عليه ثم نظر أي أعاد النظرة والتروى ثم عبس أي قبض بين عينيه وقطب وبسر أي كبح وكره ومنه قول توبة بن جبر الشاعر وقدر ابني منها صد ودرايته

واعراضها عن حاجتي وبسورها وقوله ثم أدبر واستكبر أي صرف عن الحق ورجع الفهقري مستكبرا عن الانقياد للقرآن فقال ان هذا الاسحر يؤثر أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره عن قبله ويحكى عنهم واهذا قال ان هذا الاقول البشر أي ليس بكلام الله وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة الخزرمي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي خافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على

اليهود والنصارى بنيرة محمد صلى الله عليه وسلم لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم (ويرداد الذين آمنوا) من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وقيل أراد المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (أي ليزدادوا يقينا إلى يقينهم لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم وجملة) (ولا يرتاب الذين آمنوا والكتاب والمؤمنون) مقرر قلنا تقدم من الاستيقان وازدياد الايمان والمعنى في الارتياب عنهم في الدين أو في ان عدة خزنة جهنم تسعة عشر ولا يرتاب في الحقيقة من المؤمنين ولكنه من باب التعريض لغيرهم ممن في قلبه شك من المنافقين (وليتول الذين في قلوبهم مرض) المراد بأهل المرض المنافقون والسورة وان كانت مكية ولم يكن اذ ذاك نفاق فهو اخبار بما سيكون في المدينة فهو معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة أو المراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب وهو كائن في الكفار قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق بالمرض في هذه الآية الخلاف والمراد بقوله (والكافرون) كفار مكة من العرب وغيرهم (ماذا) مجموع الكلمتين اسم استنهام فذا ما غاة أي أي شيء (أراد الله بهذا) العدد المستغرب استغرب المثل (مثلا) تسيربه الركان سيرها بالامثال قال الليث المثل الحديث ومنه قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي حديثها والخبر عنها (كذلك) أي مثل ذلك الاضلال المتقدم ذكره وهو قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا (يضل الله من يشاء) من عباده (ويهدى من يشاء) منهم والمعنى مثل ذلك الاضلال للكافرين والهداية للمؤمنين يضل الله من يشاء الاضلال ويهدي من يشاء هدايته وهو الذي علم منه اختيار الهدى وفيه دليل على خالق الافعال وقيل المعنى كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي اليها من يشاء (وما يعلم جنود ربك) أي ما يعلم عدد خلقه ومقدار جموعه من الملائكة وغيرهم (الا هو) وحده لا يقدر على علم ذلك أحد قال عطاء يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم الا الله وحده والمعنى ان خزنة النار وان كانوا تسعة عشر فلهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه الا الله سبحانه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال فصعدت أنا وجبريل إلى السماء الدنيا فإذا أنا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنود مائة ألف وتلاه هذه الآية أخرجه

قريش فقال يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما عو بشعر ولا بسحر ولا بهدى من الجنون وان قوله ابن الطبراني كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش اتهموا وقالوا والله لنرصد ما الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله أكنيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة فقال أنست أكنيهم ما لا ولدا فقال له أبو جهل يتحدثون انك انما تدخل على ابن أبي خافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقد تحدث به عشرين في فلا والله لأقرب ابن أبي خافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله الاسحر يؤثر الاسحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ذرني ومن خلقت وحيدا إلى

قوله لا تبقى ولا تذر وقال قتادة زعموا انه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فاذا هو ليس بشعر وان له خلاوة وان عليه اطلاوة وانه ليعلم وما يعلى عليه وما أشك انه سحر فأنزل الله فقتل كيف قدر الآية ثم عبس وبسر قبض ما بين عينيه وكلج وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانت رقله قبلخ ذلك أباجهـ بن هشام فأناؤه فقال أي عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك ما لا قال لم قال يعطونك فأنك أتيت محمدات عرض لما قبله قال قد علمت قريش اني أكثرها مالا (١١٣) قال فقتل فيه قولا يعلم قومك انك منكركم لما قال

وانك كارد له قال فاذا أقول فيه فوالله ما منكم رجل أعلم بالاشعار مني ولا أعلم برجز ولا بقصيدة ولا بشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذي يقول له خلاوة وانه لا يخطم ما تشبهه وأنه ليعلم وما يعلى قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر قال ان هذا الاصح بؤثره عن غيره فترت ذرني ومن خلقت وحيدا حتى بلغ تسعة عشر وقد ذكر محمد بن اسحق وغير واحد نحو ان هذا وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للبعج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعرو وقال آخرون ساعر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الاسبال ففعلوا فلا يستطيعون سيلا كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقد روي وعبس وبسر فقال ان هذا الاصح بؤثر ان هذا الاقول البشر قال

الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أظت السماء وحق لها ان تظ ما فيها موضع أصبع الا عليه ملك ساجد أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حسن غريب وروي عن أبي ذر موقوفا ثم رجع سبحانه الى ذكر سقر فقال (وما هي الا ذكـرى للبشر) أي وما سقر وما ذكـرى من عدد خزنتها الا تذكرة وموعظة للعالمية تذكرون بها ويعلمون كمال قدرته تعالى وانه لا يحتاج الى أعوان وانصار وقيل ما هي أي الدلائل والحجج والقرآن الا تذكرة للبشر وقال الزجاج نارا الدنيا تذكرة للنار الاخرة وهو بعيد وقيل الضمير في وما هي يرجع الى الجنود ثم ردع سبحانه المكذبين وزجرهم فقال (كلا والقمر) قال الفراء كلا صله للتسم والتقدير أي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر قال الكرخي كلا استفتاح بمعنى ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام المفيدة للتنبية على تحقيق ما بعدهما وقال النضر بن شميل حرف جواب بمعنى اي وانهم وهو مذهب البصريين وجعلها الزمخشري في الآية لا نكارا والردع قال الكافيجي ولا منافاة بينه وبين كلام البصريين فان مدار كلامهم على ما يتبادر من ظاهر القول ومدار كلامه على أساس البلاغة والاعجاز وهو أحسن وقال ابن جرير الطبري المعنى رد زعم من زعم أنه يقاوم خزنة جهنم أي ليس الامر كما يقول ثم أقسم على ذلك بالقمر ومباعدة وهذا هو الظاهر من معنى الآية (والليل اذا دبر) أي ولي قرأ الجمهور اذا بن ياءة الان ودير برنة ضرب على انه ظرف لما يستقبل من الزمان وقرئ اذا دبر برنة أكرم ظرف لما مضى من الزمان ودير وأدبر لغتان كما يقال قبل الزمان وقبل الزمان ويقال دبر الليل وأدبر الليل اذا تولى ذاهبا عن مجاهد قال سألت ابن عباس عن قوله اذا دبر فسكت عني حتى اذا كان من آخر الليل وسمع الاذان ناداني يا مجاهد هذا حين دبر الليل وعن ابن عباس قال دبر وظلامه (والصبح اذا أسفر) أي اضاء وتبين وظهر (انها الاحدى الكبرى) قرأ الجمهور لاحدى بالهمزة وقرئ لاحدى بدونها وهذا جواب القسم والضمير راجع الى سقر أي ان سقر لاحدى الدواهي أو البلايا الكبرى والكبرى جمع كبرى وقال مقاتل ان الكبرى اسم من اسماء النار وقيل انها أي تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبرى وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبرى والاول أولى وقال الكلبي اراد بالكبر دركته جهنم وابوابها (نذير للبشر) حال من ضمير في انها قاله الزجاج وروي عنه وعن الكسائي وابي على

(١٥ - فتح البيان عاشر) الله تعالى سأصليه سقر أي سأعمره فيها من جميع جهاته ثم قال تعالى وما أدراك ما سقر وهذا تهويل لامرها وتفخيم ثم فسر ذلك بقوله تعالى لا تبقى ولا تذر أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصمهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يوتون ولا يحيون قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما وقوله تعالى لواحدة للبشر قال مجاهد للجلد وقال ابن رزين تلتفح الجلد لفتحة قدعه اسود من الليل وقال زيد بن أسلم تلوح أجسادهم عليها وقال قتادة لواحدة للبشر حرافة للجلد وقال ابن عباس تحرق بشرة الانسان وقوله تعالى عليها تسعة عشر أي من مقدى الزبانية عظيم خلائهم غليظ خلقهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء
والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال
الحافظ أبو بكر البراق في مسنده حدثنا
منه حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا
سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان
عن مجاهد عن الشعبي عن جابر بن عبد
الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
غلب أصحابك اليوم فقال بأى شيء
قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم
عدة خزنة أهل النار قالوا لا نعلم حتى
نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلب
قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم
حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم
على تباعداء الله لكانهم قد سألوا نبيهم
أن يرهم الله جهرة فأرسل إليهم
فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة
خزنة أهل النار قال هكذا وطبق كفيه
ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة
وقال لأصحابه إن سلمت عن تربة الجنة
فهى الدرهم فلما سألوه فأخبرهم
بعده خزنة أهل النار قال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة
فمنظر بعضهم إلى بعض فقالوا خبيرة
يا أبا القاسم فقال الخبز من الدرهم
وهكذا رواه الترمذي عنده هذه

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء
والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال
الحافظ أبو بكر البرقاني مسنده حدثنا
منده حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا
سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان
عن مجاهد عن الشعبي عن جابر بن عبد
الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
غلب أصحابك اليوم فقال بأى شيء
قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم
عدة خزنة أهل النار قالوا لا نعلم حتى
نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلب
قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم
حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم
على تباعداء الله لكمهم قد سألوهم
أن يرهم الله جهرة فأرسل إليهم
فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة
خزنة أهل النار قال هكذا وطبق كفيه
ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة
وقال لأصحابه إن سئلتهم عن تربة الجنة
فهى الدرهم فلما سألوهم فأخبرهم
بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة
فمنظر بعضهم إلى بعض فقالوا أخبرنا
يا أبا القاسم فقال أخبر من الدرهم
وهكذا رواه الترمذي عنده هذه

الآية عن ابن أبي عمير عن سفيان بن عوف قال هو البرار لانعرفه الامن حديث مجاهد وقدره الامام وتداعيته
أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بن عوف قال فقط (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا ليستيقنوا انهم الكفار الذين آمنوا ايماناً ولا يرتاب الذين آمنوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكري
للنبي كلاً والقمر والليل اذا دبروا الصباح اذا سافر انما لا يدرى الكبرئيل للنبي من شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) بقول تعالى

وما جعلنا أصحاب النار أى خزائنا الا ملائكة أى زبانية غلاظا شديدا وذلك رد على مشركى قريش حين ذكروا عدد الخزنة فتسأل
أبوجهل يامعشر قريش أى ما يستطيع كل عشرة منكم لو احدث منهم فتغلبونهم فقال الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة
أى شديدى الخلق لا يقاومون ولا يغالبون وقد قيل ان أبى الاشدين واسمه كلد بن أسيد بن خلف قال يامعشر قريش اكنفونى
منهم اثنين وان اكنفيكم منهم سبعة عشر اعجابا منه بنفسه وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يتف على جلد البقرة ويجاذبه
عشرة لينزعوه من تحت قدميه فينزع الجلد ولا يترشح عنه قال السهيلي (١١٥) وهو الذى دعا رسول الله صلى الله عليه

وسلم الى مصارعة وقال ان صرعتنى
آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه
وسلم مرارا فلم يؤمن قال وقد نسب
ابن اسحق خبر المصارعة الى ركانة بن
عبد بن زيد بن هاشم بن المطلب قلت
ولا منافاة بين ما ذكره والله أعلم وقوله
تعالى وما جعلنا سعدتهم الا قنينة
للمؤمنين كنفوا أى انما ذكرنا
عدتهم انهم تسعة عشر اختبارا منا
للمؤمنين المستيقنين الذين أتوا الكتاب
أى يعلمون ان هذا الرسول حق
فانه نطق بعبادة ما بأيديهم من
الكتب السماوية المنزلة على
الانبياء قبله وقوله تعالى ويزداد الذين
آمنوا ايمانا أى الى ايمانهم بما يشهدون
من صدق اخبار نبيهم محمد صلى
الله عليه وسلم ولا يرتاب الدين أو توا
الكتاب والمؤمنون وليقول الذين
في قلوبهم مرض أى من المنافقين
والكافرين ماذا أراد الله بهم ذاملا
أى يقولون ما الحكمة في ذكرك هذا
ههنا قال الله تعالى كذلك يضل الله
من يشاء ويهدى من يشاء أى من
مثل هذا واشباهه يتأكدا لايمان
في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين
وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة

وتداعيته فعلى الوجه الاول يكون (عن المجرمين) متعلقا بمتسألون أى يسأل بعضهم
بعضا عن أحوالهم وعلى الوجه الثانى تكون عن زائدة أى يسألون المجرمين ثم المراد
بهم الكافرون وهذا التسأل فيما بينهم قبل ان يروا المجرمين فلما يروهم يسألونهم
ويقولون فى سؤالهم (ماسلككم فى سقر) أى ما أدخلكم فيها تقول سلكت الخيط فى
كذا اذا أدخلته فيه قال الكلبي يسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه
فيقول له يا فلان ماسلكك فى النار وقيل ان الملائكة يسألون الملائكة عن أقربائهم
فتسأل الملائكة المشركين يقولون لهم ماسلككم فى سقر قال الفراء فى هذا ما يقوى ان
أصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب وهذا سؤال توبخ وتقرىع ثم ذكر
سجنانه ما أجاب به أهل النار فقال (قالوا لم نك من المصلين) أى من المؤمنين الذين يصلون
لله فى الدنيا ولم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطم المسكين) أى لم تصدق على المساكين وقيل
وهذان محمولان على الصلاة الواجبة والصدقة الواجبة لانه لا تعذيب على غير الواجب
وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالشرعيات والفروع فقول صاحب الكشف
يحتمل ان يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك وهو ترك الصلاة وترك الاطعام والخوض فى
الباطل مع الخائضين والتكذيب يوم القيامة وبعضهم بمجرد ترك الصلاة أو ترك الطعام
تخيل منه كما قال صاحب الاتصاف ان تارك الصلاة يتخذ فى النار (وكنا نخوض مع
الخائضين) أى نخالط أهل الباطل فى باطلهم قال قتادة كلما غوى غاوغى ينامعه وقال
السدى كان تكذب مع المكذبين وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين فى أمر محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وهو قولهم كاذب ساحر مجنون شاعر وعبارة الخطيب أى نشرع فى الباطل
مع الخائضين فنقول فى القرآن انه سحر وشعوكة هامة وغير ذلك من الاباطيل لا تورع عن
شئ من ذلك ولا تنف مع صريح عقل ولا ترجع الى صحيح نقل فن هذا يحذر الذين يبادرون
بالجواب فى كل ما يسألون عنه من أنواع العلم من غير تثبت (وكان يكذب يوم الدين) أى
يوم الجزاء والحساب آخره لتعظيمه وهذا تخصيص بعد تعميم لان الخوض فى الباطل
عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره أى وكنا به كذلك كله مكذبين يوم القيامة والصحيح
ان الآية فى الكفار أى لم نكن من أهل الصلاة وكذلك البقية قولنا تصح منهم هذه
الطاعات وانما يتأسفون على فوات ما ينفع ذكره سبحانه الجمل (حتى أتانا اليقين) وهو

وقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو أى ما يعلم عددهم وكثرتهم الا هو تعالى للملائكة يتوهم ستوهم انما هم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة
من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شابههم من الملتين الذين هموا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العتول
العشرة والنفوس التسعة التى اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها فافهموا صمد هذه الآية وقد كفروا بآخرها
وهو قوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت فى حديث الاسراء المروى فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة فاذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه آخر ما عليهم وقال

الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن السماء وحق لها أن تظن ما فيها موضع أصبع إلا عليه نبت ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء على الفراشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى فقال أبو ذر والله لوددت انى شجرة تعضد ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسرائيل وقال الترمذى حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفاً وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حديثنا (١١٦) حسين بن عرفة المصرى حديثنا عروة بن مروان الرقى حديثنا عبيد الله

ابن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فاذا كان يوم القيامة قالوا جعنا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك الا اننا لم نشرك بك شيئاً وقال محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة حديثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمع أطيع السماء وما تلام أن تنطق ما فيها موضع شبر الا وعليه ملك راكع أو ساجد وقال أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله ابن مهران حدثنا أبو معاذ الفضل ابن خالد النخوى حديثنا عبيد بن سليمان الباهلى سمعت الفضال بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الأجدع عن عائشة انها قالت قال

الموت كما فى قوله واعبدوا ربك حتى يأتيك اليقين وبه قال ابن عباس وهذا غاية فى الامور الاربعه (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى شفاعة الملائكة والنبیین كما تنفع الصالحين والمعنى لا شفاعة لهم قال الحنفى والنزقى مسلط على المقيد وقيد له وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة كما يتوهم من ظاهر اللفظ من حيث ان الغالب فى النفى اذا دخل على مقيد بقيد أن يتسلط على المقيد فقط وفيه دليل على ثبوت الشفاعة للمؤمنين وفى الحديث ان من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبیون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنین فلا يبقى فى النار الا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الايات وقال عمران بن حصین الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون (فما لهم عن التذكرة معرضين) التذكرة التذكير بما عاينوا فى القرآن والفاء لترتيب انكار اعتراضهم عن التذكرة على ما قبله من موجبات الاقبال عليها وانتصاب معرضين على الحال من الضمير فى متعلق الجار والمجرور أى شئ حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذى هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى ثم شبههم فى نفورهم عن القرآن بالحرف فقال (كانهم جرم مستنفرة) أى نافرة يقال نفر واستنفر مثل عجب واستعجب والمراد الجرح الوحشية والجملة حال من الضمير فى معرضين على التداخل قرئ فى السبع بكسر الفاء بمعنى نافرة وقرئ بفتحها أى منفرة مذعورة واختار هذا أبو حاتم وأبو عبيد قال فى الكشف المستنفرة الشديدة النفار كأنهم اطلب النفار من نفوسهم فى جمعها له ووجه اعليه (فرت من قسورة) حال بتقدير قد أى قد فرت من رماة رمونها والقسور الرامى وجمعه قسورة قاله سعيد بن جببر وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن كيسان وقيل هو الاسد قاله عطاء والكلبى قال ابن عرفة هو من القسر وهو القهر لانه يقهر السباع وقيل القسورة أصوات الناس وقيل القسورة بلسان العرب الاسد بلسان الحبشة جماعة الرماة ولا واحد له من انطه وقال ابن الاعرابى القسورة أول الليل أى فرت من ظلمة الليل وبه قال عكرمة والأول أولى وكل شديد عند العرب فهو قسورة قال أبو موسى الأشعرى القسورة الرماة رجال القسى وقال ابن عباس القسورة الرجال الرماة القنص وقيل هى جبال الصيادين وعن أبي حزة قال قلت لابن عباس القسورة الاسد فقال ما علمه بلغة أحد من العرب الا أنهم عصبة الرجال وعن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى السماء الدنيا موضع قدم الا وعليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة ابن مامنا الاله مقام معلوم وانا نحن الصافون وانا نحن المسبحون وهذا من فروع غريب جداً ثم رواه عن محمود بن آدم عن أبي معاوية عن الاعشى عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود انه قال ان من السموات سماء ما فيها موضع شبر الا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم ثم قرأ وانا نحن الصافون وانا نحن المسبحون ثم قال حدثنا أحمد بن بشار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقى المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطاء عن سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف عن عطاء بن

زيد بن مسعود من بنى الحكم حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع عن بنى سالم حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بنى ساعدة عن أبيه
العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً جلوساً هل تسمعون ما أسمع قالوا وما تسمع يا رسول الله
قال أظنت السماء وحق لها أن تظن أنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة والنحن الصافون
والنحن المسبحون وهذا السناد غريب جداً قال حدثنا اسحق بن محمد بن اسمعيل العدوي حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد
الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عرجاء والصلاة (١١٧) قاعة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثي
فقال قوموا فاصلوا مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقام اثنان وأبى أبو جحش
أن يقوم وقال لأقوم حتى يأتي
رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد
مني بطشاً فصرعني ثم يدس وجهي
في التراب قال عمر فصرعته ودست
وجهه في التراب فأبى عثمان بن
عقبان فجزني عنه فخرج عمر مغضباً
حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما رأيك يا أبا حفص
فذكر له ما كان منه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن رضى عمر رجه
والله لوددت أنك جئتني برأس
الخبيث فقام عمر فوجه نحوه فلما
أبعد ناداه فقال اجلس حتى أخبرك
بغناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة
أبي جحش إن الله تعالى في السماء
الدينام لا تسكت خشوع لا يرفعون
رؤسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت
رفعوا رؤسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك
حق عبادتك وإن الله في السماء الثانية
ملائكة سجود لا يرفعون رؤسهم حتى
تقوم الساعة فإذا قامت الساعة
رفعوا رؤسهم وقالوا سبحانك ربنا
ما عبدناك حق عبادتك فقال له عمر
وما يقولون يا رسول الله فقال أما
أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذي

ابن عباس قال هو ركز الناس يعني أصواتهم شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع
الذكر بحجر جدت في نفاها (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسورة) عطف
على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بذلك التذكرة بل يريد الخ فهو اضطراب
انتقال عن محذوف هو جواب الاستفهام السابق كأنه قيل فلا جواب لهم عن هذا
السؤال أي لأسبب لهم في الاعراض بل يريد الخ قال المفسرون إن كفار قريش قالوا
للمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يصح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك
لرسول الله والصحف الكتب واحدها صحيفة والمنشورة المنشورة المبسوطة المفتوحة أي
غير مطوية أي طريقة لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها وهذا من زيادة تعنتهم ومثل هذه الآية
قوله سبحانه حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قرأ الجمهور منسوبة بالتشديد وقرأ سعيد بن جبير
بالتخفيف وقرأ الجمهور أيضاً بضم الحاء من صحف وقرأ سعيد باسكانها ثم رد عنهم الله سبحانه
عن هذه المقالة وزجرهم فقال (كلا بل لا يخافون الآخرة) يعني عذابها لأنهم لو خافوا
النار لما اقترحوا الآيات وهذا اضطراب انتقال لبيان سبب هذا التعنت والاقتراح وقيل
كلا بمعنى حقائم كرر الردع والزجر لهم فقال (كلا تذكروا) أو بمعنى الاستفهامية
أو حقاً إن القرآن تذكرة بليغة كافية والمعنى أنه يذكركم ويتعظ بوعاظه أو أنكار لأن
يذكروا بما قاله التامضي كالكشف (فمن شاء ذكره) أي فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل
واتعظ فان نفع ذلك عائد إليه ثم رد سبحانه المشيئة إلى نفسه فقال (وما يذكرون الآن
يشاء الله) قرأ الجمهور يذكرون بالياء التحتية وقرأ نافع ويعقوب بالفوقية وهما سبعيتان
واتفقوا على التخفيف والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال قال مقاتل الآن يشاء الله لهم
الهدى وقال في الكشف يعني الآن يقسرهم على الذكرك قال الامام أنه تعالى نبي الذكرك
مطلقاً واستثنى منه حال المشيئة المطلقة فيلزم أنه متى حصلت المشيئة يحصل الذكرك حيث
لم يحصل الذكرك علمنا أنه لم تحصل المشيئة وتخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر
وقال وهو تصرف يحج بأن فعل العبد بشيئة الله تعالى ذكره الكرخي (هو أهل التقوى) أي
هو الحقيقي بأن يتقيه المتنون بترك معاصيه والعمل بطاعاته (وأهل المغفرة) أي هو
الحقيقي بأن يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب والحقيقي بأن يقبل توبة التائبين من
العصاة فيغفر ذنوبهم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فقال

الملك والملائكة وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذي العزة والجبروت وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحي الذي
لا يعوت فقلها يا عمر في صلاتك فقال عمر يا رسول الله فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي فقال قل هذا مرة وهذا
مرة وكان الذي أمر به أن يقول أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك هذا حديث غريب
جداب منكر نكار شديدة واسحق المروزي روى عنه البخاري وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي
والدارقطني وقال أبو حاتم الرازي كان صدوقاً إلا أنه ذهب ببصره فربما قن وكتبه صحيفة وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك

ابن قدامة أبو قتادة الجمحي تكلم فيه أيضا والعجب من الامام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ولا عرف بحاله ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن سبلان بن جهم ومن طريق أخرى عن الحسن البصري عن سبلان بن جهم ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن مهزاد أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدي بن ارباطة وهو يخطبنا على منبر المداين قال سمعت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه (١١٨) دمعة من عينه الا وقعت على ملائكة صلى وان منهم ملائكة سجودا منذ خلق

الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وان منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤسهم منذ خلق الله السموات والارض ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا رفعوا رؤسهم نظروا الى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عندناك حق عبادتك وهذا اسناده لا بأس به وقوله تعالى وما هي الا ذرى للبشر قال مجاهد وغير واحد وما هي أي النار التي وصفت الا ذرى للبشر ثم قال تعالى كلا والقمر والليل اذا دبر أي ولى والصبح اذا أسفر أي أشرق انها الاحدى الكبرى العظام يعنى النار قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدى للحق أو يتأخر عنها ويولى ويردها (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكان نحوض مع الخائضين وكان كذب يوم الدين حتى أنانا اليقين فما تنفعهم شفاعة

ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله فن اتقاني فلم يجعل معي الها فان اهل ان اغفر له أخرجه أحمد والدارمي والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والبخاري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي وصححه وابن مردويه وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس عن فروعنا نحوه

* (سورة القيامة هي تسع وثلاثون أو أربعون آية وهي مكية بلا خلاف) *

(عن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله)

* (بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة) قال أبو عبيدة وجاعة من المفسرين ان لازمة والتقدير أقسم قال السمرقندي أجمع المفسرون ان معنى لا أقسم أقسم واختلنا في تفسير لا فقال بعضهم هي زائدة وزادتها جارية في كلام العرب كقوله ما منعك أن تسجد يعني أن تسجد ولما لا يعلم أهل الكتاب واعتضوا هذا بانها انما تزداد في وسط الكلام لا في أوله وأجيب بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضها ببعض يدل على ذلك انه قد جرى ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله تعالى يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة أخرى ما أنت بمعبدك مجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جارية مجرى الوسط وردها بأن القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا في ان تقرر سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقال الزمخشري ادخال النافية على فعل القسم مستنمض في كلامهم وأشعارهم وفائدتها تو كيد القسم وقال بعضهم هي رد لكلامهم حيث أنكروا البعث كانه قال ليس الامر كما ذكرتم أقسم بيوم القيامة وهذا قول الضراء وكثير من الخويين كقول القائل لا والله فلا رد لكلام قد تقدمها وقيل هي للنفي لكن للنفي الاقسام بل للنفي ما ينبت عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا أقسم بكذا الاعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك وقيل انها للنفي الاقسام لوضوح الامر وقد تقدم الكلام على هذا في تفسير قوله فلا أقسم بواقع النجوم وقرأ الحسن وابن كثير في رواية عنه الزهري وابن هرمز لا أقسم بدون ألف على ان اللام لام الابتداء والقول الأول هو أراجح الاقوال وقد اعترض عليه الرازي بما لا يقدر في قوته ولا يفت في عضد رجحانه واقسامه سبحانه يوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه والله أن يقسم

الشافعين فيألهم عن التذكرة معرضين كأنهم حرمتم منفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن بما

يؤتى صحفا منشرة كلاب لا يخافون الآخرة كلاله تذكرة فمن شاء ذكره وما يدكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة) يقول تعالى مخبرا ان كل نفس بما كسبت رهينة أي معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره الا أصحاب اليمين فانهم في جنات يتساءلون عن المجرمين أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين أي ما عندنا ربنا ولا أحسننا الى خلقه من جنسنا وكان نحوض مع الخائضين أي تسكلم فيما لانعلم

وقال قتادة كلما غوى غاوغوا بئامعه وكان كذب يوم الدين حتى أنا الباقين يعني الموت كقوله تعالى واعبدوا ربك حتى يأتيك
اليمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو يعني عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه قال الله تعالى فاستنفعهم شفاعة
الشافعين أى من كان متصفا بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعته شافع فيه لان الشفاعة انما تنجح اذا كان المحل
قابلا فاما من وفى الله كافرا يوم القيامة فإنه لا النار لا محالة خالدا فيها ثم قال تعالى فالحكم عن التذكرة معرضين أى فالحولاء
الكفرة الذين قبلت مما تدعوهم اليه وتذكرهم به معرضين كأنهم سم (١١٩) حرم مستنفرة فرت من قسورة أى كأنهم فى

نفارهم عن الحق واعراضهم عنه جر
من جر الوحش اذا فرت بمن يريد
صيدا من أسد قاله أبو هريرة وابن
عباس فى رواية عنه وزيد بن أسلم
وابنه عبد الرحمن أورام وهو قول الجمهور
عن ابن عباس وهو قول الجمهور
وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد
عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس
الاسد بالعربية ويقال له بالحبشية
قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية
أو ياوقوله تعالى بل يريد كل امرء
منهم أن يؤتى بحفام منشرة أى بل
يريد كل واحد من هؤلاء المشركين
أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على
النبي صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد
وغیره كقوله تعالى واذا جاءتهم آية
قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى
رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته
وفى رواية عن قتادة يريدون أن
يؤتوا براة بغير عمل فقوله تعالى كلا
بل لا يخافون الآخرة أى انما
أفسدهم عدم ايمانهم بها وتكذيبهم
بوقوعها ثم قال تعالى كلا انه
تذكرة أى حقا ان القرآن تذكرة
فمن شاء ذكره وما يذكرون الآن
يشاء الله كقوله وما تشاؤون الا أن

بمشاء من مخلوقاته قال سعيد بن جبيرة سألت ابن عباس عن قوله لا أقسم يوم القيامة
قال يقسم ربك بمشأ من خلقه (ولا أقسم بالنفس اللوامة) ذهب قوم الى انه سبحانه
أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم يوم القيامة فيكون الكلام فى لاهذه كالكلام فى
الاولى وهذا قول الجمهور وقال الحسن أقسم يوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة قال
الثعلبي والصحيح انه أقسم بها جميعا وجرى الجلال المحلى على زيادتها فى الموضوعين وهو
الصواب ومعنى النفس اللوامة النفس التى تلوم صاحبها على قصصه وهى تلوم جميع
النفوس على قصصها فى الدنيا وفى القيامة قال الحسن هى والله نفس المؤمن لا يرى
المؤمن الا يلوم نفسه ما أردت بكذا ما أردت بكذا والفاجر لا يعاتب نفسه وقال مجاهد
هى التى تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم عمله وعلى الخير لم يستكثر منه
قال ابن عباس التى تلوم على الخير والشر يقول لو فعلت كذا وكذا وعنه تندم على ما فات
وتلوم عليه قال الفرأليس من نفس بررة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا
قالت هـ لا ازددت وان كانت عملت سوءا قالت ليتنى لم أفعل وعلى هذا قال الكلام خارج
مخرج المدح للنفس فيكون الاقسام بها حسنا سائغا وقيل اللوامة هى الملوحة المذمومة
قاله ابن عباس فهى صفة ذم وبها هذا الحجج من نفي أن يكون قسما اذ ليس لنفس العاصي
خطر يقسم به وقال مقاتل هى نفس الكافر تلوم نفسه وتحتسب فى الآخرة على ما فرط
فى جنب الله والاول اولى وقيل هى نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التى خرجت به من
الجنة وما بعده وقال ابن عباس اللوامة اللوم قال القاضي ضمها يوم القيامة فى القسم
بهما لان المقصود من اقامة القيامة مجازاة النفوس اه فهو من يبيع القسم لتناسب
الامر من المقسم بها حيث أقسم يوم البعث وبالنفوس الجزية فيه على حقيقة البعث
والجزاء (أي حسب الانسان أن لن نجتمع عظامه) المراد بالانسان الجنس وقيل الانسان
الكافر والهمزة لانكار وأن هى الخفيفة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف والمعنى
أي حسب الانسان ان الشأن أن لن نجتمع عظامه بعد أن صارت رفقا تاختلطه بالتراب وبعد
ما نسفتها الرياح فطيرتها فى أبعاد الارض فنعيدها خلقا جديدا وذلك الحسبان باطل فانا
نجمعها وما يدل عليه هذا الكلام هو جواب القسم قال الزجاج أقسم ليجمع العظام
للبعث فهذا جواب القسم وقال النحاس جوابه محذوف أى لتبعث والمعنى ان الله سبحانه

يشاء الله وقوله تعالى هو اهل التقوى واهل المغفرة أى هو اهل أن يخاف منه وهو اهل أن يغفر ذنب من تاب اليه وأتاب قاله قتادة
وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرني سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة وقال قال ربكم انا اهل ان أتقى فلا يجعل معى الله فى انقى أن
يجعل معى الها كان أهلا أن أغفر له وراه الترمذى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائي من حديث المعافى بن عمران
كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطيعي به وقال الترمذى حسن غريب وسهيل ليس بالقوى ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن

هذه بن خالد عن سهيل به وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبقوى وغيرهم من حديث سهيل القطيعي به آخر تفسير سورة المدثر
ولله الحمد والمنة * (تفسير سورة القيامة وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لأقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أي بحسب الانسان أن لن نجتمع عظامه بل قادرين على أن نسوي بنيه بل يريد
الانسان ليفجر امامه يسأل أيان يوم القيامة فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر
كلالوزر الى ربك يومئذ المستقر نبأ (١٢٠) الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره)

يبحث جميع أجزاء الانسان وانما خص العظام لانها قالب الخلق (بل قادرين على أن
نسوي بنيه) بل ايجاب لما بعد النفي المنسحب اليه الاستفهام والوقوف على هذا اللفظ
وقف حسن ثم يتدنى الكلام بقوله قادرين وانصابه على الحال أي بل نجتمعها قادرين
فالحال من ضمير الفعل المقدر وقيل المعنى بل نجتمعها نقدر قادرين قال الفراء أي نقدر
ونقوى قادرين على أكثر من ذلك وقال أيضا انه يصلح نصبه على التكرير أي بل فليحسبنا
قادرين وقيل التقدير بل كنا قادرين وهذا ليس بواضح وقرأ ابن أبي عملة وابن السميفع
بل قادرين على تقدير مبتدأ أي بل نحن قادرين ومعنى تسوية البنات نقدر على أن
نجتمع بعضها الى بعض فتردها كما كانت مع لطافتها وصغرهما فكيف بكارا لعضاء قنبه
سجانه بالبنات وهي الاصابع على بقية الاعضاء وان الاقتدار على بعثها وارجاعها كما
كانت أولى في القدرة من ارجاع الاصابع الصغيرة اللطيفة المشتهة على المفصل والاطفار
والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر وبهذا قال الزجاج وابن
قتيبة وقال جهور المفسرين ان معنى الآية أن نجعل أصابع يديه ورجليه شياً واحداً
كخف البعير وحافر الحمار صفة واحدة لا شقوق فيها فلا يقدر على أن ينتفع بها في الاعمال
اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما والكافر قنأ أصابعه لينتفع بها وقيل المعنى بل نقدر
على أن نعبد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها والاول أولى قال
ابن عباس لو شاء لجعله خفاً وحافراً وبنان جمع أواسم جمع لبنانة قولان وفي المختار البنانة
واحد البنان وهي أطراف الاصابع ويقال بنان مخضب لان كل جمع ليس بنفسه وبين
واحدة الالهة فانه يؤنث ويذكر (بل يريد الانسان ليفجر امامه) عطف على أيحسب
اما على انه استفهام مثله واضرب عن التوب يخجل ذلك الى التوب يخجل هذا أو على انه ايجاب
انقل اليه من الاستفهام والمعنى بل يريد الانسان أن يقدم جوره فيما بين يديه من
الافات وما يستقبله من الزمان فيقدم الذنب ويؤخر التوبة قال ابن الانباري يريد
أن يفجر ما استعمره وليس في نيتة أن يرجع من ذنب يرتكبه قال مجاهد والحسن
وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف أتوب ولا يتوب حتى يأتيه الموت وهو على
أشراحواله قال الضحالك هو الامل يقول سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يدكر
الموت وقال ابن عباس يعضى قدما وعنه قال هو الكافر الذي يكذب بالحساب وعنه

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه
إذا كان مستقيماً جازاً لا يتان بالأقبل
القسم لنا كيد النفي والمقسم عليه
ههنا هو اثبات المعاد والرد على
ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم
بعث الاجساد ولهذا قال تعالى
لأقسم بيوم القيامة ولا أقسم
بالنفس اللوامة قال الحسن أقسم
بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس
اللوامة وقال قتادة بل أقسم بها
جميعاً هكذا حكاه ابن أبي حاتم
وقد حكى ابن جرير عن الحسن
والاعرج انه سافر إلى أقسم بيوم
القيامة وهذا يوجه قول الحسن
لانه أثبت القسم بيوم القيامة ونفي
القسم بالنفس اللوامة والصحيح أنه
أقسم بها جميعاً كما قاله قتادة
وجه الله وهو المروي عن ابن عباس
وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير
فأما يوم القيامة فعرف وأما النفس
اللوامة فقال قرظ بن خالد عن الحسن
البصري في هذه الآية ان المؤمن
والله ما نراه الا يلوم نفسه ما أردت
بكله متى ما أردت بأكلتي ما أردت
بحديث نفسي وان الفاجر يعضى
قدما قدما ما يعاتب نفسه وقال

جوهر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال ليس أحد من أهل السموات قال

والارضين الا يلوم نفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن اسرائيل عن سماعة انه سأل
عكرمة عن قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن
اسرائيل به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في
قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال يلوم على الشر ثم رواه من وجه آخر عن سعيد انه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي

النفس اللوثة وقال علي بن أبي نجيح عن مجاهد تسند على مافات وتلوم عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اللوامة المذمومة وقال قتادة اللوامة الفاجرة وقال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتسند على مافات وقوله تعالى أيجيب الإنسان أن أنجم عظامه أي يوم القيامة أيظن أن لا تقدر على إعادة عظامه وجمعهما من أمانتهما المنفرقة بلي قادرين على أن نسوي بنانه قال سعيد بن جبير والعوفي عن ابن عباس أن نجعله خفياً وحافراً وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقاتدة والضحاك وابن جرير ووجهه (١٢١) ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا والظاهر من الآية أن قوله تعالى

قادرين حال من قوله تعالى أنجم عظامه أي أيظن الإنسان أن لا أنجم عظامه بلي نسجمها قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لمعناها أزيد مما كان فجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية وهذا معنى قول ابن قتبية والزجاج وقوله بل يريد الإنسان ليفجر أمامه قال سعيد عن ابن عباس يعني تعضي قدما وقال العوفي عن ابن عباس ليفجر أمامه يعني العمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ويقال هو الكفر بالحق بين يدي القيامة وقال مجاهد دلي فاجر أمامه تعضي أمامه راكبا رأسه وقال الحسن لا يلقي ابن آدم إلا نزع نفسه إلى معصية الله قدما قدما الأمن عصمه الله تعالى وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف هو الذي يجعل الذنوب ويسوق بالتوبة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو الكافر يكذب بيوم الحساب وكذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من المراد ولهذا قال بعده يسأل أيان يوم

قال يعني الأمل يقول أعمل ثم أتوب وعنه قال يقدم الذنب ويؤخر التوبة وعنه قال يقول سوف أتوب والتجور أصله الميل عن الحق فيصدق على كل من مال عن الحق يقول أوفعل (يسأل أيان يوم القيامة) مستأنفة وقال أبو البقاء تفسير البيان بمعنى فيجبر فتسكون مفسرة مستأنفة أو بدلا من الجلالة قبلها لأن التفسير يكون بالاستئناف وبالبدل وإيان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر والمعنى يسأل متى يقوم يوم القيامة تسؤال استبعاد واستنزاه قال ابن عباس أي يقول متى يوم القيامة (فإذا برق البصر) أي فزع وتحير من برق الرجل إذا نظرت البرق فدهش بصره قرأ الجمهور برق بكسر الراء قال أبو عمرو بن العلاء والزجاج وغيرهما المعنى تحير فلم يظرف وقال الخليل والفاء برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المبهوت قد برق فهو برق وقرئ بفتح الراء أي لم بصره من شدة شخوصه للموت قال مجاهد وغيره هذا عند الموت وقيل برق يبرق شق عينيه وفتحهما وقال أبو عبيدة فتح الراء وكسر هاتين بمعنى قال ابن عباس يعني الموت (وخسف القمر) قرأ الجمهور بفتح الخاء والسين مبنيان للفاعل وقرئ بضم الخاء وكسر السين مبنيان للمفعول والمعنى ذهب ضوءه وأظلم ولا يعود كما يعود إذا خسف في الدنيا ويقال خسف إذا ذهب جميع ضوءه وكسف إذا ذهب بعض ضوءه (وجع الشمس والقمر) أي ذهب ضوءهما جميعا ولم يقل جمعت لأن التأنيث مجازي قاله المبرد وقال أبو عبيدة هو لتغليب المذكر على المؤنث وقال الكسائي حمل على معنى جمع النيران وقال الزجاج والفاء لم يقل جمعت لأن المعنى جمع بينهما في ذهاب نورهما وقيل جمع بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين قال عطاء يجمع بينهما يوم القيامة ثم ينفذان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقبل يجمع الشمس والقمر فلا يكون هنالك تعاقب ليل ونهار وقرأ ابن مسعود وجمع بين الشمس والقمر (يقول الإنسان) جواب إذا (يومئذ) أي يوم انبرق البصر الخ (أين المفر) أي يقول عند وقوع هذه الأمور أين الفرار والمراد بالانسان الكافر أو المؤمن أيضا يقول ذلك من الهول والمفرص مدرج في الفرار قال الفراء يجوز أن يكون موضع الفرار قال الماوردي يحتمل وجهين أحدهما أين المفر من الله سبحانه استحياء منه والثاني أين المفر من جهنم حذر منها قرأ الجمهور بفتح الميم والفاء مصدرا كما تقدم وقرئ بضم الميم على أنه اسم مكان أي أين مكان الفرار

(١٦ - فتح البيان عاشر) القيامة أي يقول متى يكون يوم القيامة وانما سؤال السؤال استبعادا لوقوعه وتكذيبا لوجوده كما قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال تعالى ههنا فإذا برق البصر قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى لا يرتد إليهم طرفهم أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب وقرأ آخر و برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الاول والمقصود أن الابصار تنتهر يوم القيامة وتخشع وتحوار وتذل من شدة الاهوال ومن عظم ما تشاهد يوم القيامة من الامور وقوله تعالى

وخسف القمر أي ذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر قال مجاهد كثر أو قرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وروى عن ابن مسعود أنه قرأ وجمع بين الشمس والقمر وقوله تعالى يقول الإنسان يومئذ أين المفر أي إذا عاين ابن آدم هذه الأحوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يشق ويقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى كلا لا وزر لي ربك يومئذ المستقر قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف أي لا نجاة وهذه الآية كقوله تعالى ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير أي ليس لكم مكان (١٢٢) تشكرون فيه وكذا قال ههنا لا وزر أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا

قال إلى ربك يومئذ المستقر أي المرجع والمصير ثم قال تعالى يندأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي يخبر بجميع أعماله قديما وحديثا أولها وآخرها صغيرها وكبيرها كما قال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وهكذا قال ههنا بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بل الإنسان على نفسه بصيرة يقول سمعنا وبصرنا وبيده ورجليه وجوارحه وقال قتادة شاء مد على نفسه وفي رواية قال إذا شئت والله رأيته بصيرا يعيوب الناس وذنوبهم - غافلا عن ذنوبه وكان يقال إن في الأنجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القداة في عين أخيك وتترك الخدع في عينك لا تبصره وقال مجاهد ولو ألقى معاذيره وجادل عنها فهو بصير عليها وقال قتادة ولو ألقى معاذيره لو اعتذر يومئذ بساطل لا يقبل منه وقال السدي ولو ألقى معاذيره حجة وكذا قال ابن زيد والحسن البصري

وقال الكسائي هما العتان مثل مذنب ومذنب ومصح ومصح وقرأ الزهري بكسر الميم وفتح الفاء على أن المراد به الإنسان الجيد الفرار (كلا) للردع عن طلب الفرار ولتفي ما قبلها أو بمعنى حق (لا وزر) أي لا سلاح ولا جيل ولا حصن ولا ملجأ يتحصن به من الله وقال ابن جبيرة لا تحصيص ولا منعة والوزر في اللغة ما يلجأ إليه الإنسان من حصن أو جيل وغيرهما قال السدي كانوا إذا فرغوا في الدنيا تحصنوا بالحبال فقال لهم الله لا وزر يعصمكم مني يومئذ قال ابن مسعود لا وزر لا حصن وقال ابن عباس لا ملجأ وفي لفظ لا حرز وفي لفظ لا جيل ولا حصن وخبر لا محذوف أي لا وزر له (إلى ربك يومئذ المستقر) أي إليه المرجع والمنتهى والمصير لا إلى غيره وقيل إليه الحكم بين العباد لا إلى غيره وقيل المستقر الاستقرار حيث يقره الله من جنة أو نار (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر يوم القيامة بما عمل من خير وشر وقال قتادة بما عمل من طاعة الله وما أخر من طاعته فلم يعمل بها وقال زيد بن أسلم بما قدم من أمواله وما خلف للورثة وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال الضحاك بما قدم من فرض وأخر من فرض قال القشيري هذا الأنباء يكون يوم القيامة عصف دوزن الأعمال ويجوز أن يكون عند الموت قال القرطبي والاول أظهر قال ابن مسعود بما قدم من عمل وأخر من سنة عمل بها من بعده من خير أو شر وعن ابن عباس نحوه وعنه قال بما قدم من معصية وأخر من طاعة فنبأ بذلك (بل الإنسان على نفسه بصيرة) قال الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك وقيل المعنى أن جوارحه تشهد عليه بما عمل كافي قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فيكون المعنى بل جوارح الإنسان عليه شاهدة قال أبو عبيدة والقتبي إن هذه الهاء في البصيرة هي التي يسميها أهل الأعراب هاء المبالغة كافي قولهم علامة وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير وشر والتاء على هذا التانيث وقال الحسن أي بصير يعيوب نفسه وقال ابن عباس شهد على نفسه وحده وعنه قال سمعنا وبصرنا وبيده ورجليه وجوارحه (ولو ألقى معاذيره) أي ولو اعتذر وتجرد من شابه وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذير على غير قياس كلاقع ومذاكير جمع لقعة وذكر قال الفراء أي وإن اعتذر فعليه من يكذب عذره وقال الزجاج المعاذير السطور والواحد معذار أي وإن أرنى

الستور

وغيرهم واختاره ابن جرير وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس ولو ألقى معاذيره يقول ولو ألقى به تانته وقال الستور الستور العذارو الصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وكقوله تعالى يوم يعثهم الله جميعا فيختلفون له كما يختلفون لكم ويحسمون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون وقال العوفي عن ابن عباس ولو ألقى معاذيره هي الاعتذار التي تسمع أنه قال لا ينفع الظالمين معذرتهم وقالوا لقوا إلى الله يومئذ السلم ما كنا نعمل من سوء وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن

علينا بيانه كلابل تحبون العاجله وتذرون الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يادري الى اخذه ويسابق الملك في قرآته فأمره الله عز وجل اذا جاءه الملك بالوحي ان يستمع له وتكفل له ان يجمعه في صدره وان ييسره لادائه على الوجه الذي اقام اليه وان يبينه له ويفسر دويضحه فالحالة الاولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وايضاح معناه ولهذا قال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به اي بالقرآن كما قال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل (١٢٣) ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ثم قال

تعالى ان علينا جمعه اي في صدرك وقرآنه اي ان تقرأه فاذا قرأناه اي اذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى فاتبع قرآنه اي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ثم ان علينا بيانه اي بعد حفظه

وتلاوته يبينه لك وتوضحه ونلهمك معناه على ما اردنا وشرعنا وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن ابى عوانة عن موسى بن ابى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفثه قال فقال لي ابن عباس انا احرك شفثي كما كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفثه وقال لي سعيد وأنا احرك شفثي كما رأيت ابن عباس يحرك شفثه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اي فاستمع له وانصت ثم ان علينا بيانه فكان بعد ذلك اذا انطلق جبريل قرأه كما اقرأه وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن ابى عائشة به ولفظ البخاري فكان اذا أناه جبريل

الاستور وأغلق الابواب يريد أن يخفي نفسه فنفسه شاهدة عليه وكذا قال الضحاك والسدي والستر بلغة الذين يقال له معذركذا قال المبرد والاول أولى وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وأبو العالمة ومقاتل ومثله قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقول الشاعر

فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

وقال النسفي والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذير بل هي اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر قال الشيخ وليس هذا البناء من ابنية أسماء الجوع وانما هو من ابنية جوع التكسير وهو الصحيح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي لا تحرك بالقرآن لسانك عند القاء الوحي لتأخذه على عجل مخافة أن يتغلب منك ومثله هذا قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه الآية (ان علينا جمعه) في صدرك حتى لا يذهب عليك منه شيء (وقرآنه) أي اثبات قرآته في لسانك وهو تعليل للنهي قال الفراء القراءة والقرآن مصدران (فاذا قرأناه) أي أتممنا قرآنه عليك بلسان جبريل عليه السلام وبيناه (فاتبع قرآنه) أي فاستمع قرآته وكررها حتى يرسخ في ذهنك وقال ابن عباس يقول اعمل به وقال قتادة فاتبع قرآنه أي شراعه وأحكامه (ثم ان علينا بيانه) أي تفسير ما فيه من الحلال والحرام وبين ما أشكل من معانيه قال الزجاج المعنى ان علينا أن ننزله عليك قرآننا عرييا في بيانه بيان للناس وقيل المعنى ان علينا أن نبينه بلسانك وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكده التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو أهم الامور وأصل الدين فكيف بها في غيره والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفثه مخافة أن يتغلب منه يريد أن يحفظه فانزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه يقول ان علينا أن نجمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه يقول اذا أنزلناه عليك فاتبع قرآنه فاستمع له وانصت ثم ان علينا بيانه ان يبينه بلسانك وفي لفظ علينا أن تقرأه فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك اذا أناه جبريل أطرق وفي لفظ استمع فاذا ذهب قرأه كما وعد

أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الأشج حدثنا ابو يحيى التيمي حدثنا موسى بن ابى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه الوحي يلقي منه شدة وكان اذا أنزل عليه عرف في تحريكه شفثه يلقي أوله ويحرك به شفثه خشية ان ينسى أوله قبل ان يفرغ من آخره فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد ان هذه الآية نزلت في ذلك وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان لا ينة تر من القرآن مخافة ان ينساها فقال الله تعالى

لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه ان نجعله لك وقرأ انه أن تقرئك فلا تنسى وقال ابن عباس وعطية العوفي ثم ان علينا بيانه
تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة وقوله تعالى كلاب تحبون العاجلة وتذرون الآخرة أى انما يحملهم على التكذيب يوم
القيامة ومخالفة ما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم انهم انما همتهم الى الدار الدنيا
العاجلة وهم لا همون متشاغلون عن الآخرة ثم قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة من النضارة أى حسنة بهيمة مشرقة مسرورة الى
ربها ناظرة أى تراه عيانا كما رواه البزارى (١٢٤) رحمه الله تعالى فى صحيحه انكم سترون ربكم عيانا وقد ثبتت رؤية المؤمنين

لله عز وجل فى الدار الآخرة فى
الاحاديث الصحاح من طرق متواترة
عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها
ولامنعها الحديث أبى سعيد وأبى
هريرة وهما فى الصحيحين ان ناسا
قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم
القيامة فقال هل تضارون فى رؤية
الشمس والقمر ليس دونهما سحاب
قالوا لا قال فانكم ترون ربكم كذلك
وفى الصحيحين عن جرير قال نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
القمر ليلة البدر فقال انكم ترون
ربكم كما ترون هذا القمر فان
استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل
طلوع الشمس ولا قبل غروبها
فافعلوا وفى الصحيحين عن أبى
موسى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما
وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين أن
يتظروا الى الله عز وجل الارداء
الكبرياء على وجهه فى جنة عدن
وفى افسراد مسلم عن صهيب عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
دخل أهل الجنة الجنة قال يقول
الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم

الله (كلاب تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) كلاب للردع عن العجلة والترغيب فى
الآناة وقيل هى ردع لمن لا يؤمن بالقرآن وبكونه بينا من الكفار قال عطاءى لا يؤمن
أبوجهل بالقرآن وبيانه قرأ أهل المدينة والكوفيون تحبون وتذرون بالفوقية فى الفعلين
جميعا وقرأ الباقيون بالتحسية فيهما وهما سبعيتان فعلى الاولى يكون الخطاب لهم تقريرا
وتوبخا والمعنى تحبون الدنيا وتحتارونها وتركون الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها وعلى
الثانية يكون الكلام عائدا الى الانسان لانه بمعنى الناس قال ابن مسعود عجبت لهم الدنيا
خيرها وشرها وغيبت الآخرة أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (وجوه يومئذ
ناضرة) أى ناعمة غضة حسنة يقال شجر ناضر وروض ناضر أى حسن ناعم ونضارة
العيش حسنه وبهجة قال الواحدى قال المفسرون مضئمة مشرقة مشرقة وقال ابن
عباس ناعمة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل يضى علوها نور والا قول أولى ووجوه مبتدأ
وناضرة صفة لوجوه يومئذ نظرف لناضرة وناظرة خبر مبتدأ وسوغ الابتداء بالكرة هنا
العطف عليها وكون الموضع موضع تفصيل ولولم يكن المقام مقام تفصيل لكان وصف
الكرة بقوله ناضرة مسوغا للابتداء بها ولكن مقام التفصيل بجرده مسوغا للابتداء
بالكرة (الى ربها ناظرة) أى تنظر اليه عيانا بلا حجاب هكذا قال جمهور أهل العلم والمراد
به ما تواترت به الاحاديث الصحيحة من أن العباد يتظرون الى ربهم يوم القيامة كما يتظرون
الى القمر ليلة البدر قال ابن كثير وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف
هذه الامة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهذه الانام وقال مجاهد ان النظر هنا
انتظار ما لهم عند الله من الثواب وروى نحوه عن عكرمة وقيل لا يصح هذا الا عن
مجاهد وحده قال الازهرى وقول مجاهد خطأ لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان
قول القائل نظرت الى فلان ليس الارؤية عين فاذا أرادوا الانتظار قالوا انظرته فاذا أرادوا
نظر العين قالوا انظرت اليه واشعار العرب وكلماتهم فى هذا كثيرة جدا ويشهد لصحة هذا أن
النظر الوارد فى التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل فى موضع بالى كقوله انظرونا نقبس
من نوركم وقوله هل يتظرون الا تأويله وقوله هل يتظرون الا أن يأتيهم الله والوجه اذا
وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر
النظر فى هذه الآية بالرؤية وسأبى بعضها قال ابن عباس فى الآية تنظر الى الخالق وعنه

قال

فمقولون لم تبيض وجوهنا لم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا
أحب اليهم من النظر الى ربهم وهى الزيادة ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفى افراد مسلم عن جابر فى حديثه ان
الله يجلب للمؤمنين يضحك يعنى فى عرصات القيامة فى هذه الاحاديث أن المؤمنين يتظرون الى ربهم عز وجل فى العرصات وفى
روضات الجنات وقال الامام أحمد حدثنا ابو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبيجر حدثنا يزيد بن أبى فاختة عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكه ألقى سسنة يرى اقصاه كما يرى أدناه ينظر الى أزواجه وخدمه وان

افضلهم منزلة لينظر في وجهه الله كل يوم مرتين ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن شبابة عن اسرايل عن نوير قال سمعت بن عمر فذكره قال ورواه عبد الملك بن أبجر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله وكذلك رواه الثوري عن نوير عن مجاهد عن ابن عمرو لم يرفعه ولولا خشية الاطالة لاوردنا الاحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسبل ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهذه الانام ومن تأول ذلك بأن المراد بالي (١٢٥) مفرد الا لا وهى النعم كما قال الثوري عن

منصور عن مجاهد الى ربه اناطرة
قال تنظر الثواب من ربه رواه
ابن جرير من غير وجه عن مجاهد
وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد
هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب
اليه وأين هو من قوله تعالى كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
قال الشافعي رحمه الله تعالى ما يجب
النجار الا وقد علم ان الابرار يرونه
عز وجل ثم قد توأمت الاخبار عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
دل عليه سياق الآية الكريمة وهي
قوله تعالى الى ربه اناطرة وقال ابن
جرير حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري
حدثنا آدم حدثنا المبارك عن
الحسن وجوه يومئذ اناطرة قال
حسنه الى ربه اناطرة قال تنظر الى
الخالق وحق لها ان تنظر وهي
تنظر الى الخالق وقوله تعالى ووجوه
يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة
هذه وجوه الفجأة تكون يوم
القيامة باسرة قال قتادة كالحمة
وقال السدي غير أولئك اناطرة
ابن زيد باسرة أي عابسة تظن أي
تستيقن أن يفعل بها فاقرة قال
مجاهد داهية وقال قتادة شر

قال تنظر الى وجد ربها وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآيات ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة أخرجه ابن مردويه وعن أبي هريرة قال قال الناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة نحوه وقد أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والدارقطني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانة وأزواجه ونعيمه وخدمته وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وأخرجه أحمد في المسند من حديثه بلفظ وان أفضلهم منزلة لينظر في وجهه الله كل يوم مرتين وأخرج النسائي والدارقطني وصححه وأبو نعيم عن أبي هريرة قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا قال هل ترون الشمس في يوم لا غيم فيه وترون القمر في ليلة لا غيم فيها قلنا نعم قال فانكم سترون ربكم عز وجل حتى ان أحدكم ليحاضر به محاضرة فيقول عبدي هل تعرف ذنب كذا وكذا فيقول ألم تغفر لي فيقول يغفر لي صرت الى هذا وقد تظافت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقدرها وانحوم من عشر بن صحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة ولا اعتراضات المبتدعة من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة عليها أجوبة معروفة في كتب الكلام من أهل السنة وكذلك باقي شئهم وأجوبتها مستغاضة في كتب أهل الحق وليس هذا موضع ذكرها وقد قدمنا ان أحاديث الرؤية متواترة فلا تضليل يذكرها وهي تأتي في مصنف مستقلة ولم يتسكن من نفاها واستبعدها بشئ يصلح للتسليم لامن كتاب الله ولا من سنة رسوله وقد أطال الحافظ الواحد المتكلم محمد بن أبي بكر القسيم الجوزي رحمه الله تعالى في اثبات رؤيته تعالى يوم القيامة في كتابه حادي الارواح الى بلاد الافراح ومن احب النظر في ادلة الفريقين فعليه برسالة الشوكاني المسماة بالبعية في مسئلة الرؤية بجمع فيها جميع ما استدلل به النافون

وقال السدي تستيقن أنها هالككة وقال ابن زيد تظن أن سيد دخل النار وهذا المقام كقوله تعالى يوم تبيض وجوه ونسود وجوه
وكقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليهم غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة وكقوله تعالى
وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية الى قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية في أشباه ذلك من الآيات
والسياقات (كلما اذ بلغت التراقي وقيل من راق وطن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلي
ولسكن كذب وتولي ثم ذهب الى أهله يتطلى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أبحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطنة من

مضى ثم كان علقه خلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى كلا إذا بلغت التراقي أن جعلنا كلاً راحة فنعناها است يا ابن آدم هنالك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عياناً وان جعلنا ما بعني حقاً فظاهر أى حقاً إذا بلغت التراقي أى انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك والستراقى جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق كتقوله تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه (١٢٦) منكم ولكن لا تبصرون فلولا أن كنتم غير مدينين ترجعونها أن كنتم

صادقين وهكذا قال ههنا كلا إذا بلغت التراقي وتذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذى تقدم فى سورة يس والتراقي جمع ترقوة وهى قريبة من الحلقوم وقيل من راق قال عكرمة عن ابن عباس أى من راق يرقى وكذا قال أبو قلابه وقيل من راق أى من طيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نصر بن على حدثنا روح ابن المسيب أبو رجاء الكلبى حدثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس وقيل من راق قال قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب فعلى هذا يكون من كلام الملائكة وبهذا الاسناد عن ابن عباس فى قوله والتفت الساق بالساق قال التفت عليه الدنيا والآخرة وكذا قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والتفت الساق بالساق يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتنى الشدة بالشدة الآمن رحمه الله وقال عكرمة والتفت الساق بالساق الأمر العظيم بالأمر العظيم

والمؤمنون من الأدلة العقلية والنقلية (ووجه يومئذ بأسرة) أى كالحقة عابسة كنيمة قال فى الصحاح بسر الرجل وجهه بسور أى كلى قال السدى بأسرة أى متغيرة وقيل مصفورة والمراد بالوجه هنا وجه الكفار (نظن) أى توقن (أن يفعل بهم فاقرة) الفاقرة الداهية العظيمة يقال فقرته الفاقرة أى كسرت فقار ظهره قال قتادة الفاقرة الشر وقال السدى الهلاك وقال ابن زيد دخول النار وقيل الحجاب عن رؤية الله تعالى والاول أولى وأصل الفاقرة الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى تخلص إلى العظم كذا قال الأصمعى ومن هذا قولهم قد عمل به الفاقرة (كلاً) ردع وزجر أى بعيداً يؤمن الكافر يوم القيامة ثم استأنف فقال (إذا بلغت) النفس أو الروح أى نفس المحتضر مؤمناً كان أو كافراً وانما أضمرت وان لم يجز لها ذلك لان السياق يدل عليها (التراقي) جمع ترقوة وهى عظم بين ثغرة النحر والعاتق يميناً وشمالاً لكل انسان ترقوتان ويكنى بيلوغ النفس التراقي عن الاشياء على الموت ومنه قوله تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم وقيل معنى كلا حقاً أى حقاً ان المساق إلى الله إذا بلغت التراقي والمقصود تذكيرهم بشدة الحال عند نزول الموت قال دريد بن الصمة

وربك ربه دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقي

(وقيل) هذا الفعل وما بعده من الفعلين معطوف على بلغت (من راق) أى قال من حضر صاحباً من رقيه ويشتفى برقيه قال قتادة التسواله الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً وبه قال أبو قلابه ومنه قول الشاعر

هل لفتى من بنات الموت من واقى * أم هل له من حمام الموت من راقى

وقال أبو الجوزاء هو من يرقى إذا صعد والمعنى من يرقى بروحه إلى السماء أم ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وقيل انه يقول ذلك ملك الموت وذلك ان نفس الكافر تذكره الملائكة قريباً وقال ابن عباس فى قوله وقيل من راق قال تنتزع نفسه حتى اذا كانت فى تراقبه قبل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب وهذا الاستفهام يجوز أن يكون على بابيه وان يكون استبعاداً وانكاراً وراق اسم فاعل امان رقى يرقى بالفتح فى الماضى والكسر فى المضارع من الرقية وهى كلام معدل لاستشفاء يرقى به المريض ليشفى وفى الحديث وما ادراك انهم راقية يعنى الفاتحة وهى من اسمائها واما من رقى بالكرس

فى

وقال مجاهد بلاء يبلاء وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى والتفت الساق بالساق هما ساقا اذا

التفتا وفى رواية عنه ماتت رجلاً فلم تحمله وقد كان عليها جواراً وكذا قال السدى عن أبى مالك وفى رواية عن الحسن هو لهما فى الكفن وقال الضحاك والتفت الساق بالساق اجتمع عليه أمر ان الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقوله تعالى الى ربك يومئذ المساق أى المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع الى السموات فيقول الله عز وجل ردوا عبيدى الى الارض فانى منها خلقهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى كما ورد فى حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى وهو القاهر

فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق **الاله الحكيم** وهو أسرع الحاسبين وقوله جل وعلا فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى هذا الخبر عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقلبه فلا خيرة به باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتطى أى جذلان أشراطا كسلانا لاهمة له ولا عمل كما قال الله تعالى واذا انتلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين وقال تعالى انه كان في أهله مسرورا انه ظن أن لن يحورا أى يرجع بلى (١٢٧) ان ربه كان به بصيرا وقال الضحاك عن ابن عباس ثم ذهب الى أهله يتطى

يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتختر قال الله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وهذا تهديد ووعد أكيد من الله تعالى للكافر به المتختر في مشيه أى يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وكقوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون وكقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه وكقوله جل جلاله اعملوا ما شئتم الى غير ذلك وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن اسرايل عن موسى بن أبي عائشة قال سألت سعيد بن جبيرة قال أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال قاله النبي صلى الله عليه وسلم لا بى جهل ثم نزل به القرآن وقال أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا أبو داود وحدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبيرة قال

في الماضي والفتح في المضارع من الرقى وهو الصعود يقال رقى بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقى (وطن) أى يقن الذي بلغت روحه التراقي وسعى اليقين ظنا لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لها ولا ينقطع رجاءه منها (أنه) أى ما نزل به (الفراق) من الدنيا ومن الأهل والمال والولد (والفت الساق بالساق) أى التفت ساقه بساقه عند نزول الموت به وقال جمهور المفسرين المعنى تتابعت عليه الشدائد وقال الحسن هما ساقاه اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن أسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقيل ماتت رجلاه ويست ساقاه ولم تحملا وقد كان جوا لا عليهما وقال الضحاك اجتمع عليه أمران شديدان الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وبه قال ابن زيد والعرب لا تذكر الساق الا في الشدة دائد البكار والحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق وقيل الساق الا قول تعذيب روحه عند خروج نفسه والساق الا خرشة البعث وما بعده وقال ابن عباس التفت عليه الدنيا والاخرة وعنه قال يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فيلقى الشدة بالشدة الامن رحم الله وقال الشعبي وغيره المعنى التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة امارأيته اذا أشرف على الموت يضرب احدى رجله على الاخرى قال النحاس القول الا قول أحسنها (الى ربك يومئذ المساق) أى الى خالقك يوم القيامة المرجع وذلك جمع العباد الى الله يساقون اليه وقيل التنوين عوض عن جل أربع أى يوم اذ بلغت الروح التراقي الخ (فلا صدق ولا صلى) أى لم يصدق الانسان المذكور في أول هذه السورة بالرسالة ولا بالقرآن ولا صلى لربه أى الصلاة الشرعية فهو ذم له بترك العقائد والفروع قال قتادة فلا صدق بالكتاب ولا صلى لله وقيل فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه وقيل صدق من التصديق أى فلا صدق بشئ يذخره عند الله تعالى قاله القرطبي قال الكسائي لا يعنى لم وكذا قال الاخفش والعرب تقول لاذهب أى لم يذهب وهذا مستفيض في كلام العرب ومنه ان تغفر اللهم فاعف رجلا * وأى عبدك لاألمأ

ولما كان عدم التصديق بصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه وبين ان المراد منه خصوص التكذيب فقال (ولكن كذب وتولى) أى كذب بالرسول وبما جاءه وتولى عن الطاعة والايمان ولم يستدرك على نفي الصلاة لانه لا يصدق

قلت لابن عباس أولى لك فأولى قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزله الله عز وجل قال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعب عن اسحق حدثنا سعيد عن قتادة قوله أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وعيد على ائرو عيدا كما تسمعون وترعون وزعموا أن عدو الله أباجهله أخذني الله صلى الله عليه وسلم بجامع ثيابه ثم قال أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال عدو الله أباجهله أتوعدني محمد والله لا تستطيع أن ت ولا ربك شيأواني لا عزم من مشي بين جبلين أو قوله تعالى أيحسب الانسان أن يترك سدى قال السدي يعني لا يعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى والظاهر ان الآية تم الحالين أى

ليس يترك في هذه الدنيا مهمل لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأثور منهي في الدنيا محشور الى الله في الدار الآخرة والمقصود هنا اثبات المعاد والرد على من أنكروه من أهل الزبغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلاً على الاعادة بالبداة فقال تعالى ألم يك نطفة من مقي أي أما كان الانسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يعني براق من الاصلا ب في الارحام ثم كان علقة فخلق فسوى أي فصارعلة ثم مضغة ثم شكل وفتح فيه الروح فصار خلقاً آخر سويا سليم الاعضاء ذكر أو أنثى باذن الله وتقديره ولهذا قال تعالى فجعل منه الزوجين (١٢٨) الذكرو والانثى ثم قال تعالى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى أي اما هذا

الذي أنشأ هذا الخلق السوى من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه وتناول القدرة للاعادة أما بطريق الاولى بالنسبة الى البداة وامامساوية على القوانين في قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه والاول اشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شبابة عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فاذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك فبلى فسأله عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرد به ابو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك وقال ابو داود أيضاً حدثنا عبد الله بن محمد

الابصيرة واحدة فلم يحتج للاستدراك عليه (ثم ذهب الى أدله ينطى) أي يتجتر ويحتال في مشيه افتخار بذلك وقيل هو مأخوذ من المطا وهو الظهور والمعنى يلوى مطاء وقيل أصله تخطط وهو التدد والتشاقل أي يتناقل ويتكاسل عن الداعي الى الحق قال الامام هذا ذكر لما يتعلق بدينه بعد ذكر ما يتعلق بدنيته وثم للاستبعا لان من صدر عنه مثل ذلك ينبغي ان يخاف من حلول غضب الله به فيمشی خائفاً منه متطامناً لا فرحاً متجترأ ذكره الشهاب (أولاً لك) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل مبنية على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير مستتر يعود على ما يفهم من السياق وهو كون هذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكره واللام مزيدة والمعنى وليك ما تكرهه (فأولى) أي فهو أولى بك من غيرك فدللت الاولى على الدعاء عليه بقرب المكره منه ودلت الثانية على الدعاء عليه بان يكون أقرب اليه من غيره هذا ما سلكه الجلال المحلى في تقرير هذا المقام وانفرد به عن غيره من المفسرين وهو حسن جدا (ثم أولى لك فأولى) الاولى تأكيد للاولى والثانية تأكيد للثانية وقيل أي وليك الويل وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم وهذا تمديد شديد ووعيد بعد وعيد والتكرير للتأكيدي تكرير عليك ذلك مرة بعد مرة قال الواحدي قال المفسرون أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أبي جهل فقال أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأي شيء تدني لا تستطيع أنت ولا ربك ان تفعل بي شيئاً وانى لأعزأهل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقيل معناه الويل لك وعلى هذا القول قيل هو من المقلوب كانه قيل أويل لك ثم آخر الحرف المعتل قيل ومعنى التكرير لهذا اللفظ أربع مرات الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار وقيل المعنى ان الذم لك أولى لك من تركه وقيل المعنى أنت أولى وأحق وأجدر بهذا العذاب قاله محي السنة وقال الاصمعي أولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك قال المبرد كانه يقول قد وليت الهلاك وقد دافقته وأصله من الولى وهو القرب قال ثعلب لم يقل أحد في أولى أحسن وأصح مما قاله الاصمعي وعن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله أولى لك فأولى أشي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجهل من قبل نفسه أم أمره الله به قال بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله أخرجه النسائي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم (أي حسب الانسان أن يترك سدى) أي مهمل لا يؤمر ولا

الزهرى حدثنا سفيان حدثني اسمعيل بن امية سمعت اعرابياً يقول سمعت ابا هريرة يقول قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم بالتين والزيتون فأنتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ الاقسم يوم القيامة فأنتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ قبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله ورواه احمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمير عن سفيان بن عيينة به وقدرناه شعبة عن اسمعيل بن امية قال قلت له من حدثك قال رجل صدق عن ابي هريرة وقال ابن جرير حدثنا بشر

حدثنا يزيد بن جندب عن قتادة قوله تعالى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك وبكى ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك فبكي آخر تفسير سورة القيامة والله الحمد والمنة * (تفسير سورة الإنسان وهي مكية) * قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل (١٢٩) السجدة وهل أتى على الإنسان وقال عبد الله

ابن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة هل أتى على الإنسان حين من الدهر وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أخرج نفس صاحبكم أتو قال أخيكم الشوق إلى الجنة مرسل غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا أنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا أنا هديناه السبيل أم أشركا وأما كفورا يقول تعالى مخبرا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ثم بين ذلك فقال جل جلاله أنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج أي اختلاط المشج والمشج الشيء المختلط بعضه في بعض قال ابن عباس في قوله تعالى من نطفة أمشاج يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا

ولا ينهي ولا يحاسب ولا يعاقب ولا يكلف في الدنيا ولا يعث ولا يجازي وقال السدي معناه المهمل ومنه ابل سدى أي ترى بلاراع وقبل المعنى أيحسب أن يترك في قبره كذلك أبدا لا يعث وهو يتضمن تكرير انكاره للعشر والدلالة عليه من حيث أن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق إلا بالجحالة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة (ألم يك نطفة من منى تيمنى) مستأنفة أي ألم يك ذلك الإنسان قطرة من منى تراق وتصب في الرحم وسمى المنى منيا لاراقته والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء إذا قطر قرأ الجمهور ألم يك بالتحسية على أرجاع الضمير إلى الإنسان وقرأ الحسن بالفوقية على الالتفات إليه توبخا له وقرأ الجمهور تيمنى أيضا بالفوقية على أن الضمير للنطفة وقرئ بالتحسية على أن الضمير للمنى ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو واختاره أبو حاتم وقائده بعد مد قوله من منى الإشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل أنه مخلوق من المنى الذي يجري على مخرج النجاسة (ثم كان علقة) أي كان بعد النطفة دما أحر شديد الحرارة (نخلق) أي فقدر الله منها الإنسان بأن جعلها مضغة مخلقة (فسوى) أي فعدله وكل نشأته ونفخ فيه الروح وجعله بشرا سويا (فجعل منه) أي حصل من الإنسان وقيل من المنى (الزوجين) أي الصنفين من نوع الإنسان قال الكرخي أي لخصوص التوردين والافتقد تحمل المرأة كرين وأنثى وبالعكس ثم بين ذلك فقال (الذكر والأنثى) أي الرجل والمرأة بمجة تارة وينفرد كل منهما عن الآخر أخرى (أليس ذلك) الفاعل الذي أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه (بقادر على أن يحيي الموتى) أي يعيد الأجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا فإن إعادة أهون من الإبداء وأيسر وثمة منه قرأ الجمهور بقادر وقرأ زيد بن علي بقد رفعا لمضارع وقرأ الجمهور أيضا يحيي بنصبه بأن وقرئ بسكونها تحفيضا أو على إجراء الوصل مجرب الوقف كما مر في مواضع عن صالح أبي الخليل قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ هذه الآية قال سبحانك اللهم وبلى أخرجه عبد بن جندب وابن الأنباري وعن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبحانك ربى وبلى أخرجه ابن مردويه وعن أبي امامة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند قراءته لهذه الآية بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه ابن النجار في تاريخه وعن أبي هريرة قال قال رسول

(١٧ - فتح البيان عاشر) ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحوال إلى حال وكون إلى كون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة وقوله تعالى نبتليه أي نختبره كقوله جل جلاله ليبلوكم أيكم أحسن عملا فجعلناه سميعا بصيرا أي جعلناه سماعا وبصيرا يتمكن بهم من الطاعة والمعصية وقوله جل وعلا أنا هديناه السبيل أي بيناه ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا وأما غود فهديناهم فاستصوبوا العمى على الهدى وكقوله جل وعلا وهدينا النجدين أي بيناه طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور وروى عن مجاهد وأبي صالح والفضالة والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى أنا هديناه السبيل يعني خروجه من الرحم وهذا قول غريب بالصحيح

المشهور الاول وقوله تعالى اما شاكر او اما كفور انصوب على الخيال من الهام في قوله انا هـ دينا السبيل تقبديره فهو في ذلك اما شقي واما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقبها ومعتقها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعكب بن عجرة أعاذك الله من اماراة السفهاء قال وما اماراة السفهاء قال أمرهم ان يكونون من بعدى لا يمتدون بهدأى ولا يستنوبون بسنتي (١٣٠) فمن صدقتهم بكذبهم وأعانتهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولسنت

منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي يا كعب بن عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان أو قال برهان يا كعب بن عجرة انه لا يدخل الجنة لحسن نيت من سحت النار أو لى به يا كعب الناس غاديان فبتاع نفسه فمعتقه ما وبائع نفسه فمعتقه ورواه عن غياث بن وهب عن عبد الله بن خثيم به وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله فطرت الله التي فطر الناس عليها من رواية جابر بن عبد الله رضى تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاما شاكر او اما كفور او قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من خارج يخرج الا يباه رايان راية بيد ما وراءه يد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع

الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ منكمم والتين والزيتون فانتبه الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ الأقسام يوم القيامة فانتبه الى قوله أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فباع فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وفي استاده رجل مجهول وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأت لأقسام يوم القيامة فبلغت أليس ذلك بقادر الى آخره فقل بلى أخرجه ابن المنذر وابن مردويه قال ابن عباس من قرأ أسج اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ الأقسام يوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أو غيره ذكره الخطيب قال الخفناوى قوله اماما كان أو غيره يقتضى ان هذه الكلمة وهى بلى لا تبطل الصلاة وهو كذلك لانها ذكر وتقدس وتنزيه لله تعالى

*(سورة الانسان وتسمى سورة هل أتى وسورة الأمشاج وسورة الدهر

وهى احدى وثلاثون آية)*

قال الجمهور هى مدينة وقال مقاتل والكلى هى مكية وقضى عليه البيضاوى والزحشرى وقال الخليل مكية او مدينة ولم يجزم بشئ قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل فيها مكي من قوله انافحن نزلنا عليك القرآن الى آخر السورة وما قبله مدنى وقال الحسن وعكرمة هى مدينة الآية وهى فاصبر لحكم ربك الى كفوراً وأخرج الطبرانى وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سل واستفهم فقال يا رسول الله فضلمت علينا بالالوان والصور والنبوة أفرايت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به انى كائن معك فى الجنة قال نعم والذي نفسى بيده انه ليرى بياض الاسود فى الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال من قال لا اله الا الله كان له عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة ونزلت هذه السورة الى قوله ملوكا كبيرا فقال الحديثى وان عيني لترى ما ترى عينك فى الجنة قال نعم فاستبكي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذليه فى حفرة بيده وأخرج

أحمد

الى بيته وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع الى

بيته (انا أعتقد للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيروا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اننا نخاف من ربنا يوماعبوسا قطربا فوافاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) يخبر تعالى عما أورد الله للكافرين من خلقه بهم من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهم والحرى فى نار جهنم كما قال تعالى اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ولما ذكر ما أعده

لهؤلاء الاشياء من السعير قال بعده ان الابرار يشربون من كأس كان مزجها كافورا وقد علم في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف الى ذلك من اللذاجة في الجنة قال الحسن برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها فتفجرا أى هذا الذى مزج لهؤلاء الابرار من الكافور وهو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب يروى حتى عداه بالبا ومنصب عينا على التميز قال بعضهم هذا الشراب في طيبه كالكافور وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا يشرب (١٣١) حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير وقوله تعالى

يفجرونها فتفجرا أى يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومجالسهم والتفجير هو الانباع كما قال تعالى وقالون نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقال وفجرنا خللا لهما نهرها وقال مجاهد يفجرونها فتفجرا يقودونها حيث شاؤوا وكذا قال عكرمة وقتادة وقال النورى يصرفونها حيث شاؤا وقوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا أى يتعبدون لله فيما أوجبته عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر قال الامام مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلى عن القاسم بن مالك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه ورواه البخارى من حديث مالك و يتركون المحرمات التى نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذى شره مستطير أى منتذر عام على الناس الامن رحم الله قال ابن عباس فاشيا وقال قتادة استطار والله

أحمد فى الزهد عن محمد بن مطرف قال حدثنى الثقة ان رجلا سود كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التسلية والتهليل فقال له عمر بن الخطاب أكثر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال مديا عمر وأتت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل أتى على الانسان حين من الدهر حتى اذا أتى على ذكر الجنة زفر الاسود زفرة خرجت نفسه فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم مات شوقا الى الجنة وأخرج نحوه ابن وهب عن ابن زيد مر فوعا مر سلا وأخرج أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وغيرهم عن أبى ذر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل أتى على الانسان حتى ختمها ثم قال انى أرى ما لاترون وأسمع ما لا تسمعون أظنت السماء وحق لها ان تنط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما لتلذذتم بالنساء على الفراش ولخرجتم الى الصدقات تجأرون الى الله عز وجل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) حكى الواحدى عن المفسرين وأهل المعانى ان هل هنا بمعنى قد وليس باستفهام لان الاستفهام محال على الله تعالى وقد قال بهذا سيبيويه والكسائى والفراء وأبو عبيدة قال الفراء هل يكون سجدا ويكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل أعطيتك تقرره بانك أعطيتك والحمدان تقول هل يتدرا أحد على مثل هذا وقيل هى وان كانت بمعنى قد فقيها معنى الاستفهام والاصل أهل أتى فالمعنى أقدم أتى والاستفهام للتقرير والتقريب وبه قال مكى وهو تقرير بل انكر البعث ان يقول نعم قد مضى دهر طويل لا انسان فيه قال السمين جعلها للاستفهام التقريرى للاستفهام المحض وهذا هو الذى يجب أن يكون لان الاستفهام لا يرد من الله الا على هذا النحو وما أشبه انتهى والاول أنسب (على الانسان) المراد بالانسان هنا آدم قاله قتادة والثورى وعكرمة والسدى وغيرهم وقال ابن عباس كل انسان (حين من الدهر) أى طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود وقائه عند الجهور يقع على مدة العالم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين قيل أربعون سنة قيل ان ينفع فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وقيل انه خلق من طين أربعين سنة ثم من جوامسئون أربعين سنة ثم من صلصال أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور هنا لا يعرف مقدار وجلة

شر ذلك اليوم حتى ملا السموات والارض قال ابن جرير ومنه قولهم استطار الصدع فى الزجاجة واستطال ومنه قول الاعشى فبات وقد انارت فى النواذ * صدعا على نائم مستطيرا يعنى ممتدا فاشيا وقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قيل على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائدا الى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ولا يظهر ان الضمير عائدا على الطعام أى ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى وآتى المال على حبه وكقوله تعالى ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى البيهقى من طريق الاعمش عن نافع قال مرض ابن عمر فاشتى عنيأول ما جاء العنب فأرسلت صفيية يعنى

امرأته فاشتريت عنقودا بدرهم فأتبع الرسول سائلا فلما دخل به قال السائل السائل فقال ابن عمر اعطوه اياه فأعطوه اياه فأرسلت بدرهم آخر فاشتريت عنقودا فأتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل السائل فقال ابن عمر اعطوه اياه فأعطوه اياه فأرسلت صفة الى السائل فقالت والله ان عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به وفي الصحيح أفضل الصدقة ان تصدق وأنت صحيح صحيح تأمل الغنى وتحشى الفقر أى فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيموا وأسيرا اما المسكين (١٣٢) واليتيم فقد تقدم بيانها وصفته ما واما الاسير فقال سعيد بن جبير والحسن الضحاك الاسير من أهل

القبيلة وقال ابن عباس كان أسراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر ان يكبروا الاسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرک وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الارقاء فى غير ما حديث حتى انه كان آخر ما وصى ان جعل يقول الصلوة وما ملكت أيمانكم قال مجاهد هو الخبوس أى يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتمونه ويحبونه قائلين بلسان الحال انما نطعمكم لوجه الله أى رجاء ثواب الله ورضاه لانريد منكم جزاء ولا شكورا أى لا نطلب منكم مجازاة تكافؤا بها ولا ان تشكرونا عند الناس قال مجاهد وسعيد بن جبير اما والله ما قالوه بالسنة منهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأتى عليهم به ليرغب فى ذلك راغب اننا نخاف من ربنا يوما عبوسا قطريرا أى انما

(لم يكن شيأ مذكورا) فى محل نصب على الحال من الانسان أو فى محل رفع صفة لحين قال الفراء وقطرب وتغلب المعنى انه كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر فى السماء ولا فى الارض ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما المراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا وقال يحيى بن سلام لم يكن شيأ مذكورا فى الخلق وان كان عند الله شيأ مذكورا وقيل ليس المراد بالذكر هنا الاخبار فان اخبار الرب عن الكائنات قديم بل هو الذى ذكره عنى الخطر والشرف كما فى قوله وانه لذكر لثقله وقلوبكم قال القشيري ما كان مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله سبحانه قال الفراء كان شيأ ولم يكن مذكورا فجعل النفي متوجها الى القيد وقيل المعنى قدممت ازمنة وما كان آدم شيأ ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد من الخليقة وقال مقاتل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره هل أتى حين من الدهر على الانسان لم يكن شيأ مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوان وعن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليهتات معنى ليهتبقى على ما كان عليه ويرى نحوه عن أبى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهو بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) فان المراد بالانسان هنا بنو آدم قال القرطبي من غير خلاف والنطفة الماء الذى يقطروه المني وكل ماء قليل فى وعاء فهو نطفة وجعلها نطفة أى خلقناه من مادة هى شئ يسير جدا من الرجل والمرأة والنطفة ماء الرجل والمرأة وأيضا الماء الصافي قل أو كثر ولا يعمل للنطفة أى لا يستعمل لها فعل من لفظها (أمشاج) صفة لنطفة وهى جمع مشج يشجن أو مشج كعدل واعدال أو مشج كشرىف وأشرف وهى الاخلاط ووقع الجمع صفة لمفرد لانه فى معنى الجمع أو جعل كل جزء من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصف بالجمع والمراد نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما يقال مشج هذا بهذافه وهو مشج أى خلط هذا بهذافه وهو مخلوط قال المبرد مشج يشج اذا اختلط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم قال الفراء أمشاج اختلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ويقال مشج هذا اذا خلط وقيل الامشاج الحجرة فى البياض والبياض فى الحجرة قال القرطبي وهذا قول يحتاره كثير من أهل اللغة وذلك لان ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فيختلق منهما الولد قيل وما كان من عصب وعظم فى نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فى ماء المرأة حتى لو زنت المرأة امرأة واجتمع المآل فى رحم احداهما خلق

نفعل هذا العمل الله أن يرخصنا بآية لنا بآية في اليوم العبوس القمطرير قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الولد عبوسا ضيقا قطريرا طويلا وقال عكرمة وغيره عنه فى قوله يوما عبوسا قطريرا قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد عبوسا العابس الشفتين قطريرا قال تقبض الوجه بالسور وقال سعيد بن جبير وقادة تعبس فيه الوجه من الهول قطريرا تقلص الحبسين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشرو والقمطرير الشديدا وضم العبارات وأجلاها وأجلاها وأعلاها وأعلاها وقال ابن عباس رضى الله عنه قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد

يقال هو يوم قطر ويوم قاطر ويوم عصب وعصب وقد اقطر اليوم بقطر اقطر ارا وذلك أشد الايام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم بني عمناهل تذكرون بلاءنا * عليكم اذا ما كان يوم قاطر قال الله تعالى فوفاهم الله شرب ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وهذا من باب التجانس البليغ فوفاهم الله شرب ذلك اليوم أى آمنهم بما خافوا منه ولقاهم نضرة أى في وجوههم وسرورا أى في قلوبهم قاله الحسن البصري وقادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك ان القلب اذا سر استنار الوجه قال كعب بن مالك (١٣٣) في حديثه الطويل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه

حتى كأنه فلة قر وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تبرق أسارير وجهه الحديث وقوله تعالى وجزاهم بما صبروا أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم الجنة وحرر أى منازل رحبا وعيشا رغدا ولما ساحتنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام ابن سليمان الداراني قال قرئ على ابى سليمان الداراني سورة هل اتى على الانسان فلما بلغ القارئ الى قوله تعالى وجزاهم بما صبروا الجنة وحريرا قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم انشديقول

كم قيل لشهوة واسير
أف من مشتهى خلاف الجليل
شهووات الانسان تورثه الذل

سل وتاقية في البلاء الطويل
(متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهرا وادانية عليهم ظلالها وزلت قطوفها تذليل لا يطفأ عليهم باقية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا ويستون

الولد بلا عظم وقد وقع ذلك في عصر السلطان غياث الدين فلم يدر السلطان بجمع اطباء والعلماء فلم يدر كواشياً من شأنه فأرسل الاستفتاء الى علماء نطفر اباد فقال محمد بن الحاج انه خلق من ماء امرأتين فتفحص السلطان فظهر أنه كذلك وقيل الامشاج أطوار الخلق نقطة ثم علقه ثم مضغة ثم عظام ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر قال ابن السكيت الامشاج الاخلاط لانها امتزجة من أنواع يخلق الانسان منها وطباع مختلفة وقيل الامشاج لفظ مفرد كبرمة اعشار ويؤيدها ذاقوه نعمنا للنطفة قال ابن مسعود أمشاجها عروقها وعن ابن عباس قال ماء الرجل وماء المرأة حين يحتلطان وعنه قال نقطة الرجل بيضاء وجرعاء ونطفة المرأة خضراء وجرعاء وعنه قال الامشاج الذي يخرج على اثر البول كقطع الاوتار ومنه يكون الولد وجهه (بتبليبه) في محل نصب على الحال من فاعل خلقنا أى مردين ابتلاء حين تأهله ويجوز أن يكون حالا من الانسان والمعنى بتبليبه بالخير والشر والتكاليف قال الفراء معناه والله أعلم (جعلناه سميعا بصيرا) بتبليبه وهى مقدمة معناه التأخير لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وعلى هذا هذه حال مقدرة وقيل مقارنة وقال الكرخي لا حاجة الى دعوى التقديم والتأخير مع صحة المعنى بدونه وقيل معنى الابتلاء نقله من حال الى حال على طريقة الاستعارة والاول أولى والمراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وخصهما بالذكرا لانهما أعظم الحواس وأشرفها قال الخطيب أى جعلناه عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل بصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصيح تكليمه وابتلاءه وقدم السمع لانه أنفع في المخاطبات ولان الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية وقيل المراد بالسمع المطيع كقولهم سمعوا وطاعة وبالسمع العالم يقال لفلان بصر في هذا الامر أى علم والاول أولى ثم ذكر سبحانه انه أعطاه ما يصح معه الابتلاء فقال (انا هديناه السبيل اما شاكر اما كفورا) أى بيناه وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر بأدلة السمع والعقل كما في قوله وهديناه النجدين قال مجاهد أى بينا السبيل الى السقاوة والى السعادة وقال النخاع والسدى وأبو صالح السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التى يهتدى اليها بطبعه وكمال عقله واتصاب شاكر وكفورا على الحال من مفعول هديناه أى مكناه من سلوك الطريق في حاله جميعا وقيل على الحال من السبيل على المجازى

فيها كما سا كان من اجهاز نجيبا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذ ارايتهم حسبهم أولوا منتورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما سبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى متكئين فيها على الارائك وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات وذكر الخلاف في الاتكاء هل هو الاضطجاع أو الترفق أو التربع أو التمكن في الجلوس وان الارائك هى السرر تحت الجلال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهرا أى ليس

عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدى لا يغيغون عنها حولا ودانية عليهم ظلالها اي قرية اليهم اغصانها
وذلت قطوفها تذليل لاى متى تعاطا مدنا القطف اليه وتدل من اعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الاخرى وجنى
الجتين دان وقال جل وعلا قطوفها دانية قال مجاهد وذلت قطوفها تذليل ان قام ارتفعت معه وان قعدت ذلت حتى ينالها
وان اضطلع بذلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى تذليل وقال قتادة لا يراد ايديهم عنها شوك ولا بعدد وقال مجاهد ارض
الجنة من ورق وتراب المسك وأصول شجرها (١٣٤) من ذهب وفضة وافنانها من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والورق

والثمر بين ذلك فمن أكل منها
فأعالم تؤذنه ومن أكل منها فاعدا
لم تؤذنه ومن أكل منها مضطجعاً لم
تؤذنه وقوله جلت عظمته ويطاف
عليهم بآنية من فضة وأكواب أى
يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام
وهي من فضة وأكواب الشراب
وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا
خراطيم وهذه قوارير قوارير من
فضة فالأول منصوب بخبر كان أى
كانت قوارير والثاني منصوب
أما على البدلية أو تمييزاً لأنه بينه
بقوله جل وعلا قوارير من فضة
قال ابن عباس ومجاهد والحسن
البصري وغير واحد ياض الفضة
في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون
الامن زجاج فهذه الاكواب هي
من فضة وهي مع هذا شفافة يرى
ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما
لا نظير له في الدنيا قال ابن المبارك
عن اسمعيل عن رجل عن ابن
عباس ليس في الجنة شيء الا قد
اعطيتم في الدنيا شبهه الا قوارير
من فضة رواه ابن ابي حاتم وقوله
تعالى قدر وهاتقدراى على قدر
زيهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي

عرفناه السبيل اما سبيلاً شاكرا واما سبيلاً كفورا وحكى مكى عن الكوفي عن ان قوله اما
هي ان الشرطية زيدت بعدها ما أى يناله الطريق ان شكروا وكفروا واختارها هذا
الفراء ولا يميزه البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسماء الا أن يضم
بعدها فعل ولا يصح هنا اضممار الفعل لانه كان يلزم رفع شاكرا وكفورا ويمكن أن
يضعرفعل نصب شاكرا وكفورا وتقديره ان خلقناه شاكرا فشاكروا وخلقناه كفورا
فكفروا وهذا على قراءة الجملة واما بكسر الهمزة وقرأ أبو السمال وأبو العجاج بفتحها
وعلى الفتح هي اما العاطفة في لغة بعض العرب أو هي التنصيلية وجوابها مقدرة
وقيل انصب شاكرا وكفورا بضمها كان والتقدير سواء كان شاكرا أو كان كفورا ولما كان
الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثيرا من يتصف به ويكثر وقوعه عن
الانسان بخلاف الشكر قال كفورا بصيغة المبالغة كذا في النهر أو هو مرعاة لرؤس
الاسميين سبحانه ما أعد للكافرين فقال (انا أنعمنا على الكافرين سلاسل وأغلالا
وسعيرا) قرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلاتسوين
ووقف قبل عن ابن كثير وجزء بغير ألف والباقون وقفوا بالالف ووجه من قرأ بالتسوين
في سلاسل مع كونه صيغة منتهى الجموع انه قصد بذلك التناسب لان ما قبله وهو اما شاكرا
واما كفورا وما بعده وهو أغلالا وسعيرا منون أو على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف
كما حكاه الكسائي وغيره من الكوفيين عن بعض العرب قال الاخفش سمعنا من
العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل في الاسماء الصرف وترك الصرف
لعارض فيها قال الفراء هو على لغة من يجر الاسماء كلها الاقوالهم هو أن طرف منك فانهم
لا يجرونه وقيل ان التسوين لموافقة رسم المصاحف المكية والمدنية والكوفية فانها فيها
بالالف وقيل ان هذا التسوين بدل من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف
والسلاسل قد تقدمت نفسها والخلاف فيها هل هي القيود أو ما يجعل في الاعناق كما في
قول الشاعر * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل * والسلاسل جمع سلسله أى يشدون
ويسحبون بها في النار والاغلال جمع غل تغل به الايدي الى الاعناق وقد تقدم تفسير
السعير وهي نار مهيجة يعذبون بها ولما أوجز في جزاء الكافرين ذكر ما أعد له للشاكرين
وأطنب تأكيد الترغيب فقال (ان الارار يشربون من كأس) الارار أهل الطاعة

معدة لذلك مقدرة بحسب رضى صاحبها هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وابى صالح وقتادة والاخلاص
وابن ابري وعبد الله بن عبيد بن عمير والشعبي وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا البالغ في الاعتناء والشرف والكرامة وقال
العوفي عن ابن عباس قدر وهاتقدرا قدرتك للكف وهكذا قال الربيع بن أنس وقال الضحاك على قدر كفاف الخادم وهذا
لا ينافي القول الاول فانها مقدرة في القدر والذى وقوله تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا أى ويسقون بمعنى
الاراء ايضا في هذه الاكواب كأسا أى خرا كان مزاجها زنجبيلا فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو

حار لي تعدل الامر وهو لا يزوج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة واما المقربون فانهم يشربون من كل منهم ماصرفا كما قال قتادة وغير واحد وقد تقدم قوله جل وعلا عينا يشرب بها عباد الله وقال ههنا عينا فيها تسمى سلسبيلا أى الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا قال عكرمة اسم عين في الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة سبلها وخدمة جريتها وقال قتادة عينا فيها تسمى سلسبيلا عين سلسة مستند ماؤها وحكي ابن جرير عن بعضهم انما سميت بذلك لسلاستها في الخلق واختار هو وانما تسمى ذلك كله وهو كما قال وقوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا (١٢٥) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة مخلدون أى على حالة

واحدة مخلدون عليهم الا يتغيرون عنها لاتزيد اعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الاقرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لان الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير وقوله تعالى اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا أى اذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة

ولذتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منشورا ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنشور على المكان الحسن قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو مامن أهل الجنة من أحد الايسمى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ماعليه صاحبه وقوله جل وعلا واذا رأيت ثم أى واذا رأيت يا محمد ثم أى هناك يعنى فى الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها ومافها من الخبرة والسرور رأيت نعيما وملكا كبيرا أى مملكة الله هناك عظمة وسلطانا باهرا وثبت فى الصحيح ان الله تعالى يقول لا خير أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة

والاخلاص والصدق جمع برأ وبار قال فى الصحاح جمع البر البرار وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويبره أى يطيعه وقال الحسن البر الذى لا يؤذى الذرو وقال قتادة البرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وقيل هم الصادقون فى ايمانهم المطيعون لربهم الذين سميت هم منهم عن المحقرات فظهرت فى قلوبهم نياييع الحكمة وقيل سماهم البرار لانهم مروا الآباء والابناء والكاس فى اللغة هو الاناء الذى فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا بل هو اناء ولا وجه لتخصيصه بالزجاجة بل يكون من الزجاج ومن الذهب والفضة والصينى وغير ذلك وقد كانت كاسات العرب من أجناس مختلفة وقد يطلق الكأس على نفس الخمر كما فى قول الشاعر

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

(كان مزاجها كافورا) أى ما يخالطها وتنزج به يقال مزج به مزججه مزججه من جأى خلطه يخلطه خلطا ومنه مزاج البدن وهو ما يمزج به من الاخلاط والكافور قيل هو اسم عين فى الجنة يقال لها الكافور أى تنزج خمر الجنة بماء هذه العين وقال قتادة ومجاهد تنزج لهم بالكافور وتختتم لهم بالمسك وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل انما الكافور فى ريحها لافى طعمها وقيل انما أراد الكافور فى بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب كما فى قوله حتى اذا جعله نارا أى كاد وقال ابن كيسان طيبها المسك والكافور والزنجبيل وقال مقاتل ليس هو كافور الدنيا وانما يسمى الله ماعنده بما عندكم حتى تهتدى له القلوب والجله فى محل جرسفة لكأس وقيل ان كان ههنا زائدة أى من كأس مزاجها كافور وقرأ عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف قال السمين وهذا من التعاقب بين الحرفين وقوله (عينا) بدل من كافور لان ماءها فى بياض الكافور وقال مكى انها بدل من محل من كأس على حذف مضاف كأنه قيل يشربون خمر اخر عين وقيل انها منتصبة على انها مفعول يشربون أى عينا من كأس وقيل هى منتصبة على الاختصاص قاله الاخفش وقيل باضا مرفعل يفسره ما بعده أى يشربون عينا وذكر السمين فى نصبها وجوها والاول أولى (يشرب بها عباد الله) أى أولياؤه والمؤمنون والجله صفة لعينا وقيل الباء فى ههنا زائدة ويؤيده قراءة ابن أبى عملة يشربها وقيل بمعنى من قاله الزجاج وقيل ان يشرب مضمن معنى يلتذ وقيل هى متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكأس وقيل انها

دخولا اليها ان لك مثل الدنيا وعشر أمثالها وقد قدمنا فى الحديث المروى من طريق نويرة بن أبى فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر الى أقصاه كما ينظر الى ادناه فاذا كان هذا عطاؤه تعالى لادنى من يكون فى الجنة فاطنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى وقد روى الطبرانى ههنا حديثا غير واحد فقال حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلى حدثنا عقبه بن سالم عن أبوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال له رسول الله سل واستفهم فقال يا رسول الله فضلت عسلنا بالصور والالوان

والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به أنى لكائن معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبجمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل لياقئ يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفذ ذلك كله الا ان يتغمده الله برحمته ونزلت هذه السورة هل أنى (١٣٦) على الانسان حين من الدهر الى قوله ملكا كبيرا فقال الحبشي وان عيني

لترى ما ترى عينك في الجنة قال نعم فاستبكي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه في حفرة بيده وقوله جل جلاله عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس وحلوا أساور من فضة وهذه صفة الاررار واما المقربون فكما قال تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال بعده وسقاهم ربهم شرابا طهورا أى طهروا طينهم من الخسد والحقد والغل والاذى وسائر الاخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال اذا انتهى أهل الجنة الى باب الجنة وجدوا هناك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوهم من احداهما فأنزه الله ما فى بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الاخرى فخرت عليهم

حالية أى مخرجة بها وقال الفراء يشربها ويشرب بها سواء فى المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينتفع (يفجرونها تفجيرا) أى يجبرونها الى حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاؤون ويتبعهم ماؤها الى كل مكان يريدون وصوله اليه فهم يشقونها شقا كما يشق النهر ويفجر الى هنا وهنا قال مجاهد يقودونها حيث شاؤوا وتتبعهم حيث مالوا مالت معهم أى فهم سهل لا تنزع عليهم والجملة صفة أخرى لعيينا وجملة (يوفون بالندر) مستأنفة مسوقة لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر وكذا ما عطف عليها ومعنى النذر فى اللغة الايجاب والمعنى يوفون بما أوجب الله عليهم من الطاعات قال قتادة ومجاهد يوفون بطاعة الله من الصلاة والحج ونحوه ما وفى به بالغنى فى وصفهم بالتوفيق على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجب له هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجب الله عليه وفى وقال عكرمة يوفون اذا نذروا فى حق الله سبحانه والنذر فى الشرع ما أوجب المكلف على نفسه فالمعنى يوفون بما أوجبوه على أنفسهم قال الفراء فى الكلام اضمارا أى كانوا يوفون بالنذر فى الدنيا وقال السكبي يوفون بالنذر أى يتممون العهود لدقوله تعالى وأوفوا بالعقود أمر وبالوفاء بهم لانهم عقدوها على أنفسهم باعتمادهم الايمان والاولى حمل النذر هنا على ما أوجب العبد على نفسه من غير تخصيص (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) المراد يوم القيامة ومعنى استطارة شره فشوه وانتشاره غاية الانتشار يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير وهو استتفعل من الطيران والعرب تقول استطار الصدى فى القارورة والزجاجة اذا امتد ويقال استطار الحريق اذا انتشر وهو ابلغ من طار قال الفراء المستطير المستطيل قال قتادة استطار شر ذلك اليوم حتى ملا السموات والارض قال مقاتل كان شره فاشى ما فى السموات فانتشرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزع الملائكة وفى الارض نسفت الجبال وغارت المياه وفى الآية اشارة لحسن عقيدتهم واجتنابهم المعاصي (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيموا وأسيرا) أى يطعمون هؤلاء الثلاثة الاصناف الطعام مع حبه لديهم وقلته عندهم قال مجاهد على قلته وحبه اياه وشبهه بهم له فقوله على حبه فى محل نصب على الحال أى كأنهم على حبه ومثله قوله لن تناولوا البرحتى تنفقوا مما يحبون وقيل على حب الاطعام لرغبتهم فى الخير قال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وقيل الضمير يرجع الى الله أى يطعمون اطعام

كأننا

نصرة النعيم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا أى يقال لهم ذلك تذكير بحالهم واحسانا اليهم كما قال تعالى كانوا شرابا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية وكقوله تعالى ونودوا أن تلکم الجنة أو تشرها بما كنتم تعملون وقوله تعالى وكان سعيكم مشكورا أى جزاءكم الله تعالى على القليل بالكثير (اننا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاستجد له وسجدة لإلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم

واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً وما نشأؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً يقول تعالى نعمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أئزته عليه من القرآن العظيم تنزيلاً فاصبر لحكم ربك أي كما أكرمت بما أئزت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيد ربك بحسن تدبيره ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً أي لا تطع الكافرين والمنافقين ان أرادوا صدك عما أئزل اليك بل بلغ ما أئزل اليك من ربك وتوكل على الله فان الله يعصمك من الناس فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (١٣٧) واذا كرستم ربك بكرة وأصيلاً أي أول النهار

وأخره ومن الليل فاصجد له وسبحه ليلاً طويلاً كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً وكقوله تعالى يا أيها المزمّل قم الليل الا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ثم قال تعالى منكر ا على الكفار ومن أشبه بهم في حب الدنيا والقبال عليها والانصباب اليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً يعني يوم القيامة ثم قال تعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني خلقهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً أي واذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فاعدناهم خلقاً جديداً وهذا استدلال بالبداة على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً أي واذا شئنا أثبتنا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً وكقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديداً وما

كان سأل على حب الله ويؤيده هذا قوله الا انما نطعمكم لوجه الله والاول امدح لان فيه الاشارة على النفس والطعام محبوب للفقر والاعنياء والمساكين ذوا المسكنة وهو الفقير ومن هو أفقر من الفقير والمراد باليتيم يتامى المسلمين والاسير الذي يؤسر فيحبس قال قتادة ومجاهد الاسير المحبوس وقال عكرمة الاسير العبد وقال أبو جزة الثمالي الاسير المرأة قال سعيد بن جبيرة نسخ هذا الاطعام آية الصدقات وآية السيف في حق الاسير الكافر وقال غيره بل هي محكمة واطعام المسكين واليتيم على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى أن يتخبر فيه الامام قال ابن عباس أسيرا هو المشرك وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله مسكيناً قال فقير أو يتيم قال لأب له وأسيرا قال المملوك والمسجون أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم وعن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن مردويه وقيل عامة في كل من أطمع هؤلاء لله وأترع على نفسه وجلة (انما نطعمكم لوجه الله) في محل نصب على الحال بتقدير القول أي يقولون بلسان المقال أو بلسان الحال أو قائلين انما نطعمكم يعني انهم لا يتوقعون المكافاة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك وهذا الوصف من باب التكميل فقد وصفهم أولاً بالجود والبذل وكله بان ذلك عن اخلاص لا رياء فيه قال الواحدي قال المفسرون لم يتكلموا بهذا ولكن علمه الله من قلوبهم فأنشئ عليهم وعلم من ثنائه انهم فعلوا ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه (لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) أي لا نطلب منكم المجازاة على هذا الاطعام ولا نريد منكم الشكر لنابل هو خالص لوجه الله وهذه الجملة مقرر لما قبلها لان من أطمع لوجه الله لا يريد المكافاة ولا يطلب الشكر له من أطمعه (انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قطيراً) أي نخاف عذاب يوم متصف بهاتين الصفتين ومعنى عبوسانه يوم تعبس وتكلم فيه الوجوه من هوله وشدة فاعلني انه ذو عبوس قال الفراء وأبو عبيدة والمبرد يوم قطير وقاطر اذا كان صعباً شديداً قال الاخفش القمطر يرأسد ما يكون من الايام وأطوله في البلاء قال الكسائي أقطر اليوم وازمهر اذا كان شديداً صعباً وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطر بالجهة والحاجبين فجعلهم من صفات المتغير في ذلك اليوم بما يرام من الشدائد قال أبو عبيدة يقال قططر يرأي منقبض ما بين العينين والحاجبين قال الزجاج يقال اقطرت المناقة اذا

(١٨ - فتح البيان عاشر) ذلك على الله بعزير ثم قال تعالى ان هذه تذكرة يعني هذه السورة تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً أي طريقاً ومسلكاً أي من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى وماذا اعلمهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الآية ثم قال تعالى وما نشأؤن الا ان يشاء الله أي لا يقدر أحد ان يهدي نفسه ولا يدخل في الايمان ولا يخرج لنفسه نفعاً الا ان يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً أي علمه عن يستحق الهداية فيسير هاله ويقض له أسباباً ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى ان الله كان عليماً حكيماً ثم قال يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له آخر تفسير سورة الانسان والله الحمد والمنة

(تفسير سورة والمرسلات وهي مكية) قال البخاري ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غيث ثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار بني اذ نزلت عليه والمرسلات فانه ليتلوها وانى لا تلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حمية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقللوها فابتدرواها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيت شركها واخرجهم مسلم أيضا من طريق الأعمش وقال الامام أحمد ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس (١٣٨) عن أمه انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات

عرفا وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس ان أم الفضل سمعته يقرأ والمرسلات عرفا فقال يا بني اذكر تني بقراءتك هذه السورة انها آخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب آخر جاهد في الصحيحين من طريق مالك به

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفوا والناشرات نشرت فالنفارات فرقها فالملقيات ذكر اعذرا أو نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل أقت لا مئ يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين) قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا زكريا بن سهل المروزي ثنا علي بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة والمرسلات عرفا قال الملائكة وروى عن مسروق وأبي الضمى ومجاهد في إحدى الروايات والسدى والربيع ابن أنس مثل ذلك وروى عن أبي

رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها ما سبقها من القطر وجعل الميم مزيدة وقال ابن عباس عبوسا ضيفا قطريها طويلا وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عبوسا قطريها قال يقبض ما بين الابصار وقال ابن عباس القمطيرير الرجل المنقبض ما بين عينيه ووجهه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أي دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه واطعامهم لوجهه والفسا سبية (ولقاها من نضرة وسرورا) أي أعطاها بدل العبوس في الكفار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب بدل الخوف قال الغصانك النضرة البياض والنفاء في وجوههم وقال سعيد بن جبيرة الحسن والبهاء وقيل النضرة أثر النعمة وعن ابن عباس قال نضرة في وجوههم وسرورا في صدورهم (وجزاهم بما صبروا) أي بسبب صبرهم على التكليف وقيل على الفقر وقيل على الصوم والاولى حمل الآية على الصبر على كل شيء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه (جنة وحريرا) أي أدخلهم الجنة والبسهم الحرير وهو لباس أهل الجنة عوضا عن تركه في الدنيا امتثالا لما ورد في الشرع من تحريمه والمراد بالجنة هنا بستان الماسكولات لا ما يقابل النار وهي دار الكرامة حتى يقال أي حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتهلة عليه في جلة ما أعد في الآخرة للمؤمنين وظاهر هذه الآيات العموم في كل من خاف من يوم القيامة وأطم لوجه الله وخاف من عذابه والسبب وان كان خاصا كما تقدم فلا اعتبار به عموم اللفظ لا بخصوص السبب ويدخل سبب النزول تحت عمومها دخول أوليا وقوله (متكئين فيها على الارائك) منصوب على الحال من منعول جزاهم والعامل فيها جزي ولا يعمل فيها صبر والان الصبر انما كان في الدنيا قال الفراء وان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال وجزاهم جنة متكئين فيها وقال الاخفش يجوز أن يكون منصوبا على المدح والضمير في فيها يعود الى الجنة وجوز أبو البقاء والزحشرى أن يكون متكئين صفة لجنة وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها الجريان الصفة على غير من هي له وقد منعهم مكي لما ذكر من عدم بروز الضمير ولا يجوز كونه حالا من فاعل صبر والان الصبر كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الآخرة والارائك جمع أريكة وهي السرر في المجال وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والستور وقد تقدم تفسيرها في سورة الكهف (لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا) الخ له في محل نصب على الحال من منعول

صالح انه قال هي الرسل وفي رواية عنه انها الملائكة وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارات جزاهم

والمليقيات انها الملائكة وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال الربيع وكذا قال في العاصفات عصفوا والناشرات نشرت انها الربيع وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقناة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في المرسلات عرفا هل هي الملائكة اذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس تتبع بعضهم بعضا أو هي الرياح اذا هبت شيئا فشيئا وقطع بان العاصفات عصفوا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه وعن ذلك في العاصفات عصفوا أيضا على ان أي طالب والسدى وتوقف في الناشرات بنسبها هل هي الملائكة أو الربيع كما تقدم وعن أبي صالح ان الناشرات نشرها المطر

والاظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهكذا العاصفات هي الرياح يقال عصفت الرياح اذا هبت بتصويت وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل وقوله تعالى فالفرقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا وأندرا يعني الملائكة قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فانما تنزل بأمر الله على الرسل فتفرق بين الحق والباطل والهدى والغى والحلال والحرام وتلقى الى الرسل وحيافيه اعذار الى الخلق وانذار لهم (١٣٩) عتاب الله ان خالفوا أمره وقوله تعالى

انما توعدون لواقع هذا هو المقسم عليه بهذه الاقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنسخ في الصور وبعث الاجساد وجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله ان خيرا نعيه وان شرا فسر ان هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة ثم قال تعالى فاذا النجوم طمست أي ذهب ضوءها كقوله تعالى واذا النجوم انكدرت وكقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت واذا السماء فرجت أي انفطرت وانشقت وبذلك أرجأوها ووهت أطرافها واذا الجبال نسفت أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينفها ربنا نسفا الآية وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وقوله تعالى واذا الرسل أقتت قال العوفي عن ابن عباس جمعت وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقال مجاهد أقتت أجات وقال الثوري عن منصور عن ابراهيم أقتت

جزاهم فتكون من الخال المترادفة أو من الضمير في متكئين فتكون من الحال المتداخلة أو صفة أخرى لجنه قال ابن مسعود الزمهرير هو البرد الشديد والمعنى انهم لا يرون في الجنة حر الشمس ولا برد الزمهرير ومنه قول الاعشى

منعمة طفلة كالمها * لم تر شمسا ولا زمهريرا

وفي الحديث هواء الجنة سحج لاحر ولا قر قاله النسفي وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي وأنشد لشاعرهم

وليله ظلامها قد اعتكر * قطعتم أو الزمهرير بما زهر

ويروى ما ظهر أي ما طلع القمر وقد تقدم تفسير هذا في سورة صريح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضا فجعل لها أنفسين نفسا في الصيف ونفسا في الشتاء فشدت ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدت ما تجدون في الصيف من الحر من سمومها (ودانية عليهم ظلالها) قرأ الجمهور دانية بالنصب عطفا على محل لا يرون أو على متكئين أو صفة لمخدوف أي وجنة دانية كانه قال وجزاهم جنة دانية وقال الزجاج هو صفة لجنة المتقدم ذكرها وقال الفراء منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مقدم وظلالها مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب على الحال والمعنى ان ظلال الاشجار قريبة منهم مظلة عليهم زيادة في نعمتهم وان كان لأشمس هنالك قال مقاتل يعني شجرها قريب منهم وقرأ ابن مسعود ودانية عليهم قال البراء بن عازب دانية قرية (وذلت قطوفها تذليلًا) معطوف على دانية كانه قال ومذلة ويجوز أن تكون الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم ويجوز أن تكون مستأنفة والقطوف الثمار جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمعنى انها سخرت ثمارها لتساووليها تسخيرًا كثيرًا بحيث يتناولها القائم والقاعد والمضطجع والمتمسك ولا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك قال النحاس المذلل القريب التناول ومنه قواهم حائط ذليل أي قصير قال ابن قتيبة ذلت أدنت من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا السمك وقيل ذلت أي جعلت منقادة لا تمتنع على قطفها كيف شاءوا عن البراء ابن عازب قال ان أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين وعلى أي حال شاءوا وفي لفظ قال ذلت فيتناولون منها كيف شاءوا ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم

أو عدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى وأشرق الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجى بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ثم قال تعالى لا أي يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين يقول تعالى لا أي يوم أجلت الرسل وأرجى أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وهو يوم النصل كما قال تعالى ليوم الفصل ثم قال تعالى معظم الشانه وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين أي ويل لهم من عذاب الله غدا وقد قدمنا في الحديث ان ويل وادى جهنم ولا يصح (ألم نهلك الاولين ثم تبعهم الاخرين كذلك نفعل بالجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم

بأربعين سنة (ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمعنوا قليلاً انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه اداء الواجبات وترك المحرمات انهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أى بخلاف ما أولئك الاشقياء فيه من ظل الجحيم وهو الدخان الاسود المذمت وقوله وفواكه مما يشتهون أى ومن سائر أنواع الثمار هم ما طلبوا (١٤٢) وجدوا كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون أى يقال لهم ذلك على سبيل

الاحسان اليهم ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً انا كذلك نجزي المحسنين أى هـ ذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ويل يومئذ للمكذبين وقوله تعالى كلوا وتمعنوا قليلاً انكم مجرمون خطاب للمكذبين يوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقد ل تعالى كلوا وتمعنوا قليلاً أى مدة قليلة قريبة قصيرة انكم مجرمون أى ثم تساقون الى نار جهنم التي تقدم ذكرها ويل يومئذ للمكذبين كما قال تعالى تمتعهم قليلاً ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وقال تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الدنيا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون أى اذا أمر هؤلاء الجاهلة من الكفار ان يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين ثم قال تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون أى اذا لم يؤمنوا به هذا القرآن فبأى كلام يؤمنون به كقوله تعالى

ما في الدنيا الا في مجرد الاسم لكن الله سبحانه يرغب الناس ويطمعهم بان يذركلهم أحسن شئ وألذ وأطيبه مما يعرفونه في الدنيا لاجل أن يرغبوا ويسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم (عيناً فيها تسمى سلسيلاً) انتصاب عيناً على انها بدل من كأس ويجوز أن تكون منصوبة بفعل مقدر أى يسقون عيناً ويجوز أن تكون منصوبة بنزع الخافض أى ومن عين والسلسيل الشراب اللذيذ مأخوذ من السلاسة تقول العرب هـ ذا شراب سلس وسلسال وسلسيل أى طيب لذيذ قال الزمخشري وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسيل في اللغة اسم للماء في غاية السلاسة حديد الجرية يسوغ في خلقهم ومنه قول حسان بن ثابت يسقون من ورد البريض عليهم * كأساً يصفق بالرحيق السلسيل وقال ابن الاعراب لم أسمع السلسيل الا في القرآن وقال مكي هو اسم مجمى نكرة فلذلك صرف ووزنه مثل درديس وقيل فعقليل لان الفاء مكررة وقيل سلسلة منقاد لهم بصرفونه حيث شاؤوا والاول أولى وقال الخازن معنى تسمى توصف لان أكثر العلماء على ان سلسيلاً صفة لا اسم انتهى قال مقاتل بن حيان سميت سلسيلاً لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تتبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان قال البغوي وشراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير ذئع قال مقاتل يشر به المقربون صرفاً وتزج اسائر أهل الجنة ولما فرغ سبحانه من وصف شرابهم ووصف آياته وصف السقااة الذين يسقونهم ذلك الشراب فقال (ويطوف عليهم) بالشراب (ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة أى غلمان هم في سن من هودون البلوغ قال بعض المفسرين هم غلمان يشبههم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم هم أطفال المؤمنين لانهم ما نوا على الفطرة وقال ابن برحان وأرى والله أعلم أنهم من علم الله تعالى إيمانهم من أولاد الكفار ويكون خداماً لأهل الجنة كما كانوا في الدنيا لاسباباً وخداماً وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم تأناسر ورأبهم وفي الخازن في سورة الواقعة والصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله تعالى أنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالخوارج ولم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة انتهى قلت الله أعلم بهم ولا أقول فيه هم بشئ عظمنا وتخميننا اذ لم يرد نص صريح صحيح في كتاب الله ولا في سنة رسوله فالوقف أولى وأحوط (مخلدون)

فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن اسمعيل بن أمية اي سمعت رجلاً اعرايا يابداً يقول سمعت أبا هريرة يرويه اذا قرأ والمرسلات عرفاً فقرأ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله وبما أنزل وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة آخر تفسير والمرسلات والله الحدود والمنة وبه التوفيق والعصمة (تفسير سورة النبأ وهي مكية) (بسم الله الرحمن الرحيم عم يساء لون عن النبأ العظيم الذي هم مختلفون فيه كلا سميعون ثم كلا سميعون ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم ثم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ونبينا فوقكم سبْعاً شداًداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وانزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً لتخرج به حياطيناً وحناناً ألقافاً يقول

تعالى منكرا على المشركين في تساولهم عن يوم القيامة انكار الوقوعها ثم يتساءلون عن النبأ العظيم أى عن أى شئ يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعنى الخبر الهائل المفظع الباهر قال قتادة وابن زيد النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن والظاهر الاول لقوله الذى هم فيه مختلفون يعنى الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعد المنكرى القيامة كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ثم شرع تبارك وتعالى بين قدرته العظيمة على خلق الاشياء الغريبة والامور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره (١٤٣) فقال ألم نجعل الارض مهادا أى مهدا

للخلايق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة والجبال أوتادا أى جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تنطرب عن عليها ثم قال تعالى وخلقناكم أزواجا يعنى ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا أى قطعنا للبركة لحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان وجعلنا الليل لباسا أى يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال والليل اذا يغشاها وقال الشاعر

فلماليل الليل أوحين نصبت

له من خذا اذا نهى وهو جانح

وقال قتادة في قوله تعالى وجعلنا

الليل لباسا أى سكا وقوله تعالى

وجعلنا النهار معاشا أى جعلناه

مشرقا نيرا مضيا ليتمكن الناس

من التصرف فيه والذهاب والرجوع

للمعاش والتكسب والتجارات

أى باقون على ما هم عليه من الشباب والطفولة والنضارة لا يهرمون ولا يتغيرون وقيل المعنى لا يموتون وقيل التخليد التحلية أى يحلون (اذا رأيتهم حسببتهم لؤلؤا منورا) أى اذا نظرت اليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم وانبثايتهم في مجالسهم لؤلؤا منورا قال عطاء بن ريدى بياض اللون وحسنه واللؤلؤ اذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوما قال أهل المعاني انما شبهوا الانتثارهم في الخدمة ولو كانوا صفوا لشبهوا بالمنظوم قيل انما شبههم بالمنور لانهم سراع في الخدمة بخلاف الجور والعين فانه شبههم باللؤلؤ المكنون لانهم لا يمتحن بالخدمة عن أبى عمرو قال ان أدنى اهل الجنة منزل من يسعى عليه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحب به وتلا اذا رأيتهم حسببتهم الخ اخرج ابن المبارك وحماد وعبد بن حميد والبيهقي في البعث (واذا رأيت ثم) أى واذا رميت ببصرك هناك يعنى في الجنة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اول كل من يدخل الجنة ثم ظرف مكان مختص بالبعد والعامل فيها رأيت قال الفراء في الكلام ما مضى على رأيت ما ثم قوله لقد تقطع بينكم أى ما بينكم قال الزجاج معترض على الفراء انه لا يجوز استعمال الموصول وترك الصلة ولكن رأيت يتعدى في المعنى الى ثم والمعنى اذا رأيت ببصرك ثم يعنى بتم الجنة وقيل ان رأيت ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه أن بصرك أينما وقع في الجنة (رأيت نعيمًا) لا يوصف والنعيم سائر ما يتمتع به (وملكا كبيرا) لا يقادر قدره قال السدى الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم وكذا قال مقاتل والكلبي وقيل واسعا لا غاية له وقيل كون التعجبان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك واعظمهم منزلة من ينظر الى وجهه به كل يوم (عالمهم ثياب سندس) قرأ نافع وحزرة وابن محيصن عالمهم يسكون الياء وكسر الهاء وهى سبعية على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر أو على ان عالمهم مبتدأ وثياب مرتفع بالفاعلية وان لم يعتمد الوصف كما هو مذهب الاخفش وقال الفراء هو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب واسم الفاعل مراد به الجمع وقرأ الباقر بنسخ الياء وضم الهاء التحريك ما قبلها على انه ظرف كأنه قيل فوقهم ثياب قال الفراء ان عالمهم يعنى فوقهم وكذا قال ابن عطية قال أبو حيان عال وعالية اسم فاعل فيحتاج في كونه ما ظرفين الى أن يكون منقبولا من كلام العرب وقد تقدم الى هذا الزجاج وقال هذا مما لا نعرفه في الظروف ولو كان ظرفا لم

وغير ذلك وقوله تعالى وينينا فوقكم سبع عرشا اذ يعنى السموات السبع في اتساعها وارتفاعها واحكامها واتقانها وترتيبها

بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعنى الشمس المنيرة على جميع العالم التى توهج ضوءها

لاهل الارض كلهم وقوله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء تنجا قال العوفي عن ابن عباس المعصرات الرياح وقال ابن أبى حاتم ثنا

أبو سعيد شأبأ وداود الحفري عن سفيان عن الأعشى عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وأنزلنا من المعصرات قال

الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن انها الرياح ومعنى هذا القول انها تستدر

المطر من السحاب وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس من المعصرات أي من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير وقال الفراء هي السحاب التي تهلب بالمطر ولم تطر بعد كما يقال مرة معصر اذا ناحتضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعني السموات وهذا قول غريب والظاهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله أي من بينه وقوله جل وعلاما نجاجا قال مجاهد (١٤٤) وقتادة والربيع بن أنس نجاجا منصبا وقال الثوري متتابعا وقال ابن زيد كثيرا

وقال ابن جرير ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة النجج وإنما النجج الصب المتتابع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم أفضل النجج العجج والنجج يعني صب دماء البدن هكذا قال قلت وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنعت لك الكرسف يعني أن تحتشي بالقطن فقالت يا رسول الله هو أكثر من ذلك إنما أئجج نججا وهذا فيه دلالة على استعمال النجج في الصب المتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى لنخرج به حبانا ونباتا وجنات ألفافا أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك حبا يدخر للأنبياء والأنعام ونباتا أي خضرا يؤكل رطبا وجنات أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متساوية وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألفافا قال ابن عباس وغيره ألفافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على

يجزا سكان اليامول كمنه نصب على الحال من شيئين أحدهما الهاء والميم في قوله يطوف عليهم أي على الأبرار ولدان عالما الأبرار ثياب سندس أي يطوف عليهم في هذه الحال والثاني أن يكون حال من ولدان أي إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب أبدانهم قلت قد وردت ألفاظ من صيغ أسماء الفاعلين ظرفا ونحو خارج الدار ودخلها وباطنها وظاهرها فكذلك هذا فلا وجه للانكار وقال أبو علي الفارسي العامل في الحال أما لقاهم نضرة وأما جزاهم عاصبر وأقال ويجوز أن يكون ظرفا وقرئ عليهم وهي قراءة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة واختار أبو عبيد الأول لقراءة ابن مسعود عليهم وقرأ الجمهور ثياب سندس بالاضافة على معنى من وقرأ أبو حيوة وابن أبي عمير بفسكه وورفع سندس و (خضر واستبرق) على أن السندس نعت للثياب لأن السندس نوع منها وعلى أن خضر نعت للسندس لأنه يكون أخضر وغير أخضر وعلى أن استبرق معطوف على سندس أي وثياب استبرق والجمهور من القراء اختلفوا في خضر واستبرق مع اتفاقهم على جر سندس باضافة ثياب إليه فقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وابن محيصن بجر خضر نعتا للسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب أي عليهم ثياب سندس وعليهم استبرق وقرأ أبو عمرو وابن عامر برفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نعتا للسندس واختار هذه القراءة أبو حاتم وأبو عبيد لأن الخضر أحسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة والاستبرق من جنس السندس وقرأ نافع وحفص برفع خضر واستبرق لأن خضر نعت للثياب واستبرق عطف على الثياب وقرأ الأعشى وحزرة والكسائي بجر خضر واستبرق على أن خضر نعت للسندس واستبرق معطوف على سندس واستشكل على هذه القراءة وكذا على قراءة جر الأول ورفع الثاني بوقوع خضر الذي هو جمع نعتا للسندس الذي هو مفرد والجواب أن السندس اسم جنس واحد سندسة ووصف اسم الجنس بالجمع شائع فصيح على حدويني السحاب النقال وقرأوا كلهم بصرف استبرق الابن محيصن فانه قرأ بعدم صرفه قال لأنه أعجمي ولا وجه لهذا لأنه نكرة لأن يقول انه علم لهذا الجنس من الثياب والسندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد تقدم تفسيرهما في سورة الكهف (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ماض لفظا مستقبلا معنى وأبرزه بالماضى لتحقيقه ذكر سبحانه هنا أنهم يحلون بأساور الفضة وفي سورة الفاطر

بعض في الأكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون (ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفقت يحلون السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين ما بالابئين فيها أحقابا لا يدقون فيها براد ولا شرابا الا حميا وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلنزيدكم العذابا يقول تعالى مخبرا عن يوم النصل وهو يوم القيامة انه مؤقت باجل معدود ولا يزداد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين الا الله عز وجل كما قال تعالى وما تؤخره الا لأجل معدود يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا قال مجاهد من أزمرا قال ابن جرير

يعني تأتي كل امة مع رسولها كقوله تعالى يوم ندعو كل اناس بأمامهم - وقال البخاري يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا حداثا محمد حدثنا يوم معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفتحت السماء فكانت أبوابا وطرقا ومسالك تزدول الملائكة وسيرت الجبال فكانت سرابا (١٤٥) كقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب وكقوله تعالى

وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال ههنا فكانت سرابا أي يتخيل الى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا خافا نصفها لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال تعالى ويوم نسف الجبال وترى الارض بارزة وقوله تعالى ان جهنم كانت مرصدا أي مرصدة لمعدة للطاغين وهم المردة العصاة المخالفون للرسول ما بأى مرجعها ومنقلبها ومسيرها ونزل وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى ان جهنم كانت مرصدا يعني انه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فان كان معه جواز نجا والا احتبس وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر وقوله تعالى لا تبين فيها احقابا أي ما كثر فيها احقابا وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن جهم عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي بن أبي طالب لعل

يحلون فيها من أساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولو أووا ولا تعارض بين هذه الآيات لا مكان الجمع بان تجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولو أووا لتجتمع لهم محاسن الجنة أو بان المراد لهم يلبسون سوارات الذهب تارة وسوارات الفضة تارة وسوارات اللؤلؤ تارة وأنه يلبس كل أحد منه ما تميل اليه نفسه من ذلك أو حلى الرجال الفضة وحلى النساء الذهب وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان واسورة الذهب للنسوان وقيل هذا بحسب الاوقات والاعمال (وسقاهم ربه شرابا طهورا) هذا نوع آخر من الشراب الذي عن الله عليهم به يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقياء الى الله ووصفه بالطهورية فانه يظهر شارب به عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتميز لمطالعة جماله متلذذا ببقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين قال القراء يقول هو طهور ليس بنجس كما كان في الدنيا موصوفا بالنجاسة أي لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل وقيل لا يستحيل بولا وطهور صيغة مبالغة في الطهارة والنظافة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا فشتان ما بين الشرابين والآيتين والمنزلتين قال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزاع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد قال أبو قلابة وابراهيم النخعي يؤتون بالطعام فاذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر بطونهم من ذلك وينفض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك ثم يقال لهم بعد دخولهم في الجنة ومشاهدتهم نعيمها (ان هذا) الذي ذكر من أنواع النعم (كان) في علم الله (لكم جزاء) بأعمالكم أي ثوابا لها أعده لكم الى هذا الوقت (وكان سعيدكم مشكورا) أي كان عملكم في الدنيا بطاعة الله مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب وشكر الله سبحانه لعمل عبده هو قبوله لطاعته (انما نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أي فرقناه في الانزال ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين قيل المعنى نزلناه عليك ولم تأت به من عندك كما يدعيه المشركون والمقصود من ذلك تنبيه قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرح صدره وان الذي أنزل عليه وحى ليس بكهانة ولا سحر لتزول الوحشة الحاصلة له من قول الكفار انه كهانة أو سحر (فاصبر لحكم ربك) أي لقضائه ومن حكمه وقضائه تأخير نصرته الى أجل اقتضته حكمته قيل هذا منسوخ بآية السيف (ولا تطع منهم

(١٩ - فتح البيان عاشر) الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل قال مجاهد ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وعكذروى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وعن الحسن والسدي أيضا سبعون سنة كذلك وعن عبد الله بن عمرو الحقب أربعون سنة كل يوم منها كالف سنة مما تعدون رواها ابن أبي حاتم وقال بشر بن كعب ذكر لي ان الحقب الواحد ثلثمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كالف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن علي بن أبي

بكر الاسعدي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لاثنين فيها أحقابا قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو الراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان أبو مسلم بن العلاء قال سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد فقال حدثني نافع عن ابن (١٤٦) عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والله لا يخرج من النار

أحد حتى يكثف فيها أحقابا قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصري مشهور وقال السدي لاثنين فيها أحقابا سبع مائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية مذمومة بقوله تعالى فذوقوا فلن تزيدكم إلا عذابا وقال خالد بن معدان هذه الآية وقوله تعالى إلا ما شاء ربك في أهل التوحيد رواهما ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى لاثنين فيها أحقابا متعلقا بقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح أنها الانتضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى لاثنين فيها أحقابا قال أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة كل يوم منها

أثمأوكفورا أي لا تطع كل واحد من مرتكب لائم وغال في كفر فهاه الله سبحانه عن ذلك قال الزجاج إن الألف هنا كدم الواو وحدها لأنك إذا قلت لا تطع زيد أو عرا فأطاع أحدهما كان غير عاص لأنك أمرته أن لا يطيع الاثنين فإذا قال منهم أثمأوكفورا دل ذلك على أن كل واحد منهما أهل أن يعصى كما أنك إذا قلت لا تخالف الحسن أو ابن سيرين فقد قلت إنهما أهل أن يتبعوا وكل واحد منهما أهل أن يتبع وقال الفراء أو هنا بمنزلة لا كأنه قال ولا كفورا وقيل المراد بقوله أثمأعقبة بن ربيعة وبقوله أو كفورا الوليد بن المغيرة لأنهما قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج (واذ كراسم ربك بك بكرة وأصيلا) أي دم على ذكره في جميع الاوقات وقيل المعنى صل ربك أول النهار وآخره فأول النهار صلاة الصبح وآخره صلاة العصر قال البيضاوي دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصل يتناول وقتيهما وفي الشهاب تناول الأصل للعصر ظاهرا وأما تناوله للظهر فباعتبار آخره إذا زال وما يقرب منه لا يسمى أصيلا (ومن الليل فاسجد له) أي صل المغرب والعشاء وقيل المراد الصلاة في بعض من غير تعيين ومن للتبعيض على كل تقدير والثناء الدالة على معنى الشريطة والتقدير مهما يكن من شيء فصل من الليل وهو يفيد أيضا كيد الاعتناء التام (وسجده ليلا طويلا) أي زهده عما يليق به فيكون المراد الذكر بالتسبيح سواء كان في الصلاة أو في غيرها وقيل المراد التطوع في الليل قال ابن زيد وغيره إن هذه الآية منسوخة بالصلوات الخمس وقيل الأمر للندب وقيل هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه دلائل على عدم ما قاله بعض أهل علم المعاني والبيان أن الجمع بين الحاء والهاء مثلا يخرج الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قول أبي تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معي وإذا ملته ملته وحدي

ويمكن أن يفرق بين ما أنشده وبين الآية الكريمة بأن التكرار في البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الآية فإنه لا تكرر فيها ذكر السمين (إن هؤلاء) يعني كفار مكة ومن هو موافق لهم (يحبون) الدار (العاجلة) وهي دار الدنيا (ويذرون وراءهم يومنا قتيلا) أي يتركون ويدعون خلفهم أو بين أيديهم وأمامهم يوم ما شديدا عسيرا وهو يوم القيامة وسمى ثقيلًا لما فيه من الشدائد والأحوال ووصفه بالثقل على

كألف سنة مما تعدون وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى لاثنين فيها أحقابا وهو ما لا انقطاع له وكلمة مضى

الحجاز حقب جاء حقب بعده لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله وذكرنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواهما أيضا ابن جرير وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا أي لا يجدون في جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى الإحيماء وغساقا قال أبو العالية استثنى من البرد الإحيم ومن الشراب الغساق وكذا قال الربيع بن أنس فأما الإحيم فهو الخار الذي قد انتهى حروجه وغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم

ودموعهم وجر ورحمهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجهه من تنه وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص بما غنى عن اعادته أجازنا الله من ذلك مجنه وكرمه قال ابن جرير وقيل المراد بقوله لا يذوقون فيها بردا يعني النوم كما قال الكندي بردت مرأشفتها على قصدني * عنها وعن قبلاتها البرد يعني بالبرد النعاس والنوم هكذا ذكره ولم يعزه الى أحد وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي عن مرة الطيب وثقه عن مجاهد أيضا وحكاها البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضا وقوله تعالى جزاء وفا فأى هذا الذي صاروا اليه من هذه (١٤٧) العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا

يعملونها في الدنيا قاله مجاهد وقادة وغير واحد ثم قال تعالى انهم كانوا الايرجون حسابا أي لم يكونوا يعتدقون ان ثمر دار يجازون فيها ويحاسبون وكذبوا بآياتنا كذبا أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقال بالونها بالكذب والمعاندة وقوله كذبا أي تكذيبا وهو مصدر من غير الفعل قالوا وقد سمع اعرابي يستفتي القراء على المروءة الخلق أحب اليه أو القصار وأنشد بعضهم

لقد طال ما شبطتني عن صحابي

وعن حوج قصارها من شقايا وقوله تعالى وكل شيء أحصيناه كتابا أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزهم على ذلك ان خير الخيرة ان شرافسر وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا أي يقال لاهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم الا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج قال قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله ابن عمر قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية فذوقوا فلن

المجاز لانه من صفات الاعيان لا المعاني ومعنى كونهم يذرونه وراءهم انهم لا يستعدون له ولا يعبئون به فهم كمن ينسب الشيء وراء ظهره ونابه واستخفا فابشأنه وان كانوا في الحقيقة مستقبليين له وهو أمامهم (نحن خلقناهم) أي ابتدأنا خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة الى ان كمل خلقهم ولم يكن لغربنا في ذلك عمل ولا سعی لا اشتراكا ولا استقلا (وشددنا أسرهم) الاسر شدة الخلق يقال شد الله أسرا فلان أي قوى خلقه قال مجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم شددنا خلقهم قال الحسن شددنا وربطنا أوصالهم بعضا الى بعض بالعروق والعصب قال أبو عبيد يقال فرس شديد الاسر أي الخلق وقال ابن زيد الاسر القوة واشتقاقه من الاسار وهو القتل الذي تشد به الاقتاب قال ابن عباس أسرهم خلقهم وقال أبو هريرة هي المفاصل وقيل المراد بالاسر عجب الذنب لانه لا يتفتت في القبر والاسر بالضم احتباس البول كالخصر في الغائط (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي لو شئنا لاهلكناهم وجئنا بأطوع الله منهم وقيل المعنى مسخناهم الى أسمى صورة وأقبح خلقه (ان هذه تذكرة) يعني ان هذه السورة تذكرة وموعظة للخلق لان في تصفحها تنبيهات للعافين وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى اليه سمعه (فن شاء اتخذنا ليه سبيلا) أي طريقا يتوصل به اليه وذلك بالايان والطاعة والمراد الى ثوابه أو الى جنسه لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وأزالنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراق الطريق غير مشيئة العبد (وما تشاؤون) ان تتخذوا الى الله سبيلا وفيه التفات عن الغيبة في خلقناهم الى الخطاب وقرئ بالياء التحسية مناسبة قوله خلقناهم وقوله (الا ان يشاء الله) منصوب على الظرفية وأصله الا وقت مشيئة الله فالامر اليه سبحانه ليس اليكم والخير والشر بيده لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع فشيئة العبد مجردة لا تأتي بخير ولا تدفع شر وان كان يشاب على المشيئة الصالحة ويؤجر على قصدها والخير كما في حديث انما الاعمال بالنيات وانما الكل امرئ مانوي قال الزجاج أي لستم تشاؤون الا بمشيئة الله والآية حجة على المعتزلة والقدرية (ان الله كان عليما) أي بليغ العلم بما يكون من الاحوال (حكيم) بليغ الحكمة في أمره ونهيه مصيبا في جميع الاقوال والاحوال (يدخل من يشاء في رحمته) أي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها أو يدخل في جنسه من يشاء من

نزيدكم الا عذابا قال فهم في مزيد من العذاب ابدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا هريرة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال هلك القوم بما أصيبهم الله عز وجل جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكيفية (ان الله متقين مفاذا حدائق وأعنيابا وكواعب اترابا وكأسادها فاليسمعون فيها الغوا ولا كذا باجزاء من ربك عطاء حسابا) يقول تعالى مخبر عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى ان للمتقين مفازا قال ابن عباس والضحاك

منتزها وقال مجاهد وقتادة فازوا فنجوا من النار والظاهر ههنا قول ابن عباس لانه قال بعده حدثني والحدائق البساتين من الخليل وغيرهما وكواعب اتراباى وحورا كواعب قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد كواعب أى نواهد يعنون ان ثديهن نواهد لم يتدلين لانهن ابكار عرب اتراب أى فى سن واحد كما تقدم بيانه فى سورة الواقعة قال ابن ابى حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستكى حدثني أبى عن أبى سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن بقم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبى عبد الرحمن القاسم بن أبى القاسم (١٤٨) الدمشقى عن أبى امامة سمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال ان قص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وان السحابة لتترهم فتساقطهم بأهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم حتى تنها لتطهرهم الكواعب اتراب وقوله تعالى وكأنا سادها قال ابن عباس مملوءة متتابعة وقال عكرمة صافية وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد سادها قال الملأ المترعة وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة المتتابعة وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا كقوله لا لغوف فيها ولا تأثيم أى ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا انهم كذب بل هى دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص وقوله جزاء من ربك عطاء حسنا أى هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بنضله ومنه واحسانه ورجته عطاء حسنا أى كافيا وافيا سالما كثيرا تقول العرب أعطاني فاحسبني أى كافاني ومنه حسي الله أى الله كافى (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق

عباده لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة قال عطاء من صدقت نيته أدخله الله تعالى جنسه (والظالمين أعد لهم عذابا أليما) انتصاب الظالمين بفعل مقدر يدل عليه ما قبله أى يعذب الظالمين لان ما قبله منصوب أى يدخل من يشاء فى رحمة ويعذب الظالمين أى المشركين ويكون أعد لهم نفسير هذا المضمرة والاختيار للنصب وان جازالرفع والنصب قرأ الجمهور وقرأ أبان بن عثمان بالرفع على الابتداء ووجهه انه لم يكن بعده فعل يقع عليه

(سورة المرسلات هى خسون آية وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر)

قال قتادة الآية منها وهى قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فانهم امدنية وروى هذا عن ابن عباس أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى غار بئى اذ نزلت سورة والمرسلات عرفا فانه ليس لها وانى لا تلتقاها من فيه وان فاهم رطبها اذ وثبت علينا حية فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اقلوها فاتدبرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيت شركم كما وقيت شركها وأخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس ان أم الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بنى لقد كنتى بقرات هذه السورة انها آخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها فى المغرب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا) قال جهور المفسرين هى الرياح روى عن ابن مسعود قال انه الرياح وقيل هى الملائكة وبه قال مقاتل وأبو صالح والسكبي وقال أبو هريرة هى الملائكة أرسلت بالعرف وعن ابن مسعود مثله وقيل هم الانبياء فعلى الاول أقسم سبحانه بالرياح المرسله لما يأمرها به كفى قوله وأرسلنا الرياح لواقح وقوله ويرسل الرياح وغير ذلك وعلى الثانى أقسم سبحانه بالملائكة المرسله لوجه وأمره ربه به وعلى الثالث أقسم برسله المرسله الى عباده لتبليغ شرائعه وقيل المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونعمة وانتصاب عرفا ما على انه مفعول لاجله أى المرسلات لاجل العرف وهو ضد النكر وأعلى انه حال بمعنى متتابعة يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس تقول العرب سار الناس الى فلان عرفوا واحدا اذا توجهوا اليه وهم على فلان كعرف الضبع اذا تألقبوا عليه أو على انه

فمن شاء اتخذ الى ربه ما بآنا اننا نرىكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) مصدر

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله ان رب السموات والارض وما فيها وما بينهما وانه الذى شئت رحته كل شئ وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا أى لا يقدر احد على ابتداء مخاطبته الا باذنه كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وكقوله تعالى يوم يأتى لاتكلم نفس الا باذنه وقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون اختلف المفسرون فى المراد بالروح ههنا ما هو على أقوال أحدها رواه العوفي عن ابن عباس انهم ارواح بنى آدم الثانى هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة هذا

مما كان ابن عباس يكتفه الثالث انهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والاعمش الرابع هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبيرة والضحك ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال مقاتل بن حيان الروح هو أشرف الملائكة وأقرب الى الرب عز وجل وصاحب الوحي الخامس انه القرآن قاله ابن زيد كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الآية والسادس انه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات قال علي بن أبي طلحة (١٤٩) عن ابن عباس قوله يوم يقوم الروح قال

هو ملك من أعظم الملائكة خلقا وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا رواد بن الحجاج عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يحيي يوم القيامة صفا وحده وهذا قول غريب جدا وقد قال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله ابن عوس المصري حدثنا وهب الله ابن روق بن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والارضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانه حيث كنت وهذا حديث غريب جدا وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها والأشبه عندي والله أعلم انهم بنو آدم وقوله

مصدر كانه قال والمرسلات أرسلات أي متتابعة أو على انه منصوب بنزع الخافض أي والمرسلات بالعرف قرأ الجمهور وعرفا بسكون الراء وقرأ عيسى بن عمر بضمها (فالعاصفات عصفا) وهي الرياح الشديدة الهبوب قال القرطبي بغير اختلاف يقال عصف بالشيء اذا أباده وأهلكه وناقعه عصف أي تعصف براكها فمضى كأنها ريح في السرعة ويقال عصف الحرب بالقوم اذا ذهب بهم وقيل هي الملائكة الموكلون بالريح يعصفون بها وقيل يعصفون بروح الكافر وقيل هي الآيات المهلكة كالزلازل ونحوها وقال ابن مسعود هي الرياح وعن علي قال هي الرياح وبه قال ابن عباس (والناشرات نشرا) يعني الرياح تأتي بالمطر وهي تنشر السحاب نشرا قال ابن مسعود هي الرياح أو الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها أو ينشرون أجنتهم في الجوف عند النزول بالوحي أو هي الامطار لانها تنشر التبات وقال الضحاك يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم وقال الربيع انه البعث للقيامة ينشر الارواح وجاء بالواو هنا لانه استئناف قسم آخر (فالفارقات فرقا) يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل والخلال والحرام وقال مجاهد هي الرياح تفرق بين السحاب فتبدده وروى عنه انها آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل وقيل هي الرسل فرقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه وبه قال الحسن قال ابن عباس هي الملائكة فرقت بين الحق والباطل (فالملقىات ذكرا) هي الملائكة قال القرطبي باجماع أي تأتي الوحي الى الانبياء وقيل هو جبريل وهي باسم الجمع تعظيم له وقيل هي الرسل يلقون الى أمهم ما أنزل الله لهم قاله قطرب قال ابن عباس فالملقىات ذكرا قال بالتنزيل قرأ الجمهور ملقيات بسكون اللام وتخفيف القاف اسم فاعل وقرأ ابن عباس بفتح اللام ونشديد القاف من التلقية وهي ابدال الكلام الى مخاطب أقسم سبحانه بصفات خمسة موصوفها محذوف فجعله بعضهم الرياح في الكل وبعضهم جعله الملائكة في الكل وبعضهم غير فجعله نارة الرياح ونارة الملائكة وجعل الجلال المحلى الصفات الثلاث الاول لموصوف واحد وهو الرياح وجعل الرابعة لموصوف ثمان وهو الآيات وجعل الخامسة لموصوف ثمان وهو الملائكة ولم يسلك هذه الطريق غيره من المفسرين وعبارة النهر ولما كان للمقسم بموصوفات قد حذف وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تلك الموصوفات والذي يظهر أن المقسم به شيان ولذلك

تعالى الامن أذن له الرحمن كقوله يوم يأت لاتكلم نفس الاباذنه وكأثبت في الصحيح ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وقوله تعالى وقال صوابا أي حقا ومن الحق لا اله الا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة وقوله تعالى ذلك اليوم الحق أي الكائن لا محالة فن شاء اتخذ الى ربه ما بآي مرجعا وطريقا يقيته يدى اليه ومنهجا يبره عليه وقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا يعني يوم القيامة انا كد وقوعه صار قريبا لان كل ما هو آت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه أي يعرض عليه جميع أعماله خيرا وشرا قد عيها وحديثها كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا وكقوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر ويقول الكافر باليتنى كنت ترابا أي يود

الكافر يومئذانه كان في الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج الى الوجود وذلك حين عاين عذاب الله وتطير الى اعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأبدي الملائكة السفرة الكرام البررة وقيل انما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا في فصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجوز حتى انه ليقص للشاة الجاهل من القرناء فاذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني ترابا فصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي كنت حيوانا فار جع الى التراب وقد ورد معني هذا في حديث الصرر المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو (١٥٠) وغيرهما آخر تفسير سورة النبأ والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة (تفسير سورة النازعات وهي مكية)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والساجحات ساجا فالساجحات ساجا فالمدبرات أمهرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أنشأ المرءودون في الحافة أنشأ كاعظاما فخرقة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فأنشأ هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبيرة وأبو صالح وأبو الضمحي والسدي النازعات غرقا الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بني آدم فمنهم من تؤخذ روحه بعسر فيغرق من نزاعها ومنهم من تؤخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله والناشطات نشطا قال ابن عباس وعن ابن عباس والنازعات هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تفرق في النار رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد والنازعات غرقا الموت وقال الحسن وقتادة والنازعات غرقا والناشطات نشطا هي النجوم وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى والنازعات والناشطات هي القسي

جاء العطف بالواو في الناشطات والعطف بالواو يشعر بالتغاير وأما العطف بالفاء اذا كان في الصفات فيدل على انها راجعة لموصوف واحد واذا تقررهذا فالظاهر أنه أقسم أولا بالرياح ويدل عليه عطف الصفة بالفاء والقسم الثاني فيه ترقى الى أشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون قوله فالقارقات فالملقيسات من صفاتهم والقارقات المذكور وهو ما أنزل الله تعالى صحيح اسما لله وهم وما ذكر من اختلاف المفسرين في المراد بهم هذه الاوصاف ينبغي أن يحمل على التمثيل لا على التعيين والراجح ان الاوصاف الثلاثة الاول للرياح والرابع والخامس للملائكة وهو الذي اختاره الزجاج والقاضي وغيرهما (عذرا أو نذرا) انتصابه ما على البدل من ذكر أو على المفعولية والعامل فيه ما المصدر المنون كما في قوله تعالى أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما أو على المنعول لاجله أي للاعذار والانداز أو على الحال بالتأويل المعروف أي معذرين أو منذرين قرأ الجمهور وباسكان الذال فيهما وقرئ بضمهم ما وبسكونهم في عذرا وضمهم في نذرا وقرأ الجمهور عذرا أو نذرا على العطف بأو وقرئ بالواو والمعنى ان الملائكة تلقى الوحي اعذارا من الله الى خلقه وانذارا من عذابه كذا قال الفراء وقيل عذرا للمعقنين ونذرا للمبطلين قال أبو علي الفارسي يجوز أن يكون العذرو والنذر بالتثنية جمع عاذرو ناذرو كقوله هذا نذير من النذر الاولى فيكون نصبا على الحال من الالتقاء أي يلقون الذك في حال العذرو والنذر قال المبرد ما بالتثنية جمع والواحد عذير ونذير وقيل الاعذار محو الاساءة والانداز التخويف والاول اظهر ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال (انما توعدون لواقع) أي ان الذي توعدون منه من مجي الساعة والبعث كائن لا محالة ما اسم الموصول والقاء عدة انها اذا كانت كذلك ترسم مفصلة من ان ورسمت ههنا موصولة تهابا اتباعا لرسم المصحف الامام ثم بين سبحانه متى يقع ذلك فقال (فاذا النجوم طمست) أي محي نورها وذهب ضوءها يقال طمس الشيء اذا دس وذهب أثره (واذا السماء فرجت) أي فتحت وشقت ومثله قوله وفتحت السماء فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) أي قلعت من مكانها بسرعة يقال نسفت الشيء وأنسفته اذا أخذته بسرعة وقال الكلبي سويت بالارض والعرب تقول نسفت الناقة الكلاء اذا رعتهم وقيل جعلت كالحب الذي ينسف بالنسف ومنه قوله وبست الجبال بسا والاول أولى قال المبرد نسفت قلعت من مواضعها (واذا الرسل أقتت) الهمة بدل من الواو

في القتال والصحيح الاول وعليه الاكثر ونأما قوله تعالى والساجحات ساجا قال ابن مسعود هي الملائكة المضمومة

وروي عن علي ومجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي صالح مثل ذلك وعن مجاهد والساجحات ساجا الموت وقال قتادة هي النجوم وقال عطاء بن أبي رباح هي السفن وقوله تعالى فالساجحات ساجا روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني الملائكة قال الحسن سبقت الى الايمان والتصديق به عن مجاهد الموت وقال قتادة هي النجوم وقال عطاء هي الخيل في سبل الله وقوله تعالى فالمدبرات أمهرا قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والريبع بن أنس والسدي هي

الملائكة زاد الحسن تدبر الامر من السماء الى الارض يعني بأمر ربه عز وجل ولم يختلفوا في هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك الا انه حكى في المدبرات أمر انها الملائكة ولا أثبت ولا نفي وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قال ابن عباس هما النفختان الاولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد وعن مجاهد أما الاولى وهى قوله جل وعلا يوم ترجف الراجفة فكذلك جلت عظمتها يوم ترجف الارض والجبال والثانية وهى الرادفة فهى كقوله وجلت الارض والجبال فكذلك واحدة وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع (١٥١) حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل

عن الطفيّل بن أبي بن كعب عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال رجل يا رسول الله أرايت ان جعلت صلاتي كلها عليك قال اذا يكفين الله ما أهمك من دنياه وآخرتك وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبي عمير عن حديث سفيان الثوري بأسناد مثله وللفظ الترمذى وابن أبي حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقوله تعالى قلوب يومئذ واجفة قال ابن عباس يعنى خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة ابصارها خاشعة أى أبصار أصحابها وانما ضيف اليها للملابسة أى ذليلة حقيرة بما عاينت من الأحوال وقوله تعالى يقولون أن المردودون فى الحافرة يعنى مشركى قريش ومن قال بقولهم فى انكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير الى الحافرة وهى القبور قاله مجاهد وبعد تترق أجسادهم

المضمومة وكل واوانضمت وكانت ضمتهما لازمة يجوز ابدالها بالهمزة وقد قرئ بالواو والوقت الاجل الذى يكون عنده الشيء المؤخر اليه والمعنى جعل لها وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كفى قوله سبحانه يوم يجمع الله الرسل وقيل هـ ذاق الدنيا أى جمعت الرسل لميقاتها الذى ضرب لها فى انزال العذاب بمن كذبها والاولى أولى قال أبو على الفارسي أى جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقبل أقتت ارسلت لاوقات معلومة على ما علم الله به (لائى يوم أجلت) هذا الاستفهام للتعظيم والتعجب أى لائى يوم عظيم تعجب العباد منه لشدة ومزيد أهواله ضرب لهم الاجل لجمعهم والجملة مقول قول مقدر هو جواب لاذا أو فى محل نصب على الحال من الضمير فى أقتت قال الزجاج المراد به هذا التأقيت تبين الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم ثم بين هذا اليوم فقال (ليوم الفصل) قال قتادة يفصل فيه بين الناس بأعمالهم الى الجنة والنار ثم أتبع ذلك تعظيما وتوبيلا فقال (وما أدراك ما يوم الفصل) أى وما أعلمك اليوم الفصل يعنى انه أمر يديع هائل لا يتقادر قدره وما مبتدأ وأدراك خبره والعكس كما اختاره سيبويه ثم ذكر حال الذين كذبوا بذلك اليوم فقال (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لهم فى ذلك اليوم الهائل قال الزمخشري ويل أصله مصدر ساد مسدفعله لكنه عدل به الى الرفع للدلالة على الثبات قلت سوغ الابتداء به كونه دعاء لا مذكره الزمخشري ويجوز ويل بالنصب ولكنه لم يقرأ به والويل الهلاك أو هو اسم وادى جهنم قال ابن مسعود يسيل فيه صديد أهل النار فجعل للمكذبين وكررت هذه الآية فى هذه السورة عشر مرات لانه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشىء عذابا وى تكذيبه بشىء آخر ورب شىء كذب به هو أعظم جرما من التكذيب بغيره فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب وقال الكرخى التكرار فى مقام الترغيب والترهيب مستحسن لاسيما اذا تغيرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا ثم ذكر سبحانه ما فعل بالكفار من الامم الخالية فقال (ألهملك الاولين) أخبر سبحانه بالهلاك الكفار من الامم الماضية من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم كقوم نوح وعاد وثمود قال مقاتل يعنى بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم والاستفهام انكارى وهو داخل على نفي ونفي التثنية اثبات ويعبر عنه بالاستفهام التقريرى والمراد به طلب الاقرار بما بعد النفي (ثم تتبعهم الآخرون) يعنى كفار مكة ومن وافقهم

وتفتت عظامهم ونشورها ولهذا قالوا أنذا كنا عظما منخورة وقرئ ناعرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أى بالية قال ابن عباس وهو العظم اذا بلى ودخلت الریح فيه قالوا تلك اذا كرت خاسرة وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبى مالك والسدى وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار وما أكثر اسمائها هى النار والحجيم وسقرو جهنم والهاربة والحافرة ولظى والحطمة وأما قولهم تلك اذا كرت خاسرة فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد ان غوت نخسرن قال الله تعالى فأنما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة أى فأنما هو أمر من الله لا منتوية فيه ولان كيد فاذا الناس قيام ينظرون

وهو أن يأمر تعالى أسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرون قسام بين يدي الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستحيون بحمده وتظنون أن لبثتم الا قليلا وقال تعالى وما أمرنا الا واحدة ألا تكلم بالصبر وقال تعالى وما أمر الساعة الا تكلم بالصبر أو هو أقرب قال مجاهد فأنها زجرة واحدة صحيحة واحدة وقال ابراهيم التيمي أشد ما يكون الرب عز وجل غضبا على خلقه يوم بيعتهم وقال الحسن البصري زجرة من الغضب وقال أبو مالك والريعي عن أنس زجرة واحدة هي النفخة الآخرة وقوله تعالى فاذا هم بالساهرة قال ابن عباس الساهرة الأرض كلها

(١٥٢)

وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الأرض وقال مجاهد كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها قال والساهرة المكان المستوي وقال الثوري الساهرة أرض الشام وقال عثمان ابن أبي العالىة الساهرة أرض بيت المقدس وقال وهب بن منبه الساهرة جبل إلى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا حريز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي حاتم عن سهل بن سعد الساعدي فاذا هم بالساهرة قال أرض بيضاء غبراء خالية كالخبرة النقي وقال الربيع بن أنس فاذا هم بالساهرة يقول الله عز وجل يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ويقول تعالى ويسألونك عن الجبال فقل يذهبها ريح نسف فانيذرها قاعا صافيا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا

حين كذبوا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قرأ الجمهور تتبعهم بالرفع على الاستئناف أي ثم نحن تتبعهم كذا قدره أبو البقاء وقال ليس معطوف لأن العطف يوجب أن يكون المعنى أهلك الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك وليس كذلك لأن أهلاك الآخرين لم يقع بعد ويدل على الرفع قراءة ابن مسعود ثم تتبعهم الآخرين بسين التنفيس وقرئ بالحزم عطفا على نزل قال شهاب الدين علي جعل الفعل معطوفا على مجموع الجملة من قوله ألم نهلك والمراد بالآخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد وحمود (كذلك نفعل بالجرمين) أي مثل ذلك الفعل الفعلي مع فعلهم يريد من يهلكه فيما بعد والكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الأهلاك نفعل بكل مشرك أما في الدنيا وفي الآخرة (ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل يوم ذلك الأهلاك للمكذبين يكتب الله ورسله قبل والويل الأول لعذاب الآخرة وهذا العذاب الدنيا والتكرير للتوكيد شائع في كلام العرب (ألم تخلقكم من مامهين) أي ضعيف حقير قدر من ذليل وهو النطفة قال ابن عباس مامين ضعيف هذا نوع آخر من تخويف الكفار وتظهير قوله سبحانه ثم جعل نسله من سلالة من مامهين (جعلناه في قرار مكين) أي مكان حزين وهو الرحم يحفظ فيه المني من الآفات المفسدة له كالهواء (إلى قدر معلوم) أي إلى مقدار قدره الله تعالى للولادة وهو مدة الحمل وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها وقيل إلى أن يصور (فقد رنا) قرأ الجمهور بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعهم القادرين وقرئ بالتشديد من التقدير وهو موافق لقوله من نطفة خلقه فقد رنا قال الكسائي والقراء وهما الغتان بمعنى قدرت كذا وقد رنا (فنعهم القادرون) أي نعم المقدرين نحن قيل المعنى قدرناه قصيرا وطويلا وقيل قدرنا أي ملكنا (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرة تعالى ذلك أو على الأعادة وبعمدة الفطرة ثم بين لهم بدع صنعه وعظيم قدرته ليعتبروا فقال (ألم نجعل الأرض كفاتا) معنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال كفت الشيء إذا ضمه وجمعه ومن هذا يقال للجراب والقدر كفت والكفات بالكسر الموضع الذي يكفت فيه شيء أي يضم ذكره المختار والقاموس وقال المحلى مصدر كفت وفيه نظر لأن كفت من باب ضرب فالحق أنه اسم مكان وقيل جمع كافت كصيام وقيام وقيل مصدر كالكتاب والحساب وقال الأخفش كفاتا جمع كافتة والأرض يراد بها الجمع فنعمت بالجمع

وقال تعالى ويوم نسف الجبال وترى الأرض بارزة وبرزت الأرض التي عليها الجبال وهي لا تعد من هذه الأرض وهي وقال أرض لم يعمل عليها خبيثة ولم يهرق عليها دم (هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى اذهب إلى فرعون انه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتحشى فإراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشرف فنادى فقال انار بكم الأعلى فأخذ الله نكال الآخرة والأولى أن في ذلك عبرة لمن يخشى) يخبر تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه أنعته إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطمعانه حتى أخذ الله أخذه عزيز

مقتدر وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة ان في ذلك لعبرة لمن يخشى فقوله تعالى هل أتاك حديث موسى أي هل سمعت بحجره اذ ناداه ربه أي كلمة نادى بالواد المقدس أي المطهر طوى وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له اذهب الى فرعون انه طغي أي تجبر وتمرد وعنى فقل هل لك الى ان تزكى أي قل له هل لك ان تجيب الى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع وأهديك الى ربك أي أدلك على عبادة ربك فخشي أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير فأراه الآية الكبرى يعنى فاطهره (١٥٣) موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا

واضحا على صدق ما جاء به من عند الله فكذب وعصى أي فكذب بالحق وخالف ما أمر به من الطاعة وحاصله انه كفر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بان ما جاء به انه حق لا يلزم منه انه مؤمن به لان المعرفة علم القلب والايان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له وقوله تعالى ثم أدبر يس أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات فحشر فنادى أي في قومه فقال أنار بكم الاعلى قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من اله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى فأخذ الله نكال الآخرة والاولى أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لا مثاله من المتمردين في الدنيا ويوم القيامة بئس الرfid المرفود كما قال تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون هذا هو الصحيح في معنى الآية ان المراد بقوله نكال الآخرة والاولى أي الدنيا والآخرة وقيل

وقال الخليل التكفت بقلب الشئ ظهر البطن أو بطن الظهور ويقال انكفت القوم الى منازلهم أي ذهبوا والمعنى ألم نجعل الارض ضامة للاحياء على ظهرها والاموات في بطنها نضهم وتجمعهم قال الفراء يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها أي تحوزهم وهو معنى قوله (أحياء وأمواتا) والتسكير فيها للتفخيم أي تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون وقال أبو عبيدة كفاتا أو عمية وقيل معنى جعلها كفاتا انه يدفن فيها ما يخرج من الانسان من الفضلات وقال ابن عباس كفاتا كما وقال الاخفش وأبو عبيدة الاحياء والاموات وصنفان للارض أي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت قال الفراء انتصاب أحياء وأمواتا لوقوع الكفات عليه أي ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأموات فاذا نون نصب ما بعده وقيل نصباعلى الحال من الارض أي منها كذا ومنها كذا وقيل هو مصدرة نعت به للمبالغة (وجعلنا فيها رواسي شامخات) أي جبالا امرت تنبعط طول الاوراسي الثوابت والشامخات الطوال وكل عال فهو شامخ وقال ابن عباس جبالا مشرفات وقيل ثوابت عاليات (واسقيناهم ماء فراتا) أي عذبا قاله ابن عباس والفرات الماء العذب يشرب منه ويسقى به قال مقاتل وهذا كله اعجب من البعث روى ان في الارض من الجنة سيجان وجيجان والفرات والنيل كلاهما من أنهار الجنة (ويل يومئذ للمكذبين) بما أنعمنا عليهم من نعمنا التي هذه من جلتها (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) في الدنيا يقول لهم ذلك خزنة جهنم توبخا وتقريرا أي سيروا اليه من العذاب وهو عذاب النار (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب) أي الى ظل من دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب وهذا شأن الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب شعبا قرأ الجمهور انطلقوا الى موضعين على صيغة الامر على التأكيذ وقرئ بصيغة الماضي في الثاني أي لما أمر واما بالانطلاق امثلة لذلك فانطلقوا وقيل المراد بالظل هنا هو السرادق وهو لسان من النار تحيط بهم ثم تشعب ثلاث شعب فقطظهم حتى يفرغ من حسابهم ثم يصيرون الى النار وقيل هو الظل من يحوم كافي قوله في سموم وجيم وظل من يحوم على ما تقدم وقيل ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين لانها أوصاف النار ثم وصف سبحانه هذا الظل تمكيا بهم فقال (لا ظليل) كنين يظلمهم

(٢٠ - فتح البيان عاشر)

المراد بذلك كلمته الاولى والثانية وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لا شك فيه الاول وقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى أي لمن يتعظ وينجز (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسوها وأغطش ليلها وأخرج نضجها والارض بع - كذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها مناعا لكم ولا نعماء لكم) يقول تعالى محفيا على منكبرى البعث في إعادة الخلق بعد دئه أنتم أيها الناس أشد خلقا أم السماء يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال تعالى وأليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم

وقوله تعالى يسأها فسر به قوله رفع سمكها فساها أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكالة بالكواكب في الليلة الظلماء وقوله تعالى وأغطس ليلها وأخرج ضحاها أي جعل ليلها مظلمة أسود حالها كالونها مضياء مشرقاً نيراً واضحاً قال ابن عباس أغطس ليلها أظلمه وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وجماعة كثيرون وأخرج ضحاها أي أنارها وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فسر به قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الارض خلقت قبل خلق السماء ولكن انما (١٥٤) دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة الى الفعل

وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر بن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس دحاها ودحها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله والارض بعد ذلك دحاها وقد تقدم تقرير ذلك هنا لك وقوله تعالى والجبال أرساها أي قرررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم الرؤف بخلق الرحيم وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الارض جعلت من خلق الجبال فآلقها عليها فاستقرت فنجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم

من حر ذلك اليوم وهذا تمكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل (ولا يغني) أي لا يرد عنهم شيئاً (من الله) أي النار قال الكلبي لا يرد حر جهنم عنكم ثم وصف سبحانه النار فقال (انها ترحى بشر كالعصر) العظيم أي كل شريرة من شررها التي ترحى بها كالقصر من القصور في عظمتها والشرر ما يطاير من النار تفرقوا والقصر البناء العظيم وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جروجرة وتروجرة وهي الواحدة من جنس الخطب الغليظ قال سعيد بن جبيرة والضحاك وهي أصول الشجر العظيم وقيل أعناقها قرأ الجمهور كالقصر باسكان الصاد وهو واحد القصور كما تقدم وقرئ بفتحها أي أعناق النخل والقصرة العنق جمع قصر وقصرات وقال قتادة أعناق الابل وقرأ سعيد بن جبيرة بكسر القاف وفتح الصاد وهي جمع أيضا القصرة مثل بدرة وقصع وقصعة وقرأ الجمهور بشر بفتح الشين وقرأ ابن عباس وابن مقسم شرار بكسر هاء مع ألف بين الرائيين وقرأ عيسى كذلك الا انه بفتح الشين وهي لغات قال ابن عباس قصر النخل يعني الاعناق وعنه قال كانت العرب في الجاهلية تقول اقصروالنا الخطب فيقطع على قدر الذراع والذراعين وقال ابن مسعود انها ليست كالشجر والجبال ولكنهما مثل المدائن والحصون ثم شبه الشرر باعتبار لونه فقال (كأنه جملة صفر) قرأ جزة والكسائي وحفص جملة جمع جبل وقرأ الجمهور جمالات بكسر الجيم وهي جمع جبال وهي الابل أو جمع جملة وقرئ بضم الجيم وهي جبال السفن قال ابن عباس جمالات صفر قطع النحاس عن عبد الرحمن بن عباس قال سمعت ابن عباس يستل عن قوله بشر كالقصر قال كأنزفع الخشب بقدر ثلاثة أذرع أو أقل فنرفعه للشتاء فنسميه القصر قال وسمعه يستل عن قوله كأنه جمالات صفر قال جبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كالوسط الرجال واقطع البخاري كأنه عمد الى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر كأنه جمالات صفر جبال السفن يجمع حتى تكون كالوسط الرجال وعنه قال هي الابل قال الواحدى الصفر معناها السود في قول المفسرين قال الفراء الصفر سود الابل لا يرى أسود من الابل الا وهو مشرب صفر لذلك سميت العرب سود الابل صفرا قيل والشرر اذا طار وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالابل السود قيل وهذا القول محال في اللغة أن يكون شيء يشوبه شيء قليل فينسب كله الى ذلك الشائب فالحج

النار قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم لمن الريح قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن جبير حدثنا جرير عن عطاء بن أبي عبيد الرحمن السلمي عن علي قال لما خلق الله الارض وقعت وقالت تخليقي على آدم وذريته يلقون على تنهم ويعملون على بالخطايا فإرساها الله بالجبال فقاماترون ومنها ما لا ترون وكان أول قرار الارض كعهم الجزور اذا انحر يختلج لجمه غريب جدا وقوله تعالى منا عاكلكم ولا نعامكم أي دحا الارض فانبع عيونها وأظهر مكنونها وأجرى أنهارها وأثبت

رروعها وأشجارها وعمارها وثبت جبالها التستقر بأهلها أو يقرر قرارها كل ذلك متاعا خلقه ولما يحتاجون اليه من الانعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها في هذا الدار الى ان ينتهي الامد وينقضي الاجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى يستملونك عن الساعة أيان مر ساعا فيم أنت من ذكرها الى ربك منتهاها انما أنت منذر من يخشاها كانوا يوم يرونهم يلبثوا الى عشيها أو ضحاها) يقول تعالى فاذا جاءت (١٥٥) الطامة الكبرى وهو يوم القيامة قاله ابن عباس سميت بذلك لانها تطعم على كل أمر هائل منقطع كما قال تعالى

والساعة أدهى وأمر يوم يتذكر الانسان ماسعى أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى يومئذ يتذكر الانسان واني له الذكري وبرزت الجحيم لمن يرى أي أظهرت للنظرين فراها الناس عيانا فاما من طغى أي تمرد وعصى وآثر الحياة الدنيا أي قدمها على أمر دينه وآخرها فان الجحيم هي المأوى أي فان مصيره الى الجحيم وان مطعمه من الرقوم ومشربه من الجحيم وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردّها الى طاعة مولاه فان الجنة هي المأوى أي منقلب ومصيره ومرجعه الى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى يستملونك عن الساعة أيان مر ساعا فيم أنت من ذكرها الى ربك منتهاها أي ليس عليها اليك ولا الى أحد من الخلق بل مردّها ومرجعها الى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على التعيين نقلت في السموات والارض لا تأتكم

لمن قال بهذا وقد قال تعالى جبالا تصفر وأجيب بان وجهه ان النار خلقت من النور فهي مضيئة فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار خشي ذلك الموضع بتلك النار وبهت اليها سلطانها وغضبه فاسودت من سلطانها وازدادت سودا وصارت أشد سودا من كل شيء فيكون شررها أسودا لانه من نار سوداء قلت هذا الجواب البارد لا يدفع ما قاله القائل لان كلامه باعتبار ما وقع في الكتاب العزيز ههنا من وصفها بكونها صفرا فلو كان الامر كما ذكره الجيب من اسوداد النار واسوداد شررها لقال الله تعالى كأنهم اجالات سود ولكن اذا كانت العرب تسمى الاسود أصفر لم يبق اشكال لان القرآن نزل بلغتهم وقد نقل الثقات عنهم ذلك وبديل عليه الحديث في صفة جهنم وفي آخره فهي سوداء مظلمة فكان ما في القرآن هنا واردا على هذا الاستعمال العربي (ويل يومئذ للمكذبين) لرسل الله وآياته (هذايوم لا ينطقون) أي لا يتكلمون قرأ الجمهور برنوع يوم على انه خبر لاسم الإشارة وقرأ زيد بن علي والاعرج والاعمش وغيرهم بالفتح على البناء لاضافته الى الفعل ومحل الرفع على الخبرية وقبل هو منصوب على الظرفية قال الواحدى قال المفسرون في يوم القيامة موافق في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا يتكلمون وقد قدمنا الجمع بهذا في غير موضع وقيل ان هذا الإشارة الى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون لان موافق السؤال والحساب قد انقضت وقال الحسن لا ينطقون بحجة وان كانوا ينطقون والإشارة بهذا الى ما تقدم من الوعيد كأنه قيل هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وعن عكرمة قال سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله هذايوم لا ينطقون ولا تسمع لهم الا همسا وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون وهاءم اقرؤا كتابه فقال له ويحك هل سألت عن هذا أحد اقبل قال لا قال أما انك لو كنت سألت هل مكت أليس قال الله وان يوما عند ربك كأن ثفة سنة مما تعدون قال بلى قال فان لكل مقدار يوم من هذه الايام لو انما من الالوان (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قرأ الجمهور يؤذن على البناء للمفعول وقرأ زيد بن علي لا يؤذن على البناء للفاعل أي لا يؤذن الله لهم أي لا يكون لهم اذن من الله فيكون لهم اعتذار من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب قال الفراء الفاء في فيعتذرون نسق على يؤذن وأجيز ذلك لان أواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات وقد قال لا يقضى عليهم فيعوثوا بالنصب

الابغثة يستملونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عنه الله وقال ههنا الى ربك منتهاها ولهذا المسأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها أي انما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فافلح وأنجح والخيبة والخسار على من كذب وخالف وقوله تعالى كانوا يوم يرونهم يلبثوا الى عشيها أو ضحاها أي اذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصر من مدة الحياة الدنيا حتى كانوا عندهم كانت عشيته من يوم أضحى من يوم قال جوير عن الضحا عن ابن عباس كانوا يوم يرونهم يلبثوا الى عشيته

أوضحها أماءشمة فباين الظهر الى غروب الشمس أوضحاها ما بين طلوع الشمس الى نصف النهار وقال قتادة وقت الدنيا في أعين التوم حين عابوا الآخرة آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمثنة * (تفسير سورة عبس وهي مكية) *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (عبس وتولى ان جاءه الاغنى وما يدريك لعله يزكى أو يزكرفتنفعه الذ كرى أمان من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى وأمان من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلالها تذكركه فن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) ذكر غير (١٥٦) واحد من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب

بعض عظماء قريش وقد طمع في اسلامه فيمنها هو يخاطبه ويواجهه اذا قبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ ويبلغ عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كف ساعته تلك ليمتكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخرة فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاغنى وما يدريك لعله يزكى أى يحصل له زكاة وطهارة في نفسه أو يزكرفتنفعه الذ كرى أى يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم أمان من استغنى فانت له تصدى أى أما الغنى فانت تتعرض له لعله يهتدى وما عليك الا يزكى أى ما أنت بطالب به اذ لم يحصل له زكاة وأمان من جاءك يسعى أى يقصدك ويؤمك ليتهدى بما تقول له فانت عنه تلهى أى تتشاغل ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يخص بالانذار أحدا بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف والفقر والغنى والسادة والعبيد

والكل صواب (ويل يومئذ للمكذبين) بما دعته اليه الرسل وأنذرتهم عاقبته (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين) أى ويقال لهم هذا يوم الفصل الذى يفصل فيه بين الخلاق ويتميز فيه الحق من الباطل والخطاب في جمعناكم للكفار في زمن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالاولين كفار الامم الماضية (فان كان لكم كيد) أى ان قدرتم على حيله في دفع العذاب عنكم الآن (فكيدون) أى فافعلوها وهذا تقريع لهم وتمييزهم وتوبيخهم قال مقاتل يقول ان كان لكم حيله فاحتملوا لانفسكم وقيل المعنى فان قدرتم على حرب فخاربون وقيل ان هذا من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيكون كقول هوذ فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث لانه قد ظهر لهم عجزهم وبطلان ما كانوا عليه في الدنيا ثم لما ذكر سبحانه في سورة الدهر أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار وأطنب في أحوال المؤمنين فيها ذكر في هذه السورة أحوال الكفار على سبيل الاطناب وأحوال المؤمنين على سبيل الاجازة فوقع بذلك التعادل بين السورتين فقال (ان المتقين في ظلال وعيون) أى في ظلال الاشجار وظلال القصور لا كالظلال الذى للكفار من الدخان ومن النار كما تقدم قال الخليل أى تكاثف اشجار وعبرة الكارزون أى تحت اشجار قرأ الجمهور في ظلال وقرئ في ظل جمع ظلة قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك بالله لان السورة من أولها الى آخرها في تقريع الكفار على كفرهم قال الرازى فيجب أن تكون هذه الآية مذكورة لهذا الغرض والالتفات ككت السورة في نظمها وترتيبها وانما يتم النظم بأن يكون هذا الوعد خاصا للمؤمنين بسبب ايمانهم لانه لما تقدم وعيد الكافر بسبب كفره وجب أن يقرن ذلك بوعد المؤمن بسبب ايمانه حتى يصير ذلك سببا في الزجر عن الكفر فأما أن يقرن به وعيد المؤمن بسبب طاعته فلا يابق بالنظر كذا قال والمراد بالعيون الانهار أى نابعة من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الخ (وفوا كما ما يشتهون) المراد بالفوا كما ما يشتهون به مما اطلبه أنفسهم ونسدت عنه شهواتهم ففى اشتها فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما فى أنواع فاكهة الدنيا (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك والقائل لهم الملائكة اكرامهم أو يقال لهم من قبل الله فالجمله مقدرة بالقول والبإل للبيانية أى بسبب

والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضى الله عنه في قوله تعالى عبس وتولى جاء ابن أم مكتوم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أى بن خلف فاعرض عنه فانزل الله عز وجل عبس وتولى ان جاءه الاغنى فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه قال قتادة وأخبرني أنس بن مالك قال رأيته يوم القادسية وعنده درع ومعه راية سوداء يعنى ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وان جر حدثنا سعد بن يحيى بن سعد الاموى حدثني أى قال هذا

ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت عيسى وتولى في ابن أم مكتوم الاعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فجعل يقول أرشدني قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين قالت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض
 عنه ويقول على الآخر ويقول أتري بما أقول بأسا فيقول لا في هذا أنزلت عيسى وتولى وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد
 ابن يحيى الأموي بإسناده مثله ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عيسى وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر
 فيه عن عائشة قلت كذلك هو في الموطأ ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم (١٥٧) أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس

قوله عيسى وتولى ان جاءه الاعمى
 قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل
 ابن هشام والعباس بن عبد المطلب
 وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرس
 عليهم ان يؤمنوا فاقبل اليه رجل
 أعشى يقال له عبد الله بن أم مكتوم
 عشى وهو يناجيهم فجعل عبد
 الله يستقرئ النبي صلى الله
 عليه وسلم آية من القرآن وقال
 يا رسول الله علني مما علمك الله
 فأعرض عنه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وعسى في وجهه وتولى
 وكره كلامه وأقبل على الآخرين
 فلما قضى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله
 أمسك الله بعض بصره وخفق
 برأسه ثم أنزل الله تعالى عيسى وتولى
 ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكي
 أو يد كرفتنه الذي كرى فلما نزل
 فيه ما نزل أكرمه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وكلمه وقال له رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما حاجتك هل
 تريد من شيء وإذا ذهب من عنده
 قال هل لك حاجة في شيء وذلك لما
 أنزل الله تعالى أمان استغنى فانت

ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة (أنا كذلك) أي مثل ذلك الجزاء العظيم
 (نجزي المحسنين) في أعمالهم وعقائدهم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث صاروا في شقاء
 عظيم وصار المؤمنون في نعيم مقيم (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار أي الويل ثابت لهم
 في حال ما يقال لهم ذلك تذكريهم في الدنيا أو يقال لهم هذا في الدنيا وانما قال
 (قليل) لان متاع الدنيا وزمانه قليل لانه زائل مع قصر مدته في مقابلة مدة الآخرة وذلك
 إلى منتهى آجالهم قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من أفعال الكافرين والسعي لها من
 أفعال الظالمين والاطمئنان اليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن
 والاخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من أفعال
 الزاهدين وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها ووجهها وتركها
 (انكم مجرمون) أي المشركون بالله وهذا وان كان في اللفظ أمر فهو في المعنى تهديد
 وزجر عظيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل
 (واذا قيل لهم) أي لهؤلاء المجرمين من أي قائل كان (اركعوا لا يركعون) أي وإذا أمروا
 بالصلاة لا يصليون قال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة بعد أن أمرهم النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم بها فقالوا لا ننحنى فانهم مسبة علينا فقال النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل انما يقال لهم ذلك في الآخرة حين
 يدعون إلى السجود فلا يستطيعون من أجل انهم لم يكونوا يسجدون في الدنيا لله سبحانه
 قاله ابن عباس وفي هذه الآية دلائل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وسميت
 الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه
 خاص بصلاة المسلمين (ويل يومئذ للمكذبين) بأوامر الله سبحانه ونواهيهم (فبأي حديث
 بعده) أي بعد القرآن (يؤمنون) أي يصدقون اذ لم يؤمنوا به مع انه آية مبصرة ومعجزة
 باهرة من بين الكتب السماوية قرأ الجمهور يؤمنون بالتحية على الغيبة وقرأ ابن عامر
 في رواية عنه ويعقوب بالفوقية على الخطأ

* (سورة عم كذا في الخازن والخطيب وتسمى سورة التساؤل وسورة النبا
 وهي أربعون آية وقيل إحدى وأربعون آية وهي مكية عند الجميع) *

له تصدى وما عليك الايزكي فيه غرابية ونكارة وقد تكلم في اسناده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرامادي حدثنا
 عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول ان بلا لا يؤذن بليس فكلوا واشربوا حتى تسمعوا اذان ابن أم مكتوم وهو الاعمى الذي أنزل الله تعالى فيه عيسى
 وتولى ان جاءه الاعمى وكان يؤذن مع بلال قال سالم وكان رجلا ضري البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ
 النجم اذان وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف انها نزلت في

ابن أم مكتوم والمشهور ان اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم وقوله تعالى كلا انها تذكرة أى هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في ابلاغ العلم من شريفهم ووضيعهم وقال قتادة والسدى كلا انها تذكرة يعنى القرآن فن شاء ذكره أى فن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ويحتمل عود الضمير الى الوحي لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة أى هذه السورة أو العظة وكلاهما ملازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أى معظمة موقرة مرفوعة أى عالية القدر مطهرة أى من الدنس والزيادة والنقص وقوله تعالى بأيدي (١٥٨) سفرة قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد هي الملائكة وقال وهب

وقال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) أصله عن ما فادعت النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة كذا قال الزجاج وحذفت الالف ليعتبر الخبر عن الاستفهام وكذلك فيم وبم ونحو ذلك والمعنى عن أى شئ يسأل بعضهم بعضاً قرأ الجمهور عم بحذف الالف لما ذكرنا وقرئ بآبائها ولىكنه قليل لا يجوز الالضرورة وقرئ بهاء السكت عوضاً عن الالف قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى تفخيم القصة كما نقول أى شئ تريد اذا عظمت شأنه قال الشهاب وهذا الاستفهام لا يمكن حمله على حقيقة لانه المطلوب به لا بد أن يكون مجهولاً عند الطالب فلذا جعل مجازاً عن الفخامة لانه ورد على طريق مخاطبات العرب فالاستفهام بالنسبة الى الناس وقال في النهر هذا الاستفهام فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتثبيث قال الواحدى قال المفسرون لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم يقولون ماذا جاء به محمد وما الذى أتى به فانزل الله عم يتساءلون قال الفراء التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل وقد يستعمل أيضاً في أن يتحدوا به وان لم يكن بينهم سؤال قال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون الآية وهذا يدل على انه التحدث ومناسبتهم لما قبلها طاهرة لما ذكر في قوله فبأى حديث بعده أى بعد هذا الحديث وهو القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه فقال عم يتساءلون ثم ذكر سبحانه وتسألهم عما ذا وبينه فقال (عن النبا العظيم) أو رده سبحانه أولاً على طريقة الاستفهام مما للتوجه اليه أذعانهم وتلفتت اليه أفهامهم ثم بينه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه كأنه قيل عن أى شئ يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبا العظيم على منهاج قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وانما كان ذلك النبأ أى القرآن عظيماً لانه ينبي عن التوحيد وتصديق الرسول ووقوع البعث والنشور قال الضحاك يعنى نبأ يوم القيامة وكذا قال قتادة وقد استدل على ان النبأ هو القرآن بقوله الآتى الذى هم فيه مختلفون فانهم اختلفوا في القرآن فجعله بعضهم محرراً وبعضهم شعراً وبعضهم كهانة وبعضهم قال هو أساطير الاولين وأما البعث فقد اتفق الكفار اذ ذاك على انكاره ويمكن أن يقال انه قد وقع الاختلاف في البعث في الجملة فصديق به

ابن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جرير عن ابن عباس السفرة بالنسبة الى القراء وقال ابن جرير والصحيح ان السفرة الملائكة والسفرة يعنى بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفرة الذى يسعى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر وما أدع السفارة بين قومي

وما أمشى بغش ان مشيت وقال البخارى سفرة الملائكة سفرت أصلت بينهم وجعلت الملائكة اذ انزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم وقوله تعالى كرام بررة أى خلقهم ككرم حسن شريف وأخلاقهم وافعالهم باررة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد عن هشام عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة الذى يقرأ وهو عليه شاق له أجران أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

(قتل الانسان ما كفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقد كفره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا المؤمنون لما يقض ما أمره فلينظر الانسان الى طعامه أنا صبينا الماء صبنا ثم شققنا الارض شقنا فانبثاقها احبوا وغبوا وقضوا زيتونا ونخلنا وحدائق غلبا وفاكهة وأبنا متاعا لكم ولانعامكم) يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم قتل الانسان ما كفره قال الضحاك عن ابن عباس قتل الانسان لعن الانسان وكذا قال ابو مالك وهذا الجنس الانسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل يعود الاستبعاد وعدم العلم قال ابن جرير ما كفره أى ما أشد كفره وقال ابن جرير ويحتمل ان يكون المراد أى شئ جعله

كافرا الى ما حمله على التكذيب بالمعاد وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي وقال قتادة ما كفره ما لعنه ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وانه قادر على اعادته كما بدأه فقال تعالى من اى شئ خلقه من نقطة خلقه فقدره اى قدر اجله ووزقه وعمله وشق اوسعيده ثم السبيل يسره قال العوفي عن ابن عباس ثم يسره عليه خروجه من بطن أمه وكذا قال عكرمة والضحاك وابوصالح وقاتدة والسدي واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكر او اما كفورا اى يناديه واوضحناه وسهلنا عليه علمه وهكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الارجح والله أعلم (١٥٩) وقوله تعالى ثم امانه فأقبره اى انه بعد خلقه له

امانه فأقبره اى جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل اذا ولى ذلك منه واقبره الله وعصبت قرن الثور وأعضبه الله وبترت ذنب البعير وأبتره الله وطردت عني فلانا وأطرده الله اى جعله طريدا قال الاعشى

لو أسندت ميتا الى صدرها

عاش ولم ينقل الى قبرا وقوله تعالى ثم اذا شاء أنشره اى بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والفشور ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر قنتشرون وانظر الى العظام كيف تنشرها ثم نكسوها لحما وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا اصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان دراجا ابا السمع أخبره عن ابي الهيثم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يأكل التراب كل شئ من الانسان الا عجب ذنبه قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه تنشؤون وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة بدون هذه الزيادة ولنظنه

المؤمنون وكذب به الكافرون فقد وقع الخلاف فيه من هذه الخبيثة وان لم يقع الاختلاف فيه بين الكفار أنفسهم على التسليم والتنزل ومما يدل على انه القرآن قوله سبحانه قل هو نبي أعظم أنتم عنه معرضون ومما يدل على انه البعث انه أكثر ما كان يستنكره المشركون وتأباه عتولهم السخيفة وأيضا فطوائف الكفار قد وقع الاختلاف بينهم في البعث فثبتت النصارى المعاد الروحاني وأثبتت طائفة من اليهود المعاد الجسماني وفي التوراة التصريح بلفظ الجنة باللغة العبرانية بلفظ جنة عذرا جيم مفتوحة ثم نون ساكنة ثم عين مهملة مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم ذال معجمة بعدها ألف وفي الانجيل في مواضع كثيرة التصريح بالمعاد وانه يكون فيه النعيم للمطيعين والعذاب للعاصين وقد كان بعض طوائف كفار العرب ينكر المعاد كما حكى الله عنه بقوله ان هي الا حياتنا الدنيا ن الموت ونحى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وكانت طائفة منهم غير جازمة بنفيه بل شاك فيه كما حكى الله عنهم بقوله ان نظن الاظنا وما نحن بمستقيمين وما حكا الله عنهم بقوله وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي انى عنده للعسى فقد حصل الاختلاف بين طوائف الكفر على هذه الصفة وقد قيل ان الضمير في قوله يتساءلون يرجع الى المؤمنين والكفار لانهم جميعا كانوا يتساءلون عنه فاما المسلم فيزداد يقينا واستعدادا وبصيرة في دينه وأما الكافر فاستهزاء وسخرية قال الرازي ويحتمل انهم يسألون الرسول ويقولون ما هذا الذي تعدنا به من أمر الآخرة قال ابن عباس السبأ العظيم القرآن وهذا مروى عن جماعة من التابعين (الذين هم فيه مختلفون) الموصول للربا بعد وصفه بكونه عظيم فهو متصف بالعظم ومتصف بوقوع الاختلاف فيه (كلاسيعلون) ردع لهم وزجرهم وهذا يدل على ان المختلفين فيه هم الكفار وانه يندفع ما قيل ان الخلاف بينهم وبين المؤمنين فانه انما يتوجه الردع والوعيد الى الكفار فقط وقيل كلا بمعنى حقا ثم كرر الردع والزجر فقال (ثم كلاسيعلون) للمبالغة في التأكيد والتشديد في الوعيد قرأ الجمهور بالياء التحتية في الفعلين على الغيبة وقرئ بالفوقية على الخطاب وقرأ الضحاك الاولى بالفوقية وقرأ الثانية بالتحية قال الضحاك ايضا كلاسيعلون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلاسيعلون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس وقيل هو وعيد بعد وعيد وقيل المعنى كلاسيعلون عند

كل ابن آدم يلى العجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقوله تعالى كلا لما يقض ما أمره قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الامر كما يقول هذا الانسان الكافر من انه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله لما يقض ما أمره يقول لم يؤد ما فرض عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل ثم روى هو وابن ابي حاتم من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره قال لا يقضى احدا أبدا كل ما فرض عليه وحكاه البغوي عن الحسن البصري يحكم من هذا ولم اجد للمتقدمين فيه كلاما سوى هذا والذي يقع في معنى ذلك والله أعلم ان المعنى ثم اذا شاء أنشره اى بعثه كلا لما يقض ما أمره اى لا يفعله الا ان حق تنقضى المدة

ويفرغ القدر من بني آدم مما كتب الله ان يسجد منهم ويخرج الى الدنيا وقد امر به تعالى كونا وقد راها ذاتنا هي ذلك عند الله انشر الله الخلائق واعادهم كبداهم وقد روى ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه قال قال عزير عليه السلام قال الملك الذي جاءني فان القبور هي بطن الارض وان الارض هي أم الخلق فاذا خلق الله ما اراد ان يخلق ومنت هذه القبور التي مد الله لها ان تقطع الدنيا ومات من عليها ولفظت الارض ما في جوفها واخرجت القبور ما فيها وهـ ذا شبيه بما قلناه من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقوله تعالى فليستظر الانسان الى (١٦٠) طعامه فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الارض

الهامة على احياء الاجسام بعد ما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا ناصبنا الماء صبا اي انزلناه من السماء على الارض ثم شققنا الارض شقا أي أسكنا فيها فدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الارض فانبثاقها حبا وعنبا وقضبا فالحب كل ما يذكر من الحبوب والغنم معروف والقضب هو النصفصة التي تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القث أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وقال الحسن البصري القضب العلف وزيتونا وهو معروف وهو آدم وعصيره آدم وبسبب به ويدهن به ويخلأ به وكل بلحا ورطبا وعرا وينثا ومطبوخا ويعتصر منه رب واخل وحدهائق غلبا أي بساقين قال الحسن وقتادة غلبا نخل غلاظ كرام وقال ابن عباس ومجاهد والحدائق كل ما ألف واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذي يستظل به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحدهائق غلبا أي طوال وقال عكرمة غلبا أي غلاظ الاوساط

الترع ما يحل بهم ثم كلاس علمون عند البعث لانه يكشف لهم الغطاء حينئذ وقبل الاول للبعث والثاني للجزاء وقال ابن مالك تأكيد لفظي ولا يضر توسط حرف العطف قال السمين والنحويون يابون هذا ولا يسمى به الاعطفا وان أفاد التأكيد قال زاده ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل في التراخي الرتبي كما هنا تشبيه التبعاء الرتبة بتبعاء الزمان ثم ذكر سبحانه بديع صـ نعمه وعظيم قدرته على البعث وأشار الى الأدلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ليعرفوا توحيدهم ويؤمنوا بما جاء به رسوله فقال (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) اي قدرتنا على هذه الامور المذكورة اعظم من قدرتنا على الاعادة بالبعث فما وجه انكاركم لانه قد تقرر ان الاجسام تتساوية الاقدام في قبول الصفات والاعراض وهذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وقبل الجعل بمعنى التصيير والمهاد الوطاء والفرش كما في قوله الذي جعل لكم الارض فراشا قرا الجمهور بالجمع وقرئ مهادا والمعنى انها كالمهاد للصبي وهو ما يهدله فينوم عليه وسمى المهد بالمهد تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والاولاد جمع وتداي جعلنا الجبال اوتادا للارض لتسهل كـ ولا تتحرك كما ترسى الخيام بالاوتاد وفي هذا دليل على ان التساؤل السائل بينهم هو عن امر البعث لاعن القرآن ولا عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما قيل لان هذا الدليل انما يصلح للاستدلال به على البعث (وخلقناكم أزواجا) معطوف على المضارع المنق داخل في حكمه فهو في قوة أما خلقناكم والمراد بالازواج هنا الاصناف أي الذكور والاناث وقيل المراد بها الالوان وقيل يدخل في هذا كل زوج من المخلوقات من قبيح وحسن وطويل وقصير (وجعلنا نومكم سباتا) قال الزجاج السبات أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه أي جعلنا نومكم راحة لكم قال ابن الانباري جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم لان أصل السبب القطع وقيل أصله التمديد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلتها وأرسلته ورجل مسبوت الخلق أي ممدوده والرجل اذا أراد ان يستريح تمدد فسمى النوم سباتا وفي المختار السبات النوم وأصله الراحة وبابه نصر وفي المصباح السبات كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة يقال سبت سبت من باب قتل وسبت بالبناء للمفعول غشي عليه وأيضامات ومن هنا قيل المعنى وجعلنا نومكم موتا والنوم أحد الموتين فالمسبوت

وفي رواية غلاظ الرقاب ألم ترى الرجل اذا كان غليظ الرقبة قيل والله انه لا غلب رواه ابن أبي حاتم ويشبه وأنشد ابن جرير للفرزدق عوى فأثارا غلب ضيغما * فويل ابن المراجعة ما استشارا وقوله تعالى وفاكهة وأباأما الفا كهة فكل ما يتفككه به من الثمار قال ابن عباس الفا كهة كل مأكل رطبا والاب ما أثبتت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس وفي رواية عنه هو الحشيش للبهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبو مالك الاب الكلا وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد الاب للبهائم كالفاكهة لبني آدم وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الارض فهو أب وقال الضحاك كل شيء أنته

الارض سوى الفاكهة فهو الاب وقال ابن ادريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس الاب نبت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن ادريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قال حدثنا ابن ادريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبيرة قال غدا ابن عباس وقال الاب ما أنبت الارض للانعام هذا اللفظ أي كريب وقال أبو السائب ما أنبت الارض مما يأكله الناس ويأكل الانعام وقال العوفي عن ابن عباس الاب الكلاء والمرعى وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد (١٦١) بن يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن ابراهيم

التميمي قال سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأب فقال أي سماء تظلمني وأي أرض تقلني ان قلت في كتاب الله ما لا أعلم وهذا منقطع بين ابراهيم التيمي والصديق رضى الله عنه فاما ما رواه ابن جرير حيث قال حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي

حدثنا حميد عن أنس قال قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه عبس وتولى فلما أتى عن هذه الآية وفاكهة وأب قال قد عرفنا ما النفا كاهة فاما الاب فقال لعمر ك يا ابن الخطاب ان هذا هو التكليف فهو اسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به وهذا محمول على انه أراد أن يعرف شكاه وجنسه وعينه والا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم انه من نبات الارض لقوله فأنبتنا فيها حبوا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأب وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم اي عيشة لكم ولانعامكم في هذه الدار الى يوم القيامة (فاذا جاءت الساعة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه

يشبه الميت ولكنه لم يشاركه الروح ومن هذا قوله الله يتوفى الانفس حين موتها الى لم تمت في منامها الآية وقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل (وجعلنا الليل لباسا) أي نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس فشب الليل باللباس لان في كل منهما ماسترا فهو واستعارة وقال سعيد بن جبيرة والصدى أي سلككم وقيل المراد ما يستره عند النوم من اللعاف ونحوه وهو بعيد لان الجعل وقع على الليل لا على ما يستره النائم عند نومه (وجعلنا النهار معاشا) أي وقت معاش والمعاش مصدري معني المعيشة وقع هنا ظرفا وكل شيء يعاش به فهو معاش والمعنى ان الله جعل لهم النهار مضيا ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه الله لهم من الرزق (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يريد سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها امرور الزمان ولهذا وصفها بالشدة وغلظ كل واحدة منها مسيرة خمسمائة عام كما ورد ذلك (وجعلنا سراجا) منيرا (وهاجا) وقاداي عن الشمس والوهاج المضى المتلائي من قولهم وهج الجوهر أي تلالا ويقال وهج يوهج كوجل يوجل وكوعد بعد قال الزجاج الوهاج الوقاد وهو الذي وهج يقال وهجت النار تهج وهجا ووهجنا قال مقاتل جعل فيه نورا وحرأ والوهج يجمع النور والحرارة وقال ابن عباس وهاجا مضينا (وأترلنا من المعصرات ماء ثجاجا) المعصرات هي السحاب التي تنعصر بالماء ولم تنطر بعد كما مرأة المعتصرة التي قد دنا حوضها كذا قال سفيان والربيع وأبو العباس والضحك وقال مجاهد ومقاتل وقتادة والكبي هي الرياح والرياح تسمى معصرات يقال أعصرت الريح تعصرا عصارا اذا أثارت العجاج قال الأزهرى هي الرياح ذوات الاعاصير وذلك ان الرياح تستدرا منظر وقال الفراء المعصرات السحاب التي يتحلب منها المطر قال النحاس وهذه الاقوال صحاح يقال للريح التي تأتي بالمطر معصرات والرياح تلقع السحاب فيكون المطر ويجوز أن تكون هذه الاقوال قول واحد ويكون المعنى وأترلنا من ذوات المعصرات قال في الصحاح والمعصرات السحاب تعصربالمطر وعصر التوم أي مطروا قال المبرد يقال سحاب معصر أي ممسك للماء ويعتصر منه شيء حدثني وقال أبي بن كعب والحسن وابن جبيرة زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان المعصرات السموات وقال ابن عباس السحاب وقال ابن مسعود يبعث الله الريح فتحمل الماء فتقر به السحاب فتدرك كما تدرك القعة وقرأ ابن عباس وأترلنا من المعصرات بالرياح وقيل

(٢١ - فتح البيان عاشر) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها اقتره أولئك هم الكفرة الفجرة) قال ابن عباس الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمت الله وحذره عباده قال ابن جرير لعلاسم للنفقة في الصور وقال البغوي الصاخة بمعنى صيحة يوم القيامة سميت بذلك لانها تصيح الاسماع أي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أي يراهم ويفر منهم ويتبعدهم لان الهول عظيم والخطب جليل قال عكرمة يلقى الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك فقولي نعم البعل كنت وتنتي بمنزما استطاعت فيقول لها فاني أطلب ذلك اليوم حسنة واحدة تهبهم الى لعل أنجو مما ترين فقولي له ما أسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا

أتخوف مثل الذي يخاف قال وان الرجل ليلقى ابنه فيستعلق به فيقول يا بني أي والد كنت لك فينفي بخير فيقول له يا بني اني احببت الى مثقال ذرة من حسنتك لعلني أنجو بها مما ترى فيقول ولده يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيأ يقول الله تعالى يوم ينظر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة انه اذا طلب الى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول فندسي نفسي لأسألك اليوم الانفسى حتى ان عيسى بن مريم يقول لأسأله اليوم الانفسى لأسأله مريم (١٦٢) التي ولدتنى ولهذا قال تعالى يوم ينظر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته

وبنيه قال قتادة الاحب فالاحب والاقرب فالاقرب من هول ذلك اليوم وقوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أى هو في شغل شاغل عن غيره قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العباداني عن هلال ابن خباب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا قال فقالت زوجته يا رسول الله أويرى بعضنا عورة بعض قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أو قال ما يشغله عن النظر وقد رواه النسائي منفردا به عن أبي داود وعن عارم عن ثابت بن يزيد وهو أبو زيد الاحول البصري أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به وقد رواه الترمذي عن عبد الله ابن حبيب عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة

المعصرات المغشيات والعاصر هو الغيث والتجاج هو المنصب بكثرة على وجه التتابع يقال تجج الماء أى سال بكثرة وشبه أى أسأله فيكون لازما ومتعديا وبابه رد ومطر تجاج أى منصب جد او الشج أيضا سلا ن دماء الهدى وفي الحديث أحب العمل الى الله العجج والشج فالعجج رفع الصوت بالتلبية والشج اراقة دماء الهدى وقال الزجاج التجاج الصباب وقال ابن زيد تجاجا كثيرا وقال ابن عباس من صبا وقيل مددرا متباغايتا بلو بعضه بعضا وقال ابن مسعود التجاج ينزل من السماء أمثال العزالي فتصرفه الرياح فينزل متفرقا (لتخرج به حيا وباتا) أى لتخرج بذلك الماء حيا يقات به كالخطة والشعر ونحوه ما والنبات ما تأكله الدواب من الحشيش والتبن وسائر النبات والكلأ (وجنات ألفاف) أى بساين ملتف بعضها ببعض تشعب أغصانها ولا واحد للآلاف كالأوزاع والاختاف وقيل واحدها لف بكسر اللام وضمها ذكره الكسائي وقال أبو عبيدة واحدها الفيف كشريف وأشرف وروى عن الكسائي انه جامع الجمع يقال جنة لفاء ونبت لف والجمع لف بالضم مثل جرثم يجمع هذا الجمع على ألفاف وقيل هو جمع ملتفة بجذوف الزوائد وقال ابن عباس ألفافا ملتفة وقال يقول النفا بعض قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والنردوس ما فيه الكرم ولما أثبت الله البعث بالادلة التسعة المتقدمة كأن سائلا سأل عن وقته ما هو فقال (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والحق والمبطل وأكده بان لانه مما ارتابوا فيه (كان) في علمه وحكمه (ميقانا) أى وقتا ومجعا وميعادا للاولين والآخرين يصلون فيه الى ما وعدوا من البعث وقيل معنى ميعاد انه حد توقت به الدنيا وتنتهى عنده وقيل حد للخلائق ينتهون اليه أو منتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعاد للشواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو بيان له من بعد زيادة تفخيمه وهو يلهران كان الفصل متأخرا عن النفخ (في الصور) هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل والمراد هنا النفخة الثانية التي تكون للبعث (فتأتون) من قبوركم الى الموقف (أفواجا) أى زمرا زمرا وجماعات جماعات وهى جمع فوج والفاء فى فتأتون فصيغة تدل على محذوف أى فتأتون الى موضع العرض عقب ذلك أفواجا أى أمام كل أمة امامهم (وفتح السماء) معطوف على ينفخ وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع أى ففتح لنزول الملائكة وقال على القارى عطف على فتأتون أو حال أى والحال انه اقد فتحت وقرئ بالتخفيف والتشديد

أي صرا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يافلان لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ثم قال الترمذي وهذا حديث حسن وهما صحيح وقد روى من غير وجه عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال النسائي أخرني عمرو بن عثمان حدثنا بقرية حدثنا الزبيدي أخرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا فقالت عائشة يا رسول الله فكيف بالعورات فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه انفرده النسائي من هذا الوجه ثم قال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله بأى أنت وأمى انى سألتك عن حديث فتعبرنى أنت به قال ان كان عندي منه علم قالت يا نبي الله كيف يحشرون

الرجال قال حنيفة عرأة ثم انتظرت ساعة فقالت يا رسول الله كيف تحشر النساء قال كذلك حنيفة عرأة قالت واسوأ تأمة من يوم القيامة قال وعن أي ذلك تسألين انه قد نزل على آية لا يضر لك كان عليك ثياب أو لا يكون قالت آية هي يا بني الله قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال البغوي في تفسيره أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم النعماني أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله (١٦٣) صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حنفاة

عرأة غرلا فدا لجهم العرق وبلغ شحوم الأذان فقالت يا رسول الله واسوأ تأمة ينظر بعضنا الى بعض فقال قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازي عائد بن شريح في حديثه ضعف وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة أي يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أي مستبشرة ضاحكة مستبشرة أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم ثم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة وجوه يومئذ عليها غيرة ترهقها قرة أي يعلوها ويغشاها قرة أي سواد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجم الكافر العرق ثم تقع الغيرة

وهما سبعيتان قال الشهاب المراد بالفتح ليس ما عرف من فتح الابواب وهو موافق لقوله اذا السماء انشعبت واذا السماء انفطرت فان القرآن يفسر بعضه بعضا وعبر عن التشويق بالفتح اشارة الى كمال قدرته حتى كان تشويق هذا الجرم العظيم كفتح الباب بسهولة وسرعة (فكانت أبوابا) كما في قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل معنى فتحت قطعت فصارت قطعاً كالابواب وقيل أبوابها طرقتها وقيل تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق وقيل ان لكل عبد بابين في السماء باب للرزق وباب لعمله فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وظاهر قوله فكانت أبوابا انها صارت كلها أبوابا وليس المراد ذلك بل المراد انها صارت ذات أبواب كثيرة (وسيرت الجبال) عن أماكنها في الهواء كالهباء الذي هو الغبار وقلعت عن مقارها وقيل معنى سيرت انها انسفت من أصولها ومثل هذا قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب (فكانت سرايا) أي هباء منبثا يظن الناظر انها سراب وتتحيل الشمس انها ماء والمعنى ان الجبال صارت كالأشياء كما ان السراب يظن الناظر انه ماء وليس بماء ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينهما بان نقول أول أحوالها الاندكاك وهو قوله وحملت الأرض والجبال فدكاكاً واحدة وثاني أحوالها أن تصير كالعهن المنفوش كما في قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش وثالث أحوالها أن تصير كالهباء وهو قوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ورابع أحوالها أن تنسف وتحملها الريح كما في قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب وخامس أحوالها أن تصير سرايا أي لأشياء كما في هذه الآية ثم شرع سبحانه في تفصيل أحكام الفصل فقال (ان جهنم كانت مرصادا) قال الازهري المرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو وقال المبرد مرصادا يرصدون به أي هو معد لهم برصده خزنهم الكندار قال الحسن ان على الباب رصد لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليهم فن جاء بجواز جاز ومن لم يجز بجواز حبس وقال مقاتل محبسا وقيل طريقا ومرا قال في الصحاح الراصد لأشياء الرقيب يقال يرصده يرصده يرصد او الرصد الترقب والمرصد موضع الرصد قال الاصمعي يرصدته أرصده ترقبته ومعنى الآية ان جهنم كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها أو هي في نفسها متطلعة لما يأتي اليها من الكندار كما يتطلع الرصد لمن يمر بهم ويأتي اليهم والمرصد مفعول

على وجوههم قال فهو وقوله تعالى وجوه يومئذ عليها غيرة وقال ابن عباس ترهقها قرة أي يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى أولئك هم الكفرة الفجرة أي الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا آخر تفسير سورة عبس والله الحمد والمنة (تفسير سورة التكويد روى مكية) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن جبر عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشعبت وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق به (بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت

واذا الجار سحرت واذا النفوس زوجت واذا المؤودة سملت بأى ذنب قتلت واذا الصف نشرت واذا السماء كسحت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلت علمت نفس ما حضرت قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اذا الشمس كورت يعنى أظلمت وقال العوفي عنه ذهب وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الخليل وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبيرة كورت غورت وقال الربيع بن خيثم كورت يعنى رمى بها وقال أبو صالح كورت ألقيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع فى الارض قال ابن جرير والصواب من القول عندنا فى ذلك (١٦٤) ان التكوين جمع الشئ بعينه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع

التياب بعضها الى بعض فعنى قوله تعالى كورت جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمى بها واذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعرو بن عبد الله الأورى حدثنا أبو أسامة عن مجاهد عن شيخ من بني له عن ابن عباس اذا الشمس كورت يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله ريحا دبوراً فتضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبي ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قول الله اذا الشمس كورت قال كورت فى جهنم وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشى حدثنا أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر ثوران عتيران فى النار هذا حديث ضعيف لان يزيد الرقاشى ضعيف والذي رواه البخارى فى الصحيح بدون هذه

من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار فكانه يكثر من جهنم انتظار الكفار ثم ذكر من هى مر صدله فتال (لطاغين ما بيا) أى مر جعاب رجعون اليه والمآب المرجع يقال آب يؤب اذا رجع والطاغى من طغى بالكفر ولطاغين نعت لم رصاد متعلق يحذف وما يابدل من مر صادا ويجوز أن يكون للطاغين فى محل نصب على الحال من ما باق دمت عليه لكونه نكرة واتصاب (لابنين فيها أحقابا) على الحال المقدرة من الضمير المستكن فى الطاغين قرأ الجمهور لابنين بالالف وقرئ بدون ألف واتصاب أحقابا على الظرفية أى ما كثر فى النار مادامت الاحقاب وهى لا تنقطع وكلما مضى حقب جاء حقب وهى جمع حقب بضمين وهو الدهر والاحقاب الدهور والحقب بضم الحاء وسكون القاف قيل هو ثمانون سنة وحكى الواحدى عن المفسرين انه بضع وثمانون سنة السنة ثلثمائة وستون يوما اليوم ألف سنة من أيام الدنيا وقال السدى الحقب سبعون سنة وقال بشير بن كعب ثلثمائة سنة وقال ابن عمر أربعون سنة وقيل ثلاثون ألف سنة قال الحسن الاحقاب لا يدري أحدكم هى ولكن ذكروا ثمانمائة حقب والحقب الواحد منها سبعون ألف سنة اليوم منها كألف سنة قال ابن عباس أحقابا سنين وعن سالم بن أبي الجعد قال سأل على ابن أبي طالب لعل الهجرى ما تجدون الحقب فى كتاب الله قال نجد ثمانين سنة كل سنة منها اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وعن ابن مسعود فى الآية قال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن أبي هريرة رفعه قال الحقب ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الحقب ألف شهر والشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا ثلثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف سنة أخرجه ابن أبي حاتم والطبرانى وابن مردويه قال السيوطى بسند ضعيف وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكسب فيها أحقابا والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة مما تعدون قال ابن عمر فلا يتمكن أحد انه يخرج من النار أخرجه البزار وابن مردويه والبيهقى وعن ابن عمر وقال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن ابن عباس مثله وعن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقب أربعون سنة أخرجه ابن مردويه وقيل الاحقاب وقت

الزيادة ثم قال البخارى حدثنا سعد بن عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر يكوران يوم القيامة انفرد به البخارى وهذا النظم وانما أخرجه فى كتاب بدء الخلق وكان جديرا ان يذكره كما هى عادته فى أمثاله وقد رواه البزار لحوذ ايراد فقال حدثنا ابراهيم بن زياد البغدادى حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسرى فى هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن بن الحسن بن أحمد فى حديث قال حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس والقمر ثوران فى النار يوم القيامة فقال الحسن وما ذنبهما فقال أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول

تعطلت لذهاب أهلها حتى هذه الأقوال كلها الامام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة وزجج انهم الابل وعزاه الى أكثر الناس قلت بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواء والله أعلم وقوله تعالى واذا الوحوش حشرت أي جمعت كما قال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجحائه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس يحشرون كل شيء حتى الذباب رواه ابن أبي حاتم وكذا قال الربيع بن خيثم وغير واحد وكذا قال قتادة في نفسه ير هذه الآية ان هذه الخلائق يقضى الله فيها ما يشاء وقال عكرمة حشرها (١٦٦) موتها وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا عباد بن العوام

حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله واذا الوحوش حشرت قال حشرها بها ثم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهم ما يوقفان يوم القيامة حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خيثم واذا الوحوش حشرت قال أنى عليها أمر الله قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب انه قال واذا الوحوش حشرت اختلطت قال ابن جرير والاولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى والطير محشورة اي مجموعة وقوله تعالى واذا البحار سجرت قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن عسيرة عن داود عن سعيد بن المسيب قال قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم قال البحر فقال ما أراه الا صاغر والبحر المسجور واذا البحار سجرت وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الدبور فتسهرها وتصير ناراً تأج وقد تقدم الكلام على ذلك عند

الذاعل ويصح أن يكون على حذف مضاف أي اذا وافق أو باق على مصدرية المقصد المبالغة قال النراء والاختش جازيناهم جزاء وافق أعمالهم وقال الزجاج جوزوا جزاء وافق أعمالهم قال القراء الوفاق جمع الوفاق والموافق واحد قال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كانت أعمالهم سيئة فأتاهم الله عيسى وهم (انهم كانوا الابر جون حسابا) أي ثواب حساب قال الزجاج كانوا الايؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم والجملة مستأنفة وتعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور (وكذبوا بآياتنا كذبا) أي كذبوا بالآيات القرآنية وكذبوا بما هو أهم منها تكذبا شديدا وفعال من مصادر التفعيل قال الفراء هي لغة فصحة عمانية نقول كذبت كذبا وخرقت القمص خرقا قال في الصحاح هو أحد مصادر التشديد لان مصدره قد ينجى على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعول مثل وعز قناهم كل ممزق قرأ الجمهور كذبا بالتشديد وقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالتخفيف قال أبو علي الفارسي التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة وقرأ ابن عمر كذبا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قال أبو حاتم ونصبه على الحال قال الزمخشري وقد يكون يعنى على هذه القراءة بمعنى الواحد البليغ في الكذب تقول رجل كذاب كقولك حسان وبخال قرأ الجمهور (وكل شيء) بالنصب على الاشتغال أي وأحصينا كل شيء (أحصيناه) وقرأ أبو الهيثم برفعه على الابتداء وما بعده خبره وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا وفي انصاب قوله (كذابا) أوجه أحدها انه مصدر من معنى أحصينا أي احصاء فالتجوز في نفس المصدر والثاني انه مصدر لاحصينا لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل أي لالتقاء الاحصاء والكتب في معنى الضبط والتحصيل والثالث أن يكون منصوبا على الحال أي مكتوبا في التوح لتعرفه الملائكة وقيل أراد ما كتبه الحفظة على العباد من أعمالهم وقيل المراد به العلم لان ما كتب كان أبعد من النسيان والاول أولى لقوله وكل شيء أحصيناه في امام مبین (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) هذه الجملة مسببة عن كفرهم وتكذيبهم بالآيات والامر أمر اهانة وتحقير قال الرازي هذه الفاء للجزاء فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم ثم حرم قبايح أفعالهم ومن الزيادة في عذابهم انها كلما نصبت جلودهم

قوله تعالى والبحر المسجور وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بدلهم ابن سليمان النفاط شيخ صالح يشبه مالك بن أنس عن معاوية بن سعيد قال ان هذا البحر بركة تعني بحر الروم وسط الارض والانهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالناس فاذا كان يوم القيامة أسجور وهو ذا أثر غريب عجيب وفي سنن أبي داود لا يركب البحر الا حاح أو معترا أو غار فان تحت البحر ناراً وتحت النار بحر الحديث وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر وقال مجاهد والحسن بن مسلم سجرت أو قذت وقال الحسن بن يوسف وقال الضحاك وقناة غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة وقال الضحاك أيضا سجرت فحيت وقال السدي فحيت وصبرت وقال الربيع بن خيثم سجرت فاضت وقوله تعالى واذا النفوس زوجت

أى جمع كل شكل الى نظيره كقوله تعالى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أنى حدثنا محمد بن الصباح البراء حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سمك عن النعمان بن بشير انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا النفوس زوجت قال الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله عز وجل يقول وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون قال هم الضرباء ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخرى عن سمك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأوا إذا النفوس زوجت فقال زوجها (١٦٧) أن تؤولف كل شبيعة الى شبيعتها وفي رواية

هم الرجالان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفي رواية عن النعمان قال سئل عن قوله تعالى وإذا النفوس زوجت قال يقرب بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرب بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وذلك تزويج الانفس وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس ما تقولون في تفسير هذه الآية وإذا النفوس زوجت فسكتوا وقال

ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى وإذا النفوس زوجت قال ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد وإذا النفوس زوجت قال الامثال من الناس جمع بينهم وكذا قال الربيع بن خيثم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح قول آخر في قوله وإذا النفوس زوجت قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ابن الجنييد حدثنا أحمد بن عبد

بدلهم الله جلودا غيرها وكما خبت النار زادهم الله سعيرا قيل هذه أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغشوا بأشد منه قال الرازي وفي هذه الآية مبالغت منها التأكيدي ومنها الالفاظ ومنها العادة قوله فذوقوا بعد ذلك العذاب (أن للمتقين مغازا) هذا شروع في بيان حال المؤمنين وما أعد الله لهم من الخير بعد بيان حال الكافرين وما أعد الله لهم من الشر والمجاز مصدر بمعنى الفوز والظفر بالبغيبة والمطلوب والنجاة من النار ومنه قيل للفلاة مغارة تفاقولا بالخللاص منها ويصلح أن يراد به الجنة على انه مصدر ميمي بمعنى المكان أو بمعنى الحدث ويحتمل أن يفسر الفوز بالامر من جميعا لانهم فازوا بمعنى خبوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم وفي المختار الفوز بالنجاة وهو الهلاك أيضا وعلى هذا فإطلاق المغارة على الفلاة الخالية من الماء حقيقي لانها مهلكة ومن معاني الفوز الهلاك كما رأيت وبابهم ما قال ثم فسر سبحانه هذا المفازل فقال (حدثنا وأغنيا) واتصافا على انه ما يدل اشتغال من مغازا أو بدل كل من كل على طريق المبالغة يجعل نفس هذه الاشياء مغازا ويجوز أن يكون النصب باضماء رأى وإذا كان مغازا بمعنى الفوز فمقدره ضاف أى فوز حدثنا وهي جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه فيه أنواع الشجر المثمر والاعناب جمع عنب أى كروم أعناب والتكرير يدل على تعظيم ذلك العنب قال الجلي وأعنابا عطفا على منازا أى ذكرت بعد الحداثى تنويعا لعظم شأنها والافهى من جملة الحداثى قال التاري وهذا بعد جدواو الظاهر عطفه على حدثنا وكذا كواعب وكأسانتهى (وكواعب أترابا) الكواعب جمع كاعبة وهي الناهدة قال ابن عباس أى نواهد يقال كعبت الجارية تكعب تكعبا وكعبا وكعبا ونهت تنهدهودا والمراد أن لهم نساء كواعب تكعبت ثديهن وتفلكت حتى صارت كالكعب في صدورهن أى استدارت مع ارتفاع يسير قال الضحاك الكواعب العذارى والأترب الاقران في السن وقد تقدم تحقيقه في سورة البقرة وقال ابن عباس أى لدات مستويات (وكأسادهاقا) قال الحسن وقتادة وابن زيد أى مترعة ملوثة يقال أدهقت الكأس أى ملأته وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد أدها قامة متتابعة يتبع بعضها بعضا وقال زيد بن أسلم أدها قاصافية قال ابن عباس أدها قامة ملأنا وعنه قال هي المثلثة المترعة المتتابعة وربما سمعت العباس يقول يا غلام استنوا وأدهق لنا وعنه قال أدها قامة

الرجل حدثني أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال يسئل وادمن اصل العرش من ماء فيمابين الصيحين ومقامهما بينهما أربعون عاما فينبئ منه كل خلق من الانسان أو طير أو دابة ولو لم يعلمهم ما رقد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الارض قد نبئوا ثم ترسل الارواح فتزوج الاجساد ذلك قول الله تعالى وإذا النفوس زوجت وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبيرة والشعبي والحسن البصري أيضا في قوله تعالى وإذا النفوس زوجت أى زوجت بالابدان وقيل زوج المؤمنين بالحوار العين وزوج الكافرون بالشياطين حكاه القرطبي في التذكرة وقوله تعالى إذا النفوس زوجت أى زوجت بالابدان وقيل زوج المؤمنين بالجهنم وسئل الموءدة عن التي كان أهل الجاهلية يدسون في التراب كراهية البنات فيوم القيامة تسئل الموءدة على أى ذنب

قلت ليكون ذلك تهديد القائلها فإنه إذا سئل المظلوم فاطن الظالم اذن وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإذا الموودة سئلت أي سألت وكذا قال أبو النخعي سألت أي طالبت بدمها وعن السدي وقتادة مثله وقد وردت أحاديث تتعلق بالموودة فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الأسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس وهو يقول لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فلنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ولا (١٦٨) يضرون أولادهم ذلك شيء سألوهم عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد النقي وهو الموودة

وسئل ذلك الوأد النقي وهو الموودة سئلت ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبي أيوب ورواه أيضا ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن اسحق السيليني عن يحيى بن أيوب ورواه لم أيضا وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثهم عن أبي الأسود وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفي قال انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل هلكة في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال لا قلنا فانها كانت وأدت أخا لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال الوائدة والموودة في النار الآن يدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها ورواه النسائي من حديث داود بن أبي هند وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيدي حدثنا إسرائيل

دراكا وعنه قال إذا كان فيها حجر فهي كاس وإذا لم تكن فيها حجر فليس بكاس (اليسمعون) حال من المتقين (فيها) أي في الجنة عند شرب الخمر وغيره من الأحوال (لغو) وهو الباطل من الكلام (ولا كذابا) أي لا يكذب بعضهم بعضا قرأ الجمهور كذا با مشددا وقرأ الكسائي هنا مخففا ووافق الجماعة على التشديد في الآية المتقدمة للتصريح بفعله المشدد هناك وقد قدمنا الخلاف في كذا با هل هو من مصادر التفعيل أو من مصادر المفاعلة (جزاء من ربك) أي جازاها بما تقدم ذكره جزاء قال الزجاج المعنى جزاها جزاء أي بمقتضى وعدوكذا (عطاء) أي وأعطاهم عطاء تفضلا منه إذ لا يجب عليه شيء وقيل عطاء بدل من جزاء أي بدل كل من كل وفي إبداله منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على أن بيان كونه عطاء وتفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة له (حسابا) قال أبو عبيدة كافي فهو مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدرية مبالغة أو هو على حذف مضاف وقال ابن قتيبة كثيرا يقال أحسبت فلانا أي كثرت له العطاء قال الزجاج حسابا أي ما يكفيهم قال الأخفش يقال أحسبني كذا أي كفايتي قال الكلبي حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشرة وقال مجاهد حسابا بالماء علموه بالحساب بمعنى القدر أي بقدر ما وجب له وفي وعد الرب سبحانه فانه وعد للعسنة عشرة أو وعد لتقوم سبعمائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لانها بقوله ولا مقدار كقوله انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب وقرأ أبو هاشم حسابا بفتح الحاء وتشديد السين أي كفايا قال الأصمعي تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد إذا أكرمته وفي القاموس حسبت درهم كذا وشئ حساب كاف ومنه عطاء حسابا وأحسبه أرضاه وعبارة المصباح وأحسبه كفاه وقرأ ابن عباس حسانا بالنون (رب السموات والارض وما بينهما ما لرحمن) قرئ بخفض رب والرحمن على أن رب بدل من ربك والرحمن صفة له وقرئ برفعه ما على أن رب مبتدأ والرحمن خبره أو والرحمن صفة ولا يملكون خبره أو على أن رب خبر مبتدأ مقدر أي هو رب والرحمن صفة أو على أن رب مبتدأ والرحمن ممتدأ ثان ولا يملكون خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الاول وقرأ ابن عباس وجزء والنسائي بخفض الاول ورفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو الرحمن واختار هذه القراءة أبو عبيد وقال هذه أعدها بخفض رب لقربه من ربك فيكون نعتا له ورفع الرحمن لبعده منه على الاستئناف وخبره قوله (لا يملكون) أي الخلق (منه) تعالى أن يسألوا

عن أبي اسحق عن علقمة وأبي الاحوص عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموودة في النار وقال أحمد أيضا حدثنا اسحق الأزرق أخبرنا عوف حدثني خنساء ابنة معاوية الصربية عن عتها قالت قلت يا رسول الله من في الجنة قال النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموودة في الجنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول قيل يا رسول الله من في الجنة قال الموودة في الجنة هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أنان عن عكرمة قال

قال ابن عباس أطفال المشركين في الجنة فمن زعم انهم في النار فقد كذب لقول الله تعالى واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت قال ابن عباس هي المذفونة وقال عبد الرزاق اخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى واذا الموءودة سئلت قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وادت بنات لي في الجاهلية قال أعنتي عن كل واحدة منهن رقية قال يا رسول الله اني صاحب ابل قال فانحر عن كل واحدة منهن بدنة قال الحافظ أبو بكر البزار خولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه الا عن الحسين بن مهدي عنه وقد رواه (١٦٩) ابن أبي حاتم فقال اخبرنا أبو عبد الله الظهري

فما كتب الى قال حدثنا عبد الرزاق قد ذكره بأسناد ماله الا انه قال وادت ثمان بنات لي في الجاهلية وقال في آخره فأهدان شئت عن كل واحدة بدنة ثم قال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجا حدثنا قيس ابن الربيع عن الاغر بن الصباح عن خليفه بن حصين قال قدم قيس ابن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وادت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة قال أعنتي عن عدد هن نسما قال فأتعتي عدد هن نسما فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يا رسول الله هذه صدقة قومي على اثر ما صنعت بالمسلمين قال على بن أبي طالب فكذا نزيحها ونسبها القيسية وقوله تعالى واذا الصحف نشرت قال الضحالة أعطى كل انسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة ابن آدم على فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجلا ماذا عمل في صحيفته وقوله تعالى واذا السماء كشطت قال مجاهد اجتذبت وقال السدي كسفت وقال الضحالة

الافيا اذن لهم فيه (خطابا) بالشفاعة الا باذنه وقيل الخطاب الكلام أى لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه خوفا الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار وأما المؤمنون فيشفعون والجملة مستأنفة مقررة لما تفيد الربوبية العامة من العظمة والكبرياء (يوم يقوم الروح والملائكة) الطرف منتصب بلا يملكون أو بلا يتكلمون وقوله (صفا) منتصب على الحال أى مصطفين أو على المصدرة أى يصفون صفا والجملة حالية أو مستأنفة لتقرر ما قبله واختلاف في الروح على أقوال ثمانية ف قيل انه ملك من الملائكة أعظم من السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وقيل هو جبريل قاله الشعبي والضحالة وسعيد بن جبير وقيل الروح جنود من جنود الله ليسوا بالملائكة قاله أبو صالح ومجاهد وعن ابن عباس مثله من فروع اذاد لهم رؤس وأيد وأرجل ثم قرأ هذه الآية وقال هؤلاء جنود هؤلاء جنود أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه وقيل هم أشرف الملائكة قاله مقاتل بن حيان وقيل هم حفظة على الملائكة قاله ابن أبي نجيح وقيل هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقيل هم أرواح بنى آدم تقوم صفا وتقوم الملائكة صفا وذلك بين النفتين قبل ان ترد الى الاجسام قاله عطية العوفي وقيل انه القرآن قاله زيد بن أسلم وقال ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقا وعن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة وهو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يحيى يوم القيامة صفا واحدا أخرجه ابن جرير وعن ابن عباس قال ان جبريل يوم القيامة لقاتم بين يدي الجبار ترعد فرائضه فرقا من عذاب الله يقول سبحانه لا اله الا انت ما عبدناك حق عبادتك ما بين منكبيه كما بين المشرق والمغرب أما سمعت قول الله يوم يقوم الروح والملائكة صفا أخرجه أبو الشيخ وعنه قال يقول حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفتين قبل ان ترد الروح الى الاجساد أخرجه البيهقي في الاسماء والصفات (لاية كالمون) أى الخلائق ثم خوفوا واجلا لا اعظم الله جل جلاله من هول ذلك اليوم ولا يشفعون لاحد (الامن اذن له الرحمن) بالشفاعة أو لا يتكلمون الا في حق من اذن له الرحمن (و) كان ذلك الشخص ممن (قال صوابا) قال الضحالة ومجاهد صوابا يعنى حقا وقال أبو صالح لا اله الا الله وبه قال ابن عباس وأصل الصواب السداد من

(٢٢ - فتح البيان عاشر) تنكشط فتذهب وقوله تعالى واذا الجحيم سعرت قال السدي أحييت وقال قتادة أو قدت قال وانما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم وقوله تعالى واذا الجنة أزلت قال الضحالة وأبو مالك وقتادة والربيع بن خيثم أى قربت الى أهلها وقوله تعالى علمت نفس ما أحضرت هذا هو الجواب أى اذا وقعت هذه الامور حينئذ تعلم كل نفس ما علمت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وقال تعالى نبأ الانسان لومئذ بما قدم وأخر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما

نزلت اذا الشمس كورت قال عمر لما بلغ علمت نفس ما حضرت قال لهذا أجرى الحديث (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه افول رسول كريم ذي قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فآين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين ان شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام عن الوليد ابن سريج عن عمرو بن حريث قال صليت (١٧٠) خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرأ فلا أقسم

بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة عن الجراح بن عاصم عن أبي الاسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري عن أبي اسحق عن رجل من مراد عن علي فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال هي النجوم تتخس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن المنني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماعة بن حرب سمعت خالد ابن عريرة سمعت عليا وسئل عن لا أقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هي النجوم تتخس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماعة بن خالد عن علي قال هي النجوم وهذا اسناد جيد صحيح الى خالد بن عريرة وهو السهمى الكوفي قال أبو حاتم الرازي روى عن علي وروى عنه سماعة والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكروا جرحا ولا تعديلا فانه أعلم وروى يونس عن أبي اسحق عن الحرث عن علي

القول والفقهاء على قول لا يتكلمون بمعنى الملائكة والروح الذين قاموا واصفا هيبة واجلالا الامن أذن له الرحمن منهم في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا قال الحسن ان الروح يقوم يوم القيامة لا يدخل أحد الجنة الا بالروح ولا النار الا بالعمل قال الواحدى فهم لا يتكلمون بمعنى الخلق كلهم الا من أذن له الرحمن وهم المؤمنون والملائكة وقال في الدنيا صوابا أى شهد بالتوحيد قال البيضاوى قوله لا يتكلمون الخ تقرير وتأكيد لقوله لا يمكن أن يكون فان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذ لم يقدر ان يتكلموا بما يكون صوابا كـ الشفاعة لمن ارتضى الا بآذنه فكيف يمكن غيرهم والاشارة بقوله (ذلك) الى يوم قيامهم على تلك الصفة وهو مبتدأ وخبره (اليوم الحق) أى الكائن الواقع المتحقق الثابت وقوعه (فن شاء اتخذ الى ربه ما يشاء) أى مرجعها يرجع اليه بالعمل الصالح لانه اذا عمل خير اقرب الى الله واذا عمل شرا بعد منه قال قتادة ما بأسبلا قال أبو السعد الفراء فصحة تفصح عن شرط محذوف ومنفعل المشيئة محذوف وقوله الى ربه أى الى ثوابه وهو متعلق بما بدأ كنهه قيل واذا كان الامر كما ذكرتم تحقق اليوم المذكور لا محالة فن شاء ان يتخذ مرجعها الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعلى ذلك بالايان والطاعة وتعلق الجار به لما فيه من معنى الانضاء والايصال انتهى ثم زاد سبحانه فى تخويف الكفار فقال (انا انذرناكم) يا كفار مكة (عذابا قريبا) يعنى العذاب فى الآخرة وكل ما هو آت فهو قريب ومثله قوله كانوا يوم يرونهم يلعبوا الاعشى أو ضحاها كذا قال الكلبي وغيره وقال قتادة هو عذاب الدنيا لانه أقرب العذابين قال مقاتل هو قتل قريش بيدير والاول أولى لقوله (يوم ينظر المرء) أى كل امرئ مسلم كان أو كافرا (ما قدم يده) أى يشاهد كل ما قدمه من خير أو شر لقوله ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتخصصه ايدي لان أكثر الاعمال يقع بها وان احتمل أن لا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام وما موصولة أو استفهامية قال الحسن والمرء هنا المؤمن أى يجذل نفسه عملا فاما الكافر فلا يجذل نفسه عملا فيمتنى أن يكون ترابا وقيل المراد به الكافر على العموم وقيل أى بن خلف وعقبه بن أبى معيط والاول أولى لقوله (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) فان الكافر واقع فى مقابلة المرء والمراد جنس الكافر يمتنى أن يكون ترابا لما يشاهده مما قد أعد الله له من أنواع العذاب والمعنى انه

انها النجوم واه ابن أبي حاتم وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدى وغيرهم انها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر حدثنا هود بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبد الله فى قوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال هي النجوم الدرارى التى تجرى تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة انما قيل للنجوم الخنس أى فى حال طلوعها ثم هي جوارى فلما كها فى حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب أى الظنى الى كئاسه اذا تغيب فيه وقال الاعشى عن ابراهيم قال قال عبد الله فلا أقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثوري عن أبي اسحق عن أبي مسيرة عن عبد الله فلا أقسم بالخنس الجوار

الكس ما هي يا عمر وقلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبي اسحق عن أبيه وقال أبو داود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس الخوار الكس قال البقر تكس الى الظل وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء وكذا قال سعيد أيضاً ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هي الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم ومجاهد أنهم ما تذكروا هذه الآية فلا قسم بالخس الخوار الكس فقال إبراهيم لمجاهد قل فيها بما فيها سمعت قال فقال مجاهد ما سمع فيها شيئا وناس يقولون (١٧١) انها النجوم قال فقال إبراهيم قل فيها بما

سمعت قال فقال مجاهد كأن سمع انها بقر الوحش حين تكس في حجرها قال فقال إبراهيم انها يكدبون على علي هذا كبر ووا عن علي انه ضمن الاسفل الاعلى والاعلى الاسفل وتوقف ابن جرير في المراد بقوله الخس الخوار الكس هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مراد وقوله تعالى والليل اذا عسعس فيه قولان أحدهما اقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبيرة اذا انشأ وقال الحسن البصري اذا غشي الناس وكذا قال عطية العوفي وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس اذا عسعس اذا أدبر وكذا قال مجاهد وقادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن اذا عسعس اذا ذهب فتولى وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي بصير عن سمع بأبي عبد الرحمن السلمي قال خرج علينا على رضى الله عنه حين ثوب المشوب بصلاة الصبح فقال أين السائلون عن الوتر والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس هذا (١) حين دبر حسن وقد اختار

يتنى انه كان ترابا في الدنيا فلم يخلق ولم يكفأ وتراب يوم القيامة فلم يبعث وقيل المراد بالكافر أبو جهل وقيل أبو سلمة بن عبد الاسد الخزومي وقيل ابلبس والاول أولى اعتبارا بعموم اللفظ ولا يتنافيه خصوص السبب كما تقدم غير مرة ووضع الظاهر موضع المفسر لزيادة الذم عن أبي هريرة قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عذاب الله ان يؤخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور وأما الجن فقال أبو الزناد يهودون تراباً أيضاً وقال عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مؤمنوا الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها والذي عليه الاكثرون انهم مكلفون مشابون ومعاقبون فالؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار كمنى آدم ذكره الخطيب والله أعلم بالصواب

* (سورة النازعات وتسمى سورة الساهرة خمس أو ست

وأربعون آية وهي مكية بلا خلاف) *

قال ابن عباس نزات بمكة وعن ابن الزبير مثله

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والنازعات غرقا) اقسام سبحانه بهذه الاشياء التي ذكرها وهي الملائكة التي تنزع ارواح العباد عن أجسادهم كما ينزع النازع في القوس فيبلغ بها غاية المتوكل والمراد بالناشطات والسابحات والسابحات والمدرات يعنى الملائكة والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغير الوصفى منزلة التغير الذاتي وانما جاءت هذه الاقسام باللفظ التأنيث والكل وصف للملائكة مع انهم ليسوا اناثا لان المقسم به طوائف من الملائكة والطوائف جمع طائفة وهي مؤنثة وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال السدي النازعات هي النفوس حين تغرق في الصدور وقال مجاهد هي الموت تنزع النفس وقول قتادة هي النجوم تنزع من أفق الى أفق من قولهم نزع اليه اذا ذهب أو من قولهم نزع بالحبيل أى انها تغرب وتغيب وتطلع من أفق آخر وبه قال أبو عبيدة والاختلاف وابن كيسان وقال عطاء وعكرمة النازعات القسي تنزع بالسهم واغراق النازع في القوس ان عيده غاية المدح حتى ينتهي به الى النصل وقيل أراد بالنازعات الغزاة الرماة وانتصاب

ابن جرير ان المراد بقوله اذا عسعس اذا أدبر قال لقوله والصبح اذا تنفس أى أضاء واستشهد بقول الشاعر أيضا

حتى اذا الصبح له تنفسا * وانحجاب عنها ليلها وعسعسا
وان كان يصح استعماله في الادبار أيضا لكن الاقبال ههنا أنسب كانه أقسم بالليل وضلامه اذا قبل وبالفجر وضياؤه اذا أشرق كما قال تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلجى وقال تعالى والليل اذا سمى والليل اذا جلى والليل سكا وغير ذلك من الآيات وقال كثير من علماء الأصول ان لفظة عسعس تستعمل في الاقبال والادبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح قوله حين دبر حسن كذا بالاهول وحرر اه

أن يراد كل منهما والله أعلم قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عيسى بن مريم كان له من ضوء مقبس
كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا

يريد لو يشاء اذ لنا أدغم الذال في الدال قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع وقوله تعالى والصبح إذا تنفس قال الضحاك
إذا طلع وقال قتادة إذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبيرة إذا نشأ وهو المروى عن علي رضي الله عنه وقال ابن جرير يعني ضوء النهار
إذا أقبل وتبين وقوله تعالى أنه لقول رسول (١٧٢) كريم يعني أن هذا القرآن له مبلغ رسول كريم أي ملك شريف حسن

الخلق به المنظر وهو جبريل عليه
الصلاة والسلام قاله ابن عباس
والشعبي وميمون بن مهران والحسن
وقتادة والربيع بن أنس والضحاك
 وغيرهم ذي قوة كقوله تعالى علمه
شديد القوى ذو مرة أي شديد
الخلق شديد البطش والفعل عند
ذي العرش مكن أي له مكانة عند الله
عز وجل ومنزلة رفيعة قال أبو صالح
في قوله تعالى عند ذي العرش مكن
قال جبريل يدخل في سبعين حجبا
من نور بغير إذن مطاع ثم أي له
وجاهة وهو مسموع القول مطاع
في الملا الأعلى قال قتادة مطاع ثم
أي في السموات يعني ليس هو من
افساد الملائكة بل هو من السادة
والإشراف معتنى به انتخب له هذه
الرسالة العظيمة وقوله تعالى أمين
صفة لجبريل بالامانة وهذا عظيم
جد أن الرب عز وجل يزكي عبده
ورسوله الملك جبريل كزكي عبده
ورسوله النبى محمد صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى وما صاحبكم
بمجنون قال الشعبي وميمون بن
مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم
المراد بقوله وما صاحبكم بمجنون
يعنى محمد صلى الله عليه وسلم وقوله

غرقا على أنه مصدر محذوف الزوائد أي أغرقا أو الناصب له ما قبله الملا فانه في المعنى أي
أغرقا في التزع حيث تنزعها من أقاصى الأجساد أو على الحال أي ذوات أغرقا يقال
أغرق في الشيء يفرق فيه إذا أوغل فيه وبلغ غايته وعن علي قال هي الملائكة تنزع
أرواح الكفار وعن ابن عباس قال هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار
وقال ابن مسعود الملائكة الذين يلون أنفس الكفار (و) معنى (الناشطات نشطا) أنها
تنشط النفوس أي تخرجها من الأجساد كما ينشط العقل من يد البعير إذا حل عنه حلا
رفيقا ونشط الرجل اللوم البتر إذا أخرجها والنشاط الجذب بسرعة ومنه الانشودة
للعقدة التي يسهل حلها قال أبو زيد نشط الحبل أنشطه نشاطا عقده وأنشطته أي
حلمته وأنشطت الحبل أي مددته قال الفراء أنشط العقل أي حل ونشط أي ربط الحبل
في يديه قال الأصمعي بثرانشاط أي قربة القعر يخرج اللومها بجذبة واحدة وبثر
نشوط وهي التي لا يخرج منها اللوح حتى ينشط كثيرا وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس
الإنسان وبه قال ابن عباس وقال السدي هي النفوس حين تنشط من القدمين وقال
عكرمة وعطاء هي الأوهاق التي تنشط السهام وقال قتادة والحسن والاختش هي
النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي تذهب قال في الصحاح والناشطات نشطا يعني النجوم
من برج إلى برج كالنور الناشط من بلد إلى بلد والهموم تنشط بصاحبها وقال أبو عبيدة
وقتادة هي الوحوش حين تنشط من بلد إلى بلد وقيل الناشطات لأرواح المؤمنين
والنازعات لأرواح الكافرين لأنها تجذب روح المؤمن برفق وتجذب روح الكافر
بعتف وقوله نشطا مصدر وكذا سبحانه وسبقا قال علي هي الملائكة تنشط أرواح الكفار
ما بين الأنظار والجلد حتى تخرجها وعن معاذ بن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لا تغرق الناس ففرقك كلاب النار تنشط أرواح الكفار
ما هو قلت يا نبى الله ما هو قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم أخرج ابن مردويه
(والساجحات ساجا) هي الملائكة تسبح في الأبدان لأخراج الأرواح كما يسبح الغواص في
البحر لأخراج شيء منه يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسألونها أسلا رفيقا ثم
يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالساجح في الماء يتحرك فيه برفق ولما فاة وقال
مجاهد وأبو صالح هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله كما يقال للفرس الجواد

تعالى ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه ساجح
الله عليها ستمائة جناح بالافق المبين أي البين وهي الروية الأولى التي كانت بالطعام وهي المذكورة في قوله علمه شديد القوى
ذو مرة فاستوى وهو بالافق الأعلى ثم دنا فدل فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى كما تقدم تفسير ذلك وتقريره
والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل إله الأسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه
الروية وهي الأولى وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه ساجح

السدره ما يغشى فتلك انما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الاسراء وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أى وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أى بظنهم ومنهم من قرأ ذلك بالاضاد أى بجعل بل يذله لكل أحد قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أى ما هو بكاذب وما هو بفاضر والظنين المتهم والضعيف وقال قتادة كان القرآن غيبا فانزله الله على محمد فاضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد قلت وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم وقوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم أى (١٧٣) وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أى لا يقدر على حله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال

سابع اذا أسرع في جريه وقال مجاهد أيضا الساجحات الموت تسبح في نفوس بني آدم وقيل هي الخيل الساجدة في الغزو وقال قتادة والحسن هي النجوم تسبح في أفلاكها كما في قوله وكل في فلك يسبحون وقال عطاء هي السفن تسبح في الماء وقيل هي أرواح المؤمنين تسبح شوقا الى الله وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي الملائكة تسبح بارواح المؤمنين بين السماء والارض (فالسابقات سابقا) هم الملائكة على قول الجمهور كما سلف قال مسروق ومجاهد تسبق الملائكة الشياطين بالوحي الى الانبياء وقال أبو روق هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وروى نحوه عن مجاهد وقال مقاتل هي الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة وقال الربيع هي أنفس المؤمنين تسبق الى الملائكة شوقا الى الله وقال علي كرم الله وجهه هي الملائكة يسبق بعضها بعضا بارواح المؤمنين الى الله تعالى وقال مجاهد ايضا هو الموت يسبق الانسان وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم يسبق بعضها في السير بعضها وقال عطاء هي الخيل التي تسبق الى الجهاد وقيل هي الارواح التي تسبق الاجساد الى الجنة أو النار قال الجرجاني عطف السابقات بانفاء لانها مسببة عن التي قبلها أى واللائي يسجن فيسجن بقول قام فذهب فهذا يوحي أن يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب بالواو لم يكن القيام سببا للذهاب قال الواحدي وهذا غير مطرد في قوله الآتي فالمدبرات امر الانبياء بعد أن يجعل السبق سببا للتدبير قال الرازي ويمكن الجواب عما قاله الواحدى بانها لما أمرت سجت فسبقت فدرت ما أمرت بتدبيره فتكون هذه أفعالا يتصل بعضها ببعض كقوله قام زيد فذهب فضرب عرا والماسبة والى الطاعات وسارعوا اليها ظهرت أمانتهم ففوض اليهم التدبير ويحاج عنه بان السبق لا يكون سببا للتدبير كسببية السج للسبق والقيام للذهاب ومجرد الاتصال لا يوجب السببية والمسببية والاولى ان يقال العطف بالفاء في المدبرات طو بوق به ما قبله من عطف السابقات بالفاء ولا يحتاج الى نكتة كما احتاج اليها ما قبله لان النكتة انما تطلب لمخالفة اللاحق للسابق لا لمطابقته وموافقته (فالمدبرات أمرا) قال علي هي الملائكة تدبر أمر العباد من السنة الى السنة وعنه يدبرون ذكر الرحمن وأمره وقال ابن عباس ملائكة يكونون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم فمنهم من يرجع بالروح ومنهم من يؤمن على الدعاء ومنهم من يستغفر

سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى لما نزلت هذه الآية لمن شاء منكم أن يستقيم قال أبو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين آخر تفسير سورة التكوين والله الحمد

* (تفسير سورة الانفطار وهي مكية) قال النسائي أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الاعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال قام معاذ فصرى العشاء الاخرة فطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفئتان أنت يا معاذ أين كنت عن سجع اسم ربك الاعلى والضحى واذا السماء انفطرت وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر اذا السماء انفطرت في أفراد النسائي وقد تقدم من رواية عبد الله

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت * (بسم الله الرحمن الرحيم) * إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك كذا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) يقول تعالى إذا السماء انفطرت أي انشقت كما قال تعالى السماء منفطرة وإذا الكواكب انتثرت (١٧٤) أي تساقطت وإذا البحار فجرت قال علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس بن جابر الله بعضه في بعض وقال الحسن بن جابر الله بعضه في بعض فذهب مأوها وقال قتادة اختلط عذبا بمالحها وقال الكلبي ملئت وإذا القبور بعثرت قال ابن عباس بحثت وقال السدي تبعثر تحرك فيخرج من فيها علمت نفس ما قدمت وأخرت أي إذا كان هذا أصل هذا وقوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه ارشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى في هذه الآية ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم أي العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق به كما جاء في الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة ابن آدم ما غرك لي ابن آدم ماذا أحببت المرسلين قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان أن عيسى بن جابر قال يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم فقال عمر الجهمي وقال أيضا حدثنا عمر بن شبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكا سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه

للصبي حتى يصلي عليه ويدلى في حفرة قال القشيري اجمعوا على أن المراد هنا الملائكة وقال الماوردي فيه قولان أحدهما الملائكة وهو قول الجمهور والثاني أنها الكواكب السبع حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها الأمر وجهان أحدهما تدبر طلوعها وأقولها الثاني تدبر ما قضاه الله فيها من الأحوال ومعنى تدبر الملائكة لا ممر نزولها بالحلل والحرام وتفصيلهما والفاعل للتدبير في الحقيقة وإن كان هو الله عز وجل لكن لما نزلت الملائكة به وصفت به وقيل إن الملائكة لما أمرت بتدبير أهل الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك قيل لها مدبرات قال عبد الرحمن بن سابط تدبير أمر الدنيا إلى أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وأما عزرائيل فوكل بقبض الأنفس وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم وجواب القسم بهذه الأمور التي أقسم الله بها محذوف أي والنازعات وكذا وكذا التبعين قال الفراء وحذف لمعرفة السامعين به ويدل عليه قوله أن هذا كذا عظا ما تخبره وقيل إن جواب القسم قوله إن في ذلك لعبرة لمن يخشى أي إن في يوم القيامة وذكري موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى قال ابن الأنباري وهذا قريب لأن الكلام قد طال بينهما وقيل جواب القسم هل أتاك حديث موسى لأن المعنى قد أتاك وهذا ضعيف جدا وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة على تقدير ليوم ترجف الراجفة تتبعها الراجفة وقال السجستاني يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير كأنه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات قال ابن الأنباري وهذا خطأ لأن الفاء لا يفتح بها الكلام والاول أولى وقال الكرخي الفاء فيها للدلالة على ترتيبها ما بغير مهله وهو من عطف المقسم به والمعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنوان منزلة التغاير الذاتي للأشعار بأن كل واحد من الأوصاف المحدودة من معظمت الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناط الاستحسان موصوفه للأجلال والاعظام بالأقسام به من غير انضمام الأوصاف الآخر إليه (يوم ترجف الراجفة) اتصاب هذا الطرف بالجواب المقدر للقسم أو باضمار ذكر الراجفة المضطربة يقال رجف رجف إذا اضطرب والمراد هنا الصيحة العظيمة التي فيها تردد واضطراب كالعدو هي النخلة الأولى التي يموت بها جميع الخلائق قاله ابن عباس (تتبعها الراجفة)

الآية يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم قال ابن عمر غره والله جهله وروى عن ابن عباس والربيع بن خيثم هي الحسن مثل ذلك وقال قتادة ما غرك بربك الكريم شي ما غراب آدم غير هذا العدو الشيطان وقال الفضيل بن عياض لو قال لي ما غرك لي لقلت ستورك المراحة وقال أبو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم قال البغوي وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل لانه إنما أتى باسمه الكريم لينبهه على انه لا ينبغي ان يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور وقد حكى البغوي عن الكلبي

ومقاتل انهما ازالتا هذه الآية في الاسود بن شريق ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقب في الحالة الراهنة فانزل الله تعالى ما عرك برك الكرم وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعد لك أي ما عرك برك الكرم الذي خلقك فسواك فعد لك أي جعلك سوا ما مستقيما تعدل القامة منتصها في أحسن الهيئات والاشكال قال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جابر بن نفير عن بشر بن جحاش القرشي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصب يوما في كفة فوضع عليها اصبعه ثم قال قال الله عز وجل بني آدم أني تعجزني وقد خلقتك من مثل (١٧٥) هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين

بردين وللارض منك ونيب جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأني أو ان الصدقة وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هرون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي وتابعه يحيى بن حمزة عن شاذب بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى في اي صورة ماشاء ركبتك قال مجاهد في اي شبه أب أو أم أو خال أو عم وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان الفزاري حدثنا مظهر بن الهيثم حدثنا موسى بن علي بن رباح حدثني أبي عن جدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما ولد لك قال يا رسول الله ما عسى ان يولد لي اما غلام واما جارية قال فمن يشبهه قال يا رسول الله عسى ان يشبهه اما اياه واما أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عندهما له لا تقولن هكذا ان النطفة اذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى في اي صورة ماشاء ركبتك قال سلكك وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني

هي النفخة الثانية التي تكون عند البعث قاله ابن عباس وبينهم ما أربعون سنة فالיום واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية وسميت رادفة لانها ردفت النفخة الاولى كذا قال جمهور المفسرين وقال ابن زيد الراحفة الارض والرادفة الساعة وقال مجاهد الراحفة الزلزلة تتبعها الرادفة الصحيحة وقيل الراحفة اضطراب الارض والرادفة الزلزلة وأصل الراحفة الحركة وليس المراد التحرك هنا فقط بل الراحفة هنا مأخوذة من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اذا ظهر صوته ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وظهور الاصوات فيها ومحل تتبعها الرادفة النصب على الحال من الراحفة والمعنى تسعين يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها وعن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاء الراحفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه أخرجه أحمد والنسائي وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترجف الارض رجفا وترزّل بأهلها وهي التي يقول الله يوم ترجف الراحفة تتبعها الرادفة يقول مثل السفينة في البحر تكفأ بأهلها مثل القنديل المعلق بأرجائها أخرجه ابو الشيخ وابن مردويه والديلمي (قلوب يومئذ وراحفة) قلوب ممبتدا ويومئذ منصوب وراحفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة اي قلوب مضطربة خائفة قلقمة خائفة لما عاينت من احوال يوم القيامة قال جمهور المفسرين اي خائفة وجله وقال ابن عباس وجله متحركة وقال السدي زالتة عن اما كنه انظريه اذا القلوب لدى الحناجر وقال المؤرج قلقة مستوفزة وقال المبردة اضطربة يقال وجف القلب يحف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب وجيبا والايجاب السير السريع فأصل الوجيف اضطراب القلب وقال ابن عباس خائفة (أبصارها) مبتدأ ثان وخبره (خائشة) والجملة خبر الاول وفي الكلام حذف مضاف تقديره أبصار أصحاب القلوب ذليلة والضمير راجع الى أصحاب القلوب فهو من الاستخدام والمراد أنهم اتطهر عليهم الذلة والخشوع عندهما بانه احوال يوم القيامة كقوله خاشعين من الذل قال عطاء يريد أبصار من مات على غير الاسلام ويدل على هذا ان السياق في منكري البعث (يقولون ائنا لمردودون في الحافرة) هذا حكاية لما يقوله المنكرون للبعث في الدنيا استمراء وانكارا

من حديث مظهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية ولكن اسناده ليس بالناصب لان مظهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان يروي عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديثه الاثبات ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان امرأتى ولدت غلاما اسود قال هل لك من ابل قال نعم قال فأتوانها قال جرح قال فهل فيها من أوزق قال نعم قال فأتى أناها ذلك قال عسى أن يكون نزع عرق قال وهذا عسى أن يكون نزع عرق وقد قال عكرمة في قوله تعالى في أي صورة ماشاء ركبتك ان شاء في صورة قرد وان شاء في صورة خنزير وكذا قال أبو صالح في أي صورة ماشاء ركبتك ان

شاه في صورة كلب وان شاه في صورة جمل وان شاه في صورة خنزير وقال قتادة في اي صورة ما شاء ركبك قال قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عندهؤلاء ان الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته واطفه وحلمه يخلفه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة وقوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين اي انما يحمدكم على مواجهة الكبريم ومقابله بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالاعاد والجزام والحساب وقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون يعني وان عليكم ملائكة تحفظكم كراما فلا تقابلوهم بالقبايح فانهم يكتبون عليكم

(١٧٦)

جميع أعمالكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومهمر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدي حالتين الجنابة والغائط فاذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو بعبيره أو بستره أخوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كدامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدي ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بنوبه أو بجرم حائط أو بعبيره ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقدرى عنه واحتمل حديثه وقال الحافظ أبو بكر البزار

للبيع اذا قيل لهم انكم تبعون اي أورد الى اول حالنا وابتداء امرنا فاصير أحياء بعد موثنا يقال رجوع فلان في حافرة اي رجوع من حيث جاء والحافرة عند العرب اسم لاول الشيء وابتداء الامر ومنه قولهم رجوع فلان على حافرة اي على الطريق الذي جاء منه يقال النقد عند الحافرة اي عند الحالة الاولى وهي الصفقة ويقال اقتتل القوم عند الحافرة اي عند اول ما التقوا وسميت الطريق التي جاء منها حافرة لتأثيره فيها بمشييه فيها فهي حافرة بمعنى محفورة وقيل الحافرة العاجلة والمعنى ان المردودون الى الدنيا وقيل الحافرة جمع حافرة بمعنى القدم أي أنمشی احياء على اقدامنا ونطأ بها الارض وقيل فاعله بمعنى مفعولة وقيل على النسب اي ذات حفرو والمراد الارض وقيل الحافرة الارض التي يحفر فيها قبورهم والمعنى ان المردودون في قبورنا احياء كذا قال الخليل والفراء وبه قال مجاهد وقال ابن زيد الحافرة النار واستدل بقوله تلك اذا كرة خاسرة قال ابن عباس في الحافرة أي الحياة وعنه قال خلقا جديدا قرأ الجمهور في الحافرة وقرأ أبو حيوة في الحفرة ثم زادوا في الاستبعاد بقولهم (أنذا كذا عظا ما نخرة) اي بالية متفتتة يقال انخر العظم بالكسر اذا بلى وهذا تأكيد لانكار البعث اي كيف نرد أحياء ونبعث اذا كذا عظا ما نخرة والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي أنذا كذا عظا ما بالية نرد ونبعث مع كونها بعد شيء من الحياة قرأ الجمهور نخرة وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ناخرة واختار الاولي أبو عبيد وابو حاتم والثانية الفراء وابن جرير وابو مغازي النخوي قال أبو عمرو بن العلاء النخرة التي لم تنخر بعد أي لم تبل ولا بد ان تنخر وقيل هـ ما يعني تقول العرب نخر الشيء فهو ناخر ونخرو طمع فهو طامع وطمع ونخرو ذلك قال الاخفش هما جميعا الغتان ايهما قرأت فحسن وقيل النخرة التي أكلت اطرافها وبقيت أوساطها والنخرة التي فسدت كلها وقال مجاهد نخرة اي مرفوعة كما في قوله رفاتا وقيل النخرة المجوفة التي تعرفها الريح فتنخر أي تصوت وقد قرئ اذا كنا وأنذا كذا بالاستفهام وبعده ثم ذكر سبحانه عنهم قول آخر قاله فقال (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) أي رجعة ذات خسرة لما يقع على أصحابها من الخسران والمعنى انهم قالوا ان رددنا بعد الموت للخسران بما يصيبنا بعد الموت بما يقوله محمد وهذا استهزاء منهم وقيل معنى خاسرة كاذبة أي ليست بكائنة كذا قال الحسن وغيره وقال الربيع بن أنس خاسرة على من كذب بها وقال قتادة ومحمد بن كعب أي لئن رجعنا بعد الموت لنخسر

بالنار

حدثنا زيد بن أيوب حدثنا ميسرة بن اسمعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيع عن الحسن يعني البصري عن

أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان الى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا الا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة ثم قال تفرد به تمام بن نجيع وهو صالح الحديث قلت وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدى ورماه ابن حبان بالوضع وقال الامام أحمد لا أعرف حقيقة أمره وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الشيخ بن سلمان الغدادي المعروف بالطوسي حدثنا تان بن جران حدثنا سلام عن

منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ملائكة يعرفون بني آدم وأحسبه قال ويعرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكره بينهم وسبحوه وقالوا أفلح الليلة فلان ليجال الليلة فلان وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكره بينهم وسبحوه وقالوا هلك الليلة فلان ثم قال البرار سلام هذا أحسبه سلام المداين وهو لين الحديث (ان البرار لنبي نعيم وان الفجار لنبي عذاب يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والا امر يومئذ الله) يخبر تعالى عما يصير (١٧٧) البرار إليه من النعيم وهم الذين

اطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام ابن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي اسحق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله البرار لانهم برروا الآباء والابناء ثم ذكر ما يصير اليه الفجار من العذاب والعذاب المقيم ولهذا قال يصلونها يوم الدين أي يوم الحساب والحزاء والقيامة وما هم عنها بغائبين أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوموا واحدا وقوله تعالى وما أدراك ما يوم الدين تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكد بقوله تعالى ثم ما أدراك ما يوم الدين ثم فسر بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقد كرهنا حديث يابني هاشم انفذوا أنفسكم من النار لأملك لكم من الله شيئا وقد تقدم في آخره سورة الشعراء ولهذا قال

بالنار وانما قالوا هذا لأنهم أوعدوا بالنار والكفرة الرجعة والجمع كرات وقوله (فانما هي زجرة واحدة) تعليل لما يدل عليه ما تقدم من استبعادهم لبعث العظام النخرة واحياء الاموات والمعنى لا تستبعدوا ذلك فانما هي زجرة واحدة وكان ذلك الاحياء والبعث والمراد بالزجرة الصيحة وهي النفخة الثانية التي يكون البعث بها وقيل ان الضمير في انما هي راجع إلى الرادفة المتقدمة ذكرها التي يعقبها البعث وسميت هذه النفخة زجرة لأنه يفهم منها النهي عن التخلف والمنع منه وعبارة الخطيب وعبر بالزجرة لأنها أشد من النهي لأنها صيحة لا يختلف عنها القيام أصلا (فاذا هم بالساهرة) أي إذا الخلائق الذين قد ماتوا ودفنوا احياء على وجه الارض قال الواحدى المراد بالساهرة وجه الارض وظاهرها في قول الجميع قال الفراء سميت بهذا الاسم لان فيها نوم الحيوان وسهرهم وقيل لأنه يسهر في فلاتها خوفا منها فسميت بذلك قال في الصحاح الساهرة وجه الارض وبنيته قوله فاذا هم بالساهرة وقال الساهرة أرض بيضاء وقيل أرض من فضة لم يعص الله فيها وقيل الساهرة الأرض السابعة يأتي بها الله سبحانه فيحاسب عليها الخلائق وقال سفيان الثوري الساهرة أرض الشام أو أرض مكة أو أرض القيامة وقال قتادة هي جهنم أي فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون فيها لاستمرار عذابهم وقال ابن عباس هي وجه الارض وفي لفظ الارض كلها ساهرة وجملة (هل أتاك حديث موسى) مستأنفة مسوقة لتسليط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه وأنه يصيبهم مثل ما اصاب من كان قبلهم ممن هو أقوى منهم ومعنى هل أتاك قد جاءك وبلغك وهذا على تقدير أن قد سمع من قصص فرعون وموسى ما يعرف به حديثهما وعلى تقدير ان هذا أول ما نزل عليه في شأنهما فيكون المعنى على الاستنهام اذ لا وجه لجملة على الاقرار حينئذ أي هل أتاك حديثه انا أخبرك به (اذنا داه ربه بالواد المقدس طوى) الظرف متعلق بحديث لا بأناك لاختلاف وقتيهما وقدم موسى وخبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية والواد المقدس المبارك المطهر غاية الطهر يتشرى الله به بالزال النبوة فيه المفضية للبركات قال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر سمى طوى لأنه طوى فيه الشر عن بني اسرائيل أو لان موسى طواه بالليل اذ مر به فارتفع إلى أعلى الوادي وقيل والبالشام عند الطور بين يله ومصر وهو معدول من طاو كما عدل عمر من عامر قاله الفراء قال والصرف

(٢٣ - فتح البيان عاشر) والا امر يومئذ كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكقوله مالك يوم الدين قال قتادة يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والا امر يومئذ لله والا امر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد وبه الحد والمنة وبه التوفيق والعصمة آخر تفسير سورة الانفطار * (سورة المطففين وهي مدينته) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (ويل للمطففين الذين اذا كآلوا على الناس يستوفون واذا كآلوا هم أو وزنواهم يخسرون ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاذان بن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قال احداثا على بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد وهو ابن أبي سعيد النخعي مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم النبي صلى الله

عليه وسلم المدينة كانوا من اخبت الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين خسروا الكيل بعد ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 حعفر بن النضر بن جاد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبيد الله بن الحرث عن هلال بن طلق قال بينما انا اسير
 مع ابن عمر فقلت من احسن الناس هيئة وأوفاه كيلا أهل مكة وأهل المدينة قال حق لهم ما سمعت الله تعالى يقول ويل للمطففين
 وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله المكتب عن رجل عن عبد الله قال له رجل يا أبا عبد الرحمن
 ان أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما ينعمهم (١٧٨) ان يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى ويل للمطففين حتى

بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين
 والمراد بالتطفيف ههنا الجنس في
 المكيل والميزان اما بالازدياد ان
 اقتضى من الناس واما بالنقصان
 ان قضاهم ولهذا افسر تعالى
 المطففين الذين وعدتهم بالخسار
 والهالك وهو الويل بقوله تعالى
 الذين اذا كآلوا على الناس أى من
 الناس يستوفون أى يأخذون
 حقهم بالوفاء والزائد اذا كآلهم
 أو وزنهم يخسرون أى ينقصون
 والاحسن ان يجعل كآلوا وزنوا
 متعديا يكون هم في محل نصب
 ومنهم من يجعلها ضمير مؤكدا
 للمستتر في قوله كآلوا وزنوا ويحذف
 المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما
 متقارب وقد أمر الله تعالى بالوفاء
 في الكيل والميزان فقال تعالى
 وأوفوا الكيل اذا كنتم وزنوا
 بالقسط المستقيم ذلك خير
 وأحسن تأويلا وقال تعالى
 وأوفوا الكيل والميزان بالقسط
 لا تكاف نفسا الا وسعها وقال
 تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا
 تخسروا الميزان وأهلك الله قوم
 شعيب ودمرهم على ما كانوا

أحب الى آدم اجد في المعدول نظيره وقيل طوى معناه بالعبرانية يارجل فكله قيل
 يارجل وقيل المعنى ان الوادى المقدس يورث فيه مرتين والاول أولى وقدمضى تحقيق
 القول فيه قرئ طوى بالتثنية وتركه وهما سبعيتان قال الجوهرى طوى اسم موضع
 بالشام تنكسر طاءه وتضم ويصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم وادومكان وجعله
 نكرة ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة (اذهب الى فرعون) قيل هو على
 تقدير القول وقيل هو تفسير للنداء أى ناداه نداء هو قوله اذهب وقيل هو على حذف
 ان المفسرة ويؤيده قراءة ابن مسعود ان اذهب لان في النداء معنى القول وجملة (انه
 طغى) تعليل للامر أو لوجوب الامتنال أى جاوز الحد في العصيان والفساد والتكبر
 والكفر بالله قال الرازي ولم يبين انه طغى فى أى شئ فمفعل تكبر على الله وكفر به وقيل
 تكبر على الخلق واستعبدهم (فقل هل لك الى ان تركى) أى قل له بعد وصولك اليه هل لك
 رغبة الى التركى وهو التظاهر من الشرك وأصله تركى قرأ الجمهور بالتخفيف وقرأ
 نافع وابن كثير بتشديد الزاى على ادغام الناء فى الزاى قال أبو عمرو بن العلاء معنى قراءة
 التخفيف تكون زكيا مؤمنا ومعنى قراءة التشديد الصدقة وفى الكلام مبتدأ مقدر
 تتعلق به الى والتقدير هل للشرعة أو توجه أو سبيل الى التركى ومثل هذا قولهم هل لك فى
 الخير يريدون هل لك رغبة فى الخير وقال ابن عباس هل لك ان تقول لا اله الا الله وقيل
 معناه هل لك ان تسلم وتصلح العمل أمر عليه السلام ان يخاطبه بالاستفهام الذى معناه
 العرض ليستدعيه بالتلطف ويستنزه بالمداراة من عتوه وهذا نوع تفصيل لقوله فقولا له
 قولنا لينا له بتد كراؤى يخشى (وأهديك الى ربك فتحشى) أى أرشدك الى عبادته
 وتوحيده فتحشى عقابه والفاء لترتيب الخشية على الهداية لان الخشية لا تكون الا من
 مهتد راشد قال ابن عطاء الخشية أنهم من الخوف لانها صفة العلماء فى قوله تعالى انما
 يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به رواه السلمي وعن الواسطى أوائل العلم الخشية
 ثم الاجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء وعن بعضهم من تحقق بالخوف لها خوفه عن
 كل مفر وجهه وألزمه الكمد الى ان يظهر له الامن من خوفه ذكره الكرخى (فأراه
 الآية الكبرى) هذه الفاء هى الفصيحة لفصاحتها عن كلام محذوف يعنى فذهب فقال له
 ما قال مما حكاه الله فى غير موضع وأجاب عليه بما أجاب الى ان قال ان كنت جئت

ببعضون الناس فى الميزان والمكيل ثم قال متوعدا لهم ألا يظن أولئك انهم يبعثون ليوم عظيم أى ما يخاف
 أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرأثر والضمائر فى يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسوفه أدخل
 ناراحامية وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين أى يقومون حفاة عراغرا فى موقف صعب حرج ضيق ضنك على المحرم
 ويغشاهم من أمر الله تعالى ما نهجز القوى والحواس عنه قال الامام مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
 يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحته الى انصاف أذنيه زواه البخارى من حديث مالك بن عبد الله بن عون

كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمرو ومحمد ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى ان العرق ليالجحيم الرجال الى انصاف آذانهم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد يعني ابن الاسود الكندي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٧٩) يقول اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس

من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعماهم منهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حنطيه ومنهم من يلجمه الجمار ورواه مسلم عن الحكم ابن موسى عن يحيى بن حزمة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية ابن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منها الهوام كما تغلي القدور يعرفون فيها على قدر خطاياهم منهم من يبلغ الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ومنهم من يلجمه العرق انفرد به أحمد حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة جسي بن يؤمن انه سمع عقبه بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى

بآية فأت بها فعند ذلك أراه الآية الكبرى واختلف فيها ما هي ف قيل العصا وقيل فلق البحر وقيل هي جميع ما جاء به من الآيات التسع والاول أولى ثم السد والاكثر على انه أراه ما له وأطلق عليه ما الآية الكبرى لاختصاصها معنى أو أراد بالكبرى العصا وحدها لانها كانت مقدمة على الاخرى ولا ينافي هذا قوله في الآية الاخرى ولقد أريته آياتنا كلها وكل آياته كبرى لان الاخبار هنا عما أراه اول ملاقاته اياه وهو العصا واليد ثم أردف ذلك برفية الكل ولا مساع لجل الآية على مجموع معجزاته فان ما عداها تين الآيتين من الآيات التسع انما يظهر على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القضية وأمر السحرة متروك بعده (فكذب وعصى) أي فلما أراه الآية الكبرى كذب فرعون بموسى وبما جاء به وعصى الله عز وجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر فلم يطعه (ثم أدبر) أي تولى وأعرض عن الايمان وأتى بهم لان ابطال الامر ونقضه يقتضي زمانا طويلا (يسعى) أي يعمل بالفساد في الارض ويجهتد في معارضة ما جاء به موسى وقيل أدبر هاربا من الحمية يسعى خوفانها وقال الرازي معنى أدبر يسعى أقبل يسعى كما يقال أقبل يفعل كذا أي أنشأ يفعل كذا فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال ويسعى حال من الضمير في أدبر (خسر) أي خضع جنوده للقتال والخسارة أو جمع السحرة للمعارضة أو جمع الناس للعضو ريشا هدا وما يقع أو جمعهم لينة عوهم من الحمية (فنادى فقال أنار بكم الاعلى) أي قال لهم بصوت عال أو أمر من ينادى بهذا القول بعدما قال له موسى ربي أرسلني اليك والمعنى انه لا ريب فوق قال عطاء كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وقال أنار ب أصنامكم وقيل أراد بكونه ربهم انه قائدهم وسائدهم والاول أولى لقوله في آية أخرى ما علمت لكم من اله غيري (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى) النكال نعت مصدر محذوف أي أخذه أخذ نكال وهو مصدر الفعل محذوف أي أخذه فذلكه نكال الآخرة والاولى أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة ويجوز أن يكون انتصاب نكال على انه مفعول له أي أخذه الله لاجل نكال ويجوز أن ينتصب بنزع الخافض أي بنكال ورجح الزجاج انه مصدر مؤكد قال لان معنى أخذه الله نكل الله به فأخرج من معناه لامن لفظه وقال القراء أي أخذه الله أخذ نكال أي

الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من الارض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ الى نصف الساق ومنهم من يبلغ الى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ وسط فيه وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا ومنهم من يغطي عرقه وضرب بيده إشارة انفرد به أحمد وفي حديث انهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي

حدثنا أبو يعون الزبدي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير الغفاري كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة قرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر قال بشير المستعان الله قال فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة وعن ابن مسعود يقولون أربعين سنة رافعي رؤسهم إلى (١٨٠) السماء لا يكلمهم أحد قد أجم العرق برهم وفاجرهم وعن

ابن عمر يقولون مائة سنة رواهما ابن جرير وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الخواري عن عاصم بن جندب عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتح قيام الليل يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة (كلان كتاب الفجار لني سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون يوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالو الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) يقول تعالى حقا ان كتاب الفجار لني سجين أي ان مصيرهم وما واهم لني سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخبر وسكير ونحو ذلك وللهذا عظم أمره فقال تعالى

للسكال والنسكال اسم لما جعل نسكالا للغير أي عقوبة له يقال نسكل فلان بفلان اذا عاقبه وأصل الكلمة من الامتناع ومنه النكول عن المين والنكل القيد والمراد بنسكال الآخرة عذاب النار ونسكال الاولى عذاب الدنيا بالغرق وقال مجاهد عذاب أول عمره وآخره وقال قتادة الآخرة قوله أنار بكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى وقيل الآخرة قوله أنار بكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من الله غيري قاله ابن عباس وكان بين الكلمتين أربعون سنة قاله ابن عمرو (ان في ذلك) أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به (لعبرة) عظيمة (لن) شأنه ان (يخشى) الله ويتقيه ويخاف عقوبته ويحاذر غضبه (أأنتم أشد خلقا ام السماء) أي اخلقكم بعد الموت وبعنكم اشد عندكم وفي تقدير كم ام خلق السماء والخطاب لكفار مكة والمقصود به التوبيخ لهم والتبكيت لان من قدر على خلق السماء التي لها هذا الجرم العظيم وفيها من عجائب الصنع وبدائع القدرة ما هو بين الناظرين كيف يعجز عن إعادة الاجسام التي اماتها بعد أن خلقها اول مرة ومثل هذا قوله سبحانه لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ثم بين سبحانه كيفية خلق السماء فقال (بناها) أي جعلها كالبناء المرتفع فوق الارض (رفع سمكها) أي اعلاه في الهواء وهذا بان البناء اوجعل مقدار ذهابها وارتفاعها في سمت العلو ورفعا مسيرة خمسمائة عام يقال سمكت الشيء أي رفعته في الهواء وسمك الشيء هو كارتفاعه قال الفراء كل شيء مثل شمس أو غيره فهو سمك وبناء مسموك وسمك اسمك أي عال والسموكات السموات وقال ابن جرير السمك غلط السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السفلى الاسفل الذي يليها وسطحها الاعلى الذي يلي ما فوقها قال البغوي رفع سمكها أي سقفها ولينظر ما المراد بسقفها ويمكن أن يقال سقف كل سماء هو السماء التي فوقها كما ان السماء الدنيا سقف للارض تأمل قال الكسائي والفراء والزجاج ثم الكلام عند قوله بناها لانه من صله السماء والتقدير أم السماء التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جائز ومعنى (فسواها) جعلها مستوية الخلق معتدلة الشكل لا تفاوت فيها ولا عوجاج ولا فطور ولا فروج ولا شقوق (وأغطش ليلها) الغطش الظلة بلغة أعمار أي جعله مظلا يقال اغطش الليل واغطشه الله كما يقال اظلم الليل واظلمه الله ورجل

وما أدراك ما سجين أي هو أمر عظيم وسجين مقيم وعذاب أليم ثم قد قال قائلون هي تحت الارض السابعة وقد أغطش تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل يقول الله عز وجل في روح الكافرا كتبوا كتابه في سجين وسجين هي تحت الارض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء وقيل يثرب جهنم وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غير ما منكر الا يصح فقال حدثنا اسحق بن وهب الواسطي - حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى وأما سجين فمستوح

والصحيح ان سجيننا مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل مائسافل منها ضاق وكل مانعالي منها اتسع فان الافلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الأرضون كل واحد منها أوسع من التي دونها حتى منتهى السفل المطلق والمحمل الاضيق الى المركز في وسط الارض السابعة ولما كان مصير الفجار الى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال ههنا مكان لان كتاب الفجار في سجين وما ادراك ما سجين وهو يجمع الضيق والسفل كما قال تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا

(١٨١)

كتاب مرقوم ليس تفسير القول وما أدراك ما سجين وانما هو تفسير لما كتب لهم من المصير الى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا زاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد قاله محمد بن كعب القرظي ثم قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين أي اذا صاروا يوم القيامة الى ما وعدهم الله من السجن والعذاب المهين وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن اعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن ضمرة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة الذين يكذبون يوم الدين أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره قال الله تعالى وما يكذب به الا كل معتد أثيم أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والاثيم في أقواله ان حدث كذب وان وعد اخلف وان خاصم فجر وقوله تعالى

اغطش وامرأة غطشى لا يمتديان قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذي في عينه عمش ومنه فلاة غطشى لا يمتدى فيها والغطش التعامى وضاف الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس مضافة الى السماء (واخرج ضحاها) أي أبرز نهارها الماضي باضاءة الشمس وعبر عن النهار بالضحي لانه أشرف أوقاته وأطيبها وأضافه الى السماء لانه يظهر بظهور الشمس وهي منسوبة الى السماء (والارض بعد ذلك) أي بعد خلق السماء (دحاها) بسطها يقال دحايد حود حواودحى يدحى دحيا أي بسط ومدفهو من ذوات الواو والياء فيكتب بالالف والياء يقال لعش النعمة أدحى لانه مبسوط على الارض قال أمية بن الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وانت على طيها قادر

قيل دحيت من مكة بعد خلق السماء بألفي عام ولا معارضة بين هذه الآية وبين ما تقدم في سورة فصلت من قوله ثم استوى الى السماء بل الجمع بانه سبحانه خلق الارض أولا غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحى الارض وقد قدمنا الكلام على هذا مستوفي هنالك وقد مرنا أيضا بجمنا في هذا في أول سورة البقرة عند قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وذكر بعض أهل العلم ان بعد بعثي مع كافي قوله عتل بعد ذلك نعيم وقبل بعد بعثي قبل كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أي من قبل الذكر والجمع الذي ذكرناه أولى وهو قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير وعن ابن عباس ان رجلا قال له آيتان في كتاب الله تخالف احدهما الاخرى فقال انما أتيت من قبل رأيك قال اقرأ قل أنسكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ ثم استوى الى السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها قال خلق الله الارض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحى الارض بعد ما خلق السماء وانما قوله دحاها بسطها وعنه قال دحاها ان أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الانهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والاكام وما بينهما في يومين قرأ الجمهور نصب الارض على الاشتغال وقرئ بالرفع على الابتداء ثم فسر سبحانه الدحو فقال (أخرج منها ماءها ومرعاها) فجرت من الارض الانهار والبحار والعيون والمرعى النبات الذي يرعى والمرعى مصدر رمي اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعى واستعير الرعى للانسان على سبيل التجوز قال الشهاب والمرعى ما يأكله الحيوان غير الانسان فأريده

اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين أي اذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد انه مقتول مجموع من كتب الاولين كما قال تعالى واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين وقال تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي ليس الامر كما زعموا ولا كما قالوا ان هذا القرآن أساطير الاولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وانما حجب قلوبهم عن الايمان به ما عليها من الرين الذي قد ليس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والرين

يعتري قلوب الكافرين والغيم للابرار والغين للمقربين وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اذنب ذنباً كانت نكته سوداء في قلبه فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت فذلك قول الله تعالى كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الترمذي حسن صحيح ولفظ النسائي ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكت في قلبه نكته سوداء فان هوزع واستغفروا تاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي (١٨٢) قال الله تعالى كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال أحمد

حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب كانت نكته سوداء في قلبه فان تاب ووزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذلك الران الذي ذكر الله في القرآن كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الحسن البصري هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد وابن جبير وقتادة وابن زيد وغيرهم وقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي لهم يوم القيامة منزل ونزل سبعين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالفهم قال الامام أبو عبد الله الشافعي وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ وهذا الذي قاله الامام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن وهو استدلال بفهوم هذه الآية كما دل عليه منطوق قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة كما دلت على ذلك الاحاديث الصحاح المتواترة

مجازاً مطلقاً المأ كقول للانسان وغيره فهو مجاز مرسل من باب استعمال المقيد في المطلق انتهى او هو استعارة تصر يحية حيث شبه أكل الناس برعى الدواب أو فيه جمع بين الحقيقة والمجاز وقال الكرخي يجوز أن يكون استعارة معنوية والظاهر أنه تغليب لان قوله الآتي متاعاً لكم ولانعامكم وورد عليه ومن حقه ان تغلب ذوو العقول على الانعام فعكس تجهيلاً لان الكلام مع منكرى الحشر بشهادة قوله انتم اشد خلقاً كما مر كانه قيل أيها المعاندون الداخلون في زمرة البهائم الملزوزون في قرنهم في تمتعكم بالدينا وذهابكم عن الاخرى والجملة اما بيان وتفسير لدحاها لان السكينة لا تتأني بعجز البسط بل لا بد من تسوية امر المعاش من الماء كل والمشراب واما في محل نصب على الحال (والجبال ارساه) اي اثبتهم في الارض وجعلها كالآوتاد للارض لتثبت وتستقر وأن لا تميد باهلها قرأ الجمهور بنصب الجبال على الاشتغال وقرئ بالرفع على الابتداء قيل ولعل وجه تقديم ذكر اخراج الماء والمرعى على ارساء الجبال مع تقدم ارساء عليه الاهتمام بأمر الماء كل والمشراب (متاع) أي منفعة (لكم ولانعامكم) من البقر والابل والغنم واتصاب متاعاً على المصدرية أي تمتعكم بذلك متاعاً وهو مصدر من غير لفظه لان قوله آخرج منها ماءها ومرعاهما يعني تمتع بذلك أو على انه مفعول له اي فعل ذلك لاجل التمتع وانما قال لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من الدحو واخراج الماء والمرعى كائنه لهم ولانعامهم والمرعى يعم ما يأكله الناس والدواب (فاذا جاءت الطامة) اي الداهية التي تعلو سائر الدواهي (الكبرى) أي العظمى التي تظم على سائر الطامات فالوصف بالكبرى تأسيس لا تأكيد فهي أكبر من داهية فرعون وهي قوله أنار بكم الاعلى وهذا شروخ في بيان أحوال معادهم اثر بيان أحوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدهما على ما قبلها كما ينبغي عنه لفظ المتاع وفي الكرخي وخص ما هنا بالطامة موافقة لما قبله من داهية فرعون ولذلك وصفت بالكبرى موافقة لقوله فأرأها الآية الكبرى بخلاف ما في عبس فإنه لم يتقدمه شيء من ذلك فخصت بالصاخة وان شاركت الطامة في أنها النفخة الثانية لانها الصوت الشديد والصوت يكون بعد الطم فناسب جعل الطم للسابقة والصخ لللاحقة انتهى قال الحسن وغيره هي النفخة الثانية وقال الضحاك وغيره هي القيامة سميت بذلك لانها تظم على كل شيء أعظم هولها قال المبرد الطامة عند العرب الداهية التي

في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالابصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة لا وقد قال ابن جرير حدثنا ابو معمر المقرئ حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال يكشف الحجاب فينظر اليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر اليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلا ما هدامناه وقوله تعالى ثم انهم لصالوا الحليم أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون أي يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتصغير والتحقيق (كلا ان كتاب الابرار لاني

عليين وما أدراك ما عليون كتاب مر قوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون يقول تعالى حقان كتاب الابرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين اي مصيرهم الى عليين وهو بخلاف سجين قال الاعمش عن شهر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وانا حاضر عن سجين قال هي الارض السابعة وفيها ارواح الكفار وسأله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها ارواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد (١٨٣) انها السماء السابعة وقال علي بن أبي طلحة عن

ابن عباس في قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين يعني الجنة وفي رواية العوفي عنه أعمالهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك وقال قتادة عليون ساق العرش العيني وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو وكما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظم أمره ومفعما شأنه وما أدراك ما عليون ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم كتاب مر قوم يشهده المقربون وهم الملائكة قاله قتادة وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها ثم قال تعالى ان الابرار لفي نعيم أي يوم القيامة هم في نعيم بقيم وجنات فيها فضل عظيم على الارائك وهي السرر تحت الجبال ينظرون قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد وقيل معناه على الارائك ينظرون الى الله عز وجل وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار كلاهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر

لا تستطاع وانما أخذت فيما أحسب من قوله هم طم الفرس طميا اذا استفرغ جهده في الجري وطم الماء اذا ملاء النهر كله وقال غيره هو من طم السيل الركبة أي دفنها والطم الدفن قال مجاهد وغيره الطامة الكبرى هي التي تسلم أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار قال ابن عباس الطامة اسم من اسماء يوم القيامة وجواب اذا قيل هو قوله فاما من طغي وقيل محذوف أي فان الامر كذلك أو عاينوا أو علوا أو أدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة وقدره بعضهم بقوله كان من عظام الشؤن ما لم تشاهد العيون وقال أبو البقاء العاملي فيها جوابها وهو معنى (يوم يتذكر الانسان ماسعي) لانه منصوب بفعل مضمر أي أعني يوم يتذكر أو يوم يتذكر يكون كيت وكيت وقيل ان الظرف بدل من اذا وقيل هو بدل من الطامة الكبرى ومعنى تذكر الانسان ماسعي انه يتذكر ما عمله من خير أو شر لانه يشاهده مدونا في صحائف أعماله ومما صدريه أو موصولة (وبرزت الجحيم لمن يرى) معطوف على جاءت أي أظهرت النار المحرقة اظهارا بينا مكشوف لا تخفى على أحد قال مقاتل فكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق وقيل لمن يرى من الكفار لان المؤمنين والظاهرات تبرز لكل راء فاما المؤمن فيعرف برؤيتهما قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها وأما الكافر فيزداد غمها الى غمه وحسرة الى حسرته قرأ الجمهور لمن يرى بالتحسية وقرأت عائشة ومالك بن دينار وعكرمة وزيد بن علي بالفوقية أي لمن تراه الجحيم أولن تراه أنت يا محمد وقرأ ابن مسعود لمن رأى على صبغة النعل الماسي (فاما من طغي) أي جاوز الحد في الكفر والمعاصي (واثر الحياة الدنيا) أي قدمها على الآخرة اتباع الشهوات المحرمات ولم يستعملها ولا عمل عملها (فان الجحيم هي المأوى) أي مأواه والالاف واللام عوض عن المضاف اليه وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هي المأوى له ولا بد من أحد هذين التأويلين في الآية لاجل العائد من الجملة الواقعة خبرا عن المبتدأ الذي هو من طغي وحسن عدم ذكر ذلك العائد كون الكلمة وقعت فاصلة ورأس آية والمعنى انها منزلة الذي ينزله وماواه الذي يأوى اليه لا غيرها ثم ذكر القسم الثاني من القسمين فقال (واما من خاف مقام ربه) أي حذر مقامه بين يدي ربه يوم القيامة لعلمه بالمبدأ والمعاد قال الربيع مفاضة يوم الحساب قال قتادة يقول ان الله عز وجل مقام قد خافه المؤمنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله

الى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر ان ادنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أذناه وان أعلاه لمن ينظر الى الله عز وجل في اليوم مرتين وقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي تعرف اذا نظرت اليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صنة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم وقوله تعالى يسقون من رحيق مختوم أي يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس وبجاهد والحسن وقتادة وابن زيد قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي النجاشد الطائي عن عطية بن سعد العوفي عن أبي

سعيد الخدري أراه قد رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة على طه اسقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة وقال ابن مسعود في قوله ختامه مسك أي خلطه مسك وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر وكان آخر نبي جعل فيها مسك ختم مسك وكذا قال قتادة والضحاك وقال إبراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن جيمد حدثنا يحيى بن واضح (١٨٤) حدثنا أبو جزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابق عن أبي

الدرداء ختامه مسك قال شراب أبيض مثل الفضة يمتحنون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجه لم يبق ذر وروح الا وجد طيبها وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد ختامه مسك قال طيبه مسك وقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون أي وفي مثل هذا الحال فليتنافس المتنافسون وليتباهى ويكثر ويستبق الى مثله المستبقون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العالمون وقوله تعالى ومن أجه من تسنيم أي ومن أراج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال عينا يشرب بها المقربون أي يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب العين من جأله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم ان الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهم وإذا رآهم قالوا ان هؤلاء ضالون وما أرساوا

عز وجل عندم واقعة الذنب فيقطع عنه نظيره قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الأولى (ونفى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) أي زجرها من الميل الى المعاصي والمحارم التي تشتهىها قال مقاتل هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هي المأوى) أي المنزل الذي ينزله والمكان الذي يأوي اليه لا غيرها (يسألونك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عن الساعة أيان مر ساها) أي متى وقوعها وقيامها قال القراء أي منتهى قيامها كرسوا السفينة قال أبو عبيدة ومرسى السفينة حين تنتهى والمعنى يسألونك عن الساعة متى يقيمها الله وقدم مضى بيان هذا في سورة الاعراف (فيم أنت من ذكرها) أي في أي شيء أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها والمعنى لست في شيء من علمها وذكرها انما يعلمها الله سبحانه وهو استفهام انكار ورد لسؤال المشركين عنها أي فيم أنت من ذلك حتى يسألوك عنها ولست تعلمها وأنت آخر الانبياء وعلامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها فكذلك دليل على دنوها وجوب الاستعداد لادائها والاول أولى عن علي بن ابي طالب قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن الساعة فنزلت فيم أنت من ذكرها أخرجه ابن مردويه وعن عائشة قالت ما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن الساعة حتى أنزل الله فيم أنت من ذكرها الخ فأنتهى فلم يسأل عنها أخرجه البراء بن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وعن طارق بن شهاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ذكر الساعة حتى نزلت هذه الآية فكيف عنها أخرجه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وغيرهم وعن ابن عباس ان مشركي مكة سألو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا متى الساعة استهزأ منهم فانزل الله يسألونك عن الساعة أيان مر ساها يعني مجيئها فيم أنت من ذكرها يعني ما أنت من علمها يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى ربك منتهى علمها أخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه قال السبيوطي بسند ضعيف وعن عائشة قالت كانت الاعراب اذا قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسألوه عن الساعة فينظر الى احد ثياب انسان منهم فيقول ان يعش هذا قامت عليكم ساعتكم أخرجه ابن مردويه ووجهه (الى ربك منتهى علمها) وقوله ان الله عنده علم الساعة فكيف يسألونك عنها ويطلبون منك بيان وقت قيامها

عليهم حافظين فالיום الذين آمنوا ان الكفار يضحكون على الارائك يتظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (انما يخبر تعالى عن المجرمين انهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي يحتقرونهم وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهم أي وإذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون الى منازلهم انقلبوا اليها فكهم أي مهمطوا بطلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحتقرونهم وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء ضالون وما أرساوا

على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كفوا بهم فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصباً عنهم كما قال تعالى اخسؤا
 فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آتنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتوهم سخرى حتى أنسوكم
 ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا وأنهم هم القاترون ولهذا قال ههنا فالיום يعني يوم القيامة الذين آمنوا
 من الكفار يضحكون أي في مقابلة ماضح بهم أولئك على الأرائك ينظرون أي الى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم انهم
 ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون (١٨٥) الى ربهم في دار كرامته وقوله تعالى هل نؤوب

الكفار ما كانوا يفعلون أي هل
 جوزى الكفار على ما كانوا يفعلون
 به المؤمنين من الاستهزاء والتقصيص
 أم لا يعني قد جوزوا أو فر الجزاء
 وأنه وأكمله * آخر تفسير سورة
 المطففين

(تفسير سورة الانشقاق وهي مكية)

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي
 سلمة ان أبا هريرة قرأ بهم اذا السماء
 انشقت فسجد فيها فلما انصرف
 أخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم سجد فيها رواء مسلم والنسائي
 من طريق مالك به وقال البخاري
 حدثنا أبو النعمان حدثنا معمر عن
 أبيه عن بكر عن أبي رافع قال
 صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ
 اذا السماء انشقت فسجد فقلت
 له فقال سجدت خلف أبي القاسم
 صلى الله عليه وسلم فلا زال اسجد
 بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن
 مسدد عن معمر به ثم رواه عن مسدد

عن يزيد بن زريع عن التيمي عن
 بكر عن أبي رافع فذكره وأخرجه
 مسلم وأبو داود والنسائي من طرق
 عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد
 رواه مسلم وأهل السنن من حديث

(انما أنت منذر من يخشاها) أي مخوف لمن يخشى قيام الساعة وذلك وظيفة لك ليس
 عليك غيره من الاخبار بوقت قيام الساعة ونحوه مما استأثر الله بعلمه اذا لم يدخل لتعيين
 وقتها في الانذار فان محض الانذار لا يتوقف على علم المندبر بوقت قيامها فتصر حاله على
 الانذار فلا يتعداه الى علم الوقت وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون بالانذار وان
 كان منذر الكل مكلف من مسلم وكافر قرأ الجهور باضافة منذر الى ما بعده وقرئ بالتنوين
 قال الفراء كلاهما صواب كقوله بالغ أمره وموهن كيد الكافرين قال أبو علي الفارسي
 يجوز أن تكون الاضافة للماضى نحو ضارب زيد أمس وقال الزمخشري التنوين هو
 الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال (كانهم) أي كفار قريش
 (يوم يرونها) أي يوم يرون الساعة ويعاينونها (لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) أي
 يستقصرون مدة ليلتهم ويزعمون انهم لم يلبثوا الا قدراً آخر نهار أو أوله أو قدراً الضحى الذي
 يلي تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل لم يلبثوا
 في قبورهم قال الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية اضافته الى يوم العشية
 على عادة العرب يقولون آتت الغداة أو عشيت أو آتت العشية أو غداً انها تكون العشية
 في معنى آخر النهار والغداة في معنى أول النهار وزاد زاده أن الضحى والعشية لما كانتا من
 يوم واحد كان بينهما ملازمة صحيحة لاضافة احدهما الى الاخرى قال المحلى وحسن
 الاضافة وقوع الكلمة فاصلة أي من الفواصل والجملة تقرير لما يدل عليه الانذار من
 سرعة مجيئ المندبر به والعشية هي من الزوال الى غروب الشمس والضحى هو البكرة الى
 الزوال

* (سورة عبس وتسمى سورة السقرة وسورة الاعشى

وهي احدى أو اثنتان وأربعون آية) *

وهي مكية في قول الجميع وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت بمكة وعن ابن الزبير رضى
 الله عنه مثله

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(عبس وتولى) أي كلج بوجهه وقطب وأعرض وقرئ عبس بالتشديد يجيء في هذه المواضع
 بضم الميم والغائب اجلا لا لا صلى الله عليه وآله وسلم ولطفابه لما في المشافهة بقاء الخطاب

(٢٤ - فتح البيان عاشر) سفيان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء

عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت واقرا باسم ربك الذي خلق

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (اذا السماء انشقت واذا نزل بها وحقت واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتحت واذا نزل بها
 وحقت يا أيها الانسان انك كدح الى ربك كدحاً فلاقه فاما من أوفى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب الى أهله
 مسروراً وأما من أوفى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيراً انه كان في أهله مسروراً انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان

به بصيرا) يقول تعالى اذا السماء انشقت وذلك يوم القيامة وأذن نزل بها اي استمعت لربها واطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة وحقت أي وحق لها ان تطيع أمره لانه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وذلك كل شيء ثم قال واذا الارض مدت أي بسطت وفرشت ووسعت قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الاموضع قدميه فاكون أول من يدعى (١٨٦) وجبريل عن عيين الرحمن والله ما رآه قبلها فاقول يا رب ان هذا

أخبرني انك أرسلته الى فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فاقول يا رب عبادك عبيدك في أطراف الارض قال وهو المقام المحمود وقوله تعالى وألقت ما فيها وتخلت أي ألقت ما في بطنها من الاموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة وأذن لربها وحقت كما تقدم وقوله يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً أي انك ساع الى ربك سعياً وعامل علاقته ثم انك ستلقى ما عملت من خيرا وشروا وشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد عس ما شئت فانك ميت وأحب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك ملاقيه ومن الناس من يعبد الضمير على قوله ربك أي فلاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكلفك على سعيك وعلى هذا فكل القواين متلازم قال العوفي عن ابن عباس يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً يقول نعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا

ما لا يخفى (ان جاء الاعمى) منعول لاجله أي لان جاءه والعامل فيه اما عبس أو تولى على الاختلاف بين البصريين والكوفيين في التنازع هل المختار اعمال الاول أو الثاني والمختار مذهب البصريين لعدم الاضمار في الثاني وقد أجمع المفسرون على ان سبب نزول الآية أن قوما من أشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد طمع في اسلامهم فاقبل (١) عبد الله ابن أم مكتوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه فأعرض عنه فنزلت وعن عائشة قالت أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الاعمى أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أتري بما أقول بأسا فيقول لا في هذا أنزلت أخرجه الترمذي وحسنه وابن المنذر وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وعن أنس قال جاء ابن أم مكتوم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عبس الخ وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يكرمه أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناجي عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبا جهل بن هشام وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فاقبل عليهم رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم عيشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن قال يا رسول الله علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبحوا وأخذ ينقلب الى أهله أمسك الله ببعض بصره ثم خفق برأسه ثم أنزل الله عبس وتولى الآية فلما نزل فيه ما نزل أكرمه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وكله وقال له ما حاجتك هل تريد من شيء وإذا ذهب من عنده قال هل لك حاجة في شيء أخرجه ابن جرير وابن مردويه قال ابن كثير فيه غرابة وقد تكلم في اسناده وقال المحلى فكان بعد ذلك يقول له اذا جاء من حبابين عاتبني فيه ربي ويسطه رداءه وقال الخازن استخلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان من المهاجرين الاولين قيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس بن مالك رأيت يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء قرأ بالجمهورية ان جاءه

وقال قتادة يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً ان كدحاً يا ابن آدم لضعيف فن استطاع الاعمى أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعلا ولا قوة الا بالله ثم قال تعالى فاما من أتى كذبه بينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا أي سهلا بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع ذنوبه فان من حوسب كذلك هلك لامحالة وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل أخبرنا (١) قال بعض الافاضل الذي في النووي على مسلم أن ابن أم مكتوم اسمه عبد الله بن عمرو وأم مكتوم زوجة هجر وهي أم عبد الله ورأيت في البخاري في كتاب فضائل القرآن تسمية ابن أم مكتوم بعمره وقال القسطلاني في تفسير آية لا يستوى القاعدون ابن أم مكتوم اسمه عبد الله أو عمرو واسم أبيه زائدة اه سيد ذو الفقار أحمد سلمه ربه

أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قالت فقلت أليس قال الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السخيتاني به وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا معه مذبا فقلت أليس الله يقول (١٨٧) فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك

العرض انه من نوقش الحساب عذب وقال بيده على اصبعه كأنه ينكت وقد رواه أيضا عن عمر بن علي عن ابن أبي عدى عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجه من طريق أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صغيرة به قال ابن جرير وحدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا مسلم عن الحرث ابن الحرث أخي الزبير عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب أو من حوسب عذب قال ثم قالت انما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يرأهم وقال أحمد حدثنا سمعيل حدثنا محمد ابن اسحق حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت رسول الله ما الحساب اليسير قال ان يتطرق كتابه فيمتحوا زله عنه انه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلاك صحيح

الاعمى على الخبر بدون الاستفهام ووجهه ما تقدم وقرأ الحسن ان جاءه بالمدعى الاستفهام فهو على هذه القراءة متعلق بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى والتقدير ان جاءه الاعمى تولى وأعرض (وما يدريك) التفت سبحانه من الغيبة الى خطاب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لان المشافهة ادخل في العتاب أى شئ يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وجهه (اعله يركى) مستأنفة لبيان أن له شأنيا ينافى الاعراض عنه أى لعله يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلم منك لامن الشرك لانه أسلم قديما بمكة فالضمير في لعله راجع الى الاعمى وقيل هو راجع الى الكافر أى وما يدريك ان ما طمعت فيه ممن اشتغلت بالكلام معه عن الاعمى انه يركى أويذ كروا لاولى وكلمة التبرجى باعتبار من وجهه اليه الخطاب للتنبيه على ان الاعراض عنه مع كونه من جوارى تركى مما لا يجوز ومثل هذه الآية قوله في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك قوله في سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا (أويذ كرى) عطف على يركى داخل معه في حكم التبرجى أى أويذ كرفيت عطف بما تعلمه من المواعظ (فتنفعه الذ كرى) أى الموعدة السموعة منك قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بالنصب على جواب التبرجى أى انك لا تدري ما هو مترقب منه من ترك أويذ كروا ودريت ما فرط ذلك منك (أما من استغنى) أى كان ذا ثروة وغنى وأستغنى عن الايمان وعماء عندك من العلم الذى ينطوى عليه القرآن (فانت له تصدى) أى تصغى لكلامه والتصدى الاصغاء وقبل هو من الصدى وهو الصوت المسموع فى الاماكن الخالية والاجرام الصلبة وقيل من الصدى وهو العطش والمعنى على التعرض قرأ الجمهور تصدى بالتخفيف على طرح احدى التامين تخفيها وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام وفى هذا امر يد تنفيره صلى الله عليه وآله وسلم عن الاقبال عليهم والاصغاء الى كلامهم (وما عليك ان لا يركى) أى أى شئ عليك فى ان لا يسلم ولا يهتدى فانه ليس عليك الا البلاغ فلا تهم بأمر من كان هكذا من الكفار ويجوز أن تكون ما نافية أى ليس عليك بأس فى ان لا يتركى من تصديت له وأقبلت عليه وتكون الجملة فى محل نصب على الحال من ضمير تصدى ثم زاد سبحانه فى معاتبته رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وأما من جاءك يسعى) أى وصل اليك حال كونه مسرعاً فى الجحى اليك طالباً منك ان ترشده الى الخير

على شرط مسلم وقوله تعالى وينقلب الى أهله مسرورا أى ويرجع الى أهله فى الجنة قاله قتادة والضحاك مسرورا أى فرحان مغتبط بما أعطاه الله عز وجل وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تعملون أعمالا لا تعرف ويوشك العارف أن ينوب الى أهله مفسرورا ومكظوم وقوله تعالى وأما من أتى كتابه وراء ظهره أى بشماله من وراء ظهره يثنى يده الى ورائه ويعطى كتابه كذا كذا فسوف يدعو ثبورا أى خساراً واهلاً كما ويصلى سعيه انه كان فى أهله مسرورا أى فرحاً لا يفكر فى العواقب ولا يخاف مما امامه فاعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل انه ظن ان لن يحور أى كان يعتقده انه لا يرجع الى الله ولا يعيده بعد موته قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما والخور هو الرجوع قال الله بلى ان ربه كان به بصيرا يعنى بلى سيعيده الله كما

بداً ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فإنه كان به بصيراً أي عليماً خبيراً (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا انسق
لتر كبن طبقاً عن طبق فبالهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يعاونون فبشرهم
بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) روى عن علي وابن عباس وعبد الله بن الصامت وأبي هريرة وشداد
ابن أوس وابن عمر ومحمد بن علي بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكر بن الأشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي
سلمة المجاشون أنهم قالوا الشفق الحرة (١٨٨) وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن ابن ليبيبة عن أبي هريرة

قال الشفق البياض فالشفق هو
حرة الافق أما قبل طلوع الشمس
كما قاله مجاهد وما بعد غروبها
كما هو معروف عند أهل اللغة
قال الخليل بن أحمد الشفق الحرة
من غروب الشمس إلى وقت العشاء
الآخر فاذا ذهب قيل غاب الشفق
وقال الجوهري الشفق بقية ضوء
الشمس وجرت بها في أول الليل
إلى قريب من العتمة وكذا قال
عكرمة الشفق الذي يكون بين
المغرب والعشاء وفي صحيح مسلم
عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال وقت
المغرب ما لم يغيب الشفق ففي هذا
كله دلائل على أن الشفق هو كما قاله
الجوهري والخليل ولكن صح
عن مجاهد أنه قال في هذه الآية
فلا أقسم بالشفق هو النهار كله وفي
رواية عنه أيضاً أنه قال الشفق
الشمس رواه ابن أبي حاتم وأما
جمله على هذا فإنه بقوله تعالى
والليل وما وسق أي جمع كائنه أقسم
بالضياء والظلام وقال ابن جرير
أقسم الله بالنهار مسدراً وبالليل
مقبلاً قال ابن جرير وقال آخرون

وتعظ به عواظ الله (وهو يخشى) حال من فاعل يسعى على التداخل أي أو من فاعل
جاءك على الترادف أي يخشى الله أو أذى الكفار يعني ابن أم مكتوم (فأنت عنه تلهي)
أي تتشاغل عنه وتعرض عن الإقبال عليه والتلهي التشاغل والتغافل يقال لهيت عن
الامر الهى أي تشاغلت عنه وكذا تلهيت وليس هو من الله في شيء ولم يجعل من الله
لأنه مسند إلى ضمير النبي ولا يليق بمنصبه الكريم أن ينسب إليه الفعل من الله
بخلاف الاشتغال فإنه يجوز أن يصدر منه في بعض الأحيان ولا ينبغي أن يعتقد غير هذا
وقوله (كلاً) ردع له صلى الله عليه وآله وسلم عما عوتب عليه أي لا تفعل بعد هذا الواقع
منذ من لا من الأعراض عن الفقير والتصدي للغي والتشاغل به مع كونه ليس ممن يترك
عن إرشاد من جاءك من أهل التزكى والقبول للموعظة وهذا الواقع من النبي صلى الله عليه
وآله وسلم هو من باب ترك الأولى فإرشده الله سبحانه إلى ما هو الأولى به (أنها تذكرة) أي
أن هذه الآيات والسورة موعظة حقها أن تستعجبها وتقبلها وتعمل بموجبها وتعمل بها
كل أمتك (فمن شاء ذكره) أي من رغب فيها اتعظ بها وحفظها وعمل بموجبها ومن رغب
عنها كما فعل من استغنى فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره قبل الضمير أن في أنها وفي ذكره
للقرآن وتأنيت الأولى تأنيت خبره وقيل الأولى للسورة والآيات السابقة والثاني
للتذكرة لأنها في معنى الذكر وقيل المعنى فمن شاء الله ألهمه وفهمه القرآن حتى يذكره
ويتعظ به واذل أولى ثم أخبر سبحانه عن عظم هذه التذكرة وجلالها فقال (في صحف)
أي أنها تذكرة كائنه في صحف فالجار والمجرور صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض والصحف
جمع صحيفة ومعنى (مكرمة) أنها مكرمة عند الله لما فيها من العلم والحكمة أو لأنها
نازلة من اللوح المحفوظ وقيل المراد بالصحف كتب الأنبياء كما في قوله إن هذا النبي
الأولى صحف إبراهيم وموسى (مرفوعة) أي أنها مرفوعة القدر عند الله وقيل مرفوعة
في السماء السابعة قال الواحدي قال المفسرون مكرمة يعني في اللوح المحفوظ
مرفوعة يعني في السماء السابعة قال ابن جرير مرفوعة القدر والذكر وقيل مرفوعة
عن السبع والتناقض (مطهرة) أي منزهة لا يمسها إلا المطهرون قال الحسن مطهرة
من كل دنس قال السدي مصانة عن الكفار لا يخالونها وقال الحلي منزهة عن مس
الشياطين انتهى وفيه أن الصحف بأيدي الملائكة في السماء والشياطين لا يصلون

الشفق اسم للحرة والبياض وقالوا هو من الاضداد قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وما وسق وما جمع قال
قتادة وما جمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر * مستوسقات لو يجدن سائقاً * وقد قال عكرمة والليل وما وسق
يقول ما ساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه وقوله تعالى والقمر إذا انسق قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى وكذا
قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبيرة ومسرور وأبو صالح والضحاك وابن زيد والقمر إذا انسق إذا استوى وقال الحسن إذا اجتمع
إذا امتلأ وقال قتادة إذا استدار ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق وقوله تعالى لتر كبن طبقاً
عن طبق قال البخاري أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال قال ابن عباس لتر كبن طبقاً عن طبق

حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الاظهر والله أعلم كما قال أنس لا يأتي عام الا والذي بعده شمر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير حدثني يعقوب ابن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد ابن عباس كان يقول لتركن طبقات عن طبق قال يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول حالا بعد حال هذا اللفظ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١٨٩) طبقات عن طبق حالا بعد حال وكذا قال

عكرمة ومرة الطيب ومجاهد والحسن والضحاك ويحتمل ان يكون المراد لتركن طبقات عن طبق حالا بعد حال قال هذا يعني المراد به هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون مرفوعا على ان هذا نبيكم يكونان مبتدأ وخبر والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر الى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لتركن طبقات عن طبق قال محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا المعنى قراءة عمرو بن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركن بفتح التاء والباء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن الشعبي لتركن طبقات عن طبق قال لتركن يا محمد سماء بعد سماء وهكذا روى عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية طبقات عن طبق سماء بعد سماء (قلت) يعنون ليلة الاسراء وقال أبو اسحق والسدي عن رجل عن ابن عباس طبقات عن طبق منزلا على منزل وكذا رواه العوفي عن ابن

الى السماء فلا يظهر مدح الصحف بتطهيرها عن مسهم فليستأمل قاله سليمان الجلي (بأبدي سفرة) جمع سافر ككتبة وكاتب قال ابن عباس سفرة كتبة وقال هم بالنبطية القراء والمعنى انها بأبدي كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ قال القراء السفرة هنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسوله من السفارة وهو السعي بين القوم قال الزجاج انما قيل للكتاب سفر بكسر السين والكاتب سافر لان معناه انه بين يقال اسفرا الصبح اذا أضاء وسفرت المرأة اذا كشفت النقاب عن وجهها ومنه سفرت بين القوم أسفرا سفارة أى اصلحت بينهم قال مجاهد هم الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال العباد وقال قتادة السفرة هنا هم القراء لانهم يقرؤون الاسفار وقال وهب بن منبه هم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أثنى سبحانه على السفرة فقال (كرام) على ربهم كذا قال الكلبي وقال الحسن كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها وقيل يتكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذا دخل بزوجه أو قضى حاجته وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافعهم وقيل يتكرمون على المؤمنين بالاستغفار لهم (بررة) جمع بار منهل كفره وكافرا أى اتقياء مطيعون لربهم صادقون في ايمانهم وقد تقدم تفسيره وقال ابن عباس هم الملائكة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقرأ القرآن وهو مأهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران (قتل الانسان ما كفره) أى لعن الانسان الكافر ما أشد كفره قال الكلبي وهذا دعاء عليه بأشنع الدعوات وان ذلك ورد على أسلوب كلام العرب لبيان استحقة ما لا عظم العقاب حيث أتى بأعظم القبايح كقولهم اذا تعجبوا من شئ فأتاه الله ما أخبئته أخره الله ما أظله قال الشاعر

يتنى المرء في الصيف الشتا * فاذا جاء الشتا أنكره

لابدا يرضى ولا يرنى بذا * قتل الانسان ما كفره

وقيل معناه اى شئ أكفره أى دعاه الى الكفر وهو استفهام توبيخ والظاهر هو الاول قيل المراد بالانسان عتبة بن أبي لهب ومعنى ما أكفره التعجب من افراط كفره قال الزجاج معناه اعجبوا أنتم من كفره وقيل المراد بالانسان من تقدم ذكره في قوله امان استغنى وقيل المراد به الجنس وهذا هو الاول فيدخل تحته كل كافر شديد الكفر ويدخل تحته

عباس مثله وزاد فقال امر ابعدا مروا حالا وقال السدي نفسه لتركن طبقات عن طبق أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل قلت كأنه أراد معنى الحديث الصحيح لتركن سنن من قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا بحر ضرب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن وهذا محتمل وقال ابن أبي حاتم حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر انه سمع مكحول يقول في قول الله لتركن طبقات عن طبق قال في كل عشرين سنة تجدون أمرا لم تكونوا عليه وقال الاعشى حدثنا ابراهيم قال قال عبد الله لتركن طبقات عن طبق قال السماء تنشق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون قال الثوري عن قيس بن وهب

عن مرة عن ابن مسعود طبق قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وروى البزار من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود لتركبن طبقات عن طبق يا محمد يعني حالا بعد حال ثم قال ورواه جابر عن مجاهد بن ابن عباس وقال سعيد بن جبيل لتركبن طبقات عن طبق قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة وآخرون كانوا أشرفا في الدنيا فأتضعوا في الآخرة وقال عكرمة طبقات عن طبق حالا بعد حال فطما بعد ما كان رضي عا وشيخا بعد ما كان شابا وقال الحسن البصري طبقات عن طبق يقول حالا بعد حال رخاء (١٩٠) بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنى بعد فقر وفقر بعد غنى وصحة

من كان سببا لنزول الآية دخولا أو ليا ثم ذكر سبحانه ما كان ينبغي لهذا الكافر ان ينظر فيه حتى ينزجر عن كفره ويكف عن طغيانه فقال (من أي شيء خلقه) أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر والاستفهام للتقرير والتحقير والاول أظهر لان الاستفهام ذكر رومان معانيه التقرير ليكن التحقير أخص بالمقام وجع بعضهم بينهم فما فقال الاستفهام هنا للتقرير التحقير قال الشهاب ولو قيل انه للتقرير والتحقير مستفاد من شيء المنكر لكان له وجه ثم فسر سبحانه ذلك فقال (من نطفة) أي من ماء مهين وهذا كمال تحقيره قال الحسن كيف يتكبر من خرج من مخرج البول مرتين (خلقته فقدره) أي فسواه وهيا له مصالح نفسه وخلق له اليدين والرجلين والعينين وسائر الآلات والحواس وقيل قدره أطوارا من حال إلى حال نطفة ثم علقته إلى ان تم خلقه والفناء للترتيب في الذكر (ثم السبيل يسره) أي يسره الطريق إلى الخير والشر وقال السدي وماتل وعطاء وقتادة يسره للخروج من بطن أمه قال بعضهم إن رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو في بطن أمه على الانتصاب فإذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى ذكره الرازي والاول أولى ومثله قوله وهديناه النجدين وانتصاب السبيل ضمير يدل عليه الفعل المذكور أي يسر السبيل يسره (ثم أماته فافبره) أي جعله بعد ان أماته ذاق برؤاى فيه أكرامه ولم يجعله مما يليق على وجه الأرض فأكله السباع والطير كذا قال القراء وقال أبو عبيدة جعل له قبرا وأمر أن يقبر فيه وقال آفبره ولم يقل قبره لان القابر هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى يقال قبر الميت إذا دفنه بيده وأقبره إذا امر غيره أن يجعله في قبر وعذالاماته من النعم لانها واصله في الجملة إلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم (ثم إذا شاء) أنشره أي أحياه بعد موته وعلق الأنشأ بالمشيئة للدلالة على ان وقته غير متعين بل هو تابع للمشيئة واما سائر الاحوال المذكورة قبل ذلك فانها تعلم أوقاتهم من بعض الوجوه فلم تفوض إلى مشيئته تعالى قرأ الجمهور أنشره وقرئ نشره وهما لغتان فصيحتان (كلا) ردع وزجر للانسان الكافر عما هو عليه من التكبر والتجبر والترفع والاصرار على انكار التوحيد والبعث والحساب أي ليس الامر كما يقول (لما يقض ما أمره) الله به من العمل بطاعته واجتناب معاصيه وقيل المراد الانسان على العموم وانه لم يفعل ما أمره الله به مع طول

بعد سقم وسقما بعد صحة وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن داود حدثني أبي عن عمرو بن شمير عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن آدم لني غفلة مما خلق له ان الله تعالى اذا أراد خلقه قال للملاك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره اكتب شقياً أو سعيداً ثم يرتفع ذلك الملك ويبحث الله السهم ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا حضره الموت ارتفع ذلك الملكان وجاءه ملك الموت فقبض روحه فاذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملك القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انخط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحدسا تقاوا آخر شهيدا ثم قال الله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقات عن طبق حالا بعد

حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قد امكم لأمرا عظيما لاتقدرونه فاستعينوا بالله العظيم هذا حديث المنكر واسناده فيه ضعفا ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمر بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وان كان الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجها لجميع الناس انهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا وقوله تعالى فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون أي فاذا ينعهم من الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم

المدة

إذا قرأت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون أعظاما أو أكراما واحتراما وقوله تعالى بل الذين كفروا يكدون
 أي من سخطهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق والله أعلم بما يعون قال مجاهد وقتادة يكدون في صدورهم فبشرهم بعذاب
 أليم أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما وقوله تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هذا الاستثناء منقطع
 يعني لكن الذين آمنوا أي بقلوبهم وعملوا الصالحات أي بجوارحهم لهم اجر أي في الدار الآخرة غير ممنون قال ابن عباس غير
 منقوص وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولهم أنه (١٩١) غير مقطوع كما قال تعالى عطاء غير

مجدوذ وقال السدي قال بعضهم
 غير ممنون غير منقوص وقال
 بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول
 الأخير عن بعضهم قد أنكره غير
 واحد فان الله عز وجل له المنة على
 أهل الجنة في كل حال وأن لحظة
 وانما دخلوها بفضل له ورحمته
 لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمد
 والحمد لله وحده أبدا ولهذا يلهمون
 تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس
 وآخر دعواهم ان الحمد لله رب
 العالمين * آخر تفسير سورة الانشقاق
 والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

* (تفسير سورة البروج وهي مكية) *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد
 حدثنا زريق بن أبي سلمة حدثنا أبو
 الخزم عن أبي هريرة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء
 الآخرة بالسماء ذات البروج
 والسماء والطارق وقال أحمد
 حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم
 حدثنا جاد بن عباد السدوسي
 سمعت أبا الخزم يحدث عن أبي
 هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم امر ان يقرأ بالسموات في
 العشاء ففرد به أحمد

المدة لانه لا يحل من نقصير قال الحسن أي حقالم يعمل ما أمر به وقال ابن فورك أي
 كلام يقض لهذا الكافر ما أمر به من الاتيان بل أمره بما لم يقض له قال ابن التباري
 الوقف على كلا قبيح والوقف على أمره وانشره جيد وكلا على هذا بمعنى حقا وقيل المعنى
 لما يقض جميع افراد الانسان ما أمر به بل اخل به بعضها بالكفر وبعضها بالعصيان
 وما قضى ما أمره الله به الا القليل وقال بعضهم ما لابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره
 جيفة فذرة وهو بينهما حامل عذرة ثم شرع سبحانه في تعداد نعمه على عباده ليذكرها
 وينجز راعن كنزها بعد ذكر النعم المتعلقة بمجدوهم فقال (فلينظر الانسان الى
 طعامه) أي ينظر كيف خلق الله طعامه الذي جعل له سببا لحياته وكيف هيأ له أسباب
 المعاش يستعذبها للسعادة الآخرة قال مجاهد الى مدخله ومخرجيه وبه قال ابن الزبير
 والاول أولى وعن ابن عباس قال الى خثرته اخر جسه ابن أبي الدنيا ثم بين سبحانه ذلك
 فقال (اناصبنا الماء صبا) قرأ الجمهور انابا للكسر على الاستئناف وقرأ الكوفيون
 وورش عن يعقوب بالفتح على انه بدل من طعامه بدل اشتمال لكون نزول المطر سببا
 لحصول الطعام فهو كالمشتل عليه أو بتقدير لام العلة قال الزجاج الكسر على الابتداء
 والاستئناف والفتح على معنى البدل من الطعام والمعنى فلينظر الانسان الى اناصبنا
 الماء صبا وأراد بصب الماء المطر وبه قال ابن عباس وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما
 بالفتح والامالة (ثم شققنا الارض) بالنبات الخارج منها بسبب نزول المطر (شقا)
 بديع الا ثقب بما يخرج منه في الصغر والكبر والشكل والهيئة قال ابن عباس شقاعن
 النبات قال البيضاوي أسند الشق الى نفسه تعالى اسناد الفعل الى السبب وتبع في ذلك
 الزمخشري وقدره في الانتصاف بانه تعالى موجد الاشياء فالاسناد اليه تعالى حقيقة
 وانما ذكره الزمخشري اعتراضا لان افعال العباد مخلوقة لهم عنده ورواه المدقق في الكشف
 بانه ليس مبنيا على ما ذكر بل لان الفعل انما يسند حقيقة لمن قام به لامن أو جده
 فالاعتراض عليه ناشئ من قلة التدبر افاده الشهاب ثم بين سبب هذا الشق وما وقع
 لاجله فقال (فأبتنا فيها حبا) يعني الحبوب التي يتغذى بها والمعنى ان النبات لا يزال
 ينفو ويتزايد الى ان يصير حبا (و) ابتنا فيها (عنبا) قيل وليس من لوازم العطف
 أن يقيسد المعطوف بجميع ما قبله المعطوف عليه فلا ضير في خلونبات العنب عن شق

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد مشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود
 اذهبهم عليها فعودوهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض
 والله على كل شيء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يقسم تعالى
 بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا
 منيرا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التي فيها الحرس
 وقال يحيى بن زافع البروج قصور في السماء وقال المنهال بن عمرو والسماء ذات البروج الخلق الحسن واختار ابن خزيمة انها منازل

الشمس والقمر وهى اثنا عشر برجاً سير الشمس فى كل واحد منها شهر او يسير القمر فى كل واحد منها يومين وثلاثاً فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستترى لثنتين وقوله تعالى واليوم الموعود وشاهد ومشهدوا اختلاف المفسرون فى ذلك وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى حدثنا عبد الله بن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الانصارى عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل (١٩٢) من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً الا أعطاه اياه ولا يستعذ فيه من شر الا اعاده

ومشهد يوم عرفه وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربدى وهو ضعف الحديث وقد روى موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن حاتم حدثنا شعبة سمعت على بن زيد بن يونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بنى هاشم عن أبي هريرة اما على فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم واما يونس فلم يعده أباهريرة انه قال فى هذه الآية وشاهد ومشهد قال يعنى الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهد ويوم القيامة وقال احمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمار مولى بنى هاشم يحدث عن أبي هريرة انه قال فى هذه الآية وشاهد ومشهد قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفه والموعود يوم القيامة وقد روى عن أبي هريرة انه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون فى ذلك والله الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسمعيل بن عياش حدثنى أبي حدثنا

الارض قلت بل يمكن التقييد ويكون باعتبار أصل نبات العنب فيه شق الارض (وقضبا) هو القى الرطب الذى يقضب مرة بعد أخرى تعلف به الدواب ولهذا سمي قضبا على مصدر قضبه أى قطعه كأنه لتكرر قطعه نفس القطع قال الخليل القضب القصفصة الرطبة فاذا يسب فهي القى قال فى الصحاح والقضبة والقضب الرطبة قال والموضع الذى تنبت فيه المقضبة قال القتيبي وأعاب واهل مكة يسمون العنب القضب قال ابن عباس القضب القصفصة يعنى القى (وزيتونا) هو ما يعصر منه الزيت وهى شجرة الزيتون المعروفة (وتخللا) هو جمع فخللة (وحدائق غلبا) جمع حديقة وهى البستان والغلب العظام الغلاظ الرقاب قال مقاتل ومجاهد الغلب الملتف بعضها ببعض يقال رجل أغلب اذا كان عظيم الرقبة ويقال للاسد أغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا لجمعها وجمع أغلب وغلباء غلب كما جمع أجرو وجراء على جري قال حديقة غلباء أى غليظة الشجر ملتفة فالحديث ذات أشجار غلاظ فهو مجاز مرسل وفيه تجوز فى الاسناد أيضاً لان الحديثائق نفسها ليست غليظة بل الغليظ أشجارها وقال قتادة وابن زيد الغلب النخل الكرام وعن ابن زيد أيضاً وعكرمة هى غلاظ الاوساط والحدود وقال ابن عباس غلبا طوالا وعنه قال الحديثائق كل ملتف والغلب ما غلظ وعنه قال شجر فى الجنة يستظل به لا يحمل شياً (وفاكهة) عطف عام فيدخل فيها رطب وعنب ورمان وأترج وغيره وزبيب وغير ذلك وهذا بالنظر لطفه على عنبها واما اذا عطف على حديثا كما هو المتبادر فهو عطف خاص على عام كما لا يخفى ثم الفاكهة ما يأكله الناس من ثمار الاشجار كالغلب والتين والوخ ونحوها (وأباً) هو كل ما أنبت الارض مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه من الكلاوسا انواع المرعى قال الضحالك الأب كل شئ ينبت على وجه الارض وقال ابن أبى طلحة هو الثمار الرطبة وبه قال ابن عباس وروى عن الضحالك أيضاً انه قال هو التين خاصة والاول أولى وعن ابن عباس أيضاً الأب ما أنبت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس وعنه قال الأب الكلا والمرعى وعن ابراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق عن الأب ما هو فقال أى سماء تطلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم أخرجه أبو عبيد فى فضائله وعبيد بن جهم وعن عبد الله بن يزيد ان رجلاً سأل عمر عن قوله ابافلأراهم يقولون أقبل عليهم بالدرّة أخرجه عبيد بن جهم وعن أنس ان عمر قرأ على المنبر فابتنافها

ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم حبا القيامة وان الشاهد يوم الجمعة وان المشهود يوم عرفه ويوم الجمعة تذكرة لله لنا ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازى حدثنا ابن أبى فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفه وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن على بن زيد عن يومئذ المكي عن ابن عباس قال الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس

وذلك يوم مشهود وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شبابة قال سأل رجل الحسن بن علي عن وشاهد ومشهود قال سألت أحدا قبلي قال نعم سألت ابن عمرو بن الزبير فقال اليوم الذبح ويوم الجمعة فقال لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حزملة عن سعيد بن المسيب ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا (١٩٣) الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود

يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى العتابي عن مجاهد عن ابن عباس وشاهد ومشهود قال الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة هكذا

رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي يحيى العتابي عن مجاهد عن ابن عباس وشاهد ومشهود الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الذبح ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد

ابن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أئمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود

حبا وعنا الى قوله واما قال كل هذا قد عرفناه فالاب ثم رفض عصا كانت في يده فقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك ان لا تدري ما الاب اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه وما لم تعرفوه فذكوه الى ربه اخرجه ابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب والخطيب قال المحلى أبا أي مازعاه البهائم أي سواء كان رطبيا أو يابسافهوا عمن القضب وقيل التين وعليه فالمغيرة يئنه وبين القضب ظاهرة (متاعكم) منصوب بأنبتنا لانه مصادروا أكد اعامله لان انباته الاشياء امتاع لجميع الحيوانات ويحتمل ان العامل محذوف تقديره فعل ذلك متاعكم أو متعكم بذلك غتمتكم (ولانعامكم) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ثم شرع سبحانه في بيان احوال المعاد فقال (فاذا جاءت الصاخة) يعني صيحة يوم القيامة وسميت صاخة لشدة صوتها لانها تصخ الاذان أي تصمها فلا تسمع وقيل لانها تصخ لها الاسماع من قولك اصاخ الى كذا أي استمع اليه والاول اصح قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الاذان حتى تصمها لشدة وقعها واصل الكلمة في اللغة مأخوذة من الصك الشديد يقال صكه بالحجر اذا صكه به وقال ابن عباس الصاخة من اسماء يوم القيامة قال ابن الاعرابي الصاخة التي تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة والفاء للدلالة على ترتيب ما بعده على ما قبلها من فنون النعم وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله الا في لكل امرئ منهم الخ أي فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) الطرف ما بديل من اذا جاءت أو منصوب بمقدراى أعني ويكون تفسير للصاخة أو بديل منها مبني على الفتح وخص هؤلاء بالذكر لانهم اخص القرابة وأولاهم بالحنو والرفقة فالفرار منهم لا يكون الا لهول عظيم وخطب قطيع وتبعات بينه وبينهم والمراد بالفرار التبعاد والمعنى انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء اشغله بنفسه قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح والعموم اولي وقيل انما يفر عنهم حذر من مطابعتهم اياه بما بينهم وقيل يفر عنهم لئلا يروا ما هو فيه من الشدة وقيل لعلمه بانهم لا ينفعون ولا يغنون عنه شيئا كما قال تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا قال عبد الله بن طاهر الابهرى يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكرب عنه

(٢٥ - فتح البيان عاشر) تشهد الملائكة وعن سعيد بن جبير الشاهد الله وتلا وكفى بالله شهيدا والمشهود نحن حكاه البغوي وقال الاكثرون على ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقوله تعالى قتل أصحاب الاخذود أي لعن أصحاب الاخذود وجعه أخا دي وهي الحفرة في الارض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا الى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فخر والهم في الارض أخذودا وأجوافه ناراً وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقتلواهم فيها ولهذا قال تعالى قتل أصحاب الاخذود النار ذات الوقود اذ هم عليهم اقهودوهم على ما يفعلون

بالمؤمنين شهوداً. شاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين قال الله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد أي وما كان لهم عندهم ذنب الا ايمانهم بالله العزيز الذي لا يضاف من لاذ بجناحه المنيع الحميد في جميع أقواله وافعاله وشرعه وقدره وان كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بما يدي الكفار به فهو العزيز الحميد ودان خفي سبب ذلك على كثير من الناس ثم قال تعالى الذي له ملك السموات والارض من تمام الصفة انه المالك لجميع السموات والارض وما فيه وما وما بينهما والله على كل شيء شهيد أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والارض (١٩٤) ولا تخفى عليه خافية وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من

هم فغن على رضى الله عنه انهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماءؤهم فعمد الى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم الى اليوم وعنه انهم كانوا قومًا بالين اقتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الاخايد وأحرقوهم فيها وعنه انهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي وقال العوفي عن ابن عباس قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود قال ناس من بنى اسرائيل خدوا أخدودا في الارض ثم أوقدوا فيها نارا ثم أقاموا على تلك الاخدود رجالا ونساء فمروا عليها وزعوا انه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا جاد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فنين كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك

ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي لكل انسان يوم القيامة شأن يشغله عن الاقرباء ويصرفه عنهم والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الفرار قال ابن قتيبة يغنيه أي يصرفه عن قرباته ومنه يقال اغنى عن وجهك أي اصرفه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة فقالت امرأة أيعصر أحدنا ويرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قرأ الجهور يغنيه بالغين المعجمة وقرأ ابن محيصن بالعين المهملة مع فتح الياء أي يهيمه من عناء الامر اذا همهم ثم ييس ما ل امر المذكورين وانقاسهم الى الاشقياء والسعداء بعد وقوعهم في داهية عظيمة فقال (وجوه) مبتدأ وان كان نكرة لانه في مقام التنصيص وحيز التنويع وهو من مسوغات الابتداء بالنكرة (يومئذ) متعلق به ومعنى (مسفرة) مشرفة من الهة مضئقة وبه قال ابن عباس وهي وجوه المؤمنين لانهم قد علموا اذ ذاك مالهم من النعيم والكرامة يقال أسدر الصبح اذا أضاء قال الضحاك مسفرة من آثار الوضوء وقيل من قيام الليل وقيل من الغبار في سبيل الله (ضاحكة) عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أي فرحة بما نالت من الثواب الجزيل وكرامة الله ورضوانه ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكفار فقال (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي غبار وكدورة لما تراه مما أعد الله لها من العذاب (ترهقها قفرة) أي يغشاها ويدها سواد وكسوف ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه والقفرة في كلام العرب الغبار كذا قال أبو عبيدة ويدفع ما قاله أبو عبيدة تقدم ذكر الغبرة فانهم واحد الغبار وقال زيد بن أسلم القفرة ما ارتفعت الى السماء والغبرة ما انحطت الى الارض قال ابن عباس ذلة وشدة وعنه انه قال قفرة سواد الوجه (أولئك) يعني أصحاب الوجوه وأهل هذه الحالة (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر أي الجامعون بين الكفر بالله والنجور ولذلك جمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر يقال فجر أي فسق وفجر أي كذب وبابهم ما دخل وأصله الميل والفاجر المائل عن الحق

• (سورة النكوير تسع وعشرون آية وهي مكية بلا خلاف) •

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن عائشة وابن الزبير مثله وعن ابن عمر قال قال رسول الله

اني قد كبر سني وحضر أجلي فادفع الى غلاما لا علمه السحر فدفع اليه غلاما كان يعلم السحر وكان بين الساحر صلى وبين الملك راهب فألقى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان اذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبستك واذا أتى أهله ضربه وقالوا ما حبستك فشكل ذلك الى الراهب فقال اذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي واذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر قال فينما هو ذات يوم اذا أتى على دابة فطيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب الى الله أم أمر الساحر قال فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك وأرضى من

أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورمها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني
وانك ستبني فان ابتليت فلا تدل على فسكان الغلام يبئ الأكمة والابرص وسائر الادواء ويشفيهم وكان للملك جليس فعمى
فسمع به فأتاه به - دأيا كثيرة فقال اشفني ولك ما ههنا أجمع فقال ما أنا شفي أحد انما يشفي الله عز وجل فان آمننت به دعوت الله
فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ثم أتى الملك فجلس منه نحوما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك فقال ربي فقال
أنا قال لاربي وربك الله قال ولك رب غيري قال نعم ربي وربك الله فلم يزل (١٩٥) يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال

أي بني بلغ من سحرِكَ أن تبرئ
الاكمة والابرص وهذه الادواء
قال ما أشفي أنا أحد انما يشفي الله
عز وجل قال أنا قال لا قال أولك
رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه
أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل

على الراهب فأتى بالراهب فقال
ارجع عن دينك فأبى فوضع الميسار
في مفرق رأسه حتى وقع شقاه
وقال للاعشى ارجع عن دينك فأبى
فوضع الميسار في مفرق رأسه حتى
وقع شقاه الى الارض وقال للغلام
ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع
نفر الى جبل كذا وكذا وقال اذا
بلغتم ذروته فان رجعت عن دينه والا
فدهدوه فذهبوا به فلما علوا به
الجبل قال اللهم اكفنيهم بما شئت
فرجف بهم -م الجبل فدهدوها
أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى
دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك
فقال كفاينهم الله تعالى فبعث
به مع نفر في قفر ففرقوا اذ الحتم
بالبحر فلججوا به البحر فقال الغلام
اللهم اكفنيهم -م بما شئت ففرقوا
أجمعون وجاء الغلام حتى دخل

صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس
كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن
المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه قال الكاذرون مناسبتهم لما قبلها انه لما
ذكر بعض أحوال القيامة فيما قبلها أردفه ببعض أحوالها الآخر
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) أي أظلمت قاله ابن عباس ارتفاع الشمس بفعل محذوف يفسره
ما بعده على الاشتغال وهذا عند البصريين وأعراب الزمخشري الشمس فاعلا لفعل مقدر
يدل عليه كورت ومنع أن يرتفع بالابتداء لان اذا نطلب الفعل لمافهم من معنى الشرط
وما منعه من وقوع المبتدأ بعدها اجازة الاخفش والكوفيون وأجازوا اذا زيدا كرم
فأكرمه ولكن الاول ما ذكره والتكوير الجمع وهو مأخوذ من كالأعمامة على رأسه
يكورها قال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على رأسي أكورها
كورا وكورتها تكوير اذا لففتها قال أبو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة تلف
فتجمع قال الربيع بن خثيم كورت أي رمى بها ومنه كورت فتتكوير أي سقط وقال مقاتل
وقتادة والكلبي ذهب ضوءها وقال مجاهد اضمعلت وقيل غورت قال الواحدى قال
المفسرون تجمع الشمس بعضها الى بعض ثم تلف فيرمي بها فالخاصل أن التكوير ما بمعنى
لف جرمها أو تلف ضوءها أو الرمي بها والمعنى طويت كطي السجل عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم والقمر يكوران يوم القيامة أخرجه البخاري قيل انهما
جسادان فالقاروهما في النار يكون سببا لزيادة الحر في جهنم واذا ظرف في هذه المواضع
الاثنى عشر وجوابها علمت نفس كما سياتي (واذا النجوم انكدرت) أي تهاقت
وتساقطت وانقضت وتناثرت يقال انكدر اطاثر من الهوى اذا انقض والاصل في
الانكدار الانصباب قال الخليل يقال انكدر عليهم القوم اذا جاؤا أو رسالا فانصبوا عليهم
قال أبو عبيدة انصب كما ينصب العقاب قال الكلبي وعطاء نطر السماء يومئذ نجوما فلا
يبقى نجم في السماء الا وقع على الارض وقيل انكدارها طمس نورها وقال ابن عباس
تغربت وعن أبي مرزيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كورت في جهنم وانكدرت
في جهنم فكل من عبد دون الله فهو في جهنم الا ما كان من عيسى وأمه ولورضي أن يعبد

على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفاينهم الله تعالى ثم قال للملأ انك استبقا لي حتى تفعل ما أمرتك به فان أنت فعلت
ما أمرتك به قتلتني والا فانك لا تستطيع قتلي قال وما هو قال تجتمع الناس في صعيد واحد ثم تصليني على جذع وتأخذهم ما من
كنايتي ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قتلتني ففعل ووضع السهم في كبده فوسه ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع
السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنابرب الغلام فقيل للملأ أ رأيت ما كنت تحذر فقد والله
نزل بك قد آمن الناس كلهم فأمر بأفواه السكاك فخذت فيها الا حاديدواضمرت فيها النيران وقال من رجعت عن دينه فدعوه والا

سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاً ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل اليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له فقال لهم ان لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم فأبوا عليه فخذأخذوا من نار وقال لهم الجبار ووقفهم عليها فقال اختاروا هذه والذي نحن فيه فقالوا هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية ففرغت الذرية فقالوا لهم أي آباءهم لأنار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسيهم (٢٠٠) حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها

ابن عاصم التميمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني وأدت عثمان بنات لي في الجاهلية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أعنتك عن كل واحدة رقية قال اني صاحب ابل قال فاهد عن كل واحدة بدنة أخرجه البزار والحاكم في الكشي والبيهقي في سننه (واذا الصحف) أي صحائف الأعمال (نشرت) أي فكتحت وبسطت للحساب لانها تطوى عند الموت وتشرع عند الحساب فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ويجوز أن يراد نشرت بين أصحاب أي فرقت بينهم قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو ونشرت بالتخفيف وقرأ السابقون بالتشديد على التكثير وهما سبعيتان (واذا السماء كسحت) أي أزيلت عن أماكنها وعدمت بالمرء والكسحط قلع عن شدة التزاق فالسما كسحت كما يكسحط الجلد عن الكبس والقشط بالقاف لغة في الكسحط وهي قراءة ابن مسعود قال الزجاج قلعت كما يقطع السقف وقال الفراء نزلت فطويت وقال مقاتل كشفت عما فيها قال الواحدي ومعنى الكسحط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه (واذا الحليم سعرت) أي أبججت وأوقدت لأعداء الله ايقاداً شديداً وزيد في اجائها قرأ الجمهور وسعرت بالتخفيف وقرأ نافع وابن ذكوان وورش بالتشديد لانها أوقدت مرة بعد مرة وهما سبعيتان قال قتادة سعرها غضب الله وخطا يأي آدم (واذا الجنة أزلفت) أي قربت إلى المتقين وأدنت منهم ليدخلوها قال الحسن انهم يقربون منها لأنها تزول عن موضعها وقال ابن زيد معني أزلفت تزينت والاول أولى لان الزاني القريب في كلام العرب قيل هذه الامور الاشياء سرست منها في الدنيا وهي من أول السورة الى قوله واذا البحار سجرت وست في الآخرة هي واذا النفوس زوجت الى هنا وقد سبق بيانها وجواب الجميع قوله (علمت نفس ما أحضرت) على أن المراد الزمان الممتد من الدنيا الى الآخرة لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء هذا الوقت المحتد وعند وقوع كل داهية من تلك الدواهي بل المراد علمت ما أحضرته عند نشر الصحف أو في موقف المحاسبة أو عند الميزان الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مبادئه وبعضها من روافده نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها فهو بلا الخطب وتفظيعا للحوال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها حضور صحائف الأعمال لان الأعمال أعراس لا يمكن احضارها أو حضور الأعمال نفسها كما ورد أن الأعمال تصور بصورتها عليها وتعرف بها

ففي ذلك أنزل الله عز وجل قتل أصحاب الاخذود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نعموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ورواه ابن جرير حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه وقوله تعالى ان الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات أي حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبي نعيم ثم لم يتوبوا أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما سلفوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصري انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم الى التوبة والمغفرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان يطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين

كفروا في تكذيب الله من وراءهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) يخبر تعالى عباده المؤمنين بها ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال ذلك الفوز الكبير ثم قال تعالى ان يطش ربك لشديد أي ان يطشه واتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسوله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى فانه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر وأقرب ولهذا قال تعالى انه هو يبدئ ويعيد أي من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع وهو الغفور الودود أي بغفر ذنب من تاب اليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان

والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب ذو العرش أى صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق والجميع مدفيه قراءتان
الرفع على أنه صفة للرب عز وجل والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح فعال لما يريد أى مهما أراد فعله لا معقب لحكمه
ولا يستل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو فى مرض الموت هل نظر إليك
الطبيب قال نعم قالوا فما قال لك قال قال لى انى فعال لما أريد وقوله تعالى هل أئناك حديث الجنود فرعون ونمود أى هل بلغك
ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النعمة التى لم يردوها عنهم أحد (٢٠١) وهذا تقرير لقوله تعالى ان بطش ربك لشديد
أى اذا أخذ الظالم أخذه أخذاً

المباشيد أخذ عزيز مقتدر قال
ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على
ابن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر
ابن عباس عن أبى اسحق عن عرو
ابن ميمون قال مر النبي صلى الله
عليه وسلم على امرأة تقرأ هل أئناك
حديث الجنود فقام يستمع فقال
نعم قد جاءنى وقوله تعالى بل الذين
كفروا فى تكذيب أى هم فى شك
وريب وكفروا وعنادوا الله من
ورائهم محيط أى هو قادر عليهم
قاهر لا يقوته ولا يعجزونه بل هو
قرآن مجيد أى عظيم كرم
فى لوح محفوظ أى هو فى الملا
الاعلى محفوظ من الزيادة والنقص
والتحريف والتبدل قال ابن جرير
حدثنا عمرو بن على حدثنا قرة
ابن سليمان حدثنا حرب بن شريح
حدثنا عبد العزيز بن صهيب
عن انس بن مالك فى قوله تعالى
بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ
قال ان اللوح محفوظ الذى ذكر
الله بل هو قرآن مجيد فى لوح
محفوظ فى جبهة اسرافيل وقال
ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا

بها وتنكير نفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها لا ليدان بأن
ثبوته لجميع افرادها من الظهور والوضوح بحيث لا يخفى على أحد ويدل على هذا قوله يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقيل يجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه اذا علمت
حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون
هى تلك التى علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلم على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك
ستندم على ما فعلت وربماندم الانسان على فعله (فلا أقسم) لازائدة كما تقدم تحقيقه
وتحقيق ما فيه من الاقوال فى أول سورة القيامة أى فاقسم (بالخنس) وهى الكواكب
وسميت الخنس من خنس اذا تأخر لانها تختس بالنهار فتخفى ولا ترى وهى زحل والمشتري
والمرج والزهرة وعطارد كما ذكره أهل التفسير ووجه تخصيصها بالذكور من بين سائر
النجوم انها تستقبل الشمس وتقطع المجرة وقال فى الصباح الخنس الكواكب كلها لانها
تخنس فى المغرب وأولها تختفى نهاراً ويقال هى الكواكب السيارة منها دون الثابتة
قال القراء انها الكواكب الخنس المذكورة لانها تختس فى مجراها وتكنس أى تستتر كما
تكنس الظباء فى المغار وقيل سميت خنسا لتأخرها لانها الكواكب المتخيرة التى ترجع
وتستقيم يقال خنس عنه يخنس خنوسا اذا تأخر وأخنسه غيره اذا خلفه ومضى عنه
والخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الارنية قال على بن أبى طالب كرم الله
وجهه هى الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى وعنه قال خمسة أنجم زحل
وعطارد والمشتري وبهرام والزهرة ليس شئ يقطع المجرة غيرها وعن ابن عباس قال هى
النجوم السبعة وزاد الشمس والقمر وخنوسها رجوعها وكنوسها تغيبها بالنهار (الجوار)
أى السيارة لانها تجرى مع الشمس والقمر (الكنس) أى انها ترجع حتى تخفى تحت
ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اخفاؤها تحت ضوءها وقيل خنوسها اخفاؤها
بالنهار وكنوسها غروبها قال الحسن وقادة هى النجوم التى تختس بالنهار واذا
غربت والمعنى متقارب لانها تتأخر فى النهار عن البصر لخفاؤها فلا ترى وتظهر بالليل
وتكنس فى وقت غروبها وقيل المراد بها بقرة الوحش وبه قال ابن مسعود لانها تنصف
بالخنس وبالجوارى وبالكنس وقال عكرمة الخنس البقر والكنس الظباء فهى تختس
اذا رأت الانسان وتنقبض وتتأخر وتدخل كناسها وقيل هى الملائكة والاولى لذكر

(٢٦ - فتح البيان عاشر) ابوصالح حدثنا معاوية بن صالح ان ابا الاعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال ما من شئ قضى
الله فاقبله وما بعده الا وهو فى اللوح المحفوظ واللوحة المحفوظ بين عيسى اسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه وقال الحسن البصرى
ان هذا القرآن المجيد عند الله فى لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوى من طريق اسحق بن بشر
أخبرنى مقاتل وابن جرير عن مجاهد عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله
فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوحة لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين

المشرق والمغرب وحاقته الدرو الباقوت ودفتاه باقوتة شمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك قال مقاتل اللوح المحفوظ عن عين العرش وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا نجاب بن الحرث حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال إن الله تعالى خلق لوح محفوظا من درة بيضاء صفيحة من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابته نور الله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء (٢٠٢) آخر تفسير سورة البروج ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الطارق وهي مكية) قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله بن سمعته أنا من حديثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي حبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوم أو عصى حين أتاهاهم يتبعني عندهم النصر فسمعتهم يقول والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال فدعيتني ثقيف فقالوا ما إذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها عليهم ثم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حق لا تبعناه وقال الناس حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن معاذ بن دينار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفئتان أنت يا معاذ ما كان يكفك أن تقر بالسماء والطارق والشمس

الليل والصبح بعد هذا والكنس مأخوذ من الكئس الذي يحتق في فيه الوحش والخنس جمع خانس وخانسة والكنس جمع كئس وكانسة وقال ابن عباس هي البقرة تكنس إلى الظل وعنه قال تكنس لأنفسهم في أصول الشجر تتوارى فيه وعنه قال هي الطباء وعنه الخنس البقر والجوار الكنس الطباء ألم ترها إذا كانت في الظل كيف تكنس بأعناقها ومدت نظرها وعن أبي العديس قال كأخذ عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين ما الجوار الكنس فكأن عمر بن الخطاب بيده لوجود ذلك مخلوقا لا تحت القمل عن عمر أحروري والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجد ذلك مخلوقا لا تحت القمل عن رأسك أخرجه الحارثي في الكنى وهذا من كرفان الحرورية لم يكونوا في زمن عمر رضي الله عنه ولا كان لهم في ذلك الوقت ذكر (والليل إذا عسعس) أي أقبل بظلامه وأدبر قال أهل اللغة هو من الاضداد يقال عسعس الليل إذا أقبل وعسعس إذا أدبر ويدل على أن المراد هنا أدبر قوله الآتي والصبح إذا تنفس قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر كذا حكاه عنه الجوهري وقال الحسن أقبل بظلامه قال الفراء العرب تقول عسعس الليل إذا أقبل وإذا أدبر وهذا لا ينافي ما تقدم عنه لأنه حكى عن المفسرين أنهم أجمعوا على حمل معناه في هذه الآية على أدبر وإن كان في الأصل مشتركين الاقبال والادبار قال المبرد هو من الاضداد قال والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وادباره في آخره قال ابن عباس عسعس أدبر وعنه قال اقبال سواده (والصبح إذا تنفس) أي امتد حتى يصير نهارا بينا والتنفس في الأصل خروج النسيم من الجوف وتنفس الصبح اقباله لأنه يقبل بروح ونسيم فجعل ذلك تنفسه مجازا أو شبه الليل المظلم بالمكروب الخزون الذي حبس بحيث لا يتحرك فإذا تنفس وجد راحة وههنا ما طلع الصبح فكأنه تخلف من ذلك الخزن فعبّر عنه بالتنفس قال الواحدى تنفس أي امتد ضوءه حتى يصير نهارا ومنه يقال للنهار إذا زاد تنفس وقيل المعنى إذا انشق وانطلق ومنه تنفست القوس أي تصدعت قال ابن عباس إذا تنفس إذا بدا النهار حين طلوع الفجر قال الشهاب مناسبتة لقريته ظاهرة على التفسيرين لأن ما قبله كان للاقبال فهو أول الليل وهذا أول النهار وإن كان للادبار فهذا ملاصق له فيمنها مناسبة الجوار فلا وجه لما قيل من أنه على الأول أنسب انتهى ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال (أنه) أي القرآن (لقول

وضحاها ونحو هذا) (بسم الله الرحمن الرحيم) والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب رسول ان كل نفس لها عليها حافظ فليحفظ الإنسان من خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فإله من قوة ولا ناصر) يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى والسماء والطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب قال قتادة وغيره انما سمى النجم طارقا لانه انما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤتى به ما جاء في الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طريقا أي يأتيهم فجاء بالليل وفي الحديث الآخر

المشغل على الدعاء الاطار فاي طريق بخير يارجن وقوله تعالى الثاقب قال ابن عباس المضي وقال السدي يثقب الشياطين اذا ارسل عليها وقال عكرمة هو مضي ومحرق للشيطان وقوله تعالى ان كل نفس لها عليها حافظ أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وقوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق تنبيه للانسان على ضعف أصله الذي خلق منه وارشاده الى الاعتراف بالمعاد لان من قدر على البعد فهو قادر على الاعادة بطريق الاولى كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقوله تعالى (٢٠٣) خلق من ماء دافق يعني المنى يخرج دفقا

من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد باذن الله عز وجل ولهذا قال يخرج من بين الصلب والترائب يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يخرج من بين الصلب والترائب صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد الا منهما وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس يخرج من بين الصلب والترائب قال هذه الترائب ووضع يده على صدره وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تربية المرأة موضع القلادة وكذا قال عكرمة وسعيد ابن جبيرة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الترائب بين ثدييها وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين الى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقي وقال سفيان الثوري فوق الثديين وعن سعيد ابن جبيرة الترائب أربعة اضلاع

رسول كريم) على الله تعالى يعني جبريل وبه قال ابن عباس لكونه نزل به من جهة الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأضاف القول الى جبريل لكونه مرسله وقيل المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى ثم وصف الرسول المذكور بأوصاف محمودة فقال (ذی قوۃ عند ذی العرش مکیں) أي ذی قوۃ شديدة فی القيام بما کلف به كما فی قوله شديد القوى ومن قوته أنه اقناع قری قوم لوط الاربع من الماء الاسود وجلها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه صاح صيحة بنود فاصجوا جائين وأنه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف والمعنى أنه ذو رفعة عالية ومكانة مكيمة عند الله سبحانه وهو في محل نصب على الحال من مكيين وأصله الوصف فلما قدم صار حالا ويجوز أن يكون نعتا لرسول يقال مكي فلان عند فلان مكانة أي صار ذا منزلة عنده ومكانة قال أبو صالح من مكانته عند ذی العرش أنه يدخل سبعين سرادقا بغير اذن ومعنى قوله (مطاع) أنه مطاع بين الملائكة يرجعون اليه ويطيعونه ومن طاعتهم له أنهم فتحوا أبواب السموات ليله المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله قال الحسن فرض الله على أهل السموات طاعة جبريل كما فرض على أهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ثم آمين) قرأ الجمهور بفتح ثم على انها ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع أو ما بعده والمعنى انه مطاع في السموات أو آمين فيها أي مؤتمن على الوحي وغيره وقرئ بضمها على أنها عاطفة وكان العطف بها للتراخي في الرتبة لان ما بعده أعظم مما قبلها ومن قال ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالمعنى أنه ذو قوۃ على تبليغ الرسالة الى الامة طاع يطيعه من أطاع الله آمين على الوحي (وما صاحبكم بمجنون) الخطاب لأهل مكة والمراد بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى وما محمد بأهل مكة بمجنون وذكره بوصف الصحبة للاشعار بانهم عالمون بامرهم وأنه ليس مما يرمونه به من الجنون وغيره في شيء وانهم اقبلوا عليه ذلك عن علم منهم بأنه أعقل الناس وأكملهم وهذه الجملة داخله في جواب القسم فأقسم سبحانه بان القرآن نزل به جبريل وأن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم ليس كما يقولون من أنه مجنون وأنه يأتي بالقرآن من جهة نفسه والمقصود رد قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذباً به جهة لا تعدا فضلهما والموازنة بينهما ما ثم انك اذا معنت

من هذا الجانب الاسفل وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي جبية المدني أنه بلغه في قول الله عز وجل يخرج من بين الصلب والترائب قال هو عصارۃ القلب من هناك يكون الولد وعن قتادة يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلبه ونحره وقوله تعالى انه على رجع له لقادر فيه قولان أحدهما على رجوع هذا الماء الدافق الى جواب سؤال تقريره ان بعضهم استدلل بالآية على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث عد فضائل جبريل واقتصر على ثني الجنون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأجاب المؤلف العلامة عن هذا بقوله والمقصود رد قوله الخ اه السبذ والفقر

مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما والقول الثاني انه على رجع هذا الانسان المخلوق من ما عاقد
 أي اعادته وبعثه الى الدار الآخرة لقادر لان من قدر على البداة قدر على الاعادة وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير
 ما. وضع وهذا القول قال به الضعفاء واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى يوم تبلى السرائر أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي
 تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع
 لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدره فلان (٢٠٤) بن فلان وقوله تعالى فإله أي الانسان يوم القيامة من قوة أي في نفسه

ولاناصر أي من خارج منه أي
 لا يقدر على أن ينفذ نفسه من
 عذاب الله ولا يستطيع له أحد
 ذلك (والسماوات ذات الرجوع والارض
 ذات الصدع انه لقول فصل وما
 هو بالهزل انهم يكيدون كيدا
 وأكيد كيدا فهل الكافرين
 أمهلهم رويذا) قال ابن عباس
 الرجوع المطر وعنه هو السحاب
 فيه المطر وعنه السماوات ذات
 الرجوع تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع
 رزق العباد كل عام ولولا ذلك
 لهلكوا وهلكتموا شيهم وقال
 ابن زيد ترجع نجومها ونجمها
 وقرها يأتين من ههنا والارض
 ذات الصدع قال ابن عباس هو
 انصداعها عن النبات وكذا قال
 سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبو
 مالك والضعفاء والحسن وقتادة
 والسدي وغير واحد وقوله تعالى
 انه لقول فصل قال ابن عباس حق
 وكذا قال قتادة وقال آخر حكيم
 عدل وما هو بالهزل أي بل هو جد
 حق ثم أخبر عن الكافرين بانهم
 يكذبون به ويصدون عن سبيله
 فقال انهم يكيدون كيدا أي

النظر وقفت على ان اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم وانه بلغ من المكانة وعلو المنزلة عند ذي العرش بان جعل السفير
 بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الامين فالقول في هذه الصفات بالنسبة الى رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم رفعة منزلة له كالفول في قوله ذي العرش بالنسبة الى رفعة منزلة
 جبريل عليه السلام كذا ذكر الكرخي (ولقد رأينا بالافق المبين) اللام جواب قسم محذوف
 أي ونال الله لقد رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم جبريل بمطلع الشمس من قبل المشرق لان
 هذا الافق اذا كانت الشمس تطلع منه فهو مبين لان من جهته ترى الاشياء وهذه
 الرؤية هي الواقعة في غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض وقيل الافق
 المبين اقطار السماء ونواحيها وانما قال سبحانه ذلك مع أنه قد رآه غير مرة لانه رآه هذه المرة
 في صورته له سماءة جناح قال سفيان انه رآه في أفق السماء المشرق في أي لانه كان في
 المشرق من حيث تطلع الشمس وقال ابن جرير في أفق السماء الغربي وقال مجاهد رآه نحو
 أجياد وهو مشرق مكة والمبين صفة للافق قاله الربيع وقيل صفة لمن رآه مجاهد
 وقيل معنى الآية ولقد رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه عز وجل وقد تقدم القول
 في هذا في سورة النجم قال ابن عباس في الآية انما عني جبريل أن محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم رآه في صورته عند سدرة المنتهى والافق المبين السماء السابعة (وما هو) أي محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم (على الغيب) يعني خبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عنه عن
 أهل مكة (بظنين) أي بغيرهم أي هو ثقة فيما يؤولي عن الله سبحانه وقيل بضنين بالضاد
 أي بخيل قاله ابن عباس أي لا يخجل بالوحى ولا يقصر في التبليغ وسبب هذا الاختلاف
 اختلاف الزعم فقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء أي بغيرهم والظنة التهمة
 واختارها أبو عبيد قال لانهم لم يخجلوه ولكن كذبوه واتهموه وقرأ الباقر بالضاد من
 ضنن بالشيء أضن ضنا اذا بخلت قال مجاهد أي لا يرضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام
 الله وأحكامه وقيل المراد جبريل انه ليس على الغيب بضنين والاول أولى وقرأ ابن مسعود
 بالظاء بمعنى متهم وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يترؤها بالظاء اخرجه
 الدارقطني في الافراد والحاكم وصححه وابن مردويه والخطيب فان البخل وما في معناه
 لا يتعدى بعلى وانما يتعدى بالباء (وما هو) أي القرآن (بقول شيطان رجيم) طريدين

يكرمون بالناس في دعوتهم الى خلاف القرآن ثم قال تعالى فهل الكافرين أي أنظرهم ولا تستعجل لهم أمهلهم الشياطين
 رويذا أي قليلا أي وسري ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاله كما قال تعالى غنمهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب
 غلظ آخر تفسير سورة الطارق والله الحد والمثمة (تفسير سورة سبج وهي مكية) * والدليل على ذلك ما رواه البخاري حدثنا عبدان
 أخبرني أبي عن شعبة عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير
 وابن أم مكتوم فجعل يقرأ القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما

رأيت أهل المدينة فرحوا بشي فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فاجاء حتى قرأت سجع اسم ربك الاعلى في سور مثلها وقال الامام أحمد حدثنا اسرايل عن ثور بن أبي فاخثة عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سجع اسم ربك الاعلى تفرد به أحمد وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسجع اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذ يغشى وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابراهيم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن (٢٠٥) أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قرأ في العبدین بسجع اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وان وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا هكذا وقع في مسند الامام أحمد اسناد هذا الحديث وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ثلاثتهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير به قال الترمذي وكذا

رواه الثوري ومسعر عن ابراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن ابراهيم عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان به كما رواه الجماعة قاله أعلم ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العبدین ويوم الجمعة بسجع اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي بن

الشیاطین المستترقة للسمع المرجومة بالشهب قال الكلبي يقول ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش كقوله وماتنزلت به الشیاطین قال عطاء بن رید بالشیطان الشیطان الابيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة جبريل يريد ان يفتنه ثم يكتمهم الله سبحانه وروجهم فقال (فأين تذهبون) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهورانه وحج مبین وليس مما يقولون في شيء اي اين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته قاله قتادة وقال الزجاج معناه اي طريق تسلكون اين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا وذهابا في بنات الطريق اين تذهب والي اين تذهب وحكي القراء عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها قال معناه في هذه الاحرف الثلاثة يريد الى اي ارض تذهب فحذف الى (ان هو الاذ كر للعالمين) اي ما القرآن الامو عظة للخلق اجعين وتذكير لهم وقوله (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار ومفعول المشيئة (ان يستقيم) اي لمن شاء منكم الاستقامة على الحق والایمان والطاعة (وماتشاورن) الاستقامة (الا ان) اي بان (يشاء الله) تلك المشيئة فاعلمهم سبحانه ان المشيئة في التوفيق اليه وانهم لا يقدرון على ذلك الا بمشيئة الله وتوقيفه ومثل هذا قوله سبحانه وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وقوله ولوانزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا اليه مؤمنوا الا ان يشاء الله وقوله انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والايات القرآنية في هذا المعنى كثيرة والخطاب هنا ليس للمخاطبين في قوله فأين تذهبون بل هو لمن عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم ان يستقيم (رب العالمين) اي مالك الخلق اجعين عن ابي هريرة قال لما نزلت لمن شاء منكم ان يستقيم قالوا الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فهبط جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كذبوا يا محمد وماتشاورن الا ان يشاء الله رب العالمين اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه

(سورة الانطار هي تسع عشرة آية وهي مكية بلا خلاف) *

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وأخرج النسائي عن جابر قال قام معاذ فصرى العشاء فطول فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتان أنت يا معاذ أين أنت عن سجع اسم

كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبيزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بسجع اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد زادت عائشة والمعوذتين وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي امامة صدق بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ولولا خشية الاطالة لاوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم (بسم الله الرحمن الرحيم) * (سجع اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى سمع قرئت فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم

الجهنم وما يحق ويسرك للسرى فذكر ان نفعت الذ كرى سيد كرم يخشى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قال الامام أحمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا موسى بن يعنى ابن أيوب الغافقى حدثنا عيسى بن عامر سمعت عقبة بن عامر الجهنى لما نزلت فسيح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا في ركوعكم فلما نزلت سبع اسم ربك الاعلى قال اجعلوا في سجودكم ورواه ابو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ سبع اسم ربك الاعلى قال سبحان ربى الاعلى وهكذا رواه ابو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به وقال خولف فيه وكيع رواه أبو وكيع وشعبة عن أبي اسحق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وقال الثوري عن السدى عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ سبع اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى وقال ابن جرير حدثنا ابن جهم حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي اسحق الهمدانى ان ابن عباس كان اذا قرأ سبع اسم ربك الاعلى يقول سبحان ربى الاعلى واذا قرأ الأقسام يوم القيامة فأتى على آخرها أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى يقول سبحانك وبلى وقال قتادة سبع اسم ربك الاعلى ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحان ربى الاعلى وقوله تعالى الذى خلق فسوى أى خلق الخليفة وسوى كل مخلوق فى أحسن الهيات وقوله تعالى والذى قدر فهدى قال مجاهد هدى الانسان للشقاوة

ربك والضحى واذا السماء انفطرت وأصل الحديث فى الصحيحين ولكن بدون ذكر اذا السماء انفطرت وقد تقدمها النسائي وقد تقدم فى سورة التكويد حديث من سره أن ينظر الى يوم القيامة رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت الحديث

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) السماء فاعل فعل محذوف يدل عليه المذكور قال الواحدى قال المفسرون انفطرتها انشقاقها كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا والفطر الشق يقال فطرت فانفطروا منه فطرناب البعير اذا طلع قيل والمراد انها انفطرت هنا لنزول الملائكة منها وقيل انفطرت لهيبة الله عز وجل (واذا الكواكب انتثرت) أى انقضت وتساقطت متفرقة يقال نثرت الشيء أنثرته نثرا والانتثار استعارة لازالة الكواكب حيث شبهت بجواهر قطع سلكها وهى مصرحة أو مكسبة (واذا البحار فجرت) أى جبر بعضها من أعلاها وأسفلها فى بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب منها بالمالح وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وقال الحسن معنى جفرت ذهب ماؤها ويست قال ابن عباس جفرت بعضها فى بعض وقيل فاضت العامة على بناء جفرت للمفعول منتقلا وقرأ مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظر الى قوله بينهم ما برزخ لا يغيمان فلما زال البرزخ بغيا وقرأ مجاهد أيضا والر يسع بن خبيثم والعقرانى والثورى مبنيا للمفعول مخففا (واذا القبور بعثرت) أى قلب ترابها الذى أهيل على الاموات وقت الدفن وأخرج الموتى الذين هم فيها يقال بعثرت بعثرة اذا قلب التراب ويقال بعثرت المتاع قلبه ظهر البطن وبعثرت الحوض وبهترته اذا هدمته وجعلت أعلاه أسفله قال الفراء بعثرت أخرجت ما فى بطنها من الذهب والفضة وذلك من اشراط الساعة أن تخرج الارض ذهبها وفضتها وقال ابن عباس أى بحثت وكررت اذا التهويل ما فى حيزها من الدواهي قال الرازى المراد من هذه الآيات انه اذا وقعت هذه الاشياء التى هى اشراط الساعة فهناك يحصل الحشر والنشرو هى ههنا أربعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان يتعلقان بالسفليات والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكليف والسماء كالسقف والارض كالبناء ومن أراد تخريب دار فانه يبدأ ولا يتخرب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتشار الكواكب ثم بعد تخريب السماء والكواكب يتخرب

والعبادة وهدى الانعام لمراتعها وهذه الآية كقوله تعالى اخبارا عن موسى أنه قال لفرعون ربنا الذى أعطى كل شئ كل خلقه ثم هدى أى قدر قدر اهدى الخلائق اليه كائنت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وقوله تعالى والذى أخرج المرعى أى من جميع صنوف النباتات والزروع فجعله غشاء أحوى قال ابن عباس هشيما متغيرا عن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى ان ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وان معنى الكلام والذى أخرج المرعى أى

أى أخضر الى السواد فجعله غشاه بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وان كان محتملا الا أنه غير صواب لخالفته أقوال أهل التأويل وقوله تعالى سقرت أى يا محمد فلا تنسى وهذا الخبر من الله تعالى ووعده منه بأنه سيقربه قراءة لا ينساها الا ماشاء الله وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا الا ماشاء الله وقيل المراد بقوله فلا تنسى طلب وجعله وامعنى الاستئناء على هذا ما يقع من النسخ أى لا تنسى ما نقرت الا ماشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه وقوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى أى يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وافعالهم لا يخفى عليه من ذلك (٢٠٧) شئ وقوله تعالى ونيسرك لليسرى أى نسهل عليك افعال الخير واقواله ونشرع لك شرعا سهلا سمعا مستقيما

عدلا لا عوجاج فيه ولا حرج ولا عسر وقوله تعالى فذكر ان نعت الذكرى أى ذكركم حيث تنفع التذكرة ومن ههنا يؤخذ الادب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه ما أنت بمحدث قوم ما حدثنا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم وقال حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله وقوله تعالى سيدك من يخشى أى سبعة عظماء بلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقه ويتجنبها الا شئ الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى أى لا يموت فيسترىح ولا يحيى حياة فتنتعه بل هى مضرة عليه لان سبها يشعر ما يعاقبه من أليم العذاب وأنواع التكال قال الامام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن سليمان يعنى التميمي عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون

كل ما على وجه الارض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الارض التى فيها الاموات وأشار لذلك بقوله واذا القبور بعثت ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم فقال (علمت نفس ما قدمت وأخرت) والمعنى انها علمت عند نشر الصحف لا عند البعث لانه وقت واحد من عند البعث الى عند مصير أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار والكلام في افراد نفس هنا كما تقدم في السورة الاولى في قوله علمت نفس ما أحضرت ومعنى ما قدمت وأخرت ما قدمت من عمل خيرا وشرا وأخرت من سنة حسنة أو سيئة لان لها أجرا مستمرا من السنن الحسنة وأجر من عمل بها وعليها وزر ما سنته من السنن السيئة ووزر من عمل بها وقال قتادة ما قدمت من معصية وأخرت من طاعة وقيل ما قدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وأخره وقيل أن النفس تعلم عند البعث ما قدمت وأخرت علما اجاليا لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة وأما العلم التفصيلي فاعلم يحصل عند نشر الصحف عن ابن مسعود قال ما قدمت من خير وما أخرت من سنة صالحة يعلم بها بعده فان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا أو سنة سيئة يعمل بها بعده فان عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئا وعن ابن عباس نحوه وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من استن خيرا فاستن به فله أجره ومثل أجر من اتبعه من غير منقص من أجورهم ومن استن شرا فاستن به فعليه وزره ومثل أجر من اتبعه من غير منقص من أجورهم وتلا حذيفة علمت نفس ما قدمت وأخرت ولما أخبر سبحانه في الآية الاولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلا على وقوعه فقال (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) هذا خطاب للكفار وقال بعضهم المراد بالانسان ما يشمل الكافر والمؤمن والعاصي قال الشهاب وهذا أريح كافي الكشف وغيره والمعنى ما الذى غرك وخدعك أو جعل لك غارا حتى كفرت بربك الكريم الذى تفضل عليك في الدنيا بما كمال خلقك وحواسك وجعلك عاقلا فاعلم ما ورزقك وأنعم عليك بنعمه التى لا تعد على محمد شئ منها قال قتادة غره شيطانه المسلط عليه وقال الحسن غره شيطانه الخبيث وقيل غره حقه وجهله وقيل غره عفو الله اذ لم يعاجله بالعقوبة أول مرة كذا قال مقاتل وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاعتزاز فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية المولى والعادى والمطيع

ولا يحيمون وأما ناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فيميتهم وقال ينبئون في نهر الحياة أو قال الحيوان أو قال نهر الجنة فينبئون نبات الحبة في جبل السيل قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء قال فقال بعضهم كأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالبادية وقال أحمد أيضا حدثنا اسمعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيمون ولكن اناس أو كما قال نصيبهم النار يذوقونهم أو قال يخطاياهم فيميتهم

امانة حتى اذا صاروا حما أذن في الشفاعة فحى بهم ضرباً ترهبوا على انهم اهل الجنة فيقال يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في جيل السيل قال فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما ما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضاً عن يزيد عن سعيد بن أبي الحريرى عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل النار الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وان اهل النار الذين يريد الله اخراجهم (٢٠٨) يميتهم فيها امانة حتى يصيروا خماً ثم يخرجون ضرباً ترقيقون

على انهم اهل الجنة فيرش عليهم من انهم اهل الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في جيل السيل وقد قال الله تعالى اخباراً عن اهل النار ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك قال انهم ما كانوا وما كانوا وقال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها الى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى (قد أفلح من تركى وذکر اسم ربه صلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا انى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) يقول تعالى قد أفلح من تركى اى طهر نفسه من الاخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه وذکر اسم ربه فصلى اى أقام الصلاة فى أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتناعاً للشرع الله وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العزرى حدثنا عى محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قد أفلح من تركى قال من شهد أن لا اله الا الله وخلع

والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كرم لا يعذب أحداً ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجدى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغتراراً بكرمه وعن عربى الخطاب أنه قرأ هذه الآية وقال غره والله جهله (الذى خلقك) من نطفة ولم نك شيئاً (فسوالك) رجلاً تسمع وتبصر وتعقل (فعدلك) اى جعلك معتدلاً قال عطاء جعلاً فاعماً معتدلاً حسن الصورة وقال مقاتل عدل خلقك فى العيين والاذنين واليدين والرجلين والمعنى عدل بين ما خلقك من الاعضاء قرأ الجمهور فعدلك مشدداً وقرئ بالتخفيف واختار الاول أبو عبيد وأبو حاتم قال القراء وأبو عبيد يدل عليها قوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ومعنى القراءة الاولى أنه سبحانه جعل اعضاءه متعادلة لاتفاوت فيها ومعنى الثانية أنه صرفه وأماله الى أى صورة شاء اما حسناً واما قبيحاً واما طويلاً واما قصيراً (فى أى صورة ما شاء ركبك) فى أى صورة متعلق بركبك وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاء هاوي يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال أى ركبك حاصل فى أى صورة ونقل أبو حيان عن بعض المفسرين أنه متعلق بعدلك واعتراض عليه بان أى لها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قال مقاتل والكلى ومجاهد فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم وقال مكحول ان شاء ذكرا وان شاء أنثى (كلا) ردع وزجر عن الاعتراض بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر به والمعاصى له أو بمعنى حقاً (بل تكذبون بالدين) اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا تردعون عن ذلك بل تجاوزونه الى ما هو أعظم منه من التكذيب بالدين وهو الجزاء أو بدين الاسلام قال ابن الأنبارى الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك وعلى كلا فبيع والمعنى بل تكذبون يا اهل مكة بالدين أى بالحساب وبل لنفى شئ تقدم وتحقيق غيره وانكار البعث قد كان معلوماً عندهم وان لم يجزله ذكراً قال القراء كلاً ليس الامر كما غررت به قرأ الجمهور تكذبون بالفوقية على الخطاب وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة بالتصية على الغيبة وجلة (وان عليكم لحافظين) فى محل نصب على الحال من فاعل تكذبون أى تكذبون والحال ان عليكم من يدفع تكذيبكم أو مستأنفة مسوقة لبسان ما يطل تكذيبهم والحافظون الرقباء من الملائكة الذين يحفظون على العباد أعمالهم

الانداد وشهد أنى رسول الله وذكرا اسم ربه فصلى قال هى الصلوات الخمس والحفاظة عليها والاهتمام بها ثم قال ويكتبونها لابرورى عن جابر الاسن هذا الوجه وكذا قال ابن عباس ان المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثنى عمرو بن عبد الحميد الايبلى حدثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال دخلت على أبي العالبة فقال لى اذا غدت غدا الى العبد غربي قال غررت به فقال هل طعمت شيئاً قلت نعم قال افضت على نفسك من الماء قلت نعم قال فاخبرنى ما فعلت زكأتك قلت قد وجهتها قال انما أردت لك لهذا ثم قرأ قد أفلح من تركى وذكرا اسم ربه فصلى وقال ان اهل المدينة لا يرون صدقه أفضل منها ومن سقاية

الماء قلت وقد روي ناعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بأخراج صدقة الفطر ويأمرهم بهذه الآية قد أفلم من تركي
 وذ كرا سم ربه فصلي وقال أبو الأحوص إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدي صلاته زكاته فان الله تعالى يقول قد
 أفلم من تركي وذ كرا سم ربه فصلي وقال قتادة في هذه الآية قد أفلم من تركي وذ كرا سم ربه فصلي زكي ماله وأرضى خالقه ثم قال
 تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم والآخرة
 خير وأبقى أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فان الدنيا دانية (٢٠٩) فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر

عاقل ما يفتي على ما يفتي ويهتم بما
 يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار
 البقاء والخلد قال الامام أحمد حدثنا
 حسين بن محمد حدثنا دويد عن أبي
 اسحق عن عروة عن عائشة قالت
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الدنيا دار من لا دار له ومال من
 لا مال له ولها جحيم مع من لا عقل له
 وقال ابن جرير حدثنا ابن جهم
 حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو
 حمزة عن عطاء عن عروة عن النقي
 قال استقرأت ابن مسعود سبج
 اسم ربك الاعلى فلما بلغ بل تؤثرون
 الحياة الدنيا ترك القراءة وأقبل
 على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على
 الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا
 الدنيا لا نأرا نيازيتها ونساءها
 وطعاسها وشراها وزويت عنا
 الآخرة فاخترنا هذا العاجل
 وتركنا الآجل وهذا منه على وجه
 التواضع والهضم وهو اخبار عن
 الجنس من حيث هو والله أعلم
 وقال الامام أحمد حدثنا سليمان
 ابن داود الهاشمي حدثنا اسمعيل
 ابن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو
 عن المطلب بن عبد الله عن أبي

ويكتبونها في الصحف قال ابن عباس جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل والنهار
 يحفظان عمله ويكتبان أثره وهذا الخطاب وان كان خطابا لمشاهدة الان الامة أجمعت
 على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى حافظين جمع يحتمل أن يكونوا حافظين
 لجميع بني آدم من غير أن يختص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم ويحتمل أن يكون
 الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم جمعاً من
 الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار وكما قيل انهم خمسة واختلفوا في الكفار هل
 عليهم حفظة فقل لا لان أمرهم ظاهر وعلمهم واحد قال تعالى يعرف الجرمون بسماتهم
 وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى في هذه الآية وفي قوله تعالى وأما من أوفى كتابه
 وراء ظهره فاخبر أن لهم كتابا وان عليهم حفظة ثم وصفهم سبحانه فقال (كراما كاتبين) أي
 انهم كرام لديه يكتبون ما يأمرهم به من اعمال العباد (يعلمون) على التجدد والاستقرار
 (ما تفعلون) في الآية دلالة على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم
 حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على انهم يكونون عاملين بها حتى انهم يكتبونها
 فاذا كتبوها يكونون عاملين عند أداء الشهادة قال الرازي المعنى التحيب من حالهم كأنه
 قال انكم تكذبون يوم الدين وملائكة الله موكلون يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها
 يوم القيامة ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
 عتيد وفي تعظيم الكتب بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الامور
 فيه انداز وهو يدل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما أشدها
 من آية على الغافلين ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال (الابرار لاني نعيم) أي الجنة (وان
 النجار لاني جحيم) أي نار والجملة مستأنفة لتقرير هذا المعنى الذي سبقت له وهي كقوله
 سبحانه فريق في الجنة وفريق في السعير ولفظ النجار عائد على الكافرين الذين تقدم
 ذكرهم وليس شاملا لعصاة المؤمنين لان الانس لم انهم تركب الكبرية من المؤمنين فاجر
 على الاطلاق فال في النجار للعصاة الذين لا يبالون بآثارهم بل تكذبون بالدين (يصلونها يوم
 الدين) صفة للنجار أو مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما حالهم فقيل يصلونها يوم
 الجزاء الذي كانوا يكذبون به ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال من الضمير في متعلق
 الجار والمجرور ومعنى يصلونها انهم يلزمونها مقاسين لوجهها وحرها يومئذ قرأ الجمهور

(٢٧ - فتح البيان عاشر) موسى الأشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب
 آخرته أضرب دنياه فآثروا ما يقي على ما يفتي تفرد به أحمد وقد رواه أيضا عن أبي سلمة الخزاعي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو
 به مثله سواء وقوله تعالى ان هذا النبي العصف الاول صحف ابراهيم وموسى قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن علي حدثنا
 معمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت ان هذا النبي العصف الاول صحف ابراهيم
 وموسى قال النبي صلى الله عليه وسلم كان كل هذا وكان هذا في صحف ابراهيم وموسى ثم قال لانعلم أسند الثقات عن عطاء بن

السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثنا آخر رواه قبل هذا وقال النسائي أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن علي حدثنا المعمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت سبع اسم ربك الأعلى قال كلها في صحف إبراهيم وموسى ولما نزلت وإبراهيم الذي وفي قال وفي الأتزر وازرة وزر أخرى يعني أن هذه الآية كقوله تعالى في سورة النجم أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي الأتزر وازرة وزر أخرى وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأولي وإن إلى ربك المنتهى الآيات إلى (٢١٠) آخرهن وهكذا قال عكرمة في ما رواه ابن جرير عن ابن جسيم عن مهران عن

سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى أن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى يقول الآيات التي في سبع اسم ربك الأعلى وقال أبو العالية قصة هذه السورة في الصحف الأولى واختار ابن جرير أن المراد بقوله أن هذا إشارة إلى قوله قد أفلح من تركي وذکر اسم ربه فصلى بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خبرنا بقي ثم قال تعالى أن هذا أي مضمون هذا الكلام لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى هذا الذي اختاره حسن قوي وقدرى عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم آخر تفسير سورة سبع والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

* (تفسير سورة الغاشية وهي مكية) * قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سبع اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة وقال الإمام مالك عن حمزة ابن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحالك بن قيس سأل النعمان ابن بشير عما كان رسول الله صلى

يصلونها مخففاً مبني للفاعل وقرئ بالتشديد مبني للمفعول (وما هم عنها بغائبين) أي لا يفارقونها أبداً ولا يغيبون عنها بل هم فيها وقيل المعنى وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكسبة بل كانوا يجردون حرها في قبورهم ثم عظم سبحانه ذلك اليوم فقال (وما أدراك ما يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب (ثم ما أدراك ما يوم الدين) كرره تعظيماً لشأنه وتفعيلاً ما أقدره وهو بلا لامره كما في قوله القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة والخاقعة ما الخاقعة والمعنى أي شيء جعلك داراً ما يوم الدين قال السكبي الخطاب للإنسان الكافر ثم أخبر سبحانه عن اليوم فقال (يوم لا تلك نفس) من النفوس (لنفس) أخرى (شيئاً) من النفع والضرر وملك الشفاعة لبعض الناس اذ ذاك انما هو باذن الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ذكره الحفناوي قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم على أنه بدل من يوم الدين وأبو عمرو بمبتدأ محذوف وقرأ أبو عمرو في رواية عنه يوم بالتسوين والقطع عن الاضافة وقرأ الباقر بن فتحه على انها فتحة اعراب بتقدير أعني أو أذ كر فيكون مفعولاً به أو على انها فتحة بناء لاضافته إلى الجملة على رأى الكوفيين وهو في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على أنه بدل من يوم الدين قال الزجاج يجوز أن يكون في موضع رفع إلا أنه بنى على الفتح لاضافته إلى قوله لا تلك وما أضيف إلى غير المتمكن فقد بينى على الفتح وان كان في موضع رفع وهذا الذي ذكره انما يجوز عند الخليل وسيبويه إذا كانت الاضافة إلى الفعل الماضي وأما إلى النعل المستقبل فلا يجوز عنده ما وقد وافق الزجاج على ذلك أبو علي الفارسي والقراء وغيرهما (والأمر يومئذ لله) وحده لا يملك شيئاً من الأمر غيره كأنسان كان قال مقاتل يعني نفس كآفة شيئاً من المنفعة قال قتادة ليس ثم أحد يقضى شيئاً أو يصنع شيئاً إلا الله رب العالمين والمعنى أن الله لا يملك أحد في ذلك اليوم شيئاً من الأمور كما ملكهم في الدنيا ومثل هذا قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

* (سورة المطففين هي ست وثلاثون آية) *

قال القرطبي وهي مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدينة في قول الحسن وعكرمة وقال مقاتل أيضاً هي أول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة هي مدينة الاثمان آيات من قوله ان الذين أخرجوا إلى آخرها وقال السكبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس قال آخر ما نزل

الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة قال هل أتاك حديث الغاشية رواه أبو داود عن القعنبى والنسائي عن عكرمة قتيبة كلاهما عن مالك بن وهبان عن حمزة بن عيينة عن حمزة بن سعيد بن * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع) الغاشية من أسماء يوم القيامة قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لانها تغشى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى

الله عليه وسلم على امرأته تقرأ هل أتاك حديث العاشية فقام يستمع ويقول نعم قد جاءني وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة أي ذليلة
قوله قتادة وقال ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى عاملة ناصبة أي قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم
القيامة ناراحامية قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا إبراهيم بن محمد المزني حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا هرون بن عبد الله
حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوني يقول مر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه يا راهب
فاشرف قال فجعل عمر ينظر إليه ويكي فقليل له يا أمير المؤمنين ما يكيك (٢١١) من هذا قال ذكرت قول الله عز وجل في كتابه

عاملة ناصبة تصلي ناراحامية فذلك
الذي أبكاني وقال البخاري قال
ابن عباس عاملة ناصبة النصارى
وعن عكرمة والسدي عاملة في
الدين بالمعاصي ناصبة في النار
بالعذاب والاغلال قال ابن عباس
والحسن وقتادة تصلي ناراحامية
أي حارة شديدة الحرق تسقي من عين
آمنة أي قد انتهت حرها وغلبت
قوله ابن عباس ومجاهد والحسن
والسدي وقوله تعالى ليس لهم
طعام الا من ضرب قال علي بن
أبي طلحة عن ابن عباس شجر
من النار وقال سعيد بن جبير هو
الزقوم وعنه انه الخجارة وقال ابن
عباس ومجاهد وعكرمة وابن
الجوزاء وقتادة هو الشبرق قال
قتادة قرش تسميه في الربيع
الشبرق وفي الصيف الضريع
قال عكرمة وهو شجر ذو شوك
لا طنة بالارض وقال البخاري قال
مجاهد الضريع نبت يقال له
الشبرق تسميه أهل الحجاز الضريع
اذا يبس وهو سم وقال معمر عن
قتادة الا من ضرب هو الشبرق
اذا يبس سمى الضريع وقال سعيد

بمكة سورة المطففين وعنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كانوا من
أخبث الناس كيلاً فأمر الله ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك أخرجه ابن
مردويه والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند صحيح

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاءً ولونصب الجاز قال مكي والمختار
في ويل وشبهه اذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان مضافاً أو معرفاً كان
الاختيار فيه النصب كقوله ويلكم لا تفترؤا والمطفف المنقص وحقيقته الاخذ
في الكيل أو الوزن شبه أطفيفاً أي نزر أخفياً حقيراً قال أهل اللغة المطفف مأخوذ من
الطفف وهو القليل فالمطفف هو المقلل حق صاحب به بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن
قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال
والميزان الا الشيء اليسير الطفيف قال أبو عبيدة والمبرد المطفف الذي يخس في الكيل
والوزن والمراد بالويل هنا شدة العذاب أو نفس العذاب أو الشر الشديد وهو واد
في جهنم قال الكلبي قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وهم يسيئون كيلاً
ووزنهم غيرهم ويستوفون لانفسهم فترأت هذه الآية وقال السدي قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وكان بها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما
ويكتال بالآخر فأمر الله هذه الآية قال القراء هم بعد نزول هذه الآية أحسن الناس
كيلاً الى يومهم هذا وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم العدو ولا طففوا الكيل الا منعوا
النبت وأخذوا بالسنين وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائداً أو يدفع الى غيره
ناقصاً قليلاً وكثيراً لكن ان لم يتب منه فان تاب قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه
كان مصراً على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي
مبنية على أمر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن ثم بين
سببانه المطففين من هم فقال (الذين اذا اكلوا على الناس يستوفون) الا كتيال الاخذ
بالكيل قال القراء يريد اكلوا من الناس وعلى ومن في هذا الموضع يعتقبان يقال
اكتلت منك أي استوفيت منك وتقول اکتلت عليك أي أخذت ما عليك قال الزجاج

عن قتادة ليس لهم طعام الا من ضرب من شر الطعام وأبشعه وأخبشه وقوله تعالى لا يسمن ولا يغبى من جوع يعني لا يحصل له
مقصود ولا يندفع به محذور (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها الاغنية فيها عين جارية فيها سرور رفوعة
وأكواب موضوعة وغارق مصفوفة وزرابى مبثوثة) لما ذكر حال الاشقياء بذكر السعداء ثنى بذكر السعداء فقال وجوه يومئذ
أي يوم القيامة ناعمة أي يعرف النعيم فيها وانما حصل لها ذلك بسعيها وقال سفيان لسعيها راضية قدرضيت عملها وقوله تعالى
في جنة عالية أي ربعة بهيمة في الغرفات آمنون لا تسمع فيها الاغنية أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى لا يسمعون

مها الغوا الاسلام وقال تعالى لا تغوف فيها ولا تأثم وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثما الا قتيلا سلا ماسلاما فيها عين جارية آى سارحة وهذه نكرته في سياق الاثبات وليس المراد بها عيننا واحدة وانما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات قال ابن ابي حاتم قرئ على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو ثوبان عن عطاء بن قررة عن عبيد الله بن ضمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اراجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك فيها سرمر فوعة أى عالية ناعمة كثيرة الفرس مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فاذا (٢١٢) أرادولى الله ان يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له وأكواب

موضوعة يعنى أوانى الشرب
• معدة مرصدة لمن أرادها من
اربابها وغمارق مصفوفة قال ابن
عباس النمارق الوسائد وكذا قال
عكرمة وقتادة والضحالك والسدى
والثورى وغيرهم وقوله تعالى
وزرأى مبنوثة قال ابن عباس
الزرأى البسط وكذا قال الضحالك
وغير واحد ومعنى مبنوثة أى
ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها
ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه
أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو
ابن عثمان حدثنا أبى عن محمد بن
مهاجر عن الضحالك المعافى عن
سليمان بن موسى حدثنى كريب انه
سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ألهل
من مشير للجنة فان الجنة لا حصر
لها هى ورب الكعبة نورية لا
وريحانة ثم تروى قصر مشيد ونهر
مطر دوغرة نضجة وزوجة حسناء
جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد
فى دار سلمة وفا كهة وخضرة وجبرة
ونعمة فى محلة عالية بهيمة قالوا نعم
يا رسول الله نحن المسمرون لها قال
قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء

اذا كالأول من الناس استوفوا عليهم الكيل قال الزمخشري لما كان اكتبها كتيبالا
بضهرهم ويتكامل فيه عليهم أمدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق
يستوفون وقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة
فأما أنفسهم فيستوفون لها قال السمين وهو حسن ولم يذ كر اتزوال الكيل والوزن بهما
الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر قال الواحدى قال المفسرون يعنى الذين اذا
اشترؤا لانفسهم استوفوا فى الكيل والوزن واذا باعوا ووزنوا غيرهم نقصوا وهو معنى
قوله (واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى كالواهم أو وزنواهم فخذت اللام فتعدى
الفعل الى المفعول فهو من باب الحذف والا يصال ومثله نصحتك ونصحت لك كذا قال
الاخفش والكسائى والفراء وقال الفراء سمعت أعرابية تقول اذا صدر الناس أتينا
التاجر فيكلمنا المد والمدين الى الموسم المقبل قال وهو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم
من قيس قال الزجاج لا يجوز الوقف على كالوا حتى يوصل بالضمير ومن الناس من يجعله
تأكيذا أى تو كيدا للضمير المستكن فى الفعل فيجوز الوقف على كالوا أو وزنوا قال أبو عبيد
وكان عيسى بن عمر يجعله ما حرفين ويقف على كالوا أو وزنوا ثم يقول هم يخسرون قال
وأحسب قراءة حجة كذلك قال أبو عبيد والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين
احداهما الخط ولذلك كتبوهما بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا أو وزنوا بالالف
والاخرى انه يقال كالتك ووزنتك بمعنى كالتك ووزنت لك وهو كلام عربى كما يقال صدتك
وصدت لك وكسبتك وكسبت لك وشكرتك وشكرت لك ونحو ذلك وقيل هو على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف المكيل والموزون أى واذا كالوا مكيلهم أو
وزنوا موزونهم ومعنى يخسرون ينقصون كقوله ولا تخسر والميزان والعرب تقول خسرت
الميزان وأخسرت ثم خوفهم سبحانه فقال (ألا يظن أولئك انهم مبعوثون) مستأنفة
مسوقة لتهويل ما فعلوه من التطفيف وتنظييعه والتعجيب من حالهم فى الاجترار عليه
والاشارة بأولئك الى المطففين وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعدهم عن الشراة
والفساد والمعنى انهم لا يخطر على بالهم انهم مبعوثون فمسؤلون عما يفعلون قبل والظن
هنا بمعنى اليقين أى لا يوقن أولئك ولو أيقنوا ما نقصوا الكيل والوزن وقيل الظن على بابه
والمعنى ان كانوا لا يستيقنون البعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا فيه ويحشوا عنه ويتركوا

الله ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجرة (أفلا يظنرون الى ما يخشون
الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر است عليهم
بمسطر الامن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علمنا حسابهم) يقول تعالى أمر اعباده بالنظر فى مخلوقاته
الدالة على قدرته وعظمته أفلا يظنرون الى الابل كيف خلقت فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها فى غاية القوة والشدة وهى
مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل ويتفجع بوبرها ويشرب لبنها ونهبها بذلك لان العرب غالب دوابهم

كانت الابل وكان شريح القاضي يقول أخرجوا بنا حتى ننظر الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت أى كيف رفعها الله عز وجل عن الارض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى أقلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزييناها وما لها من فروج والى الجبال كيف نصبت أى جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية تثبت الارض باهلها وجعل فيها ما جعل فيها من المنافع والمعادن والى الارض كيف سطحت أى كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه والسماء التى فوق رأسه والجبل الذى تجاهه والارض التى تحته على قدرة (٢١٣) خالق ذلك وصانعه والله العظيم الخالق

المالك المتصرف والله الاله الذى لا يستحق العبادة سواء وهكذا أقسم ضمما فى سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كإرواه الامام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهيمن ان نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكان يعجبنا ان يجيب الرجل من أهل البادية العاقل فساله ونحن نسمع جفاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد انه أنا رسولك فزعم لنا انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق قال فن خلق السماء قال الله قال فن خلق الارض قال الله قال فن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل قال الله قال فبالذى خلق السماء وأرسلك قال نعم قال وزعم رسولك ان علمنا خمس صلوات فى يومنا وإيماننا قال صدق قال فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علمنا زكاة فى أموالنا قال صدق قال فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا قال نعم

ما يخشون من عاقبته وبأخذوا بالاحوط (ليوم عظيم) هو يوم القيامة ووصفه بالعظم لكونه زمانا لتلك الامور العظام من البعث والحساب والعقاب ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن عبيد الملك بن مروان أن أعرايا قال له قد سمعت ما قال الله فى المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فإظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ثم زجر عن ذلك اليوم فقال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أى يوم يقومون من قبورهم لاهرب رب العالمين أو لجزائه أو لحسابه أو لحكمه وقضائه وفى وصف اليوم بالعظم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه بكونه رب العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف وهزئ دأبه وفضاعة عقابه وفيما كان مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل فى كل أخذ وعطاء بل فى كل قول وعمل وحال وقيل المراد بقوله يوم يقوم الناس قيامهم فى رشحهم الى أنصاف آذانهم وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحته الى أنصاف أذنيه وقيل المراد قيامهم بعبادتهم من حقوق العباد وقيل المراد قيام الرسل بين يدي الله للقضاء والاولى وأبو يعنى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الآية فكيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع التبل فى الكفانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم أخرجه الطبرانى وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين بمقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة فيموتون ذلك على المؤمن كتنلى الشمس الى الغروب الى أن تغرب أخرجه أبو يعلى وابن حبان وابن مردويه وعن ابن مسعود قال اذا حشر الناس قاموا أربعين عاما أخرجه ابن أبى حاتم وأخرجه ابن مردويه من حديثه مرفوعا وعن ابن عمر أنه قال يا رسول الله كم مقام الناس بين يدي رب العالمين يوم القيامة قال ألف سنة لا يؤذن لهم أخرجه الطبرانى وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) هى للردع والزجر للمطففين الغافلين عن البعث وما بعده أو بمعنى حقا ثم استأنف فقال (ان كتاب القبر) اظهر فى موضع الاشارة تعميما وتعليقا للحكم بالوصف يعنى ان كتب اعمال الكفار (لنى سجين) وهو ما فسر به سبحانه من قوله (وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) فاخبر

قال وزعم رسولك ان علمنا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال صدق قال ثم لم يبق الا الذى بعد ذلك بالحق لا أريد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان صدق ليدخلن الجنة وقد رواه مسلم عن عمر والناس من أبي النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخارى ورواه الترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الامام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن أنس به بطوله وقال فى آخره وانا ضم ابن نعلبة أخو بنى سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا اسحق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها تمرعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك قالت الله قال فمن خلقني قالت الله قال فمن خلق السماء قالت الله قال فمن خلق الأرض قالت الله قال فمن خلق الجبل قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال اني لاسمع الله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ما يحدثنا هذا قال ابن دينار كان ابن عمر كثير ما يحدثنا هذا في اسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو (٢١٤) المديني ضعفه ولده الامام علي بن المديني وغيره وقوله تعالى فذكرنا نأت

مذكر است علمهم بسبط رأى
فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به
اليهم فانما عليك البلاغ وعلينا
الحساب ولهذا قال است علمهم
بسبط قال ابن عباس ومجاهد
وغيرهم ما است علمهم بجبار أى
لست تخلق الايمان في قلوبهم
وقال ابن زيد است بالذى تكرههم
على الايمان قال الامام أحمد حدثنا
وكيع عن سفينان عن أبى الزبير
عن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا
قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم
الا يجعها وحسابهم على الله عز
وجل ثم قرأ فذكرنا نأت مذكر
است علمهم بسبط وهكذا رواه
مسلم في كتاب الايمان والترمذي
والنسائي في كتاب التفسير من
سنتينهما من حديث سفينان بن
سعيد الثوري به بهذه الزيادة وهذا
الحديث مخرج في الصحيحين من
رواية أبى هريرة بدون ذكر هذه
الآية وقوله تعالى الا من تولى
وكفر رأى تولى عن العمل باركانه
وكفر بالحق بيمينانه ولا انه وهذه

بهذا انه كتاب مرقوم أى سطور قيل هو كتاب جامع لأعمال الشر الصادرة من الشياطين
والكفرة والفسقة ولفظ صحيح علم له وقال قتادة وسعيد بن جبيرة ومقاتل وكتب عنه
صخرة تحت الأرض السابعة تغلب فيجعل كتاب الفجار تحتها وبه قال مجاهد فيكون
في الكلام على هذا القول مضاف محذوف والتقدير محل كتاب مرقوم وقال أبو عبيدة
والأخفش والمبرد والزجاج لني حبس وضيق شديد والمعنى كأنهم في حبس جعل ذلك
دليلا على خساسة منزلتهم وهوانهم قال الواحدى ذكر قوم ان قوله كتاب مرقوم تفسير
سجين وهو بعيد لانه ليس السجين من الكتاب فى شئ على ما حكىناه عن المفسرين
والوجه ان يجعل بيانا للكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار على تقدير هو كتاب مرقوم
أى مكتوب قدينت حروفه انتهت والاولى ما ذكرناه ويكون المعنى ان كتاب الفجار الذين
من جملتهم المطففون اى ما يكتب من اعمالهم أو كتابة اعمالهم لى ذلك الكتاب المدون
للقبائح المختصة بالشر وهو سجين ثم ذكر ما يدل على تهويله وتعظيمه فقال وما أدراك ما سجين
ثم بينه بقوله كتاب مرقوم قال الزجاج معنى قوله وما أدراك ما سجين ليس ذلك مما كنت
تعلم انت ولا قومك اى فى الدنيا قبل نزول الوحي عليك وانما علمته بالوحي قال قتادة ومعنى
مرقوم رقم لهم بشر كأنه أعلم بعلامته يعرف بها انه كافر وكذا قال مقاتل وقد اختلفوا فى
نون سجين فقبل هى أصلية واشتقاق من السجين وهو الحبس وهو بناء مبالغة كخمر
وسكير وفسق من الخمر والسكر والفسق وكذا قال أبو عبيدة والمبرد والزجاج قال
الواحدى وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف سجيناً ويحبب عنه بان رواية هؤلاء
الأئمة تقوم بها الحجة وتدل على انه من لغة العرب ومنه قول ابن مقبل

ورفة يضربون البيض ضاحية * ضربا تواصت به الابطال سجيناً

وقيل النون بدل من اللام والاصل سجيل مشتق من السجل وهو الكتاب قال ابن
عطية من قال ان سجيناً موضع فكتاب مرفوع على انه خبر ان والظرف وهو قوله لنى
سجين ملغى ومن جعله عبارة عن الكتاب فكتاب خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو كتاب
ويكون هذا الكلام مفسر السجين ما هو وكذا قال الضحاك وقوله مرقوم مختوم بلغة
جبر وأصل الرقم الكتابة وقال كعب الاحبار فى الآية ان روح الفاجر يصعد بها الى
السماء فتأبى السماء ان تقبلها فتمط بها الى الأرض فتأبى ان تقبلها فيه تدخل بها تحت

كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ولهذا قال في عذبه الله العذاب الا كبر قال الامام أحمد

حدثنا قتيبة حدثنا شاذان عن سعيد بن أبى هلال عن علي بن خالد ان أبا امامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين
كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا كلكم يدخل الجنة الا من شرد على
الله شراد البعير على أهله نفر دباخرجه الامام أحمد وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه ولم يرد على ما هتاروى عن أبى
أدومة عنه سعيد بن أبى هلال وقوله تعالى ان البناياهم أى مرقومهم ومنقلبهم ثم ان علينا حسابهم أى نحن نحاسبهم على

أعمالهم وفجازهم بما ان خيرا خيرا وان شرافته آخر تفسير سورة الغاشية والله الحمد والمنة * (تفسير سورة الفجر وهي مكية) * قال النسائي انا عبد الوهاب بن الحكم اخبرني يحيى بن سعيد عن سليمان بن محارب بن دثار وأبي صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فناء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذ فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل النبي فقال يا رسول الله حيث أصلى معه بطول على قانصر فت وصليت في ناحية المسجد فعلفت نافقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفقنا يا معاذ أين أنت من سبج اسم ربك الأعلى والشمس (٢١٥) وضحاها والفجر والليل اذا يغشى

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وغود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد) أما الفجر فعروف وهو الصبح قاله علي وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليال العشر وقيل المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعا ما من أيام العمل الصالح أحب الى الله فيهن العمل من هذه الايام يعني عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال

سبع أرضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من تحت خد ابليس كتابا فيحتم ويوضع تحت خد ابليس وعن ابن عباس قال سجين أسند الارضين وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى واما سجين فنتوح قال ابن كثير هو حديث غريب منكر لا يصح وأخرج ابن مردويه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سجين الارض السابعة السدني وأخرج هو عن جابر نحوه مرفوعا وعن عبد الله بن كعب بن مالك قال لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت ان لقيت ابني فاقرأه مني السلام فقال غفر الله لك يا أم بشر نحن اشغل من ذلك فقالت اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت وان نسمة الكافر في سجين قال بلى قالت فهو ذلك أخرجه ابن ماجه والطبراني والبيهقي في البعث وعبد بن حميد (ويل يومئذ للمكذبين) هذا متصل بقوله يوم يقوم الناس وما بينهما اعتراض والمعنى ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث وبما جاءت به الرسل ثم بين سبحانه هؤلاء المكذبين فقال (الذين يكذبون يوم الدين) اي يوم القيامة لانه يوم الجزاء والحساب والموصول بدل من المكذبين أو صفة (وما يكذب به الا كل متدائيم) اي فاجر جائر متجاوز في الاثم منه مك في اسبابه (اذا تتلى عليه آياتنا) المنزلة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن الكريم (قال اساطير الاولين) اي احاديثهم وابطالهم التي زخرفوها والحكايات التي سطرت قديما جميع أسطورة بالضم واسطورة بالكسر قرأ الجمهور قتلى بنو قتيبن وقرئ بالتحمية وقوله (كلا) للردع والزجر لانه عندى الاثم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له وقال الحسن بمعنى حقا وقوله (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان للسبب الذي جعلهم على قولهم بان القرآن أساطير الاولين قال أبو عبيدة ران على قلوبهم غلب عليها رينا وروينا وكل ما غلب وعلا فقد ران بك وران عليك قال القراء هو أنها كثرت منهم المعاصي والذنوب فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب قال مجاهد القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا أذنب انقبض وضم أصبعه فاذا أذنب ذنبا آخر انقبض وضم أخرى حتى ضم أصابعه كلها حتى يطبع على قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرأ هذه الآية قال أبو يزيد يقال قدرين بالرجل

ولا الجهاد في سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ وقيل المراد بذلك العشر الاول من المحرم حكاها أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه الى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس وليال عشر قال هو العشر الاول من رمضان والصحيح القول الاول قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثني حتر بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العشر عشر الاضحي والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله كل منهما عن زيد بن الحباب به ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا اسناد رجاله لا بأس بهم وعندى ان الماتن في رفعه نكارة والله أعلم وقوله تعالى والشفع والوتر قد تقدم في هذا الحديث ان الوتر يوم عرفة لكونه

التاسع وان الشفع يوم التحرك كونه الغاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والفضالة أيضا قول ثمان وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى والشفع والوتر قلت صلاتا وترنا هذا قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الاضحى قول ثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عامر بن ابراهيم الاصبهاني حدثني أبي عن النعمان يعني ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف حدثني بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر (٢١٦) فقال الشفع قول الله تعالى فمن نجح في يومين فلاثم عليه والوتر قوله تعالى

ومن تأخر فلاثم عليه وقال ابن جرير أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحد من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قول رابع قال الحسن البصري وزيد بن أسلم الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بمجاهده وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الاول وقال العوفي عن ابن عباس والشفع والوتر قال الله وتر واحد وأنتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب قول خامس قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد والشفع والوتر قال الشفع الزوج والوتر الله عز وجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد الله الوتر وخلق الشفع الذكر والانثى وقال ابن أبي شبيب عن مجاهد قوله والشفع والوتر كل شيء خلقه الله شفع السماء والارض والبر والبحر والجن والانس والشمس والقمر ونحو هذا ونحو مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي لتعلموا أن السابعة

ربنا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به وقال أبو معاذ النخعي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقبال أشد من الطبع قال الزجاج الرين هو كاصدا يغشى القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان العبد اذا أذنب ذنبا نكثت في قلبه نكثة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان عازز ادت حتى تغلف قلبه فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في القرآن كلا بل ران على قلوبهم لم يخارجهم الله والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وغيرهم ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال (كلا) وقيل كلا بمعنى حقا أي حقا (انهم) يعني الكفار (عن ربهم) أي عن رؤيته (يومئذ) أي يوم القيامة (لمحجوبون) لا يرونه أبدا قال مقاتل يعني انهم بعد العرض والحساب لا ينظرون الى ربهم نظرا المؤمنين اليه قال الحسين بن الفضل كما حجهم في الدنيا عن توحيدهم في الآخرة عن رؤيته قال الزجاج في هذه الآية دليل على ان الله عز وجل يرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة وقال جل ثناؤه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فأعلم سبحانه ان المؤمنين ينظرون وأعلم ان الكفار محجوبون وقيل هو غشيل لاهانهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وقال قتادة وابن أبي مليكة هو أن لا ينظر اليهم برحمته ولا ينزلهم وقال مجاهد محجوبون عن كرامته وكذا قال ابن كيسان والاول أولى (ثم انهم لصالوا الحليم) أي لدخلوا النار وما لا رموها غير خارجين منها ثم لتراخي الرتبة لان صلي الحليم أشد من الالهانة وحرمان الكرامة (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقول لهم خزنة جهنم تبكي تاوتوا بيخا هذا ما كذبتم به في الدنيا وأنكرتم وقوعه فانظروه وذوقوه وقوله (كلا) للردع والزجر عما كانوا عليه والتكرير للتأكيد وجملة (ان كلاب الارباب لعينين) مستأنفة لبيان ما تضمنته ويجوز أن تكون كلاب بمعنى حقاقتهم ان في كل واحدة من الاربعة الواقعة في هذه السورة قولين والارباب هم المطيعون وكما هم صحائف حسنة انهم قال الفراء لعينين ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له ووجه هذا انه منقول من جمع على من العلوق قال الزجاج نحو أعلى الامكنة قال الفراء والزجاج فاعرب كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه نحو ثلاثين وعشرين وقنسرين قيل هو علم لديان الخير الذي دون فيه ما عمله الصالحون وحكي الواحدى عن المفسرين انه السماء

والقمر ونحو هذا ونحو مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي لتعلموا أن السابعة خالق الأزواج واحد قول سادس قال قتادة عن الحسن والشفع والوتر هو العدم منه شفع ومنه وتر قول سابع في الآية الكريمة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن أبي جريح ثم قال ابن جرير وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن ابن الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا يزيد بن الحباب أخبرني عباس بن عقبة حدثني حزين بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشفع النومان والوتر اليوم الثالث هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما هي الصلاة

منها شفيع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر الليل بعد من الليل وقد قال
عبد الرزاق عن معمر بن قنادة عن عمران بن حصين والشفيع والوتر قال هي الصلاة المكتوبة منها شفيع ومنها وتر وهذا منقطع
وموقوف ولقطة خاص بالمكتوبة وقد روى متصلا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقطة عام قال الامام احمد حدثنا ابو داود
هو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام ان شيئا حدثه من اهل البصرة عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن الشفيع والوتر فقال هي الصلاة بعضها شفيع (٢١٧) وبعضها وتر هكذا وقع في المسند وكذا رواه ابن

جرير عن بندار عن عفان وعن ابي
كريب عن عبيد الله بن موسى
كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن
قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ
عن عمران بن حصين وكذا رواه ابو
عيسى الترمذي عن عمرو بن علي
عن ابن مهدي وابي داود كلاهما
عن همام عن قتادة عن عمران بن
عصام عن رجل من اهل البصرة
عن عمران بن حصين به ثم قال
غريب لا نعرفه الا من حديث
قتادة وقد رواه خالد بن قيس أيضا
عن قتادة وقد روى عن عمران بن
عصام عن عمران بن حصين والله أعلم
(قلت) ورواه ابن أبي عاصم حدثنا
احمد بن سنان الواسطي حدثنا
يزيد بن هرون أخبرنا همام عن
قتادة عن عمران بن عصام الضبي
شيخ من اهل البصرة عن عمران
ابن حصين عن النبي صلى الله عليه
وسلم فذكره هكذا وابنته في تقديره
فعل الشيخ البصري هو عمران بن
عصام وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا
نصر بن علي حدثني أبي حدثني خالد
ابن قيس عن قتادة عن عمران بن
عصام عن عمران بن حصين عن

السابعة قال الضحالة ومجاهد وقتادة يعني السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين وقال
الضحالة أيضا هو سدرة المنتهى ينتهي اليه كل شيء من أمر الله لا يعدوها وقيل هو الجنة
وبه قال ابن عباس وقال قتادة أيضا هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش يعني وقيل
ان عليين صفة للملائكة فانهم في الملا الأعلى كما يقال فلان في بني فلان أي في جملتهم
وقيل هو لوح من زبرجده خضراء ملحق تحت العرش مكتوبة فيه أعمالهم وقيل هو قائمة
العرش يعني وقيل هو مراتب عالية تحفوفة بالملائكة وقد عظمها الله وأعلىها (وما أدراك
ما علمون) أي ما أعلمك يا محمد أي شيء علمون على جهة التفعيم والتعظيم لعليين أخرج ابن
المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق شمر بن عطية ان ابن عباس سأل
كعب الاخير عن قوله ان كتاب الابرار في عليين قال روح المؤمن اذا قبضت عرج
بها الى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهي بها الى العرش
وتخرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رقي فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة
النجاة لحساب يوم الدين وعن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة
على اثر صلاة لا لغوي بينهم ما كتاب في عليين أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني وابن مردويه
ثم فسره سبحانه بقوله (كتاب هرقوم) أي مسطور وقيل مكتوب فيه أعمالهم أو ما أعد لهم
في الآخرة من النكامة وهذا التفسير الالهي يعني عن تفسير الخلق قاله الخطيب
مكتوب فيه ان فلانا آمن من النار وقبالة من رقم ما أباه وأجله والكلام في هذا
كالكلام المتقدم في قوله وما أدراك ما يحيي الخ وجملة (بشهادة المقربون) منسقة أخرى
لكتاب والمعنى ان الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ويحفظونه وقيل يشهدون بها
فيه يوم القيامة لتعظيمه والاول من الشهود والثاني من الشهادة قال وهب وابن اسحق
المقربون هنا سرافيل فاذا عمل المؤمن عمل البر صعدت الملائكة بالصفيفة ولها نور
يتلأل في السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهي بها الى اسرافيل فيختم عليها وقال
ابن عباس المقربون اهل السماء ثم ذكر سبحانه حالهم في الجنة بعد ذكر كتابهم فقال (ان
الابرار لفي نعيم) أي ان اهل الطاعة لفي نعيم عظيم لا يقاد قدره (على الارائك ينظرون)
الارائك الاصرة التي في الجبال (٤) وقد تقدم انها لا تطلق الا ريكة تلي السرير الا اذا كان في
جملة قال الحسن ما كنا نرى ما الارائك حتى قدم علينا رجل من اليمن فزعم ان الارميكة

(٢٨) فتح البيان عاشر) النبي صلى الله عليه وسلم في الشفيع والوتر قال هي الصلاة منها شفيع ومنها وتر فاستطد كرا الشيخ
المهم وتفروبه عمران بن عصام الضبي أبو عمارة البصري امام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي حمزة عن عمران بن حصين عن
قتادة وابنه أبو حمزة والمثنى بن مسعود أبو الصباح يزيد بن حميد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط في التابعين
من اهل البصرة وكان شريفا نبيلاً خطيباً عظيماً الخواجه بن يوسف ثم قتله يوم الراوية سنة ثنتين ثمانين لخروج جمع ابن الأشعث وليد له
(٤) محال الجوهرى محال جمع محلة بالكريلك واحد محال العروس وهو بيت يزيد بن النسيب والاسرة كره المكرنى اه

عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد وعندى ان وقفه على عمران بن حصين أشبهه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشئ من هذه الأقوال في الشفع والتر وقوله تعالى والليل اذا يسرى قال العوفي عن ابن عباس أى اذا ذهب وقال عبد الله بن الزبير والليل اذا يسرى حتى يذهب بعضه بعضا وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد والليل اذا يسرى اذا سار وهذا يمكن جملة على ما قال ابن عباس أى ذهب ويحتمل أن يكون المراد اذا سار أى أقبل وقد يقال ان هذا أنسب لانه في مقابلة قوله والفجر فان الفجر هو اقبال النهار وادبار الليل (٢١٨) فاذا جمل قوله والليل اذا يسرى على اقباله كان قسما باقبال الليل

وادبار النهار وبالعكس كقوله والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس وكذا قال الضحاك والليل اذا يسرى أى يجرى وقال كزرة والليل اذا يسرى يعنى ليله جمع ليله المزلفة رواء ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله والليل اذا يسرى قال اسرى اسارى ولا تبتن الا يجمع وقوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر أى لذي عقل ولب وحجاء وما سمي العقل حجرا لانه يمنع الانسان عن تعاطي ما لا يليق من الافعال والأقوال ومنه حجر البيت لانه يمنع الطائف من اللصق بجداره الشامي ومنه حجر اليمامة وحجر الحاكم على فلان اذا منعه التصرف ويقولون حجرا محجورا كل هذا من قبيل واحد ومعنى متقارب وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون

عندهم الخلة اذا كان فيها سرير قال الشهاب الخلة بثقتين بيت مربع من الشباب الفاخرة يرخى على السرير يسمى في عرف الناس بالناموسية والمعنى أنهم يتظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات كذا قال عكرمة ومجاهد وغيرهما وقال مقاتل يتظرون الى أهل النار وقيل يتظرون الى وجهه وجلاله (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أى اذا رأيتم عرفتم أنهم من أهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة والتنعيم والرونق أخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب في الآية قال عين في الجنة يتوضئون منها ويغتسلون فجزى عليهم نضرة النعيم أى بهجة التنعيم وطراوته والخطاب لكل راء يصلح لذلك يقال أنضرت النبات اذا أزهر ونور قال عطاء وذلك ان الله زاد في جمالهم وفي ألوانهم ما لا يصفه واصف قرأ الجمهور تعرف بفتح الفوقية وكسر الراء ونصب نضرة وقرأ بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول ورفع نضرة بالنسبة (يسقون من رحيق) خر خالصة من الدنس فهي بياض (مختوم) على انها لا يفك ختمها الا هم قال أبو عبيدة والاختف والمبرد والزجاج الرحيق من الخمر ما لا غش فيه ولا شئ يفسده والمختوم الذي له ختام وقال الخليل الرحيق أجود الخمر وفي الصحاح الرحيق صفوة الخمر وقال مجاهد هو الخمر العتيقة البيضاء الصافية قال مجاهد مختوم مطين كأنه ذهب الى معنى الختم بالطين ويكون المعنى انه ممنوع ان تمسه يد الى ان يفك ختمه للابرار وقال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانها من خمر والنهر لا يختم عليه فطريق الجمع بينهما ان المذكور في هذه الآية في أو ان مختوم عليها لشرفها ونفاستها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار (ختامه مسك) أى آخر طعمه ربح المسك اذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ربحه كربح المسك وقيل مختوم وأنبه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطين وكأنه تمثيل لكمال نفاسته وطيب رائحته والحاصل ان المختوم والختام اما ان يكون من ختام الشئ وهو آخره أو من ختم الشئ وهو جعل الخاتم عليه كما تختم الاشياء بالطين ونحوه وقال ابن مسعود الرحيق الخمر والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك وعنده مختوم مزوج ختامه مسك قال طعمه في ربحه وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقال ابن عباس رحيق خمر ومختوم ختم بالمسك عن ابن مسعود قال ليس بخاتم فيختم به ولكن خلطه بمسك ألم تر الى المرأة من نسائك تم تقول خلطه من الطيب كذا وكذا وعن أبي

الدرء

منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء عبادتهم وطاعتهم قال بعده

ألم تر كيف فعل ربك بعاد وهؤلاء كانوا متبردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكسبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد وهؤلاء عماد الاولى وهم ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن اسحق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هو اد عليه السلام فكذبوه وخالفوه فانجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معهم منهم وأهلكهم مبرح صرصرة عاتية نخرها عليهم سبع ليل وثمانية أيام حسوا فماتوا القوم فيها صرعى

كانهم أعمار نخل حاوية فهل ترى لهم من باقية وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ليعتبر بحصرهم المؤمنون فقوله تعالى
 ارم ذات العماد عطف بيان زيادة تعريفهم وقوله تعالى ذات العماد لانهم كانوا يسكنون بيوت الشعرا التي ترفع بالاعمدة
 الشداد وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقا وأقواهم بطشا ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم الى أن يستعملوها في طاعة
 ربهم الذي خلقهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعدهم قمون نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا لا اله الا الله ولا تعنوا في الارض
 مفسدین وقال تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق (٢١٩) وقالوا من أشد منا قوة ولم يروا أن الله الذي

خلقهم هو أشد منهم قوة وقال
 ههنا التي لم يخلق مثلها في البلاد
 أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في
 بلادهم لم لقوتهم وشدهم وعظم
 تركيهم قال مجاهد ارم أمة قديمة
 يعني عاد الاولى كما قال قتادة بن
 دعامة والسدى ان ارم بيت مملكة
 عاد وهذا حسن جيد قوي وقال
 مجاهد وقتادة والكلبي في قوله ذات
 العماد كانوا أهل عود لا يقيمون
 وقال العوفي عن ابن عباس انما قيل
 لهم ذات العماد لطلوهم واختار
 الاول ابن جرير وروى الثاني فاصاب
 وقوله تعالى التي لم يخلق مثلها في
 البلاد أعاد ابن زيد الضمير على العماد
 لارتفاعها وقال بنو عدي بالاحقاف
 لم يخلق مثلها في البلاد واما قتادة
 وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة
 أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في
 البلاد يعني في زمانهم وهذا القول
 هو الصواب وقول ابن زيد ومن ذهب
 مذهبه ضعيف لانه لو كان المراد
 ذلك لقال التي لم يعمل مثلها في
 البلاد وانما قال لم يخلق مثلها في
 البلاد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي
 حدثنا أبو صالح كاتب الليث

الدردي اختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يخمقون به آخر شرابهم ولوان رجلا
 من أهل الدنيا أدخل اصبعه فيه ثم آخر جهال يتيقن ذور روح الا يوجد ريحها قرأ الجمهور
 ختامه وقرئ خاتمه بفتح التاء قال علقمة أمارأيت المرأة تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا
 أي آخره والخاتم والختام يتقاربان في المعنى الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر كذا قال
 الفراء وقال في الصحاح والختام الطين الذي يختم به وكذا قال ابن زيد (وفي ذلك) الرحيق
 الموصوف بتلك الصفة (فليتنافس المتنافسون) أي فليمرغب الراغبون وقيل ان في معنى
 الى أي والى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل كما في قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وأصل
 التنافس التشاجر على الشيء والتنازع فيه بان يحب كل واحد ان يفرد به دون صاحبه
 يقال نفست الشيء عليه نفاسة أي ضمنت به ولم أحب ان يصير اليه قال البغوي أصله من
 الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس فيريده كل واحد لنفسه وينفس به على
 غيره أي يضمن به قال عطاء المعنى فليستبق المستبقون وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع
 المتنازعون وذا لا يكون الا بالمسارعة الى الخيرات والانتها عن السيئات وقال
 الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى في الجميع واحد (ومزاحه) معطوف على ختامه
 مسك صفة أخرى لرحيق أي ومزاج ذلك الرحيق (من تسنيم) وهو شراب ينصب عليهم
 من علوه وهو أشرف شراب الجنة وأصل التسنيم في اللغة الارتفاع فهي عين ماء
 تجري من علوى أسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه ومنه تسنيم القبور قال ابن عباس
 تسنيم أشرف شراب الجنة وهو صرف للمتقين ويزج لاصحاب اليمين وسائر أهل
 الجنة وقال ابن عباس لما سئل عن هذا ما قال الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
 أعين وقال ابن مسعود عين في الجنة تنزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا ثم بين
 سبحانه ذلك فقال (عينها يشرب بها المقربون) انتصاب عينها على المدح وقال الزجاج على
 الخال وانما جازان يكون عينها حالامع كونها جامدة غير مشتقة لاتصافها بقوله يشرب بها
 وقال الاخفش انها منصوبة بيسقون وقال الفراء بتسليم والاول أولى وبه قال المبرد قيل
 والباء في بهازائدة أي يشربها أو بمعنى من أي يشرب منها قال ابن زيد بلغنا انها عین
 تجري من تحت العرش ثم ذكر سبحانه بعض قبائح المشركين فقال (ان الذين أجرموا)
 وهم كفار قريش كآبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل واصحابهم من أهل مكة

حدثني معاوية بن صالح عن حدثه عن المقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ارم ذات العماد فقال كان الرجل منهم يأتي
 على الصخرة فيصمها على الحى فيملكهم ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا انس بن عياض عن ثور
 ابن زيد الدبلي قال قرأت كتابا قد سمي حيث قرأه أنا شاذ بن عادوا بالذي رفعت العماد وأنا الذي شددت بذراعي (١) نظروا واحدنا
 الذي كبرت كثرنا على سبعة أذرع لا يخرجها الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالت فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة
 (١) قوله نظروا واحد كذا في الاصل الذي بايد بناوحرر المعنى واللفظ اه

بيوتهم للبدو وأوسلا جايقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكرون في القرآن في غير موضع
المقرونون يهود كما هئنا والله أعلم ومن زعم أن المراد بقوله أرم ذات الممد ممد مشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة
أو اسكندرية كما روى عن القرطبي أو غيره هما فقيه نظر فانه كيف يلتمس الكلام على هذا ألم تركب فعل ربك بعد أرم ذات العباد
أن جعل ذلك بدلاً وعطف بيان فانه لا يتسق الكلام حينئذ المراد انما هو الاخبار عن اهلاك القبيلة التي بها تبعاد وما أحل الله
بهم من بأسه الذي لا يرد لأن المراد الاخبار (٢٢٠) عن مدينة أو إقليم وانما نهبت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره

جماعة من المفسرين عند هذه
الآية من ذكر مدينة يقال لها
أرم ذات العماص مبنية بلبن الذهب
والفضة قصورها ودورها وبساتينها
وان حصباءها لا كئي وجواهر
وترايبها نادر المسك وأنهارها
سارحة وغارها ساقط قدورها
لا أنيس بها وسورها وأبوابها تنصرف
ليس بها داع ولا مجيب وانما تنتقل
فتارة تكون بارض الشام وتارة
بالين وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك
من البلاد فان هذا كله من خرافات
الاسرائيليين من وضع بعض
زنادقهم ليختبروا بذلك عقول الجاهلة
من الناس ان صدقهم في جميع
ذلك وذكر الثعلبي وغيره ان رجلا
من الاعراب وهو عبد الله بن قلابه
في زمان معاوية ذهب في طلب
أباعرله شردت فيبينما هو يتبعه في
ابتغائها اذا طلع على مدينة عظيمة
له اسوار وأبواب فدخلها فوجد فيها
قربانها ذكرنا من صفات المدينة
الذهبية التي تقدم ذكرها وانه
رجع فأخبر الناس فذهبوا معه الى
المكان الذي قال فلم يروا شيئا وقد
ذكر ابن أبي حاتم قصة أرم ذات

ومن وافقهم على الكفر حتى الله عنهم أربعة أسماء من العلامات القبيحة أولها (كانوا من
الذين آمنوا) كما روى بلال وخباب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون)
أي يستهزئون بهم في الدنيا ويخزون منهم وآخرها قواهم ان هؤلاء الضالون وتقديم الجار
والجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا أو لمراعاة الفواصل (واذا أمرت وابعهم) أي
واذا أمر المؤمنين بالكفر وروهم في مجالسهم (يتغاضون) من الغمز وهو الاشارة بالحقون
والجواب أي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بآعينهم وحواجبهم طعناتهم وعيوبهم
وقيل يعبرونهم بالاسلام ويعيبونهم به (واذا انقلبوا) أي اذا انقلب الكفار من
مجالسهم (الى أهالهم انقلبوا فاكهين) أي مجيبين بما هم فيه متلذذين به يتفكهون بذكر
المؤمنين والطعن فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم والانتقال الانصراف قرا الجمهور
فاكهين وقرئ فكهين بغير ألف قال القراء هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحذر
وقد تقدم بيانه في سورة الدخان ان الفكه الاشر بالطر والفاكه الناعم المنعم (واذا رآهم)
أي اذا رأى الكفار المسلمين في أي مكان (قالوا ان هؤلاء الضالون) في اتباعهم محمد صلى
الله عليه وسلم وتمسكهم بما جاء به وتركهم التعم الحاضر يعني خدع محمد هؤلاء فضلوا
وتركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا
هو عين الضلال والمعنى واذا رأى المسلمون الكافرين قالوا هذا القول والاول أولى
(وما أرسلوا عليهم - فظين) أي والحال انهم لم يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين بهم
يحفظون عليهم احوالهم وأعمالهم ويشهدون برشدتهم وفضلاتهم بل أمروا باصلاح
انفسهم فاشتغلوا بذلك اوليهم من تتبع عورات غيرهم وتسفيه احوالهم وهذا
تهمكهم بهم واشعار بأن ما اجترأ عليه من القول من وظائف الرسل من جهته تعالى
ويجوز أن يكون ذلك من جمل قول المؤمنين كأنهم قالوا ان هؤلاء الضالون وما أرسلوا
علينا حافظين انكار الصدهم عن المشرك ودعائهم الى الاسلام قاله أبو السعود والاول
أولى وأظهر (قال يوم) أي يوم الآخر (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعني ان
المؤمنين في ذلك اليوم يضحكون من الكفار حين يرونهم اذ لا مغلوبين قد نزل بهم ما نزل
من العذاب كما فعل الكفار منهم في الدنيا (على الارائك ينظرون) أي يضحكون منهم
ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الحال المفضيع والهوان والصغار بعد العزة والاستيغار

العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح اسنادها ولو صح الى ذلك الاعرابي فقد يكون خلق
ذلك أو انه أصابه نوع من الهوس والخيال فاعتقد ان ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك وهذا مما يقطع بعدم صحته وهذا
قريب مما يخبر به كثير من الجاهلة والطماعين والتخيليين من وجودها الب تحت الارض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر
والياقوت واللائى والأكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول اليها والاختصاف بها فيحتالون على أموال الاغنياء والضعفة
والسفهاء فيأكلونها بالباطل في صرفها في مجازير وعقافير ونحو ذلك من الهذيان التي يظنون بهم والذي يحزم به ان في الارض

فيان جاهلية واسلامية وكنوزا كثيرة من ظفر بشي منها أمكنه تحويله فاما على الصفة التي زعموها فكذب واقتراوهت ولم يصح في ذلك شي مما يقولون الا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله ارم ذات العماد قبيلة أو بلدة كانت عادت سكنها فذلك لم تصرف فيه نظر لان المراد من السياق انها هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده وعمود الذين جابوا الصخر بالواد يعني يقطعون الصخر بالوادى قال ابن عباس ينحونهم او يخرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضالك وابن زيد ومنه يقال مجتأى النار اذا خرقوها واجتأب الذوب (٢٢١) اذا فقصه ومنه الحبيب أيضا وقال الله تعالى

وتحتون من الجبال بيوتا فارحين
وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم
ههنا قول الشاعر

ألا كل شيء ما خلا الله بائد

كما بادى من شقيق ومارد

هم ضربوا في كل صماء صعدة

بأيدشدا أيديات السواعد

وقال ابن اسحق كانوا عربا وكان

منزلهم بوادى القرى وقد ذكرنا

قصة عاد مستقصاة في سورة

الاعراف بما أغنى عن اعادته وقوله

تعالى وفرعون ذى الاوتاد قال

العوفى عن ابن عباس الاوتاد

الجود الذين يشدون له أمره

ويقال كان فرعون يوتد

أيديهم وأرجلهم في أوتاد من

حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد

كان يوتد الناس بالوتاد وهكذا

قال سعيد بن جبير والحسن

والسدى قال السدى كان يربط

الرجل كل قائمه من قوائمه في وتد

ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشده

وقال قتادة بلغنا انه كانت له مطال

وملاعب يلعب به تحتها من أوتاد

وحبال وقال ثابت البناني عن أبي

رافع قيل لفرعون ذى الاوتاد لانه

وقد تقدم تفسير الاراتك قريبا قال الواحدى قال المفسرون ان أهل الجنة اذا أرادوا
نظروا من منازلهم الى أعداء الله وهم يعدون في النار فضحكوا منهم كما ضحكوا منهم
في الدنيا وقال أبو صالح يقال لأهل النار اخرجوا وفتح لهم أبوابها فاذا رأوها قد فتحت
أقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم على الاراتك فاذا انتهوا الى أبوابها
غلقت دونهم فذلك قوله فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون الخ وجملة (هل
ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) مستأنفة لبيان انه قد وقع الجزاء للكفار بما كانوا يفعلون
منهم في الدنيا من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى
اثناب والمعنى هل جوزى الكفار بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين وقيل الجملة في محل نصب
ينظرون وقيل هي على اضمار القول أى يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الكفار
والثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله ويطلق على الخير والشر قرأ أبو عمرو ووجزة
والسكسنى بادغام لام هل في ثناء ثوب وقرأ الباقر بترك الادغام

* (سورة الانشقاق هي ثلاث وخمس وعشرون آية) *

وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن أبي رافع
قال صابت مع أبي هريرة العتمة فقرا اذا السماء انشقت فسجد فقلت له فقال سجدت
خلف أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم فلا زال اسجد فيها حتى القاه اخرجه البخارى
ومسلم وغيرهما واخرج مسلم واهل السنن وغيرهم عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذى خلق وعن بريدة ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الظهور اذا السماء انشقت ونحوها اخرجه ابن
خزيمة والرباني في مسنده والضياء المقدسى في المختارة

* (بسم الرحمن الرحيم) *

(اذا السماء انشقت) أى انصدعت وتفطرت فيه حذف والتقدير اذا انشقت السماء
انشقت لان اذا الشرطية تختص بدخولها بالجل الفعلية وما جاء من هذا ونحوه فقول
محافظة على قاعدة الاختصاص فالسما فاعل لفعل محذوف قال الواحدى قال
المنسرون انشقاقها من علامات القيامة ومعنى انشقاقها انقطاعها بالغمام الأبيض
كما في قوله ويوم تشرق السماء بالغمام وقيل تنشق من الجرة وبه قال على بن أبى طالب

ضرب لأمه أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رضى عظيمة حتى ماتت وقوله تعالى الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد أى تمردوا
وعتوا وعاثوا في الأرض بالفساد والاذية للناس فصب عليهم ربك سوط عذاب أى أنزل عليهم من جحش السماء وأحل بهم عقوبة
لا يردوها عن القوم المجرمين وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قال ابن عباس يسمع ويرى يعنى يرصد خلقه فيما يعملون ويجازى كلا
بسمه في الدنيا والاخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعلمه ويقابل كلا بما يستحقه وهو المتهمة عن الظلم والجور
وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي اسناده ينظر وفي صحته فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الجوارى حدثنا يونس

الحذاء عن أبي حنيفة عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذان المؤمن لدي الحق أسير يا معاذان المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره يا معاذان المؤمن قبه القرآن عن كثير من شهوده وعن أن يهلك فيها هو يا ذن الله عز وجل قال القرآن دليله والخوف محجته والشوق مطيته والصلاة كهفه والصوم جنته والصدقة فكاه والصدق أميره والحياة وزيره عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد قال ابن أبي حاتم يونس الحذاء وأبو حنيفة مجهولان وأبو حنيفة عن معاذ مرسل

(٢٢٢)

ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي يعقوب عن ابن عبد الله كلاً عن أبيه سمعه وهو يعظ الناس يقول ان لجهنم سبع قنطرة قال والصراط عليهم قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الاولى فيقول قفوههم انهم مسؤولون قال فيحاسبون على الصلاة ويسألون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجى فاذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الامانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجى فاذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجى قال والرحم يومئذ متدلية الى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ومن قطعني فاقطعه قال وهي التي يقول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد هكذا أورد هذا الاثر ولم يذكر تمامه (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقد رزقه فيقول ربي

والجرة باب السماء واهل الهيئة يقولون انها نجوم صغار مختلطة غير متيزة في الحس واختلف في جواب اذا فقال الفراء انه اذنت والواو زائدة وكذلك ألفت قال ابن الانباري هذا غلط لان العرب لا تقسم الواو والامع حتى اذا كقوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومع لما كقوله فلما اسلموا لله للعجبين وناديناها ولا تقسم مع غير هذين وقيل ان الجواب قوله فلاقية اي فانت ملاقيه وبه قال الاخفش وقال المبرد ان في الكلام تقديم وتأخير أي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فلاقية اذا السماء انشقت وقال المبرد ايضا ان الجواب قوله فاما من اوتي كتابه وبه قال الكسائي والتقدير اذا السماء انشقت فن اوتي كتابه بيئته فكمه كذا وقيل هو يا ايها الانسان على اضممار الفاء او على اضممار القول اي يقال لها يا ايها الانسان وقيل الجواب محذوف تقديره بعنتم اولاقى كل انسان عمله وقيل هو ما صرح به في سورة التكاوير اي علمت نفس هذا على تقدير ان اذا شرطية وقيل ليست بشرطية وهي منصوبة باذ كرا المحذوف وهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة وتقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض ومعنى (واذنت لربها وحقت) انها اطاعت في الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع مشقة من الاذن وهو الاستماع للشيء والاصغاء اليه وحق لها ان تطيع وتنقاد وتسمع وقد استعمل الاذن في الاستماع في اشعار العرب وفي الحديث ما أذن الله لشيء اذنه لنبي يغني بالقرآن قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذن
وقال الجار بن حكيم * اذنت لكم لما سمعت هديركم * وفي المختار اذن له استمع وبابه طرب وقيل المعنى وحقق الله عليه الاستماع لامره بالانشقاق أي جعلها حقيقة بذلك قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع ربه لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا ومعنى طاعتها انها لا تمتنع مما أراه الله بها قال قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومن هذا قول كثير

فان تكن العنبي فاهلا ومرحبا * وحقت لها العنبي لدينا وقلت
(واذا الارض مدت) أي بسطت كما بسط الادم ودكت جبالها وكل أمت فيها حتى صارت قاعا صفا لا ترى فيها عوجا ولا أمما قال مقاتل سويت كذا الاديم فلا يبقى

أهانن كلاب لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام أسكين وتأكلون التراث أكلما وتحبون المال عليها حباجا يقول تعالى منكر اعلی الانسان في اعتقاده اذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله اكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى أيحسبون انما نمداهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وكذلك في الجانب الآخر اذا ابتلاه وامتنحه وضيق عليه في الرزق يعتقد ان ذلك من الله اهانة له قال الله تعالى كلاً أي ليس الامر كما زعم لافي هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وانما المدا في ذلك على طاعة

الله في كل من الحالين اذا كان غنيا بان يشكر الله على ذلك واذا كان فقيرا بان يصبر وقوله تعالى بل لا تسكرومون اليتيم فيه امر بالاكرام له كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن ابيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن ابي غيث عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشري بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال باصبعه انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال اودود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان اخبرنا عبد العزيز بن عيسى بن ابي حازم حدثني ابي عن سهل يعني ابن سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وقرن بين اصابعه الوسطى والى تلى الابهام ولا تحاضون على

طعام المسكين يعني لا يأمرؤن بالاحسان الى الفقراء والمسكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك وتأكلون التراث يعني الميراث أكلا لما أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام وتحبون المال حبا جمائ كسيرا زاد بعضهم فاحشا (كلا اذا دكت الارض دكاد كاد جاء ربك والملك صفا صفا وحي يومئذ يحجهم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكري يقول يا ليتني قدمت لحياي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الاحوال العظيمة فقال تعالى كلا أي حقا اذا دكت الارض دكاد كاد أي وطئت ومهدت وسويت الارض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم وجاء ربك يعني لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعد ما يستشفعون اليه بسيد ولد آدم الى الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعد ما يسألون أولى العزم واحدا واحدا فكلهم

عليها بناء ولا جبل الادخل فيها وقيل مدت زيد في سعتها من المدد وهو الزيادة قال ابن عباس في يوم القيامة وأخرج الحاكم قال السيوطي بسند جيد عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعد الارض يوم القيامة مدا لا ديم ثم لا يكون لابن آدم فيها الاموضع قدميه (وألفت مافيا) أي أخرجت مافيا من الاموات والكنوز وطرحتم الى ظهرها ورمت (وتخلت) من ذلك قال ابن عباس أخرجت مافيا من الموت وتخلت عن على ظهرها من الاحياء ومثل هذا قوله وأخرجت الارض أنقالها والمعنى تخلت غاية الخلو لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه وذلك يؤذن بعظم الامر وقيل ألفت ما استودعته وتخلت مما استفظته ووصفت الارض باللقاء والتخاية توسعا والا فالتحقيق أن المخرج لتلك الاشياء هو الله تعالى (وأذنت لربها) أي سمعت وأجابت وأطاعت لما أمرها به من الاقامة والتخلي وقال ابن عباس سمعت حين كلها وعنه قال أطاعت وحقت بالطاعة وعنه قال سمعت وأطاعت (وحقت) أي وجعلت حقيقة بالاستماع لذلك والانقياد له اذهي مصنوعة مربوبة لله تعالى وقد تقدم بيان معنى الفعلين قبل هذا وليس تكرر لان الاول في السماء وهذا في الارض وتكرر اذا الاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة (يا أيها الانسان) المراد جنس الانسان فيشمل المؤمن والكافر وقيل هو الانسان الكافر والاول أولى لماسأى من التفصيل (انك كادح الى ربك كدحا) الكدح في كلام العرب السعي في الشيء بجهده من غير فرق بين أن يكون ذلك الشيء خيرا أو شرا والمعنى انك ساع الى ربك في عملك أو الى لقاء ربك مأخوذ من كدح جلمه اذا خدشه قال قتادة والضحاك والكلبي عامل لربك عملا وفي المختار الكدح العمل والسعي والكدو الكسب وهو الخدش أيضا وباب السكل قطع (فلاقيه) أي فلاق عملك وبه قال ابن عباس والمعنى انه لا محالة ملاق لحزاء عمله وما يترتب عليه من الثواب والعقاب قال الشهاب أي ملاق كدحه بنفسه من غير تقدير لوجوده في صحفه وعلى هذا فابعده تفصيل له قال القتيبي معنى الآية انك كادح أي عامل ناصب في معيشتك الى لقاء ربك لا مفرا لك منه والملافة بمعنى اللقاء أي تلتق ربك بعملك وقيل فلاق كتاب عملك لان العمل قد انقضى (فاما من أوفى كتابه) أي كآب عمله (بيمينه) وهم

يقول لست بصاحب ذا كم حتى تنتهي النبوة الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يحيون بين يديه صفوف فاصفوا وقوله تعالى وحي يومئذ يجهم قال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا ابي عن العلاء بن خالد السكاهلي عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يجهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها وهكذا رواه الترمذي عن

عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن حمزة بن حنبل عن عاصم بن عجلون عن أبي عاصم عن سفيان الثوري عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة وهو أبو ثعلبة عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعوه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن قرطاب بن معاوية القرطبي عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبد الله قوله وقوله تعالى يومئذ يندكر الإنسان أي عمله وما كان أسلفه في قديم الدهر وحديثه وأنى له الذكري أي وكيف تنفعه الذكري يقول ياليتني قدمت لحياقي يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات (٢٢٤) إن كان طائعا كما قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن اسحق حدثنا

عبد الله يعني ابن المبارك حدثنا ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن محمد بن عمرو وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان عبد آخر على وجهه من يوم ولد الى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة ولو دانه رد الى الدنيا كما يزاد من الاجر والثواب (١) قال الله تعالى في يومئذ لا يعذب عذابه أحد أي ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عذابه ولا يوثق وثاقه أحد أي وليس أحد أشد قبضا وثقانا من الزبانية لمن كفر بربه ثم عز وجل وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فاما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك أي الى جوارحه وثوابه وما أعد لعباده في جنه راضية أي في نفسها مرضية أي قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها فادخلي في عبادي أي في جنتهم وادخلي جنتي وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمنين عند احتضارهم وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا ثم اختلف المفسرون

المؤمنون (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهل هينا لا مناقشة فيه قال مقاتل لانها تغفر ذنوبه ولا يحاسب عليها وقال المفسرون هو ان تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله فهو الحساب اليسير وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس أحد يحاسب الاهلك فقلت أليس يقول الله فاما من أوفى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وغنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في بعض صلواته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيجتاوز له عنه انه من نوقش الحساب هلك أخرجه أحمد وعبد بن حنبل وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وفي بعض الفاظ الحديث الاول وهذا الحديث عذب مكان هلك وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا ويدخله الجنة برحمة تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك أخرجه البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي والحاكم (وينقلب) أي يرجع وينصرف بنفسه بعد الحساب اليسير من غير من عجز برغبة وقبول (الى أهله) الذين أهل بهم في الجنة من عشرته أو الى أهله الذين كانوا في الدنيا من الزوجات والاولاد وقد سبقوه الى الجنة أو الى من أعد الله له في الجنة من الخور العين والولدان الخلد في أولي جميع هؤلاء (مسرورا) مبتهجا فرحاً بأوفى من الخير والكرامة (وأما من أوفى كتابه) بشماله (ورأى ظهري) قال الكلبى لان يمينه مغلوله الى عنقه وتكون يده اليسرى خلفه وقال قتادة ومقاتل تفك الواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فبأخذ ذلك (فسوف يدعو ثورا) أي ينادى هلاكو ويقتى فان نداء ما لا يعقل يراد به التنى فالدعاء بمعنى الطلب بالنداء والمعنى اذا قرأ كتابه قال يا ويله يا ثوراه والثور الهلاك وقال ابن عباس ثورا الويل (ويصلى سعييرا) أي يدخلها ويقاسي حر نارها وشدة قرا أبو عمرو وجزء وعاصم يصلى بفتح الباء وسكون الصاد وتحفيف اللام وقرأ الباقر بن بضم الباء وفتح اللام وتشديد ها وقرأ بضم الباء واسكان الصاد من أصل يصلى (انه كان في أهله) أي عشرته في الدنيا (مسرورا) بتابع هواه وزكوب شهوته بنظر الأمر العدم خطورا لاخرة يباله أي كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا

فمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت في عثمان بن عفان وعن بريرة بن الحبيب والجله نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال القوفي عن ابن عباس يقال للارواح المطمئنة يوم القيامة أنها اليها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك يعني صاحبك وهو بدنك الذي كانت تعمرك في الدنيا راضية مرضية وروى عنه انه كان يقرأها فادخلني في عبادي (١) قوله كما يزاد من الاجر والثواب في بعض النسخ بعد ذلك زيادة نصه لو قدر واد أيضا وترك بعده يبايخ بالنفس المحيية ثم قال عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه صححه

وادخل جنتي وكذا قال عكرمة والكبي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الاول لقوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وان مردنا الى الله أى الى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال أما انه سيقال لك هذا ثم قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد

(٢٢٥)

عليه وسلم يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فقال أبو بكر رضي الله عنه ان هذا لحسن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ان الملك سيقول لك هذا عند الموت وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم يرأ على خلقه منه فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تلبت هذه الآية على شفير القبر لا يدري من تلاها يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ورواه الطبراني عن عبد الله ابن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن بحلان الافطس به فذكره وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب المعجائب بسنده عن قتات بن رزين أبي هاشم قال اسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا

والجملته تعليل لما قبلها (انه ظن) أى علم وتيقن (أن لن يحور) تعليل لكونه كان في الدنيا بين أهله مسرورا والمعنى أن سبب ذلك السرور ظنه بأنه لا يرجع الى الله ولا يبعث للعقاب والعقاب لتكذيبه بالبعث وجمده للدار الآخرة وأن هي الخفة من الثقل سادة مع ما في حيزها مسمد مفعول على ظن والحوور في اللغة الرجوع يقال حور حار يحور اذا رجع وقال الراغب الحور التردد في الامر ومحاوره الكلام مراجعته والمحار المرجع والمصير قال عكرمة وداود بن أبي هند يحور كلمة بالحشية ومعناها يرجع قال القرطبي الحور في كلام العرب الرجوع ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني أعوذ بك من الحور بعد النكور يعنى من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم وفي المثل حور في محار أى نقصان في نقصان والحوار أيضا الهلكة قال ابن عباس يحور يبعث ويرجع (بلى ان ربه كان به بصيرا) أى كان به وباعماله عالما لا يخفى عليه منها خافية وبلى ايجاب للمنى بلى أى بلى ليجورن وليبعثن وان ربه جواب قسم مقدر فالجملته بمنزلة التعليل لما افادته بلى قال الزجاج كان به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان مرجعه اليه (فلا اقسم بالشفق) لازائدة كما تقدم في امثال هذه العبارة وقد قدمنا الخلاف فيها في سورة القيامة فأرجع اليه اقسام بخلافاته تشرىفها وتعريضها للاعتبار بها والشفق الحرة التى تكون بعد غروب الشمس الى وقت صلاة العشاء الآخرة قال الواحدي هذا قول المفسرين وأهل اللغة جميعا قال الفرار سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق وكان أحر وحكاه القرطبي عن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء وقال أسد بن عمرو وأبو حنيفة رجه الله في احدى الروايتين عنه انه البياض ولا وجه لهذا القول ولا متمسك له لامن لغة العرب ولا من الشرع قال الخليل الشفق الحرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة قال في الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحجرتها في أول الليل الى قريب العتمة وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا وقال مجاهد الشفق النهار كله ألا تراه قال والليل وما وسق وقال عكرمة هو ما بقى من النهار وانما قال هذا القول بعده والليل وما وسق فكأنه تعالى اقسام بالضياء والظلام ولا وجه لهذا على انه قد روى عن عكرمة انه قال الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء وروى عن أسد بن عمرو والرجوع وعن عمر ابن الخطاب قال الشفق الحرة وعن ابن عباس نحوه وعن أبي هريرة الشفق النهار كله

(٢٩ - فتح البيان عاشر) دينه على ان من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه والى رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الارض وقطر الى أولئك الثلاثة فقال يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم باسمائهم قال الله تعالى في كتابه يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ثم غاص في الماء قال فكادت النصارى ان يسلوا ورفع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة الى الاسلام قال وجاء القسدا من عند الخليفة أبى جعفر المنصور فخلصنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رباحة بنت أبي عمرو والأوزاعي عن أبيها حدثني سليمان بن حبيب الحاربي

حدثني أبو امامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل قل اللهم اني أسألك نفسك مطمئنة تؤمن بالقائك وترضى بقضائك وتفتح بعطائك ثم روى عن أبي سليمان بن وبران قال حديث رواه هذا واحداً منه * آخر تفسير سورة الفجر والله الحمد والمنة * (تفسير سورة البلد وهي مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد أي حسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلك ما لا لبداً أي حسب أن لم يره أحد ألم يجعل له عينين راساً وأوشفتين وهدية الصدين) هذا قسم من الله (٢٢٦) تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها

حالاً لئنه علي عظمة قدرها في حال احرام أهلها قال خصيف عن مجاهد لا أقسم بهذا البلد لارد عليهم أقسم بهذا البلد وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس لا أقسم بهذا البلد يعني مكة وأنت حل بهذا البلد قال أنت يا محمد يحل لك أن تقا تل به وكذا روى عن سعيد بن جبيرة وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك وقال قتادة وأنت حل بهذا البلد قال أنت به من غير خروج ولا اثم وقال الحسن البصري أحله الله ساعة من نهار وهذا الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بجرمة الله الى يوم القيامة لا يعصده شجره ولا يتخلى خلاله وانما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب وفي لفظ فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم وقوله تعالى ووالد وما ولد

وقال الراغب الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وقال الزمخشري الشفق الحرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند غروب الشمس والامير روى عن أبي حنيفة في إحدى الروايتين انه البياض وروى أسد بن عمرو انه رجع عنه انتهى وسمى شفقاً لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهي رقة القلب عليه (والليل وما وسق) أي جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها والوسق عند أهل اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض يقال استوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي يسقها أي يجمعها قال الواحدي المفسرون يقولون وما جمع وضم وحوى واف والمعنى انه جمع وضم ما كان منتشر بالنهار في تصرفه وذلك الليل اذا قبل أوى كل شيء الى ما واه وقال عكرمة وما وسق أي وما ساق من شيء الى حيث يأوى فجعله من السوق لامن الجمع وقيل وما وسق أي وما جن وما ستر وقيل وما حل وكل شيء حمله فقد وسقته والعرب تقول لا اجله ما وسقت عيني الماء أي حمله ووسقت الناقة تسق وسقا أي حلت قال قتادة والضحاك ومقاتل بن سليمان وما وسق وما حل من الظلة أو حل من الكواكب قال القشيري ومعنى حل ضم وجمع والليل يحمل بظلمته كل شيء وقال سعيد بن جبيرة وما وسق أي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاحراز والاول أولى وقال ابن عباس ما وسق ما دخل فيه وعنه ما جمع (والقمر اذا اتسق) أي اجتمع وتكامل قال القراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة ورابع عشرة الى ست عشرة وهو اقل من الوسق الذي هو الجمع قال الحسن انسق امتلاؤه واجتمع وقال قتادة استدار يقال وسقته فانسق كما يقال وصلته فاتصل ويقال أمر فلان متسق أي مجتمع منتظم ويقال انسق الشيء اذا تابيع قال ابن عباس انسق استوى وعنه قال ليلة ثلاث عشرة (لتركن) أيها الناس (طبقاً عن طبق) حالاً بعد حال هذا جواب القسم ويحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقاً أي طبقاً مجازاً لطبق أو على الحال من ضم لتركبن أي مجاوزين أو مجاوز اقرب بفتح الموحدة على انه خطاب للواحد وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له وقرئ بضم الموحدة خطباء للجمع وهما الناس قال الشعبي ومجاهد لتركبن يا محمد سمع بعد سمع قال الكاكي يعني تصعق فيها وهذا على القراءة الاولى وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في المغرب

ولد قال ابن جرير حدثنا أبو بكر بن حذاف بن عطية عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ووالد وما ولد الذي يولد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ورواه ابن أبي حاتم عن حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يولد ورواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد ابن جبيرة والسدي والحسن البصري وخصيف وشريك بن سعد وغيرهم يعني بالولد آدم وما ولد له وهذا الذي ذهب اليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لانه تعالى لما قسم بأم القرى وهي أم المساكين أقسم بهجاء الساكن وهو آدم أو البشر وولده وقال

وأكل الطعام وجبال الوجوه وفه وقد روى الحافظ ابن عسا كفي ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظيماً لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وإن عاثا أنعمت عليك أن جعلت لك عيني تنظر بهما وجعلت لهما عطاء فانظر بعينيك إلى ما أحلت لك وإن رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليه ما عطاها وجعلت لك لساناً وجعلت له غلاً فافانطق بما أمرتك وأحلت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فاعلق عليك لسانك وجعلت لك فرجاً وجعلت لك سترافاً صب بفرجك ما أحلت (٢٢٨) لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ابن آدم أنك

لا تحمل سخطى ولا تطيق انتقامى
وهديناه التجدين الطريقين قال
سفيان الثوري عن عاصم عن زر
عن عبد الله هو ابن مسعود وهديناه
التجدين قال الخير والشر وكذا
روى عن علي وابن عباس ومجاهد
وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد
ابن كعب والضحاك وعطاء
الخراساني في آخرين وقال
عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة
عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان
ابن سعد عن أنس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هما
نجدان فما جعل نجد الشر أحب
اليكم من نجد الخير تفرد به
سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان
وقد وثقه ابن معين وقال الامام
أحمد والنسائي والجوزجاني منكر
الحديث وقال أحمد تركت
حديثه لاضطراره وروى خمسة
عشر حديثاً منكرة كلها ما أعرف
منها حديثاً واحداً يشبه حديثه
حديث الحسن يعني البصري
لا يشبه حديث أنس وقال ابن
جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن
عليه عن أبي رجا قال سمعت الحسن

أفعالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة مأخوذ من الوعاء الذي
يجمع فيه ويقال وعاء حفظه وعيت الحديث أعياه وعيا ومنه أذن واعية وقال ابن عباس
يوعون يسرون (فبشرهم بعذاب أليم) أي أخبرهم خبراً يظهر أثره على بشرتهم
وأجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم لأن علمه سبحانه بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم
والاليم المؤلم الموجه والكلام خارج مخرج التهكم بهم (الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) الاستثناء منقطع لأن الموصول مبتدأ والجملة خبره والاستثناء من قبيل
المفردات أي لكن الذين جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح (لهم اجر) عند الله
(غير ممنون) أي غير مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل إذا قطعته قال المبرد المنين
الغبار لأنه يقطعه وراءه وكل ضعيف منين ومنون وقيل المعنى أنه لا ين عليهم به وقيل
متصل وليس بذلك لأن الضمير راجع إلى الذين كفروا والذين كفروا قد وضع موضع المظهر
للاشعار بأنهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة القرآن عليهم لأنهم كفرون مكذبون
قال أبو السعود استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبني
لكيفيته ومقارنته الثواب العظيم

* (سورة البروج هي اثنتان وعشرون آية) *

وهي مكية بخلاف قال ابن عباس نزات بمكة وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وآله وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسما ذات البروج والسماء والطارق
أخرجه أحمد وعن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الظهر
والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج أخرجه أحمد والدارمي وأبو داود
والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والسماء ذات البروج) قد تقدم الكلام في البروج عند قوله هو الذي جعل في السماء
بروجاً قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك هي النجوم والسماء ذات النجوم وقال
عكرمة ومجاهد أيضاً هي قصور في السماء وبه قال ابن عباس وقال المنهال بن عمرو ذات
الخلق الحسن وقال أبو عبيدة ويحيى بن سلام وغيرهما هي المنازل للكوكب وهي اثنا
عشر برجاً اثني عشر كوكباً وهي الحمل والنور والجوزاء والسرطان والاسد

يقول وهديناه التجدين قال ذكرنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا أيها الناس انهم ما التجدان والسنبلة
نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمرو بن يوسف بن عبيد وابن وهب
عن الحسن مرسلًا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عيسى
ابن عفان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى وهديناه التجدين قال النديين وروى عن الربيع بن خثيم وقتادة وأبي حازم
مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريعب عن وكيع عن عيسى بن عفان به ثم قال والصواب القول الأول ونظير هذه الآية

قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هدى السبيل اما شاكر اوما كفور
(فلا اقبحم العقبة وما أدراك ما العقبة فلن رقية أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذامقربة أو مسكينا ذامرربة ثم كان
من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالبرحة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة)
قال ابن جرير حدثني عمر بن اسمعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن ادريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى فلا
اقبحم أى دخل العقبة قال جبل في جهنم أنزل وقال كعب (٢٢٩) الاحبار فلا اقبحم العقبة هو سبعون

درجة في جهنم وقال الحسن
البصري فلا اقبحم العقبة قال
عقبة في جهنم وقال قتادة انها
عقبة خمة شديدة فاقتحموها بطاعة
الله تعالى وقال قتادة وما أدراك
ما العقبة ثم أخبر تعالى عن
اقتحامها فقال فلن رقية أو اطعام
وقال ابن زيد فلا اقبحم العقبة أى
أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة
والخير ثم نبهنا فقال تعالى وما أدراك
ما العقبة فلن رقية أو اطعام قرئ
فلن رقية بالاضافة وقرئ على انه
فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة
مفعوله وكلتا القراءتين معناهما
متقارب قال الامام أحمد حدثنا
علي بن ابراهيم حدثنا عبد الله يعني
ابن سعيد بن أبي ذئد عن اسمعيل
ابن أبي حكيم مولى آل الزبير عن
سعيد بن مرجانة انه سمع أبا هريرة
يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله
بكل ارب أى عضومها اربا منه من
النار حتى انه ليعتق باليد اليسرى
وبالرجل والرجل وبالفرج الفرج
فقال علي بن الحسين أنت سمعت
هذا من أبي هريرة فقال سعيد بن

والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت قبل وهي
منازل الكواكب السبعة السيارة المريح وله الحمل والعقرب والزهرة ولها النور
والميزان وعطار دوله الجوزاء والسنبلة والقر وله السرطان والشمس ولها الاسد
والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو والبروج في كلام العرب
القصور ومنه قوله ولو كنتم في بروج مشيدة شبت منازل هذه النجوم بالقصور لكونها
تنزل فيها وقيل هي أبواب السماء وقيل هي منازل القمر وأصل البرج الظهور سميت
بذلك لظهورها وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن السماء
ذات البروج فقال الكواكب وسئل عن قوله جعل في السماء بر وجا قال الكواكب
وعن قوله في بروج مشيدة قال القصور أخرجه ابن مردويه (واليوم الموعود) أى
الموعود به وهو يوم القيامة قال الواحدى في قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس
(وشاهد ومشهود) نكرهما دون بقیة ما أقسم به لاختصاصهما من بين الايام بفضيلة
ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس وهذا جواب أيضا عما يقال لم
خصصهما بالذکر دون بقية الايام وانما لم يعرف بلام العهد لان التنكير أدل على التفعيم
والتعظيم بدليل قوله تعالى والهكم اله واحد والمراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من
الخلائق أى يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم من العجائب وذهب
جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الشاهد يوم الجمعة وانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه
والمشهود يوم عرفة لانه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة قال الواحدى
وهذا قول الأكثر قال ابن عباس الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو الحج
الا كبر فيوم الجمعة جعله الله عبدا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وامته وفضله بها على الخلق
أجمعين وهو سيد الايام عند الله وأحب الاعمال فيه الى الله وفيه ساعة لا يوافقها عبد
مسلم يصلي يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه أخرجه ابن مردويه وحكى القشيري عن
ابن عمرو ابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية
والمشهود يوم عرفة وقال النخعي الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد
هو الله سبحانه وبه قال الحسن وسعيد بن جبيرة لقوله وكفى بالله شهيدا وقوله قل أى شئ
أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله

فقال علي بن الحسين لعل له أفره علمانه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فانت حلوجه الله وقدر واه البخاري
ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم ان هذا الغلام الذى أعتقه علي بن الحسين زين العابدين
كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ايما مسلم اعتق رجلا مسلم فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظامه من النار
وايما امرأه مسلمة أعتقت امرأه مسلمة فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار رواه ابن جرير هكذا

وابن الحجاج هذا هو عمرو بن عيسى السلمي رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا حذيفة بن شريح حدثنا بقية جدي جابر بن سعد بن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عيسى انه سمع منهم ابا النبي صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجداً يذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فدية له من جهنم ومن شاب شبيبة في الاسلام كانت له نوراً يوم القيامة (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا جابر بن عمر عن سليمان بن عامر ان شرحبيل بن الحنظل قال لعمر بن عيسى حدثنا حديثاً ليس فيه تزييد ولا نسيان قال عمرو (٢٣٠) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أعتق رقبة مسلمة

كانت فكأن فكاهكم من النار عضواً بعضو ومن شاب شبيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ومن رعى بهم فبلغ فاصاب أو أخطأ كان كعتق رقبة من بنى اسمعيل ورواه أبو داود والنسائي بعضه (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا القمان عن أبي أمامة عن عمرو بن عيسى السلمي قال قلت له حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول من ولد له ثلاثة أولاد في الاسلام فأتوا قبلي ان يلفوا الجنة أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ومن شاب شبيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ومن رعى بهم في سبيل الله بلغ به العدو أو صاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار ومن أنفق زوجين في سبيل الله فإن للجنة غانية أبواب يدخلها الله من أي باب شاء منها وهذه أسانيد جيدة قوية والله الحمد (حديث آخر) قال أبو داود حدثنا

فكيف اذا اجتمعنا من كل أمة بشهيد وجنائبك على هؤلاء شهداء وقوله يا أيها الرسول أنا أرسلناك شاهداً وقوله لو يكون الرسول عليكم شهيداً وقيل الشاهد جميع الانبياء لقوله فكيف اذا اجتمعنا من كل أمة بشهيد وقيل هو عيسى بن مريم لقوله وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم والمشهد ودعي هذه الاقوال الثلاثة امامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمم الانبياء وأمة عيسى وقيل الشاهد آدم والمشهد وذريته وقال محمد بن كعب الشاهد الانسان لقوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وقال مقاتل أعضاؤه لقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الأمة والمشهد سائر الامم لقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكفروا شهداء على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهد بنو آدم وقيل الايام والمليالي وقيل الشاهد الخلق يشهدون لله عز وجل بالوحدانية والمشهد له بالوحدانية هو الله سبحانه وسبأني بيان ما هو الحق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخيراً الا استجاب الله له ولا يستعذب من شيء الا أعاده منه أخرجه الترمذي وعبد بن جيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه وعن أبي هريرة رفعه قال الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة والمشهد هو الموعود يوم القيامة أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه وعن علي بن أبي طالب اليوم الموعود يوم القيامة والمشهد يوم النحر والشاهد يوم الجمعة وعن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد يوم الجمعة والمشهد يوم عرفة أخرجه ابن جرير والطبراني وابن مردويه وعن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهد يوم عرفة أخرجه ابن عساكر وابن مردويه وعن أبي هريرة مثله موقوفاً وعن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهد يوم عرفة وهذا من سبل من مر اسبيله أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن جيد وابن جرير وابن مردويه وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر ما من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة

عيسى بن محمد الرملي حدثنا حمزة عن ابن أبي عملة عن العريفة بن عياش الذي يلي قال أتيته وائل بن الاسقع أخرجه فقلنا له حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال ان أحمدكم ليقروا ويصدقوه معلق في بيتهم يزيدون نقص قلنا انما أردنا حديثاً سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيته رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قة أو جيع النار بالقتل فقال أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار وكذا رواه النسائي من حديث ابراهيم بن أبي عملة عن العريفة بن عياش الذي يلي عن وائل بن (حديث آخر) قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجدي عن عتبة بن عامر

الجنة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مستلة فهو فداؤه من النار وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال ذكرنا ان قيسا الجذامي حدث عن عتبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة فهي فكاهة من النار تدرية اجد من هذا الوجه (حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم وابو احمد قالوا حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي عن بني بجيلة عن بني سليم عن طلحة قال ابو احمد حدثنا طلحة بن مضرف عن عبد الرحمن بن عوف عن البراء بن عازب قال جاء عرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

(٢٣١)

اقصرت الخطبة لقد اعرضت المستلة أعتق النعمة وفك الرقبة فقال يا رسول الله أوليست بواحدة قال لان عتق النعمة ان تفرد بعقها وفك الرقبة أن تعين في عتقها والمخعة الوكوف والتي على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطم الجائع واسق الظمان وأمر بالمعروف ونه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من الخير وقوله تعالى او اطعم في يوم ذي مسغبة قال ابن عباس ذي مجاعة وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقادة وغير واحد والسغب هو الجوع وقال ابراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز وقال قتادة في يوم يشتهي فيه الطعام وقوله تعالى يتيم اى اطم في مثل هذا اليوم يتيم اى مقربة اى ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصدقة على

أخرجه ابن ماجه والطبراني وابن جرير وعن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قال في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وعن الحسن بن هلى رضى الله تعالى عنهم ان رجلا سأله عن قوله وشاهد ومشهود قال هل سألت أحدا قبلي قال نعم سألت ابن عمرو بن الزبير فقال يوم النذبح ويوم الجمعة قال لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قرأ وجئناك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مشهود وعن الحسين بن علي رضى الله تعالى عنهم في الآية قال الشاهد جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا انا أرسلناك شاهدا ذلك يوم مشهود وعن ابن عباس قال اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعنه قال الشاهد الله والمشهود يوم القيامة قلت وهذه التفاسير عن الصحابة رضى الله عنهم قد اختلفت كما ترى وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم واستدل من استدل منهم بأيات ذكر الله فيها ان ذلك الشئ شاهد أو مشهود فجعله دليلا على انه المراد بالشاهد والمشهود في هذه الآية المطلقة وليس ذلك بدليل يستدل به على ان الشاهد والمشهود المذكورين في هذا المقام هو ذلك الشاهد والمشهود الذي ذكر في آية أخرى والالزام أن يكون قوله هنا شاهد ومشهود هو جميع ما أطلق عليه في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة انه يشهد اوانه مشهود وليس بعض ما استدلو به مع اختلافه بالى من بعض ولم يشل فائق بذلك فان قلت هل في المرفوع الذى ذكرته من حديث أبي هريرة وحديث أبي مالك الأشعرى وحديث جابر بن مطعم ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود والشاهد والمشهود قلت أما اليوم الموعود فلم تختلف هذه الروايات التى ذكر فيها بل اتفقت على انه يوم القيامة وأما الشاهد ففي حديث أبي هريرة الاول انه يوم الجمعة وفي حديثه الثانى انه يوم عرفة ويوم الجمعة وفي حديث الأشعرى انه يوم الجمعة وفي حديث جابر انه يوم الجمعة وفي مرسل سعيد انه يوم الجمعة فاتفقت هذه الأحاديث عليه ولا تضر زيادة يوم عرفة عليه في حديث أبي هريرة الثانى وأما المشهود ففي حديث أبي هريرة الاول انه يوم عرفة وفي حديثه الثانى انه يوم القيامة وفي حديث أبي مالك انه يوم عرفة وفي حديث جابر انه يوم عرفة وكنت في حديث سعيد فقد تعين في هذه الروايات انه يوم عرفة وهى أرجح من

المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنان صدقة وصلة وقد رواه الترمذى والنسائى وهذا اسناد صحيح وقوله تعالى أو مسكينا ذا منية أى فقيرا منة فعلا صقا بالتراب وهو الدقعة أيضا قال ابن عباس ذا منية هو المطروح فى الطريق الذى لا يبت له ولا شئ بقية من التراب وفي رواية هو الذى لصق بالدقعة من الفقر والحاجة ليس له شئ وفي رواية عنه البعيد المتربة قال ابن أبي حاتم هو الغريب عن وطنه وقال عكرمة هو الفقير المسكين المحتاج وقال سعيد بن جابر هو الذى لا أحده وقال ابن عباس وسعيد بن قيس هو الذى لا يملك من الدنيا شئ وقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا هم هم هذه الأحاديث لا خلاف الجملة

الظاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا وقال تعالى من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن الآية وقوله تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرجة أي كان من المؤمنين العاملين صالحا المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الراجون يرحمهم الرحمن ارجوا من في الأرض يرحمكم من في السماء وفي الحديث الآخر لا يرحم الله من لا يرحم الناس وقال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عامر (٢٣٢) عن عبد الله بن عمرو روى عنه قال من لم يرحم صغيرنا

ويعرف حق كبيرنا فليس منا وقوله تعالى أولئك أصحاب المينة أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب المين ثم قال والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة أي أصحاب الشمال عليهم نار مؤصدة أي مطبقة عليهم فلا تحيد لهم عنها ولا خروج لهم منها قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي مؤصدة أي مطبقة قال ابن عباس مغلقة الابواب وقال مجاهد أصد الباب بلغة قریش أي أغلقه وسيأتى في ذلك حديث في سورة ويل لكل همزة قلزة وقال الضحاك مؤصدة حيط لا باب له وقال قتادة مؤصدة مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد وقال أبو عمر إن الجوفى إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره فأتقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدها عليهم أي أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على

تلك الرواية التي صرح فيها بأنه يوم القيامة فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب إليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وأما اليوم الموعود فقد قدمنا أنه وقع الاجماع على أنه يوم القيامة (قتل أصحاب الأخدود) هذا جواب القسم واللام فيه مضمرة وهو الظاهر وبه قال الفراء وغيره وقيل تقديره لقد قتل فحذفت اللام وقد وعلى هذا تكون الجملة خبرية والظاهر أنها دعائية لان معنى قتل لعن قال الواحدى في قول الجميع والدعائية لا تكون جوابا للقسم فقيل الجواب قوله ان الذين فتنوا المؤمنين وقيل قوله ان بطش ربك لشديد وبه قال المبرد واعتراض عليه بطول الفصل وقيل هو مقدر يدل عليه قوله قتل أصحاب الأخدود كأنه قال اقسم بهذه الاشياء ان كفار قریش ملعونون كالعن أصحاب الأخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم وقيل تقدير الجواب ان الامر حق في الجزاء وقيل تقدير الجواب لتبعثن واختاره ابن الانبارى وقال أبو حاتم السجستاني وابن الانبارى أيضا في الكلام تقديم وتأخير أي قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج واعتراض عليه بأنه لا يجوز ان يقال والله قام زيد وعن ابن مسعود قال والسماء ذات البروج الى قوله شاهد ومشهود هذا قسم على ان بطش ربك لشديد الى آخرها والاخذود جمع خدوه والشق العظيم المستطيل في الارض كالخندق وجمعه أخاديد ومنه الخد لجحارى الدموع والخدعة لان الخد يوضع عليها ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه أخاديد من جراح أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي والطبراني عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان ملك من الملوك فمئن كان قبلكم وكان لذلك الملك كاهن يكن له فقال له ذلك الكاهن انظروا الى غلاما فهاهما أو قال فطنا القنا فاعلمه على فاني أخاف ان أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه قال فنظروا له على ما وصف فامر وهان يحضر ذلك الكاهن وان يختلف اليه فجعل الغلام يختلف اليه وكان على طريق الغلام راهب في صومعة فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلاما لم ير له حتى أخبره فقال انما عبد الله فجعل الغلام يكثر عنده هذا الراهب ويبطئ عن الكاهن فإرسل الكاهن الى أهل الغلام انه لا يكاد يحضرني فأخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب اذا قال لك أين كنت فقل عند أهلي

واذا

قرار ابد اولاً والله لا ينظرون فيها الى أديم سماء أبد اولاً والله لا تلتقي

جفون أعينهم على غرض نوم أبد اولاً والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبد اواراه ابن أبي حاتم * آخر تفسير سورة البلد والله الحمد والمنه * (تفسير سورة الشمس وضحاها وهي مكية) * تقدم حديث جابر الذي في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذها صليت بسم الله ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذ يغشى (بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فإلهمها فجورها وتقواها فاقف الآن

من زكاهما وقد خاب من دساها قال مجاهد والشمس وضحاها أي وضوئها وقال قتادة وضحاها النهار كله قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر النهار والقمر إذا تلاحها قال مجاهد تبعها وقال العوفي عن ابن عباس والقمر إذا تلاحها قال يتلو النهار وقال قتادة إذا تلاحها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس روى الهلال وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ثم هي تتلوها وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاحها ليلة القدر وقوله تعالى والنهار إذا جلاها قال مجاهد أضاء وقال قتادة والنهار إذا جلاها (٢٣٣) إذا غشيها النهار وقال ابن جرير وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك

بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها قلت ولأن هذا القائل تأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلاها أي البسطة لكان أولى وصح تأويله في قوله تعالى والليل إذا يغشاها فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد والنهار إذا جلاها أنه كقوله تعالى والنهار إذا تجلى وأما ابن جرير فاختر عود الضم في ذلك كله على الشمس لجرى أن ذكرها وقالوا في قوله تعالى والليل إذا يغشاها يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتطم الآفاق وقال بقة بن الوليد عن صفوان حدثني زيد بن ذى جارية قال إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادي خلقي العظيم فالليل بهاب والذى خلقه أحق أن بهاب رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى والسما وما بناها يحتمل أن يكون ما هنا مصدرية بمعنى والسما وما بناها وهو قول قتادة ويحتمل أن يكون بمعنى من يعنى والسما وما بناها وهو قول مجاهد وكلاهما متلائم والبناء هو الرفع كقوله تعالى

وإذا قال لك أهلا أين كنت فاخبرهم أني كنت عند الكاهن فيمنع الغلام على ذلك اذمر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة يقال انها كانت أسدا فاخذ الغلام حجرا فقال اللهم ان كان ما يقول ذلك اراهب حقا فاسألك ان تقتل هذه الدابة وان كان ما يقول الكاهن حقا فاسألك ان لا تقتلها ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها قالوا الغلام ففرغ الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علم الم يعلمه أحد فسمع أعشى فجاءه فقال له ان أنت رددت على بصري فلك كذا وكذا فقال الغلام لا أريد منك هذا ولكن أرايت ان رجع عليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك قال نعم فدعا الله فرد عليه بصره فآمن الاعشى فبلغ الملك أمرهم فبعث اليهم فأتى بهم فقال لاقتلن كل واحد منكم قتله لا تقتل بها صاحبه فامر بالراهب والرجل الذي كان أعشى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله وقتل الآخر بقتله أخرى ثم أمر بالغلام فقال انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فالتقوه من رأسه فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا الى ذلك المكان الذي أرادوا ان يلتقوه منه جعلوا يتهافون من ذلك الجبل ويتردون حتى لم يبق منهم الا الغلام ثم رجع الغلام فامر به الملك ان ينطلقوا به الى البحر فيلقوه فيه فانطلقوا به الى البحر فغرق الله الذين كانوا معه وأنجاه فقال الغلام للملك انك ان تقتلني حتى تصلبنى وترميى وتقول اذ رميتنى بسم الله رب الغلام فامر به فصلب ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد فآنا نؤمن برب هذا الغلام فقبل للملك أجزعت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كله قد خالفك قال فخذ اخذودا ثم أتى فيها الخطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك النار فقال يقول الله قتل أصحاب الاخذود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الجحيم فاما الغلام فانه دفن ثم أخرج فيذكرانه خرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ولهذا القصة ألفاظ فيها بعض اختلاف وقدر واهام سلم في أواخر الصحيح عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب وأخرجها أحمد من طريق عفان عن حماد بن عمار وأخرجها النسائي عن أحمد بن سليمان عن حماد بن سلمة وأخرجها الترمذي عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن ثابت بن عيسى عن علي بن أبي

(٣٠ - فتح البيان عاشر) والسماء بنيناها بأيدي بقوة وانما الموسعون والارض فرشناها فقم الماهدون وهكذا قوله تعالى والارض وما طحاها قال مجاهد طحاها دحاها قال العوفي عن ابن عباس وما طحاها أي خلق فيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طحاها قسمها وقال مجاهد وقاتلة والخصاء والسدى والثوري وأبو صالح وابن زيد طحاها بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة قال الجوهري طعونه مثل دعوته أي بسطته وقوله تعالى ونفس وما سواها أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى فأقم وجهك للدين خفيضا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة فإما يهودها
 تهسبون فيها من جدها أخرجاه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد الجاشعي عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادة حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها
 أي فارشدها الى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها الى ما قدر لها قال ابن عباس فالهمها فجورها وتقواها بين لهما الخير والشر
 وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك (١٣٤) والثوري وقال سعيد بن جبيرة اللهمها الخير والشر وقال ابن زيد جعل فيها

فجورها وتقواها وقال ابن جرير
 حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان
 ابن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا
 حدثنا عزرة بن ثابت حدثني
 يحيى بن عقيل عن يحيى بن معمر
 عن أبي الاسود الدبلي قال قال
 عمران بن حصين أرايت ما يعمل
 فيه الناس ويتكادحون فيه
 أشيئ قضى عليهم ومضى عليهم من
 قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما
 آتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم
 وأكذبت عليهم الحجة قلت بل شئ
 قضى عليهم قال فهل يكون ذلك
 ظلماً قال ففرغت منه فزعاً شديداً
 قال قلت له ليس شئ الا وهو خلق
 وملايك يبدؤ لا يستل عملياً فعل وهم
 يستلون هل سد ذلك الله انما سألناك
 لا خبر عقلك ان رجلاً من مزينة
 أو جهينة أتى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقلل يا رسول الله أرايت
 ما يعمل الناس فيه ويتكادحون
 أشيئ قضى عليهم ومضى عليهم من
 قدر سبق أم شئ مما يستقبلون مما
 آتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم لم
 وأكذبت به عليهم الحجة قال بل شئ
 قضى عليهم قال فقيم يعمل قال

طالب في قوله أصحاب الاخذ وقال هم الحبيشة أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وعن
 ابن عباس قال هم ناس من بني اسرائيل خدوا وأخذوا في الارض أو قدوافيه ناراً ثم
 أقاموا على ذلك الاخذ ودرجالاً ونساءً فعرضوا عليها أخرجه ابن جرير وقال مقاتل كانت
 الاخذ ثلاثاً واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار
 فاما التي بالشام فهو اباطاموس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون انهم أصحاب
 دانيال وأما التي باليمن فذونواس فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآن أو نزل في
 التي بنجران اليمن وذلك لان هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكرها الله تعالى
 لأصحاب رسوله ليحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين (التارذات الوقود) قرأ
 الجمهور النار بالجر على انها بدل اشتمال من الاخذ ودلان الاخذ ومشتغل عليها وحينئذ
 فلا بد فيه من ضمير مذكور أي النار في هذه الوقود وصف لها بانها نار عظيمة والوقود
 الحطب الذي توقده وقيل هو بدل كل من كل وقيل ان النار مخفوضة على الجوار
 حكامه عن الكوفيين قرأ الجمهور بفتح الواو من الوقود وقرئ بضمها ويرفع النار على
 انها خبر مبتدأ محذوف أي هي النار أو على انها فاعل فعل محذوف أي أحرقتهم النار
 (اذهم عليها قعود) العامل في الظرف قتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار فاعدين على
 ما يدنو منها ويقرب اليها قال مقاتل يعني عند النار قعود يعرضونهم على الكفر وقال
 مجاهد كانوا قعوداً على الكراسي عند الاخذ قال زاده عبر عن القعود على حافة النار
 بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقتد فون
 فيها من شأوه ويخلون سبيل من شأوه (وهم) أي الذين خدوا والاخذ ودوهم الملك
 وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) بالله تعالى من عرضهم على النازل يرجعوا الى دينهم
 (شهود) أي حضوراً ويشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به وقيل
 يشهدون بما فعلوا يوم القيامة ثم تشهد عليهم السننهم وأيديهم وأرجلهم وقيل على جمعي
 مع والتقدير وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من الاخراج شهود لا يرقون لهم لغاية قسوة
 قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم وتنطق به الروايات المشهورة قال الزجاج أعلم الله
 قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة ايمانهم الى ان صبروا على ان يحرقوا بالنار في الله وفيه
 حث للمؤمنين على الصبر وتحمل اذى أهل الكفر والعناد روى ان الله انجى المؤمنين

من كان الله خلقه لا حدى المتزلزين به يشه لها وتصدق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها
 فجورها وتقواها هل رآه أحد منكم من قبل ان يبعث الله في الدنيا نبياً من رجاها وقد خاب من دساها يحتمل أن يكون
 المعنى قد أفلح من ترك نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرهم من الاخلاق الدنية والزنا والويلي شحوه عن مجاهد وعكرمة
 وسعيد بن جبيرة وكقوله تعالى قد أفلح من ترك ذكراً منهم بفضلي وقد خاب من دساها أي دسها أي أدخلها ووضع من قبلها لا تأيها
 عن الهدي حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من ترك نفسه وقد خاب من دساها

الله نفسه كما قال العوفي وحلى بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قال لا حديثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو بن الحرث بن هشام عن عمرو بن هاشم عن جوير عن النخاع عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله عز وجل قد أفلح من زكاه قال النبي صلى الله عليه وسلم أفلحت نفس زكاه الله عز وجل ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجو يبر هو ابن سعيد متروك الحديث والنخاع لم يلق ابن عباس وقال الطبراني حديثنا يحيى بن عثمان ابن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال (٢٣٥) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امر

بهم هذه الآية ونفس وما سواها قاله مهاجورها وتقواها ووقف ثم قال اللهم أنت نفسى تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاهها حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي حدثنا معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فألهما مجورها وتقواها قال اللهم أنت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاهها أنت وليها ومولاها لم يخرجوه من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح بن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته يدها فوقع عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاهها أنت وليها ومولاها تفرد به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحرث

الملقين في النار وكانوا سبعة وسبعين بقض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى من ثم فحرقتهم وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة واحد عشر ولم يرد نص بتعيين عدد أصحاب الاخذود (وما نقيموا منهم) قرأ الجمهور نقيموا بفتح النون وقرأ بكسرها والفتح الصحيح الفتح في المختار نقيم الامر كرهه وبابه ضرب ونقم من باب فهم لغة أى ما أنكر واعليهم ولا عابوا منهم (الآن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) الآن صدقوا بالله الغالب المحمود في كل حال قال الزجاج ما أنكر واعليهم ذنبا الايمانهم وهذا كقوله هل تنقمون منا الا ان آمنابايات ربنا وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم كما في قوله لا عيب فيهم سوى أن النزول بهم * يسألون الأهل والأوطان والحشم وقول الآخر

ولا عيب فيها غير مشكلة عينها * كذلك عناق الطير شكلا عيونها وقول الآخر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بين فلول من قراع الكتائب

ثم وصف سبحانه ما يدل على العظم والنفاسة فقال (الذي له ملك السموات والأرض) ومن كان هذا شأنه فهو حقيق بأن يؤمن به ويوحده (والله على كل شئ شهيد) من فعلهم بالمؤمنين لا تخفى عليه منه خافية وفي هذا وعيد شديد لأصحاب الاخذود وعد خير لمن عذبه على دينه من أولئك المؤمنين ثم بين سبحانه ما أعد لأولئك الذين فعلوا بالمؤمنين ما فعلوا من التعريق فقال (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى حرقوهم بالنار والعرب تقول فتنت الشئ أى أحرقتة وفتنت الدرهم والدينار إذا أدخلته النار لتتغير جودته ويقال دينار مفتون ويسمى الصائع الفتان ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون أى يحرقون وقيل معنى فتنوا المؤمنين محنهم في دينهم ليرجعوا عنه قال الرازي ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا أولى لان اللفظ عام والحكم بالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل (ثم لم يتوبوا) من قبح صنعهم ولم يرجعوا عن كفرهم وفتنتهم (فلهم) في الآخرة (عذاب جهنم) بسبب كفرهم (ولهم) عذاب آخر زاد على عذاب كفرهم وهو (عذاب الحريق) الذى وقع منهم للمؤمنين وقيل ان الحريق اسم من اسماء النار كالسعير وقيل انهم يعذبون في جهنم بالمهرير ثم يعذبون بعذاب الحريق

عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والهزم والخبث والجل وعذاب القبر اللهم أنت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاهها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها قال زيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكموهن رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الاحول عن عبد الله بن الحرث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أسلم عن زيد بن أرقم به (كذبت ثم دبت فغواها) إذا نعت أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقائها فكذبوه فقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسواها ولا يخاف عقباها

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب بطغواها أي باجمعها والاول
أولى قاله مجاهد وقتادة وغيره جافا عقبهم ذلك تكذبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلوة والسلام من الهدى واليقين إذ
انبعث أشقاها أي أشقى القبيلة وهو قد ابن سالف عاقر الناقة وهو أحمير ثمود وهو الذي قال الله تعالى فنادوا أصحابهم فتعالى
فغفر الآية وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيباً رئيساً مطاعاً كما قال الامام أحمد حدثنا ابن عمر حدثنا هشام عن أبيه
عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول (٢٣٦) الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذ انبعث أشقاها

انبعث لها رجل عارم عزيز منيع
في رهطه مثل أبي زمعة رواه
بخارى في التفسير ومسلم في صفة
النار والترمذي والنسائي في التنسير
من سننهما وكذا ابن جرير وابن أبي
حاتم عن هشام بن عروة به وقال ابن
أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا
ابراهيم بن موسى حدثنا عيسى
ابن يونس حدثنا محمد بن اسحق
حدثني يزيد بن محمد بن خنيم عن
محمد بن كعب القرظي عن محمد بن
خنيم بن يزيد عن عمار بن ياسر قال
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الأحذثك بأشقى الناس
قال بلى قال رجلان أحمير ثمود
الذي عقرا الناقة والذي يضربك
يا على على هذا يعني قرنه حتى تبطل
منه هذه يعني لحيتيه وقوله تعالى
فقال لهم رسول الله يعني صالحا
عليه السلام ناقة الله أي احذروا
ناقة الله ان تمسوها بسوء فمكذبون
أي لا تعتدوا عليها في سقيتها فان
لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم
قال الله تعالى فكذبوه فعقروها
أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم
ذلك ان عقروا الناقة التي أخرجها

فالاول عذاب يبردها والثاني عذاب يجرها وقال الربيع بن أنس ان عذاب الحريق
اصيبوا به في الدنيا وذلك ان النار ارتفعت من الأخدود إلى الملك وأصحابه فاحرقهم وبه
قال الكلبي ومفهوم الآية أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعد وانما عذبهم سبحانه بآداة
الترخي لان التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان ثم لما ذكر سبحانه وعيد المجرمين
اتبه بذكر ما أعد للمؤمنين الذين أخرجوا بالثأر فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات)
وظاهر الآية العموم فيدخل في ذلك المحرقون في الأخدود بسبب إيمانهم دخولاً أولياً
والمعنى ان الجامعين بين الايمان وعمل الصالحات (لهم) بسبب الايمان والعمل الصالح
(جنات تجري من تحتها) أي تحت أسرته وغرفها وجميع أمانتها (الأنهار) يتلذذون
يبردها في تطير ذلك الحر الذي صبروا عليه في الدنيا وقد تقدم كيفية جري الأنهار من تحت
الجنات في غير موضع وأوضحنا انه ان أريد بالجنات الانهار فجري الأنهار من تحتها واضح
وان أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحسية باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر لانها اساترة
لساحتها وأرضها (ذلك) أي ما تقدم ذكره مما أعد الله لهم (الفوز الكبير) الذي لا يعدله
فوز ولا يقاربه ولا يدايه والفوز التطير بالمطوب وما في ذلك من معنى البعد لا يذان بعلم
درجته في الفضل والشرف (ان بطش ربك) بالكفار (اشديد) بحسب ارادته قاله
الجلال المحلى وفيه اشارة الى الرد على الفلاسفة القائلين بانه موجب بالذات وقد نطق
القرآن بانه فعال لما يريد والجملة مستأنفة لخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبينة لما
عند الله سبحانه من الجزاء لمن عصاه والمغفرة لمن أطاعه والمعنى ان أخذته تعالى للجسارة
والظلمة شديد والبطش الأخذ بعنف ووصفه بالشدة يدل على انه قد تضاعف وتفاقم ومثل
هذا قوله ان أخذته أليم شديد (انه هو يبدئ ويعيد) أي يخلق الخلق أولاً في الدنيا
ويعيدهم أحياء بعد الموت كذا قال الجمهور وقيل يبدئ للكفار عذاب الحريق في الدنيا
ثم يعيده لهم في الآخرة واختار هذا ابن جرير والاول أولى وقال ابن عباس يبدئ
العذاب ويعيده انتهى ومن كان قادراً على الإيجاد وإعادة اذ بطش كان بطشه في غاية
الشدة وبهذا ظهر التعليل بهذه الجملة لما سبق من شدة البطش (وهو الغفور الودود) أي
بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه قال
مجاهد الواد لا وليائه فهو فعول بمعنى فاعل وقال ابن زيد معنى الودود الرحيم وحكي

الله من الصخرة آية لهم وجهه عليهم فدمدم عليهم أي غضب عليهم فدمر عليهم فسواها أي جعل
العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحمير ثمود لم يعقر الناقة حتى يابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنشاهم فلما اشتد
القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها وقوله تعالى ولا يخاف وقري فلا يخاف عقباها قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد
سعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي ولا يخاف عقباها أي لم يخف الذي عقرها
عاقبة ما صنع والقول الاول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم آخر تفسير سورة الشمس ونحوها والله الحمد والمآلة

* (تفسير سورة الليل وهي مكية) * تقدم قوله عليه السلام لها ذنوبها صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشخص وضحاها والليل اذا يغشى) * (بسم الله الرحمن الرحيم) والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلجلى وما خلق الذكور والانثى ان سعيكم لشيء فاما من اعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا شعبه عن مغيرة عن ابراهيم عن ابي الدرداء فقال له ابو (٢٣٧) الدرداء من انت قال من اهل الكوفة قال ركعتين وقال اللهم ارزقني جليسا صالحا فجلس الى ابي الدرداء فقال له ابو (٢٣٧) الدرداء من انت قال من اهل الكوفة قال

كيف سمعت ابن ام عبد يقرأ والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلجلى قال علقمة والذكر والانثى فقال ابو الدرداء لقد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره والذي أجبر من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقدرواه البخاري ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن ابراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدتهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله قالوا كلنا قال أيكم أحفظ فأشاروا الى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ والليل اذا يغشى قال والذكر والانثى قال أشهداني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهؤلاء يريدون ان أقرأ وما خلق الذكر والانثى والله لا أتابعهم هذا لفظ البخاري هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعاه أبو الدرداء وأما الجمهور فقروا وأذلك كما هو المثبت في المصحف الامام

المبرد عن اسمعيل القاضي ان الودود هو الذي لا ولده وقيل الودود بمعنى المودود أى بوجه عباده الصالحون ويحبونه كذا قال الازهرى قال ويجوز أن يكون فعولا بمعنى فاعل أى يكون محبا لهم قال وكلتا الصفتين مدح لانه جل ذكره ان أحب عباده المطيعين فهو فضل منه وان أحبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من كريم احسانه قال ابن عباس الودود الحبيب وقالت المعتزلة غفور لمن تاب وقال أصحاب السنة غفور مطلقا لمن تاب ومن لم يتب لان الآية مذكورة في معرض المدح والتدح بكونه غفورا مطلقا ثم قال جمل عليه أولى ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان يحمل على الاطلاق قاله زاده (ذوالعرش المجيد) قرأ الجمهور برفع المجيد على انه نعت لذو واختاره أبو عبيد وأبو حاتم قال لان الجيد هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه هو المنعوت بذلك وقرئ بالجر على انه نعت للعرش وزيده علوه وعظمته وقد وصف سبحانه عرشه بالكرم كما في آخر سورة المؤمنين قال ابن عباس المجيد الكريم قيل ان العرش أحسن الاجسام وقيل هو نعت لربك ولا يضر الفصل بينهما لانها صفات لله سبحانه وقال مكي هو خبر بعد خبر والاول أولى ومعنى ذو العرش ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سريره ملكه وقيل المراد خالق العرش (فعال المايريد) من الابداء والاعادة قال عطاء لا يعجز عن شيء يريد ولا يمنع منه شيء طلبه وارتفاع فعال على انه خبر مبتدأ محذوف قال القراءه وورفع على التكرير والاستئناف لانه نكرة محضة قال ابن جرير رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وانما قال فعال لان مايريد وينعمل في غاية الكثرة والارادة هنا تكون نية فيكون فيه دلالة على خلق أفعالهم وختم به الصفات لانه كالنتيجة للاوصاف السابقة قال الكرخي نكره لضرب من التعظيم تتلشى عنده الاوهام والعقول قال بعضهم وفيه لالة على انه لا يجب عليه شيء لانها دالة على ان فعله بحسب ارادته ثم ذكر سبحانه خبر الجوع الكافرة فقال (هل أتاك حديث الجنود) والجهة مستأنفة مقررة لما تقدم من شدة بطشه سبحانه وكونه فعلا لمايريد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى هل أتاك يا محمد خبر الجوع الكافرة الطاغية في الامم الخالية المكذبة لانبيائهم المتجنسة عليهم بينهم فقال (فرعون ونمود) وهو بدل من الجنود فالمراد بفرعون هو وقومه والمراد بنمود القوم المعروفون والمراد بمجديهم ما وقع منهم من الكفر

العثماني في سائر الآفاق وما خلق الذكور والانثى فاقسم تعالى بالليل اذا يغشى والنهار اذا تجلجلى أى بضائه واشراقه وما خلق الذكور والانثى كقوله تعالى وخلقناكم أزواجا وكقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين ولما كان القسم بهذه الاشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى ان سعيكم لشيء أى اعمال العباد التي اكتسبوا هامة متضادة أيضا ومتخالفة فن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى فاما من اعطى واتى أى اعطى ما أمر باخراجه واتى الله في أموره وصدق بالحسنى أى بالمجازاة على ذلك قاله قتادة وقال خليف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم وصدق

بالحسنى أى بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمى والفضالة وصدق بالحسنى أى بلا اله الا الله وفى رواية عن بكرمة وصدق بالحسنى أى جاء أنتم الله عليه وفى رواية عن زيد بن أسلم وصدق بالحسنى قال الصلابة قال كاهن الصوم وقال مرة وصدق الفطر وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثني من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسنى قال الحسنى الجنة وقوله تعالى فسيسره لليسرى قال ابن عباس يعنى للخير وقال زيد بن (٢٣٨) أسلم يعنى للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء

السبئية السبئية بعدها والهاء قال تعالى وأما من يجمل واستغنى قال بكرمة عن ابن عباس أى يجمل بالله واستغنى عن ربه عز وجل رواه ابن أبى حاتم وكذب بالحسنى أى بالجزاعنى الدار الآخرة فسيسره لليسرى أى لطريق الشرك كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدرة والحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة (رواية أبى بكر الصديق رضى الله عنه) قال الامام أحمد حدثنا على بن عياش حدثني العطاء بن خالد حدثني رجل من أهل البصرة عن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبى يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتلف قال بل على أمر قد فرغ منه قال فندم

والعناد والاضلال وما وقع عليهم من العذاب والنكال وقصتهم مشهورة وقد تكررت في الكتاب العزيز ذكرها في غير موضع واقتصر على الطائفتين لاشتهار امرهما عند أهل الكتاب وعند مشركى العرب ودل بهما على أمثالهما ثم أضرب عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين في عصره صلى الله عليه وآله وسلم اضربا باقتضائهما لتقدم ذكرهم وبين انهم أشد منهم في الكفر والتكذيب فقال (بل الذين كفروا في تكذيب) شديد لك ولما جئت به ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار (والله من ورائهم محيط) أى يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بالاولئك لاعاصم لهم منه والاحاطة بالشيء الحصر له من جميع جوانبه فهو تمثيل لعدم نجاتهم بعدم فوات الحاطة به على المحيط ثم رد سبحانه تكذيبهم بالقرآن فقال (بل هو قرآن مجيد) أى متناهى في الشرف والكرم والبركة والنفع معجزة نظمه على الطبقة من بين الكتب وحيد في النظم والمعنى ليكون بيانا لما شرعه الله لعباده من أحكام الدين والدنيا وليس هو كما يقولون انه شعروكهانة وسحر (في لوح محفوظ) أى مكتوب في لوح وهو أم الكتاب محفوظ عند الله من وصول الشياطين اليه قرأ الجمهور لوح بفتح اللام واتفق عليها القراء (١) وقرأ الجمهور محفوظ بالجر على انه نعت للوح وقرئ برفعه على انه نعت للقرآن أى بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح قيل والمراد باللوح بضم اللام الهوى والفضاء الذى فوق السما السابعة وبه قال أبو الفضل وكذا قال ابن خالويه وقال في الصحاح اللوح بالضم الهوى بين السماء والارض وعن ابن عباس قال أخبرني ان لوح الذى كل لوح واحد فيه الذى كروا ذلك اللوح نور وانه مسيرة ثلثمائة سنة أخرجه ابن المنذر وعن انس ان اللوح المحفوظ الذى ذكره الله في الآية في جبهة اسرافيل وأخرج أبو الشيخ قال السيوطى بسند جيد عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ كسيرة مائة عام فقال للقل قبل ان يخلق الخلق اكتب على فى خلقى فخرى بما هو كائن الى يوم القيامة وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن بين العرش

* (سورة الطارق هي سبع عشرة آية وهي مكتبة بلا خلاف) *

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن خالد العدواني انه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق ثقف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يتنصرون عندهم فسمعهم يقرأوا والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية ثم قرأتها في الاسلام قال

العمل يارسول الله قال كل ميسر لما خلق له (رواية على رضى الله عنه) قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا فدد عن سفيان عن الامش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال كلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرق في جنازة فقال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعد من النار فقالوا يارسول الله أفلا تتكلم فقال اعلو فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ ما من أعطى واتي وصدق بالحسنى فسيسره لليسرى الى قوله لليسرى وكذا (١) الايمى بن يعمر وابن السميع فأنهما قرأ بالضم اه منه

رواه من طريق شعبة ووكيع عن الأعمش بنحوه ثم روى عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد
الرحمن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كافي جنازتي ببيع الغرق فأق رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقد وقد نال
حواله ومعه محضرة فنهس فجعل ينكت بمحضرة ثم قال ما منكم من أحد وأما من نفس منقوسة لا كتب مكانها من الجنة والنار
والأقد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا وندع العمل فمن كان منّا من أهل السعادة فيصير إلى
أهل السعادة ومن كان منّا من أهل الشقاء فيصير إلى أهل الشقاء (٢٣٩) فقال أما أهل السعادة فيصرون لعمل أهل

السعادة وأما أهل الشقاء فيصرون
إلى عمل أهل الشقاء ثم قرأ فإما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسييسره لليسرى وأما من بخل
واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره
للعسرى وقد أخرج به بقية الجماعة
من طرق عن سعيد بن عبيدة به
(رواية عبد الله بن عمر) قال الإمام
أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا
شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال
سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن
ابن عمر قال قال عمر يا رسول الله
أرأيت ما نعمل فيه أفى أمر قد
فرغ أو مبتدأ أو مبتدع قال فيما
قد فرغ منه فاعمل يا ابن الخطاب
فإن كلاً ميسر أو ميسر كان من أهل
السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما
من كل من أهل الشقاء فإنه يعمل
للشقاء ورواه الترمذي في التمهيد
عن بندار عن ابن مهدي به وقال
حسن صحيح حديث آخر من
رواية جابر قال ابن جرير حدثني
يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني
عمر بن الحرث عن أبي الزبير عن
جابر بن عبد الله أنه قال يا رسول الله
أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر

فدعني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقراءهم فقال من معهم من قریش نحن
أعلم بصاحب الوكيل ما يقول حقاً لا تبغناه أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه والطبراني
وابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسما والطارق) أقسم سبحانه بالسما والطارق وقد كثرت كتابه العزيز ذكر السما
والشمس والقمر والنجوم لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة
والطارق هو النجم الثاقب كما صرح به التنزيل قال الواحدى قال المفسرون أقسم الله
بالتاروق يعنى الكواكب تطرق بالليل وتختفي بالنهار قال الفراء الطارق النجم لأنه يطلع
بالليل وما أتاك ليلاً فهو طارق وكذا قال الزجاج والمبرد وقد اختلف في الطارق هل هو
نجم معين أو جنس النجم فقبل هو زحل وقيل الثريا وقيل هو الذى ترمى به الشياطين وقيل
هو جنس النجم قال فى الصحاح والطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح قال الماوردى
أصل الطروق الدق فسمى قاصداً لليل طارقالا احتياجه فى الوصول إلى الدق ثم اتسع به فى
كل ما ظهر بالليل كأنما كان ثم اتسع كل التوسع حتى أطلق على الصور الخالية البادية
بالليل وقال قوم إن الطروق قد يكون نهراً والعرب تقول آتيتك اليوم طرقتين أى
مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرُق
بحير قال ابن عباس أقسم ربك بالطارق وكل شئ طرقت بالليل فهو طارق ثم بين سبحانه
ما هو الطارق تفخيماً لشأنه بعد تعظيمه بالاقسام به فقال (وما أدراك ما الطارق) وفيه
تنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها أدراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم
(النجم الثاقب) أى المضى ومنه يقال ثقب النجم ثقباً بالذا أضاء وثقب به ضوءه قال مجاهد
الثاقب المشوه وقيل المرتفع العالى قال سفيان كل ما فى القرآن وما أدراك فقد أخبره
وكل شئ قال ما يدريك لم يخبر به وقيل هو نجم فى السماء السابعة وهو زحل لا يسكنها
غير من النجوم وإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع إلى مكانه
من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد ولم يقل والنجم الثاقب مع أنه أخصر
وأظهر فعلى عنه تفخيماً لشأنه فأقسم أولاً بما يشترك فيه هو وغيره وهو الطارق ثم فسره
بالنجم إزالته لذلك الأبهام الخاضع بالاستنفهام والجملة مستأنفة بحواب سؤال مقدراً شأماً

نستأنفه فقال لأمر قد فرغ منه فقال سراقفة فقيم العمل إذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عامل ميسر لعمله ورواه مسلم
عن أبي الطاهر عن ابن وهب به حديث آخر قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن
بشر بن كعب العدوى قال سألت غلاماً من شيوخ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنعمل فيما جفت به الأقدام ووجرت به
المقادير أو فى شئ يستأنف فقال بل فيما جفت به الأقدام ووجرت بها المقادير فالأفهم العمل إذا قال أعملوا فكل عامل ميسر لعمله
الذى خلق له قال لا نجد ونعمل (هو أيتى الله) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الوبيح سليمان بن عتبة السلمي

عن يونس بن ميسرة بن حليس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قالوا يا رسول الله أ رأيت ما نعمل أمهر قد فرغ من شئ نستأنفه قال بل أمر قد فرغ منه فقالوا فكيف بالعمل يا رسول الله قال كل امرئ مهيأ لما خلق له تفرد به أحد من هذا الوجه حديث آخر قال ابن جرير حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كريمة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثني خليل العصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم غربت فيه شمس الا ويجنيبها ملكان يناديان يسمعها خلق الله كلهم الا النقلين اللهم أعط منفقا (٢٤٠) خلقا وأعط ممسكا تلقا وأنزل الله في ذلك القرآن فامان من أعطى واتقى وصدق

بالحسن في نسبه للسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسن في نسبه للعسرى ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كريمة بأسناده مثله حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا كان له نخيل ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال فإذا جاء الرجل فدخل داره فبأخذ التمر من نخلته فتسقط التمرة فبأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع التمرة من أيديهم وان أدخل أحدهم التمرة في فمه أدخل أصبعه في خلق الغلام ونزع التمرة من خلقه فشكا ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب ولقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها

قبله كأنه قيل ما هو فقيل هو النجم الثاقب (ان كل نفس لها عليها حافظ) هذا جواب القسم وما بينهما اعتراض جئ به لتأكيد غفامة القسم المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وقد تقدم في سورة هود اختلاف القراء في ما فن قرأ بتحقيقها كانت ان هنا هي المحففة من النخلة فيها ضمير الشأن المقدر وهو اسمها واللام هي الفارقة وما مزيدة وهـ ذا كله تفرغ على قول البصريين أي ان الشأن كل نفس عليها حافظ ومن قرأ بالتشديد فان نافية ولما يعني الأي ما كل نفس الا عليها حافظ قيل والحافظ هم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها وقولها وفعلها ويحسون ما تكسب من خير وشر وقيل الحافظ هو الله عز وجل وعدى حافظ بعلى لتضمنه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه وإطلاعه على أحوالهم وقيل هو العقل يرشدهم إلى المصالح ويكفهم عن المفاسد والاول أولى لقوله وان عليكم لحافظين وقوله ويرسل عليكم حفظة وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلقه يحفظونه والحافظ في الحقيقة هو الله عز وجل كافي قوله فالتة خير حافظا وقوله وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكث كما تحتاج إلى الواجب لذاته في وجودها تحتاج اليه في بقائه وحفظ الملائكة من حفظه لانهم يحفظونه بأمره (فلينظر الانسان) الفاء للدلالة على أن كون حافظ على كل نفس يوجب على الانسان أن يتفكر في مبتدأ خلقه ليعلم قدرة الله على ما هو دون ذلك من البعث قال مقاتل يعني المكذب بالبعث (مم خلق) أي من أي شئ خلقه الله والمعنى فلينظر نظر التفكر والاستدلال حتى يعرف ان الذي ابتدأ من نطفة قادر على اعادته ثم بين سبحانه ذلك فقال (خلق من ماء دافق) والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر والماء هو المني والدفق الصب يقال دفقت الماء أي صببته ويقال ماء دافق أي مدفوق مثل عيشة راضية أي مرضية قال القراء والاختفش أي مصبوب في الرحم قال القراء وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم كقولهم سر كاتم أي مكتوم وهم ناصب أي منصوب وليل نائم ونحو ذلك قال الزجاج من ماء ذى اندفاق يقال دارع وقايس ونابل أي ذو درع وقوس ونبل يعني من صيغ النسب كلابن ونامر وهو صادق على الفاعل والمفعول وهو مجاز في الاسناد فاسند إلى الماء مال صاحبه مبالغة أو هو استعارة مكنية وتخيلية أو مصرحة بجعله دافقا لانه لتتابع قطراته كأنه يدفق بعضه بعضا أي يدفعه كما أشار له ابن عطية وأراد سبحانه

وان لي نخل كثير ما فيها نخلة أعجب إلى ثمرة من غيرها فذهب النبي صلى الله عليه وسلم فتيبته رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يا رسول الله ان أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك اياها أعطيتني ما أعطيت به النخلة في الجنة قال نعم ثم ان الرجل لقي صاحب النخلة ولما كلاهما من نخل فقال له أخبرك أن محمدا أعطاني المائلة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أتريد ان ابعثها قال لا الا أن أعطى بها شيئا ولا أظنني أعطاها قال وما مائلك فيها قال أربعون نخلة فقال له الرجل لقد حدثت بأمر

عظيم فخلتلك تطلبهم أربعين نخلة ثم سكاوا نسا في كلام آخر ثم قال فانا أعطيتك أربعين نخلة فقال اشهد لي ان كنت صادقا فامر باناس فدعاهم فقال اشهدوا اني قد أعطيتهم من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال ما تقول فقال صاحب النخلة قد رضيت ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم نفتق فقال له قد أقالك الله ولست بأحق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الاربعين على ما أريد قال تعطينها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهودا وعدله أربعين نخلة على ساق فتفرقا (٢٤١) فذهب الرجل الى رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرجل صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعبيالك قال عكرمة قال ابن عباس فانزل الله عز وجل والليل اذا يغشى الى قوله فاما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى الى آخر السورة هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جدا قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هرون بن ادريس الاصح حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربي حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر رضي الله عنه يعشق على الاسلام بمكة فكان يعشق عجائز ونساء اذا أسلمن فقال له أبوه أي بنى أراك تعتق أناسا ضعفاء

ماء الرجل والمرأة لان الانسان مخلوق منه ما لكن جعله ماما واحدا لامتزاجه ماما وصف هذا الماء فقال (يخرج من بين الصلب والترائب) أي صلب الرجل وترائب المرأة وهي جمع تريية وهي موضع القلادة من الصدر والولد لا يكون الا من الماء من قرأ الجمهور يخرج مبنيا للمفاعل وقرئ مبنيا للمفعول وفي الصلب وهو الظهر لغات قرأ الجمهور بضم الصاد وسكون اللام وقرأ أهل مكة بضمهما وقرأ اليماني بفتحهما وبقال صالب على وزن قالب ومنه قول العباس بن عبد المطلب * تنقل من صالب الى رحم * في آياته المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم كلام في هذا عند تفسير قوله الذين من أصلابكم وقيل الترائب ما بين الثديين وقال الضحاك ترائب المرأة البدان والرجلان والعينان وقال سعيد بن جبيرة الجهمي الجهمي ما بين المنكبين والصدر وروى عنه أنه قال هي الصدر وعنه قال هي التراقي وحكي الزجاج أن الترائب عصارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور في اللغة انها عظام الصدر والتحر قال عكرمة الترائب الصدر قال في الصحاح التريية واحدة الترائب وهي عظام الصدر قال أبو عبيدة جمع التريية تريب وحكي الزجاج ان الترائب أربع اضلاع من عينة الصدر وأربع اضلاع من يسرة الصدر قال قتادة والحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وحكي الفراء ان مثل هذا يأتي من العرب يكون معنى من بين الصلب من الصلب وقيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ولا يخالف هذا ما في الآية لانه اذا نزل من الدماغ نزل من بين الصلب والترائب وقيل ان المني يخرج من جميع أجزاء البدن ولا يخالف هذا ما في الآية لان نسبة خروجه الى ما بين الصلب والترائب باعتبار ان أكثر أجزاء البدن هي الصلب والترائب وما يجاورها وما فوقها مما يكون تنزله منها قال ابن عباس في الآية ما بين الجهم والنحر وعنه قال تريية المرأة وهي موضع القلادة وعنه الترائب ما بين ثدي المرأة وعنه الترائب أربع اضلاع من كل جانب من أسفل الاضلاع قال ابن عادل ان الولد يخرج من ماء الرجل يخرج من صلبه العظام والعصب ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدلم (انه على رجعه لقادر) الضمير في انه يرجع الى الله سبحانه بدلالة قوله خلق عليه فان الذي خلقه هو الله سبحانه والضمير في رجعه عائد الى الانسان والمعنى ان الله سبحانه على إعادة الانسان بالبعث بعد الموت لقادره كذا قال جماعة من المفسرين وقال مجاهد على أن يرد الماء في

(٣١) - (فتح البيان عاشر) فلوانك تعتق رجلا جلدا يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال أي ابنت انما أريد أظنه قال ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي ان هذه الآية أنزلت فيه فاما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وقوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى قال مجاهد أي اذا مات وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم اذا تردى في النار (ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فانذر تنكم نارا تلقى لا يوصلها الا الاشقي الذي كذب وتولى وسيجزيها الاتقي الذي يؤتي ماله يتزكى ومالا حده عنده من نعمة يجزي الا ابتغاء وجهه ربه الاعلى ولسوف يرضى) قال قتادة ان علينا للهدى أي

بين الحلال والحرام وقال غيره من سلك طريق الهدى ولى الى الله وجعله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل حكاه ابن جرير وقوله تعالى وان لنا الآخرة والاولى أى الجميع ملكا وانا المتصرف فيهما وقوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى قال مجاهد أى توهج قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ممالك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول أنذرتكم النار أنذرتكم النار حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعته من مقامى هذا قال حتى وقعت خبيصة كانت على عاتقه (٢٤٢) عند رجله وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني أبو

اسحق سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جرتان يغلى منهما دماغاه رواه البخارى وقال سلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي اسحق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا من له نملان وشر كان من نار يغلى من دماغاه كما يغلى المرجل ما يرى ان أحدا أشد منه عذابا وانه لا هو من عذابا وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقي أى لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه الا الاشقي ثم فسره فقال الذى كذب أى بقلبه وتولى أى عن العمل بجوارحه واركانه قال الامام أحمد حدثنا حسين بن موسى حدثنا ابن ابي عبيدة حدثنا عبد الله بن سعيد عن العوفي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لا يدخل النار الاشقي قبل ومن الشقي قال الذى

الاحليل وقال عكرمة والخمك على أن يرد الماء في الصلب وقال مقاتل بن حيان يقول ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر والاول أظهر ورجحه ابن جرير والنعاجي والقرطبي قال ابن عباس على أن يجعل الشيخ شابا والشاب شيخا (يوم تبلى السرائر) العامل في الظرف على التفسير الاول هو رجحه وقيل لقادر واعترض عليه بأنه يلزم تخصيص القدرة بهذا اليوم وقيل العامل فيه مقدر رأى رجعه أو اذكر فيكون مفعولا به وأما على قول من قال ان المراد رجوع الماء فاعلم فيه اذ ذكر والمعنى تختبر وتعرف وتكشف السرائر التي تسرى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وقيل يظهر الخبايا وقيل يبدى كل سر فيكون زينا في وجوه وشين في وجوه والمراد ما عرض الاعمال ونشر الصغف فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح والغث من السمين وفي المختار السر الذي يكتم وجعه اسرار والسريرة مثله والجمع سرائر (فقاله من قوة ولا ناصر) أى فما للانسان من قوة ومنفعة في نفسه يتنعم بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره مما تنزل به قال عكرمة هؤلاء الملوك ما لهم يوم القيامة من قوة ولا ناصر قال سفيان القوة العسيرة والناصر الخليف والاول أولى (والسماء ذات الرجوع) أى التي ترجع بالدوران الى الموضع الذى تحرك عنه قال الزجاج الرجوع المطر لانه يحى ويرجع ويتكرر قال الخليل الرجوع المطر نفسه والرجوع نبات الربيع قال الواحدى الرجوع المطر فى قول جميع المفسرين وفى هذا نظر فان ابن زيد قال الرجوع الشمس والقمر والنجوم يرجعون في السماء تطاع من ناحية وتغيب في ناحية وقال بعض المنسرين ذات الرجوع ذات الملازمة لرجوعهم اليها باعمال العباد وقال بعضهم معناه ذات النفع ووجه تسمية المطر رجعا ما قاله القفال انه مأخوذ من ترجيع الصوت وهو عادته وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد أخرى متى رجعا وقيل ان العرب كانوا يزعمون أن السحاب تحمل الماء من بحار الارض ثم ترجعه الى الارض وقيل سمته العرب رجعا لاجل التفاؤل ليرجع عليهم وقيل لان الله يرجعه وقتا بعد وقت وقال ابن عباس الرجوع المطر بعد المطر (والارض ذات الصدع) هو ما تصدع عنه الارض من النبات والثمار والشجر والانهار والعيون والصدع الشق لانه يصدع الارض فتصدع له قال أبو عبيدة والقرءا تصدع بانسبات قال مجاهد والارض ذات الطرق التي تصدعها

لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية وقال الامام أحمد حدثنا يونس وشريح قال حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء الماء ابن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخل الجنة يوم القيامة الا من أبى قالوا من أبى يا رسول الله قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى ورواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح به وقوله تعالى وسيجنبنها الاتقى أى وسيزخر عن النار الاتقى الذى اتقى الله بقلبه وليس بذلة ماله يترك أى يصرف ماله في طاعة ربه ليزكى نفسه وماله وما ربه الله من دين ودينار ولا احد عنده من نعمة تجزى أى ليس بذلة ماله في مكافاة من اسدى اليه معروفاته يعطى في مقابله ذلك وانما

دفعه ذلك ابتغاء وجهه ربه الاعلى أى طمعاً فى أن يحصل له رؤيته فى المآل الآخر فى روضات الجنات قال الله تعالى ولستوف يرضى
أى لستوف يرضى من انصف به هذه الصفات وقد ذكر غير واحد من المفسرين ان هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله
عنه حتى ان بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ولاشك انه داخل فيها وأولى الامة بعمومها فان اللفظ لفظ العموم وهو
قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى ولكنه مقدم الامة وسابقهم فى جميع هذه الاوصاف
وسائر الاوصاف الحميدة فانه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بائناً لالامواله (٢٤٣) فى طاعة مولاه ونصرة رسول الله صلى الله

عليه وسلم فكهم من دراهم وذنائب
بذلها ابتغاء وجهه ربه الكريم
ولم يكن لاحد من الناس عنده منة
يحتاج الى ان يكافئها بها ولكن
كان فضله واحسانه على السادات
والرؤساء من سائر القبائل ولهذا
قال له عروة بن مسعود وهو سيد
ثقيف يوم صلح الحديبية أما
والله لولا يدك عندي لم أجزل بها
لا جبتك وكان الصديق قد أغلظ
له فى المقالة فاذا كان هذا حاله مع
سادات العرب ورؤساء القبائل
فكيف بمن عداهم ولهذا قال
تعالى وما لاحد عنده من نعمة
تجزى الا ابتغاء وجهه ربه الاعلى
ولستوف يرضى وفى الصحيحين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من أنفق زوجين فى سبيل الله
دعته خزانة الجنة يا عبد الله هذا
خير فقال أبو بكر يا رسول الله ما على
من يدعى منها ضرورة فهل يدعى
منها كلها أحد قال نعم وأرجو
أن تكون منهم آخر تفسير سورة
الليل ولله الحمد والمنة

* (تفسير سورة الضحى)

وهى مكية *

المياه وقيل ذات الحرث لانه يصدها وقيل ذات الاموات لانصداها عنهم عند البعث
والحاصل أن الصدع ان كان اسماً للنبات فكأنه قال والارض ذات النبات وان كان المراد
به الشق فكأنه قال والارض ذات الشق الذى يخرج منه النبات ونحوه وقال ابن عباس
صدعها عن النبات وعنه قال تصدع الاودية وعن معاذ بن أنس مرفوعاً قال تصدع باذن
الله عن الاموال والنبات أخرجه ابن منده والديلمى قال الرازى انه تعالى كما جعل كيفية
خلقة الحيوان دليلاً على معرفة المبدأ والمعاد ذكر فى هذا القسم كيفية خلقه للنبات
فقوله تعالى والسماء ذات الارجع كالاب وقوله والارض ذات الصدع كالام وكلاهما
من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء ~~م~~ كزرا وعلى ما ينبت من
الارض كذلك وجواب القسم الثانى قوله (انه لقول فصل) أى ان القرآن يقول يفصل
بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما كما قيل له فرقان ومنه فصل الخصومات
وهو وقطعها بالحكم الجازم ويقال هذا قول فصل أى قاطع للشرو والتزاع وقال ابن عباس
فصل حق (وما هو بالهزل) أى لم ينزل القرآن الكريم باللاعب فهو جد كده ليس بالهزل
والهزل ضد الجد فيجب أن يكون مهيأ فى الصدور ومعظمها فى القلوب يترفع به قارئه
وسامعه عن ان يلزم بهزل أو يتفكه بمزاح وقال ابن عباس بالهزل بالباطل (انهم يكيدون
كيداً) أى يكبرون فى ابطال ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين الحق قال
الزجاج يخاتلون النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون ما هم على خلافه وذلك حين اجتمعوا
فى دار الندوة وتشاوروا فيه وقيل الكيد القاء الشبهات كقولهم ان هى الاحياء الدنيا
من يحيى العظام وهى رميم أجعل الآلهة الها واحداً وما أشبه ذلك (وأكيد كيداً) أى
أستدرجهم من حيث لا يعلمون وأجازهم جزاء كيدهم قبل هوماً واقع الله بهم يوم بدر
من القتل والاسر وقيل كيد الله لهم نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعلاء درجته تسمية
لاحدى المتقالبين بالاسم الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (فهل الكافرين) أى
آخرهم ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم والدعاء عليهم باهلا كهم فانا لانجمل لان
الجملة وهى ايقاع الشئ فى غير وقته اللائق به نقص وارضى بما يريد لك فى أمورهم
(أهلهم) بدل من مهل ومهل وأمهـل بمعنى مثل نزل وأنزل والامهال الانظار وتهل فى
الامر اتاد وخالف بين اللقطين لزيادة التسكين والتصير واتصاب (رويدا) على انه مصدر

روىنا من طريق أبى الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرئ قال قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرنى انه قرأ على اسمعيل
ابن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت الضحى قال لا الى كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فانا قرأنا على ابن كثير فامرنا بذلك وأخبرنا
انه قرأ على مجاهد فامر به بذلك وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس فامر بذلك وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبى بن كعب فامر
بذلك وأخبره أبى انه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البرزى
من ولد القاسم بن أبى بزة وكان اماماً فى القرأآت فامانى الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازى وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر

الْعَقْلِي قَالَ هُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ لَكِنْ حَكَى الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي شَرْحِ الشَّاطِبِيَةِ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَكْبِرُ هَذَا التَّكْبِيرَ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ السَّنَةَ وَهَذَا يَقْتَضِي صِحَّةَ هَذَا الْحَدِيثِ ثُمَّ اخْتَلَفَ الْقُرَاءُ فِي مَوْضِعِ هَذَا التَّكْبِيرِ وَكَيْفِيَّتِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ يَكْبِرُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِذَا بَغَشَّى وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ آخِرِ الضُّحَى وَكَيْفِيَّةُ التَّكْبِيرِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَيَقْتَصِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَذَكَرَ الْقُرَاءُ فِي مَنَاسِبَةِ التَّكْبِيرِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الضُّحَى أَنَّهُ لَمَّا تَأَخَّرَ الْوُجُوهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَتَرَتْكَ الْمُدَّةُ (٢٤٤) ثُمَّ جَاءَ الْمَلَكُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى السُّورَةَ بِتَسَامُهَا كَبَّرَ فَرَحًا

مَوْكِدًا لِلْفِعْلِ الْمَذْكُورِ وَأَنْعَتَ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أَيْ أَمَلَهُمْ أَمَهَالًا رَوِيْدًا أَيْ قَلِيلًا وَاقْرَأْنَا وَقَدْ أَخَذَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَسَخَ الْأَمَهَالَ بِأَيَّةِ السِّيفِ وَالْأَمْرِ بِالْقِتَالِ وَالْجِهَادِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الرُّوَيْدِيُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ تَصْغِيرُ الرُّودِ وَالرُّودُ الْمَهْلُ وَقِيلَ تَصْغِيرُ رُوَادٍ مَصْدَرُ رَارٍ وَرُدَّ تَصْغِيرُ التَّرْخِيمِ وَيَأْتِي اسْمُ فِعْلٍ فَخَوَّرُوهُ بِزَيْدٍ أَيْ أَمَهَلَهُ وَيَأْتِي حَالًا لِحُوسَارِ الْقَوْمِ رَوِيْدًا أَيْ مَتَهَلِّينَ ذَكَرَ مَعْنَى هَذَا الْجَوْهَرِيُّ وَالْبَحْثُ مُسْتَوْفٍ فِي عِلْمِ النُّحُو

(سورة الاعلى ويقال سورة سبع هي تسع عشرة آية وهي مكية في قول الجمهور)

وَقَالَ الضَّحَّاكُ مَدِينَةٌ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ وَعَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَائِشَةُ مِثْلُهُ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَجَعَلَا يَقْرَأُ تِلْكَ الْقُرْآنَ ثُمَّ جَاءَ عِمَارُ بْنُ بِلَالٍ وَسَعْدُ ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارَأَتْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ حَتَّى رَأَيْتِ الْوَلَدَ وَالصَّبِيَّانَ يَقُولُونَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَاءَ فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتَ سَبْعَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَسُورَةَ مِثْلَهَا وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ سَبْعَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ وَابْنُ مَرْثُومٍ أَيْ لِكَثْرَةِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْخَيْرَاتِ الْحَسَنَاتِ وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَهْلُ السَّنَنِ عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ سَبْعَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ وَأَنْ وَافَقَ يَوْمَ جُمُعَةٍ قَرَأَهُمَا جَمِيعًا وَفِي لَفْظٍ وَرَبِّمَا جُمُعَةً عَنَّا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَرَأَهُمَا فِي الْبَابِ أَحَادِيثٌ وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ سَبْعَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالدَّارِقُطْنِيُّ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوْتِرُ بِسَبْعِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ عَائِشَةُ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْوُتْرِ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى بِسَبْعِ وَفِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَفِي الثَّالِثَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَفِي الصُّحُفِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَعَاذِ هَلَا صِلْتُ بِسَبْعِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَالشَّمْسُ وَضَحَاها

وَسُرُّوهُ وَلَمْ يَرَوْهُ ذَلِكَ بِإِسْنَادٍ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِصِحَّةٍ وَلَا ضَعْفٍ فَاللَّهُ أَعْلَمُ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ جَنْدَبًا يَقُولُ اشْتَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ فَاتَتْ امْرَأَةً فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَرَى شَيْطَانَكَ الْأَقْدَرُ تَرَكْتَ فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَنُّاتِيُّ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرُقِ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ جَنْدَبٍ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلِّيِّ ثُمَّ الْعَلَقِيُّ بِهِ وَفِي رِوَايَةِ سَفِيَّانَ ابْنِ عَمِيْنَةَ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ سَمِعَ جَنْدَبًا قَالَ أَبْطَأَ جَبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ

الْمُشْرِكُونَ دَعَوْا مُحَمَّدًا فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَنْدَبًا يَقُولُ رَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجَرٍ فِي أَصْبَعِهِ فَقَالَ هَلْ أَتَى الْأَصْبَعَ دَمِيَةٌ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتُ * قَالَ فَكُنْتُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لَا يَقُومُ فَقَالَتْ لَهَا امْرَأَتُهُ مَا أَرَى شَيْطَانَكَ الْأَقْدَرُ تَرَكْتَ فَتَرَاكَ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَالسِّيَاقُ لَا يَنْبَغِي سَعِيدٌ قَبْلَ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ أَصْبَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَمَتْ وَقَوْلُهُ هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي اتَّفَقَ أَنَّهُ مُوزُونٌ ثَابِتٌ

في العجبين ولكن الغريب ههنا جعله سبيل التركة القيام ونزول هذه السورة فأما ما رواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا
عبد الواح بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد بن خديجة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما أرى ربك إلا قد
قلنا فانزل الله والضحي والليل إذا سجد ما ودعك ربك وما قلى وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن
أبيه قال أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فخرج جبرع عا شديدا فقالت خديجة أتى أرى ربك قد قلنا مما ترى من جبرعك
قال فنزلت والضحي والليل إذا سجد ما ودعك ربك وما قلى إلى آخرها فانه (٢٤٥) حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل
ذكر خديجة ليس محفوظا وقالته

والليل إذا يغشى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الأعلى) أي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله
وأحكامه قال السدي أي عظمه قبل والاسم ههنا مقحم لقصد التعظيم قال ابن جرير المعنى
نزه اسم ربك أن يسمى به أحد سواه فلا تكون لفظة اسم على هذا مقحمة وقبل المعنى نزه
تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره الا وانت له خاشع معظم ولذكره محترم وقال الحسن
معنى سبح صل له وقيل المعنى صل بأسماء الله لا كما يصلي المشركون بالمكاه والتصدية
وقيل المعنى ارفع صوتك بذكر ربك ومنه قول جرير

فبح الاله وجوه تغلب كلما * سبح الحجج وكبر وانكبرا

وقال جماعة من الصحابة والتابعين قل سبحان ربى الأعلى وقيل معناه نزه ربك الأعلى عما
يصفه به المحدثون فعلى هذا يكون الاسم صله والأعلى صفة للرب وقيل للاسم والاولى
وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنارسول الله
صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في
سجودكم أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه ولا مطعن في اسناده
وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال
سبحان ربى الأعلى أخرجه أحمد والطبراني وابن مردويه والبيهقي وقال أبو داود وخواف
فيه وكيع فرواه شعبة عن أبي اسحق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وأخرجه موقوفا
أيضا عبد الرزاق وابن أبي شبة وعبد بن حميد وابن جرير عنه انه كان إذا قرأ سبح اسم ربك
الأعلى قال سبحان ربى الأعلى وفي لفظ لعبد بن حميد عنه قال إذا قرأت سبح اسم ربك الأعلى
فقل سبحان ربى الأعلى وعن علي بن أبي طالب أنه قرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان
ربى الأعلى وهو في الصلاة فقل له أتريد في القرآن قال لا إنما أمرنا بشئ فقلته وعن أبي
موسى الأشعري انه قرأ في الجمعة سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربى الأعلى وعن سعيد
ابن جبير قال سمعت ابن عمر يقرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربى الأعلى وكذلك
هى في قراءة أبي بن كعب وعن عمر انه كان إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربى الأعلى
وعن ابن الزبير انه قرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربى الأعلى وهو في الصلاة وقوله

أعلم وقد ذكر بعض السلف منهم
ابن اسحق ان هذه السورة هى
التي أوحاها جبريل إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في
صورته التي خلقه الله عليها ودنا
إليه وتدل منه بطاعته وهو بالابطح
فاوحى إلى عبده ما أوحى قال قال
له هذه السورة والضحي والليل
إذا سجد قال العوفي عن ابن عباس
لما نزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم القرآن أبطأ عنه جبريل
أياما فغير بذلك فقال المشركون
ودعه ربه فقلنا فانزل الله ما ودعك
ربك وما قلى وهذا قسم منه تعالى
بالضحي وما جعل منه من الضياء
والليل إذا سجد أي سكن فاطلم
وأدلهم قاله مجاهد وقتادة
والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك
دليل ظاهر على قدرة خالق هذا
وهذا كما قال تعالى والليل إذا
يغشى والنهار إذا تجلى وقال تعالى
فالتق الاصباح وجعل الليل سكنا
والشمس والقمر حسبان ذلك
تقدير العزيز العليم وقوله تعالى

ما ودعك ربك أي ما ترك وما أبغض وللاخرة خير لك من الاولى أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ولهذا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها أطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ولما خيره عليه السلام
في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية قال الامام
أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال اضطلع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأنثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أسنحه جنبه فقلت يا رسول الله ألا أدنتنا حتى نبسط لك على الحصير

شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا ما أنا والدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودي به وقال الترمذي حسن صحيح وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى أى فى الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه فى أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جعلته من الكوثر الذى حافته قباب اللؤلؤ والجوف وطينه مسك أذفر كما سبأنى وقال الامام أبو عمر والاوزاعى عن اسمعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر الخنزوى عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله صلى (٢٤٦) الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده ككنا ككنا ففسر بذلك

فأنزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى فاعطاه فى الجنة ألف قصر فى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من طريقه وهذا السناد صحيح الى ابن عباس ومثل هذا ما يقال الا عن توقيف وقال السدى عن ابن عباس من رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وقال الحسن يعنى بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن على بن صالح عن يزيد بن أبى زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم قال تعالى بعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ألم يجدك يتيما فآوى وذلك ان أباه توفى وهو جل فى بطن أمه وقيل بعد ان ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ثم

(الذى خلق فسوى) صفة أخرى للرب قال الزجاج خلق الانسان مستويا ومعنى سوى عدل قامته وحسن خلقه قال الضحاك خلقه فسوى خلقه وقيل خلق الاجساد فسوى الافهام وقيل خلق الانسان وهياكل التكليف والقيام بآداء العبادات وقيل خلق فى اصلاص الاباء وسوى فى أرحام الامهات وقيل خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم أو سواه على ما فيه منفعة ومصلحة وقيل خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقوله (والذى قدر فهدى) صفة أخرى للرب أو معطوف على الموصول الذى قبله قرئ (١) قدر مخفقا ومثقلا قال الواحدى قال المفسرون قدر خلق الذكرو الانثى من الدواب فهدى الذكر للانثى كيف يأتيتها وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وروى عنه أيضا انه قال قدر السعادة والشقاوة وهدى للرشد والضلالة وهدى الانعام لمراعيتها وقيل قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم لمعايشهم ان كانوا انسانا ولمراعيتهم ان كانوا وحشا وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلح لها وهداه له وقيل خلق المنافع فى الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقال السدى قدر مدة الجنين فى الرحم تسعة أشهر وأقل وأكثر ثم هده للخروج من الرحم قال الفراء أى قدر فهدى وأصل فاكتفى باحدهما وفى تفسير الآية أقوال غير ما ذكرنا والاولى عدم تعيين فرد أو افراد ما يصدق عليه قدر وهدى الابدليل يدل عليه ومع عدم الدليل يحمل على ما يصدق عليه معنى الفعلين اما على البذل أو على الشمول والمعنى قدر أجناس الاشياء وأنواعها وصفاتها وأفعالها وأقوالها وأجالاتها فهدى كل واحد منها الى ما يصدق عنه وينبغى له ويسر له ما خلق له وألهمه الى أمور دينه ودنياه ولما ذكر ما يختص بالناس أتبعه بما يختص بالحيوان فقال (والذى أخرج المرعى) صفة أخرى للرب أى أثبت العشب وما ترعاه الدواب والنعم من النبات الاخضر (جعله غناء) أى جعل المرعى بعد أن كان أخضر هشيا يابساجا قابليا كالغناء الذى يكون فوق السيل وفى القاموس الغناء القماش والزبد والها لك البالى من ورق الشجر قال قتادة الغناء الشئ اليابس ويقال للبقل والحشيش اذا انحطم ويبس غشاء وهشيم قال الكسائى غشاء حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى جعله غشاء بعد ذلك (أحوى) أى أسود بعد اخضراره وذلك ان الكلاء اذا يس اسود

كان فى كفالة جده عبد المطلب الى ان توفى وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره والاحوى ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد ان اتبعه الله على رأس أربعين سنة من عمره هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الاوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره الى أن توفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سيفها قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم الى بلد الانصار من الاوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الاتم والاكمل فلما وصل (١) قرأ على بن أبى طالب كرم الله وجهه والكسائى والسلمى بالتصنيف وقرأ الباقون بالتشديد ٨١

اليهم آووه ونصروه وحاطوه فالتوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءه وعنايته به وقوله تعالى ووجدك ضالاً فهدى كقوله وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا الآية ومنهم من قال ان المراد بهذا ان النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل انه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكباً ناقه في الليل فجاء ابليس فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخ ابليس نفخة ذهب منها الى الحبشة ثم عدل بالراحلة الى الطريق حكاهما البيهقي وقوله تعالى ووجدك عائلاً فأغنى (٢٤٧) أى كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عن

سواه فجاءه بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر صلوات الله وسلامه عليه وقال قتادة في قوله ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى قال كانت هذه منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله عز وجل رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه ثم قال تعالى فأما اليتيم فلا تقهر أى كما كنت يتيماً فأنا والله فلا تقهر اليتيم أى لاتذله وقهره وتهنه ولكن أحسن اليه وقلطف به قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم وأما السائل فلا تنهر أى وكما كنت ضالاً فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد قال ابن اسحق وأما السائل فلا

والاحوى مأخوذ من الحوة وهى سواد يضرب الى الخضرة وقيل خضرة عليها سواد وفي القاموس الحوة سواد الى خضرة أو حرة الى السواد حوى كرضى حوى قال في الصحاح والحوة أى بالضم حرة الشفة قال ابن عباس غناء هشياً حوى متغيراً وقال ابن زيد وهذا مثل ضرب به الله لك ككفار بذهب الدنيا بعد نصارتها (سنن ترمذ) أى سنجعلك قارئاً بان نلهمك القراءة والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء مأوى الله اليه حينئذ وما سيوحى اليه به بذلك فهو وعد باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء (فلا تنسى) مات قرؤه والجملة مستأنفة لبيان هدايته صلى الله عليه وآله وسلم الخاصة به بعد بيان الهداية العامة لكافة خلقه وهو هدايته صلى الله عليه وآله وسلم لحفظ القرآن وتلقى الوحي وهدايته للناس جمعين قيل هو نبي وقيل نبي والالف اشباع ومنع مكى أن يكون نبياً لانه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا غير لازم اذا المعنى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعطى أسباب النسيان وهو شائع فسهو ما قاله قال مجاهد والكلبي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم باولها مخافة ان ينساها فترت هذه الآية فلم ينس شيئاً بعد ذلك وعن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستذكر ان القرآن مخافة ان ينسى فقبل له قد كفييناك ذلك ونزلت هذه الآية وعن سعد بن أبي وقاص نحوه وهذه الآية تدل على العجزة من وجهين الاول انه كان رجلاً آمياً حفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزة الثاني ان هذه السورة من أول ما نزل بمكة فهذا الخبر عن أمر عجيب يخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا الخبر ان يكون معجزاً وقوله (الاما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المنافع أى لا تنسى مما تقرؤه شيئاً من الاشياء الاما شاء الله ان تنساه قال ابن عباس يقول الاما شئت انا فانسيك قال القراء وهو لم يشأ سبحانه ان ينسى محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً كقوله خالد بن فيما مادامت السموات والارض الاما شأرك وقيل الاما شاء الله ان تنسى ثم تذكر بعد ذلك فاذن قد ينسى ولكنه يتذكر ولا ينسى شيئاً نسيانا كلياً وقيل هو بمعنى النسخ أى الاما شاء الله ان ينسخه مما نسخ تلاوته وحكمه معاً واما ما نسخت تلاوته فقط او حكمه فقط فلا يصح ان تنساه الا حتماً الى تلاوته في الاول والى حكمه في الثاني وقيل المعنى فلا تترك العمل الاما شاء الله ان تتركه لنسخه ورفع حكمه وقيل

تنهر أى فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فاسقاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله وقال قتادة يعنى رد المسكين برحمة وابن واما بنعمة ربك فحدث أى وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين علىك قابليها وأتمها علينا وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن اياس الجري عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا الجراح بن ماجة عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتذكرها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب واسناده ضعيف

وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجر بن قالوا يا رسول الله ذهب الانصار بالاجر كله قال لا مادعوتكم الله لهنها أثبتهم عليهم قال أبو داود حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم وقال صحيح وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابلى بلاه فذكره فقد شكره ومن كتمه فقد كفره تفرد به أبو داود وقال أبو داود حدثنا مسدد (٢٤٨) حدثنا بشر حدثنا عمار بن غزيرة حدثني رجل من قومي عن جابر بن

عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى عطاء فوجد فليجزه فان لم يجد فليدين به فمأني به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره قال أبو داود ورواه يحيى ابن أيوب عن عمارة بن غزيرة عن شرجيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي وأما بنعمة ربك فحدث قال ما علمت من خير فحدث اخوانك وقال محمد بن اسحق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع اليها قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سر الى من يطمئن اليه من أهله واقرنت عليه الصلاة فصل في آخر سورة الضحى والله الحمد والمنة (نفسه سورة ألم نشرح وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر

الاماشاء الله ان يؤخر انزاله والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتعبة لساير الصفات (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما باطن والاعلان والاسرار وظاهره وعمومه فيندرج تحته ما قيل ان الجهر ما حفظه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وما يخفى هو ما نسخ من صدره ويدخل تحته أيضا ما قيل من ان الجهر هو اعلان الصدقة وما يخفى هو اخفاؤها ويدخل تحته أيضا ما قيل ان الجهر جهرة على الله عليه وآله وسلم بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة ان يتقلت عليه وما يخفى ما في نفسه مما يدعوه الى الجهر (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك كما ينبغي عنه الالتفات الى الحكمة فهو داخل في حيز التنفيس وما بينه ما اعترض واراد للتعليل قال مقاتل ان نهون عليك عمل الجنة وقيل نوفرقت للطريقة التي هي أيسر واسهل وقيل للشرعية اليسرى وهي الحنيفية السهلة السجدة البيضاء التي لبها كنهها وقيل نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به والاولى حل الآية على العموم أي نوفرقت للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه اليك ولهذه النكتة قال نيسرك ولم يقل نيسرك أي لا فائدة لك موفق لها وقال ابن عباس اليسرى للخير وقال ابن مسعود للجنة (فذكر ان نفعت الذكرى) أي عطايا محمد الناس بما أوحينا اليك وأرشدتهم الى سبيل الخير واهداهم الى شرائع الدين قال الحسن بن تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر قال الواحدى ان نفعت أول تنفع لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث مبلغا للاعذار والانداز فعليه التذكري في كل حال تنفع أول ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سرايل تقيمكم الحر قال الجرجاني التذكري واجب وان لم تنفع فامعنى ان نفعت الذكرى أول تنفع وقيل انه مخصوص في قوم باعياهم وقيل ان معنى ما أي فد كرامات الذكرى لان الذكرى نافعة بكل حال وقيل انها بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد جدا وقيل انها بمعنى اذوما قاله الواحدى والجرجاني أولى وقد سبقهما الى القول به النراء والنحاس والزهر اوى قال لرازي قوله ان نفعت الذكرى للتنبية على أنصرف الحالين وهو وجود النفع الذي لا جله شرعت الذكرى والمعلق بان على الشيء لا يلزم ان يكون عدم ما عند عدم ذلك الشيء وبطل عليه آيات منها هذه الآية ومنها قوله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله ولا جناح عليكم

ان يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) يقول تعالى ألم نشرح لك صدرك يعني اننا نشرحنا لك ان صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا كقوله فن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعيا سمعا سهلا لا حرج فيه ولا اصر ولا ضيق وقيل المراد بقوله ألم نشرح لك صدرك شرح صدره ليله الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورد الترمذي ههنا وهذا وان كان واقعا ليله الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدرة ليله الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فانه أعلم قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى القزاز حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب حدثني أبو

محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأل عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة قال - توى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً وقال لقد رأيت يا أبا هريرة أني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو قال - تقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجد لها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فاقبلنا إلى عيشان حتى أخذ كل واحد منهما باعضدي لأجد لآخرهما ما سافقتا لأجدهما ما لصاحبه أضعجه فاضجعا نى بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما (٢٤٩) لصاحبه اقلق صدره فهو ي أحدهما ما إلى صدرى ففلقه فما أرى بالدم ولا

ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فان القصص جازغة لا الخوف وعدمه ومنها قوله فلا جناح عليهم ما ان يراجعا نطنانا يقيما حود الله والمراجعة حائرة بدون هذا الظن فهذا الشرط فيه فوائد منها ما تقدم ومنها البعث على الانتفاع بالذكرك كما يقول الرجل لمن يرشده قد اوضحت لك ان كنت تعقل وهو تنبيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على انها لا تنفعهم الذكري او يكون هذا في تكرير الدعوة فاما الدعاء الاول فهو عام انتهى ثم بين سبحانه الفرق بين من تمنعه الذكري ومن لا تمنعه فقال (سيد ذكر) اى سيعظم بعظمك والسين بمعنى سوف وسوف من الله واجب كقوله سنقرئك فلا تنسى (من يخشى) الله فيزداد بالتدكير خشية وصلاحا (ويتجنبها) اى ويتجنب الذكري ويبعد عنها فلا يقبلها (الاشقى) من الكفار لا صراره على الكفر بالله وانما كفى معاصيه ثم وصف الاشقى فقال (الذى يصلى النار الكبرى) اى العظيمة الفظيعة لانها اشد حرمانا غيرها قال الحسن النار الكبرى نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا وقال الزجاج هي السفلى من أطباق النار وقيل ان فى الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكأن الكافر أشقى العصاة فكذلك يصلى أعظم النيران (ثم لا يموت فيها) فيستريح مما هو فيه من العذاب (ولا يحيى) حياة ينتفع بها ومنه قول الشاعر

والأمال نفس لا تموت فينتقض * عنها ولا تحي حياة لها طم
و ثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة أقطع من صلى النار الكبرى
ولما ذكر تعالى وعيد من أعرض عن النظر في دلائل الله أتبعه بالوعد لصدقه قال (قد أفلح
من تزكى) أي نال الفوز من تطهر من الشر فكأن بالله ووحده وعمل بشرائه قال
عطاء والربيع من كان عمله زكيا كما ميا وقال قتادة تزكى بعمل صالح وقال عطاء و قتادة
وأبو العباس نزلت في صدقة الفطر قال عكرمة كان الرجل يقول أقدم زكاتي بين يدي
صلاتي وأصل الزكاة في اللغة التماء وقيل المراد بالآية زكاة الأموال كلها وقيل المراد
بها زكاة الأعمال لازكاة الأموال لان الأكثر ان يقال في الأموال زكاة لان تزكى قال ابن
عباس من تزكى من قال لا اله الا الله وعن عوف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان
يأمر بزكاة الفطر قبل ان يصلي صلاة العيد وبته لوهذه الآية أخرجه البزار وابن المنذر
وابن أبي حاتم والحاكم في البكني والبيهقي في سننه وابن مردويه وفي لفظ قال سئل النبي

(٣٢ - فتح البيان عاشر) وربك يقول كيف رفعت ذكرك قال الله أعلم قال اذا ذكرت معي وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الاعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الخوضي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي مسألة وددت اني لم أسأله قلت قد كان قبلي أنبياء منهم م من سخرت له الريح ومنهم م من يحيى الموتى قال يا محمد ألم أجدك يتيمًا فكنت بلي يارب قال ألم أجدك ضالًا فهديتك قلت بلي يارب قال ألم أجدك عابثًا فاعتيتك قلت بلي يارب قال ألم أشرح لك صدرك ألم أرفع

للهد كركلت بلي يارب وقال أبو نعيم في دلائل النبوة حدثنا أبو أحمد الفطري حدثنا موسى بن سهل الجوفى حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتي حدثنا نصر بن حاد عن عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغت مما أمرني به من أمر السموات والأرض قلت يارب انه ليكن نبي قبلي الا وقد كرمته فجعلت ابراهيم خليلا وموسى كليما وصخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتي فجعلت لي قال أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله اني لا أذكر الا ذكرت معي وجعلت صدور (٢٥٠) أمتك يقرؤون القرآن ظاهرا ولم أعطها أمة وأعطيتك كنز من كنوز

عرشي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحكي البغوى عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بذلك الاذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت أغر عاياه للنبوة خاتم

من الله من نور يلوح ويشهد وضم الاله اسم النبي الى اسمه اذا قال في الخمس المؤذن أشهد وشي له من اسمه ليحبه فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون رفع الله ذكره في الاولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين ان يؤمنوا به وان يأمروا بهم بالايمان به ثم شهد ذكره في أمته فلا يدكر الله الا ذكر معه وما أحسن ما قال الصرصرى رحمه الله لا يصح الاذان في الفرض الا باسمه العذب في الفم المرضى به وقال أيضا الاثران لا يصح اذنا ولا فرضنا ان لم نكرره فيها وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا أخبر تعالى ان مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن

صلى الله عليه وآله وسلم عن زكاة الفطر فقال قد أفلح من تركي قال هي زكاة الفطر وكثير بن عبد الله ضعيف جدا قال ابو داود وهو ركن من أركان الكذب وقد صحح الترمذي حديثا من طريقه وخطي في ذلك ولكن يشهد له ما أخرجه ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قد أفلح من تركي وذكر اسم ربه فصلى ثم يقسم الفطرة قبل ان يغدو الى المصلى يوم الفطر وليس في هذين الحديثين ما يدل على ان ذلك سبب النزول بل فيه ما انه صلى الله عليه وآله وسلم تلا الآية وقوله هي زكاة الفطر يمكن ان يراد به انها ما يصدق عليه التزكي وقد قدمنا ان السورة مكية ولم يكن في مكة صلاة عيد ولا فطرة وعن أبي سعيد الخدري في الآية قال أعطى صدقة الفطر قبل ان يخرج الى العيد وخرج الى العيد فصلى وعن ابن عمر قال انما أنزلت هذه الآية في اخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد وعن عطاء قال قلت لابن عباس أ رأيت قوله قد أفلح من تركي للفطر قال لم اسمع بذلك ولكن للزكاة كلها ثم عاودته فقال لي والصدقات كلها (وذكر اسم ربه فصلى) قيل المعنى ذكر اسم ربه بالخوف فعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه ببلائه وكبره للافتتاح فصلى أى فاقام الصلوات الخمس وبه يحتاج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطف عليها وهو يقتضى العبارة على ان الافتتاح جائز بكل اسم من أسماء عز وجل فانه النسفى وفيه نظر وقيل ذكر موقفه ومعاذ فعبده وهو كالقول الاول وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير في أول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله أكبر وقيل ذكر اسم ربه في طريق المصلى وقيل هو ان يتطوع بصلاة بعد زكاة وقيل المراد بالصلاة هنا صلاة العيد كما ان المراد بالتزكي في الآية الاولى زكاة الفطر ولا يخفى بعد هذا القول لان السورة مكية ولم تفرض زكاة النطر وصلاة العيد الا بالمدينة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله قد أفلح من تركي قال من شهد ان لا اله الا الله وقطع الابداد وشهد اني رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليهم والاهتمام بعواقبها أنجزه ابن مردويه وقال البزار لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وعن ابن عباس قال من تركي من الشرك وذكر اسم ربه قال وحيد الله فصلى قال الصلوات الخمس (بل تؤثرن الحياة الدنيا) هذا انشراح عن كلام مقدر يدل عليه السياق وينساق اليه الكلام أى انتم لا تفعلون ذلك

فخيلان حدثنا جريد بن حاد بن أبي خوار أبو الجهم حدثنا عاتق بن شريح قال سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وحياه جرفقا والمواجا العسر فدخل هذا الجرفقا اليه حتى يدخل عليه فيخرج به فانزل الله عز وجل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ورواه أبو بكر البزاز في مسنده عن محمد بن معمر عن جريد بن حاد به ولفظه لو جاء العسر حتى يدخل هذا الجرفقا اليه حتى يخرج به ثم قال فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ثم قال البزاز لا نعلم رواه عن أنس الا عاتق بن شريح قلت وقد قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف وليكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن عبد الله بن

مسعود بن قواف قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسر من اثنين وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً مسروراً فرحاً وهو يتخذه وهو يقول لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً وكذا رواه من حديث عوف الاعرابي ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلًا وقال سعيد بن قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بهذه الآية فقال لن يغلب عسر (٢٥١) يسرين ومعنى هذا ان العسر يعرف

في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فعدد واحد قال لن يغلب عسر يسرين يعني قوله فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً فالعسر الاول عين الثاني واليسر تعدد وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثر عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل المعونة من السماء على قدر المؤنة ونزل الصبر على قدر المصيبة ومما يروى عن الشافعي انه قال صبر اجيلاً ما أقرب النرجا من راقب الله في الامور نجاً من صدق الله لم يله اذى

ومن رجاه يكون حيث رجا وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني اذا انتمت على اليأس القلوب وضاق لمابه الصدر الحبيب وأوطأت المسكار واطمأنت وأرست في أمانتها كنها الخطوب ولم تزل انكشاف الضروجهها ولا أغنى بحيلته الارب أنالك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

بل تؤثرن المذات الفانية العاجلة الكائنة في الدنيا على الدار الآخرة الآجلة الباقية فلا تفعلون ما به تفعلون قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب للـ كفار ففقط أو لمطلق الناس ويؤيدها قراءة أبي بل انتم تؤثرن وقرى بالتحسية على الغيبة وعلى هذا يكون الضمير راجعاً للاشقي قبل والمراد بالآية الكفرة والمراد بالآية البشارة للحياة الدنيا هو الرضا بهم والاطمئنان اليها والأعراض عن الآخرة بالكلية وقيل المراد بها جميع الناس من مؤمن وكافر والمراد بالبشارة هو أعم من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من ايثار جانب الدنيا على الآخرة والتوجه الى تحصيل منافعها والاهتمام بها اهتماماً زائداً على اهتمامه بالطاعات وعن عريضة الثقي قال استقرأت ابن مسعود سجع اسم ربك الاعلى فلما بلغ بل تؤثرن الحياة الدنيا ترك القراءة واقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لاننا نزينها ونسأها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل وقال بل يؤثرن الحياة الدنيا بالباء قال عريضة كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت رجلاً لنا طعامها وشرابها ونسأها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيب وزويت عنا فاصبنا العاجل وتركنا الآجل (والآخرة خير واثبت) أي والحال ان الدار الآخرة التي هي الجنة أفضل وأدوم من الدنيا لانها تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك ولان الدنيا لا تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية كذلك ولان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني قال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفتني والآخرة من خرف يبتلى لكان الواجب أن يؤثر خرف يبتلى على ذهب يفتني فكيف والآخرة من ذهب يبتلى والدنيا من خرف يفتني (ان هذا) أي أي ما تقدم من فلاح من تركي وما بعده وقيل انه إشارة الى جميع السورة (لنفي الصفح الاولى) أي ثابت فيها قال النسفي وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لانه جعله مذكوراً في تلك الصفح مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة انتهى قال الخطيب لم يرد تعالى ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصفح بل معناه ان معنى هذا الكلام في تلك الصفح وفيه بعد لان أباحنيقة قد رجع عنه وعليه الاعتماد عند الحنفية وعليه القسوى منهم وقد وصف الله سبحانه القرآن بكونه عربياً فلا يتم هذا الاستدلال (صحف)

وكل الحادثات اذا تناهت * فوصول بها الفرج القريب وقال آخر

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعاً وعند الله منها المخرج كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان بظنها لا تفرج وقوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب أي اذا فرغت من امور الدنيا وأشغالها وقطعت علايقها فانصب الى العبادة وقم اليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته لا صلاة بغير طهور ولا هو يدافعه الا خبتان وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤا بالعشاء قال مجاهد في هذه

الآية اذا فرغت من امر الدنيا فقم الى الصلاة فانصب لربك وفي رواية عنه اذا نمت الى الصلاة فانصب في حاجتك وعن ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وعن ابن عباس في رواية عن ابن مسعود فانصب والى ربك فارغب بعد فراغك من الصلاة وانت جالس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فاذا فرغت فانصب يعني في الدعاء وقال زيد بن أسلم والخمالة فاذا فرغت أي من الجهاد فانصب أي في العبادة والى ربك فارغب قال الثوري اجعل نيةك ورغبتك الى الله عز وجل * (آخر تفسير سورة ألم نشرح والله الحمد والملة (٢٥٢) * (تفسير سورة التين والزيتون وهي مكية) * قال مالك وشعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبي صلى الله

عليه وسلم يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحد الحسن صوتا او قرأة منه اخرجته الجماعة في كتبهم * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد دخلنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين) اختلف المفسرون ههنا على اقوال كثيرة فاقيل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هي نفسها وقيل الجبل الذي عندها وقال القرطبي هو مسجد اصحاب الكهف وروى العوفي عن ابن عباس انه مسجد نوح الذي على الجودي وقال مجاهد هو تينكم هذا والزيتون قال كعب الاحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم هو مسجد بيت المقدس وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذي تعصرون وطور سينين قال كعب الاحبار وغير

ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى قال قتادة وابن زيد يدب قوله ان هذا والآخره خير وابقى وقال قتادة كتب الله عز وجل ان الآخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن قتادة كتب الله عز وجل ان هذا في الصحف الاولى وهو قوله قد افلح الى آخر السورة قرأ الجمهور صحف بضم الحاء في الموضعين وقرأ بسكونها فيهم ما قرأ الجمهور ابراهيم بالالف بعد الراء وبالياء بعد الهاء وقرأ بجذفه ما فتح الهاء وقرأ ابو موسى وابن الزبير ابراهيم بالتين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي كلها في صحف ابراهيم وموسى اخرجته البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه وعنه في الآية قال نسخت هذه السورة من صحف ابراهيم وموسى وفي لفظ هذه السورة في صحف ابراهيم وموسى وعن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب قال مائة كتاب وأربعة كتب الحديث اخرجته عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر

* (سورة الغاشية هي ست وعشرون آية وهي مكية بلا خلاف) *

وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقد تقدم حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ أسبغ اسم ربك الاعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(هل أتاك حديث الغاشية) قال جماعة من المفسرين هل هنا بمعنى قد وبه قال قطرب أي قد جاءك يا محم حديث الغاشية وهي القيامة لانهم اتغشى الخلائق باهوالها وقيل ان بقاء هل على معناها الاستفهام المتضمن للتعجب مما في حيزه والتشويق الى استماعه أولى وقد ذهب الى ان المراد بالغاشية هنا القيامة أكثر المفسرين وقال سعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار كما في قوله وتغشى وجوههم النار وقيل الغاشية أهل النار لانهم يغشونهم او يفتنونهم والاول أولى قال الكلبي المعنى ان لم يكن أتاك حديث الغاشية فقد أتاك قال ابن عباس الغاشية من أسماء القيامة وعنه قال الغاشية الساعة وفي المصباح الغشاء الغطاء ويقال ان الغشى يعطل القوى المحركة والاوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد او برد او جوع مفرط وقيل الغشى هو الانغماء وقيل الانغماء امتلاء بطون الدماغ من بلغم بارد غليظ وقيل الانغماء هو يلحق الانسان منع

واحد هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهذا البلد الامين يعني مكة قاله ابن عباس ومجاهد فتور

وعكرمة والحسن وابراهيم التخي وابن زيد وكعب الاحبار ولا خلاف في ذلك وقال بعض الاثمة هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسل من اولي العزم اصحاب الشرائع الكبار فالاول محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام والثاني طور سينين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران والثالث مكة وهو البلد الامين الذي من دخله كان آمنا وهو الذي ارسل فيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وفي آخر التوراة ذكر هذه الاماكن الثلاثة جاء

الله من طور سيناء يعني الذي كلم الله عليه موسى واشرق من ساعير يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى واستعلن من جبال فاران يعني جبال مكة التي ارسل الله منها محمدا صلى الله عليه وسلم فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا اقسام بالاشرف ثم بالاشرف منه ثم بالاشرف منها وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم هذا هو المقسم عليه وهو انه تعالى خلق الانسان في احسن صورة وشكل منتصب القامة سوى الاعضاء حسنها ثم رددناه اسفل سافلين اي الى النار قاله مجاهد وابو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن (٢٥٢) والنضارة مصيره الى النار ان لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال الذين آمنوا

وعملوا الصالحات وقال بعضهم ثم رددناه اسفل سافلين اي الى اذل العمر وروى هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد الى اذل العمر واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما احسن استثناء المؤمنين من ذلك لان الهرم قد يصيب بعضهم وانما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله فاهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع كما تقدم ثم قال فباي كذبك اي يا ابن آدم بعد بالدين اي بالخزاة في المعاد واتد علمت البدأة وعرفت ان من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الاولى فاي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا قال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال قلت لمجاهد فباي كذبك بعد بالدين عني به النبي صلى الله عليه وسلم قال معاذ الله عني به الانسان وهكذا قال عكرمة وغيره وقوله تعالى اليس الله باحكم

فتمورا الاعضاء لعله وغشيتها أغشاه من باب تعب أي تيهه والاسم الغشيان بالكسر وجلة (وجوه يومئذ خاشعة) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما هو؟ ومستأنفة استئنفا فأنحو بالبيان ما تضمنته من كون ثم وجوه في ذلك اليوم متصفه بهذه الصفات المذكورة ووجوه مر تنفع على الابتداء وان كان نكرة لوقوعه في مقام التفصيل وقد تقدم مثل هذا في سورة القيامة وفي سورة النازعات والتنوين في يومئذ عوض عن المضاف اليه أي يوم غشيان الغاشية والخاشعة الدليلة الخاضعة وكل متضائل ساكن يقال له خاشع يقال خشع الصوت اذا خفي وخشع في صلاته اذا تذل ونكس رأسه والمراد بالوجوه هنا أصعابها قال المحلى عبر بهم عن الذوات في الموضعين أي بالخزعة عن الكل وخص الوجه لانه أشرف أعضاء الانسان ولان الذل يظهر عليه أولادون غيره قال مقاتل يعني الكفار لانهم تكبروا عن عبادة الله قال قتادة وابن زيد خاشعة في النار وقيل أراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص والاول أولى وفي البحر الآية نزلت في القيسيين وعباد الاوثان وفي كل مجتهد في كفر (عاملة) أي انها تعمل عملا شافا قال أهل اللغة يقال للرجل اذا تاب في سيرة عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل بعمل عملاقيل وهذا العمل هو جر السلاسل والاغلال والخوض في النار والصعود والهبوط في تلالها ووهادها (ناصبة) أي تعبئة يقال نصب بالكسر ينصب نصباً اذا نصب والمعنى انها في الآخرة تعبئة لما تلاقيه من عذاب الله وقيل ان قوله عاملة في الدنيا اذا عمل في الآخرة أي تعمل في الدنيا بالكفر والمعاصي وتنصب في ذلك وقيل انها عاملة في الدنيا ناصبة في الآخرة والاول أولى قال قتادة عاملة ناصبة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فاعلمها الله وأنصبها في النار بجر السلاسل الثقيل وحمل الاغلال والوقوف حنأة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب فاعلمها وأنصبها في جهنم قال الكلبي يجرون على وجوههم في جهنم وقال أيضاً يكفون ارتقاء جبل من حديد في جهنم فينصبون فيه أشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والاغلال والخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل قال ابن عباس عاملة ناصبة تعمل وتنصب وعنه قال يعني اليهود والنصارى تخشع ولا يتقها عملها قرأ الجمهور عاملة ناصبة بالرفع فيه ما على انها ما خبر ان آخر ان للمبتدأ وعلى تقدير مبتدأ وهما ما خبر ان له وقرئ

الحاكمين اي أمها واحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم احد ومن عدله ان يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا من ظلمه وقد قدمنا في حديث ابي هريرة مرفوعا فاذا قرأ احكم والتين والزيتون فاي على آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى واناعلى ذلك من الشاهدين * آخر تفسير سورة التين والزيتون ولله الحمد والمنة * تفسير سورة اقرأ وهي أول شيء نزل من القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق الذي علم الانسان ما لم يعلم) قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث

يصلى عند الكعبة لا طأن على **صلى الله عليه وسلم** فقال لئن فعل لا أخذته الملائكة ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني ابن عمرو عن عبد الكريم وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو به وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا النظم من طريق داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام فربه أبو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنمك عن هذا وتوعدته فأغلظ له رسول الله (٢٥٦) صلى الله عليه وسلم وانتهره فقال يا محمد بأي شيء تهدني أم والله اني لا أكثر

هذا الوادي ناديا فانزل الله فليدع ناديه سندع الزبانية وقال ابن عباس لو دعانا ديه لا أخذته الملائكة العذاب من ساعته وقال الترمذي حسن صحيح وقال الامام احمد أيضا حدثنا اسمعيل بن يزيد أبو يزيد حدثنا سافرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رايت رسول الله يصلي عند الكعبة لا أتنبه حتى أطأ على عنقه قال فقال لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو ان اليهود عتوا الموت لمساؤا ووراءا ومقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجحدون ما لا ولا أهلا وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح اخبرنا يونس بن ابى اسحق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لا قتلته فانزل الله عز وجل اقربا هم ربك الذي خلق حتى بلغ هذه الآية انفسع بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية فناء النبي صلى الله عليه وسلم فصلي

لا تسمع فيها كلمة لغو قيل المراد بذلك الكذب والبهتان والكفر قاله قتادة وقال مجاهد أي الشتم وقال الفراء لا تسمع فيها حالفا يخلف بكذب قال السبكي لا تسمع في الجنة حالفا بين برة ولا فاجرة وقال الفراء أيضا لا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة تلعني لانهم لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا أرجح الاقوال لان المنكرة في سياق النفي من صيغ العموم ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص لا بغيره يصح للتخصيص ولا غيبة اما صفة موصوف محذوف أي كلمة لا غيبة أو جماعة لا غيبة أو نفس لا غيبة أو مصدر رأى لا تسمع فيها لغوا قال ابن عباس لا تسمع أذى ولا باطلا (فيها عين جارية) قد تقدم في سورة الانسان ان فيها عيوننا والعين هنا بمعنى العميون كما في قوله علمت نفس ومعنى جرى العين انها تجري مياهها على وجه الارض في غير أخصود تدفق بأنواع الاشربة المستلذة لا ينقطع جريها أبدا قال السبكي لا أدري بماء أو بغيره (فيها سر رمفوعة) أي عالمة مرتفعة السمك أو عالمة القدر أو شريفة الذات قال ابن عباس بعضها فوق بعض (وأكواب موضوعة) قد تقدم ان الاكواب جمع كوب وانه القدح الذي لا عروة له ولا خرطوم أي انها موضوعة بين أيديهم يشربون منها أو معدة لاهلها أو موضوعة على حافات العين الجارية أو موضوعة عن حد الكبرياء هي أو ساط بين الكبر والصغر كقوله قد دروها تقديرا (ونمارق مصفوفة) هي الوسائد قال الواحدى في قول الجميع واحدة غارقة بضم النون وزاد الفراء ما عا عن العرب غارقة بكسر هاء وها لغتان أشهرهما الاولى قال السبكي وسائد مصفوفة بعضها الى بعض ومنه قول الشاعر

كهول وشبان حسان وجوههم * على سر رمفوفة ونمارق

قال في الصحاح النمرق والنمرقة وسادة صغيرة وكذلك النمرقة بالكسر لغة حكاه يعقوب وقال ابن عباس نمارق مجالس وعنه قال مرافق وقيل مساند ومطارح أي بما أراد ان يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى قال الواحدى مصفوفة أي فوق الطنافس (وزرابي مبثوثة) يعني البسط العراض الفاخرة واحدها زربي وزربية قال أبو عبيدة والفراء الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها زربية وفي القاموس الزرابي النمارق والبسط أو كل ما يبسط ويتكأ عليها الواحد زربي بالكسر ويضم والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقال عكرمة بعضها فوق بعض قال الواحدى

ف قيل ما يمنعك قال قد اسود ما بيني وبينه من الكئاب قال ابن عباس والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ويجوز

ينظرون اليه وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا عليم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فقال واللات والعزى لئن رأيت يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولا عفرن وجهه في التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فاجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي يديه قال فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهو لا أجنحة قال فقال رسول الله لو دنا مني لأخطفتني الملائكة عضوا عضوا قال وأنزل الله لأدري في حديث أبي هريرة أم لا كلا ان الانسان ليطغى الى آثر السورة وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم

والنسائي وابن أبي حاتم من حديث معمر بن سليمان به وقوله تعالى كلاً لا تطعه يعني يا محمد فيما ينهك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصل حيث شئت ولا تباله فان الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس واسجدوا اقرب كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزيرة عن سمى عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجداً كثيراً والدعاء وتقدم أيضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في اذا السماء انشقت وافرأ باسم ربك الذي خلق آخر تفسير سورة اقرأ (٢٥٧) ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة ليله القدر وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك)

ماليله القدر ليله القدر خير من

ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها

بإذن ربهم من كل أمر سلام

هي حتى مطلع الفجر) يخبر تعالى

انه أنزل القرآن ليله القدر وهي

الليلة المباركة التي قال الله عز

وجل انا أنزلناه في ليلة مباركة

وهي ليلة القدر وهي من شهر

رمضان كما قال تعالى شهر رمضان

الذي أنزل فيه القرآن قال ابن

عباس وغيره أنزل الله القرآن

جمله واحدة من اللوح المحفوظ الى

بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل

مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث

وعشرين سنة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى

معظمنا شأن ليلة القدر التي

اختصها بانزال القرآن العظيم فيها

فقال وما أدراك ماليله القدر ليله

القدر خير من ألف شهر قال أبو

عيسى الترمذي عند تفسير هذه

الآية حدثنا محمود بن غيلان

ويجوز أن يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وبه قال القتيبي وقال القراء مبشورة كثيرة والظاهر أن معنى البث التفريق مع كثرة ومنه وبث فيها من كل دابة قال القرطبي وغيره وهذا أصح (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر كما في نظائره مما مر غير مرة والجمله مستأنفة مسوقة لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه وكذا ما بعده وقيل الجمله في محل جر على انها بدل اشتمال من الابل والمعنى أي ينكرون أمر البعث ويستبعدون وقوعه أفلا ينظرون الى الابل التي هي غالب مواشيهم وأكثر ما يشاهدونه من المخلوقات كيف خلقت معدولاً عن سنن خلق سائر أنواع الحيوانات على ما هي عليه من الخلق البديع من عظم جنتها ومن يدق قوتها وبديع أوصافها قال أبو عمرو بن العلاء انما خص الابل لانها من ذوات الاربع تبرك فتحمل عليها الحولة وغيرها من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم قال الزجاج نههم على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينجيه وينهضه ويحمل عليه الثقل من الحمل وهو بارك فينهض بثقل حمله وليس ذلك في شيء من الحوامل غيره فأراهم عظيم ما من خلقه ليدل بذلك على توحيده وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دمه والابل من أعز مال العرب وأغنى كل النوى والقت ويخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها وقال المبرد الابل هنا هي القطع العظيمة من الصحاب وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة وروى عن الأصمعي انه قال من قرأ خلقت بالتخفيف عني به البعير ومن قرأ بالتشديد عني به الصحاب قال أبو السعود بآل الابل لكثرة منافعها كأكل لحما وشرب لبنها والحمل عليها والتقل عليها الى البلاد البعيدة وعيشها بأى نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صبي صغيراً ونهوضها وهي باركة بالاحمال الثقيلة وتأثرها بالصوت الحسن مع غلظ اكبادها ولا شيء من الحيوان جمع هذه الاشياء غيرها ولا يكونها أفضل ما عذر العرب جعلوها دابة القتل والابل اسم جمع لا واحد له من لفظه وانما واحده بعير وناقه وجل (والى السماء كيف رفعت) فوق الارض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل وقيل رفعت فلا يناله

(٣٣) - (فتح البيان عاشر) حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال

قام رجل الى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين أو يامسود وجوه المؤمنين فقال لا تؤنبنى رجل الله

فان النبي صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبر فساء ذلك فزلت انا أعطيناك الكوثر يا محمد يعني نهر ابي الجنة ونزلت

انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ماليله القدر خير من ألف شهر عليكها بعد ذلك بنو أمية يا محمد قال القاسم فعدنا فاذا

هي ألف يوم لا يزيد يوم ولا تنقص ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل

وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن والقاسم بن الفضل الحداني هو ثقة وثقه يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي

ويوسف بن سعد رجل مجهول ولا تعرف هذا الحديث على هذا اللفظ الا من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث الحاشي في مستدرکه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذي ان يوسف هذا مجهول فيه نظر فانه قد روي عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخاله الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور وروى رواية عن ابن معين قال هو ثقة ورواه ابن جابر من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن كذا قال وهوذا يقتضي اضطرابا في هذا الحديث والله أعلم ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال شيخنا الامام (٢٥٨) الحافظ الحجة أبو الحجاج المزني هو حديث منكر قلت وقول القاسم بن الفضل

الحديث انه حسب مدة بني أمية فوجدناها ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك حين سلم اليه الحسن بن علي الأميرة سنة أربعين واجتعت البيعة معاوية وسمى ذلك عام الجماعة ثم استمر وافيها متابعين بالشام وغيرها لم يخرج عنهم الأمدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريسا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الأميرة بالكلية بل عن بعض البلاد الى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر فان الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكان القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب والله أعلم ومما يدل على ضعف هذا الحديث انه سبق لدم دولة بني أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فان تفضيل إليه القدر

ثني (والى الجبال كيف نصبت) على وجه الارض مر سارة راسخة لا تميد ولا تميل ولا تزول (والى الارض كيف سطحت) أي بسطت والسطح بسط الشيء يقال لظهر البيت اذا كان مستويا سطحه قرأ الجمهور ميمنا للمفعول مخنفا وقرأ الحسن مشددا وقرأ علي بن أبي طالب وغيره خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وضم التاء فيها كلها قال المحلى قوله سطحت ظاهري في أن الارض سطح وعليه علماء الشرع لا كراهة لأهل الهيئة وان لم ينقض ركنا من أركان الشرع قال الكرخي هي كرة بطبعها وحقيقتها الكون الله أخرجهما عن طبعها بنصف له وكرمه بتسطيح بعضها لا قامة الحيوانات عليها فأخرجها عما يقتضيه طبعها انتهى وفي التكميل للشيخ رفيع الدين ابن ولي الله الدهلوي رحمه الله أهل الشرائع يفهمون من مثل قوله تعالى الارض فراشا ودحاها ووسطها سطحت أنهم اسطح مستووا والحكام يثبتون كرويتها بالدلالة الصحيحة فيستوهم الخلاف ويدفع بأن القدر المحسوس منها في كل بقعة سطح مستو فان الدائرة كلما عظمت قل انجذاب اجزائها فاستوؤها باعتبار محسوسة اجزائها وكرويتها باعتبار معقولة بجلتها انتهى ثم لما ذكر تعالى دليل توحيده ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه وأمره بأن يذكرهم فقال (فذكر) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فغظهم بما محمد وخوفهم ثم علل الأمر بالتذكير فقال (انما أنت مذكر) أي ليس عليك الا ذلك (لست عليهم عصية مطر) حتى تذكرهم على الايمان ومصير بالصاد والسين المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله كذا في الصحاح قال ابن عباس أي بجبار وعنه قال ثم نسخ ذلك فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (الامن تولى وكفر) استثناء منقطع من الهاء في عليهم أي لكن من تولى عن الوعظ والتذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو عذاب جهنم الدائم وقيل هو استثناء متصل من قوله فذكر أي فذكر كل أحد الا من انقطع طمعه عن ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر والاول اولى وانما قال الاكبر لانهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقطع والقتل والاسر وقرأ ابن مسعود فانه يعذبه الله وقرأ ابن عباس وقتادة الا من تولى على أنها الا التي للتنبيه والاستفتاح (ان النباياهم) أي رجوعهم بعد الموت بالبعث لا الى أحد سوانا لاستقلال ولا اشتراكا وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان اياهم ليس الا الى الجبار المنتد على الانتقام قال ابن عباس أي مرجعهم يقال آب يؤب اذا رجع قرأ

الجمهور

على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فان ليلة القدر شريفة جدا والسورة الكريمة انما جاءت لمداخلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا الا كما قال القائل

ألم تر أن السيف ينقص قدره * اذا قيل ان السيف أمضى من العصا

وقال آخر اذا أنت فضلت أمر اذابراعة * على ناقص كان المديح من النقص ثم الذي يفهم من الآية أن الألف المذكورة في الآية هي أيام بني أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها اللفظ الآية

ولامعناها والمنبر انما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارتها والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا مسلم يعني بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال ففجّب المسلمون من ذلك قال فأنزل الله عز وجل أنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر وقال ابن جرير حدثنا ابن جهم حدثنا حكام بن مسلم عن المثني بن الصباح عن مجاهد قال كان في بني (٢٥٩) إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم

يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ففعل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الآية ليلة القدر خير من ألف شهر قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثني مسلمة بن علي عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وذكر ياقوت بن عيسى عن ابن أبي حاتم عن ابن نون قال ففجّب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد عجت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فقد أنزل الله خيراً من ذلك فقرأ عليه أنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر هذا أفضل مما عجت أمتك وأنت وأمتك قال فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه وقال سفیان الثوري بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير

الجمهور أيابهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال أبو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لحاز مثله في الصيام والقيام وقيل هما الغتان بمعنى قال الواحدى وأما أيابهم بتشديد الياء فإنه شاذ لم يجزء أحد غير الزجاج (ثم إن علياً حسابه) يعني جزاءهم بعد رجوعهم إلى باب البعث في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان لبعده منزلة الحساب في الشدة عن منزلة الأياب وعلى لنا كيد الوعيد لا للوجوب إذ لا يجب على الله شيء وجمع الضمير في أيابهم وحسابهم باعتبار معنى من كما أن أفراداً في عذبه باعتبار لفظها وفي تصدير الجملة بيان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الأولى بكلمة ثم المفيدة لبعده منزلة الحساب في الشدة من الأبناء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى

* (سورة الفجر هي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون) *

وهي مكية بخلاف قول الجمهور قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله ومكية في قول علي بن أبي طلحة أخرجه النسائي عن جابر قال صلى معاذ صلاة فاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذاً فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله جئت أصلى معه فطول على فأنصرفت فصليت في ناحية المسجد فعلفت ناضحاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفئسان أنت يامعاذين أنت من سبع اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والفجر والليل إذا يغشى * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والفجر) أقسم سبحانه بهذه الأشياء كما أقسم بغيرها من مخلوقاته واختلف في الفجر الذي أقسم الله به عناف قيل هو الوقت المعروف وسمى فجر لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي وابن الزبير وقال قتادة أنه فجر أول يوم من شهر محرم لأن منه تنفجر السنة وقال مجاهد يري يوم النحر وقال الضحاك فجر ذي الحجة لأن الله قرن الأيام به فقال (وليل) عشر أي ليلتي عشر من ذي الحجة وبه قال السدي والكلبى وقيل المعنى وصلاة الفجر أو ورب الفجر والاول أولى وقال ابن عباس فجر النهار وعنه قال يعنى صلاة الفجر وعنه قال هو المحرم فجر السنة وقد ورد في فضل صوم شهر محرم أحاديث صحيحة ولكنها لا تدل على أنه المراد بالآية لا مطابقة ولا تضمناً ولا التزاماً وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله أن ربك لبالمصاد قاله ابن الأبارى وقيل محذوف للدلالة السياق عليه أي ليجازين كل أحد

من ألف شهر رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريح عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر وهكذا قال قتادة بن دعامة والسافعي وغير واحد وقال عمرو بن قيس الملائي عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بانها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهو اختيار ابن جرير وهو الصواب لا ما عساه وهو كقول صلى الله عليه وسلم رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل رواه أحمد وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك وقال

الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ورواه النسائي من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله تعالى تنزل الملائكة (٢٦٠) والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر أي يكثر تنزل الملائكة في هذه

الليلة لكثرة بركاتها والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظياله وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة التبا والله أعلم وقوله تعالى من كل أمر قال مجاهد سلام هي من كل أمر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الأعمش عن مجاهد في قوله سلام هي قال هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تقضى فيها الأور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقوله تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي اسحق عن الشعبي في قوله تعالى من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر قال تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر وروى

بما عمل أوليها عذب وقدره أبو حيان بمادلت عليه خاتمة السورة التي قبله أي والفجر الخ لا يابهم اليانوح حسابهم علينا وهذا ضعيف جداً وأضعف منه قول من قال إن الجواب قوله هل في ذلك قسم لذى جبروان هل بمعنى قد لان هذا لا يصح أن يكون مقسم عليه أبداً وليل عشر هي عشر ذي الحجة في قول جمهور المفسرين وإنما كرت ولم تعرف لفضلتها على غيرها لأنها أفضل ليالي السنة ولوعرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير فنكرت من بين ما أقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها وقال الضحاك إنها العشر الاواخر من رمضان وقيل العشر الاول من المحرم إلى عاشرها يوم عاشوراء قرأ الجمهور ليال بالثنتين وعشر صفة لها وقرأ ابن عباس بالاضافة قيل والمراد ليالي أيام عشر وكان حقه على هذا أن يقال عشرة لأن المعدود مذكر وأجيب عنه بأنه إذا حذف المعدود جاز الوجهان وعن جابر مرفوعاً هي ليالي العشر من ذي الحجة أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن طلحة بن عبد الله أنه دخل على ابن عمر وهو وأبوسلمة بن عبد الرحمن فدعاهم ابن عمر إلى الغداء يوم عرفة فقال أبوسلمة أليس هذه الليالي العشر التي ذكرها الله تعالى في القرآن فقال ابن عمر وما يدريك قال ما أشك قال بلى فاشكك وقد ورد في فضل هذه العشر أحاديث وليس فيها ما يدل على أنها المرادة بما في القرآن ههنا بوجه من الوجوه قال ابن عباس هي العشر الاواخر من رمضان (والشفع والوتر) هما يعمان الاشياء كلها شفعها ووترها كالكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسما والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانسان وقيل شفع الليالي ووترها وقال قتادة الشفع والوتر شفع الصلاة ووترها منها شفع ومنها ووتر وقيل الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وعطية العوفي الشفع الخلق والوتر الله الواحد الصمد وبه قال محمد بن سيرين ومسروق وأبوصالح وقتادة وقال الربيع بن أنس وأبو العالبيه هي صلاة المغرب فيها ركعتان الوتر الركعة وقال الضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وبه قال عطاء وقيل هما آدم وحواء لأن آدم كان وترافشع بجواء وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثمان والوتر دركات النار وهي سبع وبه قال الحسين بن الفضل وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي ليلته بعده وهو يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة الوتر

ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر وروى البيهقي في كتابه فضائل الاوقات هو عن علي أثره غريباً في نزول الملائكة ومروهم على المصلين ليلة القدر وحصول البركة للمصلين وروى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار أثره غريباً بما طولا جذا في تنزل الملائكة من سدة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام إلى الارض ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات وقال أبوداود الطيالسي حدثنا عمران بن عيسى القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر انزاله سابعة أو ثمانية وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الارض أكثر من عدد الحصى وقال الأعمش

عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله من كل أمر سلام قال لا يحدث فيها أمر وقال قتادة وابن زيد في قوله سلام هي يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر ويؤيد هذا المعنى ما رواه الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن استغاث حسبتن فان الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خمسة أو ثالثة أو آخر ليلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمانة ليلة القدر انما صافية بالحة كأن فيها قرا ساطعا (٢٦١) ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل

ليكون كبريحي به حتى يصبح وان أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ وهذا اسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض ألفاظه نكارة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر ليلة سمعة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء وروى ابن أبي عاصم النبيل باسناده عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني رأيت ليلة القدر فأنسيتها وهي في العشر الاواخر من لياليها وهي ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة كان فيها قرا لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها * (فصل) * اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الامم السالفة أو هي من خصائص هذه الآية على قولين قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو الله سبحانه وهو الشفع أيضا لقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان العدد لا يخلو عنهما وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع حج القران والوتر الافراد وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وأنثى والوتر الجماد وقيل الشفع ماسي والوتر مالم يسم ولا يخلو ما في غالب هذه الاقوال من السقوط البين والضعف الظاهر والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخطر الخطأ والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير اليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب وهمام معروفان واخكان فالشفع عند العرب الزوج والوتر الفرد فالمراد بالآية امان نفس العدد أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر واذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في نفسه ير هذه الآية فان كان الدليل يدل على انه المراد نفسه دون غيره فذلك وان كان الدليل يدل على انه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعا من تناوله غيره عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هو الصلاة بعضهم شفع وبعضها وتر أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وفي اسناده رجل مجهول وهو الراوي له عن عمران وقد روى عن عمران بن عاصم عن عمران ابن حصين باسقاطه الرجل المجهول وقال الترمذي في الرواية الاولى غريب لا نعرفه الا من حديث قتادة قال ابن كثير وعندي أن وقفه على عمران أشبه والله تعالى أعلم قال ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الاقوال في الشفع والوتر وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير هذا الحديث موقوفا على عمران فهذه ايقوى ما قاله ابن كثير وعن جابر مرفوعا أن العشر الاخر الاصحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر أخرجه أحمد والنسائي والبخاري والحاكم وصححه وغيرهم وعن ابن عباس قال كل شيء شفع فهو اثنان والوتر واحد وعن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الشفع والوتر فقال يومان وليله يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة النحر ليلة تجمع أخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث أخرجه ابن جرير وعن ابن الزبير قال الشفع قول الله فن تجل في يومين فلاثم عليه والوتر اليوم الثالث وفي لفظ الوتر أو وسط أيام التشريق وعن ابن عباس قال الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة قرأ الجمهور والوتر بفتح الواو وقرأ جزء والكسائي وخلف بكسرهما

وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكانت تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خسر من ألف شهر وقد أسند من وجه آخر وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الامة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء قاله أعلم وحكى الخطابي عليه الاجماع والذي دل عليه الحديث انها كانت في الامم الماضية كما هي في أمتنا قال الامام أحمد بن حنبل حديثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل سمال الحنفي حدثني مالك بن مرثد بن عبد الله حدثني مرثد قال سألت أبا ذرقلت كيف سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة

القدر قال أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر في رمضان هي أو في غيره قال بل هي في رمضان قلت تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة قال بل هي إلى يوم القيامة قلت في أي رمضان هي قال التسوها في العشر الأول والعشر الآخر ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث ثم اهتبلت غفاته قلت في أي العشرين هي قال ابتغوها في العشر الآخر لا تسألني عن شيء بعدها ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهتبلت غفاته فقلت يا رسول الله أقسمت عليك بحق عليك لما (٢٦٢) أخبرني في أي العشر هي فغضب على غضب ما يغضب مثله منذ صحبتته وقال

التسوها في السبع الآخر لا تسألني عن شيء بعدها ورواد النسائي عن الفلاس عن يحيى بن سعد القطان به ففيه دلالة على ما ذكرناه وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلمة على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعده من قوله عليه السلام فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم لأن المراد رفع علم وقتها عيننا وفيه دلالة على أن ليلة القدر يقتصر وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان حدثنا حميد بن زنجويه النسائي أخبرنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن أبي جعفر بن أبي كثير حدثني موسى بن عتبة عن أبي اسحق عن سعيد بن جبيرة عن عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله صلى

وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه وهما الغتان والفتح لغة قريش وأهل الحجاز والكسر لغة تميم قال الأصمعي كل فرد وتر وأهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في الفرد وحكي يونس عن ابن كثير أنه قرأ بفتح الواو وكسر التاء فيجتمل أن يكون لغة ثالثة ويحتمل أنه نقل كسرة الراء إلى التاء اجراء للوصل مجرى الوقف (والليل إذا يسر) قرأ الجمهور يسر بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ نافع وأبو عمرو وجمد في الوقف وثباتها في الوصل وقرأ ابن كثير وابن محيصن ويعقوب بثباتها فيهما قال الخليل تسقط الياء منها موافقة لرؤس الآي قال الزجاج والحذف أحب إلى لأنها فاصلة والقواصل تحذف منها ما أت قال الفراء قد تحذف العرب الياء وتكتفي بكسر ما قبلها قال المؤرج سألت الأخفش عن العلة في إسقاط الياء من يسرى فقال لا أجيبك حتى تبيت على باب دارى سنة فبت على باب داره سنة فقال الليل لا يسرى وانما يسرى فيه فهو مصروف عن جهته وكل ما صرفته عن جهته بخسسته من اعرابه ألا ترى إلى قوله وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لأنه صرفها عن باغية وفي كلام الأخفش هذا انظر فإن صرف الشيء عن معناه بسبب من الأسباب لا يستلزم صرف لفظه عن بعض ما يستحقه ولو صح ذلك للزم في كل المجازات العقلية واللفظية واللازم باطل فاللزوم مثله والاصل ههنا اثبات الياء لأنها لام الفعل المضارع المرفوع ولم تحذف لعله من العلة الاتباع رسم المصحف وموافقة رؤس الآي اجراء للقواصل مجرى القوافي ومعنى والليل إذا يسر إذا مضى كقوله والليل إذا دبر والليل إذا عسعس وقيل معنى يسر يسار فيه كما يقال ليل نائم ونهار ضائم وبهذا قال الأخفش والقتبي وغيرهما من أهل المعاني وعلى هذا نسبة السرى إلى الليل مجاز والمراد يسرى فيه فهو مجاز في الاسناد باسناد ما للشيء للزمان كما يستدل للمكان والظاهر أنه مجاز مرسل أو استعارة وبالأول قال جمهور المفسرين وقال قتادة وأبو العالمة والليل إذا يسر أي جاء وأقبل وقال النخعي أي استوى قال عكرمة وقتادة والكلبي ومحمد بن كعب هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها طاعة الله سبحانه وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب والراجح عدم تخصيص ليلة من الليالي دون أخرى قال ابن عباس إذا يسر إذا ذهب ويسر مأخوذ من السرى وهو خاص بيسر الليل يقال سرى الليل وسرى به وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيها لها

الله عليه وسلم وأنا سمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وهذا اسناد رجاله ثقات إلا أن أبوداود قال رواه بالاجسام شعبة وسفيان عن أبي اسحق فأوقفاه وقد حكى عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاها الغزالي واستغربه الرافي جدا* (فصل)* ثم قد قيل أنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان يحكى هذا عن أبي رزين وقيل أنها تقع ليلة سبع عشرة وروى فيه أبوداود حديثا هر فوعا عن ابن مسعود وروى موقفا عليه وعلى زيد بن أرقم وعثمان بن أبي العاص وهو قول عن محمد بن ادريس الشافعي ويحكى عن الحسن البصري ووجهه بانها ليلة بدرو كانت ليلة الجمعة هي السابعة عشر من شهر رمضان وفي

صبيحتها ووقعه بدرو هو اليوم الذي قال الله تعالى فيه يوم الفرقان وقيل ليلة تسع عشرة يحكي عن علي وابن مسعود أي صار ضي الله عنهما وقيل ليلة إحدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال إن الذي تطلب أمامك فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه فأتاه جبريل وقال الذي تطلب أمامك ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال من كان اعتكف معي فليرجع فإني رأيت ليلة القدر واني أنسيتها وانها في العشر الاواخر في وترواني رأيت ككأن (٢٦٣) أسجد في طين وماء وكان سقف المسجد جريدا

من النخل وما نرى في السماء شيئا فجاءت قزعة نظرنا فصرخنا يا أيها النبي صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق رؤياه وفي لفظ في صبح إحدى وعشرين أخرجاه في الصحيحين قال الشافعي وهذا الحديث أصح الروايات وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد قاله أعلم وقيل ليلة أربع وعشرين قال أبو داود والطحاوي حدثنا جابر بن سلمة عن الجريري عن أي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة أربع وعشرين أسناد رجاله ثقات وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصنابحي عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر ليلة أربع وعشرين ابن لهيعة ضعيف وقد خالفه ما رواه البخاري عن أبي بصير عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي

بالاجسام مجازا واتساعا نحو طاف الخيال وذهب الهم وأخذ الكسل والنشاط وقول الفقهاء سري الجرح الى النفس معناه دام ألمه حتى حدث منه الموت وقطع كفه فسرى الى ساعده أي تعدى أثر الجرح وسرى التعريم وسرى العتق بمعنى التعدي وهذه الالفاظ جارية على السنة الفقهاء وليس لها ذكر في الكتب المشهورة لكنها موافقة لما تقدم قال الفارابي سري فيه السم والجرح وهما وقال السرقسطي سري عرق السوم من الانسان وقال ابن القطاع سري عليه الهم أتاه ليل أو سري همه ذهب (هل في ذلك قسم) هذا الاستفهام لتقرير تعظيم ما أقسم الله سبحانه به وتفخيمه من هذه الامور المذكورة والاشارة بقوله ذلك الى تلك الامور والتذكير بتأويل المذكور أي هل في ذلك المذكور من الامور التي أقسمنا بها قسم أي مقنع ومكتفى في القسم أو مقسم به حقيق بأن يؤكده الاخبار وإياها كان فافيه من معنى البعد لا يذان بعلاوة المشارة به وبعد منزلته في الفضل والشرف (لذي حجر) أي عقل ولب فن كان ذا عقل ولب علم أن ما أقسم الله به من هذه الاشياء حقيق بأن يقسم به ومثل هذا قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الحسن لذي حجر أي لذي حلم وقال أبو مالك لذي ستر من الناس وقال الجمهور الجرح العقل قال الفراء الكل يرجع الى معنى واحد لذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل وأصل الجرح المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذي حجر ومنه سمي الجرح لا متناعه بصلا به ومنه حجر الحاسم على فلان أي منعه قال والعرب تقول انه لذي حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها قال ابن عباس لذي حجر لذي حجر وعقل ونهى ثم ذكر سبحانه على طريق الاستشهاد ما وقع من عذابه على بعض طوائف الكفار بسبب كفرهم وعنادهم وتكذيبهم للرسول تحذير للسكفار في عصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وتخويفهم أن يصيبهم ما أصابهم فقال (ألم تتركب فعل ربك بعدا) أي ألم تعلم يا محمد علما يوازي العيان في الايقان وهو استفهام تقرير قرأ الجمهور بتنوين عاد على أن يكون قوله (ارم ذات العماد) عطف بيان لعاد والمراد بعدا اسم أيهم وارم اسم القبيلة أو بدلا منه وامتناع صرف ارم للتعريف والتأنيث وقيل المراد بعدا واولاد عاد وهم عاد الاولى ويقال لمن بعدهم عاد الاخرى فيكون ذكر ارم على طريقة عطف البيان أو البديل للدلالة على انهم عاد الاولى لاعاد الاخرى ولا بد من تقدير مضاف على كلا القولين أي أهل ارم أو سبط ارم

حبيب عن أبي الخير عن أبي عبد الله الصنابحي قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها اول السبع من العشر الاواخر فهذا الموقف أصح والله أعلم وهكذا روى عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتادة وعبد الله بن وهب انها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم في سورة البقرة حديث واثله بن الاسقع مرفوعا ان القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى فسر كثيرون بلبالي الاوتار وهو أظهر وأشهر ووجه آخرون على الاشفاق كما رواه مسلم

عن أبي سعيد أنه جله على ذلك والله أعلم وقيل أنها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين قال الإمام أحمد حدثنا سفيان سمعت عبدة وعاصم عن زرر عن أبي بن كعب قلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول من يقيم الحول يصب ليلة القدر قال يرجه الله لقد علم أنها في شهر رمضان وأنهم ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها نطلع ذلك اليوم لاشعاع لها يعني الشمس وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة (٢٦٤) وشعبة والأوزاعي عن عبدة عن زرر عن أبي فذكره وفيه فقال والله الذي لا اله

الا هو أنها في رمضان يخلف ما يستثنى والله اني لا أعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هي ليلة سبع وعشرين وأما ما رآنا أن تطلع الشمس في صبيحتها بيضاء لاشعاع لها وفي الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا وقد حكى عن بعض السلف انه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله هي لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة فالتة أعلم وقد قال الخافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا اسحق بن ابراهيم الديري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم انهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس دعا عر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر فاجعوا انها في العشر الاواخر قال ابن

فان ارم هو جد عاد لانه عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقرأ الحسن وأبو العالبيه باضافة عاد الى ارم وقرأ الجمهور ارم بكسر الهمزة وفتح الزاء والميم وقرئ (١) بفتح الهمزة والراء وقرأ معاذ بكسر الراء وتخفيفه وقرئ باضافة ارم الى ذات العمداد وقال مجاهد من قرأ بفتح الهمزة شبههم بالارم التي هي الاعلام واحدها ارم وفي الكلام تقديم وتأخير أي والفجر وكذا وكذا ان ربك لبالمرصاد لم ترأي ألم ينته علمك الى ما فعل ربك بعدا وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أول كل من يصلح له وقد كان امر عاد وثمود مشهورا عند العرب لان ديارهم متصل بديار العرب وكانوا يسمعون من أهل الكتاب امر فرعون وقال مجاهد أيضا ارم أمة من الامم وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هي ارم قال معمر ارم اليه مجتمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم وعاد وثمود وكانت القبيلتان تنسب الى ارم قال أبو عبدة هما عادان فالاولى ارم ومعنى ذات العمداد ذات القوة والشدة مأخوذ من قوة الاعمدة كذا قال الضحاك وقال قتادة ومجاهد انهم كانوا اهل عمد سيطرة في الربيع فاذا هاج النبات رجعوا الى منازلهم وقال مقاتل ذات العمداد يعني طولهم وكان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعا يقال رجل طويل العمداد أي القامة قال أبو عبدة ذات العمداد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا وقال مجاهد وقتادة أيضا كان عمد القومهم يقال فلان عمد القوم وعمودهم أي سيدهم وقال ابن زيد ذات العمداد يعني احكام البنيان بالعمد قال في الصحاح والعماد الانبئة الرفيعة تذكروا ثوث وقال عكرمة وسعيد المقبري هي دمشق وعن مالك مثله وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية قال ابن عباس يعني بالارم الهالك الا ترى انك تقول ارم بنو فلان وذات العمداد يعني طولهم مثل العمداد وعن المقدم بن معديكرب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر ارم ذات العمداد فقال كان الرجل منهم يأتي الى الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على أي حتى أراد فيهلكهم أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه في اسنادهما رجل مجهول لان معاوية بن صالح رواه عن حدثه عن المقدم (التي لم يخلق مثلها في البلاد) هذه صفة لعاد أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة أو صفة للقرية على قول من قال ان ارم اسم لقريتهم أو للارض التي كانوا فيها والاول اولى ويدل عليه قراءة أبي بن كعب التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل الارم الهالك قال

عباس فقلت لعمر اني لا أعلم أو اني لا ظن أي ليلة القدر هي فقال عمر أي ليلة هي فقلت سابعة تضي أو سابعة تبقى الضحاك من العشر الاواخر فقال عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أراضين وسبعة أيام وان الشهر يدور على سبع وخلق الانسان من سبع ويا كل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع لاشيأ ذكرها فقال عمر لقد فطنت لامر ما فطنه له وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله ويا كل من سبع قال هو قول الله تعالى فأنبتنا فيها حنبل وغنبا الآية وهذا اسناد جيد قوي ومتن غريب جدا فالتة أعلم وقيل أنها تكون في ليلة تسع وعشرين قال الامام أحمد بن حنبل (١) هذه قراءة الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله عن عمر بن عبد الرحمن عن عباد بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فالتسوية في العشر الاواخر فانها في وتر احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود والطيب السبي حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر انها في ليلة سابعة أو ثمانية وعشرين (٢٦٥) وان الملائكة تلك الليلة في الارض اكثر من

عدد الحصى تغربه أجد واسناده لا بأس به وقيل انها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث أنفوا لما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تسع بيقين أو سبع بيقين أو خمس بيقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التسوية ليلة القدر وقال الترمذي حسن صحيح وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها آخر ليلة (فصل) قال الشافعي في هذه الروايات صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم جوابا للسائل اذ قيل له أن التسوية ليلة القدر في الليلة القليلة يقول نعم وانما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل نقله الترمذي عنه بمعناه وروى عن أبي قلابه انه قال ليلة القدر تنتقل في العشر الاواخر وهذا الذي حكاه عن أبي قلابه نص عليه مالك والثوري وأحمد ابن حنبل واسحق بن راهويه وأبو ثور والمزني وأبو بكر بن خزيمة

الضحاك أرم ذات العمد أي أهلكهم فجعلهم رميما وبه قال شهر بن حوشب وقد ذكر جماعة من المفسرين ان ارم ذات العمد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وان حصباها جواهر وترابها مسك وليس بها أنيس ولا فير اساكين من بني آدم وانها لا تزال تنتقل من موضع الى موضع تارة تكون باليمن وتارة تكون بالشام وتارة تكون بالعراق وتارة تكون بسائر البلاد وهذا كذب بحت لا ينفع على من له أدنى تميز وزاد الثعلبي في تفسيره فقال ان عبد الله بن قلابه في زمان معاوية دخل هذه المدينة وهذه كذب على كذب واقترأ على اقترأ وقد أصيب الاسلام وأهله بدهية وفاقرة عظيمة ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب تارة على بني اسرائيل وتارة على الانبياء وتارة على الصالحين وتارة على رب العالمين وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز فادخلوا هذه الخرافات المختلقة والافاصيص المنحولة والاساطير المقتولة في تفسير كتاب الله سبحانه فخرقوا وغيروا وبدلوا ومن أراد ان يقف على بعض ما ذكرنا فليستظر في كتاب الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعية للشوكاني قال الحافظ بن كثير لا تعتبر بما ذكر جماعة من المفسرين من ذكر مدينة يقال لها ارم ذات العمد فان ذلك كله من خرافات الاسرائيليين من وضع الزنادقة منهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس فهذا واما من ادعى انهم لا حقيقة له وأما قوله تعالى فالمراد من الآية انما هو الاخبار عن هلاك القبيلة المسماة بعاد الذين ارسل الله فيهم هودا فكذبوه فاهلكهم الله وارم عطف بيان لعاد أو بدل منه للاعلام بانهم عاد الاولى فسموا باسم جددهم ارم كما يقال لبني هاشم هاشم لان عاد هوابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل ارم اسم بلدتهم وأرضهم فالتقدير بعاد أهل ارم كقوله تعالى واسأل القرية أي أهلها وذات العمد ان كان صفة للقبيلة فعننا انها أصحاب خيام لها أعمدة يطعنون بها وهو كناية عن طول أجسامهم وتشبيهها بالاعمد وان كان صفة للبلدة فعننا انها ذات عمد من الحجارة وتعقب هذا القول بأنه لو كان ذلك مراد القائل التي لم يعمل مثلها في البلاد وانما قال لم يخلق فالقول الاول هو الصواب انتهى وبه قال شيخ الاسلام نجم الدين محمد الغيطي رحمه الله تعالى قال عبد الرحمن بن مخلدون في كتاب العبر بعد ذكر اغلاط المؤرخين وأبعد

(٣٤ - فتح البيان عاشر) وغيرهم وهو محكي عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الاشبه والله أعلم وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمران رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحريها في السبع الاواخر وفيهما ايضا عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان ولنظرة للحجاري ويحجج الشافعي انه لا تنتقل وانما معنيتها من الشهر عاروا الحضاري في صححه عن عباد بن الصامت قال

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بلبلة القدر فتلاحي رجلان من المسلمين فقال خرجت لآخبركم بلبلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خبر الكرم فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعمين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة أذلو كانت تفتقل لما علوا تعيينها الا ذلك العام فقط اللهم الا أن يقال انه انما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط وقوله فتلاحي فلان وفلان فرفعت فيه استئناس لما يقال ان الممارسة تقطع الفائدة والعلم النافع وكما جاء في الحديث ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (٢٦٦) وقوله فرفعت أي رفع علم تعيينها لكم لانها رفعت بالكلية من الوجود كما

يقوله جهلة الشيعة لانه قد قال بعد هذا فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة وقوله وعسى أن يكون خيرا لكم يعني عدم تعيينها لكم فانها اذا كانت مبهممة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة بخلاف ما اذا علما وعينها فانها كانت الهمم تنقاصر على قيامها فقط وانما اقتضت الحكمة ابهامها التعم العبادات جميع الشهر في ابتغائها ويكون الاجتهاد في العشر الاخير أكثر ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده أخرجه من حديث عائشة ولها ما عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر أخرجه ولمسلم عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها

من ذلك وأغرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة النجم في قوله تعالى ارم ذات العماد فيجعلون لفظه ارم اسم المدينة وصفت بانها ذات عماد أي أساطين وهي كذا وكذا ذكر ذلك الطبري والشعالي والبخاري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها الخ وهـ هذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الارض وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا بالادلاء تقص طرقه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درس من الآثار لكان أشبهه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر من اعم كلها أشبه بالخرافات والذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظة ذات العماد انها صفة ارم وحولوا العماد على الاساطين فتعين أن يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبهه بالا فاصيص الموضوعات التي هي أقرب الى الكذب المنقولة في عداد المضحكات والافعال ماد هي عماد الاخسية بل الخيام وان أراد بها الاساطين فلا بدع وصفهم بانهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لانه بناء خاص في مدينة معينة كما تقول قريش كنانة والباس مضر وربيعة زرار وأي ضرورة الى هذا الحمل البعيد الذي تجعل لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله تعالى عن مثلها البعدها عن الصحة انتهى كلامه ثم عطف سبحانه القليلة الآخرة وهي عود على قبيلة عاد فقال (وعود) هم قوم صالح سمو باسم جددهم عود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح قرأ الجمهور عود جمع الصرف عنى انه اسم للقبيلة ففيه التأنيث والتعريف وقرأ يحيى بن وثاب بالصرف على انه اسم لا يهـم (الذين جابوا الصخر) أي قطعوه وقال ابن عباس خرقوه والجوب القطع ومنه جاب البلاد اذا قطعها ومنه سمي جيب القميص لانه جيب أي قطع قال المفسرون أول من نحت الجبال والصخور عود فبنوا من المداين ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ومنه قوله سبحانه وتختون من الجبال بيوتا آمين وكلوا ينحتون الجبال وينقبونها ويجعلون تلك الانقباب بيوتا يسكنون فيها وقوله (بالواد) متعلق بجابوا

وهذا معنى قولها وشد المئزر وقبل المراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الامر من المارواه أو

الامام أحمد حدثنا شيخ حدثنا يوم عشرين عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بقي عشر من رمضان شد مئزره واعتزل نساءه انشرب به أحمدا وقد حكى عن مالك رحمه الله ان جميع امالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأيت في شرح الرافعي رحمه الله والمـ تحب الاكثر من الدعاء في جميع الاوقات وفي شهر رمضان أكثر وفي العشر الاخير منه ثم في آخره أكثر والمستحب ان يكثروا هذا الدعاء اللهم انك عفوت عني فاعف

عني لما رواه الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الجريري وهو سعيد بن اياس عن عبد الله بن بريدة ان عائشة قالت يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر فادعوا لى الله تعالى انك عفو غاف عني وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق كهيم بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ارايت ان علمت اى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال قولى اللهم انك عفو غاف عني وهذا القدر الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ورواه النسائي أيضا من طريق (٢٦٧) سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قلت

يا رسول الله ارايت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولى اللهم انك عفو غاف عني (ذكر أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر) رواه الامام أبو محمد بن أبي حاتم عند نفسه سير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا سيار بن أبي حاتم حدثنا موسى بن سعيد يعني الراسي عن هلال بن أبي جبلة عن أبي عبد السلام عن أبيه عن كعب انه قال ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هوا الدنيا وهوا الآخرة علوها في الجنة وعروقها واغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على اغصانها في كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها فينادى الله جبريل ان ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون السدرة المنتهى وليس فيهم ملك الا قد أعطى الرأفة

أو يعذوف على انه حال من الصخر وهو وادى القرى وهو موضع بقرب المدينة من جهة الشام وقيل الوادى بين جبال وكانوا يقيمون في تلك الجبال يوتون ودورا وأحواضا وكل منفرج بين جبال أو تلال يكون مسلكا للسليل ومنفذاف هو وادى القرى الجهورى بالوادى بحذف الياء وصلوا وقفنا اتباعا لرسم المحصف وقرأ ابن كثير باثباتهم فيه أو قرئ باثباتها في الوصل دون الوقف (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى الجنود الذين لهم خيام كثيرة يشدون بالاوتاد أو جعل الجنود والجيش والجوع أنفسهم أو تاد الا أنهم يشدون الملك كما تشد الاوتاد الخيام وقيل كان له أو تاد يعذب الناس بها ويشدهم اليها والوتد بكسر التاء في لغة الحجاز وهى الفصحى وجعه أو تاد وفتح التاء لغة وأهل نجد يسكنون التاء فيه غمون بعد القلب فيسبق ود كذا في المصباح وقد تقدم بيان هذا في سورة ص قال ابن عباس الاوتاد الجنود الذين يشدون له أمره وقال ابن مسعود وتدفرون لامرأته أربعة اوتاد اثم جعل على ظهرها رصى عظيمة حتى مات (الذين طغوا في البلاد) الموصول صفة لعادو غود وفرعون أى طغت كل طائفة منهم في بلادهم وعمرت وعتت والطغيان مجاوزة الحد ويجوز أن يكون الموصول في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين طغوا أو في محل نصب على الذم (فاكثر وافيا الفساد) بالكفر ومعاصى الله والجور على عباده (فصب) أى أفرغ (عليهم ربك) وألقى على تلال الطوائف (سوط عذاب) وهو ما عذبهم به قال الزجاج جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب يقال صب على فلان خلعة أى ألقاها عليه ومعنى سوط عذاب نصيب عذاب أو نوع من العذاب فاهلكت عاد بالريح وعود بالصحبة وفرعون بالغرق فكلا أخذنا بذنبه وذكر السوط اشارة الى ان ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم هو بالنسبة الى ما أعده لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وقيل ذكر السوط للدلالة على شدة ما نزل بهم وكان السوط عندهم هو نهاية ما يعذب به قال الفراهي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذى يعذبون به فى اكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يحاط اللحم والدم من قولهم ساطه يسوطه سوطا أى خلطه بالسوط خلط الشيء ببعضه وبعض والاولى انه مجاز واستعارة عن ابتساع العذاب بهم على أبلغ الوجوه وأكلها اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام أى عذبوا عذابا مؤلما

والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر الا وعلمها ملكا اما ساجدا واما قائما يدعو للمؤمنين والمؤمنات الا ان تكون كنيسة أو بيعة أو بيت نار أو وثن أو بعض اما كنسكم التى تطرحون فيها الخبث أو بيتافيه سكران أو بيتافيه مسكر أو بيتافيه وثن منصوب أو بيتافيه جرس معلق أو هوى او مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون ليلاتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين الا صاحفه وعلامه ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصاحفة جبريل وذكر كعب ان من قال في ليلة القدر لا اله الا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار

بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فقلت لكعب الاحبار يا ابا بصير صادق صادق قال كعب وهل يقول لاله الا الله في ليلة القدر الاكل صادق والذي نفسي بيده ان ليلة القدر تنقل على الكافرو المنافق حتى كانوا على ظهوره جبل فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع القمر فاول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الافق الا على من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشهما الا في تلك الساعة فتصير الشمس لاشعاع لها ثم يدعوه لمكافئته فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متغيرة فيقيم جبريل ومن معه بين (٢٦٨) الارض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين

والمؤمنات ولبن صام رمضان احتسابا ودعاء لمن حدث نفسه ان عاش الى قابل صام رمضان لله فاذا أمسوا دخلوا الى السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فيجتمع مع اليهم ملائكة السماء الدنيا فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدته العام فيقولون وجدنا فلانا عام أول في هذه الليلة متعبدا ووجدناه العام مبتدعا ووجدنا فلانا مبتدعا ووجدناه العام عابدا قال فيكفون عن الاستغفار لذلك ويقبلون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذکر ان الله ووجدنا فلانا راكعا وفلانا ساجدا ووجدناه ناليا الكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدون الى السماء الثانية في كل سماء يوم ليلة حتى ينتهوا مكانهم من السدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى يا سكانى حدثوني عن الناس وسموهم لي فان لي عليكم حقا واني أحب من أحب الله فذكر كعب الاحبار انهم بعدون لها ويحكمون

دعائهم قوله (ان ربك لبالمرصاد) لتعجيل لما قبله ايدان بان كفار قومهم عليه السلام يصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبغي عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقد قدمنا قول من قال ان هذا جواب القسم وبه قال ابن مسعود والاولى ان الجواب محذوف والمعنى انه يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه عليه بالخير خيرا وبالشر شرا فقيه استعارة تمثيلية قال الحسن وعكرمة أى عليه طريق العباد لا يفوته أحد والرصد والمراد الطريق وقد تقدم بيانه في سورة براءة وقد تقدم أيضا عند قوله ان جهنم كانت مرصدا وقال ابن عباس بالمرصاد أى يسمع ويرى وقال ابن مسعود فى الآية من وراء الصراط جسور جسور عليه الامانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب عز وجل ولما ذكر سبحانه انه بالمرصاد ذكر ما يدل على اختلاف أحوال عباد الله عند اصابته الخير وعند اصابته الشر وان مطمح انظارهم ومعظم مقاصدهم هو الدنيا فقال (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه أى اختبره وامتنع به بالنعم (فأكرمهم ونعمهم) أى أكرمه بالمال ووسع عليه رزقه (فيقول ربى أكرمن) فرحبا بما نال وسروا بما أعطى غير شاكر لله على ذلك ولا خاطري به ان ذلك امتحان له من ربه واختبار حاله وكشف ما يشتمل عليه من الصبر والخزع والشكر للنعمة وكفرانها وأما هنا المجرد التأكد لا لتقصير الجمل مع التأكيد وما فى اذا ما زائدة وقوله فأكرمهم ونعمهم تفسيرا لابتلاء ومعنى أكرمن أى فضلنى بما أعطانى من المال وأسبغنى من النعم لمزيد استحقاقى لذلك وكوفى موضعه له ودخلت الفاء فيه لتضمن أمام معنى الشرط أى فأما الانسان فيقول ربى أكرمن وقت ابتلائه بالانعام قال السكبي الانسان هنا هو الكافر أبى بن خلف وقال مقاتل نزلت فى أمية بن خلف وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وأبى حذيفة بن المغيرة (وأما اذا ما ابتلاه) أى اختبره وعامله معاملة من يختبره (فقد رزقه) أى ضيقه ولم يوسع له ولا بسط له فيه (فيقول ربى أهانن) أى أولانى هوانا وهذه صفة الكافر الذى لا يؤمن بالبعث لانه لا كرامة عنده الا الدنيا والتوسع فى متاعها ولا اهانة عنده الا فوته وعدم وصوله الى ما يريد من زينتها فأما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته ويوفقه لعمل الآخرة ويحتمل أن يراد الانسان على العموم لعدم تيقظه أن ما صار اليه من الخير وما أصيب به من الشرف في الدنيا ليس الا للاختبار والامتحان وان الدنيا باسرها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ولو كانت

لها الرجل والمرأة باسمائهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول أخبرني بما أخبرك سكانك من تعبد الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة راحة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم علمهم الى فيبلغ جبريل مكانه قبلهم فيلهمه الله فيقول وجدت فلانا ساجدا فاعفله فيغفر له فيسمع جبريل جميع حمله العرش فيقولون راحة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان ويقول يا رب وجدت عبدا فلانا الذى وجدته عام أول على السنة والعبادة ووجدته العام قد أحدث حدثا وتولى عما امر به فيقول الله يا جبريل ان تاب فأعطني قبل ان يموت بثلاث ساعات فغفرت له فيقول جبريل لك الحمد الهى أنت أرحم

من جميع خلقك وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم قال فخرج العرش وما حوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله
الرحيم الحمد لله الرحيم قال وذ كعب انه من عام رمضان وهو يحدث نفسه اذا أفطر رمضان ان لا يعصى الله دخل الجنة بغير
مسئله ولا حساب آخر تفسير سورة ليلة القدر ولله الحمد والمنة * (تفسير سورة لم يكن وهي مدينة) * قال الامام أحمد حدثنا
عفان حدثنا جده هو ابن سلمة أخبرنا علي هو ابن زيد عن عمار بن أبي عمار قال سمعت أبا حبة البدرى وهو مالك بن عمرو بن ثابت
الانصاري قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الى آخرها قال (٢٦٩) جبريل يارسول الله ان ربك يأمرك ان تقر بها

أيما فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لاي ان جبريل أمرني ان أقرأك
هذه السورة قال ابي وقد ذكرت ثم
يارسول الله قال نعم قال فبكي أبي
حديث آخر وقال الامام أحمد
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
سمعت قتادة يحدث عن أنس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يبي بن كعب ان الله
أمرني ان أقرأ عليكم لم يكن الذين
كفروا قال وسألتك قال نعم فبكي
ورواه البخاري ومسلم والترمذي
والنسائي من حديث شعبة به
حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا
مؤمل حدثنا سفيان حدثنا سلم
النفري عن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن أبي عن أبيه عن أبي بن
كعب قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني أمرت ان أقرأ
عليك سورة كذا وكذا قلت
يارسول الله وقد ذكرت هناك قال
نعم فقلت له يا أبا المنذر ففرحت بذلك
قال وما يمنعني والله يقول قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يحب معون قال مؤمل قلت
لسفيان القراءة في الحديث قال

تعدل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء قرئ بإثبات الياء في اكرم من واهان وصل
وحذفها ووقفا وقرئ بإثباتها فيهما وقرئ بحذفها في الوصل والوقف اتباعا لرسم المصحف
وموافقة لرؤس الآي والاصل اثباتها لانها اسم وقرأ الجمهور فقدر بالتخفيف وقرئ
بالتشديد وهما الغتان وقرئ ربي بفتح الياء في الموضعين وبسكونها فيهما وقوله (كلا)
ردع للانسان القائل في الحالتين ما قال وزجر له فان الله سبحانه قد يسع الرزق ويسيطر النعم
للانسان لا لكرامته وبضيقه عليه لا لاهائه بل للاختبار والامتحان كما تقدم ونحوه قوله
تعالى ونبأكم بالشرا والخير فتنة قال الفراء كلا في هذا الموضع بمعنى انه لم يكن ينبغي للعبد
ان يكون هكذا ولكن بحمد الله على الغنى والفقر ثم انتقل سبحانه من بيان سوء أقوال
الانسان الى بيان سوء أفعاله فقال (بل لا تكرمون اليتيم) والالتفات الى الخطاب
لقصده التوبيخ والتقريع على قراءة الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحسية على الخبر وهكذا
اختلفوا فيما بعد هذه من الأفعال فقرأ الجمهور تحضون وتما تكون وتحبون بالفوقية على
الخطاب فيها وقرئ بالتحسية فيها والجمع في هذه الأفعال باعتبار معنى الانسان لان المراد به
الجنس أي بل لكم أفعال هي أقبح مما ذكره هي انكم تتركون اكرام اليتيم فتأكلون ماله
وتمنعون من فضل أموالكم قال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر أمية
ابن خلف (ولا تحاضون على طعام المسكين) قرأ الجمهور تحضون من حصه على كذا
أي أغرامه ومنفعوله محذوف أي لا تحضون أنفسكم ولا يحض بعضكم بعضا على ذلك
ولا يأمر به ولا يرشد اليه وقرئ تحاضون وأصله تحاضون أي لا يحض بعضكم بعضا
وقرئ تحاضون بضم التاء من الحض وهو الحث والطعام اما اسم مصدر أي على اطعام
المسكين أو اسم للمطعم على حذف مضاف أي على بذل أو على اعطاء طعام المسكين
(وتأكلون التراث) أصله التراث فأبدلت التاء من الواو المضمومة كافي تجاهه والمراد
به أموال اليتامى الذين يرثونه من قراباتهم وكذلك أموال النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون
النساء والصبيان وتأكلون أموالهم (أكلالما) أي أكلا شريدا وقيل معنى لما جعا
من قولهم لمت الطعام اذا أكلته جميعا قال الحسن يأكل نصيبه ونصيب اليتيم وكذا قال
أبو عبيدة وأصل اللم في كلام العرب الجمع يقال لمت الشيء أكلته لما جعته ومنه قولهم لم
الله شعبته أي جمع ما تفرق من أموره قال الليث اللم الجمع الشديد ومنه حجر مالموم وكثيبة

نعم تفرد به من هذا الوجه طريق أخرى قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قال حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن
زبر بن حبيش عن أبي بن كعب قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ان الله أمرني ان أقرأ عليك القرآن قال فقرأ
لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال فقرأ فيها ولوان ابن آدم سأل واديا من مال فاعطيه لسأل ثانيا ولو سأل ثانيا فاعطيه لسأل
ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذات الدين عند الله الخفيفة غير المشركة ولا اليهودية ولا
النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح طريق

أخرى قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن حنبل بن علي بن عبد الله بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذراني أمرت أن أعرض عليك القرآن قال بالله أمنت وعلى يدك أسلمت ومنزلت نزلت قال فرد النبي صلى الله عليه وسلم لم أقول قال فقال يا رسول الله وذكرك هنالك قال نعم باسمك ونسبك في الملا الأعلى قال فاقرأ إذا يا رسول الله قال هذا غريب من هذا الوجه والثابت ما تقدم وانما قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة (٢٧٠) تنبيهاته وزيادة لا يمانه فانه كما رواه أحمد والنسائي من طريق أنس وعنه

رواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ورواه أحمد عن عفان عن جاد عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث اسمعيل ابن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه كان قد انكر على أنسان وهو عبد الله بن مسعود قراءة شيء من القرآن على خلاف ما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأهما وقال لكل منهما ما أصبت قال أي فاخذني من الشك ولا ذكركت في الجاهلية فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره قال أي فنضت عرفاً وكأنا أنظر إلى الله فرقا واخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتاه فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمك القرآن على حرف فقلت أسأل الله معافاته وغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال ان الله يأمرك ان تقرئ أمك القرآن على سبعة احرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطريقه

ملومة والا كل يلم الثريد فيجب معه ثم يأكله وقال مجاهد يفسفه سفا وقال ابن زيد هو اذا أكل ماله لم يبال غيره فأكله ولا يفر كرفياً كل من خبيث وطيب قال ابن عباس لما سفا وعنه قال شديدا وكان حكم الارث عندهم من بقايا شربة اسمعيل أو عما هو معلوم لهم وثابت عندهم بطريق عادتهم فلا يقال السورة مكينة وآية المواريث مدينة ولا يعلم الحل والحرمة الا من الشرع (وتحبون المال حبا جما) أي حبا كثيرا والجم الكثير يقال جم الماء في الخوض اذا كثروا جمع والجمعة المكان الذي يجتمع مع فيه الماء وقال ابن عباس جما شديدا ثم كرر سبحانه الردع لهم والزجر فقال (كلا) أي ما هكذا ينبغي أن يكون علمكم ثم استأنف سبحانه فقال (اذا دكت الارض دكاكا) وفيه وعيد لهم بعد الردع والزجر والدكت الكسر والدق والمعنى هنا انها زلزلت وحركت تحريكاً بعد تحريك قال ابن قتيبة دكت جبالها حتى استوت قال الزجاج أي تزلزلت فذلك بعضها بعضاً قال المبرد أي بسطت وذهب ارتفاعها قال والدكت حط المرتفع باليسط وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف وفي سورة الحاقة والمعنى انها دكت مرة بعد أخرى ونصب دكا الاول على انه مصدر مؤكد للنعول ودكا الثاني مأكد للاول كذا قال ابن عصفور ويجوز أن يكون نصب على الحال والمعنى حال كونها مذكوكة مرة بعد مرة كما يقال علمته الحساب بابا بابا وعلمته الخط حرافراً والمعنى انه كرر ذلك عليها حتى صارت هباء منبثا قال ابن عباس يعني تحريكها (وجاء ربك) أي جاء أمره وقضاؤه وظهرت آياته وقيل المعنى انها زالت الشمس به في ذلك اليوم وظهرت المعارف وصارت ضرورة كما يزول الشك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه وقيل جاء قهر ربك وسلطانه وانقراده بالامر والتدبير من دون ان يجعل الى أحد من عبادته شيئا من ذلك وقيل تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه وقيل جاء أمر ربك بالحاسبة والجزاء وقيل غير ذلك والحق ان هذه الآية من آيات الصفات التي سكنت عنها وعن مثلها عامة سلف الامة وأئمتها وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها بل أجروها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها والتأويل ديدن المتكلمين ودين المتأخرين وهو خلاف ما عليه جمهور السلف الصالحين وقوله (والملك صفا صفا) منتصب على الحال أي مصطفين أو ذرى صفوف قال عطاء يريد صفوف الملائكة وأهل

كل

ولنظفه في أول التفسير فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة قرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة بلاغ وتبليغ وانذار لقراءة تعلم واستدكار والله أعلم وهذا كما ان عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية عن تلك الاسئلة وكان فيما قال أو لم تكن تحبنا أناساً في البيت ونطوف به قال بلى فأخبرتك انك تأتيه عامك هذا قال لا قال فانك آتبه ومطوف به فلما رجعوا من الحديبية وأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقراها عليه وفيها قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين

الآية كما تقدم وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه أسماء الصحابة من طريق محمد بن اسمعيل الجعفي المدني حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم عن ابن شهاب عن اسمعيل بن أبي حكيم المزني حدثني فضيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي فوعزني لا يمكن لك في الجنة حتى ترضى حديث غريب جدا وقد رواه الحافظ أبو موسى المدني وابن الاثير من طريق الزهري عن اسمعيل بن أبي حكيم عن مطر المزني أو المدني عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا ويقول أبشر عبدي فوعزني لا أنساك على حال من أحوال الدنيا (٢٧١) والآخرة ولا يمكن لك في الجنة حتى ترضى

كل سماء صف على حدة قال الضحاك أهل كل سماء اذ انزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالارض ومن فيها فيكونون سبعة صفوف (وحي يومئذ) منصوب بجي والقائم مقام الفاعل قوله (بجهنم) وجوزمكي أن يكون يومئذ هو القائم مقام الفاعل وليس بذلك قال الواحدي قال جماعة المفسرين جى بها يوم القيامة من مومنة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جنار يكتبه يقول يا رب نفسي نفسي وهذا الذي نقله عن جماعة المفسرين قد أتى من فروعنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقد أخرج مسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وعلى هذا فالآية مجرأة على ظاهرها وقيل المعنى انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين والاول أولى (يومئذ) بدل من يومئذ الذي قبله أي يوم جى بجهنم (يتذكر الانسان) أي يتعظ ويذكر ما فرط منه ويندم على ما قدمه في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ان قوله يومئذ الثاني بدل من قوله اذا دكت والاعمال فيها ما هو قوله يتذكر الانسان (وأني له الذكرى) أي ومن أين له التذكير والاعمال وقيل هو على حذف مضاف أي ومن أين له منفعة الذكرى قال الزجاج يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول باليتنى قدمت حياي) بدل اشتمال من يتذكر أو مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يقول الانسان فقول الخ والمعنى انه يتنمى انه قدم الخير والعمل الصالح لاجل حياته والمراد حياة الآخرة فانها الحياة الحقيقية لانها دائمة غير منقطعة وقيل ان اللام بمعنى في والمراد حياة الدنيا أي باليتنى قدمت الاعمال الصالحة في وقت حياي في الدنيا أتقع بها يوم القيامة والاول أولى قال الحسن علم والله انه صادف حياة طويلة لاموت فيها (فيومئذ) أي يوم يكون زمان ما ذكر من الاحوال (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) أي لا يعذب كعذاب الله أحد ولا يوثق كوثاقه ولا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواء اذا الامر كله والضميران في عذابه ووثاقه لله عز وجل وهذا على قراءة الجمهور يعذب ويوثق مبنيين للفاعل وقرئ على البناء للمفعول فيه ما فيكون الضميران راجعين الى الانسان أي لا يعذب كعذاب ذلك

تعالى فيها كتب قيمة قال ابن جرير أي في الصحف المطهرة كتب من كتب الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لانهم عند الله عز وجل قال قتادة رسول من الله يلوحنه مطهرة يذكر القرآن باحسن الذكروني عليه باحسن الشناء وقال ابن زيد فيها كتب قيمة مستقيمة معتدلة وقوله تعالى وما تفرق الذين أتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الامم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبيانات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيرا كما جاء في الحديث المروي من طرق ان اليهود اختلفوا على احدى وسبعين فرقة وان النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستتفرق

هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هم يا رسول الله قال ما ناعلمه وأصحابي وقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين كقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون ولهذا قال حنفاء أي متحفين عن الشرك الى التوحيد كقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الانعام عما أغنى عن اعادته ههنا وقيموا الصلاة وهي أشرف عبادات البدن ويؤتوا الزكاة وهي الاحسان الى الفقراء والمحاويج وذلك دين القيمة أي الملة القائمة (٢٧٢) العادلة أو الامة المستقيمة المعتدلة وقد استدل كثير من الامة كالزحري

والشافعي بهذه الآية الكريمة على ان الاعمال داخله في الايمان ولهذا قال وما أمر والايه عبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) يحبه تعالى عن مال الفجار من كفره أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزل وأتباع الله المرسله انهم يوم القيامة في نار جهنم خالدين فيها أي ما سكنين لا يحولون عنها ولا يزولون أولئك هم شر البرية أي شر الخليقة التي برأها الله وذراها ثم أخبر تعالى عن حال الابرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية وقد استدل بهذه الآية ابوهريرة وطائفة من العلماء على تفصيل المؤمنين من البرية على

الانسان أحد ولا يوثق كوثاقه أحد والمراد بالانسان الكافر أي لا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر وقيل ابليس وقيل المراد به أبي بن خلف قال الفراء المعنى انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعنى أحد ولا يوثق بالاسل والاعلال كوثاقه أحد لتناهيته في الكفر والعناد وقيل المعنى انه لا يعذب مكانه أحد ولا يوثق مكانه أحد فلا تؤخذ منه فدية وهو كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى التوثيق واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة المبني للمفعول وقالوا تصكون الهاء في الموضعين ضمير الكافر لانه معروف انه لا يعذب كعذاب الله أحد وقال أبو علي الفارسي يجوز أن يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة أي لا يعذب أحد أحد مثل تعذيب هذا الكافر ولما فرغ سبحانه من حكاية أحوال الاشقياء ذكر بعض أحوال السعداء فقال (يا أيها النفس المطمئنة) والقائل هو الله سبحانه اكراما للمؤمن كما كلم موسى أوالملك وانما يقال هذا ذلك عند الموت أو البعث أو عند دخول الجنة والنفس المطمئنة هي الساكنة الموقنة بالايمان وتوحيد الله الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب قال الحسن هي المؤمنة الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء الله التي علمت ان ما أخطأها لم يكن ليصيبها وان ما أصابها لم يكن ليخطئها وقال مقاتل هي الامنة المطمئنة وقال ابن كيسان المطمئنة بكرا لله تعالى وقيل المخلصة قال ابن زيد المطمئنة لانها ابشرت بالجنة عند الموت وعند البعث وقال ابن عباس المطمئنة المؤمنة (ارجعي الى ربك راضية) بالثواب الذي أعطاك (راضية) عنده والمعنى ارجعي الى الله وقبل الى موعدة وقيل الى أمره وقال عكرمة وعطاء الى جسده الذي كنت فيه واختاره ابن جرير ويدل على هذا قراءة ابن عباس فادخلي في عبيدي بالافراد والاول أولى قال القفال هذا وان كان أمر في الظاهر فهو خير في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت في القيامة الى الله بسبب هذا الأمر قال ابن عباس نزلت هذه الآية وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال أمانه سيقال لك هذا أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة وعن سعيد بن جبيرة نحوه مرسل لا عن أبي بكر الصديق نحوه وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله يا أيها النفس المطمئنة قال هو النبي صلى الله عليه وسلم وعنه قال المطمئنة المصدقة وعنه قال ترد الارواح يوم القيامة

الملائكة لقوله أولئك هم خير البرية ثم قال تعالى جزاؤهم عند ربهم أي يوم القيامة جنات عدن تجري من تحتها في الانهار خالدين فيها أبدا أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ رضي الله عنهم ورضوا عنه ومقام رضاهم اعلى مما يؤتونه من النعيم المقيم ورضوا عنه فيما منحهم من الفضل العميم وقوله تعالى ذلك لمن خشي ربه أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه وعنده كما نراه وعلم انه لم يره فانه يراه وقال الامام أحمد حدثنا مصحح بن عيسى حدثنا ابو معشر عن ابي وهيب مولى ابي هريرة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخبركم بخير البرية قالوا بلى يا رسول الله قال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله

لما كانت هبة استوى عليه الا خبركم بخبر البرية قالوا بلى يا رسول الله قال رجل في ثلث من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة الا خبركم بشرا البرية قالوا بلى قال الذي يسأل بالله ولا يعطى به آخر تفسير سورة لم يكن ولله الحمد والمنة (تفسير سورة اذا زلزلت وهي مكية) وقال الترمذي حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري حدثنا الحسن بن مسلم العجلي حدثنا ثابت قال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئني يا رسول الله قال له اقرأ ثلاثا من ذوات الراء فقال (٢٧٣) له الرجل كبرسني واشتد قلبي وغظ لساني

قال فاقرا من ذوات حم فقال مثل مقالته الاولى فقال اقرأ ثلاثا من المسجات فقال مثل مقالته فقال الرجل ولكن اقرئني يا رسول الله سورة جامعة فاقراه اذا زلزلت الارض زلزالها حتى اذا فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق نبيا لا ازيد عليه ابدا ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقلع الرويجيل اقلع الرويجيل ثم قال علي به فجاءه فقال له امرت بيوم الاضحي جعله الله عيد الهذلة الا امة فقال له الرجل ارايت ان لم اجد الامنيحة اني فاضحي بها قال لا والله كنت تأخذ من شعرك وتعلم اظفارك وتقص شاربك وتحلق عاتك فذلك تمام اضحيته عند الله عز وجل واخرجه ابو داود والنسائي من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ به وقال الترمذي حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري حدثنا الحسن بن مسلم بن صالح العجلي حدثنا ثابت البناني عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدات له بنصف القرآن ثم

في الاجساد وعنه قال راضية بما أعطيت من النواب مرضية عنها بما ملها (فادخل في عبادي) المؤمنين أي في زمرة عبادي الصالحين وكوفي من جملة من انتظمي في سلكهم وهذا يشعر بان النفس بمعنى الذات ويجوز أن تكون بمعنى الروح كما أشار له البضاوي (وادخلني جنتي) معهم قيل انه يقال لها الرجعي الى ربك عند خروجهما من الدنيا ويقال لها ادخلي في عبادي وادخلي جنتي يوم القيامة وأتى بالفاء فيما لم يتراخ عن الموت وبالواو فيما يتراخ عنه والمراد بالآية كل نفس مطمئنة على العموم لان السورة مكية ولا ينافي ذلك نزولها في نفس معينة فالاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس في الطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا تدرى من تلاها يأتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الآية أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني وعن عكرمة مثله أخرجه أبو نعيم في الدلائل

(سورة البلد ويقال سورة لا أقسم هي عشرون آية وهي مكية بلا خلاف)

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بهذا البلد) قد تقدم الكلام على هذا في تفسير لا أقسم يوم القيامة ولا زائدة ومن زيادة لا في الكلام في غير القسم قول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبا به * وكاد صميم القلب لا يتصدع

أي يتصدع ومن ذلك قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد أي ان تسجد قال الواحدى أجمع المفسرون على ان هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة وبه قال ابن عباس قرأ الجمهور لا أقسم وقرئ لا أقسم من غير ألف وقيل هو نفي للقسم والمعنى لا أقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه وقال مجاهد ان لا رد على من أنكر البعث ثم ابتدأ فقال أقسم والمعنى ليس الامر كما تحسبون والاول أولى والمعنى أقسم بالبلد الحرام وقال الواسطي ان المراد بالبلد المدينة وهو مع كونه خلاف اجماع المفسرين هو أيضا مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية ومكة جعلها الله تعالى حرما آمنا ومثابة للناس وجعل مسجد هاقبله لاهل المشرق والمغرب وشرفه بمقام ابراهيم وحرم فيه الصيد وجعل البيت المعمور بازائه ودحيته

(٣٥ - فتح البيان عاشر) قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الحسن بن مسلم وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الجويني عن الحسن بن مسلم عن أنس قال قال رسول الله قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن واذا زلزلت تعدل ربع القرآن هذا لفظه وقال الترمذي أيضا حدثنا علي بن حجر حدثنا يزيد بن هرون حدثنا يمان بن المغيرة الغزوي حدثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث يمان بن المغيرة وقال أيضا حدثنا عقبه بن مكرم العمي البصري حدثني ابن أبي فديك أخبرني سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه هل تزوجت

بأن فلان قال لا والله يا رسول الله ولا عندى ما أتزوج قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ثلث القرآن قال أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك إذا زلزلت الأرض قال بلى قال ربع القرآن تزوج ثم قال هـ ذا حديث حسن تفرد به ثلثون الترمذى لم يروه من أصحاب الكتب * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ (٢٧٤) يصدر الناس أشعثا ناليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن

يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس إذا زلزلت الأرض زلزالها أى تحركت من أسفلها وأخرجت الأرض أثقالها يعنى ألفت ما فيها من الموقى قاله غير واحد من السلف وهـ ذه كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وكقوله وإذا الأرض مدت وألفت ما فيها ونخلت وقال مسلم فى صحيحه حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجى القاتل فيقول فى هذا قتلت ويحى القاطع فيقول فى هذا قطعت رجلي ويحى السارق فيقول فى هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ وقوله عز وجل وقال الإنسان مالها أى استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعد لها من

الأرض من تحته فهذه الفضائل وغيرها لما اجتمعت فى مكة دون غيرها أقسم بها (وأنت حل به - هذا البلد) البلدي كرو يؤث والجمع بلدان والبلدة البلدو جمعها بلاد مثل كلمة وكلاب وقال الواحدى الحل والحلال والحل واحد وهو ضد الحرم أحل الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح حتى قاتل وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ولم تحل لى الساعة من نهار قال والمعنى ان الله تعالى لما ذكر القسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع كونها حراما فوعده نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحلها له حتى يقابل فيها ويفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى بأن يحلها له حتى يكون بها حالا انتهى فالمعنى وأنت حل بهذا البلد فى المستقبل كما فى قوله انك ميت وانهم ميتون قال النسفى رحمه الله وكفالك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة مكية بالاتفاق وابن الهجر من وقت نزولها فبال الفتح انتهى قال مجاهد المعنى ما صنعت فيه من شئ فأنت حل قال قتادة أنت حل به لست بأشيعنى انك غير مرتكب فى هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر والمعاصى وقيل المعنى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل به ومقيم فيه وهو محلك فعلى القول بان لا نافية غير زائدة يكون المعنى لا أقسم به وأنت حل به فانت أحق بالاقسام بك وعلى القول بانها زائدة يكون المعنى أقسم بهذا البلد الذى أنت مقيم به تشرىفك وتعظيما لقدرك لانه قد صار باقامتك فيه عظيما ثم يفاو زاده على ما كان عليه من الشرف والعظم ولكن هـ ذا اذا تقررت فى لغة العرب ان لفظ حل يحى بمعنى حال وكما يجوز أن تكون الجملة معترضة يجوز أن تكون فى محل نصب على الحال قال ابن عباس فى الآية يعنى بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحل الله يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ويستحي من شاء فقتل يومئذ ابن خطل صبرا وهو أخذ باستار الكعبة فلم يحل لأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل فيها حراما حرمة الله فاحل الله له ما صنع باهل مكة وعنه فيها قال أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل فيه واما غيرك فلا وعن أبي هريرة الاسلمى قال نزلت هذه الآية فى خرجت فوجدت عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام أخرجه ابن مردويه وقوله (ووالدنا ولد) عطف على البلد قال قتادة ومجاهد والضمك والحسن وأبو صالح والداى آدم وما ولد أى وماتنا سل من ولده ومثله عن ابن عباس أقسم

الزلال الذى لا محمد لها عنه ثم ألفت ما فى بطنها من الاموات من الاولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها أى تحدث بها عمل العالمون على ظهرها قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظة حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أندرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها ثم قال الترمذى هـ ذا

حديث حسن صحيح غريب وفي مجمع الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الجرث بن يزيد سمع ربيعة الحدسي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً الا وهى مخبرة وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها قال البخارى أوحى لها وأوحى اليها ووحى لها ووحى اليها ووحى لها وأوحى اليها والظاهر أن هذا مضمّن بمعنى أذن لها وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس يومئذ تحدثت أخبارها قال قال لهما ربها أقولى فقال وقال مجاهد أوحى لها أى أمرها وقال القرطبي أمرها أن تنشق عنهم وقوله تعالى يومئذ (٢٧٥) يصدر الناس أشئتاً أى يرجعون عن

موقف الحساب أشئتاً أى أنواعاً وأصنافاً ما بين شقى وسعيداً أمور به الى الجنة وما موربه الى النار قال ابن جرير يتصدقون أشئتاً أفلا يجتمعون آخر ما عليهم وقال السدى أشئتاً فارقاً وقوله تعالى ليروا أعمالهم أى ليعملوا ويحازوا بما عملوه فى الدنيا من خير وشر ولهذا قال فى من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره قال البخارى حدثنا اسمعيل بن عبد الله حدثنى مالك عن زيد بن أسلم عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلاثة رجل أجر ورجل أجر ورجل أجر فرب رجل ربطها فى سبيل الله فأطال طيلها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك فى المرج والروضة كان له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأرواؤها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يردان تسقى به كان ذلك حسنات له وهى لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنياً

بهم لأنهم أعجب ما خلق الله على وجه الارض ما فى سم من البيان والعقل والتدبير واستخراج العلوم وفهم الانبياء والاولياء والصالحون والدعاة الى الله والاصحاب له وكل ما فى الارض مخلوق لاجلهم -م وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الاسماء كلها فيكون قد أقسم بجميع الاكسين صالحهم وطالحهم وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته وأما الطالحون فكانهم ليسوا من أولاده وكانهم -م بها ثم وفائدة التنكير فى والد التمجيد والمدح قاله الرازى وقال أبو عمران الجوفى الوالد ابراهيم عليه السلام وما ولد ذريته قال الفراء ان ما عبارة عن الناس كقوله ما طاب لكم وقيل الوالد ابراهيم والولد اسمعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال عكرمة وسعيد بن جبيرة والديعى الذى يولده وما ولد يعنى العاق الذى لا يولده وكانهم -م ما جعل ما نافية وهو بعيد ولا يصح ذلك الا باضمار الموصول أى ووالد الذى ما ولد ولا يجوز اضممار الموصول عند البصريين وقال عطية العوفى هو عام فى كل والد مولى من جميع الحيوانات واختار هذا ابن جرير وعن ابن عباس الوالد الذى يلد وما ولد العاق لا يلد من الرجال والنساء وقد استدلل بعض الجهال بهذه الآية على جواز الاحتفال لمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا تحريف لمعانى كتاب الله يذهب اليه أحد من المفسرين بل هو خلاف اجماع المسلمين (لقد خلقنا الانسان فى كبد) هذا جواب القسم والانسان هو هذا النوع الانسانى والكبد الشدة والمشقة يقال كابدت الامر فاسيت شدته والانسان لا يزال فى مكابدة الدنيا ومقاساة شدائد ما حتى يموت قال ذو النون لم يزل مربوطاً بحبل القضاء مدعوا الى الاتمار والانهاء وأصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن اذا اشتد وغلظ ويقال كبد الرجل اذا وجعت كبده ثم استعمل فى كل مشقة وشدة قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد آخره وقال أيضاً يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء لا يخلو عن أحدهما قال الكلبى نزلت هذه الآية فى رجل من بنى جحيم يقال له أبو الاشدين وكان يأخذ الاديم العكاظى ويجعله تحت رجله ويقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذب به عشرة حتى يتمزق ولا تنزل قدماه وكان من أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يعنى لقوته ويكون معنى فى كبد على هذا فى شدة خلق وقيل معنى فى كبد انه جرى القلب غليظ الكبد وقال ابن عباس فى كبد فى اعتدال واتصاب وعنه قال فى نصب وعنه قال فى شدة وقال أيضاً فى شدة خلق

وتعففوا لم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى له ستر ورجل ربطها خفراً ورياء ونوافه على ذلك وزرقة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجرث قال ما أنزل الله فيها شيئاً الا هذه الآية الفائزة الجامعة من يعمل مثقال ذرة خيراً ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن عن صاعدة بن معاوية عم النضرى انه أنى النبي صلى الله عليه وسلم فقراً عليه فى يعمل مثقال ذرة خيراً ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره قال حسبي لا أبالى أن لا أسمع غيرها وهكذا رواه النسائي فى التفسير عن ابراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصرى قال حدثنا صاعدة عم النضرى فذكره وفى صحيح البخارى عن عدى مر فعاتقوا النار ولو بشق تمرة قوله

أيضا في الصحيح لا تحقرن من المعروف ولو أن تفرغ من دلوك في أناء المستسقي ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وفي الصحيح أيضا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتهم ولو فرسن شاة يعني ظلفها وفي الحديث الآخر دوا السائل ولو بظلف محرق وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان تفرده أجود روى عن عائشة انها تصدقت بعنبة وقالت كم فيها من مثقال ذرة وقال (٢٧٦) الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم سمعت عامر بن عبد الله بن

الزبير حدثني عوف بن الحرث بن الطفيل ان عائشة أخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سعيد بن مسلم بن بانه وقال ابن جرير حدثني أبو الخطاب الحساني حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا مالك ابن عطيبة عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال كان أبو بكر يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله اني أجرى بما علمت من مثقال ذرة من شر فقال يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبما قيل ذرا الشريد خ الله لك مناقيل الخير حتى توفي يوم القيامة ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أيوب الخطاب به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب قال في كتاب أبي قلابة عن أبي ادريس ان أبا بكر كان يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكره

ولادته ونبت أسنانه ومعيشته وختانه وقال أيضا خلق الله كل شيء يمسي على أربعة الا الانسان فانه خلق منتصبا وقال أيضا منتصبا في بطن أمه انه قد وكل به ملك اذا نامت الام أو اضطجعت رفع رأسه لولا ذلك لغرق في الدم والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله جل جلاله دابة في بطن أمها الا منكبة على وجهها الا ابن آدم فانه منتصب انتصبا قال اليماني لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق قال العلماء أول ما يكابد قطع سترته ثم اذا قبط قاطا وشدد عليه يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت أسنانه وتحريك لسانه ثم يكابد الطعام الذي هو أشد من الطعام ثم يكابد الختان والوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والترويج ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاحناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعداها ونائب يطول ايرادها من صداع الرأس ووجع الاضراس ورم دالعين وغم الدين ووجع السن وألم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسى فيه شدة ويكابد مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى أن يستقر به القرار ما في جنة وما في نار فلو كان الامر اليه لما اختار هذه الشدائد ودل على ان له خالقا

دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فلم يمتل أمره ذكره القرطبي (أي حسب الانسان أن لن يقدر عليه أحد) أي أيظن ابن آدم أن لن يقدر عليه ولا ينتقم منه أحد أو يظن أبو الاسدين أن لن يقدر عليه أحد وان هي المخذنة من النخيلة واسمها ضمر شأن مقدر ثم أخبر سبحانه عن مقال هذا الانسان فقال (يقول) مفخرا (أهلك ما لا لبدا) أي كثيرا مجتعا بعضه على بعض قال الليث مال لبدا لا يخاف فناءه من كثرة قال السكبي ومقاتل يقول أهلك ما في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ما لا كثيرا وفي أبي السعود يريد كثرة ما أنفق فيه ما كان أهل الجاهلية يسمونه مكارم ويدعونه معالي ومفاخر وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل اذ نبت فاستنقى النبي صلى الله عليه وسلم فامر أن يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم قرأ الجمهور لبدا بضم اللام وفتح الباء مخنفا وقرئ بضمهما بالتحفيف وقرئ بضم اللام وفتح الباء مشددا

ورواه أيضا عن يعقوب عن ابن عليه عن أيوب عن أبي قلابة أن أبا بكر ذكره طريق أخرى قال ابن جرير حدثني قال يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال لما نزلت اذا زلزلت الارض زلزالها وأبو بكر الصديق رضى الله عنه قاعد فبكي حين أنزلت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا أبا بكر قال يبكي هذه السورة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انكم تخطئون وتذنبون فيغفر لكم خلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن المغيرة المعروف بعلات المصري قال حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن لهيعة أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد

الخدري قال لما أنزلت فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قلت يا رسول الله اني لراى عملى قال نعم قلت تلك الكار الكبار قال نعم قلت الهه الصغار قال نعم قلت وائل كل أمى قال ابشر يا أناس عبيد فان الحسنه بعشر أمثالها يعنى الى سبع مائة ضعف ويضعف الله لمن يشاء والسئنه بمنزلها أو يغفر الله لمن يجوب أحد منكم بعمله قلت ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغم مدنى الله منه برجه قال أبو زرعة لم يره وهذا غيب ابن لهيعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى (٢٧٧) فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل

مثقال ذرة شرا يره وذلك لما نزلت هذه الآية ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتايا وأسيرا كان المسلمون يرون انهم لا يؤجرون على الشئ القليل اذا أعطوه فيجيب المسكين الى أبوابهم فيستولون أن يعطوه قرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشئ إنما نؤجر على ما نعطى ونحن نجبه وكان آخرون يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة وأشياء ذلك يقولون إنما وعد الله النار على الكافر فرغهم في القليل من الخير ان يعملوه فانه يوشك أن يكفر وحذرهم اليسير من الشرفانه يوشك أن يكفر فنزلت فن يعمل مثقال ذرة يعنى وزن أصغر الغل خيرا يره يعنى فى كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشرة حسنات فاذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشرة وعجو عنه بكل حسنة عشر سيئات فن زادت حسناته على سيئاته مثقال

قال أبو عبيدة ابد فعل من التلبس وهو المال الكثير بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثيرا الحطم قال الفراء واحدة لبدة والجمع لبد وقد تقدم بيان هذا في سورة الجن (أحسب أن لم يره أحد) استفهام على سبيل الإنكار أى أظن انه لم يعاينه أحد قال قتادة أظن أن الله سبحانه لم يره ولا يسأله عن ماله من اين كسبه واين أنفقه وقال الكلبي كان كاذبا لم ينفق ما قال فقال الله أظن ان الله لم يرد ذلك منه فعل أول يفعل أنفق أول لم ينفق ثم ذكر سبحانه ما أنعم عليه ليعتبر فقال (لم نجعل له عينين) يصريهما المرئيات شققناهما وهوى الرحم في ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيئا وقدرنا البياض والسواد والسمرة والزرقه وغير ذلك على ما ترون وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها (ولسانا) ينطق به ويعبر عما في ضميره (وشفتين) يستريح ما نغره وفاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفع وغير ذلك قال الزجاج المعنى لم نفعل به ما يده على ان الله قادر على أن يعينه والشفة محذوفة اللام وأصلها شفة بدل تصغيرها على شفية وجعلها على شفاه نظير سنة في احدى اللغتين وشافهته أى كلمته من غير واسطة ولا يجمع بالالف والتاء استغناء بتكسيرا عن تصحيحها (وهديناه النجدين) النجد الطريق فى ارتفاع قال المفسرون بيناه طريق الخير وطريق الشر قال الزجاج المعنى لم نعرفه طريق الخير وطريق الشر مبيتين كمتين الطريقين العاليتين وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن المسيب والضحال النجدان النديان لانهم ما كاطر يقين لحياة الولد ورزقه والاولى واصل النجد المكان المرتفع وجمعه نجود ومنه سميت نجدا لارتفاعها عن انخفاض تهامة فالنجدان الطريقان العاليان قال ابن مسعود فى الآية سبيل الخير والشر وقال ابن عباس الهدى والضلالة وعنه نحو قول ابن مسعود وعن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم هما نجدان فما جعل نجد الشراحب اليكم من نجد الخير أخرجه ابن أبي حاتم تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه يحيى بن معين وقال الامام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث وقال أحمد تركت حديثه لاضطراره قد روى خمسة عشر حديثا منكرا كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث البصرى لا يشبه حديث أنس وروى نحوه عن الحسن وقتادة مرسلات ويشهد له ما أخرجه الطبراني عن أبي امامة أن النبي

ذرة دخل الجنة وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عمار عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا اياكم ومحقرات الذنوب فانهم يجتمعون على الرجل حتى يهلكوه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهم مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فخصر ضيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجي بالعود والرجل يجي بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها آخر تفسير سورة اذا نزلت ولله الحمد والمنة (تفسير سورة العاديات وهى مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (والعاديات ضحفا فالموريات قد حافا لمغيات صبحا فآثرن به تقعافوسطن به جمعان الانسان لربه لكونه دونه على ذلك اشهد وانه لحب الخير لشديدا فلا يعلم اذا بعثر ما فى القبر وروى ما فى

الصدوران ربههم يومئذ خير) يقسم تعالى بالخيل اذا جريت في سبيله فعدت وضجت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو فالمواريات قد حايعني اصطكاك نعالها بالصخر فتقح منه النار فالغيرات صبايعني الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويستمع الاذان فان سمع اذانا والاغار وقوله تعالى فائثرن به نقعايعني غبارا في مكان معترك الخيل فوسطن به جعائى توسطن ذلك المكان كاهن جمع قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا عبدة عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله والعاديات ضجعا قال الابل (٢٧٨) وقال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس

فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر انما كان ذلك في سرية بعثت قال ابن ابي حاتم وابن جرير حدثنا يونس اخبرنا ابن وهب اخبرني ابو صخر عن ابي معاوية الجبلي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس حديثه قال بينا انا في الخرج بالساجاني رجل فسألني عن العاديات ضجعا فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوى الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى علي رضى الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضجعا فقال سألت عنها أحد اقبلي قال نعم سألت ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال اذهب فادعه الى فلما وقف على رأسه قال انفتى الناس بما لا علم لك والله لئن كان أول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبي و فرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضجعا انما العاديات ضجعا من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال ابن عباس فنزعت عن قولي ورجعت الى الذي قال علي رضى الله عنه وبهم هذا الاسناد عن ابن

صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس انهم انجدان نجد خير ونجد شر فاجعل تجد الشر أحب اليكم من نجد الخير ويشهد له أيضا ما أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير قال الشهاب لا يخفى انه ذكره في سياق الامتنان والمراد الامتنان عليه بأن هداه وبين له الطريق فسلكتها تارة وعدل عنها أخرى فلا امتنان عليه بالشر ولذا جعل له الامام بمعنى قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكر او اما كفور او وصف مكان الخير بالرفعة والتجديّة ظاهر بخلاف الشر فانه هبوط من ذروة الفطرة الى حضية الشقوة فهو على سبيل التغليب أو على توهيم الخيلة ان فيه صعودا فقدر انتهى قلت الامتنان بالهداية الى سبيل الشر يصح بمعنى ان الله عرف الانسان طريق الشر ليحجته وطريق الخير ليلسكه ولولم يعرفه سبيل الشر لما اجتنبه والاشياء تعرف باضدادها فالامتنان بهدايته اليه ثابت عقلا والمعنى بينا ووضحنا له أن سلوك الاول ينجي وان سلوك الثاني يردى وان سلوك الاول مدح وان سلوك الثاني مذموم فالذي ذكره الشهاب تدفعه الاحاديث المرفوعة المتقدمة ذكرها (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية يقال منه قم في الامر فقوم أي رمي بنفسه في الامر من غير روية وتقميم النفس في الشيء ادخالها فيه عن غير روية والقحمة بالضم المهلكة والعقبة في الأصل الطريق الصعب التي في الجبل سميت بذلك لصعوبة سلوكها وهو مثل ضربه الله سبحانه لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة قال النراء والزجاج ذكر سبحانه هنا لامرأة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لامر الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعيدوها في كلام آخر كقوله فلا صدق ولا صلى وانما أفرد ههنا الدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز أن يكون قوله ثم كان من الذين آمنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن قال البردواوي على الفارسي ان لا هنا بمعنى لم أي فلم يقتحم وروى نحو ذلك عن مجاهد فلهذا لم يحجج الى التكرير وقيل هو جار مجرى الدعاء كقولهم لا نجيا قال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام هنا الاستفهام الذي بمعنى الانكار تقديره أفلا اقتحم العقبة أو هلا اقتحم العقبة قال ابن عمر في العقبة جبل زلال في جهنم وقال ابن عباس العقبة النار وعنه قال عقبة بين الجنة

عباس قال قال علي انما العاديات ضجعا من عرفة الى المزدلفة فاذا اووا الى المزدلفة أو رروا النيران وقال العوفي والنار وغيره عن ابن عباس هي الخيل وقد قال بقول علي انها الابل جماعة منهم ابراهيم وعبيد بن عمير وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء ما ضجت دابة قط الا فرس او كلب وقال ابن جرير عن عطاء سمعت ابن عباس يصنف الضجج أح وقال أكثر هؤلاء في قوله فالمواريات قد حايعني بجوفها وراقيلها سمعت الحرب بين ركبائهم قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد فالمواريات قد حايعني مكر الرجال وقيل هو ايقاد النار اذا رجعوا الى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرهابا بالخيل هو ايقاد النار بالمزدلفة قال ابن جرير والصواب الاول انه الخيل

حين تقسح بجوافرها وقوله تعالى فالمغيرات صبحا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني اعادة الخيل صبحا في سبيل الله وقال من
فسرها بالابل هو الدفع صبحا من المزدلفة الى منى وقالوا كلهم في قوله فائثر به نقعا هو المكان الذي حلت فيه اثارته الغبارا ما
في سج أو غزو وقوله تعالى فوسطن به جمعاً قال العوفي عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وقتادة والضمك يعني جمع الكفار من العدو
ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعهن ويكون جمعاً منصوباً على الحال المؤكدة وقد روى أبو بكر البرزاهي هنا حديثاً
غريباً فقال حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا حفص بن جميع حدثنا سمك عن (٢٧٩) عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم خيلاً فاشهرت
شهرها لاياتيه منها خبر فزلت
والعاديات ضحاً ضحبت بارجلها
فالموريات قد حادحت بجوافرها
الحجارة فاورت ناراً فالمغيرات صبحا
صبحت القوم بغارة فائثر به نقعا
اثارت بجوافرها التراب فوسطن
به جمعاً قال صبحت القوم جميعاً
وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود
هذا هو المقسم عليه بمعنى انه لنعم
ربه لمخود كنفور قال ابن عباس
ومجاهد وابراهيم النخعي وأبو
الحوزاء وأبو العالبيه وأبو الضحى
وسعيد بن جبير ومحمد بن قيس
والضحاك والحسن وقتادة والربيع
ابن أنس وابن زيد الكنود الكنود
قال الحسن الكنود هو الذي يعد
المصائب وينسى نعم الله عليه
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو كريب
حدثنا عبيد الله عن اسرائيل
عن جعفر بن الزبير عن القاسم
عن أبي أمامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الانسان
لربه لكنود قال الكنود الذي
ياكل وحده ويضرب عبده ويمنع
رفده ورواه ابن أبي حاتم من طريق

والنار وقال قتادة وكعب هي نار دون الجسر فاقحموها بطاعة الله وقال الحسن هي
والله عقبة شديدة مجاهدة لنفسه وهواه وعداوة الشيطان وقبل العقبة خلاصه من هول
العرض وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط الذي يضرب على جهنم كحد السيف
وعن عائشة قالت لما نزل فلا اقحم العقبة قيل يا رسول الله ما عند أحدنا ما يعتق الا ان
عند أحدنا الجارية السوداء اتخذمه فلوأمرناهن بالزنا فحين بالاولاد فاعتقناهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أمتع بسوط في سبيل الله أحب الى من أن أمر بالزنا ثم
اعتق الولد أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وأخرج ابن جرير عنها بلفظ
لعلاقة سوط في سبيل الله أعظم أجراً من هذا ثم بين سبحانه العقبة فقال (وما أدراك
ما العقبة) أي أي شيء أعلمك ما اقحمها والمعرف باللام اذا أعيد كان الثاني عين الاول
فتكون الجملة معترضة مقحمة لبيان العقبة مقررته المعنى الابهام والتفسير فان فلا اقحم
العقبة مفسرة بقوله (فك رقبة) والمفسر منق والمفسر كذلك لاتحادهما في الاعتبار
كأنه قيل فلا فك رقبة ولا أطمع مسكيناً قال محي السنة ذكر العقبة ههنا مثل ضربه
الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة
قال صاحب الفرائد هذا تنبيه على ان النفس لا توافق صاحبها في الانفاق لوجه الله البتة
فلا بد من التكليف وتحمل المشقة والذي توافقه النفس هو الافتخار والمرا آذفكاته
تعالى ذكر هذا المثل بازاء ما قال أهلك ما لا ابد او المراد الانفاق المقيد وان ذلك الانفاق
لمضرائته في وفي التمثيل بالعقبة بعد ذكر النجدين ترشيح ثم التقرع عليه بالاقتحام
قرينة لتلك المبالغة ذكر الكرخي ومعنى فك رقبة اعتاق رقبة وتخليصه من اسار الرق
وكل شيء أطلقته فقد فككته ومنه فك الرهن وفك الكتاب فقد بين سبحانه أن العقبة هي
هذه القرب المذكورة التي تكون بها النجاة من النار قرئ فك رقبة على انه فعل ماض
وهكذا أطمع وقرئ فك واطعام على انه ماض صمدان وعلى الاولى المعنى فلا فك ولا أطمع
والفك في الاصل حل القيد سمي العتق فكاً لان الرق كالقيد وسمى المرفوق رقبة لانه بالرق
كالاسير المربوط في رقبته وقد ثبت الترغيب في عتق الرقاب باحاديث كثيرة منها ما في
الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة
مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من النار حتى الفرج بالخرج (أو اطعام في يوم ذي

جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا السناد ضعيف وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث جرير بن عثمان عن حمزة بن هاني عن أبي
أمامة موقوفاً وقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد قال قتادة وسفيان الثوري وان الله على ذلك لشهيد ويحتمل أن يعود الضمير على
الانسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وان الانسان على كونه كنوداً شهيداً أي بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في
أقواله وافعاله كما قال تعالى ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر وقوله تعالى وانه لحب الخير
لشديد أي وانه لحب الخير وهو المال لشديد وفيه مذهباً أحدهما أن المعنى وانه لشديد المحبة للمال والثاني وانه لحرص بخيل من
محبة المال وكلاهما صحيح ثم قال تبارك وتعالى من هد في الدنيا هم غيبي في الاخرة ومنها على ما عو كائن بعد هذه الحال وما

يستقبله الانسان من الاهوال أفلا يعلم اذا بعث ما في القبور رأى أخر ج ما فيها من الاموات وحصل ما في الصدور قال ابن عباس وغيره يعنى أبرزوا ظهورها كانوا يسرون في نفوسهم ان ربهم بهم يومئذ خبير أى لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ومجازيهم عليه أو فجزاء ولا يظلم مثقال ذرة آخر تفسير سورة العاديات ولله الحمد والمنة * (تفسير سورة القارعة وهى مكية) *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفرش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقات موازينه فهو في عيشة (٢٨٠) راضية وأما من خفت موازينه فأما هاهنا وما أدراك ما هاهنا نار حامية)

القارعة من أسماء يوم القيامة كالخاكة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك ثم قال تعالى معظمها أمرها ومهلها لئلا يهاوما أدراك ما القارعة ثم فسر ذلك بقوله يوم يكون الناس كالفرش المبثوث أى في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومحييتهم من حيثهم مما هم فيه كأنهم فرش مبثوث كما قال تعالى في الآية الأخرى كأنهم جراد منتشر وقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يعنى قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذى قد شرع في الذهاب والتزق قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحك والسدي العهن الصوف ثم أخبر تعالى عما يؤول اليه عمل العالمين وما يبرون اليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال فأما من ثقلت موازينه أى رجحت حسناته على سيئاته فهو في عيشة راضية يعنى في الجنة وأما من خفت موازينه أى رجحت سيئاته على حسناته وقوله تعالى فأما هاهنا وما أدراك ما هاهنا نار حامية

مسغبة) أى مجاعة والسغب الجوع والسغب الجائع قال الراغب يقال منه سغب الرجل سغباً وسغبوا فهو سائب وسغبان والمسغبة مفعلة منه قال النخعي في يوم ذي مسغبة أى عزيفه الطعام قال ابن عباس مسغبة مجاعة وعنه جوع وقيد الاطعام بكونه في هذا اليوم لان اخراج المال في ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للاجر قرأ الجمهور بالجر على انه صفة ليوم ويتيمها هو مفعول اطعام وقرأ الحسن بالنصب على انه مفعول اطعام أى يطعمون ذامسغبة ويتيمابذل منه (يتيم اذ مقربة) أى قرابة قاله ابن عباس يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربى واليتيم فى الاصل الضعيف يقال يتم الرجل اذا ضعف واليتيم عند أهل اللغة من لأب له وقيل هو من لأب له ولأأم ومنه قول قيس بن الملوح

الى الله أشكو فقد ليلى كاشكا * الى الله فقد والدين يتم

(أومسكين اذ متربة) أى لاشئ له كأنه لصق بالتراب لفقره وليس له مأوى الا التراب يقال ترب الرجل يترب تراباً ومتربة اذا افتقر حتى لصق بالتراب ضرا قال مجاهد هو الذى لا يقية من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة هو ذو العيال وقال عكرمة هو المديون وقال أبو سنان هو ذو الزمانة وقال ابن جبيرة هو الذى ليس له أحد وقال عكرمة أيضاً هو البعيد التربة الغريب عن وطنه وبه قال ابن عباس والاول أولى ومنه قول الهذلى

وكذا اذا ما الضيف حل بارضنا * سنكأ دماء البدن فى تربة الحال

وعن ابن عباس أيضاً قال هو المطروح الذى ليس له بيت وفى لفظ هو الذى لا يقية من التراب شئ وفى لفظ هو اللازق بالتراب من شدة الفقر وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الآية قال هو الذى مأواه المزابل أخرجه ابن مردويه والمتربة والمقربة والمسغبة مفعلات أى كل واحد منها مصدر ميمي على وزن مفعلة (ثم كان من الذين آمنوا) عطف عن المنفى بالوجاء بتم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة محله وفيه دليل على ان هذه القرب انما تنفع مع الايمان وقيل التراخى فى الذكر وقيل المعنى ثم كان من الذين آمنوا بان هذا نافع لهم وقيل المعنى انه اتى بهذه القرب لوجه الله (وتواصوا بالصبر) معطوف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى ما أصابهم من البلياء والمصائب والحن والشدائد (وتواصوا بالمرجة) أى بالمرجة

فهو ساقط هاهنا بأم رأسه فى نار جهنم وعبر عنه بأمة يعنى دماغه روى نحوه هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبى صالح على وقتادة قال قتادة يهوى فى النار على رأسه وكذا قال أبو صالح يهوى فى النار على رؤسهم وقيل معناه فأما التى يرجع اليها ويصير فى المعاد اليها هاهنا وهى اسم من أسماء النار قال ابن جرير وانما قيل للهاوية أمة لانه لا مأوى له غيرها وقال ابن زيد الهاوية النار التى هى أمة ومأواه التى يرجع اليها ويقرأ وما وهى النار قال ابن أبى حاتم وروى عن قتادة انه قال هى النار وهى مأواهم ولهذا قال تعالى مفسر للهاوية وما أدراك ما هاهنا نار حامية قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الأشعث بن عبد الله الاعمى قال اذا مات المؤمن ذهب بروحه الى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أباكم فانه كان فى هم غم الدنيا

قال ويسألونه ما فعل فلان فيقول ما أت وما جاءكم فتيقنوا أن الله قد رزقنا الله تعالى من أجزائه وكرمه وقوله تعالى نار حامية أي حارة شديدة الحرق قوية
 اللهب والسعير قال أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نار بني آدم التي
 توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنما فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً أو روى البخاري
 عن اسمعيل بن أبي أويس عن مالك ورواه مسلم عن قتيبة عن المغيرة (٢٨١) بن عبد الرحمن عن أبي الزناد وفي بعض ألفاظه

إنما فضلت عليها بتسعة وستين
 جزءاً كلهن مثل حرها وقال الإمام
 أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا
 حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن أبي
 زياد سمعت أبا هريرة يقول سمعت
 أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول
 نار بني آدم التي توقدون جزء من
 سبعين جزءاً من نار جهنم فقال رجل
 إن كانت لكافية فقال لقد فضلت
 عليها بتسعة وستين جزءاً فخراً تفرد به
 أحمد من هذا الوجه وهو على شرط
 مسلم وروى الإمام أحمد أيضاً حدثنا
 سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
 وسلم وعمر بن يحيى بن جعدة أن
 ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار
 جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا
 ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد
 وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجه
 من هذا الوجه وقد رواه مسلم في
 صحيحه من طريق

ورواه البزار من حديث
 عبد الله بن مسعود وأبي سعيد
 الخدري ناركم هذه جزء من سبعين
 جزءاً وقد قال الإمام أحمد حدثنا
 قتيبة حدثنا عبد العزيز هو ابن
 محمد الدراوردي عن سهل عن أبيه

على عباد الله فانهم إذا فعلوا ذلك رحوا اليتيم والمساكين واستكثروا من فعل الخير بالصدقة
 ونحوها قال ابن عباس يعني بذلك رحمة الناس (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات
 هم (أصحاب المينة) أي أصحاب جهة اليمين أو أصحاب اليمين أو الذين يعطون كتبهم بإيمانهم
 وقبل غير ذلك مما قدمنا ذكره في سورة الواقعة (والذين كفروا بآياتنا) أي بالقرآن أو بما
 هو أعم منه قد دخل الآيات التنزيلية والآيات التكوينية التي تدل على الصانع سبحانه
 (هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال أو أصحاب الشؤم أو الذين يعطون كتبهم
 في شئنا لهم أو غير ذلك مما تقدم (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة مغلقة يقال اصدت
 الباب وأوصدته إذا غلقته واطبقته قرأ الجمهور مؤصدة بالواو وقرئ بالهمزة وهما لغتان
 والمعنى واحد قال ابن عباس مغلقة الأبواب وقال أبو هريرة مطبقة

(سورة الشمس هي خمس عشرة آية وهي مكية بخلاف)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير أنه وعنه عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم كان يقرأ في صلاة العشاء والشمس وضحاها وأشباهها من السور أخرجه
 أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وقد تقدم حديث جابر في الصحيح أن رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ هل صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل
 إذا يغشى وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن يقرأ في صلاة الصبح
 بالليل إذا يغشى والشمس وضحاها أخرجه الطبراني وعن عقبه بن عامر قال أمرنا رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نصل ركعتي الضحى بسورتين هما بالشمس وضحاها والضحى
 أخرجه البيهقي في الشعب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) أقسم سبحانه بهذه الأمور وله أن يقسم بمشاه من مخلوقاته وقال قوم
 أن القسم بهذه الأمور ونحوها مما تقدم مما سياتي هو على حذف مضاف أي ورب
 الشمس وهكذا أسأرها ولا ملجئ لي هذا ولا موجب له وقوله وضحاها هو قسم ثان وقال
 الرازي المفصود من هذه السورة الترفع في الطاعات والتخدير من المعاصي وقد أقسم
 تعالى بأنواع مخلوقاته المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل المكلف فيها ويشتكر عاينها لأن
 ما أقسم الله تعالى به يحصل منه وقع في القلب وأقسم الله في هذه السورة بسبعة أشياء إلى

(٣٦ - فتح البیان عاشم) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم
 تفرد به أيضاً من هذا الوجه وهو على شرط مسلم أيضاً وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو والخلال حدثنا إبراهيم بن المنذر
 الحارثي حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبي سهل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدرون
 ما مثل ناركم هذه من نار جهنم لهن أشد سوداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وروى
 الترمذي وابن ماجه عن عباس الدوري عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقد على النار ألف سنة حتى أحرقت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي

سوداء مظلمة وقد روى هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب وجاء في الحديث عند الامام أحمد من طريق أبي عثمان النهدي عن أنس وأبي نضرة المقيمي عن أبي سعيد وعجلان مولى المشعل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلي منه مادماغه وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل كل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون في الصيف من حرها وفي الصحيحين إذا شئت (٢٨٢) الحرفا بردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم آخر تفسير سورة

القارعة والله الحمد

* (تفسير سورة التكاثر وهي مكية)

* (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الحليم ثم لترونها عين اليقين ثم لتستلن يومئذ عن النعيم) يقول تعالى أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الغفاري المصري حدثني خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر عن الطاعة حتى زرتم المقابر حتى يأتيكم الموت وقال الحسن البصري ألهاكم التكاثر في الأموال والآل والأدنى صحيح البخاري في الرقاق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا جاد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال كثرت هذامن

قوله قد أفلح من زكاهما فاقسم بالشمس وضحاها فإن أهل العالم كانوا كالموات في الليل فلما ظهر أثر الصبح صارت الأموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووقت النخى يشبه استمقرار أهل الجنة فيها انتهى قال مجاهد أي ضوءها واشراقها وأضاف الضحى إلى الشمس لأنه انما يكون عند ارتفاعها وكذا قال الكلبي وقال قتادة ضحاها نهارها كله قال القراء الضحى هو النهار وقال المبرد أصل الضحى الصبح وهو نور الشمس وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك قال القرطبي الضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحوة وقد نذ كرفن أنت ذهب إلى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى انها اسم فعل نحو صرد ونغر قال أبو الهيثم ثم الضحى نقبض الظل وهو نور الشمس على وجه الأرض وأصله الضحى فاستعملوا الياء فقلبوها ألفا قيل والمعروف عند العرب أن الضحى إذا طلعت الشمس وبعد ذلك قليلا فإذا زاد فهو الضحاة بالماء قال المبرد الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور فأبدلت الألف والواو من الحاء واختلاف في جواب القسم ماذا هو ف قيل هو قوله قد أفلح من زكاهما قاله الزجاج وغيره وحذفت اللام لأن الكلام قد طال فصارت طوله عوضا منها وقيل محذوف أي لتبعن وقيل تقديره ليدمد من الله على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما دمد على ثمود لأنهم كذبوا صالحا وما قوله قد أفلح من زكاهما فكلام تابع لقوله فالهمنها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء وقيل هو على التقديم والتأخير بغير حذف والمعنى قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها والشمس وضحاها والاول أولى (والقمر إذا تلاها) أي تبعها وذلك بان طلع بعد غروبها يقال تلاه لوتلوا إذا تبع قال المفسرون وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضائة وخلفها في النور قال الزجاج تلاها حين استدار فكان يتلو الشمس في الضياء والنور يعني إذا كمل ضوءه فصارت تابعا للشمس في الانارة يعني كان مثلها في الاضائة وذلك في الليالي البيض وقيل إذا تلا طلوعه طلوعها قال قتادة ان ذلك لا يله الهلال إذا سقطت رؤى الهلال قال ابن زيد إذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب وقال القراء تلاها أخذ منها يعني ان القمر يأخذ من ضوء الشمس قال ابن عباس تلاها

القرآن حتى نزلت ألهاكم التكاثر يعني لو كان لابن آدم واد من ذهب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر تبعها

حدثنا شعبه سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مال إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فامضيت ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبه وبه قال مسلم في صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث ما أكل فافنى أو لبس فأبلى أو تصدقت فامضى وما سوى ذلك فذهب وتارك للناس فقر به مسلم وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا

عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به وقال الامام احمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بهم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل أخرجاه في الصحيحين وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة الاحنف بن قيس واسمه الضمك انه رأى في يد رجل درهمان فقال لمن هذا الدرهم فقال الرجل لي فقال انما هو لك اذا انفقته في اجر (٢٨٣) أو ابتغاه شكرتم أنشد الاحنف مثملاً

قول الشاعر

أنت للمال اذا أمسكته

فاذا انفقته فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو اسامة قال صالح ابن حبان حدثني عن ابن بريدة في قوله ألهاكم التكاثر قال نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار بني حارثة وبني الحارث تفاعروا وتكاثروا فقلت احداهما فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاعروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجعلت احدي الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون الى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فانزل الله ألهاكم التكاثر حتى زرم المقابر لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل وقال قتادة ألهاكم التكاثر حتى زرم المقابر كانوا يقولون نحن اكثر من بني فلان ونحن اعدمن بني فلان وهم كل يوم يتساقطون الى آخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من اهل القبور كما هم والصحيح أن المراد بقوله زرم المقابر اي صرتم

تبعها والاولى ان يفسر تلوه لها بكون ضوءه يخلفها ويحجبها بعد مغيبها سواء كان ذلك من غير تراخ وهو في النصف الاول من الشهر أو بعد مدة وذلك في النصف الثاني من الشهر فان القمر اذا طلع في نصف الليل يقال انه تلاها في ظهور الضوء أي خلفها فيه ولو بعد تحلل مدة ظلمة فليتم امل (والنهار اذا اجلاها) أي اضاءها قاله ابن عباس وذلك ان الشمس عند انبساط النهار تنجلي تمام الانجلاء فكأنه جلاها مع انها التي تبسطه وقيل الضهير عائد الى الظلمة أي جلي الظلمة وان لم يجز للظلمة ذكر لان المعنى معروف قال الفراء تقول أصبحت باردة أي أصبحت غدا تنابردة والاول أولى ومنه قول قيس بن الخطيم

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة * بدى حاجب منها وضفت بحاجب

وقيل المعنى جلي ما في الارض من الحيوانات وغيرها بعد ان كانت مستترة في الليل وقيل جلي الدنيا وقيل جلي الارض (والليل اذا يغشاها) أي يغشى الشمس فيذهب بضوئها فتغيب وتظلم الآفاق وقيل يغشى الآفاق وقيل الارض وان لم يجز لهما ذكر لان ذلك معروف والاول أولى قال الخطيب وحي به مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو أتى به ماضيا كان التركيب اذا غشيتها فتفتت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع انتهى والمعنى يغطيها بظلمته أي فيزيل ضوءها فانها تيجليها ويظهرها والليل يغطيها ويزيل ضوءها فالضهير في الفواصل من أول السورة الى هنا للشمس وهذه الاقسام الاربعة ليست الا للشمس في الحقيقة لكن بحسب اربعة أوصاف أولها الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان وتحرك الانسان للمعاش ومنها تلوه القمر للشمس بأخذه الضوء عنها ومنها تكامل طلوعها وبروزها بجي النهار ومنها وجود خلاف ذلك بجي الليل ومن تأمل قليلا في عظمة الشمس انتقل منها الى عظمة خالقها فسبحانه ما أعظم شأنه (والسماء وما بناها) يجوز أن تكون ما مصدرية أي والسماء وبنائها ويجوز أن تكون موصولة وبه قال أبو البقاء أي والذي بناها واشار ما على من لا رادة الوصفية لقصد التفعيض كأنه قال والقادر العظيم الشأن الذي بناها ورجح الاول الفراء والزجاج ولا وجه لقول من قال ان جعلها مصدرية مخجل بالنظم ورجح الثاني ابن جرير قال ابن عباس الله بنى السماء (والارض وما طعهاها) الكلام في ما هذه كالكلام في التي قبلها ومعنى طعهاها بسطها على الماء كذا قال عامة المفسرين

اليها ودفنتم فيها كما جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الاعراب يعود فقال لا بأس طهور ان شاء الله فقال قلت طهور بل هي حتى تقور على شيخ كبيره تزيه القبور قال فنعم اذن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن سعيد الاصبهاني أخبرنا حكام بن سالم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن المنهال عن زر بن حبیش عن علي قال ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ألهاكم التكاثر حتى زرم المقابر ورواه الترمذي عن أبي كريب عن حكام بن سالم به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أسامة بن أبي داود والعرضي حدثنا ابو الميج الرقي عن ميمون بن مهران قال كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ ألهاكم التكاثر حتى زرم المقابر فلبث هنيهة ثم قال يا ميمون ما ترى المقابر الا زيارة وما للزائر بد من ان يرجع الى منزله قال ابو محمد

يعني ان يرجع الى منزله الى جنة أو الى نار وهكذا ذكر ان بعض الاعراب سمع رجلا يقول هذه الآية حتى زرع المقابر فقال بعث القوم ورب الكعبة اي ان الزائر سيرحل من مقامه ذلك الى غيره وقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون قال الحسن البصري هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون يعني ايها المؤمنون وقوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم انتم كائنات عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم الى المقابر ثم قال لترون الجحيم ثم لترون عاين اليقين هذا تفسير الوعيد المتقدم (٢٨٤) وهو قوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون توعدهم بهذا الحال وهو

رؤية النار التي اذا قربت زفرة واحدة ختر كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعانية الاحوال على ما جاء به الاثر المروى في ذلك وقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اي ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما انعم الله به عليكم من الصحة والامن والرزق وغير ذلك فاذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزار المقرئ حدثنا عبد الله بن عيسى ابو خالد الجزار حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس انه سمع عمر بن الخطاب يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فوجدنا بكري في المسجد فقال ما اخرجك هذه الساعة فقال اخرجني الذي اخرجك يا رسول الله قال وجاء عمر بن الخطاب فقال ما اخرجك يا ابن الخطاب قال اخرجني الذي اخرجك قال فقعد عمر وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدهم مائمه قال هل بكم من قوة تطلقان الى هذا النخل فتصيبان

كما في قوله دحاها قالوا طحاها ودحاها واحد أي بسطها من كل جانب والطحا البسط وقيل معنى طحاها قسمها وقيل خلقها والاول أولى والطحا أيضا الذهاب قال أبو عمرو بن العلاء طحا الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما أدري أين طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به (ونفس ومساواها) الكلام في ما هذه كما تقدم ومعنى سواها خلقها وأنشأها وسوى أعضائها وعدلها على هذا القانون الاحكم في أعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض والمعاني وغير ذلك قال عطاء يريد جميع ما خلق من الانس والجن والتشكير للتفخيم أو للتكثير وقيل المراد نفس آدم (فألهما فجورها وتقواها) أي عرفها وأفهمها حالهما وما فيها من الحسن والقبح والالهام القاء الشيء في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن فاطلاقه على الفجور تسامح وقد دفع بحمل الالهام على مطلق البيان قال مجاهد عرفها طريق الفجور والتقوى والطاعة والمعصية قال الفراء فآلهما عرفها طريق الخير والشر كما قال وهديناه النجدين قال محمد بن كعب اذا أراد الله بعبده خيرا ألهمه الخير فعمل به واذا أراد به الشر ألهمه الشر فعمل به قال ابن زيد جعل فيه ذلك بتوقيفه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار هذا الزجاج وحمل الالهام على التوفيق والخذلان قال الواحدى وهذا هو الوجه لنفسه سير الالهام فان التبيين والتعليم والتعريف دون الالهام والالهام ان يوقع في قلبه ويجعل فيه واذا وقع الله في قلب عبده شيئا فقد أزمه ذلك الشيء قال وهذا صريح في ان الله خلق في المؤمن تقواه وفي الكافر فجوره قال ابن عباس في الآية علمها الطاعة والمعصية وعنه قال ألهما من الخير والشر وعنه قال أزمها فجورها وتقواها وأخرج أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمران بن حصين ان رجلا قال يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدهون فيه شيء قد قضى عليهم ومضى في قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهاهم به نبيهم واتخذت عليهم به الحجة قال بل شيء قد قضى عليهم قال فلم يعملون اذن قال من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيمه له عملها وتصدق ذلك في كتاب الله ونفس ومساواها فآلهما فجورها وتقواها وسيأتي في السورة التي بعد هذه نحو هذا الحديث وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والفساني عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها

طعاما وشربا وطلاقة لثام قال مروان بن الحارث بن التيهان بن الهيثم الانصاري قال فتقدم رسول الله ومولاه صلى الله عليه وسلم بين ايدينا فسلم واستأذن ثلاث مرات وام الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد ان يزيدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام فلما اراد ان ينصرف خرجت ام الهيثم تسعى خلفهم فقالت يا رسول الله قد والله سمعت تسليما ولكن اردت ان تزيدني من سلامك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم قال ابن ابي الهيثم لا اراه قالت يا رسول الله هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فانه باقى الساعة ان شاء الله فبسطت بساطا تحت شجرة فجاء ابو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على فخذيه فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك يا ابا الهيثم فقال يا رسول الله تأكلون من بيرة ومن رطبه

ومن تنذوبة ثم اتاهم بما فشر بوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسألون عنه هذا غير من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني الحسين بن علي الصداقي حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما أجاسكم ههنا قالوا والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع قال والذي بعثني بالحق ما أخرجني غير ما نطلقوا حتى آتوايت رجل من الانصار فاستقبلهم المرأة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان فقالت ذهب يستعذب انما جاءه (٢٨٥) صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا ما زار العباد

شيء أفضل من نبي زارني اليوم فعلق قربة به بكوب فخله وانطلق فجاءهم بعد ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا كنت اجتيت فقال أحببت ان تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اياك والخلوب فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لتسئلن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصيبتهم هذا فلهذا من النعيم ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجه من حديث المكاري عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق به وقدرناه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحو من هذا السياق وهذه القصة وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج عن أبي نضرة عن أبي عسيب يعني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه

ودولاهما وأخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه من حديث ابن عباس وزاد كان اذا تلا هذه الآية ونفس وما واهها فاهمها فجورها وتقاها قال فذكره وزاد أيضا وهو في الصلاة وأخرج حديث زيد بن أرقم مسلم أيضا وأخرج نحوه أحمد من حديث عائشة (قد أفح من زكاه) أي قد فاز من زكى نفسه وأغناها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب وظفر بكل محبوب وقد قدمنا ان هذا جواب القسم على الراجح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام أي والاصل فيه لقد وتبعه القاضي قال الشهاب وعند النجاة ان الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معه موله اذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ولا يجوز الاقتصار على احدهما الا عند طول الكلام أو في ضرورة وأصل الزكاة النخوة والزيادة ومنه زكا الزرع اذا كثر قال ابن عباس يقول قد أفح من زكى الله نفسه أي بالطاعة (وقد خاب من دساها) أي خسر من أضلها وأغواها بالمعصية قال أهل اللغة دساها أصله دسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء في الشيء فعني دساها في الآية اخفائها وأخلها ولم يشهرها بالضاعة والعمل الصالح وكانت أجواد العرب تنزل الامكنة المرتفعة ليشهر مكانها فتقصدها الضيوف وكانت لثام العرب تنزل الهضاب والامكنة المتخفضة ليجفي مكانها عن الوافدين وقال ابن الاعرابي المعنى دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قال ابن عباس قد خاب من دس الله نفسه فاضله وعنه قال دساها يعني مكربها وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الآية أفحمت نفس زكاه الله وخابت نفس خيبها الله من كل خير أخرجه أبو حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي من طريق جوير عن الضم الكوفي وجوير ضعيف وتكرير قد فيه لابرار الاعناء بتحقيق مضمونها والايذان يتعلق القسم به أيضا الصالة (كذبت غود) رسوله اصالحا (بطغواها) انث الفعل لضعف أثر تكذيبهم لان كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آياتهم والطغوى اسم من الطغيان كالدعوى قال الواحدى قال المفسرون معناه الطغيان جلهم على التكذيب والطغيان مجاوزة الحد في المعاصي والباء للسببية كما قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقيل بطغواها أي بعذابها الذي وعدت به وهي العذاب طغوى لانه طغى عليهم فتكون الباء على هذا للتعدية وبدأ في الكشف بانهم اللامسة معانة مجازا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمي مجراؤه على الله وقال محمد بن كعب بطغواها أي باجتماعها قرأ الجمهور بفتح الطاء وهو مصدر

وسلم لا يخرى فدعاني فخرجت اليه ثم مر بابي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطنا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط أطعمنا فجاء بعد ذلك فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعاهم باراد فشراب وقال لتسئلن عن هذا يوم القيامة قال فاخذ عمر العذق فضرب به الارض حتى تناسر البسر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله ان المسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم ثلاثة خرقة انف بها الرجل عورته أو كسرة سدبها جوعته أو حجر يدخل فيه من الخروا القرت فترديه أحمد وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر طبا وشرابا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسألون عنه

ورواه النسائي من حديث جاد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر بن عبد الله قال قال الامام احمد حدثنا زيد بن حذاف عن محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن مجاهد بن الربيع قال لما نزلت اهلهاكم التكاثر فقرأت حتى بلغ لتستلن يومئذ عن النعيم قالوا يا رسول الله عن أي نعيم نستل ونأخاها الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نستل قال أما ان ذلك سيكون وقال احمد حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمر قال كنا في مجلس فطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه (٢٨٦) أثر ماء فقلنا يا رسول الله نراك طيب النفس قال أجل قال ثم خاض

الناس في ذكر الغنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بالغنى لمن اتقى الله والحكمة لمن اتقى الله خير من الغنى أو طيب النفس من النعيم ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد الله بن سليمان به وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن النخائل بن عبد الرحمن ابن عزم الاشعري قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسئل عنه يعني يوم القيامة العبد من النعيم أن يقال له ألم تصبح للتبذك ونزويدك من الماء البارد تفرد به الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبر به وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال قال الزبير لما نزلت ثم لتستلن يومئذ عن النعيم قالوا يا رسول الله لأي نعيم نستل عنه ونأخاها الاسودان التمر والماء

بمعنى الطغيان وانما قلبت الياء واو للفرق بين الاسم والصفة لانهم يقبلون الياء في الاسماء كذير الخو تقوى وسروى وقرى بضم الطاء وهو مصدر أيضا كالرجعى والحسنى وشوهمما وقيل هما الغتان واختير التعبير بالطغوى لانه أشبه برؤس الآيات قال ابن عباس اسم العذاب الذي جاءها الطغوى فقال كذبت ثمود بعد ذهابها (اذ انبعث أشقها) العامل في الظرف كذبت أو بطغواها أي حين قام أشقي ثمود وهو قدار بن سالف فعقر الناقة ومعنى انبعث انتدب لذلك وقام به يقال بعثته على الامر فانبعث به ويضرب بتهدار المثل فيقال أشام من قدار وهو أشقي الاولين وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ومعنى قدار في الاصل الخزار وقد تقدم بيان هذا في الاعراف (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا بسبب الانبعاث أو التكاثر الذي دل على قصدهم لها بالاذى (ناقة الله) قال الزجاج أي ذروا ناقة الله وقال الفراء حذرهم اياها وكل تحذير فهو نصب أي ذروا عقرها والاضافة للتشريف كبيت الله (و) احذروا (سقيها) وهو شربها من الماء وكان لها يوم ولهم يوم قال الكلبي ومقاتل قال لهم صالح ذروا ناقة الله فلا تعقروها وذروا سقيها وهو شربها من النهر فلا تعرضوا لها يوم شربها (فكذبوه) بتحذيره اياهم واستروا على تكذيبه (فعقروها) أي عقرها الاشقي وانما اسند العقر الى الجميع لانهم رضوا بما فعله قال قتادة انه لم يعقروها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنشاهم قال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس وهذان خير الناس فلهم الم يقل أشقياها اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن زعفة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذ انبعث أشقها قال انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل ابي زعفة وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي الا احذرك بأشقي الناس قال بلى قال رجلان احمر عمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا يعني قرنه حتى تبطل منه هذه يعني لحية اخرج احمد وابن أبي حاتم والبخاري والطبراني وابن مردويه والحاكم وابو نعيم في الدلائل (فدمدم عليهم ربهم) أي اهلكهم واطبق عليهم العذاب (بذنبهم) الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وحقبة الدمدمه تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على الشيء أي أطبقت عليه ودمدم عليه القبراي اطبقه وناقة مدمومة اذا لبسها الشحم والدمدمه اهلاك باستئصال كذا قال المؤرج قال

قال ان ذلك سيكون وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان هو ابن عيينة به ورواه احمد عنه وقال الترمذي في حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال أنزلت هذه الآية ثم لتستلن يومئذ عن النعيم قالت الصحابة يا رسول الله وأي نعيم نحن فيه وانما ناكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير فوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم أليس تحتدون النعال وتشربون الماء البارد فهذان النعيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى اخبرنا محمد بن سليمان بن الاصمهاقي عن ابن أبي ليلى اظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ثم لتستلن يومئذ عن النعيم قال الا من والحقه وقال زيد بن اسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لتستلن يومئذ عن النعيم

يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة وقال سعيد بن جبيرة حتى عن شربة غسل وقال مجاهد عن كل لذة من لذات الدنيا وقال الحسن البصري من النعيم الغداء والعشاء وقال أبو قلابة من النعيم أكل السمك والغسل بالخبز النقي وقول مجاهد شمل هذه الأقوال وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم لتستلن يومئذ عن النعيم قال النعيم صحة الأبدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيما استعملوا وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا وثبت في صحيح (٢٨٧) البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن

ماجه من حديث عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان غبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ومعنى هذا انهم مقصرون في شكرهما تين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي حدثنا علي بن الحسين ابن شقيق حدثنا أبو جزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فوق الأزار وظل الحائط وخبز يحاسب به العبد يوم القيامة أو يستل عنه ثم قال لا تعرفه إلا بهذا الإسناد وقال الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قال

حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال اسحق بن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل قال عفان يوم القيامة يا ابن آدم حملتك على الخيل والابل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فابن شكر

في الصحاح دمدت الشيء إذا أزرقت به بالارض وطمعتمته ودمدم الله عليهم أي اهلكهم ودمدمت على الميت التراب أي سويته عليه قال ابن الأنباري دمدم أي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وقال ابن الأعرابي دمدم إذا عذب عذابا تاما والضمير في (فوها) يعود إلى الدمدمة أي فسوى الدمدمة عليهم وعلمهم فاستوت على صغيرهم وكبيرهم وقيل يعود إلى الارض أي فسوى الارض عليهم فجعلهم تحت التراب وقيل يعود إلى الأمة أي ثود قال الفراء سوى الأمة أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى بينهم فلم يفلت منهم أحد الا من آمن مع صالح وكافوا أربعة آلاف قرأ الجمهور بين الدالين وقرأ ابن الزبير فدهم بهاء بينهم ما قال القرطبي وهم الغتان كما يقال امتقع لونه وامتقع لونه وفي القاموس دم الارض سواها كدهم ودمدم عليهم فخلص ان دم بدل واحدة ودمدم بدلين مناهما واحد (ولا يخاف عقباها) أي فعل الله بهم ذلك غير خائف من عاقبة ولا تبعه والضمير في عقباها يرجع إلى الفعلة أو إلى الدمدمة المدلول عليها بدمدم قال السدي والضحاك والكافي ان الكلام يرجع إلى العاقل لا إلى الله سبحانه أي لم يخف الذي عقرها عقبي ما صنع وقيل لا يخاف رسول الله عليه الصلوات والسلام عاقبة اهلا كقومه ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابه لم لانه قد أخذهم والاول أولى قرأ الجمهور ولا يخاف بالواو وقرئ بالناء وهما قرأتان سبع عيتان أما الواو فيجوز أن تكون للعال أو لاستثناف الاخبار والفاء للتعقيب وهو ظاهر والمعنى لا يخاف عاقبتها كما تخاف الملوك عاقبة ما فعله فهو استعارة تمثيلية لاهانتهم وأنهم أذلاء عند الله وفي القاموس أعقبه الله بطاعته جازاه والعقبى جزاء الأمر

(سورة الليل هي احدى وعشرون آية وهي مكية عند الجمهور)

وقيل مدينة قال ابن عباس نزات بمكة وعن ابن الزبير مثله عن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في الظهر والعصر والليل إذا غشي ونحوها أخرجه البيهقي في سننه وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم الهاجرة فرفع صوته فقرأ والشمس وضحاها والليل اذ يغشى فقال له أبي بن كعب يا رسول الله أمرت في هذه الصلاة بشئ قال لا ولكن أردت ان أوقت لكم أخرجه الطبراني في الاوسط وقد تقدم حديث فهل أصليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل اذ يغشى وعن ابن

ذلك تفرد به من هذا الوجه آخر تفسير سورة التكاثر والله الحد والمئة *(نفسه سورة العصر وهي مكية)* ذكروا ان عمرو بن العاص وفد على مسيلة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان يسلم عمرو فقال له مسيلة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بلغة فقال وما هي فقال والعصر ان الانسان لقي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ونواصوا بالحق ونواصوا بالصبر فذكر مسيلة هنيئة ثم قال وقد أنزل على مثله فقال له عمرو وما هو فقال يا بابر باور انما أنت أذنان وصدر وسائر حفر نقر ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله انك لتعلم اني أعلم انك تكذب وقد رأيت أبا بكر

انخرائطى أسندنى كتابه المعروف بمساوى الاخلاق فى الجزء الثانى منه شيئا من هذا وأقر يسامنه والورد ودية تشبه الهرا عظم شئ فيه اذناه ومصدره وباقية دمىم فاراد مسيلة ان يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن فلم يرج ذلك على عابد الاوثان فى ذلك الزمان وذو الطيرانى من طريق جسد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حصن قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله اذ التقيا لم يفترقا الا على ان يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر الى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر وقال الشافعى رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (٢٨٨) والعصر ان الانسان فى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر الزمان الذى يقع فيه حركات بنى آدم من خير وشر وقال مالك عن زيد بن أسلم هو العصر والمشهور الاول فاقسم تعالى بذلك على ان الانسان انى خسر أى فى خسارة وهلاك الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى من جنس الانسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات يجوارحهم وتواصوا بالحق وهو أداء الطاعات وترك المحرمات وتواصوا بالصبر على المصائب والاقدار وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر آخر تفسير سورة العصر والله لحد

* (تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة وهى مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله أخذه كلا لينبذ فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة انهم عليهم مؤصدة فى عمد ممددة) الهماز بالقول واللامزا بالفعل يعنى يزدرى بالناس

عباس انى لا قول ان هذه السورة نزلت فى السماحة والبخل قال الرازى نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وانفاقه على المسلمين وفى أمية بن خلف وبجذله وكشفه بالله والعبر هموم اللفظ لاختصاص السبب

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والليل اذا يغشى) أى يغطى بظلمته ما كان مضيقا قال الزجاج يغشى الليل الاقوى وجميع ما بين السماء والارض فيه ذهب ضوء النهار وقيل يغشى النهار وقيل يغشى الارض والاول أولى قال ابن عباس اذا يغشى اذا أظلم وعن ابن مسعود قال ان أبابكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف بيرة وعشر أواق فاعتقه الله فانزل الله والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى سعى أبى بكر وأميه وأبى الى قوله وكذب بالحسنى قال لا اله الا الله الى قوله فسنبسره للعسرى قال النار اخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن عسا كرا قسم سبحانه بالليل الذى يأوى فيه كل حيوان الى مأواه وتسكن الخلق فيه عن التحرك ويغشاهم النوم الذى جعله الله راحة لبدانهم وغذاء لارواحهم ثم أقسم بالنهار فقال (والنهار اذا تجلجلى) أى ظهر وانكشف ووضع ليل والظلمة التى كانت فى الليل بطلوع الشمس لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان فى الليل من الظلمة وجاء الوقت الذى يتحرك فيه الناس لمعايشهم ويتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطأت الراحة فكانت المصلحة فى تعاقبهما (وما خلق الا ذكر والانثى) ما هنا هى الموصولة أى والذى خلقه ما وعبر عن من بمال الدلالة على الوصفية ولقصد التفتيح أى والقادر العظيم الذى خلق صنفى الذكر والانثى قال الحسن والكلى معناه الذى خلق الذكر والانثى فيكون قد أقسم بنفسه الكريمة قال أبو عبيدة وما خلق أى ومن خلق وقال مقاتل يعنى وخلق الذكر والانثى فتكون ما على هذا مصدرية قال الكلى ومقاتل يعنى آدم وحواء والظاهر العموم قرأ الجمهور وما خلق الذكر والانثى أو قرأ ابن مسعود والذكر والانثى بدون ما خلق قال المحلى والخنى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيبحث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكر أو لا أنثى انتهى وعبارة الخطيب الخنى وان أشكل أمره عندنا فهو وعند الله غير مشكل معلوم بالذكورة والانوثة انتمت وقال الكرخى يبحث بتكليمه لان الله تعالى لم يخلق من ذوى الارواح من ليس ذكر أو لا

وينتقص بهم وقد تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى هما زمراء يتمشيان ويحمل الحبل بينهما وقال الرازى نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وانفاقه على المسلمين وفى أمية بن خلف وبجذله وكشفه بالله والعبر هموم اللفظ لاختصاص السبب

اللؤلؤ نام كانه جيفة منتنة وقوله تعالى بحسب ان ماله اخلاذه أى يظن ان جمعه المال يخلده في هذه الدار كالأى ليس الامر كما زعم ولا كما حسب ثم قال تعالى لينبذن في الحطمة أى لينبذن هذا الذي جمع مالا فعدده في الحطمة وهى اسم طبقة من أسماء النار لانها تحطمن من فيها ولهذا قال وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة قال ثابت البناني تحرقهم الى الافئدة وهم احياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكي وقال محمد بن كعب تأكل كل شئ من جسده حتى اذا بلغت فواده حذو حلقه فرجع على جسده وقوله تعالى انها عليهم مؤصدة أى مطبقة كما تقدم تفسيره (٢٨٩) في سورة البلد وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله

ابن محمد حدثنا علي بن سراج حدثنا جاد بن خرزاد حدثنا شجاع ابن أسير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انها عليهم مؤصدة قال مطبقة وقدرناه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قوله ولم يرفع به وقوله تعالى في عدم مدة قال عطية العوفي عن محمد بن حديد وقال السدي من نار قال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس في عدم مدة يعنى الابواب هى الممدودة وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود انها عليهم مؤصدة بعد ممددة وقال العوفي عن ابن عباس ادخلهم في عدم مدت عليهم بعد ما في اعناقهم السلاسل فسدت بها الابواب وقال قتادة كما نحدثناهم يعذبون بعد ما في النار واختاره ابن جرير وقال أبو صالح في عدم ممددة يعنى القيود الثقيل آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة * تفسير سورة النمل وهى مكية * (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تركيف فعل ربك باصحاب النمل)

(٣٧ - فتح البيان عاشر) ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فابادهم الله وأرغم آفاقهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوم انصارى وكان دينهم اذذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الاوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه في ذلك العام ولد على أشهر الاقوال ولسان حال القدر يقول لم ينصر كم يا معشر قريش على الحبشة لخبر يتكلم عليهم ولكن

أثنى والخنى انما هو مشكل بالنسبة اليها فلا يابى الفضل الهمداني فيما حكاه وجهها انه نوع ثالث ويدفعه قوله يهب لمن يشاء انا واهب لمن يشاء الذكور وشو ذلك قاله الاسنوى (ان سعيكم لشيئ) هذا جواب القسم أى ان عملكم مختلف فنه عمل الجنة ومنه عمل النار أو منكم مؤمن وكافر أو منكم مشاب بالجنة ومعاقب بالنار أو منكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال جهمور المفسرين السعي العمل فساع في فكالك نفسه وساع في عطها وشئ جمع شئت كرضى جمع مريض وقيل للمختلف شئ لتباعد ما بين بعضه وبعض والشتات هو الافتراق وسعيكم مصدر مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنى وان كان مفردا في اللفظ ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شئ فهو معنى مساعيككم (فامان أعطى) أى بذل ماله في وجوه الخير (واتقى) محارم الله التى نهى عنها (وصدق بالحسن) أى أيقن بالخلف الذى من الله قال المفسرون فامان أعطى المعسر بن وقال قتادة أعطى حق الله الذى عليه وقال الحسن أعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسن أى بلا اله الا الله وبه قال الضحاك والسلمى وابن عباس وقال مجاهد بالحسن بالحسنة وقال زيد بن أسلم بالصلة والزكاة والصوم والاول أولى قال قتادة بالحسن أى بوعود الله الذى وعده ان يثيبه قال الحسن بالخلف من عطائه واختار هذا ابن جرير وقال ابن عباس أعطى من الفضل واتقى ربه وصدق بالخلف من الله (فسنيسره ليسرى) أى فسنيهته للصلة التى هى حسنى وهى عمل الخير حتى يسهل عليه فعله والمعنى فسنيسره الانفاق في سبيل الخير والعمل بالطاعة لله والسين في الموضوعين للتسويق وهو من الله محقق وذكر القسطلاني ان هذه السين للتطيف قال الشريفة الصفوى مرادهم به تريق الكلام معنى أن لا يكون نصافي المقصود بل يكون محتملا لغير المقصود فهو كالشئ الرقيق الذى يمكن تغييره ويسهل ويقابله الكنيف بمعنى أن يكون نصافي المقصود لانه لا يمكن تغييره وتبديله فهو كالشئ الكنيف الذى لا يمكن فيه ذلك فالقصد ههنا ان التيسير حاصل في الحال لكن أى بالسين الدالة على الاستقبال والتأخير اما تطيف الكلام وترقيقه باحتمال أن لا يكون التيسير حاصل في الحال انكسرت تقتضى ذلك والله أعلم قال الواحدى قال المفسرون نزلت هذه الآيات في أبى بكر الصديق اشترى ستة نفر من المؤمنين كانوا في أيدي أهل مكة يعذبونهم في الله

صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونوقره ببعثة النبي الامي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء وهذه قصة
 أصحاب القيل على وجه الایجاز والاختصار والتقریب قد تقدم في قصة أصحاب الاخدود ان ذان واس وكان آخر مولد جبر وكان
 مشركا وهو الذي قتل أصحاب الاخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبي من عشرين ألفا فلم يفلت منهم الا دوس ذو ثعلبان فذهب
 فاستغاث بقصر ملك الشام وكان نصرانيا فكتب له الى النجاشي ملك الحبشة لكونه اقرب اليهم فبعث معه اميرين ارباط وابرهة
 ابن الصباح ابابكسوم في جيش كثيف فدخلوا (٢٩٠) اليمن فحاصروا اخلال الديار واستلبوا المالك من حير وهلاك

ذو نواس غريفا في البحر واستقل
 الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان
 الاميران ارباط وابرهة فاختلفا في
 امرهما وتصارولا وتقاتلا وتصارفا
 فقال احدهما للآخر انه لا حاجة
 بنا الى اصطلام الجيشين بيننا
 ولكن ابرزالي وابرزاليك فابنا قتل
 الاخر استقل بعده بالملك فاجابه الى
 ذلك قتيارزا وخلف كل واحد منهما
 قناة فحمل ارباط على ابرهة فضر به
 بالسيف فشرم نفسه وفه وشق
 وجهه وحل عتودة مولى ابرهة على
 ارباط فقتله ورجع ابرهة جريحا
 قد وى جرحه فبرأ واستقل بتدبير
 جيش الحبشة باليمن فكتب اليه
 النجاشي يلومه على ما كان منه
 ويتوعده ويحلف لبطان بلاده
 ويجز ناصيته فارسل اليه ابرهة
 يترقى له ويصانعه وبعث مع رسوله
 بهدايا وتحف ومجربا فيه من تراب
 اليمن وجز ناصيته فارسلها معه
 ويقول في كتابه ليطأ الملك على هذا
 الجراب فيبرق منه وهذه ناصيتي قد
 بعثت بها اليك فلما وصل ذلك اليه
 أعجبه منه ورضي عنه وأقره على
 عمله وأرسل ابرهة يقول للنجاشي

قال ابن عباس للسري للخير من الله وقال زيد بن أسلم للجنة وعن عامر بن عبد الله بن
 الزبير قال كان أبو بكر يعتق على الاسلام بمكة وكان يعتق عجايز ونساء اذا أسلمن فقال له
 أبو أي بني أراك تعتق ناسا ضعفاء فلوانك تعتق رجلا جليدا يقومون معك وينعونك
 ويدفعون عنك قال أي أبت انما أريد ما عند الله قال فخذني بعض أهل بيتي ان هذه
 الآية نزلت فيه (وأما من بخل) بماله فلم يبدله في سبيل الخير (واستغنى) أي زهد في
 الاجر والثواب أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة قال ابن عباس ببخل بماله
 واستغنى عن ربه وعنه قال يقول من أغناه الله فبخل بالزكاة وعنه هو أبو سفيان بن
 حرب (وكذب بالحسنى) أي بالخلاف من الله عز وجل وقال مجاهد بالجحمة وعنه قال
 بلاه الا الله (فسيئسره للعسرى) أي فسنيئسه للخصلة العسرى وذله لها حتى
 يتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها فيؤديه ذلك الى النار قال مقاتل
 بعسر عليه ان يعطى خيرا قيل العسرى الشر وذلك ان الشر يؤدي الى العذاب والعسرة
 في العذاب والمعنى سنيئسه للشر بان تجرب به على يديه قال القراء سنيئسه سنيئسه والعرب
 تقول قد يسرت الغنم اذا ولدت أو تهيأت للولادة قال ابن عباس للعسرى للشر من الله
 وقيل للنار وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن علي بن أبي طالب قال كأمع
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة فقال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من
 الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما
 من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر
 لعمل أهل الشقاء ثم قرأ فاما من أعطى الى قوله للعسرى وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما
 عن جابر بن عبد الله ان سراقه بن مالك قال يا رسول الله في أي شيء يعمل أو في أي شيء ثبتت
 فيه المقادير وجرحت به الاقلام أم في شيء يستقبل فيه العمل قال بل في شيء ثبتت فيه
 المقادير وجرحت فيه الاقلام قال سراقه فقيم العمل اذن يا رسول الله قال اعملوا فكل ميسر
 لما خلق له وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فاما من أعطى الى آخرها
 وقد تقدم حديث عمران بن حصين في السورة التي قبل هذه وفي الباب أحاديث من
 طريق جماعة من الصحابة قال الفراء لقائل أن يقول كيف قال ذلك وهل في العسرى
 تيسير انتهى وايضاح الجواب عن هذا ما ورد في الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له

اني سأبني لك كنيسة بارض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء ربيعة البناء عالية الفناء أي
 من خرفة الارجاء سميتها العرب القليس لارتفاعها لان الناظر اليها تكاد تسقط قلنوسته عن رأسه من ارتفاع بناءها وعزم أبرهة
 الاشرم على أن يصرف حج العرب اليها كما يحج الى الكعبة بمكة ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك
 وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدوا بعضهم وتوصل الى أن دخلها اليه لافا حدث فيها وكررا جعافا ما رأى السدنة ذلك
 الحدث رفعوا امره الى ملكهم أبرهة وقالوا له انما صنع هذا بعض قريش غضبا اليهم الذي ضاهيت هذا به فاقسم أبرهة ليسيرن

الى بيت مكة وليخر به حجرا جرأوذ كرمقاتل بن سليمان ان قتية من قريش دخلوها فاججوا فيه نار او كان يومافيه هو اشد شديدا
فاحرقه وسقطت الى الارض فتأهب أبرهة لذلك وصار في جيش كثيف عزمهم لئلا يصد أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما
كبير الخشبة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه اليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر
فيلا غيره فالتة أعلم يعني ليهدم به الكعبة بان يجعل السلاسل في الاركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط بجله واحدة فلما
سمعت العرب بمسيره أعظمه وأذلك جدا وراوا ان حقا عليهم (٢٩١) الحاجة دون البيت ورد من أراد به بكيد

نخرج اليه رجل من أشرف
أهل اليمن وملوكهم يقال له ذونفر
فدعا قومه ومن أجابه من سائر
العرب الى حرب أبرهة وجهاده
عن بيت الله وما يريد من هدمه
وخرابه فاجابوه وقالوا أبرهة
فهزمهم لما يريد الله عز وجل من
كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذونفر
فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى
اذا كان بارض خنعم اعترض له
نفيل بن حبيب الخنعمي في قومه
وشهيدان وناهس فقاتلوه فهزمهم
أبرهة وأسر نفيل بن حبيب فاراد
قتله ثم عنا عنه واستصحبه معه
ليدله في بلاد الحجاز فلما اقترب من
أرض الطائف خرج اليه أهلها
ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم
الذي عندهم الذي يسمونه اللات
فاكرمهم وبعثوا معه أبارغا دليلا
فلما انتهى أبرهة الى المغمس وهو
قريب من مكة نزل به وأغار جيشه
على سرح أهل مكة من الابل
وغيرها فاخذوه وكان في السرح
ماتنابعير لعبد المطلب وكان الذي
أغار على السرح بامر أبرهة أمير
المقدمة وكان يقال له الاسود بن

أى عايكم بشأن العمودية وما خلقتم لاجله وأمرتم به وكلاؤا مور الربو بية الغيبة الى
صاحبها فلا عليكم بشأنهم ونظيره الرزق المقسوم مع الامر بالكسب والاجل المضروب في
العمر مع المعالجة بالطب فانك تجد المغيث فيها علة توجبه والظاهر البادى سببا مخيلا
وقد اصطلح الناس خاصتهم وعامتهم على أن الظاهر فيهما لا يترك بسبب الباطن قاله
الكرخي (وما) أى لا (يعنى عنه) شيا (ماله) الذي بخل به وترك لوارثه ولم يصحبه
منه الى آخرته التي هي موضع فقره وحاجته شى أو أى شى يعنى عنه (اذا تردى) أى
هلك يقال ردى الرجل ردى وتردى يتردى اذا هلك وقال قتادة وأبو صالح وزيد بن
أسلم اذا تردى اذا سقط في جهنم يقال ردى في البئر وتردى اذا سقط فيها ويقال ما أدري
اين ردى أى أين ذهب وجهه (ان عليه الهدى) مستأنفة مقررة لما قبلها أى ان
علينا البيان بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة قال
الزجاج علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال أى وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه
حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا قال قتادة على الله البيان بيان
حرامه وطاعته ومعصيته قال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله
قصد السبيل يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد قال الفراء أيضا المعنى ان علينا
للهدى والاضلال فحذف الاضلال كقوله سرايل تقيمكم الحرأى والبرد وقيل المعنى ان
علينا ثواب هداية الذى هدىناه والاول اولى (وان لنا الآخرة والاولى) أى لنا كل
ما في الآخرة وكل ما في الدنيا تنصرف به كيف نشاء فن أرادهما أو أحدهما فليطلب ذلك
منا وقيل المعنى ان لنا ثواب الآخرة وثواب الدنيا فن طلبها من غيرنا فقد أخطأ الطريق
(فانذرتكم نارا قلظي) أى حذرتكم وخوفتكم نارا توقد وتتوهج وأصله تلظى
فحذفت الحاء من تخفيفها وقرئ على الاصل (لا يصلاها) صليا لازما على جهة
الخلود (الا لا شقى) وهو الكافر وان صليها غيره من العصاة فليس صليها كصليها
والمعنى يدخلها أو يجد صليها وهو حرها ثم وصف الاشقى فقال (الذى كذب وتولى) أى
كذب بالحق الذى جاء به الرسل وأعرض عن الطاعة والايان قال الفراء الا لا شقى
الامن كان شقىا في علم الله جل شأنه وقال أيضا لم يكن كذب برده ظاهر ولكنه قصر عما
أمر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقي فلان العدو فكذب اذا نكل ورجع عن

مقصود فجهاد بعض العرب فيما ذكره ابن اسحق وبعث أبرهة حنيفة الجري الى مكة وأمره أن يأتيه باشراف قريش وان يخبره ان
الملك لم يحى لقتالكم الا أن تصدوه عن البيت فجا حنيفة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال فقال له عبد
المطلب والله ما نريد حر به ولا لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمة وان يخلى
بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حنيفة فاذهب معي اليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله وكان عبد المطلب رجلا جسيما
حسن المنظر ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط وقال لترجانه قل له ما حاجتك فقال لترجانه ان حاجتى أن يرد على الملك

ماتني بعير أصابه الى فقال أبرهة لترجانه قل له لقد كنت أعجبني حين رأيته ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أن تكلمني في مائتي بعير
أصبتها لك وتترك بيتا هودينا ودين آباءك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال له عبد المطلب اني أبارك الابل وان للبيت ربا
سيمعه قال ما كان لي تمنع مني قال أنت وذلك ويقال انه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشرف العرب فعرضوا على أبرهة ثلاث
أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب ابله ورجع عبد المطلب الى قريش فامرهم بالخروج
من مكة والتحصن في رؤس الجبال تخوفاً عليهم من (٢٩٢) معركة الجيوش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة

وقام معه نفر من قريش يدعون
الله ويستنصرون على أبرهة وجنده
فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة
باب الكعبة

لاهم ان المريم * منع رحله
فانسرح حالك * لا يغابن صليهم
* ومحالهم أبدا محال * *

قال ابن اسحق ثم أرسل عبد المطلب
حلقة الباب ثم خرجوا الى رؤس
الجبال وذكروا مقاتل بن سليمان انهم
تركوا عند البيت مائة دنة مقلدة
لعمل بعض الجيش ينال منها شيئا
بغير حق فينتقم الله منهم فلما أصبح
أبرهة تهيأ لدخول مكة وهذأفيله
وكان اسمه محمود وعي جيشه فلما
وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل
ابن حبيب حتى قام الى جنبه ثم
أخذ بذننه وقال ابرك محمود وارجع
راشدا من حيث جئت فانك في بلد
الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل
وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى
أصعد في الجبل وضر بوا الفيل
ليقوم فأبى فضربوا في رأسه
بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في
مراقبه فزعموه به اليه يقوم فأبى
فوجهوه راجعا الى اليمن فقام
بهم رول ووجهوه الى الشام فنعزل

اتباعه قال الزجاج هذه الآية هي التي من أجلها قال أهل الأرجاء بالارجاء فزعوا انه
لا يدخل النار الا كافر ولاهل النار منازل فنها ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
والله سبحانه كما وعد عليه به يجنس من العذاب خدير أن يعذب به وقد قال الله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب لم يكن
في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فائدة وقال في الكشف الآية واردة في الموازنة بين
حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فإريدان بيالغ في فتيهما المتناقضتين فقليل
الاشقي وجعل مختصا بالصلى كان النار لم تخلق الا له وقبل الاتقي وجعل مختصا بالنجاة
كان الجنة لم تخلق الا له وقيل المراد بالاشقي أبو جهل أو أمية بن خلف وبالاتقي أبو بكر
الصديق قال الحلي وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون
المراد الصلى المؤبد انتهى أى مصروف عن ظاهره فلا يراد الفاسق لانه اما ان لا يدخلها
ان عني عنه أو يدخلها ويخلص منها فالعنى لا يدخلها دخولا مؤبدا الا الكافر الذي هو
شقي لانه كذب النبي والاولى ان يقال مؤول بحمل الصلى على التأيد والخلود وعن أبي
هريرة قال لتدخل الجنة الامن يابى قالوا ومن يابى ان يدخل الجنة فقرا الذي كذب وتولى
أخرجه ابن جرير وعن أبي امامة لا يبقى أحد من هذه الامة الا أدخله الله الجنة الامن
شرد على الله كما يشرد البعير السوء على أهله فن لم يصدقني فان الله يقول لا يصلاها الا الاشقي
الذي كذب وتولى كذب بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتولى عنه أخرجه سعيد
ابن منصور وغيره وعنه انه سئل عن أئين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ألا كلكم يدخل الجنة الامن شرد
على الله شراد البعير على أهله أخرجه أحمد والحاكم والضياء وعن أبي هريرة رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل النار الا الاشقي قيل ومن الشقي
قال الذي لا يعمل لله بطاعة ولا يترك لله معصية أخرجه أحمد وابن ماجه وابن مردويه
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل أمتي يدخل الجنة يوم القيامة الامن
أبى قالوا ومن يابى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى أخرجه
أحمد والبخاري (وسيجنبها الاتقي) أى سيباعد عنها المتقي للكفر اتقاء بالغا قال
الواحدى الاتقي أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين انتهى والاولى حمل الاشقي

مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيرا من البحر
أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجله أمثال الحص والعنكب
منهم أحد الاهلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يتهدرون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا ونفيل على
رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بالصحاب الفيل من النعمة وجعل نفيل يقول
أين المفرو الااله الطالب * والاشيرم المغلوب ليس الغالب

الاجنبت علينا ردينا * نعمناكم مع الاصباح عينا ردينا لورأيت ولا تزيه * لدى جنب المحصب مارأينا
اذالذرتني وجدت أمري * ولم تأني على ما فات بينا حدث الله اذ أبصرت طيرا * وخفت حجاره تلقى علينا
فكل القوم تسأل عن نفيل * كأن على اللعشان دينا

وذكر الواقدي بأسناده انهم لما تبعوا الدخول الحرم وهبوا الفيل جعلوا لا يبصر فونه الى جهة من سائر الجهات الاذهب فيها فاذا
وجهوه الى الحرم ربض وصاح وجعل أبرهة يحمل على سائس (٢٩٣) الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على

دخول الحرم وطال الفصل في ذلك
هذا وعبد المطلب وجماعة من
أشراف مكة فيهم المطعم بن عدى
وعمر بن عاذ بن عمران بن مخزوم
ومسعود بن عمرو والثقي على حراء
ينظرون الى ما الحشنة يصنعون وما
ذايلقون من أمر الفيل وهو العجب
العجاب فيمنعهم كذا كذا اذ بعث الله
عليهم طيرا أبابيل أى قطعاً قطعاً
صناديد الحمام وأرجلها حرم مع
كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت خلقت

والا تقي على كل متصف بالصفين المذكورين ويكون المعنى انه لا يصلاها صلياً تاماً لازماً
الا الكامل في الشقاء وهو الكافر ولا يجنبها ويعد عنها تبعيداً كاملاً بحيث لا يحوم
حولها فضلاً عن ان يدخلها الا الكامل في التقوى فلا ينافي هذا دخول بعض العصاة من
المسلمين النار دخولاً لا غير لازم ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيداً غير
بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها والحاصل ان من تسلك من المرجئة بقوله
لا يصلاها الا الاشقي زاء ان الاشقي الكافر لانه الذي كذب وقول ولم يتبع التكذيب من
عصاة المسلمين فيقال له فاذا تقول في قوله وسيجنبها الاتي فانه يدل على انه لا يجنب النار
الا الكامل في التقوى فمن لم يكن كاملاً فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار فان
أوتى الاتي بوجه من وجوه التأويل لم يزل مثله في الاشقي فخذ اليك هذه مع تلك وكن
كما قال الشاعر

على اني راض بان أحجل الهوى * وأخرج منه لاعنى ولا ليا

وقيل اراد بالاشقي والاشقي والتقى كما قال طرفه بن العبد

تخي رجل ان أموت وان أمت * فتلك سبيل است فيها باوحد

أى بواحد ولا يخالف انه ينافي هذا وصف الاشقي بالتكذيب فان ذلك لا يكون الا من
الكافر فلا يتم ما اراده قائل هذا القول من شمول الوصف لعصاة المسلمين عن عروة ان
أبا بكر الصديق أعقق سبعة كلهم يعذب في الله بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها
وزنيرة وأم عيسى وأمة بنى المؤمل وفيه نزلت وسيجنبها الاتي الى آخر السورة أخرجه
ابن أبي حاتم وفي الباب روايات ثم ذكر سبحانه صفة الاتي فقال (الذي يؤتى ماله) أى
يعطيه ويصرفه في وجوه الخير وقوله (يتزكى) في محل نصب على الحال من فاعل يؤتى
أى حال كونه يطلب أن يكون عند الله زكياً لا يطلب رياء ولا معة ويجوز ان يكون بدلاً من
يؤتى داخله في حكم الصلة قرأ الجمهور يتزكى مضارع تزكى وقرأ على بن الحسين
رضي الله عنهم ما دام التاء في الزاى (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) قال أبو العود
أى من شأنه ان تجازى وتكافأ والجدة مستأنفة لتقرير ما قبلها من كون التزكى على
جهة الخلوص غير مشوب بشائبة تنافي الخلوص أى ليس ممن يتصدق بعالمه ايجازى
بصدقة نعمة لاحد من الناس عنده ويكافئه عليها وانما يتبع بصدقة وجهه الله تعالى

عليهم وأرسلت تلك الاجار عليهم
فهل كوا وقال محمد بن اسحق جاؤا
بنيلين فاما محمود فربض وأما
الآخر فشجع فخصب وقال وهب
ابن منبه كان معهم فيلة فاما محمود
وهو فيل الملك فربض ليقتهدى به
بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع
فخصب فهرت بتيمة الفيلة وقال
عطاب بن يسار وغيره ليس كلهم
أصابه العذاب في الساعة الرهنة
بل منهم من هلك سريعاً ومنهم من
جعل يتساقط اعضاؤه وهم
هاربون وكان أبرهة ممن تساقط
اعضواؤه حتى مات يلاً دخلهم

وقال ابن اسحق فخرجوا يتساقطون
بكل طريق ويهلكون على كل منزل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أغله أغله حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ
الطائر فمات حتى انصدع صدره من قلبه فيما يزعمون وذكره مقاتل بن سليمان ان قريشاً أصابوا امالاجر يلاً من أسلابهم وما كان
معهم وان عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب مامللاً حشرة قال ابن اسحق وحديث يعقوب بن عتبة انه حدث أول ما رويت
الحصبة والجدرى بارض العرب ذلك العام وأنه أول ما روى به مراثي الشجر الحرم والحظل والعثر ذلك العام وهكذا روى عن
عكرمة من طريق جيد قال ابن اسحق فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان فيما بعده على قريش من نعمته عليهم وفضله

مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول لثيلاف قريش أيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي لثلاثين شيئا من حالهم التي كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لوقبلوه قال ابن هشام الأبابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال وأما السجيل فآخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب قال وذكر بعض المفسرين أنهم ما

(٢٩٤)

وكل يعني بالسند الحجر والكل الطين يقول الحجارة من هذين الخنسين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذي لم يقصب واحدة عصفه انتهى ما ذكره وقد قال حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله وأبو سلمة عن عبد الرحمن طيرا أبابيل قال الفرقد وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضهم بعضا وقال الحسن البصري وقتادة الأبابيل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة تجتمع وقال ابن زيد الأبابيل المختلفة تأتي من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائي سمعت بعض الخويعين يقول واحد الأبابيل أبابيل وقال ابن جرير حدثني عبد الأعلى حدثني داود عن ابن عبد الله اسحق بن الحرث بن نوفل أنه قال في قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل هي الأفاطيع كالابل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس وأرسل عليهم طيرا أبابيل قال لها خراطين كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن

ومعنى الآية أنه ليس لاحد من الناس عنده نعمة من شأنها أن يجازي عليها حتى يقصد بآياتها ما يؤتى من ماله بمجازاتها وانما قال تجزي مضارا عما ينبغي للمفعول لأجل القواصل والاصل يجزيه أياه أو يجزيه أياها (الابتغاء وجهه بالاعلى) قرأ الجمهور بالنصب على الاستثناء المنقطع لعدم اندراجها تحت جنس النعمة أي لكن ابتغاء وجهه به ويجوز أن يكون منصوبا على أنه مفعول له على المعنى أي لا يؤتى إلا ابتغاء وجهه بالامكافأة نعمة قال الفراء هو منصوب على التأويل أي ما أعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله وقرئ بالرفع على البدل من محل نعمة لأن محلها الرفع اما على القاعلية واما على الابتداء أو من مزيدة والرفع لغنة تميم لانهم يجوزون البدل في المنقطع في غير الايجاب ويجزونه مجرى المتصل قال مكي وأجاز الفراء الرفع في ابتغاء على البدل من موضع نعمة وهو بعيد قلت كأنه لم يطلع عليها قراءة واستبعد عاده هو البعيد فانما الغة فاشية وقرأ الجمهور أيضا ابتغاء بالمد وقرئ بالقصر والاعلى نعت للرب (ولسوف يرضى) اللام هي الموطئة للقسم أي وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم وهو وعد من الكريم تعالى لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجلها اذ به يتحقق الرضا قاله أبو السعود قرأ الجمهور يرضى مبنيًا للفاعل وقرئ مبنيًا للمفعول من أرضاه الله وهو قريب من قوله تعالى في آخر طه املك ترضى وترضى

* (سورة الضحى هي احدى عشرة آية وهي مكية بلا خلاف) *

قال ابن عباس نزلت بمكة وأخرج الحاکم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن المقرئ قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسمعيل بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبير حتى تختم وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد ان ابن عباس أمره بذلك وأخبره ابن عباس ان أبي بن كعب أخبره بذلك وأخبره أبي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره بذلك وأبو الحسن المقرئ المذكور هو أحد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال ابن كثير فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن المقرئ وكان اماما في القراءات وأما في الحديث فقد دضعه أبو حاتم الرازي وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلي قال هو منكر الحديث قال ابن

عكرمة في قوله تعالى طيرا أبابيل قال كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس ك رؤس السباع وحدثنا ابن بشار كثير حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الاعمش عن أبي سنيان عن عبيد بن عمير طيرا أبابيل قال هي طير سود بحرية مناقيرها وأظفارها الحجارة وهذه اسانيد صحيحة وقال سعيد بن جبيرة كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سنيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم

والمأ كول القصيل يجـ ذللدواب
وكذلك قال الحسن البصري وعن
ابن عباس العصف القشرة التي على
الحبة كالغلاف على الخنطة وقال
ابن زيد العصف ورق الزرع وورق
البقل اذا أكلته البهائم فرائته فصار
درينا والمعنى ان الله سبحانه وتعالى
أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم
وغيظهم لم ينالوا خيرا وأهلك عامتهم
ولم يرجع منهم مخبر الا وهو جريح
كاجري للمكهم أبرهة فانه انصدع
صدره عن قلبه حين وصل الى بلده
صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم
مات فلما بعده ابنته يكسوم ثم من
بعده أخوه مسروق بن ابرهة ثم
خرج سيف بن ذي يزن الحميري الى
كسرى فاستغاثه على الحبشة فانفذ
معه من جيوشه فقالتوا معه فرد الله
اليهم ملكهم وما كان في آباؤهم من
الملك وجاءته وفود العرب للتهنئة
وقد قال محمد بن اسحق حدثنا عبد
الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد
الرحمن بن أسعد بن زراراة عن
عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل
وسائسهم كذا كذا عيين مقعدين
يستطعمان ورواه الواقدي عن
عائشة مثله ورواه عن أسماء بنت

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

أبي بكر أنها قالت كأنما قد عديت يستطعمان الناس عندها ساف وناثله حيث يذبح المشركون دبائحهم قلت كان اسم قائد القبيل أنيسا وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب القبيل ولم يذكر أن أبرهة قد قدم من اليمن وإنما بعث على الجيش رجلا يقال له شمس بن مقصود وكان الجيش عشرين الفا وذكر أن الطير طرقهم ليلا فاصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جدا وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قد تم مكة كما دل على ذلك السماقات والأشعار وهكذا رواه ابن لهيعة عن الأسود عن عروة أن أبرهة بعث الأسود بن

مقصود على كتيبة معهم القليل ولم يذ كر قدوم ابرهة نفسه والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله اعلم ثم ذكر
ابن اسحق شيئا من اشعار العرب فيما كان من قصة اصحاب القليل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبيري
تنبكوا عن بطن مكة انما * كانت قديما لا يرام حريها * لم تخلق الشعرى اياما الى حرمت * اذ لا عزير من الانام يرومها
سائل امير الجيش عنهما راى * فليسوف ينبي الجاهلين عليها * ستون اقالم يؤبوا أرضهم * بل لم يعش بعد الايام سقيها
كانت به اعدا وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيها (٢٩٦)

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصاري
المدني

ومن صنعه يوم قيل الجبو
ش اذ كل ما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه

وقد شرموا أنفه فانحرم

وقد جعلوا سوطه مغولا

اذا عموه قضاة علم

فولى وأدبر أدرجه

وقد باه بالظلم من كان ثم

فارسل من فوقهم حاصبا

يلقهم مثل لف القمر

يحض على الصبر أخبارهم

وقد نأجوا كشواج الغنم

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة

الثقفي ويروي لامية بن أبي الصلت

ابن أبي ربيعة

ان آيات ربنا باقيات

ما يباري فيهن الا الكندور

خلق الليل والنهار فكل

مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار برحيم

بجهاة شعاعها منشور

حبس القليل بالمغمس حتى

صار يحبو كأنه معقور

لازما حلقه الجران كاقط

طرفي ظهر رككب محذور

نور محض ولم يتقدمه ذنب ولم يفصل بين السورتين إشارة الى أنه لا واسطة بين النبي صلى
الله عليه وسلم وأبي بكر قلت هذه الأقوال من قبيل لطائف النكات وليس من تفسير كتاب
الله في شيء (والليل اذا جبي) أي سكن كذا قال قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة وغيرهم
يقال ليله تساجية أي ساكنة ويقال للعين اذا سكن طرفها تساجية يقال سجا الشيء
يسجوا وسجوا اذا سكن قال عطاء اذا سجا اذا غطي بالظلمة وروى ثعلب عن ابن الأعرابي
سجا امتد ظلامه وقال الاصمعي سجا الليل تغطيته النهار مثل ما يسجي الرجل بالنوب
وقال الحسن غشي بظلامه كل شيء وقال سعيد بن جبيرة قبل وقال مجاهد أيضا استوى
والاول أولى وعليه جمهور المفسرين وأهل اللغة ومعنى سكونه استقرار ظلامه واستواؤه
فلا يزال بعد ذلك وقال ابن عباس اذا أقبل وعنه قال اذا ذهب (ما ودعك ربك) أي
ما تركك قاله ابن عباس وهذا جواب القسم أي ما قطعك قطع المودع قرأ الجمهور
بتشديد الدال من التوديع وهو توديع المفارق وقرئ بتخفيفه فها من قولهم ودعه أي تركه
والتوديع أبلغ من الودع لأن من ودعه مفارقه فافقه بدالغ في تركك قال المبرد لا يكادون
يقولون ودع ولا وزر اضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك قال أبو عبيدة ودع
من التوديع كما يودع المفارق وقال الزجاج لم يقطع الوحى والتوديع مستعار استعارة
تبعية للترك فان الوداع انما يكون بين الاحباب ومن تعزم مفارقه وهذه الحقيقة لا تصور
هنا (وما قلى) أي ما أبغضك قاله ابن عباس والقلاء البغض يقال قلا به يقليه قلاء
وقال وما قلى ولم يقل وما قلاك لموافقة لرؤس الآي (وللاخرة خير لك من الاولى)
اللام جواب قسم محذوف أي الجنة خير لك من الدنيا مع انه صلى الله عليه وآله وسلم قد
أوفى في الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف وتتضاءل بالنسبة اليه كل مكرمة في
الدنيا ولكن لما كانت الدنيا بأسرها مشوبة بالآسكار من مغصه بالعوارض البشرية
وكانت الحماة فيها كالحلام نائم وكطل زائل لم تكن بالنسبة الى الآخرة شيئا ولما كانت
طريقا الى الآخرة وسبيل النيل ما أعدده الله لعباده الصالحين من الخير العظيم بما يفعله لونه
فيها من الاعمال الموجبة للفوز بالجنة كان فيها خير في الجملة من هذه الحمنية وانما قيد
بقوله لك لانهم لا يستخير الكل أحد قال البقاعي ان الناس على أربعة أقسام منهم من له
الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشرف فيهما وهم الكثرة الفقراء

خوله من ملوك كندة أبطال * ملاويث في الحروب صقور * كل دين يوم القيامة عند الله * له الدين الخيفة بور ومنهم

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اظلم يوم الحديبية على النية التي تهبطه على قریش بركت ناقته
فزجرها فالتفت ففعلوا خلاثا القصواء أي حرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلاثت القصواء وما ذاك لها بخل
ولكن حبسها حبس القليل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعطون فيها حرمت الله الأجيتم هم اليها ثم زجرها

فقامت والحديث من افراد البخارى وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليه ارسوله والمؤمنين وانه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس الا فيبلغ الشاهد الغائب آخر تفسير سورة الفيل ولله الحمد والمنة * (تفسير سورة لا يلاف قريش وهي مكة) * ذكر حديث غريب في فضلها قال البيهقي في كتاب الخلافات حدثنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد بن جدان الصيرفي عن وحدثنا احمد بن عبيد الله المديني حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا ابراهيم بن محمد بن ثابت بن شريحيل حدثني عثمان (٢٩٧) بن عبد الله بن ابي عبيد عن سعيد بن عمرو بن

جعدة بن هبيرة عن ابيه عن جدته ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خصال اني فيهم وان النبوة فيهم والحجبة والسقاية فيهم وان الله نصرهم على الفيل وانهم عبدوا الله عز وجل عشرين ليعبدوا غيرهم وان الله انزل فيهم سورة من القرآن ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف) هذه السورة منسولة عن التي قبلها في المحقق الامام كتبوا بينهما سطر باسم الله الرحمن الرحيم وان كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن اسحق وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم لان المعنى عندهما حبسهما عن مكة النبيل واهلكا اهل لا يلاف قريش

ومنهم من له صورة خيرة في الدنيا وشرف في الآخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شرف في الدنيا وخيرة في الآخرة وهم النعماء المؤمنون ذكره الخطيب وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض على ما هو مفتوح لامي بعدى فانزل الله وللاخرة خير لك من الاولى اخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في الدلائل وعنه قال عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده فسر بذلك فانزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قيل هي لام الابتداء دخلت على الخبر لئلا يكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وايسر للقسم لانها لا تدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وقيل هي للقسم قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيد القائم بل هي التي في قولك لا قومون ونابت سوف عن احدى نوني التأكيده فكانت قال ولنعطينك أى ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما في التأخير من المصلحة قيل والمعنى ولسوف يعطيك ربك الترخ في الدنيا والثواب في الآخرة فتضى وقال البيضاوى هذا وعد شامل لما أعطاها له من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخله مما لا يعرف كنهه سواء وقيل الحوض والشفاعة في الامه وقيل ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك وبه قال ابن عباس وزاد في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وعنه قال رضاه ان يدخل أمته كلهم الجنة وأخرج ابن جرير عنه قال من رضا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان لا يدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج الخطيب في التلخيص من وجه آخر عنه قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وواحد من أمته في النار ويدل على هذا ما أخرجه مسلم عن ابن عمر وأبو النضر صلى الله عليه وآله وسلم تلاقول الله في ابراهيم فن سمعني فانه منى وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فرفع يديه وقال اللهم آمين آمين وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقل له انا سرتك في أمته ولا نسوك وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين رأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي قال اى والله حدثني محمد بن الحسين عن علي بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اشفع لامي حتى ينادي بى ربى أرضيت يا محمد فاقول نعم يا رب رضيت ثم أقبل على فقال انكم تقولون يا معشر أهل العراق ان أرجى آية في كتاب

(٣٨ - فتح البيان عاشر)

أى لا تتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يلقونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام في المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون الى بلدهم آمنين في أسفارهم لعظمهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فن عرفهم احترامهم بل من صوفي اليهم وسار معهم آمنين بهم هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم وأما في حال أقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى أولم يرنا جاعلنا حرمنا آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولهذا قال تعالى لا يلاف قريش ايلافهم بل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وقال ابن

جرير الصواب ان اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لايلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك قال وذلك لاجماع المسلمين على انهما
سورتان منفصلتان مستقلتان ثم ارشدهم الى شكر هذه النعمة العظيمة فقال فليعبدوا رب هذا البيت أي فليؤدوا له العبادات
كما جعل لهم حرما آمنا ويتاحترما كما قال تعالى قل انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت ان أكون
من المسلمين وقوله تعالى الذي أطعمهم من جوع أي هورب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي تفضل عليهم
بالامن والرخص فليقرءوه بالعبادة (٢٩٨) وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنًا ولهذا من استجاب

لهذا الامر جمع الله له بين أمن الدنيا
وأمن الآخرة ومن عصاه سلبها
منه كما قال تعالى ضرب الله مثلا قرية
كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها
رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول
منهم فكذبوه فاخذهم العذاب ودم
ظالمون وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا
عبد الله بن عمر والعدني حدثنا
قبيصة - حدثنا سفيان عن ليث عن
شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ويل لكم قريش لئلاف
قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا
المؤمل بن الفضل الحراني حدثنا
عيسى يعني ابن يونس عن عبيد الله
ابن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن
أسماء بنت زيد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يلاف
قريش ايلافهم رحله الشتاء
والصيف ويحكم بامر قريش
اعبدوا رب هذا البيت الذي
أطعمكم من جوع وآمنكم من
خوف هكذا رأيته عن أسماء بنت
زيد وصوابه عن أسماء بنت زيد
ابن بكر أم سلمة الانصارية رضي الله عنهم فلامه ونوع غلط في النسخة أو في أصل الرواية والله أعلم

الله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
قلت انما نقول ذلك قال فكأن أهل البيت نقول ان أربي آية في كتاب الله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهي الشفاعة وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى أخرجه ابن
أبي شيبة وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة
وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من جلد الابل فلما نظر اليها قال يا فاطمة تعجلى مرارة
الدنيا بنعيم الآخرة فانزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى أخرجه العسكري في المواعظ
وابن مردويه وابن الجارود قيل في الآية غير ذلك والظاهر انه سبحانه يعطيه ما يرضى به من
خيرى الدنيا والآخرة ومن أهم ذلك عنده وأقدمه قبول شفاعته لامتة (ألم يجعلك يتيما)
هذا شروع في تعداد ما فاضه الله سبحانه عليه من النعم الثلاث والقصد من تعداد هذه
النعم تنويه قلبه صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف قوله تعالى ألم نربك فيما وليد الانه في
معرض الذم ثم أمره بعد ذلك أن يذكر نعم ربه كأنه قال له فالطريق في حقت أن تفعل
مع عبيدي مثل ما فعلت في حقت والهمزة لانكار النفي وتقرير المنق على أبلغ وجه
فكأنه قال قد وجدك يتيما والوجود بمعنى العلم وقيل بمعنى المصادفة والمعنى وجدك يتيما
لأب لك قبل ولادتك أي بعد جدك بشهرين وهو الاربع وقيل غير ذلك والتفصيل
في المواهب وشرحه وكانت وفاة أبيه بالمدينة ودفن في دار التابعة وقيل بالابواء من اعمال
الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع أو ثنتي عشرة
سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالابواء وقيل بالجحون ومات جده وهو صلى الله عليه
وآله وسلم ابن ثمان (فأوى) أي جعل لك مأوى تأوى اليه قرأ الجمهور فآوى بالالف بعد
الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وقرئ ثلاثيا وهو ما بمعنى الرباعى وهو من آوى له اذا رجه
وعن مجاهد قال معنى الآية ألم يجعلك واحدا في شرك لا نظير لك فأواله الله باصحاب
يحفظونك ويحيطونك فجعل يتيما من قولهم درة يتيمه وهو بعد جدًا (ووجدك ضالا
فهدي) معطوف على المضارع المنق وقيل على ما يقتضيه الكلام الذي قبله كاذ كرنا أي
قد وجدك يتيما الخ والذلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله لا يضل ربي ولا ينسى وكما في قوله
وان كنت من قبله لمن الغافلين والمعنى انه وجدك غافلا عما يراى من أمر النبوة واختار

هذا

آخر تفسير لايلاف قريش وله الحمد والمنة

(بسم الله الرحمن الرحيم) * (أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فيؤيل للمصلين

الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) يقول تعالى أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو الماعون والخزاة
والثواب فذلك الذي يدع اليتيم أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقته ولا يطعمه ولا يحسن اليه ولا يحض على طعام المسكين

كما قال تعالى كلا لا تكرمون البيت ولا تحاضون على طعام المسكين يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته ثم قال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال ابن عباس وغيره يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر ولهذا قال للمصلين الذين هم عن أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون أمان فعلها بالكلمة كما قاله ابن عباس وأمان فعلها في الوقت المقدر لها شرعا فيضرحها عن وقتها بالكلمة كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار الحديث الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم ساهون وأمان (٢٩٩) وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو

غالبا وأمان أدائها باركا كما أنها وشروطها على الوجه المأمور به وأما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانها فاللفظ يشمل ذلك كله وليس من انصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ومن انصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرأ ربنا لا إله إلا الله فيها الأقبالا فهي آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام إليها فنقرأها نقرأ الغراب لم يطمئ ولا خضع فيها أيضا ولهذا قال لا إله إلا الله فيها الأقبالا وأما ما جاء من على القيام إليها من آفة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما إذا لم يصل بالكلمة قال الله تعالى أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يدركن الله الأقبالا وقال تعالى ههنا الذين هم يراؤن

هذا الزجاج وقيل معنى ضالالم تكن تدرى القرآن ولا الشرائع فهذا لذلك يعني ليس المراد به الانحراف عن الحق فهذا كقوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان تأمل وقال الكلبي والسدي والفراء وجدك في قوم ضلال فهذا هم الله بك أو فهذا إلى إرشادهم أو ضالاعما أنت عليه الآن من الشريعة فهذا الله تعالى إليها وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهذا إليها وقيل ناسيا شأن الاستئذان حين سئلت عن أصحاب الكهف وذو القرنين والروح فذكر كقوله تعالى أن تضل أحدا منهما وقيل وجدك طالبا للقبلة فهذا إليها كما في قوله قدرى قلب وجهك في السماء فأنوليك قبلة ترضاها ويكون الضلال بمعنى الطلب لأن الضال طالب وقيل وجدك ضالعا في قومك فهذا إلىهم ويكون الضلال بمعنى الضياع وقيل وجدك محبا للهداية فهذا إليها ويكون الضلال بمعنى المحبة كقوله تعالى إنك لفي ضلالك القديم وقيل وجدك ضالا في شعاب مكة فهذا إلى ردك إلى جدك عبد المطلب وعن ابن عباس قال وجدك بين الضالين فاستنقذك من ضاللتهم وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فردّه إلى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع في باطل فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان وقيل ضالا لنفسك لا تدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ضالا ليله المعراج حين انصرف عنك جبريل وأنت لا تعرف الطريق فهذا إلى ساق العرش وقيل معناه لا أحد على دينك بل أنت وحيد ليس معك أحد فهذا يدب الخلق وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره وفيه بعد وأيضاً بأباه النظم الكريم وعندي أن الضلال والهدى عامان في هذه الآية فيشملان كل نوع من أنواع الضلالة والهداية بيد الكفر والشرك لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (ووجدك عائلا فاغنى) أي وجدك فقيرا لا مال لك فاغناك يقال عال الرجل يعيل عليه إذا افتقر قال الكلبي فاغنى أي رضاك بما أعطاك من الرزق واختار هذا القراء قال لأنه لم يكن غنيا من كثرة ولكن الله سبحانه رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى وقيل بإعانة الأنصار حين الهجرة وقيل فاغنى بما فتح لك من الفتوح والغنائم وفيه نظر لأن السورة مكية وقيل بمال خديجة بنت خويلد وتربية أبي طالب أولا وبما أبي بكر ثانياً وقيل وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فاغناك بها

وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي حدثني أبي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن في جهنم لوادي استعذب جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربع مائة مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله ولله صدق في غير ذات الله وللحاج إلى بيت الله وللخارج في سبيل الله وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبي يزيد سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره ورواه أيضا

عن غندرو يحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ومما يتعلق بقوله تعالى الذين هم يراؤن ان من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فاعجب ذلك ان هذا لا يدرياء والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا هرون بن معروف حدثنا محمد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فاعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كتب لك أجران اجر السر وأجر العلانية قال أبو يعلى (٣٠٠) هرون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للمرائين

وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الأعمش عزيزة وقدر رآه غيره عنه قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد ابن المثنى بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العدل يسره فاذا اطاع عليه أعجبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له أجران أجر السر وأجر العلانية وقدر رآه الترمذي عن محمد بن المثنى وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار ابن مرة ثم قال الترمذي غريب وقدر رآه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلًا وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان التخوي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الأسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطى كل

وفيه بعد قرأ الجهور عاتلا وقرئ عاتلا بن تة سيد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سألت ربي مسئلة ووددت اني لم أكن سألته قلت قد كانت قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فقال تعالى يا محمد ألم أجعلك يتيمًا قال نعم ألم أجعلك ضالًا فهديت ألم أجعلك عاتلا فغنيتك ألم أشرح لك صدرك ألم أضع عنك وزرك ألم أرفع لك ذكرك قلت بلى يا رب أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر وأخرج ابن مردويه عنه قال لما نزلت والضحى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن علي بن ربي وأهل أن يمين ربي ثم أوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال (فاما اليتيم فلا تقهر) أي لا تقهره بوجه من وجوه القهر كأنما كان قال مجاهد لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيمًا قال الاخفش لا تسلط عليه بالظلم ادفع اليه حقه واذكره بتمك قال الفراء والزجاج لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل في حق اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحسن الى اليتيم ويبره ويوصى باليتامى قرأ الجهور فلا تقهر بالقاف وقرئ بالكاف والعرب تعاقب بين القاف والكاف قال النحاس انما يقال كهره اذا اشتد عليه وغلظ وقيل انهم الغلبة والكهر الزجر قال أبو حيان هي لغة تعني قراءة الكاف مثل قراءة الجهور وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما أخرجه البخاري وفي الباب أحاديث واليتيم منصوب بتقهره به استدلال ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل ألا ترى ان اليتيم منصوب بالجزوم وقد تقدم على الجازم ولو قدمت تقهر على لا تمتنع لان الجزوم لا يتقدم على جازمه كالجزور لا يتقدم على جازمه قاله السمين (وأما السائل فلا تنهر) يقال تنهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره فهو تنهي عن زجر السائل والاغلاظه ولكن يبذل اليسير القليل أو يرد بالجميل قال الواحدى قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تنهره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما أن تطعمه واما ان تردده بالسائل قتادة معناه رد السائل برحمة وابن قيس المراد بالسائل طالب العلم والذي يسأل عن الدين فلا تنهره بالغلظة والخصوة وأجبه برفق وابن كذا قال سفيان والسائل منصوب بتنهره والتقدير مهم ما يمكن من شئ فلا تقهر اليتيم

ولا رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي ان صلى لم يرج خير صلاته وان تركها لم يخف ربه فيه جابر الجعفي وهو ضعيف ولا وشيخه مبهم لم يسلم والله أعلم وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن ابراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبي وقاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا وتأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن ابراهيم به ثم رآه عن

أبي الزبيد عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفاً له وأنها حتى ضاق الوقت وهذا أصح اسناد أو قد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفة وكذلك الحاكم وقوله تعالى وينعون الماعون أي لا احسنوا عبادتهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بأعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم فهو لا يمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى وقد قال ابن أبي نجيم عن مجاهد قال على الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهري والحسن وقادة (٣٠١) والضحاك وابن زيد قال الحسن البصري

إن صلي رأى وإن فاتته لم يأس عليها وينزع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها وخفيت الزكاة فذموا وقال الاعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الخزاز أن أبا العبيدين سأل عبد الله ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من القاس والقدر وقال المسعودي عن سلمة عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من القاس والقدر والدلو وأشياء ذلك وقال ابن جرير حدثني محمد بن عيسى المحاربي حدثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن أبي العبيدين وسعيد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن الماعون الدلو والقاس والقدر لا يستغنى عنهم وحدنا خلا دن أسلم أخبرنا النضر ابن شميل أخبرنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت سعيد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثله وقال الاعمش عن ابراهيم عن الحرث بن سويد عن

ولا تنهر السائل وهذه النواهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي نواهيه ولا تمته صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم أسوته فكل فرد من أفراد هذه الأمة منهي بكل فرد من أفراد هذه النواهي (وأما بنعمة ربك فحدث) أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها للناس وأشهارها بينهم والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من أفرادها أو نوع من أنواعها وقال مجاهد والكلبي المراد بالنعمة هنا القرآن قال الكلبي وكان القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه فأمرو أن يقرأه قال الفراء وكان يقرؤه ويحدث به وقال مجاهد أيضاً المراد بالنعمة النبوة التي أعطاه الله واختاره هذا الزجاج فقال أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي أعطاك الله وهي أجل النعم وقال مقاتل يعني أشكر ما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من الهدى بعد الضلالة وجبر اليتيم والاعطاء بعد العيلة فاشكر هذه النعم والتحدث بنعمة الله شكر وهذا الأمر له صلى الله عليه وآله وسلم هو أمر له ولا تمته لأنهم أسوته في كل ما يأتي ويذكر قال الحسن بن علي في الآية ما علمت من الخير وعنه قال إذا أصبت خيراً فحدث أخوانك وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رجة أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والبيهقي في الشعب والخطيب في المتفق قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من أبى بلا فذكره فقد شكره وإن كتمه فتمد كفره أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضعاء وأخرج البخاري في الأدب وأبو داود والضعاء عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أعطى عطاء فوجد فلم يجز به فإن لم يجد فليتب به فنأى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بماله يعط فانه كلابس ثوبي زور وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أولى معروفا فلم يكافئ به فإن لم يستطع فليذكره فإن ذكره فقد شكره أخرجه أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي قال الكرخي والجاروارمي وروى متعلقاً بحدث والضعاء غير مانعة من ذلك لأنها كالزائدة والتحدث بها نشرها بالشكر والثناء عليه تعالى وقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر مقابل لقوله الميجدك يتيماً فأوى وقوله وأما السائل الخ مقابل لقوله ووجدك عائلاً فأغنى وأما قوله وأما بنعمة ربك الخ فيجوز به على العموم وفي

عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم القاس والدلو وشبهه وقال ابن جرير حدثنا عمر بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشياء ذلك وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة بأسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال كل معروف صدقة كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيم عن

مجاهد عن ابن عباس ويعنعون الماعون يعني متاع البيت وكذا قال مجاهد وابراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة وأبو مالك وغير واحد
انهم العارية للامتعة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويعنعون الماعون قال لم يجئ أهلها بعد وقال العوفي عن ابن
عباس ويعنعون الماعون قال اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال يعنعون الزكاة ومنهم من قال يعنعون الطاعة ومنهم من قال
يعنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن يهـ قوب بن ابراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبي سليم عن أبي اسحق عن الحرث عن علي
الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو (٣٠٢) وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المخل والدلو والبرة رواه ابن أبي

حاتم وهذا الذي قاله عكرمة حسن
فانه يشمل الاقوال كلها وترجع كلها
الى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال
أو منفعة ولهذا قال محمد بن كعب
ويعنعون الماعون قال المعروف
ولهذا جاء في الحديث كل معروف
صدقة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو
سعيد الأشجعي حدثنا وكيع عن ابن أبي
ذئب عن الزهري ويعنعون الماعون
قال بلسان قريش المال وروى
ههنا حديثا غريبا عجيبا في اسناده
ومنه فقال حدثنا أي وأبو زرعة
قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمي
حدثنا دلهم بن دهشم العجلي حدثنا
عابد بن ربيعة النخعي حدثني قرعة بن
دعوص النخعي انهم وفدوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله مات عهد الينا قال لا تمنعوا
الماعون قالوا يا رسول الله وما
الماعون قال في الحجر وفي الحديد
وفي الماء قالوا فاي الحديد قال
قدوركم النحاس وحديد القأس
الذي تتهنون به قالوا ما الحجر قال
قدوركم الحجارة غريب جدا ورفع
منكره في اسناده من لا يعرف والله
أعلم وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة
ترجة على القبري فقال روى ابن مانع

حكمة تأخير حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل وجوه احدها ان الله غني وهب ما
محتاجا وتقدير المحتاج اولى وثانيه انه وضع في حفظه ما الفعل ورضى لنفسه بالقول
وثالثه ان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله فحتمت به وأورث فحث
على خفي ليكون عنده حديثا لا ينساه

(سورة الم نشرح هي ثمان آيات وهي مكية بلا خلاف)

عن عائشة قالت نزلت سورة الم نشرح بمكة ومنه عن ابن عباس وزاد بعد الضحى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم نشرح لك صدرك) معنى شرح الصدر فتحه بأذهاب ما يصد عن الادراك والاستفهام
التقريرى اذا دخل على النبي قرر فصار المعنى قد شرحت لك صدرك حتى وسع مناجاة
الحق ودعوة الخلق فكان غائبا عنهم بروحه وحاضرا معهم بحجده التبريد والمعنى الم
نفسه بما اودعنا فيه من الحكم وأزلنا منه ضيق الجهل أو بما يسرنالك من تلقى الوحي
بعد ما كان يشق عليك قال الراغب اصل الشرح بسط اللعم ونحوه يقال شرحت اللعم
وشرحته ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهى وسكينته من جهة الله وروح منه وانما
خص الصدر لانه محل احوال النفس من العلوم والادراكات وقيل لان الصدر محل
الوسوسة كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فزاله تلك الوسوسة وابد الهابدا على الخير
هى الشرح والقلب محل العقل والمعرفة وهو الذى يقصده الشيطان فيجىء ولا الى
الصدر الذى هو حصن القلب فاذا وجد منه ما كانزل فيه هو وجنده وبث فيه الغموم
والهموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلوة واذالم
يجده مسلكا وطرد حصل الامن وانشرح الصدر وتيسر القيام باده العبودية ولم يقل
انشرح صدرك تنبيه على ان منافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كانه يقول
انما شرحت صدرك لاجلك لا لاجلى والمراد الامتنان عليه صلى الله عليه وآله وسلم لم يفتح
صدره وتوسيعه حتى قام بما قام به من الدعوة وقد رعى ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة
وحفظ الوحي وقدمضى القول في هذا عند تفسير قوله أفن شرح الله صدره للاسلام فهو
على نوره من ربه قال ابن عباس فى الآية شرح الله صدره للاسلام قرأ الجهم ونشرح
بسكون الحاء بالجزم وبفتحها قرأ أبو جعفر المنصور العباسى قال الزمخشري قالوا العله بين

بسند الى عامر بن ربيعة بن قيس النخعي عن عني بن فلان النخعي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المسلم أخو المسلم الحاء
اذا اقيه جاء بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون قلت يا رسول الله ما الماعون قال الحجر والحديد وأشياء ذلك والله أعلم
آخر تفسير السورة والله الحمد والمثنة * (تفسير سورة الكوثر وهى مدنية وقيل مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم)
* (انأعطينا الكوثر فصل ربك وانحر ان شانك هو الابر) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس
ابن مالك قال أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغضاه فرفع رأسه متبسم ما قال لهم وما قالوا له لم ضحكتم فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم انه أنزلت على أنفاس سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر حتى ختمها فقال هل تدرين ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد البكواب يحتج العبد منهم فاقول يا رب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك هكذا رواه الامام أحمد بهذا الاسناد الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك وقد ورد في صفة الخوض يوم القيامة انه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وان آتيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث (٣٠٣) مسلم وأبو داود والنسائي من طريق علي

ابن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس ولفظ مسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد اذا غشي اغشاه ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال لقد أنزلت على أنفاس سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر فصل لربك وانحر ان شئت هو الا بترثم قال أتدرين ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو خوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم فيحتج العبد منهم فاقول رب انه من أمتي فيقول انك لا تدري ما أحدث بعدك وقد استدل به كثير من القراء على ان هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على ان البسلة من السورة وانها منزلة معها فاما قوله تعالى انا اعطيتك الكوثر فقد تقدم في هذا الحديث انه نهر في الجنة وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس انه قرأ هذه الآية انا اعطيتك الكوثر قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان الله اعطيتك الكوثر حتى ختمها فقال هل تدرين ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد البكواب يحتج العبد منهم فاقول يا رب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك هكذا رواه الامام أحمد بهذا الاسناد الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك وقد ورد في صفة الخوض يوم القيامة انه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وان آتيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث (٣٠٣) مسلم وأبو داود والنسائي من طريق علي ابن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس ولفظ مسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد اذا غشي اغشاه ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال لقد أنزلت على أنفاس سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر فصل لربك وانحر ان شئت هو الا بترثم قال أتدرين ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو خوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم فيحتج العبد منهم فاقول رب انه من أمتي فيقول انك لا تدري ما أحدث بعدك وقد استدل به كثير من القراء على ان هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على ان البسلة من السورة وانها منزلة معها فاما قوله تعالى انا اعطيتك الكوثر فقد تقدم في هذا الحديث انه نهر في الجنة وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس انه قرأ هذه الآية انا اعطيتك الكوثر قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم اعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجري ولم يشق شقاوا اذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي في تربته فاذا مسك أذفروا اذا حصبوا اللؤلؤ وقال الامام أحمد ايضا حدثنا محمد بن ابي عدي عن حميد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا اناب نهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي الى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفرت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاه الله عز وجل ورواه البخاري في صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما خرج نالني صلى الله عليه وسلم الى السماء قال أتيت علم نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المخوف فقلت ما هذا ناحير بل قال هذا الكوثر وهو لفظ

البخاري رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا بن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نجر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل في السماء الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ ووزبر جسد فذهب يشم ترابه فآذاهومسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال هو الكوثر الذي خبأ لك ربك وقد تقدم حديث الاسراء في سورة سبحان من طريق شريك عن أنس وهو مخرج في الصحيحين وقال سعيد بن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا أسير في الجنة أذ عرض لي نهر (٢٠٤) حافته قباب اللؤلؤ يحجوف فقال الملك الذي معه أتدري ما هذا هذا الكوثر الذي

أعطاك الله وضرب يده الى أرضه فأخرج من طينه المسك وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الله بن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فقال هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الخزر قال أبو بكر يارسول الله انها لناعمة قال أكلها انعم منها وقال احمد حدثنا ابوسلمة الخزازي حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس ان رجلا قال يارسول الله ما الكوثر قال هو نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كعناق الخزر قال عمر يارسول الله انها لناعمة قال أكلها انعم منها يا عمر ورواه ابن جرير من حديث الزهري

وايام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح ومشارك الارض ومغاريها ولوان رجلا عبد الله وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمد رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا انتهى وقيل المعنى ذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وامرناهم بالبشارة بك ولادين الاودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الارض ونرفع ذكرك في الآخرة بما نعطيكم من المقام المحمود وكرائم الدرجات وجلال المراتب قال الضحاك لا تقبل صلاة الاب ولا تجوز خطبة الاب وقيل رفع ذكرك بما خذميثاقه على النبيين والزاهم الايمان به والاقرار بفضلها والتظاهران هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الامور فكل واحد منها من أسباب رفع الذكر وكذلك أمر بالصلاة والسلام عليه واخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشر اوكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الله سبحانه من ذلك قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأمر الله بطاعته صلى الله عليه وآله وسلم كقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا الله فاطيعوا وأطيعوا وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وعير ذلك وبالجملة فقد ملا ذكره الجليل السموات والارضين وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لاحد من عباده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد ما صلى عليه المصلون بكل لسان في كل زمان وما أحسن قول حسان رضى الله تعالى عنه

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه * اذا قال في الخس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليحله * فذوالعرش محمود وهذا محمد

عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت معي أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل وقد روى بطريق وقال ابن عباس في الآية لا يذكرك الله الا ذكره فهو الذي يطوى به

الذكر

عن اخيه عبد الله عن أنس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء وقال البخاري حدثنا خالد بن زيد الكاهلي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه درججوف آتيته كعدد النجوم ثم قال البخاري رواه زكريا وابو الاحوص ومطرف عن أبي اسحق ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة شاطئاه درججوف وقال اسرائيل نهر في الجنة عليه من الآية عدد نجوم السماء وحدثنا ابن جريح حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شهر بن عطية عن سفيان

أو مسروق قال قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت نهري في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاها
قصورا للؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباءه اللؤلؤ والياقوت وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن ابن أبي
نجيح عن عائشة رضي الله عنها قالت من أحب أن يسمع خير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح
وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لأنه يسمعه نفسه والله أعلم قال السهيلي ورواه الدارقطني
مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي (٣٠٥) صلى الله عليه وسلم ثم قال البخاري حدثنا

يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم
أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه
قال في الكوثر هو الخير الذي أعطاه
الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد
ابن جبير فإن ناسا يزعمون أنه نهري
في الجنة فقال سعيد النهر الذي
في الجنة من الخير الذي أعطاه الله
إياه ورواه أيضا من حديث هشيم
عن أبي بشر وعطاء بن السائب عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
الكوثر الخير الكثير وقال الثوري
عن عطاء بن السائب عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال الكوثر
الخير الكثير وهذا التفسير يرمي النهر
وغيره لأن الكوثر من الكثير وهو
الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال
ابن عباس وعكرمة وسعيد بن
جبير ومجاهد ومخارب بن دينار
والحسن بن أبي الحسن البصري
حتى قال مجاهد هو الخير الكثير
في الدنيا والآخرة وقال عكرمة
هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة
وقد صح عن ابن عباس أنه فسره
بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا
أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن

الذي كثر الجليل ويبدأ (فإن مع العسر يسرا) أي إن مع الضيقة سهولة ومع الشدة رخاء ومع
الكرب فرج وفي هذا وعدمه سبحانه بأن كل عسير يتيسر وكل شديد يهون وكل صعب يلين
ومع معني بعد وفي التعبير بها شعاب رغابة سرعة مجيئ اليسر كما أنه مقارن عن أنس قال كان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالسا وحياه جحر فقال لودخل العسر هذا البحر لجاء اليسر
حتى يدخل عليه فيخرجه فازل الله أن مع العسر يسرا الخ وانظر الطبراني والآرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن مع العسر يسرا أن مع العسر يسرا وأخرج الطبراني
وابن مردويه عنه مرفوعا نحوه قال السيوطي وسنده ضعيف وعن ابن مسعود مرفوعا
لو كان العسر في جحر تابعه اليسر حتى يدخل فيه فيخرجه وإن يغلب عسر يسرين أن الله
يقول إن مع العسر يسرا الخ أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي
الدينا في الصبر وابن المنذر والبيهقي في الشعب قال الزايد لا أعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن
شريح قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن
رجل عن ابن مسعود ثم زاد سبحانه هذا الوعد تقريرا وتوقيدا فقال مكررا له بالنظر (إن مع
العسر يسرا) أي إن مع ذلك العسر المذكور سابقا يسرا آخر لما تقر من أنه إذا أعيد
المعرف يكون الثاني عين الأول سواء كان المراد به الجنس أو العهد بخلاف المنكر إذا أعيد
فانه يراد بالثاني فرده بخلاف الأول في الغالب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم في معنى هذه الآية أنه لن يغلب عسر يسرين قال الواحدى وهذا قول النبي
صلى الله عليه وآله وسلم والجماعة والمفسرين على أن العسر واحد واليسر اثنان قال
الزجاج ذكر العسر مع الالف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى أن مع العسر يسرين قيل
والتمه كبير في اليسر للتخفيف والتعظيم وهو في مصنف ابن مسعود غير مكرر قرأ الجوزور
بسكون السين في العسر واليسر في الموضعين وقرئ بضمهما في الجميع وفيه خلاف هل هو
أصل أو مثقل من المسكن وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يوما فرح مسرورا وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين أن مع العسر يسرا أن مع
العسر يسرا أخرجه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي وهذا مرسى وروى نحوه
مرفوعا مرسلا عن قتادة ولما عد سبحانه عليه صلى الله عليه وآله وسلم لم يسمه الساقية
ووعده بالنعم الآتية بعثته على الشكر والاجتهاد في العبادة فقال (فإذا فرغت فانصب)

(٣٩ - فتح البیان عاشر) عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهري الجنة حافتاها ذهب وفضة يجري على
الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وروى العوفي عن ابن عباس نحوه ذلك وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا
هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن مخارب بن دينار عن ابن عباس قال الكوثر نهري الجنة حافتاها ذهب وفضة يجري على الدر
والياقوت ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد عن جرير عن عطاء بن السائب به مثله موقوفا
وقد روى مرفوعا فقال الإمام أحمد حدثنا علي بن جعفر حدثنا ورق قال قال عطاء عن مخارب بن دينار عن ابن عباس قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الكوثر في الجنة حافظاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماءؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضال عن عطاء بن السائب به مرفوعاً وقال الترمذي حسن صحيح وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عوف عن عطاء بن السائب قال قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر قالت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله انه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت انما أعطيتك الكوثر قال رسول الله صلى (٣٠٦) الله عليه وسلم الكوثر في الجنة حافظاه من ذهب يجري على الدر والياقوت

وقال ابن جرير حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حزام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن اسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حزة بن عبد المطلب يوماً فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت خرج يا بني الله أنفاً غامداً نحوكم فأظنه أخطأ في بعض أزقة بني النجار أو لا تدخل يا رسول الله فدخل فتقدمت إليه حيسافاً كل منه فقالت يا رسول الله هنيئك ومرثيا لقد جئت وانا أريد أن آتيك فاهنيك وأمرتك أخبرني أبو عمار أن ذلك أعطيت نهر في الجنة يدعى الكوثر فقال أجل وعرضه يعني أرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ حزام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض وهكذا روى عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة وقال عطاء هو حوض في الجنة

أى اذا فرغت من صلاتك أو من التبليغ أو من الغزو فاجتهد في الدعاء واطلب من الله حاجتك أو فأنصب في العبادة وأتعب في الدعاء قبل السلام وبعده والنصب التعب يقال نصب نصباً أى تعب قال قتادة والضحاك ومقاتل والكلبي اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فأنصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة يعطيك وكذا قال مجاهد قال الشعبي اذا فرغت من التمسك فداع لذيالك وآخرتك وكذا قال الزهري وقال الكلبي أيضاً اذا فرغت من تبليغ الرسالة فأنصب أى استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة وزيد بن أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فأنصب لعبادة ربك وفيه نظيران السورة مكية والامر بالجهاد انما كان بعد الهجرة فلهذا تفسيره اذا ذهب الى ان السورة مدنية وقال مجاهد أيضاً اذا فرغت من دنياك فأنصب في صلاتك وقال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة فأنصب في الدعاء واسأل الله وارغب اليه وعنه قال قال الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا فرغت من الصلاة وتشهدت فأنصب الى ربك واسأله حاجتك وعن ابن مسعود قال فأنصب الى الدعاء والى ربك فارغب في المسئلة وعنه قال اذا فرغت من الفرائض فأنصب في قيام الليل قال عمر بن الخطاب انى أكره ان أرى أحداً منكم فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (والى ربك) المحسن اليك بفنائك النعم خصوصاً بما ذكر في هاتين السورتين (فارغب) أى اجعل رغبتك اليه خصوصاً ولا تسأل الا فضله متوكلاً عليه وقيل تضرع اليه قال الزجاج أى اجعل رغبتك الى الله وحده وقال عطاء يريد ان يضرع اليه راغباً من النار راغباً في الجنة والمعنى انه يرغب اليه سبحانه لا الى غيره كأنه من كان فلا يطلب حاجاته الا منه ولا يعول في جميع أموره الا عليه قرأ الجمهور فارغب وقرأ زيد بن علي وابن أبي عمير فرغب بتشديد الغين أى فرغب الناس الى الله وشوقهم الى ما عنده من الخير

(سورة والتين هي ثمان آيات وهي مكية في قول الجمهور)

وروى القرطبي عن ابن عباس انه ما مدنية ويخالف هذه الرواية ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال أنزلت سورة التين بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير أنه أخرجه البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن البراء بن عازب قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ف صلى العشاء فقرأ في إحدى الركعتين بالتين

وقوله تعالى فصلى لربك وانحر أى كما أعطيتك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته والزيتون فاخص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحوك فاعبد وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعني بذلك نحر البدن ونحوها وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرطبي والضحاك والربيع وعطاء الخراساني والحكمم وامعيل بن أبي خالد وغير واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال

تعالى ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق الآية وقيل المراد بقوله وانحر وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر
 يروى هذا عن علي ولا يصح وعن الشعبي مثله وعن أبي جعفر الباقر وانحر يعني رفع اليدين عند افتتاح الصلاة وقيل وانحر أي
 استقبل بنحره القبلة ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا منكرا جادا فقال حدثنا وهب بن
 ابراهيم القاضي سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا اسرائيل بن حاتم المروزي حدثنا مقاتل بن حيان عن الاصمغني بن نباتة عن علي
 ابن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم انا (٣٠٧) أعطيتك الكوفة فصل لربك وانحر قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يا جبريل ما هذه النخبة التي أمرني
 بها ربي فقال ليست بنخبة ولكنه
 يا امرئ اذا تحمرت للصلاة ارفع
 يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا
 رفعت رأسك من الركوع
 واذا سجدت فانها صلاتنا وصلاة
 الملائكة الذين في السموات السبع
 وان لكل شيء نزيهة وزينة الصلاة
 رفع اليدين عند كل تكبيرة وهكذا
 رواه الحاكم في المستدرک من
 حديث اسرائيل بن حاتم به وعن
 عطاء الخراساني وانحر أي ارفع صلبك
 بعد الركوع واعتدل وبرز فحرك
 يعني بدا الاعتدال رواه ابن أبي حاتم
 وكل هذه الأقوال غريبة جدا
 والصحيح القول الاول ان المراد
 بالانحر ذبح المناسك ولهذا كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
 العبد ثم ينحر ذكركه ويقول من صلى
 صلاتنا ونسكنا فقد أصاب
 النسك ومن نسك قبل الصلاة فلا
 نسك له فقام أبو بردة بن نيار فقال
 يا رسول الله اني نسكت شاتي قبل
 الصلاة وعرفت ان اليوم يوم
 يشتهي فيه للعم قال شاتك شاة
 لحم قال فان عندي عناقها هي أحب

والزيتون فاسمعت أحدا أحسن صوتا ولا قراءة منه وعنه قال صليت مع رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم المغرب فقرأ بالتين أخرجه الخطيب وعن عبد الله بن يزيد بنحوه
 عند الطبراني وابن أبي شيبة وعن زرعة بن خليفة قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم من الإمامة فعرض علينا الاسلام فأسلمنا فلما صلينا الغداة قرأ بالتين والزيتون وانا
 أنزلناه في ليلة القدر أخرجه ابن قانع وابن السكن والشيرازي في اللآلئ
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والتين) قال أكثر المفسرين هو التين الذي يأكله الناس وانما أقسم بالتين لانه فاكهة
 مخصصة من شوائب التنجيس وفيها أعظم بركة لالتها على من يأكلها لذلك وجعلها على
 مقدار اللقمة قال كثير من أهل الطب ان التين أنفع الفواكه للبدن وأكثرها غذاء وذكروا
 له فوائد كافي كتب المفردات والمركبات وهو غذاء ودواء أما كونه غذاء فالأطباء زعموا انه
 طعام لطيف يريح الهضم لا يكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الرشيق ويتقل
 البلغم يطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد
 وسدده والطحال ويقطع البواسير ويزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج
 وأما كونه دواء فلانه سبب في اخراج فضلات البدن وهو ما كول الظاهر والباطن دون
 غيره كالجوز والتمر والتين في النوم رجلي غير جبار ومن نالها في المنام نال ما لا ومن أكلها
 منأما رزقه الله اولاداً وتستر آدم بورق التين حين فارق الجنة ويشبه فواكه الجنة لانه بلا عجم
 وفاكهة طيبة لا فضل له ينفع من النقرس وقال الضحاک التين المسجد الحرام وقيل مسجد
 أصحاب الكهف وقال ابن زيد مسجد دمشق وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق
 وقال عكرمة وكعب الاحبار التين دمشق وعن ابن عباس قال التين بلاد الشام وفي سننه
 مجهول وعنه قال مسجد نوح الذي بنى على الجودي وعنه قال النافكة التي يأكلها
 الناس (والزيتون) وهو الذي يعصرون منه الزيت الذي هو ادم غالب البلدان ودهنهم
 ويدخل في كثير من الادوية وقال الضحاک المسجد الأقصى وقال ابن زيد مسجد بيت
 المقدس وقال قتادة الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وكعب الاحبار بيت
 المقدس وعن ابن عباس قال بلاد فلسطين وفي سننه مجهول وقال أيضاً بيت المقدس
 وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العبدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية

الى من شاتين فتجزي عنى قال تجزيك ولا تجزي أحد بعدك قال ابو جعفر بن جرير والصواب قول من قال ان معنى ذلك فاجعل
 صلاتك كلها لربك خالصة دون ما سواه من الانداد والآلهة وكذلك فحرك اجعله دون الاوثان شكر الله على ما أعطاك من
 الكرامة والخير الذي لا كف له وخصك به وهذا الذي قاله في غاية الحسن وقدس بجه الى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء
 وقوله تعالى ان شاتك هو الا بتراى ان مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدي والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو
 الا بتراى الاقل الاذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقاتادة نزلت في العاص بن وائل وقال محمد بن اسحق عن يزيد

ابن رومان قال كان العاص بن وائل اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل أبترا لعقبه فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله هذه السورة وقال شهر بن عطية نزلت في عقبه بن أبي معيط وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت في كعب بن الاشرف وبجاعة من كفار قريش وقال البزار حدثنا يزيد بن يحيى الحسائي حدثنا ابن أبي عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى الى هذا الصبي المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنت خير منهم قال (٣٠٨) فنزلت ان شأنك هو ألا بتره كذا رواه البزار وهو اسناد صحيح وعن عطاء قال

نزلت في أبي لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب الى المشركين فقال بتر محمد الليلة فانزل الله في ذلك ان شأنك هو ألا بتره وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل وعنه ان شأنك يعني عدوك وهذه ايم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة ألا بتر الفرد وقال السدي كانوا اذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بتر محمد فانزل الله ان شأنك هو ألا بتره وهذا يرجع الى ما قلنا من أن ألا بتر الذي اذا مات انقطع ذكره فتوهموا والجهلهم أنه اذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشي وكلا بل قد أبقي الله ذكره على رؤس الشهداء وأوجب شرعه على رقاب العباد مستقرا على دوام الابد الى يوم المحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم التناد آخر تفسير سورة الكوثر والله الحمد والمنة

* (تفسير سورة قل يا أيها

الكافرون وهي مكية)

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ

والعدول الى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى المبينة على خيالات لا ترجع الى عقل ونقل وأعجب من هذا اختيار ابن جرير للاخر منها مع طول بآعه في علم الرواية والدراية قال الفراء سمعت رجلا يقول التين جبال حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام قلت سمعت انك سمعت هذا الرجل فكان ماذا فليس بمثل هذا تثبت اللغة ولا هو نقل عن الشارع وقال محمد بن كعب الزيتون مسجد ايليا وقيل انه على حذف مضاف أي ومنابت التين والزيتون قال النحاس لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه قال الرازي أما الزيتون فهو فاكهة من وجهه ودوامه من وجهه ويستصح به ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى (وطور سينين) وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام اسمه الطور ومعنى سينين المبارك الحسن بلغة الحبشة قاله قتادة وقال مجاهد هو المبارك بالسريانية وقال مجاهد والكلي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيننا بلغة النبط قال الاخفش طور جبل وسينين شجرة واحدة سينة قال أبو علي النارسي سينين فعلي ليل فكثرت اللام التي هي نون فيه ولم ينصرف سينين كالم ينصرف سيننا لانه جعل اسم البقعة وانما قسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة كما في قوله الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله وأعظم بركة حلت به ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه السلام قرأ الجهور سينين بكسر السين وقرئ بفتحها وهي لغة بكروقيم وقرئ (١) سيناء بالكسر والمد وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسماء العجيبة (وهذا البلد الامين) يعني مكة سماه أمينا لانه آمن كما قال انا جعلنا حرمنا آمنا يقال آمن الرجل امانه فهو أمين قال الفراء وغيره الامين بمعنى الا آمن أو فاعيل بمعنى مفعول من آمنه لانه مأمون الغوائل قال ابن عباس أي مكة يعني لا آمن الناس فيها جاهلية واسلاما (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) هذا جواب القسم أي خلقنا جنس الانسان كما كنا في أحسن تقويم وتعديل لصورته وقال ابن عباس في أحسن خلق قال الواحدى قال المفسرون ان الله خلق كل ذى روح بكاء على وجهه الا الانسان خلقه مديدا القائمة يتناول مأكوله يديه من يمينه والعقل والتمييز والادب فهو أحسن الخلق بحسب الظاهر والباطن ومعنى التقويم التعديل يقال قومته فاستقام والمراد القوام لان التقويم فعل البارئ تعالى قال القرطبي هو اعتداله واستواء شأنه كذا

قال بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قرأها في ركعتي الفجر وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل النجور والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد عن ابن عمر قال رقت (١) وهذه قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود والحسن وطلحة رضي الله عنهم اه منه

النبي صلى الله عليه وسلم أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والر كعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحد حدثنا أبو أحمد وهو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري حدثنا سفيان وهو الثوري عن أبي إسحق عن مجاهد عن ابن عمر قال رمت النبي صلى الله عليه وسلم شهراً وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أحمد الزبيري وأخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي إسحق به وقال الترمذي هذا حديث حسن وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا (٣٠٩) زلات تعدل ربع القرآن وقال الامام أحمد

حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير حدثنا أبو إسحق عن فروة ابن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له هل لك في ربيعة لنا تكفلها قال أراها زينب قال ثم جاءه قال صلى الله عليه وسلم علم عنها قال ما فعلت الجارية قال تركتها عند أمها قال فجئى ما جاء بك قال جئت لتعلمي شيئاً أقوله عند منامى قال اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم ثم على

خاتمتها فانها براءة من الشرك تفرد به أحمد وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو القطراني حدثنا محمد بن الطفيل حدثنا شريك عن أبي إسحق عن جبلة ابن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أويت الى فراشك فاقرا قل يا أيها الكافرون حتى تمر بأخرها فانها براءة من الشرك وروى الطبراني من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدي عن عبد الرحمن ابن (٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ

قال عامة المفسرين قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق أحسن من الانسان فان الله خلقه حياً عالماً قادراً ما يريد امتك كما سمعنا بصيراً مدبراً حكماً وهذه صفات الرب سبحانه وعليها جل بعض العلماء قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق آدم على صورته يعني على صفاته التي تقدم ذكرها قلت وينبغي أن يضم الى كلامه هذا قوله سبحانه ليس كمثل شيء وقوله ولا يحيطون به علماً ومن أراد أن يقف على حقيقة ما أشبه الله عليه الانسان من بديع الخلق وعجيب الصنع فلم ينظر في كتاب العبر والاعتبار للجاحظ وفي الكتاب الذي عقده النيسابوري على قوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون وهو في مجلد من ضخمه من روى أن رجلاً قال لامرأته أن لم تكن من القوم فانت طالق فافتي بعض أهل العلم بانها صارت مطلقة وقال الشافعي لم تطلق لانها من جنس الانسان والله تعالى يقول لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم فلو كان القوم أحسن صورة من الانسان لم يصفه الله سبحانه بأحسن تقويم ولنعم ما قيل

ما أنت مادحها يا من يشبهها * بالشمس والبدلابل أنت هاجها
من أين للشمس خال فوق وجنتها * ومضحك من نظام الدر في فيها
من أين للبدل أجفان مكحلة * بالسحرو الغنج تجرى في حواشها

(ثم رددناه أسفل سافلين) أي رددناه الى أرذل العمر قاله ابن عباس وهو الهرم والضعف بعد الشباب والقوة حتى يصير كالصبي فيخرف وينقص عقله كذا قال جماعة من المفسرين قال الواحدى والسافلون هم الضعفاء والزمناء والاطفال والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله قاله الخازن وقال مجاهد وأبو العالية والحسن المعنى ثم رددنا الكافر الى النار وذلك ان النار درجات بعضها أسفل من بعض فالكافر يرد الى أسفل الدرجات السافلة ولا ينافى هذا قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين في ذلك الدرك الأسفل وقوله أسفل سافلين اما حال من المنفعول أي رددناه حال كونه أسفل سافلين اوصفة لمقدراً محذوف أي مكاناً أسفل سافلين (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هذا الاستثناء منقطع على القول الاول أي لكن الذين آمنوا الخ ووجهه ان الهرم والرد الى أرذل العمر يصاب به المؤمن كما يصاب به الكافر فلا يكون لاستثناء المؤمنين على وجه

مضجعه قرأ قل يا أيها الكافرون حتى يختمها وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبي إسحق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال قلت يا رسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامى قال إذا أخذت مضجك من الليل فاقرا قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك والله أعلم * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد) (٣) هنا بياض في بعض النسخ وفي بعضها بعد معقل الزبيدي ما نصه عن عبد البر أخضر وأجر الى آخر ما هو مذكور عقب علامة ٣ فخر روي عن أبيه من سقم النسخ اه صححه

ولأننا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما عبدكم دينكم ولي دين) هذه السورة سورة البراءة في العمل الذي يعمل به المشركون وهي آمرة بالاخلاص فيه فبقوله قل يا أيها الكافرون تشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قریش وقيل انهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة أو ثنائهم سنة ويعبدون معبوده سنة فانزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلمة فقال لا أعبد ما تعبدون يعني من الأصنام والانداد ولا أنتم عابدون ما عبدوهو الله وحده لا شريك له فهاهنا معنى من ثم (٣١٠) قال ولأننا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما عبد أي ولا أعبد عبادتكم

أي لا أسلكها ولا اقتدى بها وانما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ولهذا قال ولا أنتم عابدون ما أعبد أي لا تقتدون بأوامر الله وشريعته في عبادة بل قد اخترعتم شيئا من تلقاء أنفسكم كما قال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فتنبرأ منهم من في جميع ما هم فيه فان العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها اليه فالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان كلمة الاخلاص لا اله الا الله محمدا رسول الله أي لا معبود الا الله ولا طريق اليه الا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم انكم دينكم ولي دين كما قال تعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وانابري مما تعملون وقال لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقال البخاري يقال لكم دينكم الكفر ولي دين الاسلام ولم يقل ديني لان

الاتصال بمعنى وعلى القول الثاني متصل من ضمير ردناه فانه في معنى الجمع أي ردنا الانسان أسفل سافلين من النار الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الشهاب الاستثناء منقطع لانه لم يقتصد اخر اجهم من الحكم وهو مدار الاتصال والانقطاع كما صرح به في الاصول لا الخروج والدخول كما توهم فلا يرد عليه انه كيف يكون منقطع مع انهم مردودون أيضا فهو للاستدلال لدفع ما توهم من ان التساوي في اردل العمر يقتضي التساوي في غيره ويكون الذين حينئذ مبتدأ والفاء داخلة في خبره لا للتفريع كما في الاتصال وقيل المعنى ردناه الى الضلال كما قال ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي الاهولاء فلا يردون الى ذلك (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم فهذه الجملة على القول الاول مبينة لكيفية حال المؤمنين وعلى الثاني مقررة لما يقصده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد قال ابن عباس (١) في الآية أجر غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن اردل العمر وكان يعمل في شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ما عمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا التي يعمل بعد ما يبلغ اردل العمر وعنه قال من قرأ القرآن لم يرد الى اردل العمر وذلك قوله ثم ردناه الى قوله الصالحات قال لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيئا وعنه قال يقول الى الكبير وضعفه فاذا كبر وضعف عن العمل كتب له مثل أجر ما كان يعمل في شبابه وأخرج أحمد والبخاري وغيرهما عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مرض العبد أو سافر كتب الله له من الاجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما (فيا يكذب بعد بالدين) الخطاب للانسان الكافر والاستثناء لهم للتقريع والتوبيخ والزمام الحجة أي اذا عرفت أيها الانسان ان الله خلقك في أحسن تقويم وانك ردك أسفل سافلين فيا يحملك على ان تكذب بالبعث والجزاء وعليه ينبغي ان يذهب الى الالتفات من الغيبة الى الخطاب لما جرى من قوله ولقد خلقنا الانسان وعليه جرى في الكشف وقبل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي أي شئ يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة فاستيقن مع ما جاءك من الله انه أحكم الحاكمين والى هذا ذهب القاضي وقدمه على القول الاول قال الفراء المعنى فن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدين كانه قال من يقدر على ذلك أي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر

الآيات بالنون فخذ في الباء كما قال فهو يدين ويسقين وقال غيره لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ولا أنتم عابدون ما أعبدوهم الذين قالوا ليزيدن كثير امنهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا انتهى ما ذكره ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية ان ذلك من باب التأكيد كقوله فان مع العسر يسرا ومع العسر يسرا وكقوله لترون الحليم ثم لترونها عين اليقين وحكام بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن قتيبة قاله أعلم فهذه ثلاثة أقوال أولها ما ذكرناه أولا والثاني ما حكاه البخاري وغيره (١) أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه اه منه

من المفسرين ان المراد لا عبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما عبد في الماضي ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما عبد في المستقبل الثالث ان ذلك تأكيد محض وشم قول رابع نصره أبو العباس بن تيمية في بعض كتبه وهو أن المراد بقوله لا عبد ما تعبدون نفي الفعل لانها جلة فعلية ولا انا عابد ما عبدتم نفي قبوله لذلك بالسلبية لان النفي بالجملة الاسمية أكد فكأنه نفي الفعل وكونه قابلاً لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الامكان الشرعي أيضاً وهو قول حسن أيضاً والله أعلم وقد استدلل الامام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة لكم دينكم ولي دين على ان الكفر كله واحدة فورت (٣١١) اليهود من النصاري وبالعكس اذا كان

من قدر تعالى خلق الانسان ماظهر واختاره هذا ابن جرير والدين الجزاء (أليس الله) أي أليس الذي فعل ما فعل مما ذكرنا (باحكم الحاكمين) صنعوا تدبيرا وأقضى القاضين وأصحهم وأنفذهم حكما وقضاء حتى تنوهم عدم الاعادة والجزاء وفيه وعيد شديد للكفار والمعنى اتقن الحاكمين في كل ما يخلق وقبل أحكم الحاكمين قضاء وعدلا والاسـتنهاـم اذا دخل على النفي صار الكلام واجبا وتقريرا كما تقدم في ألم نشرح وعن أبي هريرة مرفوعا من قرأ وأتقن والريثون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذي وابن مردويه وعن جابر مرفوعا اذا قرأت التين فقرأت أليس الله الخ فقل بلى أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس انه كان اذا قرأ هذه الآية قال سبحانك اللهم فعلى أخرجه ابن جرير وابن المنذر

• (سورة اقرأ او يقال لها سورة العلق وسورة القلم وهي تسع عشرة آية وقيل عشرون آية) *

وهي مكتبة بالاخلاق وهي أول ما نزل من القرآن قاله ابن عباس وعن أبي موسى الأشعري قال هو أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها نحوه ويدل على هذا الحديث الطويل الثابت في البخاري ومسلم وغيرهما من حديثها وفيه فناء الحق وهو في غار حراء فقال له الملائكة اقرأ الحديث وفي الباب أحاديث وآثار عن جماعة من الصحابة وقد ذهب الجمهور إلى أن هذه السورة أول ما نزل من القرآن ثم بعده نون والقلم ثم المزمل ثم المدثر إلى آخر ما ذكره الخازن في أول تفسيره فانه استوفى الكلام على ترتيب السور من جهة النزول بمكة ثم بالمدينة قال القاضي أبو بكر بن الطيب ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة وذكر ذلك مكي في تفسير سورة براءة وذكر أن ترتيب الآيات ووضع البسملة في الاوائل هو من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما لم يؤمر بذلك في أول سورة براءة تركت بلا بسملة وهذا أصح ما قيل في ذلك وقال قوم ان ترتيب السور عن توقيف من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأما ما روي من اختلاف مصحف أبي وعلى وعبد الله فانما كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الأخيرة وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن يفعل ذلك روي يونس عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول انما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر

أنزلت هذه السورة إذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التمام
القصوى ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة وقال الحافظ البيهقي أخبرنا
ابن عبد الصفر حدثنا الاسفاطى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال
قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال انه قد نعيها
أخبرني انه نعت الله نعتا فبكيت ثم قال اصبري فانك أول أهلي لحاقا بي فضحك وقدروا

بينهما نسب أو سبب يتوارث به لأن
الاديان ما عدا الاسلام كلها كشيء
الواحد في البطلان وذهب أحمد
ابن حنبل ومن وافقه الى عدم
توريث النصارى من اليهود
وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث
أهل ملتين شتى آخر تفسير سورة
قل يا أيها الكافرون

*) تفسیر سورة اذ جاء نصر الله

والفتح وهي مدينة)*

قد تقدم انهم تعدل ربع القرآن واذا
زلزلت تعدل ربع القرآن وقال
النسائي أخبرنا محمد بن اسمعيل بن
ابراهيم أخبرنا جعفر عن أبي العميس
ح وأخبرنا محمد بن سليمان حدثنا
جعفر بن عون حدثنا أبو العميس
عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد
الله بن عبد الله بن عتبة قال قال
ابن عباس يا ابن عتبة أعلم آخر سورة
من القرآن نزلت قلت نعم اذا جاء
نصر الله والفتح قال صدقت وروى
الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي
من حديث موسى بن عبيدة البريدي
عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال

أُنزلت هذه السورة إذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع فامر برأ حلقه القصوى ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة وقال الحافظ البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبد الصفار حدثنا الأسفاطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال انه قد نعت الى نفسي فبكيت ثم ضحكته وقالت أخبرني انه نعت الله فبكيت ثم قال اصبري فانك أول أهلي لحاقا بي فضحكته وقدر واه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره
 انه كان توابا قال البخاري حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر
 يدخلني مع اشياخ بدر فكان بعضهم -م- وجد في نفسه فقال لم يدخل هذا معنا وإنما بناه مثله فقال عمر انه من علم قدعاهم ذات يوم
 فادخله معهم فباربت انه دعاني فيهم يومئذ الا ليرهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا
 ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا (٣١٢) وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي كذلك تقول يا ابن عباس فقلت

أبو بكر بن الانباري في كتاب الرد أن الله أنزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ثم فرقه على النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم في عشرين سنة فكانت السورة تنزل في أمر يحدث والآية تنزل
 جوابا لمستحبر يسأل ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على موضع السورة
 والآية فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكلمه عن رسول الله خاتم النبيين عليه
 الصلاة والسلام عن رب العالمين فن آخر سورة مقدمة وأقدم أخرى مؤخرة كمن أفسد
 نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الانعام
 والانعام نزلت قبل البقرة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عنه هذا الترتيب
 وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن وكان جبريل عليه السلام
 يوقفه على مكان الآيات انتهى

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اقرأ) قرأ الجمهور بسكون الهمزة امر من القراءة وقرئ بفتح الزاؤه كأنه قلب الهمزة
 ألفا ثم حذفها اللام والهمزة بالفتحة يقتضى مقروا فالتقدير اقرأ ما يوحى اليك أو ما نزل
 عليك أو ما أمرت بقراءته وقوله (باسم ربك) متعلق بحذف هو حال أى اقرأ متلبسا
 باسم ربك أو مبتدأ به أو مفتتحا والباء زائدة أى اقرأ اسم ربك قاله أبو عبيدة وقال أيضا
 والاسم صلة أى اذ كركبك وقيل الباء بمعنى على أى اقرأ على اسم ربك يقال افعل كذا باسم
 الله وعلى اسم الله قاله الاخفش وقيل الباء للاستعانة أى يستعين به وبسم الله تكلم من
 غير ألف استعانة بآية الاصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله تعالى
 اقرأ باسم ربك فانهم لم تحذف فيه لقلة الاستعمال عن عبد الله بن شداد قال أتى جبريل
 محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد اقرأ فقال وما اقرأ فضمه ثم قال يا محمد اقرأ قال
 وما اقرأ قال اقرأ باسم ربك حتى يبلغ ما لم يعلم أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن نعيم في
 الدلائل وفي الصحيحين وغيرهم من حديث عائشة فجاه الملك فقال اقرأ فقال قلت ما أنا
 بقارئ قال فاحذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ
 فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فاحذني فغطني
 الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال اقرأ باسم ربك الخ ثم الظاهر أن هذه الجملة ليست من
 القرآن لان الامر بتحصيل الشيء غير ذلك الشيء ولكن قام الاجماع على انها من جملة

لا فقال ما تقول فقلت هو أجل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه
 له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك
 علامة اجلك فسبح بحمد ربك
 واستغفره انه كان توابا فقال عمر بن
 الخطاب لا أعلم منها الا ما تقول
 تفرد به البخاري وروى ابن جرير
 عن محمد بن جبير عن مهران عن
 النوري عن عاصم عن أبي رزين
 عن ابن عباس فذكر مثل هذه
 القصة أو نحوها وقال الامام أحمد
 حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء
 عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
 قال لما نزلت اذا جاء نصر الله
 والفتح قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم نعت الى نفسي فانه
 مقبوض في تلك السنة تفرد به
 احمد وروى العوفي عن ابن عباس
 منه وهكذا قال مجاهد وأبو العالية
 والضحاك وغير واحد انه اجل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى
 اليه وقال ابن جرير حدثني اسمعيل
 ابن موسى حدثنا الحسن بن عيسى
 الخنفي عن معمر عن الزهري عن
 أبي حازم عن ابن عباس قال بينما
 رسول الله صلى الله عليه وسلم

في المدينة اذ قال الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن قبل يارسول الله وما أهل اليمن

قال قوم رقيقة قلوبهم لينسة طبا عهم الايمان يمان والنعمة يمان والحكمة يمانية ثم رواه عن ابن عبد الاعلى عن ابن برز عن معمر
 عن عكرمة مرسلا وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجندري حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة
 عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة قال نعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين نزلت قال
 فاحذني يا شدا ما كان قط اجتهاد في أمر الاخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك جاء الفتح ونصر الله وجاء أهل اليمن

فقال رجل بل رسول الله وما اهل
 البين قال قوم رقيقة قلوبهم لم ينة
 طباءهم الايمان بيمان والنقمة بيمان
 وقال الامام أحمد حدثنا وكيع
 عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين
 عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء
 نصر الله والفتح علم النبي صلى الله
 عليه وسلم ان قد نعت اليه
 نفسه فقيل اذا جاء نصر الله والفتح
 السورة كلها حدثنا وكيع عن
 سفيان عن عاصم عن أبي رزين
 ان عمر سأل ابن عباس عن هذه
 الآية اذا جاء نصر الله والفتح قال
 لما نزلت نعت الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم نفسه وقال الطبراني
 حدثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر
 الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر
 ابن عون عن أبي العميس عن أبي
 بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن
 عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال
 آخر سورة نزلت من القرآن جميعا اذا
 جاء نصر الله والفتح وقال الامام احمد
 أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا
 شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي
 البخترى الطائي عن أبي سعيد
 الخدري عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه
 السورة اذا جاء نصر الله والفتح
 قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى ختمها فقال الناس حيز وانا
 وأصحابي حيز وقال لا هجرة بعد
 الفتح ولكن جهاد ونية فقتل له
 مروان كذبت وعنده رافع بن
 خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه

القرآن خصوصاً مع اثباتها في المصاحف بخطها سابقاً وخلفها من غير تكبير فعلم منه انها من
 جله القرآن تأمل قل السميع يوطى في اتقانه ان أول سورة اقرأ مشتمل على نظير ما اشتملت
 عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما نزل من القرآن فان فيها الامر بالقراءة
 وفيها البداءة باسم الله وفيها الاشارة الى علم الاحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب واثبات
 ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا الاشارة الى أصول الدين وفيها ما يتعلق
 بالاخبار من قوله علم الانسان ما لم يعلم ولهذا قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان
 عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارته وجيزة في أوله انتهى ذكره ابن القيم في حاشية
 البضاوي والتعرض لعنوان الربوبية المنبثقة عن التبرية والتبليغ الى الكمال اللائق
 شأناً شامع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم للاشعار بتبليغه صلى الله عليه
 وآله وسلم الى الغاية القصية من الكمالات البشرية قاله أبو السموءل ثم وصف الرب بقوله
 (الذي خلق) لتذكير أول النعم الفائضة عليه منه تعالى لان الخلق هو أعظم النعم وعليه
 يترتب سائر النعم قال الكبي يعنى الخلائق وفيه تنبيه على ان من قدر على خلق الانسان
 على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة (خلق الانسان
 من علق) يعنى بنى آدم والعلقة الدم الجامد واذ جرى فهو المسفوح وقال من علق يجمع
 علقته لان المراد بالانسان الجنس والمعنى خلق جنس الانسان من جنس العلق واذ كان
 المراد بقوله الذي خلق كل المخلوقات فيكون تخصيص الانسان بالذكر تشريراً له لما فيه
 من بديع الخلق وعجيب الصنع واذا كان المراد بالذي خلق الذي خلق الانسان فيكون
 الثاني تفسير الاول والنكتة ما في الابهام ثم التفسير من التفات الذهن وتطلعه الى
 معرفة ما أبهم أولاً ثم فسر ثانياً وقال من علق ولم يقل من نطفة مراعاة للفواصل ثم كرر
 الامر بالقراءة تلياً كيد والتقرير فقال (اقرأ) أى افعل ما أمرت به من القراءة وجله
 (وربك الاكرم) مستأنفة لازاحة ما اعتذر به صلى الله عليه وآله وسلم من قوله ما أنا
 بقارئ يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وهو أسمى فقيه لاه اقرأ وربك الذي أمرك
 بالقراءة هو الاكرم قال الكبي يعنى الحليم عن جهل العباد فلم يحجل بعقوبتهم وقيل
 انه أمر بالقراءة أولاً لنفسه ثم أمره بالقراءة ثانياً للتبليغ فلا يكون من باب التأكيد
 والاول أولى والاكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم لانه ينعم
 بالنعم التي لا تحصى قال في البحر ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التي
 هي صفة الله تعالى يسعون الاكرم والرشيدين وغفر السعداء وسعيد السعداء في ديار مصر
 ويدعوهم به المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد
 والشيخ الرشيد فيالها من خزي يوم عرض الاقوال والافعال على الله تعالى (الذي علم
 بالقلم) أى علم الانسان الخط بالقلم فكان بواسطة ذلك يقدر على ان يعلم كل مكتوب
 قال الزجاج علم الانسان الكتابة بالقلم قال قتادة القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا
 ذلك لم يتم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة
 الجهل الى نور العلم ونبيه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط

على السرير فقال أبو سعيد لو شاء
هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف
ان تنزع عن عرافة قومه وهذا
يخشى ان تنزع عن الصدقة فرفع
مروان عليه الدرة ليضربه فلما
رأى ذلك قال اصدق تقرن به اجد
وهذا الذي انكره مروان على
ابي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من
رواية ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يوم الفتح لا هجرة
ولكن جهادية ولكن اذا استغفرتم
فانفروا اخرجوا الجباري ومسلم
في صحيحهما فالذي فسر به بعض
الصحاب من جلساء عمر رضي الله
عنهم اجمعين من انه قد امرنا
اذا فتح الله علينا المداين والحصون
ان نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني
نصلي له ونستغفره معنى ملج صحيح
وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت
الضحى ثمانى ركعات فقال قائلون
هي صلاة الضحى وأجيبوا بان لم
يكن يواطى عليها فكيف صلاها
ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو
الاقامة بمكة ولهذا أقام فيها الى
آخر شهر رمضان قريبا من تسع
عشرة يوما يقصر الصلاة ويفطر هو
وجميع الجيش وكانوا نحو
من عشرة آلاف قال هؤلاء وانما
كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب
لامير الجيش اذا فتح بلادا ان
يصلي فيه أول ما يدخله ثمانى
ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي
وقاص يوم فتح المداين ثم قال بعضهم

بها الا هو وما دقت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقابلاتهم ولا
كتب الله المتزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت أمور الدين ولا أمور الدنيا ولولم يكن
على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا القلم والخط لكفى به وسمى قلمه لانه يقسم أى
يقطع وأول من خط به ادريس وقبل آدم وقد حققنا أحوال القلم وما يتعلق به في كتابنا
الاكسيري في أصول التفسير فان شئت فارجع اليه وجملة (علم الانسان ما لم يعلم) بدل
اشتمال من التي قبلها أى علمه بالقلم من الامور الكلية والجزئية ما لم يعلم به منها قبل المراد
بالانسان هنا آدم كافي قوله وعلم آدم الاسماء كلها وقيل الانسان هنا هو رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم والاولى جل الانسان على العموم والمعنى أن من علم الله سبحانه من
هذا الجنس بواسطة القلم فقد علمه ما لم يعلم (كلا) ردع وزجر لمن كفر نعم الله عليه بسبب
طغيانه وان لم يتقدم له ذكر وقيل معناه حقا وهو مذهب الكسائي ومن تبعه لانه ليس
قبله ولا بعده شئ يكون كالأردالة كما قالوا في كلا والقمر ومذهب أبي حيان أنهم اجمعى ألا
الاستغناء وصوبه ابن هشام لكسر همزة ان بعدها أى لكونه مظنة جملة كما بعد حرف
التنبيه نحو ألاتهم هم المفسدون ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت ان بعدها لكونها
مظنة مفرد وفي الكواشي يجوز في كلاً أن تكون تنبيها فيقف على ما قبلها وردعاً فيقف
عليها ومعنى (ان الانسان ليظنى) أنه يجاوز الحد ويستكبر على ربه قيل المراد
بالانسان هنا ابوجهل وهو المراد بهذا وما بعده الى آخر السورة وانه تأخر نزول هذا وما
بعده عن الجنس الايات المذكورة في أول هذه السورة وقوله (أن رآه استغنى) علة
ليظنى أى ليظنى أن رأى نفسه مستغنيا والرؤية هنا بمعنى العلم ولو كانت بصريه لا تمتنع
الجمع بين الضميرين في فعلها شئ واحد لان ذلك من خواص باب علم ونحوه قال الفراء لم
يقول رأى نفسه كما قيل قتل نفسه لان رأى من الافعال التي ترد اسمها وخبرها نحو الظن
والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول
رأيتنى وحسبته متى زالك خارجا ومتى تظنك خارجا قيل والمراد هنا انه استغنى بالعشرة
والانصار والاموال قرأ الجمهور وأرأه عداله همزة وقرئ بقصرها قال مقاتل كان
أبوجهل اذا أصاب ما لا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشربه فذلك غنيانه وكذا قال
الكلبي قال الرازي أول السورة يدل على مدح العلم وآخرها يدل على ذم المال وكفى بذلك
مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال ثم هدس سبحانه وخوف فقال (ان الى ربك
الرجعى) أى المرجع والرجعى والمرجع والمصادر يقال رجع اليه مرجعا
ورجوعا ورجعى وتقدم الجار والمجرور للقصر أى الرجعى اليه سبحانه لا الى غيره وفيه
التفات من الغيبة الى الخطاب تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان فان الله يرد ويرجع
الى النقصان والفساد والموت كما رده من النقصان الى الكمال حيث نقه له من الجادة الى
الحيوانية ومن الفقر الى الغنى ومن الذل الى العزف هذا التعزيز والقوة قاله الرازي
(أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) قال المفسرون الذى ينهى أبوجهل والمراد بالعبد محمد
صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عباس هو أبوجهل بن هشام حين رى رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم بالسلي على ظهره وهو ساجد لله عز وجل وفيه تقيح لصنعه وتشنيع لفعله حتى كأنه بحيث يراه كل من تتأني منه الرؤية وعن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فتسال لو فعل لأخذته الملائكة عياناً (أرأيت ان كان على الهدى) يعني العبد المنهى اذا صلى وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أو أمر بالتقوى) أي بالاخلاص والتوحيد والعمل الصالح الذي تقتضي به النار (أرأيت ان كذب وتولى) يعني ابا جهل كذب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتولى عن الايمان وقوله أرأيت في الثلاثة المواضع بمعنى أخبرني لان الرؤية لما كانت سبباً للاخبار عن المرئي أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستفهام عن متعلقها والخطاب لكل من يصلح له وقد ذكر هنا أرأيت ثلاث مرات وصرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية فيكون في موضع المفعول الثاني لها ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود على الذي ينهى الواقع مفعولاً اولاً لا رأيت الاولى ومفعول أرأيت الاولى الثاني محذوف وهو حمله استفهامية كالجمله الواقعة بعد أرأيت الثانية وأما أرأيت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا اول ولا ثان حذف الاول لدلالة مفعول أرأيت الثالثة عليه فقد حذف الثاني من الاولى والاوّل من الثالثة والاثنان من الثانية وليس طلب كل من رأيت للجملة الاستفهامية على سبيل التنازع لانه يستدعي اخماراً والجل لا تضرمانما تضر المفرادات وانما ذلك من باب الحذف للدلالة وأما جواب الشرط المذكور مع أرأيت في الموضوعين الآخرين فهو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى (ألم يعلم بان الله يرى) وانما حذف الدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني ومعنى ألم يعلم الخ أي ألم يطلع على أحواله فيجازيه بها فكيف اجتراء على ما اجتراء عليه والاستفهام للتقريب والتوبيخ وقيل أرأيت الاولى مفعولها الاول الموصول ومفعولها الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف المدلول عليه بالذكور وأرأيت في الموضوعين تكرير للتأكيد وقيل كل واحد من أرأيت بدل من الاولى وألم يعلم بان الله يرى الخبر (كلا) ردع للناسي ومنعه عن نهيه واللام في (لئن لم ينته) هي الموطئة للقسم أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (للسفعا بالناسية) السفع الجذب الشديد ويقال سفعت الشيء اذا قبضته وجذبتته ويقال سفع بناسية فرسه قال الراغب السفع الاخذ بسفعة الفرس أي بسواد ناصيته وباعتبار السواد قيل به سفعة غضب اعتباراً بما يعلم من اللون الداخلى من اشتد به الغضب وقيل للسفر أسفع لما فيه من اع السواد أو أمرأة سفعاء اللون انتهى وقيل مأخوذ من سفعة النار والشمس اذا غرت وجهه الى سواد والمعنى لناخذ بناسيته ونخبره الى النار وهذا كقولهم فيؤخذ بالتواصي والاقدام وقيل في الدنيا يوم بدر فعدجهم المسالمون الى القتل فقتله ابن مسعود وهو طريح بين الجرحى وبه رمق وهو يخور وعبر بالناسية عن جميع الشخص واکتفى بتعريف العهد عن الاضافة لانه علم انها ناصية الناهي (ناصية) وهي شئهم مقدم الرأس وانما أبدل النكرة من المعرفة لوصفها

بصلتها كلها بتسليمه واحدة والعصم انه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين وأما مفسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من ان هذه السورة نعى فيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة وأعلم انك اذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتنبأ للقسوم علينا والوفود بنا فالآخرة خير لك من الدنيا واسوف يعطيك ربك فترضى ولهذا قال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً وقال النساءى أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عوانة عن ابن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة قال نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت فاخذ في أشد ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينية قلوبهم الايمان يمان والحكمة يمانية والفقهاء يمان وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن

يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث منصور بن وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عسدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في آخر أمره من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه وقال ان ربي كان أخبرني اني سأري علامة في أمي وأمرني اذا رأيتها ان أسبح بحمده وأستغفره انه كان توابا فقدر رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ورواه مسلم من طريق داود وهو ابن أبي هند بن وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجيء ولا

(١) بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه وتخفيف الياء من الزين وهو الدفع أو واحد ها زيني على النسب وأصله زباني بتشديد الياء فالتاء عوض عن الياء قاله البضاوي وفي المختار واحد الزبانية زبان أو زبانيان

بقوله (كاذبة) أي في قولها (خاطئة) في فعلها وهذا على مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال النكرة من المعرفة الا بشرط وصفها وأما على مذهب البصريين فيجوز بلا شرط قرأ الجمهور بالجور وقرئ بالرفع على انضمام مبتدأ أي هي ناصية وقرئ بالنصب على الذم قال مقاتل أخبر عنه بأنه فاجر خاطئ فقال ناصية كاذبة خاطئة تأويلها صاحبها كاذب خاطئ وفي هذا الاسناد المجازي من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ (فليدع ناديه) أي أهل ناديه لان النادى هو المجلس الذي يجلس ويتدى فيه القوم ويجمعون فيه من الال والعتيرة ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه أهله والمعنى ليدع عشيرته وأهله ليعينوه وينصروه قبل ان أباجهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتهدني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت (فليدع ناديه) قال ابن عباس أي ناصره (سندع الزبانية) أي الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة جهنم كذا قال الزجاج وقال الكسائي والاختف وعيسى بن عمر واحد هم زباني وقال أبو عبيدة زبانية (١) وقيل زباني بتشديد الياء وقيل هو اسم للجمع لا واحد له من لفظه كعباديد وأبائيل وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وأصل الزبى الدفع والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه قرأ الجمهور وسندع بالنون ولم يرسم الواو كافي قوله يوم يدع الداع وقرئ سيدعى على البناء للمفعول ورفع الزبانية على النياحة والسين في سندع ليست للملك فانه من الله واجب لانه ينتقم لرسوله من عدوه وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم انمك عن هذا انك لتعلم ان ما بهارجل أكثر ناديا مني فانزل الله هذه الآية فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فقبل ما يمنعه فثم ان قد اسود ما بيني وبينه قال ابن عباس والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس يتطرون اليه أخرجه أحمد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وغيرهم وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال واللات والعزى لئن رأيتك بصلي كذلك لأطأن على رقبتك ولا عذر وجهه في التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي ليطأن على رقبتك قال فما جئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده فقبل له مالك فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهو لا وأجنته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لودنامني لا تخطفتمه الملائكة عضوا عضوا قال وأنزل الله كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة يعني أباجهل فليدع ناديه يعني قومه سندع الزبانية يعني الملائكة ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال (كلا لا تطعه) فمادعالك اليه من ترك الصلاة (واسجد) أي صلى الله غير مكترث به ولا مبال بنهيه (واقرب) أي تقرب اليه سبحانه بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت فاقرب من الله بالدعاء وقال زيد بن أسلم واسجد أنت يا محمد واقرب أنت يا أباجهل من النار والاول أولى والسجود هذا الظاهر ان المراد به الصلاة وعبر عنها بالسجود لانه أفضل أركانها بعد القيام وقبل سجود التسلاوة ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من السجود عند تلاوة هذه الآية وقد قدمنا ان النبي صلى الله

تقوم ولا تقعد الا قلت سبحان الله
وبحمده قال اني امرت بهما فقال اذا
جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة
غريب وقد كتبنا حديث كفارة
المجلس من جميع طرقه والفاظه في
جزء من رد في كتب ههنا وقال الامام
أحمد حدثنا وكيع عن اسراييل
عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن
عبد الله قال لما نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر
الله والفتح كان يكثر اذا قرأها وركع
أن يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك
اللهم اغفر لي انك أنت التواب
الرحيم ثلاثا فنقده أحمد ورواه ابن
أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن
شعبة عن أبي اسحق به والمراد بالفتح
ههنا فتح مكة قول واحد فان أحياء
العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة
يقولون ان ظهر على قومه فهو نبى
فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين
الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى
استوسقت جزيرة العرب ايمانا ولم
يبقى في سائر قبائل العرب الا مظهر
للاسلام ولله الحمد والمنة وقد روى
البخارى في صحيحه عن عمرو بن سلمة
قال لما كان الفتح بادركل قوم
باسلامهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانت الاحياء تتلوم
باسلامها فتح مكة يقولون دعوه
وقومه فان ظهر عليهم فهو نبى
الحديث وقد حررنا غزوة الفتح في
كتابنا السيرة فنأراه فليراجع
هناك ولله الحمد والمنة وقال الامام
أحمد حدثنا معاوية بن عمرو وحدثنا

عليه وآله وسلم كان يسجد في اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك الذى خلق وعن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
فاكثر وامن الدعاء أخرجه مسلم

(سورة القدر هي خمس آيات قال المحلى اوست آيات)

قال سليمان الجمل ولم يذكر غيره هذا القول من المفسرين فيما رأينا بل اقتصر واعلى كونها
خمس اوتل فائل هذا القول بعد تنزيل الملائكة والروح فيها بان ربهم آية مستقلة ثم
رأيت في السمين ما يشير اليه انتهى وهي مكينة عند اكثر المفسرين كذا قال الماوردى
وقال الثعلبي هي مديسة في قول اكثر المفسرين وهو الاصح وذكروا قدى انها اول
سورة نزلت بالمدينة وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة انها نزلت بمكة
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه) الضمير للقرآن وان لم يتقدم له ذكر عظمه حيث أسند انزاله اليه دون غيره
وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى انزل فيه
والنون فى انا للتعظيم روى انه انزل بجملة واحدة (فى ليلة القدر) الى السماء الدنيا من
اللوحة المحفوظ ثم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء على حسب الحاجة
وكان بين نزول أوله وآخره على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث وعشرون سنة
وفى آية اخرى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر وفى آية اخرى شهر رمضان الذى
انزل فيه القرآن هدى للناس وليلة القدر فى شهر رمضان قال مجاهد فى ليلة القدر ليلة
الحكم وقد اخرج ابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والبيهقى فى الدلائل وغيرهم عن
ابن عباس أنزل القرآن فى ليلة القدر حتى وضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم جعل
جبريل ينزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم ومعلوم ان
الانزال مستعار للمعانى من الاجرام شبه نقل القرآن من اللوح الى السماء وثبوته فيها
بنزول جسم من علواى سفل فعلى هذا هو مجاز مستعار قيل سميت ليلة القدر لان الله
سبحانه يقدر فيه ما شاء من أمره الى السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق وغير ذلك
وقيل انها سميت بذلك لعظم قدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر أى شرف ومنزلة كذا
قال الزهرى وقيل سميت بذلك لان للطاعات فيها قدر اعظم ما وثقوا باجرىلا وقال الخليل
سميت ليلة القدر لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله ومن قدر عليه رزقه أى ضيق
والاحاديث فى فضل ليلة القدر كثيرة وكذا فى تعيينها وليس هذا موضع بسطها وقد
اختلف فى تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولاً قد ذكرنا ههنا بادلها وبينا الراجح منها
فى شرحنا لبوغ المرام المسمى بمسك الختام وذكرها الشوكانى فى شرحه لمتقى الاخبار
المسمى بنيل الاوطار (وما أدراك ما ليلة القدر) فى هذا الاستفهام تفخيم لشأنها حتى
كانهم اخارجة عن دراية الخلق لا يدريها الا الله سبحانه والمعنى ما غاية فضلها ومنتهى علو
قدرها قال سفيان كل ما فى القرآن من قوله وما أدراك فقد أدراك وكل ما فيه من قوله وما

يدريك فلم يدركه وكذا قال الفراء والمعنى أى شئ يجعلك داريا بها ثم بين فضلها من ثلاثة أوجه أولها قوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) وهى ثلاث وثلاثون سنة وأربعة أشهر قال كثير من المفسرين أى العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر واختار هذا الفراء والزجاج وذلك أن الاوقات انما يفاضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع فلما جعل الله الخير الكثير فى ليلة كانت خيرا من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما فى هذه الليلة وقيل أراد بقوله ألف شهر جميع الدهر لأن العرب تذكرا لآل فى كثير من الاشياء على طريق المبالغة وقيل وجه ذكر ألف الشهر أن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله ألف شهر فجعل الله لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبادة ليلة خيرا من عبادة ألف شهر كانوا يعبدونها وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى أعمار أمتة قصيرة يخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لاسائر الامم وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته عن أنس فى الآية قال العمل فى ليلة القدر والصدقة والصلاة والزكاة افضل من ألف شهر وعن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرى بنى أمية على منبر فساء ذلك فنزلت انا اعطيتك السكور يا محمد يعنى نهر فى الجنة ونزلت انا انزلناه فى ليلة القدر الى قوله الف شهر يملكها بعدك بنو أمية قال القاسم فعدنا فاذا هى الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما والمراد بالقاسم هو القاسم بن الفضل المذكور فى اسناده اخرجه الترمذى وضعفه وابن جرير والطبرانى والحاكم وابن مردويه والبيهقى قال الترمذى ان يوسف هذا مجهول يعنى يوسف بن سعد الذى رواه عن الحسن بن على قال ابن كثير فيه تطرفانه قدروى عنه جماعة منهم حاد بن سلمة وخالدا الحذاء وبنس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور وروى رواية عنه هو ثقة ورواه ابن جرير من طريق القاسم ابن الفضل عن عيسى بن مازن قال ابن كثير ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال المزى هو حديث منكر وقول القاسم بن الفضل انه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر الخ ليس بصحيح فان جلة مدتهم من عند ان استقل بالملك معاوية وهى سنة أربعين الى أن سلبهم الملك بنو العباس وهى سنة اثنتين وثلاثين ومائة مجموعها اثنتان وتسعون سنة وعن ابن عباس نحو ما روى عن الحسن بن على وعن سعيد بن المسيب مر فوعا مر سلا نحوه (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) وهى مستأنفة مميّنة لوجه فضلها موضحة لليلة التى صارت بها خيرا من ألف شهر وهذا هو الوجه الثانى والمعنى متلبسين باذن ربهم والاذن الامر ومعنى تنزل تهبط من السموات الى الارض والروح هو جبريل عند جمهور المفسرين أى ومعهم جبريل ووجه ذكره بعد دخوله فى الملائكة التعظيم له والتشريف لشأنه وقيل الروح صنف من الملائكة هم أشرفهم وقيل هم جنود الله من غير الملائكة وقيل الروح الرحمة وقد تقدم الخلاف فى الروح عند قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفاقرا الجمهور تنزل بفتح التاء وقرئ بضمها على البناء للمفعول (من) أجل (كل أمر) من الامور التى قضى الله بها فى تلك السنة وقيل ان من بمعنى اللام أى لكل أمر

أبو اسحق عن الأوزاعي حدثني
أبو عمار حدثني جابر الجعفي
عبد الله قال قدمت من سفر فجاءني
جابر بن عبد الله فسلم عليّ فجعلت
أحدثه عن افتراق الناس وما
أحدثوا جعل جابر يبيّن ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول إن الناس دخلوا في دين
الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا
آخر تفسير السورة والله الحمد والمنة
* (تفسير سورة تبت وهي مكية) *
* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
(تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه
ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات
لهب وأمرأته جملالة الحطب في
جهنم) قال
البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا
أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو
ابن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن
عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج إلى البطحاء فصعد الجبل
فنادى يا صبا حاه فاجتمع إليه
قريش فقال رأيتم أن أحدثكم
أن العدو مصحبكم أو ممسككم أكنتم
تصدقوني قالوا نعم قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب
ألهذا جعنتا تبالك فانزل الله بت
يدا أبي لهب وتب إلى آخرها وفي
رواية فقام ينفذ يديه وهو يقول
تبالك سائر اليوم ألهذا جعنتا فانزل
الله بت يدا أبي لهب وتب الأول
دعاء عليه والثاني خبر عنه فأبو لهب
هذا هو أحد أعمام رسول الله صلى
الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن

عبد المطلب وكنيته أبو عتبة وانما سمي بألـهـب لاشراق وجهه وكان كثير الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له والازدراء به والتنفق له ولدينه قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدليل وكان جاهليا فاسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا والناس مجمعون عليه ووراء رجل وضى الوجه أحول ذو غديرتين يقول انه صابى كاذب يتبعه حيث ذهب فسأت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه عن شريح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيرا قال لا والله اني يومئذ لا عقل لاني أزفر القرية تفرد به أحمد وقال محمد بن اسحق حدثني حسين بن عبد الله ابن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول اني لمع أبي رجل شاب أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع القبائل ووراء رجل أحول وضى الوجه زوجة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم أمركم ان تعبدوا

(١) هذه قراءة علي وابن عباس وعكرمة والكلي رضي الله عنهم اهـ

وقيل هي بمعنى الباء أي بكل أمر فهي للتعدية قاله أبو حاتم قرأ الجمهور أمر وهو واحد الامور وقرئ امرئ (١) مذكرة امرأة أي من أجل كل انسان وتأولها الكلي على ان جبريل ينزل مع الملائكة فيسلمون على كل انسان فن على هذا معنى على والاول اولى وقد تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ بفضلها الثالث فقال (سلام هي) أي ماهي الاسلام وخير كلها لاشرفها وقيل هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة قال مجاهد هي آية سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ولا أذى وقال الشعبي هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر يرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك أيها المؤمن وقيل يعني سلام الملائكة بعضهم على بعض وقال عطاء بن ريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته وعن ابن عباس في الآية قال في تلك الليلة تصفد مردة الشياطين وتغل عفاريت الجن وتفتح في أبواب السماء كلها ويقبل الله فيها التوبة لكل تائب فلذا قال سلام هي (حتى مطلع الفجر) قال وذلك من غروب الشمس الى أن يطلع الفجر أي حتى وقت طلوعه قرأ الجمهور مطلع بفتح اللام وقرئ بكسر هاء فقبل هما لغتان في المصدر والفتح أكثر نحو المخرج والمقتل وقيل بالفتح اسم مكان وبالكسر المصدر وقيل العكس وحتى متعلقة بتنزل على أنم اناية لحكم التنزل أي لمكانهم في محل تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجابعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر

*(سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة المنفكين وسورة

القيامة وسورة البرية هي ثمان آيات وتسع آيات

وهي مدنية في قول الجمهور وقيل مكية أخرج ابن مردويه عن ابن عباس نزلت بالمدينة وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت نزلت سورة لم يكن بمكة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بئ تن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن قال وسأني لك قال نعم فبكي وفيه فضيلة عظيمة لا بئ حيث أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ عليه وعن أبي حنيفة البدرى قال لما نزلت لم يكن الى آخرها قال جبريل يا رسول الله ان الله يأمرك ان تقرأ بها يا فاق قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بئ ان جبريل أمرني ان أقرأ هذه السورة فقال أبي وقد ذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكي أخرجه أحمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه قيل ان أيا كان أسرع أخذ الالفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاراد بقراءته صلى الله عليه وآله وسلم عليه ان يأخذ الفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويعلم غيره وعن اسمعيل بن أبي حكيم المزني أحد بني فضل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يستمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي وعزني وجلالي لا يمكن لك في الجنة حتى ترضى أخرجه أبو نعيم في المعرفة قال ابن كثير حديث غريب جدا وأخرجه أبو موسى المديني عن مطر المزني أو المديني نحوه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) المراد بهم اليهود والنصارى ومن للبيان (والمشركين) المراد بهم مشركو العرب وهم عبدة الاوثان وقرأ ابن مسعود لم يكن المشركون وأهل الكتاب قال ابن العربي وهى قراءة فى معرض البيان لافى معرض التلاوة وقرأ أبى فاما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون وقرأ الاعمش والنخعي والمشركون بالرفع عطفا على الموصول وسمى أهل الكتاب كفارا مع ايمانهم بكتابهم ونبيهم لانهم عدلوا عن الطريق المستقيم فى التوحيد فكفروا بذلك فانه قيل ان اليهود مجسمة وكذلك النصارى لقولهم بالتثليث وهذا يقتضى كفر جميع أهل الكتاب قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظاهر خلافه ولذا قال الماتريدى ان من تبعية لانه من آمن (منفكين) يقال فككت الشي فانفك اى انفصل والمعنى انهم لم يكونوا مفارقين لكفرهم ولا منتهين عما هم عليه (حتى تأتيتهم) أى اتيتهم (البينة) اى الحجة الواضحة وقيل الانفكاك بمعنى الانتهاء وبلوغ الغاية التى لم يكونوا يبلغون نهايتها فماتوا حتى تأتيتهم البينة وقيل منفكين زائلي اى لم تكن مدتهم لتزول حتى تأتيتهم البينة يقال ما انفك فلان قائما أى ما زال فلان قائما وأصل الفك الفتح ومنه فك الخلل وقال الازهرى ليس هو من باب ما انفك وما برح وانما هو من باب انفكاك الشي عن الشي وهو انفصاله عنه وقيل منفكين بارجح اى لم يكونوا يبرحوا ويفارقوا الدنيا حتى تأتيتهم البينة وقال ابن كيسان المعنى لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث فلما بعث حسدوه وبحدوه وهو كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وعلى هذا فيكون معنى قوله والمشركين انهم ما كانوا يسيئون القول فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث فانهم كانوا يسمونه الاثمين فلما بعث عادوه وأساوا القول فيه وقيل منفكين هالكين من قولهم انفك صلبه أى انفصل فلم يلبثتم فيه لك والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم وقيل ان المشركين هم أهل الكتاب فيكون وصف قائلهم لانهم قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قال أبو السعود منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه وأما من المشركين فلهذا قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم وانفكاك الشي عن الشي ان يزيله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم انتهى ملخصا قال الواحدى ومعنى الآية اخبار الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى أتاهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن فبين لهم ضلالهم وجهالهم ودعاهم الى الايمان وهذا بيان عن النعمة والانقاذ به من الجهل والضلالة والآية فمن آمن من الفريقين قال وهذه الآية من أصعب ما فى القرآن نظما وتفسيرا وقد تخطب فيها الكبار من العلماء وسلكوا فى تفسيرها طرقا لا تفضى بهم الى الصواب والوجه ما خبرتك فاجد الله اذا نالك بيانها من غير لبس ولا اشكال قال ويدل على كون البينة محمدا رسول الله

الله لا تشركوا به شيئا وان تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به واذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بنى فلان هذا يريد منكم ان تسلكوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لابي من هذا قال عمه أبو لهب رواه أحد أيضا والطبرانى بهذا اللفظ فقوله تعالى ثبت يد أبى لهب أى خسر وخاب وضل عمله وسعيه وتب أى وقد تب تحقق خسارته وهلاكه وقوله تعالى ما أغنى عنه ماله وما كسب قال ابن عباس وغيره وما كسب يعنى ولده وروى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله وذكر عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه الى الايمان قال أبو لهب ان كان ما يقول ابن أخى حقا فانى اقدمى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى فانزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله وما كسب وقوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب أى ذات شرر ولهيب واحراق شديد وامرأتها جميلة الخاطب وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهى ام جميل واسمها أروى بنت حرب بن امية وهى اخت ابى سفيان وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه

صلى الله عليه وآله وسلم انه فسر ها وبديل بقوله الا ترى رسول من الله يتلو صحفا مطهرة
يعنى ماتضمنه الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن وبديل على ذلك انه كان يتلو عن ظهر
قلبه لا عن كتاب انتهى كلامه وقيل ان الآية حكائية لما كان يقول اهل الكتاب والمشركون
انهم لا يفارقون دينهم حتى يبعث النبي الموعود به فلما بعث تفرقوا كما حكاها الله عنهم في
هذه السورة والمراد بالبيئة على ما قاله الجمهور هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه في نفسه
بيئة وجبة ولذلك سماه سرا جاميا وقد فسر الله سبحانه هذه البيئة الجملة بقوله (رسول
من الله) فانضح الامر وتبين انه المراد بالبيئة وقال قتادة وابن زيد البيئة هي القرآن كقوله
أولم تأت بهم بيئة ما في الصحف الاولى وقال أبو مسلم المراد بها مطلق الرسل والمعنى حتى
تأتهم رسل من الله وهم الملائكة والاولى أولى قرأ الجمهور برفع رسول على انه بدل كل من
كل على سبيل المبالغة أو بديل اشمال قال الزجاج رسول رفع على البديل من البيئة وقال
القراء رفع على انه خبر مبتدأ مضمرة أى هي رسول أو هو رسول وقرأ ابن مسعود وأبي
رسولا بالنصب على القطع وقوله من الله متعلق بمحذوف هو صفة لرسول أى كائن من الله
ويجوز تعلقه بنفس رسول (يتلو صحفا مطهرة) صفة أخرى لرسول أو حال وقال أبو البقاء
التقدير يتلو صحفا مطهرة منزلة من الله ومعنى يتلو يقرأ يقال تلا يتلون تلاوة والصحف جمع
صفحة وهي ظرف المكتوب ومعنى مطهرة انها منزهة من الزور والضلال قال قتادة
مطهرة من الباطل قال الشهاب تطهير الصحف كناية عن كونها ليس فيها باطل على
الاستعارة المصروفة والمكية وقيل مطهرة من الكذب والشبهات والكفر والمعنى
واحد وقيل معظمه وقيل لا ينبغي ان يسمى الا المطهرون والاولى أولى والمعنى انه يقرأ
ماتضمنه الصحف والقراطيس من المكتوب فيها الكتب بمعنى المكتوبات في القراطيس
فالقرآن يجب مع غيره كتب الله المتقدمة عليه والرسول وان كان أميا لكنه لما تلا ما في
الصحف كان كالتالى لها فصيح نسبة تلاوة الصحف اليه وهو أى لا يكتب ولا يقرأ من كتاب
وانما يقرأ بالوحى عن ظهر قلب (فيها كتب) صفة لصحف أو حال من ضميرها والمراد الآيات
والاحكام المكتوبة فيها التى هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قيمة) أى
مستقيمة مستوية محكمة من قول العرب قام الشئ اذا استوى وصح قال صاحب النظم
الكتب بمعنى الحكم كقوله كتب الله لا غلبنا نأورسلى أى حكمه وقوله صلى الله عليه وآله
وسلم في قصة العسيف لا قضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم وليس الرجم في كتاب الله
فالمراد لا قضين بينكما بحكم الله وهذا يندفع ما قيل ان الصحف هي الكتب فكيف قال
صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال الحسن بن بى بالصحف التى في السماء يعنى فى اللوح المحفوظ
كما في قوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءتهم البيئة) مستأنفة لتو بيج اهل الكتاب وتقرعهم ويبيان ان ما نسب اليهم
من عدم الانفكاك لم يكن لاشتباه الامر بل كان بعد وضوح الحق وظهور الصواب وأيضا
نصرح بما افادته الغاية قبله واقراد اهل الكتاب بالذکر بعد الجمع بينهم وبين المشركين
للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى فاقتصر عليهم لانهم

فى عذابه فى نار جهنم ولهذا قال
تعالى جملة الخطب فى جدها حبل
من مسدبى عنى تحمل الخطب فتلقى
على زوجها ليزداد على ما هو فيه
وهى مهياة لذلك مستعدة له فى
جدها حبل من مسد قال مجاهد
وعروة من مسد النار وعن مجاهد
وعكرمة والحسن وقتادة
والنورى والسدى جملة الخطب
كانت تسمى بالنميمة واختاره ابن
جرير وقال العوفي عن ابن عباس
وعطية الجدلى والخصالك وابن زيد
كانت تضع الشوك فى طريق رسول
صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير
وقيل كانت تغير النبي صلى الله عليه
وسلم بالفقر وكانت تحتطب فعبرت
بذلك كذا حكاها ولم يعزه الى أحد
والصحيح الاول والله أعلم قال سعيد
ابن المسيب كانت لها قلادة فاخرة
فقالت لانهن قننها فى عداوة محمد
يعنى فأعقبها الله منها حبالا فى
جدها من مسد النار وقال
ابن جرير حدثنا أبو كريب
حدثنا وكيع عن سليم مولى
الشعبي عن الشعبي قال المسد
الليف وقال عروة بن الزبير المسد
سلسله ذرعها سبعون ذراعا وعن
النورى هو قلادة من نار طولها
سبعون ذراعا وقال الجوهري
المسد الليف والمسد أيضا حبل من
ليف أو خوص وقد يكون من جلود
الابل أو أوبارها ومسدت الحبل
أسدته مسدا اذا أجدت قتله وقال

مجاهد في جيله حبل من مسدأى
طوق من حديد الاترى أن انعرب
يسمون البكرة مسدا وقال ابن أبي
حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قال
حدثنا عبد الله بن الزبير الجدي
حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن
كثير عن ابن يدوس (١) عن أسماء بنت
أبي بكر قالت لما نزلت بتب يد أبي
لهب أقبلت العوراء أم جميل بنت
حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي
تقول

مذمما أبينا * ودينه قلينا

* وأمره عصينا *

ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما
راهما أبو بكر قال يا رسول الله قد
أقبلت وأنا أخاف عليك أن ترأف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها
لن ترأفني وقرأت أنا عتصم به كما قال
تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت
حتى وقفت على أبي بكر ولم تر
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا أبا بكر اني أخبرت ان
صاحبك هجاني قال لا ورب هذا
البيت ما هجاك فقلت وهي تقول
قد علمت قريش اني ابنة سيدها قال
وقال الوليد في حديثه أو غيره
فغثرت أم جميل في مرطها وهي
تطوف بالبيت في مرطها فقالت
نفس مذممة فقالت أم حكيم بنت
عبد المطلب اني لحسان فما اكلم
(١) قوله ابن يدوس كذا بالاصل

وحرره موصحه

أشدر ما أو أنه يعلم حال غيرهم بالطريق الأولى فهو من باب الاكتفاء فالمعنى وماتفرق الذين
أوتوا الكتاب ولا المشركون الا من بعد الخ قال المفسرون لم ير أهل الكتاب مجتمعين حتى
بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث تفرقوا في أمره واختلقوا فاما من به بعضهم
وكفرا آخرون والاسم متنازع مفرغ من أهم الاوقات أي وماتفرقوا في وقت من الاوقات
الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة وهي بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشريعة
الغزاة والحجة البيضاء وهو صلى الله عليه وآله وسلم وقيل البيضة القرآن وقيل البيضة هو
البيان الواضح الذي في كتبهم انه نبي مرسل كقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءهم العلم قال القرطبي قال العلماء من أول السورة الى قوله كتب قيمة حكمها فبين
آمن من أهل الكتاب والمشركين وقوله وماتفرق الذين الخ فبين لم يؤمن من أهل الكتاب
والمشركين بعد قيام الحجج وجملة (وما أمر ولا لعبدوا الله) حالية مفيدة لغاية قبح
ما فعلوا وتقرير عنهم وتوبيخهم بما فعلوا من التفرق بهدجي البيضة أي والحال انهم
ما أمروا في كتبهم الا لاجل ان يعبدوا الله ويوحده وقيل ان اللام في ليعبدوا بمعنى ان
أي ما أمروا الابان يعبدوا كقوله يريد الله ليسين لكم أي ان يبين وقوله يريدون ليعطوا
نور الله أي ان يظنوا والعبادة هي الدال ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة
عبدوا المسيح والملائكة والاصنام وما أطاعوهم لكنهم في الشرع عارت اسمها لكل طاعة
أديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم (مخلصين له الدين) أي حال كونهم جاءلين
دينهم خالصا له سبحانه وأجاءلين أنفسهم خالصا له في الدين قرأ الجمهور مخلصين بكسر
اللام وقرأ الحسن بن قتيبة وهذه الآية من الأدلة الدالة على وجوب النية في العبادات لان
الاخلاص في العمل من عمل القلب قال الكرخي الاخلاص ان لا يطلع على عمالك الا الله
سبحانه ولا تطلب منه ثوبا وقال الشهاب الاخلاص عدم لشرك وان ليس بمعنى
الاخلاص المتعارف واتصاف (حفاء) على الحال من ضمير مخلصين فيكون من باب
التداخل ويجوز ان يكون من فاعل يعبدوا والمعنى مائلين عن الاديان كلها الى دين
الاسلام وقبل متبعين مله ابراهيم وقيل حجا وقبل محتومين محترمين لنسكاح المحارم وقيل
الحنيف الذي آمن بجميع الانبياء والرسول ولا يشرك بين أحد منهم والاولى وأصل
الحنيف في اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وسماه الميل الى الشر الحاد والحنيف
المطلق هو الذي يكون متبعا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين
والمجوس والمشركين وعن فروعهما جميع النحل الى الاعتقادات وعن توابعها
من الخطا والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقي وعن المكروهات الى المستحبات
وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعنى الى ما يعنى
وهو المقام الثاني من الورع وعما يجزى الى الفضول وهو مقام الزهد دفالا لية جامعة لمقامي
الاخلاص الناظر أحدهما الى الحق والثاني الى الخلق (ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)
أي يفعلوا الصلوات في أوقاتها ويعطوا الزكاة عند محلها وخص الصلاة والزكاة لانهم من
أعظم أركان الدين قيل ان أريد بالصلاة والزكاة ما في شريعة أهل الكتاب من الصلاة

والزكاة فالامر ظاهر وان أراد ما في شريعتنا فعني أمرهم بهم ما في الكتابين أمرهم باتباع شريعتنا وهم امن جلة ما وقع الامر به فيها (وذلك) المذكور من عبادة الله واخلاصها واقامة الصلاة وابتاء الزكاة (دين القيمة) أي دين الملة المستقيمة والشرعية المتبوعة قاله الزجاج فالقيمة صفة لموصوف محذوف قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم القائم قال النراء أضاف الدين الى القيمة وهو نعت لا اختلاف للفظين وأنت القيمة ردا الى الملة وقال القراء أيضا هم من اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وما في الإشارة من معنى البعد للاشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته وهو مكانته ثم بين سبحانه حال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا فقال (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) عطف على الموصول أو المجرور وخبر ان (في نار جهنم) أي انهم يصيرون اليها يوم القيامة وبدأ بأهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته فخمايتهم أعظم لانهم أنكروا مع العلم به (خالدين فيها) حال من المستكن في الخبر ولم يزل خالدين فيها ابدا كما قال بعد في صفة أهل النواب لان رجته أزيد من غضبه فلم يتفق الخلودان في الابدية (أولئك) المذكورون من أهل الكتاب والمشركين المتصفين بالكون في نار جهنم والخلود فيها (هم شر البرية) يقال برأى خلق والبرأى الخلاق والبرية الخليفة قرأ الجمهور البرية في الموضوعين بغير همز وقرأ بالهمز فيه ما قال القراء ان أخذت البرية من البراء وهو التراب لم تدخل الملائكة تحت هذا اللفظ وان أخذتها من ريت القلم أي قدرته دخلت وقيل ان الهمز هو الاصل لانه يقال برأ الله الخلق بالهمز أي ابتدعه واخترعه ومنه قوله من قبل ان نبرأ ما وكنها خففت الهمزة والترنم تخفيفها عند عامة العرب وظاهر الآية العموم وقيل شر البرية الذين عاصروا الرسول اذ لا يبعد ان يكون في كفار الامم من هو شر من هؤلاء كفار عرب وعاقرة ناقة صالح عليه السلام وشر البرية افعال تنضيل أي لانهم يخفون من كتاب الله صفة محمد وأشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق دين الحق على الخلق وأشر من الجهال لان الكفر مع العلم يكون عنادا وهذا فيه تنبيه على ان وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد ثم بين سبحانه حال الفريق الآخر فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي جمعوا بين الايمان والعمل الصالح (أولئك) المنعوتون به هذا (هم خير البرية) أي في عصره صلى الله عليه وآله وسلم ولا يبعد ان يكون في مؤمنى الامم السالفة من هو خير منهم وعن أبي هريرة قال أعجبون من منزلة الملائكة من الله والذي نفسي بيده منزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك واقروا ان شئتم ان الذين آمنوا الآية وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله من أكرم الخلق على الله قال يا عائشة أما تقرين ان الذين آمنوا الآية أخرجه ابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال لما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل على فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت ان الذين آمنوا الآية فكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذا أقبل قالوا قد جاء خير البرية أخرجه ابن عساکر وعن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت وشيعتك يوم القيامة

وثقاف فما أعلم وكلنا من بني المم وقريش بعد أعلم وقال الخافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد وأحمد بن اسحق قالوا حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت تبث يداي إلى الله لطلب جاه امرأة أبي لهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنه أبو بكر فقال له أبو بكر لو تخيت لا تؤذين بشيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فاقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتنقوه به فقالت انك لمصدق فلما واث قال أبو بكر ما رأيتك قال لا ما زال ملك يسترنى حتى واث ثم قال البزار لا نعلمه يروي احسن من هذا الاسناد عن أبي بكر رضى الله عنه وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى في جيدها حمل من مسدأى في عنقها حمل من نار جهنم ترفع به الى شفيرها ثم ترمى الى أسفلها ثم كذلك دائما قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن حمل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات كل مسدأى وأشد في ذلك وبكرة ومحور اصرا را ومسدأ من أبق مغارا قال والابق القنب

وقال آخر

باسم الخوص نعوذ مني

ان تلك الدنيا فاني

ماشتت من أشطه مقسنت

قال العلماء وفي هذه السورة مجزة

ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه

من نزل قوله تعالى سيصلي نار ذات

لهب وامر أنه جمالة الخطب في

جيد ما حبل من مسد فاخبر عنهم

بالشقاء وعدم الايمان لم يقبض

لهم ان يؤمنوا ولا واحد منهم

لا باطنا ولا ظاهرا امسرا ولا معلنا

فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة

الباطنة على النبوة الظاهرة * آخر

تفسير السورة والله الحد والمنة

* (تفسير سورة الاخلاص

وهي مكية)

* (ذ كرسب نزولها وفضلها) * قال

الامام أحمد حدثنا أبو سعيد محمد

ابن ميسر الصاعاني حدثنا أبو جعفر

الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن

أبي العباس عن أبي بن كعب ان

المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه

وسلم يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله

تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم

يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن

(١) قال أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى

حدثنا أبو معشر عن أبي وهب

مولي أبي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فذكره انتهى فتح

القدير للشوكاني رحمه الله

راضين مرضيين أخرجه ابن مردويه وأخرج الضياء عن علي مرفوعا نحوه وأخرج
ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعا على خير البرية وعن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بخير البرية قالوا بلى يا رسول الله قال رجل
أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هبة استوى عليه ألا أخبركم بشير البرية قالوا
بلى قال الذي يسئل بالله ولا يعطى به (١) أخرجه أحمد (جزاؤهم عند ربهم) أي ثوابهم
عند خالقهم بمقابله ما وقع منهم من الايمان والعمل الصالح (جنات عدن) هذا من
مقابله الجمع بالجمع وهو يشتمل انقسام الاحاد على الاحاد فيكون لكل واحد جنه وقيل
الجمع باق على حقيقته وأن لكل واحد جنات كما يدل عليه قوله ولئن خاف مقام ربه جنتان
ومن دونهما جنتان فذكر كل واحد اربع جنات وادنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها
عشر مرات والمراد بجنات عدن هي أوسط الجنات وأفضلها يقال عدن بالمكان يعدن
عدنا أي أقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره (تجري من تحتها الانهار) الاربعة وهي
النهر والماء والعسل واللبن وقد قدمنا في غير موضع انه ان أريد بالجنات الاشجار الملتفة
بجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بمجموع قرار الارض والشجر فخرى الانهار من
تحتها باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر (خالدين فيها أبدا) لا يخرجون منها ولا يظعنون
عنها بل هم دائمون في نعيمها مستمرون في لذاتها وجملة (رضى الله عنهم ورضوا عنه) مستأنفة
ليبين ما تفضل الله به عليهم من الزيادة على مجرد الجزاء وهو رضوانه عنهم حيث أطاعوا
أمره وقبولوا شرائعه ورضاهم عنه حيث بلغوا من المطالب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن تكون الجملة خبرا ثانيا وان تكون في محل نصب على
الحال باضمار قد (ذلك لمن خشى ربه) أي ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية
لله سبحانه في الدنيا وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية التي وقعت له لا مجرد الخشية
مع الانتماء في معاصي الله سبحانه فانها ليست بخشية على الحقيقة

* (سورة الزلزلة هي ثمان أو تسع آيات وهي مدنية في قول ابن

عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر)

عن عبد الله بن عمر قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أقرئني يا رسول
الله قال أقرأ ثلاثا من ذوات الر فقال الرجل كبرسني واشتد قلبي وغلظ لساني قال أقرأ
ثلاثا من ذوات حم فقال مثل مقالته الاولى فقال أقرأ ثلاثا من المسجحات فقال مثل
مقالته الاولى وقال ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فقرأه اذا زلزلت الارض
حتى فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق لأزيد عليها فقال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم أفلح الرويحل أفلح الرويحل أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ومحمد بن نصر والحاكم
وصححه والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن أنس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرأ اذا زلزلت الارض عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل هو الله
أحد عدلت له بثلاث القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن أخرجه

الترمذى وابن مردويه والبيهقي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 اذا زلزلت الارض تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها
 الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذى وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم
 وصححه والبيهقي قال الترمذى غريب لا نعرفه الا من حديث عيان بن المغيرة وأخرج
 الترمذى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل من أصحابه هل تزوجت
 يا فلان قال لا والله يا رسول الله ولا عندى ما أتزوج به قال أليس معك قل هو الله أحد قال
 بلى قال ثلث القرآن قال أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال
 أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك اذا زلزلت
 الارض قال بلى قال ربع القرآن تزوج قال الترمذى هذا حديث حسن وعن أبي هريرة
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من قرأ في ليلة اذا زلزلت كان له عدل
 نصف القرآن أخرجه ابن مردويه

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اي اذا حركت حركة شديدة وجواب الشرط تحدث والمراد
 تحركها عند قيام الساعة فانها تضطرب من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل شئ
 عليها قال مجاهد وهى النفخة الاولى لقوله تعالى يوم ترحف الراحنة تتبعها الرادفة وفى
 الخازن فى وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الأكثرين انها فى الدنيا وهى من
 اشراط الساعة والثانى انها زلزلة يوم القيامة انتهى ويؤيد القول الثانى قوله تعالى
 وأخرجت الارض أثقالها فان اخرجها فى النفخة الثانية وكذا شهداتها بما وقع
 عليها انما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من الموقف انما يكون بعد
 الثانية تأمل وذكر المصدر للتأكد ثم أضافه الى الارض فهو مصدر مضاف الى فاعله
 والمعنى زلزالها المخصوص الذى يستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها قرأ الجمهور زلزالها
 بكسر الزاى وقرئ بفتحها وهما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم
 قال القرطبي والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس والقلق قال ابن عباس فى الآية أى
 تحركت من أسفلها (وأخرجت الارض أثقالها) أى ما فى جوفها من الاموات
 والدفائن والأثقال جمع ثقل قال أبو عبيدة والاختش اذا كان الميت فى بطن الارض
 فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها قال مجاهد أثقالها موتاها تخرجهم فى النفخة
 الثانية وقد قيل للجن والانس النقلان واظهار الارض فى موضع الاضمار لزيادة التقرير
 قال ابن عباس أثقالها الموتى والكنوز وأخرج مسلم والترمذى عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبقى الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانات من
 الذهب والنضة فيجى القاتل فيقول فى هذا قتلت ويحى القاطع فيقول فى هذا قطعت
 رحى ويحى السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شئاً (وقال
 الانسان مالها) أى قال كل فرد من افراد الانسان مالها زلزلت ما يدهم منه من أمرها
 ويهره من خطبها وقيل المراد بالانسان الكافر وقوله مالها مبتدأ وخبر وفيه معنى

أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمد
 ابن خدش عن أبي سعيد محمد بن
 ميسرة زاد ابن جرير والترمذى قال
 الصمد الذى لم يلد ولم يولد لانه ليس
 شئ يولد الاسموت وليس شئ يموت
 الاسموت وان الله عز وجل لا يموت
 ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد ولم
 يكن له شبه ولا عدل وليس كمثل شئ
 ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي
 سعيد محمد بن ميسرة به ثم رواه
 الترمذى عن عبد بن حميد عن
 عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر
 عن أبي الربيع عن أبي العباس
 فذكره مرسلًا ثم لم يذكره ثانياً
 قال الترمذى وهذا أصح من حديث
 أبي سعيد (حديث آخر فى معناه)
 قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا
 سريح بن يونس حدثنا اسمعيل بن
 مجاهد عن مجاهد عن الشعبي عن
 جابر رضى الله عنه ان اعرابيا جاء
 الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
 انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل
 قل هو الله أحد الى آخرها اسناد
 مقارب وقد رواه ابن جرير عن محمد
 ابن عوف عن سريح فذكره وقد
 أرسله غير واحد من السلف وروى
 عبد بن اسحق العطار عن قيس بن
 الربيع عن عاصم عن ابى وائل عن
 ابن مسعود رضى الله عنه قال قالت
 قرين لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم انسب لنا ربك فنزلت هذه
 السورة قل هو الله أحد قال الطبرانى
 رواه القرين وغيره عن قيس عن

عاصم عن أبي وائل مرسل ثم روى
الطبراني من حديث عبد الرحمن
ابن عثمان الطائفي عن الوائز بن
نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو
الله أحد الله الصمد والصمد ليس
باجوف (حديث آخر في فضلها)
قال البخاري حدثنا محمد بن الذهلي
حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن
وهب أخبرنا عمرو بن ابن أبي هلال أن
أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه
عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن
وكانت في حج - رعاشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي
الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم
بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ
لأصحابه في صلواتهم فيختم بقل هو
الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لآي
شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة
الرحمن وأنا أحب أن أقرأهم أفعال
النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه
أن الله تعالى يحبهم هكذا رواه في
كتاب التوحيد ومنهم من يسقط
ذكر محمد الذهلي ويجمع له من روايته
عن أحمد بن صالح وقدره مسلم
والنسائي أيضاً من حديث عبد الله
ابن وهب عن عمرو (١) بن الحرث عن
سعيد بن أبي هلال (حديث آخر)
قال البخاري في كتاب الصلاة وقال
عبيد الله عن ثابت عن أنس رضي
الله عنه قال كان رجل من الأنصار
(١) قوله عمرو بن الحرث كذا في نسخة
وفي أخرى ابن أيوب وحرراه معجمه

التعجب أي أي شيء لها أولى شيء زلزلات وأخرجنا أنقالها قال ابن عباس الكافري يقول
مالها وقوله (يومئذ) بدل من إذا والعامل فيها قوله (تحدث أخبارها) ويجوز أن
يكون العامل في إذا محذوف والعامل في يومئذ تحدث والمعنى يوم إذا زلزلات وأخرجنا تخبر
بأخبارها وتحدثهم بما عمل عليها من خير وشئ وذلك إما بلسان الحال حيث يدل على ذلك
دلالة ظاهرة أو بلسان المقال بأن ينطقها الله سبحانه وقيل هذا متصل بقوله وقال
الإنسان مالها أي قال مالها تحدث أخبارها متجيباً من ذلك وقال يحيى بن سلام تحدث
أخبارها بما أخرجت من أنقالها وقيل تحدث بقيام الساعة وانها قد أتت وإن الدنيا قد
انقضت قال ابن جرير تبين أخبارها بالرجفة والزلزلة وأخرج الموقى وفعول تحدث
الاول محذوف والثاني هو أخبارها أي تحدث الخلق أخبارها عن أبي هريرة قال قرأ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله
ورسوله أعلم قال فان أخبارها ان تشهد على كل عبد وامرأة ما عمل على ظهرها تقول عمل
كذا وكذا فهذا أخبارها أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم وعن أنس
أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الأرض لتجي يوم القيامة بكل عمل على
ظهرها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زلزلات الأرض زلزتها حتى بلغ يومئذ
تحدث أخبارها أخرجه ابن مردويه والبيهقي وعن ربيعة الجريش أن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال تحفظوا من الأرض فانها امكم وأنه ليس من أحد عامل عليها
خير أو شر الا وهي مخبرة أخرجه الطبراني (بان ربك أوحى لها) متعلق بتحدث أو بنفس
أخبارها والباء زائدة وقيل سبيعية أي بسبب إحياء الله اليها قال الفراء تحدث أخبارها
بوحى الله واذن لها واللام في لها بمعنى الى وانما أوتيت على الى الموافقة الفواصل والعرب
تضع لام الصفة موضع الى كذا قال أبو عبيدة وقيل ان أوحى يتعدى باللام تارة وبالى
أخرى وقيل ان اللام على بابهم امن كونه الله له والموحى اليه محذوف وهو الملائكة
والتقدير أوحى الى الملائكة لاجل الأرض أي لاجل ما يفتعلون فيها والاول أولى وقوله
(يومئذ) اما بدل من يومئذ الذي قبله واما منصوب بقدروا ذكر واما منصوب بما
بعده والمعنى يوم اذ يقع ما ذكر (بصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب
(أشتاتا) أي متفرقين والصدر الرجوع وهو ضد الورد وقيل يصدرون من موضع
الحساب الى الجنة أو النار وانتصاب أشتاتا على الحال والمعنى ان بعضهم آمن وبعضهم
خائف وبعضهم بلون أهل الجنة وهو البياض وبعضهم بلون أهل النار وهو السواد
وبعضهم ينصرف الى جهة اليمين وبعضهم الى جهة الشمال مع تفرقهم في الأديان
واختلافهم في الأعمال (ليروا أعمالهم) متعلق بصدور وقيل فيه تقديم وتأخير أي
تحدث أخبارها بان ربك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشتاتا قرأ الجمهور
ليروا مبني للمفعول وهو من رؤية البصر أي ليرى الله أعمالهم وقرأ مبني للفاعل
والمعنى ليروا جزاء أعمالهم ~~في~~ في يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
أي وزن غلة وهي اصغر ما يكون من النخل قرأ الجمهور يره في الموضعين بضم الهاء وصل

وسكونها وقفا (١) وقرأ هشام بسكونها وصلها ووقفا وقرأ الجمهور بأبضاره مبني للفاعل في الموضعين وقرئ على البناء للمفعول فيهما أي بربه الله إياه وقرئ يراه على توهيم أن من موصولة أو على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة في النعل قال مقاتل فمن يعمل في الدنيا مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فينرح به وكذلك من يعمل مثقال ذرة في الدنيا شرا يره يوم القيامة فيسوءه ومثل هذه الآية قوله إن الله لا يظن مثقال ذرة وقال بعض أهل اللغة إن الذرة هو أن يضرب الرجل يده على الأرض فاعلق من التراب فهو ذرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء والاول أولى ومن الاولى عبارة عن السعداء ومن الثانية عبارة عن الأشقياء وقال محمد بن كعب فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر فيرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر والاول أولى قال مقاتل نزلت في رجلين كان أحدهما بآتيه السائل فيسئل ان يعطيه القمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما وعد الله النارني الكافرين قال ابن مسعود هذه الآية أحكم آية في القرآن وأصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية قال كعب الأحبار لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم آيتان أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف فمن يعمل الخ وروى مجي السنة عن ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا كان أو شرا إلا أراه الله تعالى فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيئاته وهذا الاحتمال يساعده النظم والمعنى عن أنس قال بينما أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يأكل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ نزلت عليه فمن يعمل الخ فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله اني لراعا عملت من مثقال ذرة من شرف قال يا أبا بكر أرايت ما ترى في الدنيا مما تذكره فما قيل ذرا الشرب وذر الخمر حتى توفاه يوم القيامة أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط والحاكم في تاريخه وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن أبي أسماء قال بينما أبو بكر يتعدى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ نزلت هذه الآية فامسك أبو بكر وقال يا رسول الله ما عملنا من شرا رأينا فقال ماترون مما تذكرون فذلك مما تجزون ويؤخر الخمر لاهل في الآخرة أخرجه اسحق بن راهويه وعبد بن حميد والحاكم وابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال أنزلت اذا زلزلت وأبو بكر الصديق قاعد فبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يبكيك يا أبا بكر قال تبكي في هذه السورة فقال لولا انكم تخطون وتذنبون فيغفر لكم خلق الله قوما يخطون ويذنبون فيغفر لهم أخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الخيل ثلاثة لرجل أحر ولرجل سترو على رجل وزر الحديث قال وسئل عن الحر فقال ما أنزل على الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال

يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها اللهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلهم أصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرأ بالآخرى فاما ان تقرأها واما ان تدعها وتقرأ بالآخرى فقال ما تأتينا بها ان احببت ان أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم وكنوا يرون انه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك ان تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة قال اني احبها قال حبك اياها ادلك الجنة هكذا رواه البخاري تعليقا مجزوما به وقد رواه ابو عيسى الترمذي في جامعه عن البخاري عن اسمعيل بن ابي اويس عن عبد العزيز ابن محمد الدراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر باسناده منله سواء ثم قال الترمذي غريب من حديث عبيد الله عن ثابت قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس

(١) ونقل أبو حيان عن هشام وأبي بكر سكونها وعن أبي عمرو ضمها مشبعة وباقي السبعة بأشباع الاولى وسكون الثانية وفي هذا النقل نظر والصواب ما ذكرنا انتهى فتح القدير

ذرة شرايره أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما

* (سورة العاديات هي إحدى عشرة آية وهي مكية) *

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدينة في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا زلزلت تعدل نصف القرآن والعاديات تعدل نصف القرآن وهو مرسل أخرجه أبو عبيد في فضائله وعن ابن عباس مرفوعاً مثله أخرجه محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح وزاد وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات) جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها كالغازيات من الغزو والمراد بها الخيل العادية في الغزو ونحو العدو (ضجها) مصدر مؤن كد لاسم الفاعل فان الضج نوع من السير ونوع من العدو يقال ضج الفرس إذا عدا بشدة مأخوذ من الضج وهو الدفع وكان الخاء بدل من العين قال أبو عبيدة والمبرد الضج من اضباعها في السير ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال أي ضاجحات أو ذوات ضج ويجوز أن يكون مصدرا للفعل محذوف أي يضحضجها وقيل الضج صوت حوافرها إذا عدت وقال الفراء الضج صوت أنفاس الخيل إذا عدت قيل كانت تكلم لثلاث سهل فيعلم العدو فكانت تنفخ في هذه الحالة بقوة وقيل الضج صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل وقد ذهب الجمهور إلى ما ذكرنا من أن العاديات ضجها هي الخيل وقال عبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي هي الإبل ونقل أهل اللغة أن أصل الضج للتعاب فاستعير للخيل قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيلا فاستمرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات ضجها ضجت بارجلهما وفي لفظ ضجت بمن آخرها وعنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية إلى العدو فاقباطا خبرها فشق ذئب عليه فأخبره الله خبرهم وما كان من أمرهم فقال والعاديات ضجها قال هي الخيل والضج تخير الخيل حين تنخر وعنه قال هي الخيل في القتال وضجها حين ترخي مشافرها إذا عدت وعن ابن مسعود قال هي الإبل قال إبراهيم النخعي قال هي الإبل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس إنما كانت تلك في سرية بعثت وعن عامر الشعبي قال تمارى علي وابن عباس في العاديات ضجها فقال ابن عباس هي الخيل (١) وقال علي كذبت يا ابن فلانة والله ما كان معنا يوم بدر فارس إلا المقعداد كان على فارس ابلق قال وكان يقول هي الإبل فقال ابن عباس ألا ترى أنها تشير بقعا فاشيئ بشير الأبحوا فرها وعن ابن عباس قال هي الخيل في القتال وعن ابن مسعود قال في الحج وعن ابن عباس ليس شيء من الدواب يضحج إلا الكب أو الفرس وقد روى عنه بطرق أنه الخيل وعنه قال الخيل ضجها خيرها ألم تر أن الفرس إذا عدا قال أحاح فذلك ضجها وعن علي قال انضحج من الخيل الجمجمة ومن الإبل النفس (فالمراتب قدحا) هي الخيل حين توري النار بسنابكها والإبراء

ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله أحد قال ان حبك اياها أدخلك الجنة وهذا

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال بينما أنا في الجحر جالس إذا تأتي رجلا يسأل عن العاديات ضجها فقلت الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانتقل عني فذهب إلى علي بن أبي طالب وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضجها فقال سألت عنها أحد أقبل قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال هي الخيل حين تغير في سبيل الله فقال اذهب فادعه في فلما وقف على رأسه قال قننى الناس بما لا علم لك والله ان كانت لأول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف يكون العاديات ضجها إنما العاديات ضجها من عرفة إلى المزدلفة فادأوا إلى المزدلفة أو قدوا النيران والمغيرات ضجها من المزدلفة إلى متى فذلك جمع وأما قوله فائرن به نقعا فهي تقع الأرض حين تطوء باخفافها وحوافرها قال ابن عباس فنزعت من قولي ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه ذكره الشوكاني رحمه الله في فتح القدير انتهى سيد ذو الفقار أحمد

الذي علقه الترمذي قد رواه
 الامام احمد في مسنده متصل
 فقال حدثنا ابو النضر حدثنا
 مبارك بن فضالة عن ثابت عن
 انس رضي الله عنه قال جاء رجل
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال اني احب هذه السورة قل
 هو الله احد فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حبك اياها ادخلك
 الجنة حديث في كونها تعدل
 ثلث القرآن قال البخاري حدثنا
 اسمعيل حدثني مالك عن عبد
 الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن
 ابن أبي صعصعة عن ابيه عن أبي
 سعيد بن رجاء سمع رجلا يقرأ قل
 هو الله احد يرددها فلما أصبح جاء
 الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
 ذلك له وكان الرجل يتقاليها فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم والذي
 نفسي بيده انها لتعدل ثلث
 القرآن زاد اسمعيل بن جعفر عن
 مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله
 عن أبيه عن أبي سعيد قال
 أخبرني اخي قتادة بن النعمان عن
 النبي صلى الله عليه وسلم وقد
 رواه البخاري أيضا عن عبد الله
 ابن يوسف والقعبي ورواه أبو
 داود عن القعبي والنسائي عن
 قتيبة كلهم عن مالك به وحديث
 قتادة بن النعمان اسنده النسائي
 من طريقين عن اسمعيل بن جعفر
 عن مالك به حديث آخر قال
 البخاري حدثنا عمر بن حفص

اخراج النار والقدر الصلح فجعل ضرب الخيل بجوافرها كالقدح بالزناد قال الزجاج اذا
 عدت الخيل بالليل وأصاب جوافرها الحجارة انقدح منها النيران والكلام في انتصاب قدح
 كالكلام في انتصاب ضجعا والخلاف في كونها الخيل او الابل كالخلاف الذي تقدم في
 العاديات والراجح انها الخيل كما ذهب اليه الجمهور وكما هو الظاهر من هذه الاوصاف
 المذكورة في هذه السورة ما تقدم منها وما سيأتي فانها في الخيل أو ضجع منها في الابل وتقدم
 ما في ذلك من الخلاف بين الصحابة قال ابن عباس في الآية قدح بجوافرها الحجارة وعنه
 قال حين تجرى الخيل توري نارا أصابت سناكبها الحجارة وعنه قال الرجل اذا أوري زنده
 وعنه قال هو مكر الرجل قدح فأوري وقال ابن مسعود اذا سقت الحصى بمناسمها ف ضرب
 الحصى بعنقه بعضا فتخرج منه النار (فالمغيرات صبحا) أي التي تغير على العدو وقت
 الصباح يقال اغار يغار اغارة اذا باغت عدوه وقتل أو أسرا ونهب وأسند الاغارة اليها وهي
 لاهلها للاشعار بانها عدتهم في اغارتهم وصبها منصوب على الظرفية قال ابن عباس صبحت
 القوم بغارة وعنه قال هي الخيل اغارت فصبت العدو وعنه قال اذا أصبحت العدو
 وعنه قال الخيل تصبح العدو وقال أيضا اغارت الخيل صبحا وقال ابن مسعود حين يفيضون
 من جمع وانما أقسم الله عز وجل بخيل الغزاة تنبها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله
 ولما فيه من المنافع الدينية والدنيوية والاجرو والغنية (فأثرن به نقعا) معطوف على الفعل
 الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاقي غدون فأثرن أو على اسم الفاعل نفسه لكونه
 في تأويل الفعل لوقوع صله للموصول فان الالف واللام في الصفات أسماء موصولة
 قال الكلام في قوة واللاقي غدون فأورين فأغررن فأثرن والنقع الغبار الذي أثارته في وجه
 العدو وعند الغزو وتخصيص اثارته بالصبح لانه وقت الاغارة ولكونه لا يظهر أثر النقع
 في الليل الذي اتصل به الصبح وقيل المعنى فأثرن بمكان عدوهم نقعا يقال ثار النقع وأثرته
 أي هاج وهيجته قرأ الجمهور فأثرن بتخفيف الشاء وقرئ بتشديد ها أي فاطهرن غبارا وقال
 أبو عبيدة النقع رفع الصوت وعلى هذا رأيت قول أكثر أهل العلم انتهى والمعروف عند
 جمهور أهل اللغة والمفسرين ان النقع الغبار وهذا هو المناسب للمعنى الآية وليس لتفسير
 النقع بالصوت فيها كثير معنى فان قولك اغارت الخيل على بني فلان صبحا فأثرن به صوتا
 قليل الجدوى مغسول المعنى بعيد من بلاغة القرآن المجيزة وقيل النقع شق الجيوب
 وقال محمد بن كعب النقع ما بين من دلفه الى منى وقيل انه طريق الوادي قال في الصحاح
 النقع الغبار والجمع انقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البر من الماء والنقع الارض
 الحرة الطين يستنقع فيه الماء قال ابن عباس في الآية اثار بجوافرها التراب وقال أيضا
 هي الخيل أثرن بجوافرها يقول بعدد الخيل والنقع الغبار وعنه قال التراب وقال أيضا
 نقعا غبارا وقال ابن مسعود اذا سرن يثرن التراب (فوسطن به جمعها) أي توسطن بذلك
 الوقت أو توسطن متلبسات بالنقع جمع من جوع الاعداء أو صرن بعدد وهن وسط جمع
 الاعداء والباء ما للتعدية أو العالية أو زائدة يقال وسطت القوم والمكان أسط وسطا من
 باب وعدا اذا توسطت بين ذلك والفاعل واسطو به سمي البلد المشهور بالعراق لانه توسط

حدثنا أبي حدثنا الأعشى حدثنا
 إبراهيم والضحاك المشرق عن
 أبي سعيد رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث
 القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم
 وقالوا إنا يطيق ذلك يا رسول الله
 فقال الله الواحد الصمد ثلث
 القرآن تفرد بأخراجه البخاري
 من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي
 والضحاك بن سرحبيل الهمداني
 المشرق كلاهما عن أبي سعيد
 قال الفربري سمعت أبا جعفر
 محمد بن أبي حاتم وراق أبي عبد الله
 قال قال أبو عبد الله البخاري عن
 إبراهيم مرسل وعن الضحاك
 مسند حديث آخر قال الإمام
 أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا
 ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن
 أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري
 رضي الله عنه قال بات قتادة بن
 النعمان يقرأ الليل كله بقل هو
 الله أحد فذكر ذلك للنبي صلى الله
 عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده
 إنها تعدل نصف القرآن أو ثلثه
 حديث آخر قال الإمام أحمد
 حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة
 حدثنا يحيى بن عبد الله عن أبي
 عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن
 عمرو أن أبا أيوب الأنصاري كان
 في مجلس وهو يقول ألا يستطيع
 أحدكم أن يقوم بثلاث القرآن كل
 ليلة فقالوا وهل يستطيع ذلك

الأقليم تقول جلست وسط القوم بالثسكين لأنه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لأنه
 اسم لما يكسفه غيره من جهاته وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط بالسكون وإن لم يصلح فيه
 بين فهو وسط بالتحريك وربما سكن وليس بالوجه وجمعام فعول به والفاآت في المواضع
 الأربعة للدلالة على ترتب ما بعد كل واحدة منها على ما قبلها قرأ الجمهور فوسطن بتخفيف
 السين وقرئ بالتشديد قال ابن عباس في الآية صبحت القوم جميعا وفي لفظ الجمع العدو وفي
 لفظ إذا توسطت العدو وفي لفظ جمع العدو (إن الإنسان لربه لكنود) هذا جواب القسم
 والمراد بالإنسان بعض أفرادوه وهو الكافر والكند الكفور للنعمة وقوله لربه متعلق
 بكند وقد مر رعاية الفواصل وقيل هو الجاحد للحق وقيل الكند مأخوذ من الكند وهو
 القطع كأنه قطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر يقال كند الجبل إذا قطعه وقيل الكند
 الخيل بلغة بني مالك وقيل الحسود وقيل الجهول لقدره وقيل العاصي بلغة كندة وتفسير
 الكند بالكفور للنعمة أولى بالمقام والجاحد للنعمة كافر لها ولا يناسب المقام سائر ما قيل
 وعن ابن عباس قال الكند بلساننا أهل البلد الكفور وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم قال الكند الكفور أخرجه ابن عساكر وعنه قال الكند الذي يمنع
 رفده وينزل وحده ويضرب عبده وروى نحوه مرفوعا عنه وسنده ضعيف والموقوف أصح
 (وأنه على ذلك) أي وإن الإنسان على كنوده (لشديد) يشهد على نفسه به لظهور أثره عليه
 وقيل المعنى وإن الله جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم شهيد وبه قال الجمهور وقال بالاول
 الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وهو أرجح من قول الجمهور لقوله (وأنه لحب الخير لشديد)
 فإن الضمير راجع إلى الإنسان والمعنى أنه لحب المال قوى مجدى في طلبه وتحصيله منه لك
 عليه يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطبقا له ومنه قوله تعالى إن ترك خيرا
 وقيل المعنى وإن الإنسان من أجل حب المال ليجل والاول أولى واللام في حب متعلقة
 بشديد قال ابن زيد سمي الله المال خيرا وعسى أن يكون شرا ولكن الناس يجدونه خيرا
 فسماه خيرا قال الفراء أصل نظم الآية أن يقال وأنه أشد حب للخير لما قدم الحب
 قال لشديد وحذف من آخره ذكر الحب لأنه قد جرى ذكره ولرؤس الآية كقوله في يوم
 عاصف والعصوف للريح لا لليوم كأنه قال في يوم عاصف الريح قال ابن عباس الخير المال
 (أفلا يعلم إذا بعنهم في القبور) الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
 المقام أي يفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم وهذا تهديد ووعيد وبعث معناه نثر وبحث أي
 نثر ما في القبور من الموتى وبحث عنهم وأخرجوا قال أبو عبيدة بعثت امتاع جعلت أسفله
 أعلاه وقال الفراء سمعت بعض العرب من بني أسد يقول يجثرب الحاء مكان العين وقد تقدم
 الكلام على هذا في قوله وإذا القبور بعثت (وحصل ما في الصدور) أي ميزوبين ما فيها
 من الخير والشرو التحصيل التميز كذا قال المفسرون وقيل حصل أبرز قرأ الجمهور حصل
 بضم الحاء وتشديد الصاد مكسورا مبنيا للفعول وقرئ حصل بفتح الحاء وتخفيف الصاد
 مبني للفعل أي ظهر قال ابن عباس بعثت بحث وحصل أبرز والمعنى أخرج وجمع بغاية
 السهولة ما في الصدور من خير وشر مما يظن مضمرة أنه لا يعلمه أحد أصلا ولا ظهر مكتوبا في

أحد قال فان قل هو الله أحد ثلث القرآن قال جَاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسمع ابا أيوب فقال صدق أبو أيوب حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان أخبرني أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل هو الله أحد ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن اني لا ارى هذا خيراً جاء من السماء ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال اني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وانها تعدل ثلث القرآن وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن بشار به وقال الترمذي حسن صحيح غريب واسم أبي حازم سلمان حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خنيس عن عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن امرأة من الانصار عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فانه من قرأ قل هو الله أحد الله الصمد في ليلة فقد قرأ

صحائف الاعمال وهذا يدل على ان الانسان يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها وخص أعمال القلوب بالذكور وترك ذكراً أعمال الجوارح لانها تابعة لأعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح (ان رحم - م) أي ان رب المبعوثين (بهم يومئذ خير) لا تخفى عليه خافية فيجازيهم بالخير خيراً وبالشر شرراً قال الزجاج الله خير بهم - م في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى ان الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم ومثله قوله تعالى أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم معناه أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم قال الامام دلت الآية على انه تعالى عالم بالجزئيات الزمانيات وغيرها لانه تعالى نص على كونه عالماً بكيفية أحوالهم - م في ذلك اليوم فكيف لا يكون منكره كافراً ذكره الكرخي قرأ الجمهور بكسر ان وباللام في خير وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة واسقاط اللام

*(سورة القارعة وهي ثمان آيات وقيل احدى عشرة آية وقيل عشر آيات

وهي مكينة بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) هي من أسماء القيامة قاله ابن عباس لانها تقرر القلوب بالقرع وتقرر اعداء الله بالعداب والعرب تقول قرعتم القارعة اذا وقع بهم أمر فطيع وقيل أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر وسميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته وهي مبتدأ وخبره (ما القارعة) قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بنصبها على تقدير احذروا القارعة والاستفهام للتفخيم والتعظيم لشأنها كما تقدم بيانه في قوله الحاققة ما الحاققة وقيل معنى الكلام على التحذير قال الزجاج والعرب تحذروا تغري بالرفع كالنصب والجل على معنى التفخيم والتعظيم أولى ويؤيده وضع الظاهر موضع المضمرة فانه أدل على هذا المعنى ويؤيده أيضاً قوله (وما أدراك ما القارعة) فانه تأكيده لشدته هولها ومن يدفعا عنها حتى كأنها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تتأهل ادراية أحد منهم وما الاستفهامية مبتدأ وأدراك خبرها وما القارعة مبتدأ وخبر والجملة في محل نصب على انها المفعول الثاني والمعنى وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة ثم بين سبحانه متى تكون القارعة فقال (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) انتصاب الظرف بفعل محذوف تدل عليه القارعة أي تقررهم يوم يكون الخ ويجوز أن يكون منصوباً بتقدير اذكر وقال ابن عطية ومكي وأبو البقاء هو منصوب بنفس القارعة وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وانما نصب لاضافته الى الفعل فالفتحة فتحة بناء لافتحه اعراب أي هي يوم يكون الخ وقيل التقدير ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ وقرأ يزيد بن علي برفع يوم على الخبرية للمبتدأ المقدر والفراش الطير الذي تراه يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة كذا قال أبو عبيدة وغيره قال الفراء الفراش هو الطائر من بعوض وغيره ومنه الجراد قال وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال طيش من فراشة والمراد بالمبثوث المتفرق المنتشر يقال به اذا فرقه ومثل هذا قوله سبحانه في آية أخرى كأنهم جراد منتشر وقال المبثوث ولم يقل مبثوثة لان الكل جائز كما في قوله اعجاز فخل منقروا اعجاز فخل

للمتذلل القرآن هذا حديث
تساعى الاسناد للامام أحمد ورواه
الترمذى والنسائى كلاهما عن محمد
ابن بشار بن دار زاد الترمذى وقتيبة
كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي
به فصار لهما عشاريا وفي رواية
الترمذى عن امرأة أبي أيوب عن
أبي أيوب به وحسنه ثم قال وفي
الباب عن أبي الدرداء وأبي سعيد
وقناد بن النعمان وأبي هريرة
وأنس وابن عمرو بن مسعود وهذا
حديث حسن ولا نعلم احدا روى
هذا الحديث أحسن من رواية
زائدة وتابعه على روايته إسرائيل
والفضيل بن عياض وقد روى
شعبة وغير واحد من الثقات هذا
الحديث عن منصور واضطربوا
فيه حديث آخر قال أحمد حدثنا
هشيم عن حصين عن هلال بن
يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى
عن أبي بن كعب أو رجل من
الانصارى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ بقل هو
الله أحد فكأنما قرأ بثلاث القرآن
ورواه النسائى في اليوم والليلة من
حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي
ليلى به ولم يقع في روايته هلال بن
يساف حديث آخر قال الامام
أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن
أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن
أبي مسعود رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قل
هو الله أحد تعدل ثلث القرآن

خاوية وقد تقدم بيان وجه ذلك وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذي
يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والتذلل واجابة
الادعى من كل جهة والتطير الى النار (وتكون الجبال) بعد أن تنفتت كالرمل
السائل (كالعهن المنفوش) أى كالصوف المملون بالالوان المختلفة الذى نفس بالندف
والعهن عند أهل اللغة الصوف المصبوغ بالالوان المختلفة وقد تقدم بيان هذا في سورة
سأل سائل وقد ورد في الكتاب العزيز أوصاف للجبال يوم القيامة وقد قدمنا بيان الجمع بينها
ثم ذكر سبحانه أحوال الناس وتفرقهم فرب يقين على جهة الاجال فقال (فأما من ثقلت
موازينه) بآبائه الحق وقد تقدم القول في الميزان في سورة الاعراف وسورة الكهف
وسورة الانبياء وتداخلت فيها هاهنا فقل هي جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر
عند الله وبه قال القراء وغيره وقيل هي جمع ميزان وهو الآلة التى توضع فيها صحائف
الاعمال وعبر عنه بلفظ الجمع كما يقال لكل حادثة ميزان وقيل المراد بالموازين الحجج
والدلائل (فهو في عيشة) حياة (راضية) طيبة أو مرضية فهو اسناد مجازى
أو استعارة ممكنة وتخيلية أو هي بمعنى المنعول على التجوز في الكامة نفسها قال الزجاج
أى ذات رضا يرضاها صاحبها يعنى انها للنسب وقيل المعنى فاعله الرضاء وهو اللين
والانقياد لاهلها والعيشة كلمة تجمع النعم التى في الجنة (وأما من خفت موازينه) أى
رجحت سياسته على حسناته أو لم تكن له حسنات يعتد بها (فأما هاهنا) أى فسكنه
جهنم وسماها أمه لانه يأوى اليها كما يأوى الى أمه والهاوية من أسماء جهنم وهى آخر
الطبقات السبع وسماها هاهنا لأنه يهوى فيها مع بعد فقرها والمهوى والمهواة ما بين
الجليلين وهماوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض قال قتادة يعنى قصيره الى
النار قال عكرمة لانه يهوى فيها على أم رأسه قال الاخفش أمه مستقرة قال ابن عباس
هاوية كقوله هوبت أمه وعن عكرمة قال أم رأسه هاهنا وهى فى جهنم قال الخطيب أى نار
نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال يهوى فيها نازلا فهو في عيشة ساخطة فالآية من
الاحتمال ذكر العيشة أو لادليل على حذفها ثانيا وذكرا لام ثانيا لادليل على حذفها أولا
وأخرج ابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات المؤمن
تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فاذا كان مات ولم يأتهم قالوا
خولف به الى أمه الهاوية فبئست الأثم وبئست المريبة وأخرج ابن مردويه من حديث
أبي أيوب الانصارى نحوه وأخرج ابن المبارك من حديثه نحوه أيضا وبقي قسم ثالث غير
مذكور في الآية وهو من استوت حسناته وسيئاته قال المناوى من رجحت حسناته
بسبب زيادتها على السيئات فهو في الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته
في حساب حسابا يسيرا ومن رجحت سيئاته على حسناته أى بسبب زيادتها فيشفع فيه
أو يعذب (وما أدراك ما هي) هذا الاستفهام للتوبيخ والتنظييع ببيان انها خارجة
عن المعهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر ولا تدرك كنهها والضمير يعود الى الهاوية
والهاهنا لا سكنت ثم بينها سبحانه بقوله (نار حامية) أى قد انتهى حرها وبلغ في الشدة الى

الغاية وارتفاع نار على انها خبر مبتدأ محذوف أي هي نار حامية نعوذ بالله منها

* (سورة التكاثر هي ثمان آيات وهي مكية عند الجميع) *

وروى البخاري انها مكية قال ابن عباس نزلت بمكة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألفها كم التكاثر أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب قال المنذري رجال اسناده ثقات الآن عقبة لا أعرفه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ في ليلة ألف آية لقي الله وهو ضاحك في وجهه قيل يا رسول الله ومن يقوى على ألف آية فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ألفها كم التكاثر إلى آخرها ثم قال والذي نفسي بيده انها تعدل ألف آية أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق والديلمي وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن عبد الله بن السخيري قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ ألفها كم التكاثر وفي لفظ وقد أنزلت عليه ألفها كم التكاثر وهو يقول يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مال الأما كلت فأفانيت وأخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ولم يذكر فيه قراءة هذه السورة ولا نزلها بل يقرأ يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاثة مائ كل فأفني وماليس فأبلى وما تصدق فأفني وما سوى ذلك فهو ذاهب وتارك للناس وعن جرير بن عبد الله قال قال لنار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني قارئ عليكم سورة ألفها كم التكاثر فن بكى فله الجنة فقرا لها فخانم بكى ومنامن لم يك فقال الذين لم يبكوا قد جهدنا يا رسول الله ان نسكى فلم نقدر عليه فقال اني قارئها عليكم الثانية فن بكى فله الجنة ومن لم يقدر ان يبكي فليتبك أخرجه البيهقي في الشعب وضعفه والحاكم الترمذي في نوادر الاصول

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ألفها كم التكاثر حتى زرتم المقابر) أي شغلكم التباري في التكاثر بالاموال والاولاد والتباهي والتفاخر بكثرتهما عن طاعة الله تعالى والتغالب فيها يقال ألفها عن كذا أو أفها اذا شغل وقال الحسن معناه أنساكم حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال وقال قتادة ان التكاثر التناخر بالقبائل والعشائر قال الضحاك ألفها كم التشاغل بالمعاش وقيل المعنى متم ودفنتم في المقابر والمقابر جمع مقبرة وقال مقاتل وفتادة أيضا وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن أكثر من بني فلان وبني فلان أكثر من بني فلان ألفها هم ذلك حتى ماتوا وقال الكلبي نزلت في حنين من قريش بن عبد مناف وبني سهم تعدادا وتكاثرا وبالسيادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم فحن أكثر سيادا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر قائدا فكثر بنو عبد مناف وبني سهم ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم بهم فنزلت ألفها كم التكاثر فلم ترضوا حتى زرتم المقابر فقهرين بالاموات عن أبي بردة في الآية قال نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقلت احدهما فيكم مثل فلان وفلان وقال الاخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور ففعلت احدي الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور ومثل فلان

وهكذا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به ورواه النسائي في اليوم والليلة من طرق أخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا حديث آخر قال الامام احمد حدثنا به زاهد ثنا بكر بن ابي السميطة حدثنا قتادة عن سالم بن ابي الجعد عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيهمز أحدكم ان يقرأ كل يوم ثلث القرآن قالوا نعم يا رسول الله نحن اضعف من ذلك وأعجز قال فان الله جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فقل هو الله احد ثلث القرآن ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به حديث آخر قال الامام احمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ابن اخي ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عون عن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن عمرو بن علي عن أمية ابن خديجه ثم رواه من طريق مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قوله ورواه النسائي أيضا في اليوم والليلة من حديث محمد ابن اسحق عن الحرث بن فضيل الانصاري عن الزهري عن حميد ابن عبد الرحمن ان نفر من أصحاب

محمد صلى الله عليه وسلم حدثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن حسين قال سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة ورواه الترمذي والنسائي من حديث مالك وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث مالك وتقدم حديث جابر اياها اذ خلت الجنة حديث في تكرار قراءتها قال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا مطرب بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشي حدثنا بريدة الرقاشي عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أما يستطيع احدكم ان يقرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات في ليلة فأنها تعدل ثلث القرآن هذا اسناد ضعيف واجود منه حديث آخر قال عبيد الله بن الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدسي حدثنا الضحالة بن محمد حدثنا ابن أبي ذئب عن أسيد بن أبي أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال اصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى

وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله هذه الآية أي أقصد كان لكم فيما زرتهم عبرة وشغل أخرجه ابن أبي حاتم وفي الآية دليل على ان الاشتغال بالدينا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة والشرع دل على ان التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية غير مذموم فيجوز للانسان أن يقتر ببطاعته وحسن اخلاقه اذا كان يظن ان غيره يقتدى به وقال سبحانه الهاكم التكاثروا ولم يقل عن كذاب اطلقه لان الاطلاق أبلغ في الذم لانه يذهب فيه الوهم كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام ولان حذف المتعلق مشعر بالتعميم كما تقر في علم البيان والمعنى انه شغلكم التكاثر عن كل شيء يجب عليكم الاشتغال به من طاعة الله والعمل للآخرة وعبر عن موتهم بزيارة المقابر لان الميت قد صار الى قبره كما يصير الزائر الى الموضع الذي يزوره هذا على قول من قال ان معنى زرتهم المقابر متم وأما على قول من قال ان معنى زرتهم المقابر ذكرتم الموتى وعددتهم للمفاخرة والمكاثرة فيكون ذلك على طريق التكميم بهم وقيل انهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفخرون بذلك (كلا سوف تعلمون) ردع وزجر لهم عن التكاثر وتنبيه على انهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة وفيه وعيد شديد قال الفراء أي ليس الامر على ما أنتم عليه من التكاثر والتفاخر ثم كرر الردع والزجر والوعيد فقال (ثم كلا سوف تعلمون) ثم للدلالة على ان الثاني أبلغ من الاول وقيل الاول عند الموت أو في القبر والثاني يوم القيامة قال الفراء هذا التكرار على وجه التغليظ والتأكيد قال مجاهد هو وعيد بعد وعيد وكذا قال الحسن ومقاتل وجعله الشيخ جمال الدين بن مالك من التوكيد اللفظي مع توسط حرف العطف وقال الزمخشري والتكرير تأكيد كيد للردع والرد عليهم ونقل عن علي كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر للحصول التباين بينهما لاجل تباين المتعلقين وشم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم في الافعال الثلاثة لان الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدي لمفعول واحد قاله السمين (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي لو تعلمون الامر الذي أنتم صائرون اليه علما يقينيا كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدينا وجواب لو محذوف أي لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم فيه وقال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم وكلا في هذا الموضع الثالث للردع والزجر كالموضعين الاولين وقال الفراء هي بمعنى حق وقيل هي في المواضع الثلاثة بمعنى الاقوال ابن أبي حاتم قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه قال هو البعث وعنه كما تحدث ان علم اليقين أن يعلم ان الله باعته بعد الموت وازافة العلم الى اليقين من اضافة الموصوف الى صفته وفي الدمين وعلم اليقين مصدر قيل وأصله العلم اليقين وقيل لاحاجة الى ذلك لان العلم يكون يقينيا وغير يقين فأضيف اليه اضافة العام للخاص وهذا يدل على أن اليقين أحص وقوله (لثرون الخيم) جواب قسم محذوف وفيه زيادة وعيد وتهديد أي والله لثرون الخيم في الآخرة قال الرازي وليس هذا جواب لولان جواب لو يكون منفيا وهذا مثبت ولانه عطف عليه ثم لتسليان وهو مستقبل لابد من وقوعه قال وحذف جواب لو كثير والخطاب

للكفار وقيل عام كقوله وان منكم الاواردها قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيًا للفاعل
وقرئ بضمها مبنيًا للمفعول والرؤية هنا بصرية فلذلك تعدت الى مفعول واحد ثم كرر
الوعيد والتهديد للتأكيد فقال (ثم لترونها عين اليقين) أي ثم لترون الجحيم الرؤية التي
هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعانيه وقيل المعنى لترون الجحيم بإبصاركم على البعد
منكم ثم لترونها مشاهدة على القرب وقيل المراد بالاول رؤيتها قبل دخولها وبالثاني
رؤيتها حال دخولها وقيل هو اخبار عن دوام بقائهم في النار أي هي رؤية دائمة متصلة
وقيل المعنى لتعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم وهو أن
تتصوروا أمر القيامة وأهوالها (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أي عن نعيم الدنيا الذي
الهاكم عن العمل للأخرة ثم للترتيب الاخباري لا المعنوي لان السؤال قبل رؤية الجحيم
قال قتادة يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر
ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعم حيث عبدوا غيره وأشركوا به قال الحسن لا يسئل عن
النعم الا أهل النار وقال قتادة ان الله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه وهذا هو
الظاهر ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الافراد أو نوع من الانواع لان تعريفه الجنس
أوللاستغراق ومجرد السؤال لا يستلزم تعذيب المسئول على النعمة التي سئل عنها فقد
يسأل الله المؤمن عن النعم التي أنعم بها عليه فيم صرفها ويوم عمل فيها بالعرف تقصيره وعدم
قيامه بما يجب عليه من الشكر قبل السؤال عن الامن والصحة وقيل عن الصحة والقرع
وقيل عن الادراك بالحواس وقيل عن ملاذ المأكول والمشروب وقيل عن الغداه والعشاء
وقيل عن بارد الشراب وظلال المساكن وقيل عن اعتدال الخلق وقيل عن لذة النوم
وقيل غير ذلك والاولى العموم كما ذكرنا وعن ابن عباس في الآية قال صحة الابدان
والاسماع والابصار وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسؤولا أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الهاكم التكاثر يعني عن الطاعة حتى زرتم المقابر يقول حتى
يأتاكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد
خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين
يدي ربكم لترون الجحيم وذلك أن الصراط يوضع وسط جهنم فجاج مسلم ومخدوش مسلم
ومكدوش في نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال
المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم وأخرج ابن مردويه عن عياض بن غنم مرفوعا
بحقه وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال الامن والصحة رواه
عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم وغيرهما وعن علي قال النعيم العافية وعنه
قال من أكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي
يسئل عنه وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية كل
خبز البر والنوم في الظل وشرب ماء الفرات مبردا أخرجه ابن مردويه ولعل رفع هذا لا يصح
فربما كان من قول أبي الدرداء وعن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية

الله عليه وسلم يصلي بنا فخرج فأخذ
بيدي فقال قل فسكت قال قل
قلت ما أقول قال قل هو الله احد
والمعوذتين حين تسي وجن تصبح
ثلاثا تكفيك **ك** كل يوم مرتين
ورواه ابو داود والترمذي والنسائي
من حديث ابن ابي ذئب به وقال
الترمذي حسن صحيح غريب من
هذا الوجه وقدرناه النسائي من
طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله بن
حبيب عن أبيه عن عقبة بن عامر
فذكره ولفظه **ك** فك كل شيء
حديث آخر في ذلك قال الامام احمد
حدثنا اسحق بن عيسى حدثني
ايث بن سعد حدثني الخليل بن مرة
عن الازهر بن عبد الله عن تميم
الداري رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال لا اله الا الله واحداً أحداً صمداً
لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له
كفواً أحد عشر مررات كتب الله
له اربعين الف حسنة ففرد به
احمد والخليع بن مرة ضعفه
البخاري وغيره بحديث آخر
قال الامام احمد حدثنا حسن بن
موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان
ابن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس
الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو
الله أحد حتى يحتسبها عشر مرات
بني الله قصره في الجنة فقال عمر
اذن استكثر يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله

أكثر وأطيب تفرد به أحمد ورواه أبو أحمد الدارمي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا أبو عبيد وهو ابن عبد قال الدارمي وكان من الأبدال أنه سمع سعيد بن المسيب يقول أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصر في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب إذا تكثرت قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك وهذا مرسل جيد حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا نصر بن علي حدثني نوح بن قيس أخبرني محمد العطار أخبرني أم كثير الأنصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة أسناده ضعيف حديث آخر قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد في يوم مائتي مرة كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين أسناده ضعيف حاتم ابن ميمون ضعفه البخاري وغيره ورواه الترمذي عن محمد بن مرزوق

قال ناس من أمي يعقدون اليمن والعسل بالنقي فياً كلونه أخرجه أحمد في الزهد وابن مردويه وهذا مرسل وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يا رسول الله أي نعيم نحن فيه وإنما ناكل في انصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن قل لهم أليس تحتدون النعال وتشربون الماء البارد فهذه ذامن النعيم أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وعن محمود بن لبيد قال لما نزلت الهماكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله أي نعيم نستل عنه وإنما هم الأسودان الماء والتمر وسئوفا على رقابنا والعقد حاضر فعن أي نعيم نستل قال أما إن ذلك سيكون أخرجه ابن أبي شيبة وهناد وأحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الشعب وأخرجه الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة وأخرجه أحمد والترمذي وحسنه وغيرهما من حديث الزبير بن العوام وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أول ما يستل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصحك لك جسداً ونزولك من الماء البارد أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم وعن جابر بن عبد الله قال جاءنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطباً وسقيناهم ماءً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا من النعيم الذي تستلون عنه أخرجه أحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهم وأخرج مسلم وأهل السنن وغيرهم عن أبي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكم من بيوتكم الساعة قالوا الجوع يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لا أخرجني الذي أخرجكم فقوماً فقام معه فأتى رجلاً من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحباً فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم اضيافاً مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وعترف فقال كلوا من هذا واخذ المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياك والحب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يبي بكر وعمر والذي نفسي بيده تستلن عن هذا النعيم يوم القيامة وفي الباب أحاديث

(سورة العصر هي ثلاث آيات وهي مكية عند الجمهور وقال قتادة هي مدنية)

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن أبي مزينة الدارمي وكانت له حصة قال كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا التقيا لم يتفقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أقسم سبحانه بالعصر وهو الدهر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار وتعاقب الظلام والضياء فان في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده ويقال لليل عصر وللنهار عصر ويقال للغداة والعشي عصران قال الرازي أقسم تعالى بالدهر لما فيه من الأعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر

والفقرو لان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني ثم ثبتت السعادة في الامعة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة أبدا لا يباد فعملت ان أشرف الاشياء حياتك في تلك الامعة فكان الدهر والزمان من جملة أصول النعم ولان الزمان اشرف من المكان فاقسم به لكونه نعمة خالصة لا عيب فيه وقال قتادة والحسن المراد به في الآية العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها وعن قتادة أيضا انه آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل ان المراد به صلاة العصر وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله سبحانه بالمحافظة عليها وقيل هو قسم (١) بعصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزجاج قال بعضهم معناه ورب العصر والاول اولى وبه قال ابن عباس وعنه هو ساعة من ساعات النهار وقال أيضا هو ما قبل مغيب الشمس من العشي واخرج القرطبي وابو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف عن علي بن ابي طالب انه كان يقرأ والعصر ونوايب الدهر ان الانسان اني خسروا نهيه الى آخر الدهر وعن ابن مسعود أيضا انه كان يقرأ ان الانسان اني خسروا نهيه الى آخر الدهر أخرجه عبد بن حميد (ان الانسان اني خسروا) هذا جواب القسم والخسر والخسران النقصان وذهاب رأس المال والمعنى ان كل انسان في المتاجر والمساعى وصرف الاعمار في اعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت وقيل المراد بالانسان الكافر وقيل جماعة من الكفار وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب بن اسد والاول اولى لما في لفظ الانسان من العموم ولدلالة الاستثناء عليه قال الاخفش في خسروا هلكة وقال الفراء في عقوبة وقال ابن زيد لفي شرو قيل لفي نقص والمعاني متقاربة قرأ الجمهور والعصر بسكون الصاد وقرئ بكسر الصاد وقرأ الجمهور أيضا خسروا بضم الخاء وسكون السين وقرئ بضمهما والتذكير في خسروا يفيد التعظيم أي في خسروا عظيم لا يعلم كنهه الا الله فقد جعل الانسان مغمورا في الخسر للمباغته وانها حاط به من كل جانب لأن كل ساعة تمر بالانسان فان كانت مصروفة الى المعصية فلا شك في الخسر وان كانت مشغولة بالمباحات فالخسران أيضا حاصل وان كانت مشغولة بالطاعات فهي غير متناهية وترك الاعلى والاقتصار على الأدنى نوع خسران ولا ينافية قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم لان الكلام ثم في احوال البدن وهنا في احوال النفس (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي جمعوا بين الايمان بالله والعمل الصالح فانهم في ربح لا في خسروا لانهم عملوا للآخرة ولم تشغلهم اعمال الدنيا عنها والاستثناء متصل ومن قال ان المراد بالانسان الكافر فقط فيكون منقطعاً ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة ولا وجه لما قيل ان المراد الصحابة او بعضهم فان اللفظ عام لا يخرج عنه احد ممن يتصف بالايمان والعمل الصالح (وتواصوا) أي أوصى (٢) بعضهم بعضا (بالحق) الذي يحق القيام به وهو الايمان بالله والتوحيد والقيام بما شرعه الله واجتناب ما نهى عنه قال قتادة بالحق أي بالقرآن وقيل بالتوحيد والجل على العموم اولى (وتواصوا بالصبر) عن معاصي الله سبحانه وعلى فرائضه وعلى البلايا وفي جعل التواصي بالصبر قرينة للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وخامسة شرفه

ثم قال لا نعم لم يرواه عن ثابت
الحسن بن أبي جعفر والاعلم بن عيم
وهو ما متقاربان في سوء الحفظ
(حديث آخر) في الدعاء بما تضمنته
من الاسماء قال النسائي عند
تفسيرها حدثنا عبد الرحمن بن خالد
حدثنا يزيد بن الحباب حدثني
مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن
بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا
رجل يصلي يدعو يقول اللهم اني
أسألك بأني أشهد أن لا اله الا أنت
الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد قال والذي
نفسى بيده لقد سأله باسمه الاعظم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعى
به أجاب وقد أخرجه بقية أصحاب
السنن من طرق عن مالك بن مغول
عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به
وقال الترمذي حسن غريب
(حديث آخر) في قراءتها عشر
مرات بعد المغرب قال الحافظ
ابو يعلى حدثنا عبد الاعلى حدثنا
بشر بن منصور عن عمر بن سنان
عن أبي شداد عن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث من جابهن مع
الايان دخل من أي ابواب الجنة
شاء وزوج من الحور العين حيث
شاء من عفا عن قاتله وادى دينه
خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة
عشر مرات قل هو الله أحد قال
فقال ابو بكر أو احدهن يا رسول
الله قال او احدهن (حديث) في
قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ

ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ان الله مع الصابرين وأيضا التواصي بالصبر
مما يندرج تحت التواصي بالحق فافراده بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من اعظم الادلة
الدالة على اناقة على خصال الحق ومزيد شرفه عليها وارتناح طبقة عنها وكرر الفعل
لاختلاف المفعولين

* (سورة الهمزة هي تسع ايات) *

وهي مكية بالاخلاف قال ابن عباس انزلت بمكة وقال المحلى أو مدينة والاول أولى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) هو مر ترفع على الابتداء وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم وخبره
(لكل همزة لمزة) والمعنى خزي أو عذاب أو هلكة أو وادي في جهنم لكل همزة لمزة والتاء في ما
للمبالغة في الوصف وقد اطرأ أن بناء فعله لمبالغة الفاعل أي المكثر لما أخذ الاشتقاق وإذا
سكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة
بسكون العين اذا كان ملعونا للناس يكثر ون لعنة قال أبو عبيدة والزجاج الهمزة للهمزة
الذي يغتاب الناس وعلى هذا هما بمعنى وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن أبي
رباح الهمزة الذي يغتاب الرجل في وجهه والهمزة الذي يغتابه من خلفه وقال قتادة عكس
هذا وروى عن قتادة ومجاهد أيضا ان الهمزة الذي يغتاب الناس في انسابهم وعن مجاهد
أيضا ان الهمزة الذي يهزم الناس بيده والهمزة الذي يلزهم بلسانه وقال سفيان الثوري
يهزمهم بلسانه ويلزهم بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذى جلساءه بسوء اللفظ
والهمزة الذي يكسر عينه على جلسيه ويشير بيده ورأسه وبجانبه وقيل هم المشاؤون
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون العيب للبري وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى
أصل واحد وهو الطعن واطهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم
وأفعالهم وأصواتهم ايضا حكوا منه والاول أولى وأصل الهمز الكسر يقال همز رأسه
كسره وقيل أصل الهمز واللمز الضرب والدفع يقال همزة همزة همز اولمزه يلزمه لزم اذا
دفعه وضر به قرأ الجهور همزة لمزة بضم اولهما وفتح الميم فيهما وقرئ بسكون الميم فيهما
وقرأ أبو وائل والنخعي والاعمش ويل للهمزة الهمزة والاية نعم كل من كان متصفا بذلك
ولا ينافية نزولها على سبب خاص فان الاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب وعن
ابن عباس أنه سئل عن همزة لمزة قال هو المشاء بالخمسة المفرق بين الجمع المغربي بين
الاخوان وعنه قال همزة طعان ولمزة مغتاب وقوله (الذي جمع ما لا وعدته) بدل من
كل اوفى محل نصب على الذم وهذا يرجح لان البدل يستلزم ان يكون المبدل منه في حكم
الطرح أو تعليل لما قبله وانما وصفه سبحانه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلل
في الهمز واللمز وهو اعجاب به بما جمع من المال ووطنه انه الفضل فلاجل ذلك يستقصر غيره
قرأ الجهور بجمع مخففا وقرئ مثقلا قال الرازي الفرق أن التشديد يفيد انه جمعه من
ههنا ومن ههنا ولم يجب معه في يوم واحد ولا في يومين ولا في شهر ولا في شهرين وان

ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن المزبر فان عن مروان بن سالم عن ابي زرعة عن عمرو بن جرير عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد حين يدخل منزله نبت الفقر عن اهل ذلك المنزل والجرير اسناده ضعيف (في حديث) في الاكنار من قراءتها في سائر الاحوال قال الحافظ ابو يعلى حدثنا محمد بن اسحق المسيبي حدثنا يزيد بن هرون عن العلاء بن محمد النخعي قال سمعت انس بن مالك يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثلها فاني جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل مالي ارى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثلها فيما مضى قال ان ذلك معاوية بن معاوية اللبي ماتي بالدينة اليوم فبعث الله اليه سبعين الف ملك يصلون عليه قال وفيهم ذلك قال كان يكثر قراءة قل هو الله احد في الليل والنهار وفي مشاهير وقعوده فهل لك يا رسول الله ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه وكذا رواه الحافظ ابو بكر البيهقي في دلائل النبوة من طريق يزيد بن هرون عن العلاء بن محمد وهو وهم بالوضع والله اعلم (طريق اخرى) قال ابو يعلى حدثنا

التخفيف لا يفيد ذلك ونكر ما لا للتعظيم أي ما لا يبلغ في الخبث والنسب اد أقصى النهايات فكيف يليق بالعاقل أن يفخربه وقرأ الجمهور وعدده مشدود وقرئ بالتخفيف والتشديد في الكامتين يدل على التكثير وهو جمع الشيء بعد الشيء وتعديده مرة بعد أخرى قال الفراء معني عدده أحصاه فهو مأخوذ من العد وقال الزجاج وعدده لنائب الدهور يقال أعددت الشيء وعدده إذا أمسكته قال السدي أحصى عدده وقال الضحاك أعدت ماله لمن يرثه وقيل المعنى فاخر بكثرته وعدده والمقصود دمه على جمع المال وامساكه وعدم انفاقه في سبل الخير وقيل المعنى على قراءة التخفيف في عدده انه جمع عشيرته وأقاربه قال المهدوي من خفف وعدده فهو معطوف على المال أي وجمع عدده وجملة (يحسب ان ماله أخلده) مستأنفة لتقرير ما قبلها ويجوز أن تكون في محل النصب على الحال من فاعل جمع أي يعمل عمل من يظن ان ماله يتركه حيا فخلد الا يوت وأخلده ماض معناه المضارع أي يخلده وقال عكرمة يحسب ان ماله يزيد في عمره والاطهار في موضع الاضمار للتقريب والتوبيخ وقيل هو تعريض بالعمل الصالح وانه الذي يخلد صاحبه في الحياة الابدية لا المال والخلد بالضم البقاء والدوام وبابه دخل وأخلده الله وخلد تخلدا (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان أي ليس الامر كما يحسبه هذا الذي جمع المال وعدده أو معناه حقا (لينبذن في الحطمة) اللام جواب قسم محذوف أي لي طرحن في النار وليلقين فيها قرأ الجمهور لينبذن وقرئ لينبذان بالثنية أي لينبذه هو وماله في النار وقرئ لينبذن أي لينبذن ماله في النار والمعنى تحطم وتكسر كل ما لقي فيها في الحطمة مماثلة لعمله لفظا ومعنى لانها على وزن همزة ملزمة وفيها ما كسر كما فيها وحطمه من باب ضرب والتخميم التكسير والحطمة من أسماء النار لانها تحطم ما تلتهق (وما أدركها الحطمة) هذا الاستفهام للتحويل والتفطيع حتى كأنها ليست مما تدرك العقول وتبلغه الافهام قيل هي الطبقة السادسة من طبقات جهنم وقيل الطبقة الثانية منها وقيل الطبقة الرابعة ثم بينها سبحانه فقال (نار الله الموقدة) بأمر الله سبحانه التي لا تخمد ابدا ووجب وتحت ايفادها وفي اضافتها الى الاسم الشريف تعظيم لها وتفضيل وكذلك في وصفها بالايقاد (التي تطلع على الافئدة) أي يخلص حرها الى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الافئدة بالذكركم كونها تغشى جميع أبدانهم لانها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة أولكون الالم اذا وصل اليها مات صاحبها لان الفؤاد أطف مافي الجسد واشد تألما بآذي عيسى أي انهم في حال من يموت وهم لا يعوتون كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقيل المعنى انها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بامارات عرفها الله بها (انهم عليهم مؤصدة) أي مطبقة مغلفة كما تقدم بيانه في سورة البلد يقال أصدت الباب اذا غلقته وقال ابن عباس مطبقة وجمع الضمير في عليهم رعاية لمعنى كل (في عدم مددة) في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم أي كائنين في عدم مددة موثقين فيها أو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هم في عدم أو صفة لمؤصدة أي مؤصدة بعدم مددة قال مقاتل أطبقت الابواب عليهم ثم شددت بان ناد من جديد فلا

محمد بن ابراهيم الشامي أبو عبد الله
 حدثنا عثمان بن الهيثم مؤذن
 مسجد الجامع بالبصرة عندي عن
 محمود أبي عبد الله عن عطاء بن أبي
 ميمونة عن أنس قال نزل جبريل
 على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 مات معاوية بن معاوية الليثي
 فحب ان تصلي عليه قال نعم فضرب
 بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا
 أكمة الا تصعصعت فرفع سريره
 فنظر اليه فكبر عليه وخلقه صفان
 من الملائكة في كل صف سبعون
 الف ملك فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم يا جبريل بم نال هذه المنزلة
 من الله تعالى قال بحبه قل هو الله
 احد وقراءته اياها ذاهبا وجائيا
 قائما وقاعدا وعلى كل حال ورواه
 البيهقي من رواية عثمان بن الهيثم
 المؤذن عن محبوب بن هلال عن
 عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره
 وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال
 قال أبو حاتم الرازي ليس بالشهور
 وقد روى هذا من طرق آخر تركها
 اختصارا وكلها ضعيفة (حديث)
 آخر في فضلها مع المعوذتين قال
 الامام احمد حدثنا أبو المغيرة
 حدثنا معاذ بن رفاعه حدثني علي
 ابن يزيد عن القاسم عن أبي امامة
 عن عتبة بن عامر قال لقيت رسول
 (١) كيف منصوب بالفعل الذي
 بعده او معلقة لفعل الرؤية انتهى
 (٢) وقيل كان معه ثمانية عشر
 فيلا وقيل الف فيل ذكره الخطيب
 انتهى

يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ومعنى كون العمدة مددة انها مطولة وهي أرسخ
 من القصيرة وقيل العمدة أغلال في جهنم وقيل القيود وقال قتادة المعنى هم في عمد
 يعذبون بها واختار هذا ابن جرير قرأ الجهور عمد بفتح العين والميم وقيل هو اسم جمع
 لعمود وقيل جمع له قال الفراء هي جمع لعمود كاديم وأدم وقال أبو عبيدة هي جمع عمد
 وقرئ بضم العين والميم جمع عمود قال الفراء هما جمعان محجة ان لعمود واختار أبو عبيد
 وأبو حاتم قراءة الجهور قال الجوهرى العمود عمود البيت وجمع القلة أعمدة وجمع الكثرة
 عمد وعمد وقرئ بهما وهما سبعيتان قال أبو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب أو
 حديد قال ابن عباس عمد من نار وقال ابن مسعود هي الادهم وعن ابن عباس أيضا
 الابواب هي الممددة وعنه قال ادخلهم في عمد فدخلت عليهم في أعناقهم فسدت بهم الابواب
 قال ابن جرير المعنى ان أبواب جهنم أغلقت عليهم هم مدودة على أبوابها عمدت سد في
 الاغلاق وقيل معناه في دهر ممدود أى لا انقطاع له قال القشيري ان العمدة أو تاد
 الاطباق التي تطبق على أهل النار تشد تلك الاطباق حتى يرجع عليهم نغمها وحرها فلا
 يدخل عليهم روح

(سورة الفيل هي خمس آيات وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر (١) كيف فعل ربك) الاستفهام لتقرير رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم بانكار عدمها
 والمراد بالرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في
 القوة والخلافة للمشاهدة والعيان وحذفت الالف من ترل لجازم قال الفراء المعنى ألم تحب
 وقال الزجاج ألم تعلم وهو تعجب له صلى الله عليه وآله وسلم بما فعله الله (باصحاب الفيل)
 الذين قصدوا وتخريب الكعبة من الحشدة وكيف منصوب على المصدرية أو الحالية
 واختار الاول ابن هشام في المغني والمعنى أى فعل فعل وأما نصبه على الحالية من الفاعل
 فممتنع لان فيه وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز والجملة سدت مسددا فعلى ترى
 والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز أن يكون لكل من يصلح له والمعنى قد
 علمت يا محمد أعلم الناس الموجودون في عصره ومن بعدهم بما بلغكم من الاخبار
 المتواترة من قصة اصحاب الفيل وما فعل الله بهم فإلحكم لا تؤمنون وصاحب الافعال
 ابرهة ملك اليمن واسمه الاشرم سمي بذلك لان اباه ضربه بحجرة فشرم انفه وجيئته قاله
 الطيبي وابرهة لقب لكل من فيه يياض وكان نصرانيا والفيل هو الحيوان المعروف
 وجمعه فيول وافيال وفيلة قال ابن السكيت ولا تقول أفيلة وصاحبه فيال وكانت
 الفيلة (٢) ثلاثة عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وهو
 الذي برز وضرب في رأسه وقيل انما وحده موافقة لرؤس الاسى وعن ابن عباس قال
 جاء اصحاب الفيل حتى نزلوا الصفاح فاتاهم عبد المطلب فقال ان هذا بيت الله لم يسلط عليه
 أحد قالوا لا نرجع حتى نمسدهم وكانوا لا يقدمون فيلهم الا تأخر فدعا الله الطير الابايسل
 فاعطاها حجارة سوداء عليها الطين فلما حاذتهم رمتهم فبقي منهم أحد الاخذته الحسكة

الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته
 فاخذت بيده فقلت يا رسول الله
 بم نجاة المؤمن قال يا عقبه خرس
 لسانك وليس بك بيتك وابك على
 خطيئتك قال ثم لقيني رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فابتدأني فاخذ
 بيدي فقال يا عقبه بن عامر ألا أعلمك
 خير ثلاث سور أنزلت في التوراة
 والإنجيل والزبور والقرآن العظيم
 قال قلت بلى جعلني الله فداك قال
 فاقرأني قل هو الله احد وقل اعوذ
 برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم
 قال يا عقبه لا تنسهن ولا تبث ليله
 حتى تقرأهن قال فانسيتهن منذ
 قال لا تنسهن ومات اياله قط
 حتى أقرأهن قال عقبه ثم لقيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فابتدأته فاخذت بيده فقلت يا رسول
 الله أخبرني بفاضل الاعمال فقال
 يا عقبه صل من قطعك وأعظم من
 حرملك واعرض عن ظلمك روى
 الترمذي بعضه في الزهد من حديث
 عبد الله بن زحر عن علي بن زيد فقال
 هذا حديث حسن وقد رواه احمد
 من طريق آخر حدثنا حسين بن
 محمد حدثنا ابن عباس عن اسيد بن
 عبد الرحمن الخنمي عن فروة بن
 مجاهد اللخمي عن عقبه بن عامر
 عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
 مثله سواء تفرد به احمد (حديث
 آخر) في الاستشفاء بهن قال
 البخاري حدثنا قتيبة حدثنا المفضل
 عن عقيل بن شهاب عن عروة عن
 عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
 كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة

وكان لا يمحك الانسان منهم جلده الا تساقط لحمه أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد وأبو
 نعيم والبيهقي (أم يجعل كيدهم) أي مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة وهدمها
 واستباحة أهلها (في تضليل) أي في خدائهم وهلاك عما قصدوا الا حتى لم يصلوا الى
 البيت ولا الى ما أرادوا بكيدهم والهزيمة لا تقرر كأنه قيل قد جعل كيدهم في تضليل
 والكيد هو ارادة المضرة بالغير لانهم أرادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبي ويكيدوا
 البيت الحرام بالتخريب والهدم قال ابن عباس أقبل أصحاب الفيل حتى اذا دنوا من مكة
 استقبلهم عبد المطلب فقال للمكهم ما جاء بك البناء ألا بعثت فناء تيك بكل شيء فقال أخبرت
 بهذا البيت الذي لا يدخله أحد الا آمن فبنت أخيف أهله فقال انا ناتيكم بكل شيء تريد
 فارجع فإني الان يدخله وانطلق يسير فحوه وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال
 لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله فاقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى اظلمت طير أبييل
 التي قال الله ترميمهم بحجارة من سجيل فجعل الفيل يعرج عما جعلهم كعصف ما كول
 أخرجه البيهقي وابن المنذر والحاكم وغيرهم وقصة أصحاب الفيل مبسوطه في كتب
 التفسير والتاريخ والسيرة فلا نطول بذكرها (وأرسل عليهم) عطف على ألم يجعل لان
 الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وأرسل (طيرا) هو اسم جنس يذكرون
 ويؤنث (أبييل) نعت لطير لانه اسم جمع أي أفاطيع يتبع بعضها بعضا كالابل
 المؤنثة فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريز وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول
 الحرم على الاصح وقال جماعة بوادي محسر بين مزدلفة ومنى قاله ابن حجر قال أبو عبيدة
 أبييل جماعة في تفرقة يقال جاءت الخيل أبييل أي جماعات من ههنا وههنا قال
 النحاس وحقيقته انه اجاعات عظام يقال فلان يؤبل على فلان أي يعظم عليه ويكبر وهو
 مشتق من الابل وهو من الجمع الذي لا واحد له وقال بعضهم واحده ابول بكسر الهمزة
 مثل عجل وقال بعضهم ايل كسكين قال الواحدى ولم نر أحدا يجعل لها واحدا قال
 الفراء لا واحد له من لفظه وزعم الرؤاسي وكان ثقة انه سمع في واحد ابالا مشددا وحكى
 الفراء أيضا ابالا بالتخفيف قال سعيد بن جبيرة كانت طير من السماء لم يرقبها ولا بعدها
 قال قتادة هي طير سود جاءت من قبل البحر فوجافو جامع كل طائر ثلاثة أعجار حجران في
 رجله وجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه وقيل كانت طير اخضر اخرجت من البحر
 لها رؤس ك رؤس السباع وقيل كان لها اخر اطيم كخر اطيم الطير واكف كأكف الكلاب
 وقيل انهم العنقاء المغرب التي تضرب بالامثال وقيل في صندتها غير ذلك والعرب
 تستعمل الابايل في الطير وفي غير الطير ولما تم هلاكهم رجعت الطير من حيث جاءت
 (ترميمهم بحجارة من سجيل) قرأ الجمهور بالنون وقراء أبو حنيفة وأبو عمرو وعيسى
 وطلمة بالتحية واسم الجمع يذكرون ويؤنث وقيل الضمير في القراءة الثانية لله عز وجل
 والجملة في محمل نصب صفة أخرى لطير قال الزجاج من سجيل أي مما كتب عليهم
 العذاب به مشتمقا من السجل قال في الصحاح قالوا هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم

لجمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما
قل هو الله احد وقل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح
بهم ما استطاع من جسده يبدأ
بهما على رأسه ووجهه وما أقبل
من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات
وهكذا رواه اهل السنن من حديث
عقيل به (بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد) قد تقدم
ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما
قالت اليهود نحن نعبد عزي را بن
الله وقالت النصارى نحن نعبد
المسيح ابن الله وقالت المجوس نحن
نعبد الشمس والقمر وقالت
المشركون نحن نعبد الاوثان أنزل
الله على رسوله صلى الله عليه وسلم
قل هو الله أحد يعنى هو الواحد
الاحد الذى لا نظير له ولا وزير ولا نديد
ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا
اللفظ على أحد فى الاثبات الاعلى
الله عز وجل لانه الكامل فى جميع
صفاته وافعاله وقوله تعالى الله
الصمد قال عكرمة عن ابن عباس
يعنى الذى يصمد اليه الخلائق فى
(١) تأمل سر هذه الكتابة وهل
كان الطائر الذى يحمله يدركه ويفهم
ان هذا الفلان بخصوصه حتى
لا يرميه الافوقه واذا كان كذلك
فهل كان ادراكه لهذا المعنى من
الكتابة المذكورة او مجرد الالهام
انتهى جل
(٢) قال الشهاب ولم يقل جعلهم
كروثا فى لفظ الروث من الهجنة
والشناعة انتهى منه

(١) مكتوب فيها اسماء القوم وأصله سننك وكل وقيل السجيل الشديد وقال
عبد الرحمن بن ابري من سجيل من السماء وهى الخجارة التى نزلت على قوم لوط وقيل
من الخيم التى هى سجين ثم ابدلت النون لاما قال عكرمة كانت ترميهم بمجارة معها فاذا
أصاب أحدهم حجر منها اخرج به الجدرى وكان الحجر كالخصة وفوق العدسة وقد قدمنا
الكلام فى سجيل فى سورة هود وعن ابن عباس قال حجارة كالبنق وبها انضج حرة مخبئة
مع كل طائر ثلاثة اعمار حيران فى رجليه وحجر فى منقاره حلقت عليهم من السماء
ثم أرسلت عليهم تلك الحجارة فلم تعد عسكرهم وعنه ان أبرهة الاشرم قدم من اليمن يريد
هدم الكعبة فإرسل الله عليهم طيرا أبابيل يريد محبة لها خراطين تحمل حصاتين فى رجليها
وحصاة فى منقارها ترسل واحدة على رأس الرجل فيسمل لجه ودمه ويبقى عظاما خاوية
لالحم عليها ولا جلد ولا دم (فجعلهم كعصف ما كول ٢) أى جعل الله أصحاب الفيل كورق
الزراع اذا أكلته الدواب فرمت بدم من أسفل شبه لقطع أو صالهم بتفريق اجزائه وقيل
المعنى انهم صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه بقايا أو أكلت حبه فبقي
بدون حبه والعصف جمع عصفه وعصافه وعصيفة وقد قدمنا الكلام فى العصف فى سورة
الرحمن فارجع اليه قال ابن عباس يقول كالتين وعن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل
وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان ونحوه عن اسماء بنت أبي بكر وعن ابن عباس
قال ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل قال القرطبي أى قبل مولده لخمسين يوما
قال الخازن وهذا هو القول الاصح فانهم يقولون ولد عام الفيل ويجعلونه تاريخا لمولده
صلى الله عليه وآله وسلم وعن قيس بن محرم قال ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عام الفيل وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وآله وسلم بأربعين سنة وقيل
بثلاث وعشرين سنة وقيل غير ذلك

* (سورة قريش ويقال سورة لا يلاف هى اربع آيات) *

وهى مكية عند الجمهور وقال الضحالة والكاتبى هى مدينة والاول اصح قال ابن عباس
نزلت بمكة وعن أم هانئ بنت أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فضل
الله قريشا سبع خصال لم يعطها أحد قبلا ولم يعطها أحد بعدهم أى فيهم وفى لفظ
النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجبة فيهم والسقاية فيهم ونصر واعلى الفيل وعبدوا الله
سبع سنين وفى لفظ عشر سنين لم يعبدوا أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر
فيها أحد غيرهم لا يلاف قريش أخرجه البخارى فى تاريخه والطبرانى والحاكم وصححه
وابن مردويه والبيهقى قال ابن كثير هو حديث غريب ويشهد له ما أخرجه الطبرانى
فى الاوسط وابن مردويه وابن عساكر عن الزبير بن الموام قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لم يفضل الله قريشا سبع خصال بفضلهم بانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبدوا
الاقرشى وفضلهم بانه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بانهم نزلت فيهم سورة
من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين غيرهم وهى لا يلاف قريش وفضلهم بانهم
النبوة والخلافة والسقاية واخرج الخطيب فى تاريخه عن سعيد بن المسيب مرفوعا نحوه

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(لا يلاف قريش) اللام قيل متعلقة بآخر السورة التي قبلها كأنه قال سبحانه اهلاكت أصحاب الفيل لاجل تألف قريش قال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبيشة ثم قال لا يلاف قريش أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية يقولون هم أهل بيت الله عز وجل حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة يأخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن يحج الناس اليه فاهلكهم الله عز وجل فذكرهم نعمته أي فعل ذلك لا يلاف قريش أي ليا ألفوا الخروج ولا يجترئ عليهم وذكر نحو هذا ابن قتيبة قال الزجاجة والمعنى جعلهم كعصف ما كول لا يلاف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد أقوام من رحلة الشتاء والصف (١) ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصنفه بالبسملة والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وأنه لاتعلق بينهما وقال في الكشف ان اللام متعلقة بقوله فليعبدوا أمرهم ان يعبدوه لاجل ايلاف الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه وقد تقدم صاحب الكشف الى هذا القول الخليل بن أحمد والمعنى ان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقال الكسائي والاختصاص اللام العجب أي اعجبوا لا يلاف قريش وقيل هي بمعنى الى وقرئ ليا ألف بفتح اللام على انه اللام الامر وكذلك هو في مصنف ابن مسعود وفتح لام الامر لغة معروفة قال سليمان الجمل قرأ ابن عامر لا لاف قريش دون ياء قبل اللام الثانية (٢) والباقيون لا يلاف بياء قبلها وأجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطأ واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطأ فهو أدل دليل على ان القراء متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط انتهى وقرئ هم بنوا النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو وقرشي ومن لم يلد النضر فليس بقرشي وقرش يأتي منصرفا ان أريد به الحي وغير منصرف ان أريد به القبيلة وقبل ان قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر والاول اصح وقوله (الافهم) تأكيد لفظي ولذلك اتصل بضمير ما أضيف اليه الاول وقيل هو بدل لانه أطلق المبدل منه وقيد المبدل بالفعل وهو قوله (رحلة الشتاء والصف) لما فيه من الابهام في المبدل منه ثم التبيين في المبدل وانما أفرد الرحلة ولم يقل رحلتى الشتاء لان الالباس وقيل ان رحلة منصوبة بمصدر مقدر أي ارتجبالهم رحلة الشتاء وقيل منصوبة على الظرفية والرحلة الارتجال وكانت احدي الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلا دحارة والرحلة الاخرى الى الشام في الصيف لانها بلا دابة وروى انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون في الطائف

خوائجهم ومساائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كدل في سودده والشر يف الذي قد كدل في شرفه والعظيم الذي قد كدل في عظمتة والخليم الذي قد كدل في حلمه والعليم الذي قد كدل في علمه والحكيم الذي قد كدل في حكمته وهو الذي قد كدل في انواع الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغي الا له ليس له كف وليس كمثل شئ سبحانه الله الواحد القهار وقال الاعمش عن سفيان عن أبي وائل الصمد المسد الذي قد انتهى سودده ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله وقال مالك عن زيد بن أسلم الصمد السيد وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه وقال الحسن أيضا الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له وقال عكرمة الصمد الذي لم يخرج منه شئ ولا يطعم وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسير له وهو (١) قال الحارثي وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعله السورتين سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضها بعضها وبين بعضها معنى بعض وهو معارض أيضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان ذوالفقار احد انتهى (٢) وقد جمع بين القراءتين الشاعر فقال زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف انتهى

قوله لم يلد ولم يولد وهو تفسير جيد
وقد تقدم الحديث من رواية ابن
جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو
صريح فيه وقال ابن مسعود وابن
عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد
وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضا
وسعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح
وعطية العوفي والضحاك والسدي
الصمداني لاجوف له قال سفيان
عن منصور عن مجاهد الصمد
المصمت الذي لاجوف له وقال
الشعبي هو الذي لا يأكل ولا يشرب
الشراب وقال عبد الله بن بريدة
أيضا الصمد نور يتلأ لا روى ذلك
كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي
والطبراني وكذا أبو جعفر بن جرير
ساق أكثر ذلك بأسانيدهم وقال
حدثنني العباس بن أبي طالب
حدثننا محمد بن عمرو بن رومي عن
عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش
حدثنني صالح بن حي عن عبد الله
ابن بريدة عن أبيه قال لا أعلم الا قد
رفعه قال الصمد الذي لاجوف له
وهذا غريب جدا والصحيح انه
وقوف على عبد الله بن بريدة وقد
قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في
كتاب السنة له بعد ايراده كثير من
هذه الاقوال في تفسير الصمد وكل
هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز
وجل هو الذي يصمد اليه في الحوائج
وهو الذي قد انتهت سجدته وهو
الصمد الذي لاجوف له ولا يأكل
ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه
وقال البيهقي نحو ذلك وقوله تعالى
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

والاول أولى فان ارتحال قريش للتجارة معلوم معروف في الجاهلية والاسلام قال ابن
قتيبة انما كانت تعيش قريش بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة رحلته في الشتاء الى
الين ورحلته في الصيف الى الشام ولولا هاتان الرحلتان لم يكن بهما مقام ولولا الامن
بجوارهم البيت لم يتسددوا على التصرف قال ابن عباس في الآية نعمتي على قريش
ايلافهم رحلته الشتاء والصيف كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وعنه قال ايلافهم
لزمهم وقيل رحلته اسم جنس وكانت لهم اربع رحلات وجعله بعضهم غلطوا وليس كذلك
وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف (فليعبدوا رب هذا البيت) أمرهم سبحانه
بعبادته بعد ان ذكر لهم ما أنعم به عليهم أي ان لم يعبدوه لساثر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة
الخاصة المذكورة والبيت الكعبة وعرفهم سبحانه بأنه رب هذا البيت لانها كانت لهم
أو ثلثان يعبدونها في أنفسهن وقيل لانهم شرفوا بالبيت على سائر العرب فذكر لهم ذلك
تذكيرا للنعمته (الذي أطعمهم من جوع) أي أطعمهم بسبب تينك الرحلتين من جوع
شديد كانوا فيه قبلهما وقيل ان هذا الاطعام هو انهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وآله
وسلم دعاء عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشد القحط فقالوا يا محمد ادع
الله لنا فاننا مؤمنون فدعا فاصبوا وزال عنهم الجوع وارتفع القحط قال ابن عباس يعني
قريش أهل مكة بدعوة ابراهيم حيث قال وارزق أهلهم من الثمرات (وآمنهم من خوف)
أي من خوف شديد كانوا فيه قال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي
بعضها بعضا فآمنت قريش من ذلك لما كان الحرم وقال الضحاك والربيع وشريك
وسفيان آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل وقال ابن عباس من الجذام وعنه في الآية
قال آمنهم من خوف حيث قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا قال ابن عباس نهاهم
عن الرحلة وأمرهم أن يعبدوا رب هذا البيت وكفاهم المؤنة وكانت رحلتهم في الشتاء
والصيف ولم تكن لهم راحة في شتاء ولا صيف فاطمعتهم الله بذلك من جوع وآمنهم
من خوف وكان ذلك من نعمة الله عليهم وعنه قال أمر وان يألفوا عبادة رب هذا البيت
كالفهم رحلته الشتاء والصيف وقد وردت أحاديث في فضل قريش وان الناس تبع لهم
في الخير والشر وان هذا الامر يعني الخلافة لا يزال فيهم ما بقي منهم اثنان وهي في دواوين
الاسلام

* (سورة رأيت ويقال لها سورة الدين وسورة الماعون

وسورة اليتيم وهي ست أو سبع آيات) *

وهي مكية في قول عطاء وجابر وأحد قول ابن عباس ومدنية في قول قتادة وآخرين وعن
ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل نصفها الاول مكي ونصفها الثاني مدني
والاول في العاص بن وائل والثاني في عبد الله بن أبي ابن سلول وقال مقاتل والكافي نزلت
في العاص بن وائل السهمي وقال السدي في الوليد بن المغيرة وقال الضحاك في عمرو بن
عائد وقال ابن جرير في أبي سفيان وقيل في رجل من المنافقين

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له والاستفهام لقصد التعجب من حال (الذي يكذب بالدين) أي بالجزاء والحساب في الآخرة وقال ابن عباس يحكم الله قرأ الجهل أرأيت بأثبات الهمة الثانية وقرئ بأسقاطها قال الزجاج لا يقال في رأيت ريت ولكن ألف الاستفهام سهلت الهمة ألفا والرؤية بمعنى المعرفة وقيل هي البصرية فتتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول أي أبصرت المكذب وقيل نهابة أي أخبرني فتتعدى الى مفعولين الثاني محذوف أي من هو الاول وأولى قيل وفي الكلام حذف والمعنى أرأيت الذي يكذب بالدين أمصيب هو أم مخطئ (فذلك الذي يدع اليتيم) الفاء جواب شرط مقدر أي ان تأملته أو طلبته فذلك الخ ويجوز أن تكون عاطفة على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة فعلى الاول يكون اسم الإشارة مبتدأ وخبره الموصول أو خبر لمبتدأ محذوف أي فهو ذلك والموصول صفة وعلى الثاني يكون في محل نصب لعطفه على الموصول الذي هو في محل نصب ومعنى يدع يدفع دفعاً بعنف وجفوة أي يدفع اليتيم عن حقه دفعاً شديداً ومنه قوله سبحانه يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد كانوا لا يورثون النساء والصبيان قال ابن عباس يدفعه عن حقه (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يحض نفسه ولا أهله ولا غيرهم على ذلك بخلاف المال أو تكديبا للجزاء وهو مثل قوله في سورة الحاقة ولا يحض على طعام المسكين (فويل للمصلين) الفاء جواب لشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة بالعتيم والمسكين فويل لهم ووضع المصلين موضع لهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبايح أخرى غير ما ذكر والمعنى عذاب لهم أو هلاك أو وادى جهنم لهم كما سبق الخلاف في معنى الويل ويجوز أن يكون الفاء لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبايحهم (الذين هم عن صلاتهم ساهون) أي غافلون غير مباليين وانما عبر بعن دون في لان صلاة المؤمن لا تخلو عن سهو بدليل وقوعه للأنبياء ولان المراد السهو عن الصلاة بتأخيرها عن وقتها لا السهو وفيها قال الواحدى نزلت في المنافقين الذين لا يرجون بصلاتهم ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليهم عاقبا ان تركوا فاهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها واذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء واذا لم يكونوا معهم لم يصلوا قال النخعي الذين هم عن صلاتهم ساهون هو الذي اذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتا وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله وقرأ ابن مسعود لاهون مكان ساهون قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة في السر ويصلون في العلانية عن مصعب بن سعد قال قلت لابي أرأيت قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون أي لا يسهون أي لا يحدث نفسه قال انه ليس كذلك انه اضاعة الوقت وعن سعد بن أبي وقاص قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الآية قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قال الخاكم واليهي الموقوف أصح اسنادا قال ابن كثير ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الخاكم وعن أبي برزة الاسلمي قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله أكبر هذه الآية خير لكم من أن يعطى كل رجل منكم جميع الدنيا والذي

أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة قال مجاهد ولم يكن له كفوا أحد يعني لصاحبة له وهذا كما قال تعالى بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء أي هو مالك كل شيء وخالفه فكيف يكون له من خلقه نظير يسأله أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا اذنا فكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدتهم عداوا كلهم آتاه يوم القيامة فردا وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون وفي الصحيح صحيح البخارى لأحد أصر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم وقال البخارى حدثنا أبو ايمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فامات كذبيسه اباي فقوله لن يعيدني كما بد أنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما

شبهه اباي فقوله اخذ الله ولدا وانا
الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن
لي كفوا أحد ورواه أيضا من
حديث عبد الرزاق عن معمر عن
همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعا
بمثله تفرد به ما من هذين الوجهين
آخر تفسير سورة الاخلاص والله
الحمد والمنة

* (تفسير سورتي المعوذتين

وهما مدنيان) *

قال الامام احمد حدثنا عفان
حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا عاصم بن
بهمة عن زر بن حبيش قال قلت
لابي بن كعب ان ابن مسعود
لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال
أشهد أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخبرني ان جبريل عليه
السلام قال له قل أعوذ برب الفلق
فقلتها قال قل أعوذ برب الناس
فقلتها فنحن نقول ما قال النبي صلى
الله عليه وسلم ورواه أبو بكر
الحميدي في مسنده عن سفيان
ابن عيينة حدثنا عبدة بن أبي
لبابة وعاصم بن بهمة انه سمعا
زر بن حبيش قال سألت ابي بن
كعب عن المعوذتين فقلت يا ابا
المنذر ان اخاك ابن مسعود يحث
المعوذتين من المحف فقل اني
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قيل لي قل فقلت فنحن نقول
كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال احمد حدثنا وكيع
حدثنا سفيان عن عاصم عن
زر قال سألت ابن مسعود عن

ان صلى لم يرح خذ صلته وان تركهم لم يحقر به رواه ابن جريروا بن مردويه قال
السيوطي بسند ضعيف في اسناده جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم وعن ابن
عباس قال هسم الذين يؤخرونها عن وقتها (الذين هم يراؤن) الناس بصلاتهم ان صلوا
أو يراؤن الناس بكل ما عملوه من أعمال البر لينتوا عليهم قال ابن عباس هم المنافقون
يراؤن الناس بصلاتهم اذا حضروا ويتركونها اذا غابوا قال الخازن أما من يظهر النوافل
ليقتدي به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء (ويمنعون) الناس أو
الطالبين (الماعون) فاعول من المعن وهو الشيء القليل يقال مال معن أى قليل فانه
قطرب أو اسم مفعول من عانه بعينه والاصل معوون وكان من حقه على هذا ان يقال
معون كصون ومفعول اسمي مفعول من صان وقال ولكنه قلبت الكلمة بأن قدمت عينها
قبل فأنها فصار معوون ثم قلبت الواو الاو لى ألفا فوزنه الآن معفول قال أكثر المفسرين
الماعون اسم لما يتعاوره الناس بينهم من الدلو والفاص والقدر وما لا يمنع كالماء والملح
وقيل هو الزكاة أى يمنعون زكاة أموالهم قال الزجاج وابو عبيدو المبرد الماعون في
الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والدلو والقدر والقدا حة وكل ما فيه منفعة من قليل
وكثير وقالوا أيضا الماعون في الاسلام الطاعة والزكاة وقال الفراء سمعت بعض العرب
يقول الماعون الماء وقيل الماعون هو الحق على العبد على العموم وقيل هو المستقل
من منافع الاموال مأخوذ من المعن وهو القليل قال قطرب أصل الماعون من القلة
والمعن الشيء القليل فسمى الله الصدقة والزكاة ونحو ذلك من المعروف ماعونا لانه قليل
من كثير وقيل هو ما لا يخل به كالماء والملح والنار وعن ابن مسعود قال كنا عند الماعون
على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عارية الدلو والقدر والفاس والميزان
وما تعاطون بينهم وعنه قال كان المسلمون يستعيرون من المنافقين القدر والفاس
وشبهه فيمنعونهم فأمر الله وينعون الماعون وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم في الآية قال ماتعاور للناس بينهم الفاس والقدر والدلو واشباهه أخرجه أبو
نعيم والديلمي وابن عساکر وعن قرينة دعوى النمرى انهم وفدوا الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله ماتعاهد لنا قال لا تمنعوا الماعون قالوا وما الماعون
قال في الحجر والحديد وفي الماء قالوا فأى الحديد قال قدوركم التحاس وحديد الفاس
الذى تمنعون به قالوا وما الحجر قال قدوركم الحجارة أخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه قال
ابن كثير غريب جدا ورفعته منكر وفي اسناده من لا يعرف وعن سعيد بن عياض
عن اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الماعون الفاس والقدر والدلو وقال ابن عباس
عارية متاع البيت وعن علي بن ابي طالب قال الماعون الزكاة المفروضة يراؤن بصلاتهم
وينعون زكاتهم

* (سورة الكوثر وتسمى سورة النحر هي ثلاث آيات) *

وهي مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدينة في قول الحسن وعكرمة ومجاهد
وقتادة وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة انها نزلت سورة الكوثر بمكة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا اعطيناك الكوثر) قرأ الجهور هكذا وقرأ الحسن وابن محيصن وطلمة والزهري في أنطينك بالنون قيل هي لغة العرب العاربة أي قضينا لك وخصصناك به فهو لك ولا منك من قبل وجودك وان لم تستول عليه وتتصرف فيه الا في القيامة فالعطاء ناجز والتمكين والاستيلاء مستقبل والكوثر فوعل من الكثرة وصف به للمبالغة في الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجوهر والعرب تسمى كل شيء كثير في العدد أو القدر أو الخطر كوثرًا فالعنى على هذا انا اعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة الى الغاية وذهب أكثر المفسرين كما حكاه الواحدى الى أن الكوثر نهر في الجنة وقيل هو حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الموقف فله عطاء وقال عكرمة الكوثر النبوة وقال الحسن هو القرآن وقال الحسن بن الفضل هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع وقال أبو بكر بن عياش هو كثرة الاصحاب والامة وقال ابن كيسان هو الاينار وقيل هو الاسلام وقيل رفعة الذكر وقيل نور القلب وقيل الشفاعة وقيل المعجزات وقيل اجابة الدعوة وقيل لا اله الا الله وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس وسيأتي بيان ما هو الحق وعن أنس قال أغنى رسول الله اعفائة فرفع رأسه متبسمًا فقال انه أنزل على آتفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي في الجنة عايشه خير كثير تردعاياه أمتي يوم القيامة آتيته كعددا لكواكب يخرج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدث بعدك أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه وأخرجه أيضا مسلم في صحيحه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت يدي الى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روى عن أنس من طرق كلها مصرحة بأن الكوثر هو النهر الذي في الجنة وعن عائشة قالت هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في بطنان الجنة وعن ابن عباس انه نهر في الجنة وعن حذيفة قال نهر في الجنة وحسن السيوطي اسناده وعن أسامة بن زيد مر فوعا انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك أعطيت نهرًا في الجنة يدعى الكوثر فقال أجل وأرضه يا قوت ومهرجان وزبرجد ولؤلؤ أخرجه ابن جرير وابن مردويه وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال هو نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله أخرجه ابن مردويه فهذه الاحاديث تدل على ان الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيستعين المصير اليها وعدم التعويل على غيرها وان كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب فنفسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو تفسير ناظر الى المعنى اللغوي كما اخرج احمد والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم عن عطاء بن السائب قال قال محارب بن دثار قال سعيد بن جبير في الكوثر قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق انه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال نزلت انا

المعوذتين فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنهما فقال قيل لي فقلت لكم فقولوا قال أبي فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نقول وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبد بن أبي ابا به عن زر بن حبيش وحدثنا عاصم عن زر قال سألت ابي بن كعب فقلت ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال اني سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه البخاري ايضا والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبد الله وعاصم بن أبي الجود عن زر بن حبيش عن ابي بن كعب به وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا الازرق بن علي حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا اصليت ابن بهرام عن ابراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يخل المعوذتين من المصحف ويقول انما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ به ما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما ورواه عبد الله بن احمد من حديث الاعمش عن ابي اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يخل المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستأمن كتاب الله قال الاعمش وحدثنا عاصم عن زر ابن حبيش عن ابي بن كعب قال سألت عنهما ما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لي فقلت وهذا

مشهور عند كثير من القراء
والفقهاء ان ابن مسعود كان
لا يكتب المعوذتين في مصحفه فاعله
لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يواتر عنده ثم قدر جمع عن
قوله ذلك الى قول الجماعة فان
الصحابة رضى الله عنهم كتبوها
في المصاحف الاثمة ونفذوها الى
سائر الاقاليم كذلك والله الحمد
والمنة وقدرى مسلم في صحيحه
حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان
عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن
عامر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألم تر آيات أنزلت هذه
الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ
برب الفلق وقل أعوذ برب الناس
ورواه أحمد وسلم أيضا والترمذي
والنسائي من حديث اسمعيل بن
أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن
عقبة بن عامر قال الترمذي حسن صحيح
طريق أخرى قال الامام حدثنا
الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن
القاسم بن أبي عبد الرحمن عن عقبة
ابن عامر قال بينا أنا أقود برسول
الله صلى الله عليه وسلم في نعب من
تلك النقاب اذ قال لي يا عقبة ألا
تركب قال فأشفقت ان تكون
معصية قال فنزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وركبت هنية
ثم ركبت ثم قال عقب الأعمش
سورتين من خير سورتين قرأ بهما
الناس قلت بلى يا رسول الله فأقرأني
قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب
الناس ثم أقيمت الصلاة فتقدم

أعطيتك الكوثر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكوثر نهر في الجنة حافظاه من
ذهب يجري على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أشد بياضاً من اللبن واحلى
من العسل واخرج البخاري وابن جرير والحاكم من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس انه قال في الكوثر هو الخير الذي اعطاه الله آياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير
فان ناساً يزعمون انه نهر في الجنة قال النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله آياه
وهذا التفسير من خبر الامامة ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما ناظر الى المعنى اللغوي كما
عرفناك ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فسره فيما صح عنه انه النهر الذي في
الجنة واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل قال القرطبي اصح هذه الاقوال انه النهر والحوض
لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصافي الكوثر قال القاضي عياض احاديث
الحوض صحيحة والايان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند أهل
السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة وقد
جمع ذلك كله البهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيد وطرق المتكاثرة وذهب صاحب
القوت وغيره الى أن حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما هو بعد الصراط والصحيح
ان له صلى الله عليه وآله وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثرًا واختلف في الميزان والحوض
أيهما قبل الآخر فقبل الميزان وقيل الحوض قال أبو الحسن القاسمي والصحيح ان
الحوض قبل قلت والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاء شافيه قدم قبل
الصراط والميزان والله أعلم (فصل ربك) وكان الظاهر أن يقول لنا فتقل الى الاسم المظهر
على طريق الالتفات لانه يوجب عظمة ومهابة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها والمراد
الامر له صلى الله عليه وآله وسلم بالدوام على اقامة الصلوات المفروضة قال ابن عباس
الصلاة المكتوبة وقيل صلاة عيد النحر وهذا يناسب كونها مدينية والاول يناسب كونها
مكية (وانحر) البدن التي هي خباياها والعراب قال محمد بن كعب ان ناساً كانوا يصلون
لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون صلواته ونحره له
وقال قتادة وعطاء وعكرمة المراد صلاة العيد ونحر الاضحية وقال سعيد بن جبير صل ربك
صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن في منى وقيل النحر وضع اليدين على اليسرى
في الصلاة حذاء النحر قاله محمد بن كعب وقيل هو أن يرفع يديه في الصلاة عند التكبير الى
حذاء نحره وقيل هو ان يستقبل القبلة بنحره قاله الفراء والكوفي وأبو الاحوص قال الفراء
سمعت بعض العرب يقول نتناحر اي تتقابل نحرك هذا الى نحرك هذا أي قبالتهم وقال ابن
الاعرابي هو ان تصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب من قواهم منازلهم تتناحر أي تتقابل
وروى عن عطاء انه قال أمره أن يستوي بين السجدين جالساً حتى يسد ونحره وقال
سليمان التيمي المعنى وارفع يديك بالدعاء الى نحرك وظاهر الآية الامر له صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم بخلق الصلاة ومطابق النحر وان يجعلها لله عز وجل لا لغيره وما ورد في السنة
من بيان هذا المطلق بنوع خاص فهو في حكم المقيد له عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت
هذه السورة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل ما هذه النخيرة التي أمرني بها

روى فقال انها ليست بخبرة ولكن يأمرك اذا تحركت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت
 واذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع فانه اصلاتنا واصلات الملائكة الذين هم في
 السموات السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة قال النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم رفع اليدين من الاستسكان التي قال الله فيها استكانوا الربهم
 وما يضرعون أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه وهو من طريق
 مقاتل بن حيان عن الاصمعي بن نباتة عن علي وعن ابن عباس في الآية قال ان الله أوحى
 الى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن ارفع يديك هذا نحر اذا كبرت للصلاة فذلك النحر
 وعن علي في الآية قال وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ثم وضع يدهما على صدره
 في الصلاة وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله أخرجه أبو الشيخ والبيهقي في
 سننه وعن ابن عباس أيضا اذا صليت فرفعت رأسك من الركوع فاستوفأما وعنه قال
 هو الذبح يوم الاضحى يقول اذبح يوم النحر (ان شئت انك هو الا بتر) أي ان مفضل هو
 المنقطع عن الخبر على العموم فيم خبري الدنيا والآخرة أو الذي لا عقب له أو الذي لا يبق
 ذكره بعد موته وظاهر الآية العموم وان هذا شأن كل من يغض النبي صلى الله عليه وآله عليه
 وآله وسلم ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل كما سيأتي فالاعتبار به يوم
 اللفظ لا بخصوص السبب كما مر غير مرة قيل كان أهل الجاهلية اذا مات الذكور من
 أولاد الرجل قالوا قد بتر فلان فلما مات ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابراهيم (١)
 خرج أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد فنزلت الآية وقيل القائل بذلك عقبه بن أبي معيط
 قال أهل اللغة الا بتر من الرجال الذي لا ولده ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل أمر انقطع
 من الخيرات فهو أبتروا أصل البتر القطع يقال بترت الشيء بترافطته وفي المختار بتره قطعه
 قبل التمام وبابه نصر والانتثار الانقطاع والابترا المقطوع والذنب وبابه طرب عن ابن عباس
 قال قدم كعب بن الأشرف مكة فمالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيدهم
 ألا ترى الى هذا الصابي المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجج وأهل السقاية
 وأهل السدانة قال أنتم خير منه فنزلت ان شئت انك هو الا بتر ونزلت ألم ترى الذين أوتوا
 نصيبا من الكتاب الى قوله فلن تجد له نصيرا أخرجه البزار وابن أبي حاتم وابن مردويه
 قال ابن كثير واسناده صحيح وعن أبي أيوب قال لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه
 وآله وسلم مشى المشركون بعضهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابي قد بتر الليلة فأنزل الله انا
 أعطيناك الكوثر الى آخر السورة أخرجه الطبراني وابن مردويه وأخرج ابن سعد وابن
 عساكر من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان أكبر ولد رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية رضى الله
 تعالى عنهم فات القاسم وهو أول ميت من أهله وولده بمكة ثم مات عبد الله فقال العاص بن
 وائل السهمى قد انتطع نسلا فهو أبتروا فأنزل الله ان شئت انك هو الا بتر وفي اسناده الكلبى
 وعنه قال هو أبو جهل وعنه قال يقول عدوك وقيل ولد القاسم ثم زينب ثم عبد الله قال
 ابن الكلبى ولدت زينب ثم القاسم ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله وكان يقال له
 الاولين اه منه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ
 بهم ما ثم مر بي فقال كيف رأيت
 يا عقب اقرأهم ما كلمت وكلما
 قت ورواه الترمذى من حديث
 الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك
 كلاهما عن ابن جابر ورواه أبو داود
 والنسائي أيضا من حديث ابن وهب
 عن معن بن صالح عن العلاء بن
 الحرث عن القاسم بن عبد الرحمن
 عن عقبه به (طريق أخرى) قال
 أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا
 سعيد بن أبي أيوب حدثني يزيد بن
 عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم
 عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن
 رباح عن عقبه بن عامر قال أمرني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 اقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة
 ورواه أبو داود والترمذى والنسائي
 من طرق عن علي بن ابى رباح وقال
 الترمذى غريب (طريق أخرى)
 قال أحمد حدثنا محمد بن اسحق
 حدثنا ابن لهيعة عن مسرج بن
 هاعان عن عقبه بن عامر قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ
 بالمعوذتين فانك لن تقرأ بمثلهما
 تفرد به أحمد (طريق أخرى) قال
 أحمد حدثنا حمزة بن شريح حدثنا
 بقة حدثنا جبير بن سعد عن خالد
 ابن معدان عن جبير بن سفيان عن
 عقبه بن عامر انه قال ان رسول الله
 (١) قيل موت ابراهيم كان بعد
 هلاك أبي جهل فلهذا أحد أولاد
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 الاولين اه منه

الطيب والطاهر قال وهذا هو الصحيح وغيره تحليط

(سورة الكافرون هي ست آيات)

وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدينة في أحد قول ابن عباس وقتادة والضحاك وعن ابن الزبير انزلت بالمدينة وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأهم ما في ركعتي الفجر وعن ابن عمر قال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضعة عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه وأخرج الحاكم وصححه عن أبي قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوتر بسبع وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن وكان يقرأهم ما في ركعتي الفجر أخرجه محمد بن نصر والطبراني في الأوسط وعن نوفل بن معاوية الأشجعي أنه قال يا رسول الله علمني ما أقول إذا أويت إلى فراشي قال اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها ابراءة من الشرك أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الأشرار بالله تقرؤون قل يا أيها الكافرون عند منامكم أخرجه أبو يعلى والطبراني وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لقي الله بسورتين فلا حساب عليه قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه ابن مردويه وعن خباب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا أخذت مضجعتك فاقرا قل يا أيها الكافرون وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت فراشه قط الا قرأ قل يا أيها الكافرون حتى ختمها أخرجه البزار والطبراني وابن مردويه وفي الباب أحاديث كثيرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) الالف واللام للجنس ولكنهما كانت الآية خطا بالمن سبق في علم الله انه يموت على كفره كان المراد به هذا العموم خصوص من كان كذلك لان من الكفار عند نزول هذه الآية من أسلم وعبد الله سبحانه وسبب نزول هذه السورة ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعبدوا لهم سبعة وعبدوا الله سبعة فامر الله سبحانه ان يقول لهم (لا أعبد ما تعبدون) اي لا أفعل في الحال ما تطلبون مني من عبادة ما تعبدون من الأصنام قبل والمراد فيما يستقبل من الزمان لان الناس في ذلك لا تدخل في الغالب الاعلى المضارع الذي في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الاعلى مضارع في معنى الحال وذكر الحافظ ابن القيم في بدائع الفوائد عشر مسائل تحت هذه الآية وقال وقع ما فيها بدلا عن من ومعناه أنهم لا تعبدون معبودي فالتصود المعبود لا العبادة ولا يصح في النظم المبدع والمعنى الرفيع اللفظ ما لا يهاهم او مطابقتها الغرض الذي تضمنته الآية

صلى الله عليه وسلم أهديت له بغلة شهباء فركبها فاخذ عقبة يقودها له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ قل أعوذ برب الفلق فاعادها له حتى قرأها فعرف اني لم أفرح بها جدا فقال لعنك ثم ازييت بها فاققت تصلي بشئ مثله او رواه النسائي عن عمرو بن عثمان عن بقيقه ورواه النسائي أيضا من حديث النوري عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن نعيم عن أبيه عن عقبة بن عامر انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعوذتين فذكر نحوه (طريق أخرى) قال النسائي اخبرنا محمد بن عبد الله على حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن زياد بن أبي الاسد عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لم يتعبدوا بمثل هذين قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (طريق أخرى) قال النسائي اخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عقبة قل قلت ماذا أقول فسمكت عنى ثم قال قل قلت ماذا أقول يا رسول الله قال قل أعوذ برب الناس فقرأتها ثم أتيت على آخرها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ما سألت سائلا بمثلها او لا استعاضة مستعبد بمثلها (طريق أخرى) قال النسائي اخبرنا محمد بن يسار حدثنا عبد

الرجح حدثنا معاوية عن العلاء
ابن الحرث عن مكحول عن عقبة بن
عامر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأهم في صلاة الصبح (طريق
أخرى) قال النسائي أخبرنا قتيبة
حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب
عن أبي عمران أسلم عن عقبة بن
عامر قال أتعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت
يدي على قدمه فقلت اقرأني سورة
هود أو سورة يوسف فقال إن تقرأ
شيئاً أنفع عند الله من قل أعوذ برب
الفلق (حديث آخر) قال النسائي
أخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد
حدثنا أبو عمرو والأوزاعي عن يحيى
ابن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن
الحرث عن أبي عبد الله عن ابن
عباس الجهني أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال له يا ابن عباس ألا
أدلتك أو ألا أخبرك بأفضل مما يتعوذ
به المتعوذون قال بلى يا رسول الله
قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ
برب الناس هاتان السورتان فهذه
طرق عن عقبة كالماترة عنه تفيد
القطع عند كثير من المحققين في
الحديث وقد تقدم في رواية صدى
ابن عجلان وفرة بن مجاهد عنه ألا
أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة
ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا
في الفرقان مثلهن قل هو الله أحد
وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ
برب الناس (حديث آخر) قال
الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا
الحريري عن أبي العلاء قال قال

انتهى عن ابن عباس أن قرى شادعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يعطوه
مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا هذا لك يا محمد وكف عن شتم
آلهتنا ولا تذكر هابسوه فإن لم تفعل فإننا تعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال
ما هي قالوا تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة قال حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي
من عند الله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون إلى آخر السورة وأنزل الله قل أفغير الله
تأمرني أعبد أيها الجاهلون إلى قوله بل الله فاعبدوا وكن من الشاكرين أخرجه ابن جرير
وابن أبي حاتم والطبراني وعن سعيد بن ميناء مولى أبي الجحترى قال لقي الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قالوا يا محمد هل فلن تعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله فإن كان
الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظاً وإن كان الذي أنت عليه
أصح من الذي نحن عليه فكأننا قد أخذنا منه حظاً فأنزل الله هذه السورة أخرجه ابن جرير
وابن أبي حاتم وابن الأنباري وعن ابن عباس أن قرى شادعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فأنزل الله هذه السورة كلها (ولأنتم عابدون ما أعبد) أي ولأنتم فاعبدوا في المستقبل
ما أطلب منكم من عبادة الهى قال الحافظ ابن القيم في البدائع احتمال هذه على النبي
المحض خاصة هذه السورة العظيمة فإنها سورة براءة من الشرك كما جاء في وصفها فتصودها
الأعظم هو البراءة المطلقة بين الموحدين والمشركين ولهذا أتى بالنبي في الجانبين تحميماً
للبراءة المطلوبة به هذا مع أنها متضمنة للآيات صريحاً فتعوله لا أعبد ما تعبدون براءة متضمنة
ولأنتم عابدون ما أعبد أثبات أن له معبوداً يعبدونه وأنهم بريئون من عبادته فتضمنت النبي
والآيات فطابقت قول امام الحنفية أنتى براء ما تعبدون إلا الذي فطرنى وطابقت قول
الفئة الموحدين وإذا عترفتموهم وما يعبدون إلا الله ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم يقرأها ويقل هو الله أحد في سنة الفجر وسنة المغرب فان هاتين السورتين سورتان
الإخلاص وقد أشتملتا على نوعي التوحيد الذي لانجاة للعبد ولا فلاح إلا به ما وهما
توحيد العمل والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد
وأنه لا واحد صمد لم يلد ولم يولد وإنما توحيد القصد والارادة وهو أن لا يعبد إلا الله فلا
يشرك به في عبادته سواء بل يكون وحده هو المعبود وهذه السورة مشتملة على هذا
التوحيد انتهى (ولأننا عابد ما أعبدتم) أي ولأننا عابد ما أعبدتم فيما سلف عابد ما أعبدتم فيه والمعنى أنه
لم يعبد مني ذلك (ولأنتم عابدون ما أعبد) أي وما أعبدتم في وقت من الاوقات ما أنا على
عبادته كذا قيل وهذا على قول من قال أنه لا تكرار في هذه الآيات لأن الجملة الاولى لنبي
العبادة في المستقبل لما قدمنا من أن لا تدخل الاعلى مضارع في معنى الاستقبال والدليل
على ذلك أن لن تأ كيد لما ينقمه لا قال الخليل في إن أن أصله لا فالمعنى لا أعبد ما تعبدون
في المستقبل ولأنتم عابدون في المستقبل ما أطلبه من عبادة الهى ثم قال ولأننا عابد
ما أعبدتم أي واست في الحال بعابد معبودكم ولأنتم في الحال بعابد من معبودى وقيل بعكس
هذا وهو أن الجملتين الاولتين الحال والجملتين الاخيرتين للاستقبال بدليل قوله ولأننا عابد

رجل كأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر والناس يعقبون وفي الظهر قل خفانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتني فلحقني فضرب منكبي فقال قل أعوذ برب الفلق فقلت أعوذ برب الفلق فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه ثم قال قل أعوذ برب الناس فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه فقال إذا صليت فاقرا بها الظاهر أن هذا الرجل هو عقبه بن عامر والله أعلم ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن عليه به (حديث آخر) قال النسائي أخبرنا محمد بن المنني حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد ابن رومان عن عقبه بن عامر عن عبد الله الأسلي هو ابن أنيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره ثم قال قل فلم ادر ما أقول ثم قال لي قل قلت هو الله احد ثم قال لي قل قلت أعوذ برب الفلق من شر ما خلق حتى فرغت منها ثم قال لي قل قلت أعوذ برب الناس حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فتعوذوا وتعوذ المتعوذون بمثلهن قط (حديث آخر) قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو جعفر حدثنا بدل حدثنا شاذان بن سعيد أبو صالح عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما عبدتم كالوقال القائل أنا ضارب زيد وأنا قاتل عمر أفانه لا يفهم منه الا الاستقبال قال الاخفش والفراء المعنى لا أعبد الساعة ما تعبدون ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد قال الزجاج نفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه السورة عبادة آلهم عن نفسه في الحال وفي المستقبل ونفي عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وقبل ان كل واحد منهم ما يصلح الحال والاستقبال ولكل شخص أحدهما بالحال والثاني بالاستقبال رفعا للسكرار وكل هذا فيه من التكلف والتعسف ما لا يخفى على منصف فان جعل قوله لا أعبد ما تعبدون للاستقبال وان كان صحيحا على مقتضى اللغة العربية ولكنه لا يتم جعل قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد للاستقبال لان الجملة الاسمية تنفيذ الدوام والنبات في كل الاوقات فدخل النفي عليها يرفع مادلت عليه من الدوام والنبات في كل الاوقات ولو كان جملها على الاستقبال صحيحا لزم مثله في قوله ولا أنا عابد ما عبدتم وفي قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد فلا يتم ما قيل من جل الجملتين الاخرتين على الحال وكما يندفع هذا بندفع ما قيل من العكس لان الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي المبتدأ في كل واحد منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده منقمة كلها بحرف واحد وهو لفظ لا في كل واحد منها فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بان معانيه في الحال والاستقبال مختلفة وأما قول من قال ان كل واحد منها يصلح للحال والاستقبال فهو اقرار منه بال تكرار لان جل هذا على معنى وجل هذا على معنى مع الاتحاد يكون من باب التحكم الذي لا يدل عليه دليل واذا تقررت هذا فاعلم ان القرآن نزل بلسان العرب ومن مذاهمم التي لا تتحد واستعمالهم التي لا تنكر أنهم اذا أرادوا التأكيد كدروا كما ان من مذاهمم انهم اذا أرادوا الاختصار أو جزوا هذا معلوم لكل من له علم بلغة العرب وهذا مما لا يحتاج الى اقامة البرهان عليه لانه انما يستدل على ما فيه خفاء ويبرهن على ما هو متنازع فيه وأما ما كان من الوضوح والظهور والحلاء بحيث لا يشك فيه شك ولا يرتاب فيه مرتاب فهو مستغن عن التطويل غير محتاج الى تكرير القول والقبيل وقد وقع في القرآن الكريم من هذا ما يعلمه كل من يتلو القرآن وربما يكثر في بعض السور كما في سورة الرحمن وسورة المرسلات وفي أشعار العرب من هذا ما لا يأتي عليه الحصر وقد ثبت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفصح من نطق بلغة العرب انه كان اذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاث مرات واذا عرفت هذا فائدة ما وقع في السورة من التأكيد هو قطع أطماع الكفار عن أن يجيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى ما سألوهم من عبادته آلهم وانما عيرهم بجهالة بما التي لغير العقلاء في المواضع الاربع لانه يجوز ذلك كما في قوله سبحان ما سخر كن لنا ونحوه والنسبة في ذلك ان يجري الكلام على غلط واحد ولا يختلف وقيل انه أراد الصفة كانه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما في المواضع الاربع هي المصدرة لا الموصولة أي لا أعبد عبادتكم ولا أنتم عابدون عبادتي الخ وجملة (لكم دينكم) مستأنفة لتقرير قوله لا أعبد ما تعبدون وقوله ولا أنا عابد ما عبدتم كان قوله (ولي دين) تقرير لقوله ولا أنتم عابدون

ما عبد في الموضعين اي ان رضىتم بدينكم وشرككم فقد رضىت بدينى وتوحيدى كما في قوله لنا اعمالنا واعمالكم والمعنى ان دينكم الذى هو الاشر الذى مقصود على الحصول اليكم لا يتجاوز الى الحصول الى ~~الصلوات~~ لا يتجاوز الى الحصول لكم وقيل المعنى انكم جزاؤكم ولى جزائى لان الدين الجزاء قيل وهذا الآية مفسوخة بآية السيف وقيل ليست بمفسوخة لانها اخبار والاخبار لا يدخلها النسخ وقيل السورة كلها منسوخة وقال القاضي ولى دينى الذى أنا عليه لا أرفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد فلا يكون منسوخا بآية القتال وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والعبادة وقال الحافظ بن القيم في البدر النور وقد غلط في السورة خلائق وظنوا انها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم ان هذه الآية اقتضت التقرير اياهم على دينهم وظن آخرون انها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب وكلا القولين غلط محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هى محكمة ومهما نص محفوظ وهى من السور التى يسجد فيها دخول النسخ فيها وهذه السورة اخصت للتوحيد وللهذا تسمى سورة الاخلاص والآية اقتضت البراءة المحضة وان ما انتم عليه من الدين لاوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختص بكم لان شرركم فيه ولا تشركوننا في ديننا الحق فهذه اتمام البراءة والتفصيل من موافقتهم في دينهم فاين الاقرار حتى يدعى النسخ والتخصيص أفترى اذا جاهدوا بالسيف كما جاهدوا بالحجة لا يصح أن يقال لهم لكم دينكم ولى دين بل هذه الآية قاعدة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين الى أن يطهر الله منهم بلادهم وعبادهم وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به الداعين الى غير سنته اذ قال لهم خالفوا الرسول وذرئته لكم دينكم ولنا ديننا هذا فلا يقتضى اقرارهم على بدعهم بل يولية ولون لهم هذا براءة منها وهم مع ذلك منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الامكان انتهى حاصله فقرأ الجمهور ولى باسكان الياء وحذف الياء من دينى وصلا ووقفوا وقرئ بفتح الياء من قوله لى واثباتها من دينى وصلا ووقفوا وقالوا لانها اسم فلا تحذف ويجاب بان حذفها لرعاية القواصل سائغ وان كانت اسما ويجاب أيضا بانها من يا آت الزوائد فيراعى فيه اتباع رسم المحقق وهى غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة

*(سورة النصر وتسمى سورة التوديع وهى ثلاث آيات وهى

مدنية بالاجماع بلا خلاف)*

قال ابن عباس أنزل بالمدينة اذا جاء نصر الله والفتح وعن ابن عمر قال هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوسط أيام التشريق معنى وهو في حجة الوداع اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختمها فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انها الوداع اخرجه البرازى وابو يعلى والبيهقى وغيرهم وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعت الى نفسي أخرجه أجد وغيره وزاد ابن مردويه في لفظ وقرب الى آجل وفي لفظ لما نزلت نعت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه

حين أنزلت فاخذ في أشد ما كان قط اجتهدا في امر الآخرة وعن أم حبيبة قالت لما أنزل
إذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله لم يبعث نبيا الا عمر في
أمة شطر ما عمر النبي الماضي قبله فان عيسى بن مريم كان أربعين سنة في بني اسرائيل وهذه
لي عشرين سنة وأتليت في هذه السنة فبكيت فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال عبي
صلى الله عليه وآله وسلم أنت أول أهلي لحوقا فتبسمت آخر جه ابن أبي حاتم وابن مردويه
وعن ابن عباس قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فاطمة وقال انه قد نعت الى نفسي فبكيت ثم ضحككت وقالت أخبرني انه نعت اليه
نفسه فبكيت فقال اصبري فانك أول أهلي لحاقا بي فضحككت آخر جه اليه في وقد تقدم في
سورة الزلزلة ان هذه السورة تعدل ربع القرآن وهي آخر سورة نزلت جميعا
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا جاء نصر الله) النصر العون مأخوذ من قولهم قد نصر الغيث الأرض إذا أعان على
نباتها ومنع من قطعها يقال نصره على عدوه نصره نصرا إذا اعانه والاسم النصرة
واستنصره على عدوه إذا سأل ان ينصره عليه قال الواحدى قال المفسرون إذا جاءك
يا محمد نصر الله على من عاداك وهم قريش وقيل المراد نصره صلى الله عليه وآله وسلم
على قريش من غير تعيين وقيل نصره على من قاتله من الكفار وقيل إذا بعنى قد وقيل
بمعنى اذ ومعنى جاء حصل وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوز الاشعار بان المقدرات
متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته
فكن مترقا بالوروده مستعدا لشكره قاله القاضى وهو استعارة تبعية لكن قول الراغب
المجىء الحصول ويكون في المعانى والاعيان يقتضى خلافه وفي الخطيب جاء بمعنى استقر
وثبت في المستقبل بمعنى وقته المضروب له في الازل واذا منصوبة بسبح الذى هو جوابها
ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف أى نصره اياك والمؤمنين (والفتح) أى
فتح مكة وقيل هو فتح سائر البلاد وقيل هو ما فتح الله عليه من العلوم والاول اظهر والثاني
أنسب والثالث أبعد عن ابن عباس ان عمر سألهم عن قول الله إذا جاء نصر الله والفتح
فقالوا فتح المدائن والتصور قال فانت يا ابن عباس ما تقول قال قلت مثل ضرب لمحمد صلى
الله عليه وآله وسلم نعت له نفسه وأخرج البخارى وغيره عن ابن عباس قال كان عمر
يدخلنى مع أشياخ يدرون كان بعضهم وجدنى نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله
فتال عمر انه من قد علمت فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فم رأيت انه دعانى فيهم يومئذ
الايرهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل إذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا
أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أ كذا
تقول يا ابن عباس فقالت لا فقال ما تقول فقالت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أعلم الله له قال إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان نوابا فقال عمر لا أعلم منها الا ما تقول قال الرازى الفرق بين النصر والفتح ان النصر
هو تحصيل المطلوب الذى كان منغلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا أبدا بذكر النصر وعطف

(بسم الله الرحمن الرحيم)*
(قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد) قال ابن
أبى حاتم حدثنا أحمد بن عاصم
حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا
حسن بن صالح عن عبد الله
ابن محمد بن عقيل عن جابر قال
الفاق الصبح وقال العوفى عن
ابن عباس الفلق الصبح وروى عن
مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله
ابن محمد بن عقيل والحسن وقتادة
ومحمد بن كعب القرظى وابن زيد
ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا
قال القرطبي وابن زيد وابن جرير
وهى كقوله تعالى فالتقى الاصباح
وقال على بن أبى طلحة عن ابن
عباس الفلق الخلق وكذا قال
الضحاك أمر الله نبيه ان يتعوذ
من الخلق كله وقال كعب
الاحبار الفلق بيت في جهنم اذا فتح
صاح جميع أهل النار من شدة حره
ورواه ابن أبى حاتم ثم قال حدثنا أبى
حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل
سماه عن السدى عن زيد بن على
عن ابانة انهم قالوا الفلق جب في
قعر جهنم عليه غطاء فاذا كشف

عليه الفتح أو يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذي هو تمام النعمة أو يقال
النصر الظفر والفتح الجنة هذا معنى كلامه ويقال الامر أوضح من هذا ولا يظهر ان
النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الاعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم والفتح هو فتح
مسكن الاعداء ودخول منازلهم (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أى
أبصرت الناس من العرب وغيرهم يدخلون في دين الله الذي بعثت به وهو الاسلام جماعات
فوجا بعد فوج قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال العرب
اما اذ ظفر محمد صلى الله عليه وآله وسلم باهل الحرم وقد أجارهم الله من أصحاب القبيل
فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا أى جماعات كثيرة بعد أن كانوا
يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الاسلام قال عكرمة
ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبع مائة انسان مؤمنين وانتصاب
أفواجا على الحال من فاعل يدخلون ومحمل نصب على الحال ان كانت الرؤية
بصرية وان كانت بمعنى العلم فهو في محل نصب على انه المنفعول الثاني وعن أبي هريرة
قال لما نزلت اذ جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء أهل اليمن هم
أرق قلوبا الايمان يمان والفقهاء يمان والحكمة يمانية أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس
قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة اذ قال الله أكبر قد جاء نصر الله والفتح
وجاء أهل اليمن قوم رقيقة فلو بهم لينة طباعهم الايمان يمان والفتنة يمان والحكمة
يمانية أخرجه الطبراني وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا أخرجه
ابن مردويه وعن أبي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت الناس
يدخلون في دين الله أفواجا قال ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا أخرجه الحاكم
وصححه (فسبح بحمد ربك) هذا جواب الشرط وهو العامل فيه والتقدير فسبح بحمد ربك
اذ جاء نصر الله كما هو وقال مكي العامل في اذاهو جاء ورجه أبو حيان وضعف الاول بان
ما جاء بعده فاه الجواب لا يعدل فيما قبلها وقوله بحمد ربك في محل نصب على الحال أى فقل
سبحان الله متلبسا بحمده أو حامدا له وفيه الجمع بين تسبيح الله الموزن بالتعجب مما يسره
الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس وبين الحمد له على جميل صنعته وعظيم
منته عليه بهذه النعمة التي هي النصر والفتح لأم القرى التي كان أهلها قد بلغوا في عداوته
الى أعلى المبالغ حتى أخرجه منها بعد أن افتروا عليه من الاقوال الباطلة والا كاذب
المخلقة ما هو معروف من قولهم هو مخنون أو ساحر أو شاعر هو كاهن وشعوذة ثم ضم
سجانه الى ذلك أمره نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار فقال (واستغفره) أى
اطلب منه المغفرة لذنبك وسله العفوان هضم النفسك واستقصار العملك واستدراكك
فرط منك من ترك ما هو الاولى وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يرى قصوره عن القيام
بحق الله ويكثر من الاستغفار والتضرع وان كان قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وقيل ان الاستغفار منه صلى الله عليه وآله وسلم ومن سائر الانبياء هو تعبد تعبدتهم الله به

عنه خرجت منه نار تضيء منه
جهنم من شدة حر ما يخرج منه
وكذا روى عن عمرو بن عنبسة
وابن عباس والسدي وغيرهم وقد
ورد في ذلك حديث مرفوع منكرو
فقال ابن جرير حديثي اسحق بن
وهب الواسطي حديثا مسعود بن
سوسى بن مشكان الواسطي حديثا
نصر بن خزيمة الخراساني عن
شعيب بن صفوان عن محمد بن
كعب القرظي عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق
جب في جهنم مغطى اسناده غريب
ولا يصح رفعه وقال أبو عبد الرحمن
الحلي الفلق من أسماء جهنم قال
ابن جرير والصواب القول الاول
انه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو
اختيار البخاري في صحيحه رحمه
الله تعالى وقوله تعالى من شر ما خلق
أى من شر جميع المخلوقات وقال
ثابت البناني والحسن البصري
جهنم وابليس وذريته مما خلق
ومن شر غاسق اذا وقب قال مجاهد
غاسق الليل اذا وقب غروب الشمس
حكاه البخاري عنه وكذا رواه ابن
أبي نجيح عنه وكذا قال ابن عباس
ومحمد بن كعب القرظي والضحاك
وخصيف والحسن وقتادة انه
الليل اذا أقبل بظلامه وقال
الزهري ومن شر غاسق اذا وقب
الشمس اذا غربت وعن عطية
وقتادة اذا وقب الليل اذا ذهب
وقال أبو المزهزم عن أبي هريرة ومن
شر غاسق اذا وقب الكوكب وقال
ابن زيد كانت العرب تقول الغاسق

سقوط الثريا وكانت الاسقام والطواعين تسكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها قال ابن جرير ولهؤلاء من الآثام ما حدثني نصر ابن علي حدثني بكار عن عبد الله بن أخي همام حدثنا محمد بن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن شر غاسق اذا قرب قال النجم الغاسق قلت وهذا الحديث لا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقال آخرون هو القمير قلت وعمدة أصحاب هذا القول مارواه الامام أحمد حدثنا أبو داود الجفري عن ابن أبي ذئب عن الحرث عن أبي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاراني التمر حين طلع وقال تعوذ بالله من شر هذا الغاسق اذا قرب ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحرث بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه تعوذ بالله من شر هذا فان هذا الغاسق اذا قرب ولفظ النسائي تعوذ بالله من شر هذا الغاسق اذا قرب قال أصحاب القول الاول وهو آية الليل اذا لج هذا لا يتافى قولنا لان التمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وكذلك النجوم لا تضيء الا بالليل فهو يرجع الى ما قلناه والله أعلم وقوله تعالى

لا تطلب المغفرة لذنب كاتن منهم وقيل انما أمره الله سبحانه بالاستغفار عنهم الا تمتته وتعرضا بهم فكأنهم هم المأمورون بالاستغفار وقيل ان الله سبحانه أمره بالاستغفار لا تمتته لالذنبه وقيل المراد بالتسبيح هنا الصلاة والاولى حمله على معنى التنزيه مع ما أشرنا اليه من ككون فيه معنى التعجب سرورا بالنعمة وفرحا بحباياه الله من نصر الدين وكبت أعدائه ونزول الذلة بهم وحصول القهر لهم قال الحسن أعلم الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم انه قد اقترب أجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر أن يقول سبحانك اللهم ويحمدك اغفر لي انك أنت التواب قال قتادة ومقاتل وعاشر صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من قول سبحان الله ويحمده وأستغفره وأتوب اليه فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله ويحمده وأستغفر الله وأتوب اليه فقال أخبرني ربي اني سأرى علامة من أمتي فاذا رأيتهأكثر من قول سبحان الله ويحمده وأستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيته اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون الخ أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبسمك اللهم اغفر لي يتأول القرآن تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وفي الباب أحاديث وقوله (انه كان توابا) تعليل لامره سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار أي من شأنه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم وتواب من صيغ المبالغة فنيبه دلالة على انه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين وقد حكى الرازي في تفسيره اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وامتت عايتكم نعمتي فعاش النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلاله فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها أحد عشر يوما وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي صلى الله عليه وآله وسلم في ربيع الاول على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وان كانت اشهر رين وشيخه ضمت من الحادية عشرة اذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشمسية وهو المحرم فلما ساجد صلى الله عليه وآله وسلم لاثني عشر من ربيع الاول حسبوا الباقي من هذه السنة سنة مع أنهم ناقصة شهرين واثني عشر يوما فلما كانت وفاته لاثني عشر من ربيع الاول كان الماضي من هذه السنة وهو شهر ران واثنا عشر يوما مكملًا ومئة الما ناقصة السنة الاولى فصح قولهم انه توفي في العاشرة أي على رأسها وحين كملها بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة ويصح ان يقال توفي في الحادية عشرة بالنظر لجعل التاريخ من أول السنة الشمسية تأمل والله تعالى أعلم

ومن شر النفائات في العقد قال
بجاهد وعكرمة والحسن وقتادة
والضحاك يعني السواحر قال مجاهد
إذا رقيت ونقش في العقد وقال ابن
بجرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا
ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس
عن أبيه قال ما من شيء أقرب إلى
الشرك من رقبة الحية والحجابين وفي
الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اشتكت يا محمد فقال نعم فقال بسم
الله أريقك من كل داء يؤذيك ومن
شركك حاسد وعين الله يشهدك
ولعل هذا كان من شكواه
صلى الله عليه وسلم حين سحر
ثم عافاه الله تعالى وشده ورد
كمد السحرة الحساد من اليهود في
رؤسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم
وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم من الدهر بل كفى الله وشني
وعافي وقال الامام أحمد حدثنا
ابو معاوية حدثنا الاعمش عن
يزيد بن حبان عن زيد بن ارقم
قال سحر النبي صلى الله عليه
وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك
اياما قال جبريل فقال ان
رجلا من اليهود سحرك وعقدك
عقد في بئر كذا وكذا فارسل اليها
من يحمي بها فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاستخرجها فجاءها
فخلها قال فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما
ذكر ذلك لليهودي ولا رأي في وجهه
حتى مات ورواه النسائي عن هناد

* (سورة تبت وتسمى سورة أبي لهب كما في الجهرى خمس آيات وهى مكية
بلاخلاف وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعائشة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(تبت يا أبي لهب) قال مقاتل وابن عباس خسرت وقيل خابت وقال عطاء ضلت وقيل
صفرت من كل خير ومنه قولهم شابة أم تابة أى هالكه من الهرم وقيل المعنى هلكت
والاول أولى وخص اليمين بالتب لان أكثر العمل يكون بهما وقيل المراد باليمين
نفسه وقد يعبر باليد عن النفس كما في قوله بما قدم تيد أى نفسك والعرب تعبر كثيرا
بعض الشيء عن كذا - كقولهم أصابته يد الدهر وأصابته يد المنيا قرأ العامة لهب بفتح الهاء
وقرئ بسكونه ففيل لغتان بمعنى كانه والنهر والشعر والشعر وقال الزمخشري هو من
تغير الاعلام ولم يتخلف القراء في قوله ذات لهب أنهم باب الفتح والفرق انها فاصلة فلا سكنت
زال التشا كل وأبو لهب اسمه عبد العزى والعزى اسم صنم ولكون في هذه الكنية ما يدل
لاشتماره بها ولكون اسمه كما تقدم عبد العزى والعزى اسم صنم ولكون في هذه الكنية ما يدل
على انه لا بس للنار لان اللهب هو لهب النار وان كان اطلاق ذلك عليه في الاصل لكونه
كان جبالا وان وجهه يتلهب ازبد حسنه كما تلهب النار قال القرطبي أولان الله أراد ان
يحقق نسبته بان يدخله النار فيكون أبا لهب تحقيقا للنسب وامضاء للقال والطيرة التي
اختارها لنفسه وقيل اسمه كنيته وروى صاحب الكشف انه قرئ تبت يا أبو لهب
وذكر وجه ذلك (وتب) أى هلك قال القراء الاول دعاء عليه والثاني خبر كما تقول
أهلك الله وقد هلك والمعنى انه قد وقع ما دعى به عليه وتدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب
وقيل كلاهما اخبار أراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه
ويكون في هذا شبهة من مجي العام بعد الخاص وان كان حقيقة اليمين غير مرادة وقد
أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتكم الاقربين
خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد الصفا فهاهنا فاجتمعوا اليه فقال
أرايتكم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفع هذا الجبل أكنتم صدق قالوا ما جربنا
عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تب لك انما جمعتمنا لهذا
ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يا أبي لهب وتب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أى ادفع
عنه ما حل به من التبعات وما نزل به من عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من
الارباح والجاه أو المراد بقوله ماله ما ورثه من أبيه وما كسب الذي كسبه بنفسه قال
مجاهد وما كسب من ولد وولد الرجل من كسبه ويجوز ان تكون ما في قوله ما أغنى
استفهامية أى أى شيء أغنى عنه وكذا في قوله وما كسب أى أى شيء كسب أو مصدرية
أى وكسبه والظاهر أن ما الاول نافية والثانية موصولة عن عائشة قالت ان أطيب
ما أكل الرجل من كسبه وان اخيه من كسبه ثم قرأت ما أغنى عنه ماله وما كسب قالت
وما كسب ولده أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال كسبه ولده أى عتيبة بالتصغير

عن أبي معاوية ومحمد بن حازم الضرير
وقال البخاري في كتاب الطب من
صحبه حدثنا عبد الله بن محمد قال
سمعت سفيان بن عيينة يقول أول
من حدثنا به ابن جريج يقول
حدثني آل عروة عن عروة فسألت
هشام عنه فحدثنا عن أبيه عن
عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصرخ حتى
كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين
قال سفيان وهذا أشد ما يكون
من السحر إذا كان كذا فقال
يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني
فيما استفتيته فيه أتاني رجلان
فقد أحدهما عند رأسي
والآخر عند رجلي فقال الذي عند
رأسي للآخر ما بال الرجل قال
مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن
أعصم رجل من بني زريق حليف
ليهود كان منافقا قال وفيه قال في
مشط ومشاطة قال وأين قال في
جف طلعة ذكرت تحت رءوفة في
بئر ذروان قالت فأني البئر حتى
استخرجها فقال هذه البئر التي أريتها
وكان ماءها نقاعة الحناء وكان يخلها
رؤس الشياطين قال فاستخرج
فقلت أفلا نشرت فقال أما الله
فقد شفاني وأكره أن أتبر على أحد
من الناس شرا وأسند من حديث
عيسى بن يونس وأبي حمزة أنس
ابن عياض وأبي اسامة ويحيى
القطان وفيه قالت حتى كان يخيل
اليه أنه فعل الشيء ولم يفعل وعنده
قامر بالبئر فدفنت وذكر أنه رواه
عن هشام وابن أبي الزناد والديث بن

وأما عتبة فقد أسلم وفسر الكسب بالولاء غير ما قبله فيسلم من التكرار ومات أبو لهب
بالعدسة بعد وقعة بدر سبع ليال قال الشهاب العدسة قرحة تعترى الإنسان كانت العرب
تهرب منها لأنهم يزعمهم تعدى أشد العدوى ثم أوعده سبحانه بالنار فقال (سيصلى نارا)
قرأ الجمهور ورفخ اللام واسكان الصاد وتخفيف اللام أي سيصلى هو بنفسه النار ويحترق
بها وصلى من باب تعب وقرئ بضم الياء وفتح الصاد وتشديدا لدم والمعنى سيصلى الله
ومعنى (ذات لهب) ذات شتعال وتوقد وهي نار جهنم (وامرأته جالة الخطب) معطوف
على الضمير في يصلى وجاز ذلك للفصل أي وتوصل إلى امرأته نار ذات لهب وهي أم جميل
بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت عوراء تحمل الغضى والشوك والسعدان فتطرحها
بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن
أنس ومرة الهمداني وقال مجاهد وقتادة والسدي أنها كانت تمشي بالنعمة بين الناس
والعرب تقول فلان يحطب على فلان إذا نهبه وقال سعيد بن جبيرة معنى جالة الخطب أنها
جالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحطب على ظهره كما في قوله وهم يحملون أوزارهم
على ظهورهم وقيل المعنى جالة الخطب في النار قرأ الجمهور جالة بالرفع على الخبرية على
أنها جالة مسوقة للأخبار بأن امرأة أبي لهب جالة الخطب وأما على ما قدمنا من عطف
وامرأته على الضمير في يصلى فيكون رفع جالة على النعت لامرأته والاضافة حقيقية
لأنها بمعنى المضي أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي جالة وقرأ أعاصم بالنصب على الذم
أو على أنه حال من امرأته وقرئ حاملة الخطب وعن ابن عباس في الآية قال كانت تحمل
الشوك فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتعقره وأصحابه وقال جالة
الخطب نقالة الحديث (في جسد هاجبل من مسد) الجسد العنق والمسند الليف الذي
تتمثل منه الحبال قال أبو عبيدة المسد هو الحبل من صوف وقال الحسن هي حبال
تكون من شجر ينبت باليمن يسمى بالمسد وقد تكون الحبال من جلود الابل أو من أوبارها
والمسد أيضا ليف المقل أو مطلق الليف والمقل شجر الدوم كما في المصباح والمختار وفي
القاموس المسد بسكون السين مصدر بمعنى القتل وبفتحها الحور من الحديد أو حبل من
ليف أو كل حبل محكم القتل والجمع مساد ومساد قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا
كانت تعبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في عنقها
فخنقها الله به فاهلكها وهو في الآخرة حبل من نار وقال مجاهد وعروة بن الزبير هو
سلسلة من نار يدخل فيها ويخرج من أسننها وقال قتادة هو قلادة من ودع كانت لها
قال الحسن إنما كان خرزافي عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من
جوهر فتالت واللات والعزى لا نفقن في عداوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيكون ذلك
عذابا في جسدها يوم القيامة والمسد القتل يقال مسد حبله بمسده مسداً أجادفله قال
ابن عباس هي حبال تكون بمكة ويقال المسد العصا التي تكون في البكرة وأخرج ابن
أبي حاتم وأبو زرعة عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت بتبت يد أبي لهب رتب أقبلت
العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول

سعد وقدر وامسلم من حديث أبي
اسامة جاد بن اسامة وعبد الله بن
بجير ورواه أحمد عن عفان عن وهب
عن هشام به ورواه الامام أحمد أيضا
عن ابراهيم بن خالد عن معمر عن
هشام عن أبيه عن عائشة قالت لبث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
اشهر يرى انه ياتي ولا يأتي فاتاه
ملك من جنات احداهما عندهما
والآخر عندهما فقال احدهما

للاخر ما باله قال مطبوب قال ومن
طبه قال لبيد بن الاعصم وذكر تمام
الحديث وقال الاستاذ المفسر
النعماني في تفسيره قال ابن عباس
وعائشة رضي الله عنهما كان غلام
من اليهود يخدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم

(١) سورة التنزيل وسورة التجريد
وسورة التوحيد وسورة الاخلاص
وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة
النسبة لقولهم انعت لنا ربك
وسورة المعرفة وسورة الجلال وسورة
المقشقة وسورة المعوذة وسورة
الصمد وسورة الاساس قال اسست
السموات السبع والارضون السبع
على قل هو الله أحد والمناجاة لانها
تمنع فتنة القبر ولفعلة النار
وسورة المحتضر لان الملائكة تحضر
لاستماعها اذا قرئت والمنقرة
لان الشياطين تنفر عند قراءتها
وسورة البراءة لانها براءة من الشرك
والمدكرة لانها تذكر العبد خالص
التوحيد والنور لانها تنور القلب
وعشر وهما سورة الانسان انتهى
منه رحمه الله

* مذمما ابينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا *

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد ومعـه أبو بكر فلما رآه أبو بكر قال
يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف ان ترأى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه ان
ترأى وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت حتى وقعت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقالت يا أبا بكر اني أخبرت ان صاحبك هجاني قال لا ورب الكعبة
ما هجالك فقلت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها وأخرجها البزار بعنه وقال
لأنعلمه يروى باحسن من هذا الاسناد

* (سورة الاخلاص ولها (١) اسماء كثيرة) *

ذكرها الخطيب وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى وهذه السورة مصرحة بالتوحيد
راثة على عباد الاصنام والاثنان والقائلين بالشوكة والتثليث هي أربع أو خمس آيات
وهي مكينة في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومذنية في أحد قول ابن
عباس وقتادة والضحاك والسدي عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه
وآله وسلم يا محمد ان نسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الخ ليس شيء يولد الاسميوت وليس
شيء يموت الاسميوت وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثل شيء
رواه أحمد والبخاري في تاريخه وابن خزيمة والحاكم وصححه وغيرهم ورواه الترمذي من
طريق أخرى عن أبي العالية مرسل ولم يذكر أبيه في هذا أصح وعن جابر قال جاء
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان نسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله إلى آخر
السورة أخرجه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم وحسن السيوطي اسناده وعن ابن
مسعود قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نسب لنا ربك فنزلت هذه
السورة أخرجه أبو الشيخ في العظمة والطبراني وعن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم منهم كعب بن الاشraf وحي بن أخطب فقالوا يا محمد صف لنا
ربك الذي بعثك فانزل الله قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوف
من شيء ورواه البيهقي وغيره وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما وعن
أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني أحب هذه السورة قل
هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبك اياها أدخلك الجنة رواه أحمد
والترمذي وابن الضريس والبيهقي في سننه وقد وردت أحاديث كثيرة في ان من قرأ هذه
السورة كذا غفر له ذنوب كذا وكذا وهي في السنن وغيرها ولكنها ضعيفة غريبة وفيها من
هو متهم بالوضع وقد روى من غير وجه انها تعدل ثلث القرآن وفيها ما هو صحيح وفيها ما هو
حسن فمن ذلك ما أخرجه أحمد والبخاري وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده انها تعدل ثلث القرآن يعني قل هو الله
أحد قبل ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد

يرالوا به حتى أخذ مشاطة رأس
النبي صلى الله عليه وسلم وعدة من
أسنان مشطه فاعطاها اليهود
فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك
رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم
دسها في بئر بني زريق يقال له ذروان
فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانتشر شعر رأسه ولبث ستة أشهر
يرى انه يأبى النساء ولا ياتين وجعل
يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم
إذا ناه ملكان جالس احدهما عند
رأسه والاخر عند رجله
فقال الذي عند رجله للذي عند
رأسه ما بال الرجل قال طب قال
وما طب قال سحر قال ومن سحره
قال لبيد بن الاعصم اليهودي قال
ويم طبه قال بعشط ومشاطة قال
وأين هو قال في جف طلعة ذكر
تحت راعوفة في بئر ذروان والجنف
قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل
البئر تأتي يقوم عليه المايح فأتته
رسول الله صلى الله عليه وسلم
مدعورا وقال يا عائشة أما شعرت
ان الله أخبرني بدوائى ثم بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير
وعمار بن ياسر فزحوا ماء البئر كأنه
نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة
وأخرجوا الجنف فاذا فيه مشاطة
رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه
وتر معدود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة
بالابر فانزل الله تعالى السورتين
لجعل كتابنا آية انخلت عقدة
ووجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم خفة حين انخلت العقدة
الاخرة فقام كأنما نشط من عقال

فما جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد
والاحكام والقصاص وما في الكشف من انها تعدل القرآن كله قال الدوائى لم أره في شيء
من كتب التفسير والحديث انتهت ولولم يرد في فضل هذه السورة الاحديث عائشة عند
البخارى ومسلم وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلا في سرية فكان يقرأ
لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لم يقل سألوه لاي شيء منع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان
أقرأ بها فقال اخبروه ان الله تعالى يحب هذا اللفظ البخارى في كتاب التوحيد وأخرج البخارى
أيضا في كتاب الصلاة من حديث أنس قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قباء
فكان كلما افتتح سورة فقرأهم اللهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ
منها ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلما أعصابه فقالوا انك تفتح
به هذه السورة ثم لا ترى انها تجزى بك حتى تقرأ بالآخرى فاما ان تقرأ بها واما ان تدعها
وتقرأ بالآخرى قال ما أبأ تاركها ان أحببتكم ان أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا
يرون انه من افضلهم فمكرهوا ان يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أخبروه الخبر فقال بافلان ما يمنعك ان تفعل ما يأمرك به أصحابك وما جلت على لزوم هذه
السورة في كل ركعة فقال اني أحبها قال حبك اياها دخلت الجنة وقد روى بهذا اللفظ من
غير وجهه عند غير البخارى وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات وفيه دليل على
شرف علم التوحيد وكيف لا والعلم بشرف المعلوم ويتضع بضعمته ومعلوم هذا
العلم هو الله سبحانه وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة
مجده وفي التوحيد وصفاته سبحانه كتب ورسائل مستقلة مفردة تصدى لجمعها وتأليفها
عصابة من أهل العلم بالكتاب العزيز والسنة المطهرة منهم شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن
عبد السلام بن تيمية الحراني وتلميذه الحافظ محمد بن أبي بكر بن القيم وغيرهم مامن سلف
الائمة وخلفها كالمقريرى والشوكاني ومحمد بن اسمعيل الامير اليماني ومحمد بن اسمعيل
الدهلوى وأمثالهم رحمنا الله وإياهم أجبعين اللهم اجعلنا من الموحدين ائله واحشرنا
في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لنوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلةائك
وتقبل منا انك أنت السميع العليم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) الضمير يجوز ان يكون عائدا الى ما يفهم من السياق لما قد منامن
بيان سبب النزول وان المشركن قالوا يا محمد ان ربك فيكون مبتدأ والله مبتدأ
ثان وأحد خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الاول ويجوز ان يكون الله بدلا من هو
والخبر أحد ويجوز ان يكون الله خبر أول وأحد خبرا ثانيا ويجوز ان يكون أحد خبرا
لمبتدأ محذوف أى هو أحد ويجوز ان يكون هو ضمير شأن لانه موضع تعظيم والجملة بعده
مفسرة له وخبر عنه والاول أولى قال الزجاج هو كتابة عن ذكر الله والمعنى ان ما سألتهم تبين
نسبته هو الله أحد قيل وهمزة أحد بدل من الواو وأصله واحد ومن جملة القائلين بالقلب

الخليل وقال أبو البقاء همزة أحد أصل بنفسها غير مقابلة وذكرا أن أحد يفيد العموم دون واحد ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الأزهري أنه لا يوصف بالاحدية غير الله تعالى لا يقال رجل أحد ولا درهم أحد كما يقال رجل واحد ودرهم واحد قيل والواحد يدخل في الأحد والاحد لا يدخل فيه فاذا قلت لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف قولك لا يقاومه أحد وفرق نعلب بين واحد وبين أحديان الواحد يدخل في العدد وأحد لا يدخل فيه ورد عليه أبو حيان بأنه يقال أحد وعشرون ونحوه فقد دخل العدد وهذا كما ترى انتهى وذكر أحد في الأثبات مع أن المشهور أنه يستعمل بعد النفي كما أن الواحد لا يستعمل إلا بعد الأثبات يقال في الدار واحد وفي الدار أحد فالجواب عنه ما قال ابن عباس أنه لا فرق بينهما في المعنى واختاره أبو عبيدة ويؤيده قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم وعليه فلا يختص أحدهما بمعمل دون آخر وان اشتراستعمال أحدهما في النفي والآخرة في الأثبات ويجوز أن يكون العدد من المشهور رعايته للفاصلة بعد فدل بقوله الله على جميع صفات الكمال وهي النبوة كالعلم والقدرة والارادة وبالاحد على صفات الجلال وهي الصفات السلبية كالقدم والبقاء كذا قال الكرخي قرأ الجمهور قل هو الله أحد اثبات قل وقرأ ابن مسعود وأبي الله أحد بدون قل وقرئ قل هو الله الواحد وقرأ الجمهور بتووين أحد وهو الأصل وقرئ بحذفه الخفة وقيل إن ترك التنوين للإقانة لام التعريف فيكون الترك لأجل القرار من التقاء الساكنين ويجب عنه أن القرار من التقاء الساكنين قد حصل مع التنوين بترك الأول منهما بالكسر (الله الصمد) الاسم الشريف مبتدأ والصمد خبره والصمد هو الذي يصمد إليه في الحاجات أي يقصد لكونه قادرا على قضاءها فهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض لانه مصمود إليه أي مقصود إليه قال الزجاج الصمد السيد الذي انتهى إليه السواد فلا سيد فوقه وقيل معنى الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل معنى الصمد ما ذكر بعده من أنه الذي لم يلد ولم يولد وقيل هو المستغنى عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد وقيل هو المقصود في الرغائب والمستعان به في المصائب وهذا القولان يرجعان إلى معنى القول الأول وقيل هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقيل هو الكامل الذي لا عيب فيه وقال الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبيرة وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعطاء وعطية العوفي والسدي الصمد هو المصمت الذي لا جوف له وهذا لا ينافي القول الأول لجواز أن يكون هذا أصل معنى الصمد ثم استعمل في السيد المصمود إليه في الحوائج ولهذا أطبق على القول الأول أهل اللغة وجهور أهل التفسير وتكرير الاسم الجليل للاشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو معزل عن استحقاق الألوهية وحذف العاطف من هذه الجملة لأنها كالتيهية للجملة الأولى وقيل إن الصمد صفة للاسم الشريف والخبر هو ما بعده والأول أولى لأن السياق يقتضي استقلال كل جملة وعن بريدة قال الصمد الذي لا جوف له وروى عنه مرفوعا ولا يصح رفعه وعن ابن مسعود مثله وفي لفظ ابن له أحشاء وعن ابن عباس مثله وعنه قال الصمد الذي لا يطعم وهو المصمت وقد روى عنه أنه الذي يصمد

وجعل جبريل عليه السلام يقول
بسم الله ارقمك من كل شيء يؤذي
من حاسد وعين الله يشفيك فقالوا
يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث
نقتله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أما نأفقد شفائي الله وأكره
أن أتبر على الناس شره كذا أورده
بلا اسناد وفيه غرابة وفي بعضه
نكارة شديدة وابعضه شواهد مما
تقدم والله أعلم

* (بسم الله الرحمن الرحيم)
قل اعوذ برب الناس ملك الناس
إله الناس من شر الوسواس
الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس) هذه ثلاث
صفات من صفات الرب عز وجل

اليه في الخواص وفي لفظ الصمد السيد الذي قد كل في سودده والشريف الذي قد كل في شرفه والعظيم الذي قد كل في عظمته والحليم الذي قد كل في حلمه والغني الذي قد كل في غناه والجبار الذي قد كل في جبروته والعالم الذي قد كل في علمه والحكيم الذي قد كل في حكمته وهو الذي قد كل في أنواع الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغي الا له ليس له كف وليس كنه له شيء وعن ابن مسعود قال الصمد هو السيد الذي قد انتهى سودده فلا شيء أسود منه وعن ابن عباس قال الصمد الذي تصمد اليه الاشياء اذ انزل بهم كربة أو بلاء (لم يلد ولم يولد) أي لم يصدر عنه ولد كما ولدت مريم ولم يصدر هو عن شيء كما ولد عيسى وعزير لانه لا يجانس شيء ولا استحالة نسبة العدم اليه سابقا لاحقا وقد دل على هذا قوله تعالى أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة قال قتادة ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عذري بنات الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فاكذبهم الله فقال لم يلد ولم يولد قال الرازي قدم ذكرني الولد مع ان الولد مقدم للاهتمام لاجل ما كان يقوله الكفار من المشركين الملائكة بنات الله واليهود عذري بنات الله والنصارى المسيح ابن الله ولم يدع أحد أن له والد فلما هذا السبب بدأ بالاهم فقال لم يلد ثم أشار الى الحجة فقال ولم يولد كانه قيل الدليل على امتناع الولد اتناقنا على انه ما كان ولد الغيرة وانما عبر سبحانه عما يفيد انتفاء كونه لم يلد ولم يولد في الماضي ولم يذ كر ما يفيد انتفاء كونه كذلك في المستقبل لانه ورد جوابا عن قوله -م ولدا لله كما حكى الله عنه-م بقوله ألا انهم من افكهم ليقولون ولدا لله فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم انما قالوا ذلك بلفظ ينمى المنق في ما مضى وردت الآية لدفع قولهم هذا (ولم يكن له كفوا أحد) هذه الجملة مقررمة لمضمون ما قبلها لانه سبحانه اذا كان متصفا بالصفات المتقدمة كان متصفا بكونه لم يكافئه أحد ولم يماثل له ولا يشركه في شيء وأخر اسم ذكر لرعاية النواصل وقوله له متعلق بقوله كفوا قدم عليه لرعاية الاهتمام لان المقصود نفي المكافاة عن ذاته وقيل انه في محل نصب على الحال والاول أولى وقد رد المبرد على سيبويه -هذه الآية لان سيبويه قال انه اذا تقدم الظرف كان هو الخبر وهما لم يجعل خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد بوجهين احدهما ان سيبويه لم يجعل ذلك حتمابل جوزه والثاني ان الانسليم كون الظرف هنا ليس بخبر بل يجوز أن يكون خبرا ويكون كفوا منتصبا على الحال وحكي في الكشف عن سيبويه ان الكلام العربي الفصح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر وانقصر في هذه الحكاية على نقل أول كلام سيبويه ولم ينظر الى آخره فانه قال في آخر كلامه والتقديم والتأخير والالغاء والاستقرار عري جيد كثيرا انتهى قال الشهاب ولعل الوصل بين هذه الجمل الثلاث وهي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد بالعاطف دون ما عداها من هذه السورة لانها سابقة لمعنى وغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه وهذه أقسامها لان المماثل اما ولد أو والد أو نظير فلتغير الاقسام واجتماعها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني وترك العطف في الله الصمد لانه محقق ومقرر لما قبله وكذا ترك العطف في لم يلد لانه محقق كد للصمدية لان الغنى عن كل شيء

الربوبية والملك والالهية فهو رب كل شيء ومليكه واليه جميع الاشياء مخلوقة له مملوكة عبيده فأمر المستعبد أن يتعوز بالمتصف بهذه الصفات من شر الوساوس الخناس وهو الشيطان الموكل بالانسان فانه ما من احد من بني آدم الا وله قرين بزينة الفواحش ولا يلوذ جهدا في الخبال والمعصوم من عصم الله وقد ثبت في الصحيح انه ما منكم من احد الا قد وكل به قرينه قالوا وأنت يا رسول الله قال نعم الا ان الله اعاني عليه فاسلم فلا ياهرني الا بخير وثبت في الصحيحين عن انس في قصة زيارة صفية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو

المحتاج اليه كل ما سواه لا يكون والد اولاد مولود انتهى قرأ الجمهور كفوا بضم الكاف والقاء وتسهيل الهمزة وقرأ الاعرج وسيدويه ونافع في رواية عنه باسكان القاء مع ابدال الهمزة واوا في الوقف وأبدت الواو وصلوا ووقفاً أيضاً وقرأ كفوا بكسر الكاف وفتح القاء من غير مد وكذلك مع المد والكف في لغة العرب النظير تقول هـنما كفوا أي نظيرك والاسم الكفاء بالفتح قال ابن عباس ليس له كف ولا مثل ومن زعم ان نقي الكف وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للعالم والكفار يدعون في الحال فقد تاه في غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة اذا الحاد لا يكون كفاً الا قدريم وحاصل كلام الكفرة يؤل الى الاشارة والتشبيه والتعطيل والسورة الكريمة تدفع الكل اخرج البخاري عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فامات كذبه اياي فقله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون علي من اعادته واماشته اياي فقله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

(سورة الفلق هي خمس آيات)*

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية في أحد قول ابن عباس وقتادة قيل وهو الصحيح وعن ابن مسعود انه كان يحل المعوذتين من المصحف يقول لا تخلطوا القرآن بما ليس منه انهما ليسا من كتاب الله انما امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يتعوذ بهما وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما اخرجهما أحمد والطبراني وابن مردويه من طرق قال السيوطي صححة قال البزار لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قرأ بهما في الصلاة واثبتاني المصحف وأخرج أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم عن زر بن حبیش قال اتيت المدينة فلقيت أبي بن كعب فقلت له أبا المنذر اني رأيت ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال أما والذي بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالحق لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم وما سألني عنهما أحد منذ سألتك غيرك قال قبل لي قل فقلت فقولوا فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال القرطبي زعم ابن مسعود ان هاتين السورتين دعاء يتعوذ به وليست من القرآن وقد خالف الاجماع من الصحابة وأهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب ابن مسعود المعوذتين في مصحفه لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعوذ الحسن والحسين بهما فقد رأتهما بمنزلة أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال أبو بكر بن الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع الخلقين وأعيد كما الخ من كلام البشر وكلام الخالق الذي هو آية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وحجة باقية على جماعة الكافرين لا يلتبس بكلام الأتبعين فضلا عن مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارفاً باجناس الكلام وأقارب القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه آمن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وأخرج مسلم

معتكف وخروجه معها اليل ليردها الى منزلها فلقية رجلاً من الانصار فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم اسرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي رسل كما انما صفة بنت حبي فقال سبحان الله يا رسول الله فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلبك شيئاً أو قال شراً أو قال الحافظ أبو بكر الموصلي حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدي بن أبي عمارة حدثنا زياد التميمي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان

والترمذى والنسائى وغيرهم عن عقبته بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 أنزلت على الليلة آيات لم أر من قبل قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وأخرج
 الترمذى وحسنه وابن مردويه والبيهقى عن أبي سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم يتعوذ من عين الجان من عين الانس فلما نزلت سورة المعوذتين
 أخذ بهما وترك ما سوى ذلك وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكره
 عشر خصال ومنها أنه كان يكره الرقى بالمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم
 وصححه وعن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحب السور إلى الله
 قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس أخرجه ابن مردويه وعن عائشة قالت ان
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينثف فلما
 اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده عليه رجاء بركتها أخرجه مالك في الموطأ وهوفي
 الصحيحين من طريق مالك وعن زيد بن أرقم قال سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل
 من اليهود فاشتكى فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال إن رجلاً من اليهود سحر
 والسكر في بئر فلان فارسل علياً فجاءه فأمره أن يحل العقدة ويقرأ آية ويحل حتى قام
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنما نشط من عقال أخرجه عبد بن حنبل في مسنده
 وأخرجه ابن مردويه من حديث عائشة مطولاً وكذلك من حديث ابن عباس قيل
 وكانت مدة سحره صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً وقيل ستة أشهر وقيل عاماً قال
 الحافظ ابن حجر وهو المعتمد قال الراغب تأثير السحر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم
 يكن من حيث أنه نبي وإنما كان في بدنه من حيث أنه إنسان أو بشر كما كان يأكل ويتغوط
 ويغضب ويشتى ويعرض فتأثيره فيه من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي وإنما يكون
 ذلك قادحاً في النبوة لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع للنبوة كما أن جرحه وكسره (١) نفيه يوم
 أحد لم يقدح فيما ذهبن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وكما لا اعتد ادعما
 يقع في الإسلام من غلبة بعض المشركين على بعض النواحي فيماد كرم من كمال الإسلام في
 قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم قال القاضي ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في
 أنه مسحور لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر انتهى ومذهب أهل السنة أن
 السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ويؤلم ويعرض ويقتل ويفرق بين الزوجين
 وتنام الكلام على هذا في حاشية سليمان الجليل فارجع اليه وقد ورد في فضل المعوذتين وفي
 قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما في الصلاة وغيرها أحاديث وفيما ذكرناه كفاية
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح يقال هو أبين من فلق الصبح وسمى فلقالا نه يفلق عنه
 الليل وهو فعل بمعنى منقول قال الزجاج لأن الليل يفلق عنه الصبح ويكون بمعنى
 منقول وهذا قول جمهور المفسرين وقيل هو سجن في جهنم وقيل هو اسم من أسماء
 جهنم وقيل شجرة في النار وقيل هو الجبال والصخور لأنها تفلق بالمياه أي تشقق وقيل
 هو التفلق بين الجبال لأنها تنشق من خوف الله قال النحاس يقال لكل ما اطمان من

ذكر الله خنس وإن نسي التقيم قلبه
 فذلك الوسواس الخناس غريب
 وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن
 جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت
 أبا عبيد يتحدث عن رديف رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبي
 صلى الله عليه وسلم جاره فقلت تعس
 الشيطان فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم لا تقل تعس الشيطان فانك
 إذا قلت تعس الشيطان تعاضم وقال
 بقوتي صرعتي وإذا قلت بسم الله
 تصغر حتى يصير مثل الذباب تغربه
 أجد اسناده جيد قوى وفيه دلالة
 على أن القلب متى ذكر الله تصغر
 الشيطان وغلب وإن لم يذكر الله

(١) قوله ثنيته كذا في الأصل الذي
 بأيدينا والذي في البخارى ومسلم
 وهو المشهور المعروف من كتب
 السير أن التي كسرت يوم أحدهى
 رباعيته صلى الله عليه وسلم لا ثنيته
 اه صححه

الارض فلق وقيل هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شئ من نبات وغيره قاله الحسن والضحاك قال القرطبي هذا القول يشهد له الانشقاق فان الفلق الشق يقال فلقت الشئ فلما شققته والتفليق مثله يقال فلقت فأنفلق وتفلق فكل ما انفلق عن شئ من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق قال الله سبحانه فالتق الاصباح وقال فالتق الحب والنوى انتهى والقول الاول اولى لان المعنى وان كان اعم منه واسع مما تضمنه لكنه المتبادر عند الاطلاق وقد قيل في وجه تخصيص الفلق الائمة الى ان القادر على ازالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم بقدر اياها ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه وقيل طلوع الصبح كالمثال لمحى القمر فكما ان الانسان في الليل يكون منتظرا لطلوع الصبح كذلك الخائف يكون متوقفا لطلوع صباح النجاة وقيل غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير عن عمرو بن عبسة قال صلى بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ قل أعوذ برب الفلق وقال يا ابن عبسة أتدرى ما الفلق قلت الله ورسوله أعلم قال بئري جهنم أخرجه ابن مردويه وأخرجه ابن أبي حاتم موقوفا عليه غير مرفوع وعن عقبه بن عامر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرأ قل أعوذ برب الفلق هل تدري ما الفلق باب في النار اذا فتحت سعرت جهنم أخرجه ابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله عز وجل قل أعوذ برب الفلق فقال هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمستكبرون وان جهنم لتعوز بالله منه أخرجه ابن مردويه والديلمي وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الفلق جب في جهنم أخرجه ابن جرير وهذه الاحاديث لو كانت صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكان المصير اليها واجبا والقول بهامتعينا وعن ابن عباس قال الفلق سجن في جهنم وعن جابر بن عبد الله قال الفلق الصبح وعن ابن عباس أيضا الفلق الخلق (من شر ما خلق) متعلق بأعوذ أى أعوذ بالله من شر كل ما خلقه من جميع مخلوقاته في جميع الشرور فهذا عام وما بعده من الشرور الثلاثة خاص فهو من ذكر الخاص بعد العام وقيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم ولا وجه لهذا التخصيص كما أنه لا وجه لتخصيص من خصص هذا العموم بالمضار البدنية وقد عرف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه وتقوية لباطله فقرأ بئروين شر على ان مانافية والمعنى من شر لم يخلقهم ومنهم عمرو بن عبسة وعمرو بن فائد وفي المدارك قرأ أبو حنيفة رحمه الله تعالى من شر التنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الخبر بدل من شر أى شر خلقه أى من خلق شرأ وما زائدة انتهى وفيه أيضا بعد وضعه كما ترى (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل والغسق الظلمة قال الفراء يقال غسق الليل وأغسق اذا أظلم وقال الزجاج قيل الليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من أماكنها وينبعث أهل الشر على العيث والفساد كذا قال وهو قول بارد فان أهل اللغة على

تعاطفهم وغلب وقال الامام أحمد حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا كان في المسجد جاء الشيطان فالتبس به كما يلتبس الرجل بدايته فاذا سكن له زنته أو ألبسه قال أبو هريرة رضي الله عنه وأنتم ترون ذلك أما المزنون فتراهم مائلا كذا لا يذكرك الله وأما الملحجم ففائح فاه لا يذكرك الله عز وجل تفرد به احمد وقال سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس قال الشيطان

خلافه وكذا جهور المفسرين ووقوفه دخول ظلامه يقال وقت الشمس اذا غابت وقيل
 الغاسق الثريا وذلك انه اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك وبه
 قال ابن زيد وهذا محتاج الى نقل عن العرب انهم يصفون الثريا بالغسوق وقال الزهري هو
 الشمس اذا غربت وكله لاحظ معنى الوقوب ولم يلاحظ معنى الغسوق وقيل هو القمر
 اذا خسف وقيل اذا غاب وبهذا قال قتادة وغيره واستدلوا بحديث اخرجه احمد
 والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة قالت نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يوما الى القمر لما طلع فقال يا عائشة استعبدني بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب
 قال الترمذي بعد اخرجه حسن صحيح وهذا الاشارة في قول الجمهور لان القمر آية الليل ولا
 يوجد له سلطان الا فيه وهكذا يقال في جواب من قال انه الثريا قال ابن الاعرابي في تأويل
 هذا الحديث وذلك ان اهل الرب يتخيمون وجبة القمر وقيل الغاسق الحية اذا لدغت
 وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائنما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها
 وقيل الغاسق هو السائل وقد عرفنا ان الراجح في تفسير هذه الآية هو ما قاله اهل القول
 الاول ووجه تخصيصه ان الشرفية اكثروا التحرز من الشرور فيه اصعب ومنه قولهم
 الليل اخفى للويل وعن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق
 وهو الثريا اخرجه ابن جرير وابو الشيخ وغيرهما وروى من وجه آخر عنه غير مرفوع
 وقد قدمنا تأويل هذا وتأويل ما ورد ان الغاسق القمر واخرج ابو الشيخ عنه ايضا قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ارتفعت النجوم رفعت كل عاهة عن كل بلد
 وهذا الوصح لم يكن فيه دليل على ان الغاسق هو النجم والنجوم وعن ابن عباس في الآية
 قال الليل اذا قبل (ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات هن السواحر اى واعوذ
 برب الفلق من شر النفوس النفاثات والنساء النفاثات والنفث النفخ كما يفعل ذلك من
 يرق ويسحر قيل مع رقيق وقيل بدون رقيق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انساكو
 تحقق السحر وظهور اثره والعقد جمع عقدة وذلك انهن كن يفتن في عقد الخيوط حين
 يسحرن بها قال ابو عبيدة النفاثات هن بنات لبى بن الاعصم اليهودى سحرن النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم قر الجمهور النفاثات جمع نفاثة على المبالغة وقرئ النفاثات جمع
 نافثة والنفاثات بضم النون والنفاثات بدون الف وقال ابن عباس الساحرات وعنه
 قال هو ما خالط السحر من الرقى واخرج النسائي وابن مردويه عن ابى هريرة ان النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم قال من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن
 تعلق شيئا وكل اليه وعنه قال جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعودني فقال ألا ارقبك
 برقية رقاني بها جبريل فقلت بلى يا ابي انت وامى قال بسم الله ارقبك والله يشفيك من كل
 دافيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد فرقي به ثلاث مرات اخرجه
 ابن ماجه وابن سعد والحاكم وغيرهم واختلفوا في جوار النفخ في الرقى والتعاوية
 الشرعية فحوز الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يدل عليه حديث عائشة قالت
 كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات

جاء على قلب ابن آدم فاذا سها
 وغفل وسوس فاذا ذكر الله خنس
 وكذا قال مجاهد وقتادة وقال المعتمر
 ابن سليمان عن أبيه ذكر لي أن
 الشيطان أو الوسواس ينقب في
 قلب ابن آدم عند الحزن وعند
 الفرح فاذا ذكر الله خنس
 وقال العوفي عن ابن عباس في قوله
 الوسواس قال هو الشيطان يأمر
 فاذا أطيع خنس وقوله تعالى
 الذي يوسوس في صدور الناس هل
 يخص هذا بيني آدم كما هو الظاهر
 أو يعم بني آدم والجن فيه قولان
 ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس
 تغليباً قال ابن جرير وقد استعمل

الحديث وانكبر جماعة التفسير والنفث في الرقي واجازوا التلخيص بالاربع قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينث ولا يمسح ولا يعقد قال النسفي جوز الاستسقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بما كان بالسرانية والعبانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه (ومن شر حاسد) الحسد تنفي زوال النعمة التي انعم الله بها على المحسود ومعنى (اذا حسد) اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بعقته ووجه الحسد على ايقاع الشر بالمحسود قال عمر بن عبد العزيز لم ار ظالمًا اشبه بالظالم من حاسد وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال

قل للمحسود اذا تنفس طعنة * يا ظالم اوكأته ظلم

ذكر الله سبحانه في هذه السورة ارشاد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجها تحت العموم لزيادة شمره وحر يدضره وهو الفاسق والنفاثات والحاسد فكان هؤلاء المفاهم من مزيد الشر حقيقة وبافر اذ كل واحد منهم بالذكر وختم بالحسد ليعلم انه اشد وأشر وهو اول ذنب عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قاييل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضرور بما حسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات ذكره النسفي في المدارك وعن ابن عباس في قوله ومن شر حاسد اذا حسد قال نفس ابن آدم وعينه

(سورة الناس هي ست آيات)

والخلاف في كونها كريمة او مدنية كالخلاف الذي تقدم في سورة الفلق قال ابن عباس انزل بحكمة قل أعوذ برب الناس وعن ابن الزبير قال انزل بالمدينة وقد قدمنا في سورة الفلق ما ورد في سبب نزول هذه السورة وما ورد في فضلها فارجع اليه وأقرب الحافظ ابن القيم في البدائع بقوائده بديعة كثيرة تتعلق بالمعوذتين وكتب عشرين ورقة في بيان ذلك لا يتسع هذا المقام لسطها ان شئت فراجع

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ) قرأ الجمهور بالله - حزة وقرئ بجذفها ونقل حركتها الى اللام (رب الناس) قرأ الجمهور بترك الالة في الناس وقرئ بالالة والمعنى مالك الأمرهم ومربيهم ومصلح أحوالهم وانما قال رب الناس مع انه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم وقوله (ملك الناس) عطف بيان على به لبيان ان رتبته سبحانه ليست كرتبة سائر الملائكة لما تحت أيديهم من محالهم بل بطريق الملك الكامل والسلطان القاهر وقد اجمع جميع القراء في هذه السورة على اسقاط الالف من مالك بخلاف الفاتحة فاختلفوا فيها كما مضى (اله الناس) هو أيضا عطف بيان لبيان ان ربو بيته وملكه قد انضم اليهما المعبودية المؤسسة على الألوهية

فيهم رجال من الجن فلا بدع في اطلاق الناس عليهم وقوله تعالى من الجنة والناس هل هو تفصيل لقوله الذي يوسوس في صدور الناس ثم بينهم فقال من الجنة والناس وهذا يقوى القول الثاني وقيل قوله من الجنة والناس تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الانس والجن كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكما قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا السعدي حدثنا أبو عمرو والده شق حدثنا عبيد بن الحشاش عن أبي ذر قال

المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي باليجاد والاعدام وأيضا الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا كما يقال رب الدار ورب المتاع ومنه قوله اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فبين أنه ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فبين أنه اله لأن اسم الاله خاص به لا يشترك فيه أحد وأيضا بدأ باسم الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره واصلاحه من أوائل عمره الى أن صار عاقلا كاملا فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مخلوق فذكر أنه ملك الناس ثم لم أعلم ان العبادة لازمة له واجبة عليه وأنه عبد مخلوق وان خالقه اله معبود بين سبحانه أنه اله الناس وكررا فظ الناس في الثلاثة المواضع لان عطف البيان يحتاج الى مزية الاظهار والبيان ولان التكرير يقتضي مزيد شرف الناس وقيل أراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشبَاب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوز منه ذكره النسبي ولا وجه لهذا التخصيص وانما هذا الكلام من لطائف البيان (من شر الوسواس) قال القراء هو يفتح الواو بمعنى الاسم أي الوسوس وبكسر ها المصدر أي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وقيل هو بالفتح اسم لمعنى الوسوسة والوسوسة هي حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة أي حديثه حديثا وأصلها الصوت الخفي ومنه قيل لاصوات الحلي وسواس قال الزجاج الوسواس هو الشيطان أي ذى الوسواس ويقال ان الوسواس ابن لبلبس وسمى بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لانه اشغله الذي هو عاكف عليه وقد سبق تحقيق معنى الوسوسة في تفسير قوله فوسوس لهم الشيطان ومعنى (الخناس) كثير الخنس وهو التأخر يقال خنس يخنس اذا تأخر قال مجاهد اذا ذكر الله خنس وانقبض واذا لم يذكر انبسط على القلب ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا أقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها كما تقدم وقيل الخناس اسم لابن ابليس كما تقدم في الوسواس وعن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس قال مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع نفسه على فم القلب فيوسوس اليه فان ذكر الله خنس وان سككت عاد اليه فهو الوسواس الخناس وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسيه اتقم قلبه فذلك الوسواس الخناس أخرجه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابو يعلى وابن شاهين والبيهقي في الشعب وعن ابن عباس في الآية قال الشيطان جاث على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس واذا ذكر الله خنس وغشه قال مامن مولود يولد الا على قلبه الوسواس فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس فذلك قوله الوسواس الخناس وقد ورد في معنى هذا غيره وظاهره ان مطلق ذكر الله يطرد الشيطان وان لم يكن على طريق الاستعاذة ولذا ذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها الفوز بخيري الدنيا والاخرة (الذي يوسوس في صدور الناس) قال قتادة ان الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا غفل ابن آدم عن ذكر الله وسوس له واذا ذكر

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلست فقال يا اباذر هل صليت قلت لا قال قم فصل قال فقامت فصليت ثم جلست فقال يا اباذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن قال فقلت يا رسول الله وللانس شياطين قال نعم قال قلت يا رسول الله الصلاة قال خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر قلت يا رسول الله فالصوم قال فرض مجزى وعند الله مزيد قلت يا رسول الله فالصدقة قال اضعاف مضاعفة قلت يا رسول الله فايها أفضل قال جهل من مقل أو سر إلى فقير قلت يا رسول الله أي الانبياء كان أول

العبد ربه خنس قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على ذلك ووسوسته هي الدعاء الى طاعته بكلام خفي يصل الى القلب غير من سماع صوت والجملة في محل الجر على الصفة أو الرفع على تقدير مبتدأ والنصب على الذم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس ثم بين سبحانه الذي يوسوس بانه ضربان جنى وانسى فقال (من الجنة والناس) أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الانس فوسوسة في صدور الناس انه يرى نفسه كالناصح المشفق فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال سبحانه شياطين الانس والجن ويجوز أن يكون متعلقا بوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس ويجوز أن يكون بيانا للناس قال الرازي وقال قوم من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت قوله في صدور الناس لان القدر المشترك بين الجن والانس سمي انسانا والانسان أيضا سمي انسانا فيكون لفظ الانسان واقعا على الجنس والنوع بالاشتراك والدليل على ان لفظ الانسان يندرج فيه لفظ الانس والجن ما روى انه جاء نفر من الجن فقيل لهم من أنتم قالوا ناس من الجن وأيضا قد سمعناهم الله تعالى رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون رجال من الجن وقيل يجوز أن يكون المراد أعوذ برب الناس من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ومن الجنة والناس كانه استعاض به من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاض به من جميع الجنة والناس وقيل المراد بالناس الناس وسقطت الباء كسقوطها في قوله يوم يدع الداع ثم بين بالجنة والناس لان كل فرد من أفراد الفريقين في الغالب مبتلى بالنسيان وأحسن من هذا أن يكون قوله والناس معطوفا على الوسواس أي من شر الوسواس ومن شر الناس كانه أمر أن يستعين من شر الجن والانس قال الحسن أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الانس فيأتى علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وقبل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الانس وواحد الجنة جنى كما كان واحد الانس انسى والقول الاول هو الأرجح هذه الاقوال وان كان وسوسة الانس في صدور الناس لا تكون الا بالمعنى الذي قدمنا ويكون هذا البيان تذكرة للتقلى للارشاد الى ان من استعاض بالله منهم ما ارتفعت عنه محن الدنيا والآخرة وعن ابن عباس قال قيل يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن الى آخره كما ساحل ارتحل أخرجه الترمذى

قال آدم قلت يا رسول الله ونبي كان قال نعم نبي مكلم قلت يا رسول الله كم المرسلون قال ثلثمائة وبضعة عشر جاعفها وقال مرة خمسة عشر قلت يا رسول الله اى ما نزل عليك اعظم قال آية الكرسي الله لا اله الا هو الحى القيوم ورواه النسائي من حديث أبي عمر الدمشقي به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان في صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدا فالحق أعلم وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أحدث نفسى بالشئ لأن أخر من السماء احب الى من ان اتكلم به قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده الى الوسوسة ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والاعمش كلاهما عن ذر به * (آخر التفسير ولله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين) *

* (يقول العبد الضعيف الخامل المتوازي مؤلف هذا التفسير صديق

ابن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ختم الله له

بالحسنى واذا فقه حلاوة رضوانه الاسنى) *

والى هنا انتهى هذا التفسير الجامع بين فنى الرواية والدراية الرافع من ألوية التحقيق والتنقيح أعظم راية وكان الفراغ منه في ضحوة يوم الجمعة لعله التاسع والعشرون من شهر ذى الحجة أحد عشر سنة تسع وثمانين بعد مائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية وقد تم بتمامه وانتهى بانتهائه الأسبوع والشهر والسنة اللهم كما مننت على بآكمال هذا التفسير وأعنتنى على تحصيله وتنضلت على بالفراغ منه على ما أردت فامتن على بقبوله واجعله لى ذخيرة خير عندك واجزل لى المثوبة بما صرفت الوقت فى تحريره كما قلت فى كتابك انى لا اضيع عمل عامل منكم وكما قلت فى هذا الباب

كل ينجى بكسبه وكتابه * يوم القيامة آخر الازمان

فى حضرة الرحمن جل جلاله * عم الورى بالعفو والغفران

ويجى هذا العبد وهو مقصر * بكتابه التفسير فتح بيان

ثم اللهم انفع به من أخلفه من بعدى من ولدى ومن شئت من عبادك المؤمنين ليدوم لى الانتفاع به بعد موتى فان هذا هو المقصد الجليل والمطلب الجليل من هذا الجمع والتأليف واجعله خالصا لوجهك الكريم وتجاوز عنى اذا خطر لى من خواطر السوء ما فيه شائبة تتخالف الاخلاص والتوحيد واغفر لى ما لا يطابق مرادك فانى لم أقصد فى جميع ابحاثى فيه الا اصابة الحق وموافقة ما ترضاه فان أخطأت فانت غافرا لخطيئات ومسبلا ذيل السستر على الهفوات وان أصبت فانت قابل الطاعات ومأنح العطايات يا بارئ الباريات وقد جمعت فى زمن أهله بغير الكتاب والسنة يغفرون وصنعت كما صنع نوح عليه السلام الفلك ومنه يسبحون ولله در من يقول

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضباناعلى لئامها

ثم اللهم وأجمل على ما أوليتنى من نعمك الوافرة من الاموال والاولاد والعلم النافع من الكتاب العزيز والسنة المطهرة لا احصى حمدالك واشكر لك على ما رزقتنى من خلوص النية فى القول والعمل والاعتقاد لا احصى شكر لك انت كما اثبت على نفسك وقد رويت فى صحيح مسلم بن الحجاج بسنده المتصل الى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له اللهم فهذا علم ينتفع به وقد علمت نيتى وعدم انتصارى فى تفسير كتابك لمذهب ذاهب أو قول قائل ما عدا قولك وما صح عن رسولك صلى الله عليه وآله وسلم فانفعنى به فى الحياة الدنيا وفى الآخرة واجزنى بما أنت له أهل يا أهل التقوى وأهل المغفرة وهذه أولادى فاجعلهم من عبادك الصالحين ومن يدعولى بعد مماتى ووفقههم للعلم النافع والعمل الصالح واحفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم مما لا تحبه ولا ترضاه واجعل لى ولهم لسان صدق فى الآخرين رب أوزعنى ان أشكر

نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي
 في ذريتي اني تبنت اليك واني من المسلمين وقد طعنت في العشر
 الخامس من عري ووهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا
 فاعذرنى فلم أكن بدعائك رب شقيا ولنختم
 الكلام بالحمد لله رب العالمين كما بدأناه
 أول مرة وصلى الله تعالى وسلم
 وبارك على خير خلقه محمد
 وآله وصحبه كره
 بعد كره
 * (٢٢) *

﴿يقول مصححه﴾

ولما تم بدر همد النفس سيرا الجليل وبرز للعيان يتبه على عشاقه بشكله الجميل ولحظته
 عيون الادباء في جميع الآفاق والاقطار وأعماله فيه جيا دافكارهم مدى الليل والنهار
 انطلق كل منهم في حلبة المديح مع عدد المحاسن مقرظا مثنيا على مؤلفه حفظه الله بحسن
 اجادته ناطقا ببعض فضائله لافظا

* (فمنهم شيخ الادباء وتاج الاذكياء الحنفاء ونخبة الاصدقاء الشيخ أمين بن حسن
 المدني الحلواني أعانه الله تعالى بنيل الاماني قال حفظه الله مقرظا له مؤرخا عام طبعه
 الاول بالمطبعة العامرة بمدينة بيوال بلغ الله أهلها وأميرهم الاعظم ورئيسهم
 وسيدهم الاكرم جميع الآمال) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

خير الكلام كلام الرب جل وعلا وأعظم الاثر شأنه على رؤس الملا اللهم اجعل
 أفضل صلواتك وأزكى تحياتك على من أنزلت عليه كلامك المجيد واتمته على حلي
 مفرق الوحي والجيد محمد سيد البدو والحضر وأفضل من وفي ونهي وأمر صلى الله
 عليه وعلى من وآله مادعا داع محبت آواه (وبعد) فان علم التفسير هو في نفسه
 خطير بيد أنه العلة الاولى لجميع العلوم والسبب الاقصى في المنطوق والمفهوم جدير
 وان كان السلف بنوافيه القصور المناظر الا انه كم ترك الاول للآخر وان في الخمر
 معنى ليس في العنب وبينما كان الناس يخبطون خبط عشواء ويهممون بليل عمياء في
 غبار المحاربات بين الفخر والمخشري الا وقيض الله لهم السرى ابن السرى ابن السرى
 ألا وهو النواب (السيد محمد صديق حسن خان بهادر) أمير بوفال أحسن الله له الفال
 فانه وان ظهر بعد حين الا انه أتي بما لم يحوه زبر الاولين وهالك تفسيره المسمى (فتح
 البيان) فانه أحسم دليل وأقطع برهان وأوضح صباح وأبلغ تبیان في حل منازعات
 المتقدمين وكشف اشكالان العلماء الراشخين وبيان أسرار كلام رب العالمين

ولتعلن بآه بعد حين وهذه التفاسير ألوف على وجه الغبراء فاطر ح التقليد واهجر
المراء تعلم ان في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل وانه لا عطر بعد عروس وقد وضع
الصبح لذى عينين واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ولما طلعت شمس طبعه على
الوجود وأينع منها الغصن واورق العود أنشدت مؤرخا ومادحا ولا عدائه صادما
وكابجا (شعر)

أجريت يا بوقال طرف بياني * وسلوت فيك محاسن الاوطان
بديح مهدي الاوان من اقتني * في سيره ماسنه العمران
نواب بوقال رعاها الله لكم * تسمويه شرفا على كيوان
صديقها حسن امام العصر من * شرفت به الالباء من عدنان
هو حيدر في فتكه بل يوسف * في حسنه في درعه القمران
يا بدر أفق العلم بل يا شمسه * يا غوثه يا ديمة الظمان
أسديت في بوقال ثوب عدالة * ما حاكه كسرى أنوشروان
وغرسها شجر الفهوم فأصبت * تزهو على بلديه الهرمان
ومنحتها سبل السلام فأينعت * زهر الربيع وروضة النعمان
يا حسن روض المعارف مورك * أروى به الوسمي غصن البان
سل عنه دار الطبع كم أسدى بها * دررا تفوق قلائد العقيان
سل عنه أهل الزبيغ كم أرداهم * ببيان وجمانه وسنان
وسل العلوم وأهلها هل عاينوا * بحرا يتظلم سحجة المرجان
وانشدهم مستفسر اهل شاهدوا * صبجا كصبح مقاصد الفرقان
لله ما أبدية من معجزات رازي * والانوار والتبيان
وجللت في الفرقان آيات لها * في كل فقررة آية ببحران
وأنتها زهر البديع وفوقها * أزرى البديع وخطبتى سبحان
ونسجته في الطبع احسن مطرف * يكسوا الاثام ملاحف العرفان
لما انتهى في طبعه أرخت في * فتح البيان مفصل القرآن

٩٠ ٤٨٨ ٩٤ ٢٤٠ ٣٨٢

س ١٢٩٤

(وكتبه فقير به وأسير ذنبه أمين بن حسن الحلواني المدني عفي عنه)

*(وهذه قصيدة بديعة وكلمة رفيعة سمح بها طبع الاديب وخطر الليب تاج
البلغاء الكرام وامام النحاة العظام الشيخ المكرم السهاري فيض
الحسن حفظه الله عن كل ما يكره في السر والعلن عندما وقف على تأليف
هذا التفسير ووجده حين النظر اليه نظير نسخة الاكبر)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ما سمعنا بمثل فتح البيان * في المباني ولا ولا في المعاني

قوله في المباني أي الالفاظ اه منه

قوله من البكار أى التفاسر الكار
اه منه

قوله مونتق أى معجب اه منه
قوله الروانى من رنى اليه اذا نظر
اه منه

قوله لم أزره قد زاره بعد نظم هذه
الكامة فوجدته فوق ما ظنه اه منه
قوله يلقى أى يوجد اه منه

قوله يخلق الامر أى يقدره اه منه
قوله غير جان من الجنابة وقوله من
جان من جنى التمر اه منه

قوله سل أى ولد اه منه

فعا نيه عين عذب فرات * ومبانيه مجنسة من جنان
لا ولا ثم لا ولا مثل شئ * منه شئ من البكار المتسان
من رأى مثله رآه وأنى * مثله عز مثله فى زمانى
انظرن فيه فانظرن فيه تنظر * فيه ما ليس فى الحسان البسمان
يالها من جميلة ذات حسن * تتمناه ناعمات غوان *
اتحب الحسان حبا شديدا * بعدها ويلك من محب مدان
كل ما فيه نضرة وسرور * للذى بات عنده فى مكان
حسبه انه على كل حال * كاشف عن اطائف القرآن
ان وضعناه فوق سبع شداد * جازا ذل فيه سبع المثانى
امر به بين غنى عن المد * ح وقد جل مدحه عن بيان
يكشف المعضلات سهلا يسيرا * فكان حلمها ذوات البنان
مرتع مونتق ومرعى مريع * نمانه كل صيب هتان
منهل حوله القلوب الصوادى * منظر دونه العيون الروانى
انه فانظروه أو فاسمعهوه * لذة للعيون والآذان
بيت حسن من المعانى منيف * كل بكرة به وكل عوان
لم أزره وكيف زورة بيت * فيه شئ يقول لى ان ترانى
لن نرى فيه من فتور ونقص * ولن أسس البنا خير بان
كيف يلقى له نظير ولما * يلف فيما مضى لبانية ثان
بيتهم المجد وهو قصر مشيد * ذو سم وراسخ البنيان
خير قوم بنوا بيوت المعالى * ثم هم عامروا بلاد الامانى
هاشمى له مكارم قوم * لم يكن مثلهم بعيد ودان
بلغوا المجد والعلى بنفوس * ما جسدات وأوجه غزان
* آل زهراء ثم آل على * أكرم الناس أشجع الشجعان
ذالك نخر ودونه كل نخر * ناله من علا من الفتيان
يخلق الامر فى فؤاد رحيب * ثم يمضى فيه كسيف يمان
وجنى المجد بعد نضج وينع * غير جان وياله من جان *
لذة فى نواظر الناس طرا * رجة فى ضمائر الاقتران
فى حسود وهم على ما أصابوا * فى صغار وذلة وهوان
لا يبالى بشا مخات رواس * من علولة على كل شان
* ثم لله درته من كريم * سل من حرة حصان رزان
فيه عز كانه ذل عز * لخسوع ورجمة وحنان
ذو خسوع كانه ذو صغار * ذو وفار كانه ذو توان
كيف لا وهو حق عرق كريم * عنده الفقر والغنى سيمان

قوله وان بعيد أي وان كان اه منه

لم تغيره نعمة — مة وثرء * اسواء لديه باق وفان
في اسمه مبدآن صدق وحسن * وكلا المبدآن للخير بان
يعرف المرء حيث كان ولا يغف * مض عنه وان بعيد المكان
عارف بالعلی مكن أمين * مستعان وحب من مستعان
فاضل كل فضله فضل ربی * لا يدانيه رب فضل مدان
كل فضله وما كان فضل * لم يكن فيه شهرة ويزان
كاتب ذويد وأبدياه * بكوادين أرسل في رهان
بارك الله فيه ما هبت الريح صباح الندى على الاغصان
صانه الله من شرور الدواهي * ومضى في كلاءه واماني
ذادعاه له بنج — ير ولا يذ * هب ما كان من سيم الجنان

* (ومنهم الشيخ العلامة والمفسر المحدث الفهامة ذو النضل السامي
الشيخ علي بن عبد الله انشأ الكافي خصه الله تعالى براحه) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

سبحان النافع المانع اللهم اني أسالك التوفيق لما تحب وترضى وأستمنحك حامدا لك
باسمائك وعلى جلائل آلائك ودقائق نعمائك الباهرة الغراء جد اقة تطر بجاري
الأنفاس بنفحة من نفعاته وتنجر أنهار انوار الاسرار بلمحة من لمحاته وتتدفق مناهل
الافكار برشحة من رشحاته وأصلي وأسلم على سيدنا محمد العظيم الشأن المؤيد بالآيات
البيّنات والمعجزات الباهرات الذي محى ظلم الشرك والطغيان وسل سيف عزمه
فاستنار منار الاسلام والايان واقام دلائل التوحيد بالسيف والبرهان وعلى اهل
بَيْتِهِ خزانة اسراره وعلى آله واصحابه وانصاره الذين كشفوا عن مخدرات مكنونات
الكتاب النقاب وخاضوا عبابه واستخرجوا درر فرائده وجواهر قلائده وفتحوا
لطالبيه الباب (وبعد) فلا يخفى ان العلوم وان عظمت اخطارها وتباينت اقدارها فعلم
التفسير هو الجدير بان يشمر له ساق الجد والعناية ويعتنى في تحصيله باتقان الرواية
والدراية وقد بذل الأئمة والسلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من الخلف الفالح
همهم العلية وافكارهم الوقادة المرضية في استخراج دقائقه وبث كنوز حقائقه
مستضيئين من أنوار مشكاة النبوة الزاهرة فضاء واشرق على صنفات قلوبهم
أسرار أنواره الباهرة فهم أول من صلى وجلى في ذلك الميدان فجزاها الله أحسن الجزاء
وعمل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ليعلم ان من أجل ما طالع الحقير من التفاسير
العظيمة الحسان وأفضل وأحسن ما ألف في هذا الشأن ما جمعه المولى الهمام جامع
فضائل الانام السيد العلامة الامام الحافظ السند ذوالجاء المعتمد الاواب (محمد صديق
حسن خان صاحب بهادر النواب) فرأيت مؤلفا حاويا للباب مشتملا على غرر درارى
العباب تهرج زالة معاني ألفاظه عقول أولى الالباب مع احكام قواعد وایجاز میان
وتقديم ادواب وتنقيح لطائف شوارد وغرات اسرار لم تنسق قبل ذلك في تفسير ولا كتاب

جامعاً ما نعام ظهر للأنوار الساطعة التي لا يحويها خطاب كيف لا وجامعه مرتفع لبان الفضائل والعلوم ومرصع جواهر المانطوق والمنهوم درى بفنون أنواع الدراية امام متقن لمساركة الرواية لازال محروسا بعين العناية ولقد اتفق به الحقير لرحل الى بيت الله سنة خمس وثمانين ومائتين وألف فلما وقع نظر الحقير عليه رأته آية من آيات الله وأيقنت انه بجوامع الفضل والنضائل أولى وأحرى فاجريت سوابق فكري اليه فانتلب آصف فهمي قائلاً لا يا وان وجدناه لبحراً لازال محفوظاً وبعين الله تعالى ملحوظاً جامعاً للفنون العلوم موضعاً ليديع بيان ما ارتبك (١) على القوم أمين اللهم أمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي انزل عليه الكتاب والشفيع يوم المآب كتب ذلك بخلا الحقير على بن عبد الله الشامي الكاظمي تاب الله عليه ورحم والديه والمسلمين أمين

(١) ارتبك اختلط عليه أمره اه
قاموس

* (ومنهم الشيخ المحترم النبيه والعلامة المفسر النقيمه يحيى ابن محمد المنقبي بحمد الله عظمه الله تعالى) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فان من نعم الله على عبده الحقير النقيير خليف الكسل والتقشير ان أوقفه الله على هذا التفسير الخطير الذي لاحد الفضائل ولا تقدير تأليف الملك الهمام والعلامة الامام الذي فاق اهل زمانه ولم يفقهه من تقدمه من العلماء الاعلام (أبي الطيب السيد محمد صديق حسن خان نواب والاه) وقد سرحت النظر في ربعه الا قول فرأيت الغاية في فنه وجنسه محكم الوضع والترتيب في بناءه وأسه حاوياً جميع مباحث العلوم سهل التناول لارباب العقول والفهوم سالك فيه مسلكاً باهر اعجيباً وطريقاً واضحاً قريباً اتضح فيه للناس المراد بأول وهله ولا يحتاج لكثير تأمل له بخلاف غيره من التفاسير المتقدمة فان غالب مباحث أكثرها يصعب فهمها على هذه الافهمة ولعمري لقد أودع بحسن تقريره اسرار الكتاب العزيز ونظم في سلك تحريره جواهر الابرين وكشف عن عجائبه واسراره وانفرد من ذلك بما لم يحويه شيء من كتب التفسير وأسفاره فجزى الله مؤلفه خير الجزاء وبوأه بحميلة صنعه دار الكرامة والرضا وأدام النفع به للمسلمين الى يوم الفصل والقضاء أمين

* (وقال الهمام الاكل والعلامة الافضل الشيخ محمد عبد المجيد خان مهم مطابع الرياسة العلية بهو بال المحمية حفظه رب البرية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً أمثالي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي هدى الناس كافة الى خير الهدى وعن الضلالة ذبهم وعلى آله أصحابه ومن تبعهم بالا حسان وأحبيهم (وبعد) فيقول الراجي عفوره الرحمن (محمد عبد المجيد خان) خصه الله تعالى بالغفران وعفائه ما جناه

باللسان الختان والاركان مهتم مطابع الرياسة العلمية (بهوبال) المحمية والعامل على
تلك الصنعة البهية ان هذا التفسير المبارك الميمون والزبور الكريم المصون عن ريب
المنون قد ألفه مؤلفه السيد العلامة وحرره جامعته الشريف النهامه بحسب
استبداد جماعة من أهل العلم بالقرآن فخبثهم الطبيب الماهر الحاجي فوري الحكيم
(محمد احسن) أنعم الله عليه واليه أحسن في غناية أشهر ونظر عليه النظر الثاني في
أربعة أشهر فكان مدة تأليفه الكامل عام واحد ثم بيضه نخبة البرة وزبدة الخيرة
السيد (ذوالفقار أحمد) البهوبالي رفاة الله الى مدارج المعالي في سنتين ثم صدر الامر
المطاع بطبعه في تاج المطابع ورأس المصانع فكتبه الحافظ لكتاب الله المجيد والتالى له
باللعن السيد (علي حسين) الاكثوي صانه الله عما شأنه فطبع كما تراه مطبوعا لاهل
العمل والعلم وعاد أحسن المصاحف موضوعا لى أصحاب الفضل والحلم وكان ذلك في
مدة أربعة أعوام وصحح حروفه وأصلح فروقه الشيخ الصالح العالم النبيه واللوزعي
الامعي الفقيه (محمد عبد الصمد) ابن الفاضل الاريب الكامل الاديب للوى (عبد الرب)
النشاوري أحسن الله اليهما وأنعم عليهم ما (فلما) تم طبعه ونفذ وضعه حسب
المصروف عليه من المعلوم الذي بذله المؤلف حفظه الحى القيوم على تصحيحه وكتابته
وأجرة العاملين على طبعه وغير ذلك مما لا بد منه في طبع الكتب وإشاعتها وزبر الصحف
المطولة وإذا عنتها فكان جلة النفقة في ذلك زهاء خمس عشرة ألف ربية وقد طار خبره
قبل تمامه وتضوع مسك ختامه الى البلدان واستطلبه كل من سمع به أو نظره من
الاعيان من أهل صنعاء وأبي عريش وزيدوييت الفقيه وبلاذ الحجاز ومصر والشام
والقدس وبلغار ومن حمل بها من بقية علماء الديار وكرام الامصار واستحسنوه
استحسانا بالغيا ورجحوه على جميع دفاتر التقاسير المتقدمة والمتأخرة وقالوا من ظن به
وفهمه فقد صار في العلماء نابغا وهو حرى بذلك فانه لم يؤلف مثله في هذه المسالك والمدارك
وقد أولم عليه حضرة النواب الرفيع الخطاب وليمة حسنة وأطعم كل من له المام بعلم
الكتاب والسنة وأضافهم ضيافة مستحسنة وخلع على أهل المطابع والمصححين
باحسن خلac تنبغى للمحسنين كما صنع الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله وليمة عند
ختم فتح الباري شرح صحيح البخارى ثم جادت الرئيسة المكرمة ومليكة هذه الديار
المعظمة تاج العروس وبهجة النفوس من يباهى بها الدهر ويفتخر بها الفخر عادلة
الزمان ومكرمة الانام ونسخة الامان وحسنة الايام ونخبة رؤساء الديار الهندية
وحامية حى الشريعة الحققة الصادقة السنية حضرتنا (نواب شاهجهان بيگم) والية
المملكة البوفالية رفع الله قدرها وأخل أمرها وأنجج مأمها وأسعف نظامها
وبارك لها وعليها وفيها وخضع لجنابها رقاب من في نواحيها وضواحيها ببذل نسخ
كثيرة من هذا الكتاب الكريم والتفسير الشريف العظيم لى أهل الفضائل والعلوم
الساكين بالهند والحجاز وحديدة والحرمين الشريفين ومصر والقدس والروم إشاعة
لاحكام رب العالمين واذا عنة لمقاصد هذا الرقيم الكريم وتبليغا للدين القيم القويم

۲۹۷ R K ص ۱۲

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

۱۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۲۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۳۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۴۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۵۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۶۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۷۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۸۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۹۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو
 ۱۰۔ اگر ایک شخص ایسا ہو جس کا حال غریبی و فقر ہو

